

حَمْدُكَ يَا مُلْكُ الْعَالَمِينَ

لِلْأَمَامِ الْبَلْعَوِيِّ الْأَدِيبِ أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيِّ

بِإِذْنِ الْأَمَامَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ، الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الشَّقِيقَيْنِ
مَعَ مُقَابَلَةِ الْمَشْكِلِ بِنُسخَةِ الْمُتَقَرِّفِ الْبَرِيضِي

عالم الکتاب



اهداءات ٢٠٠٢

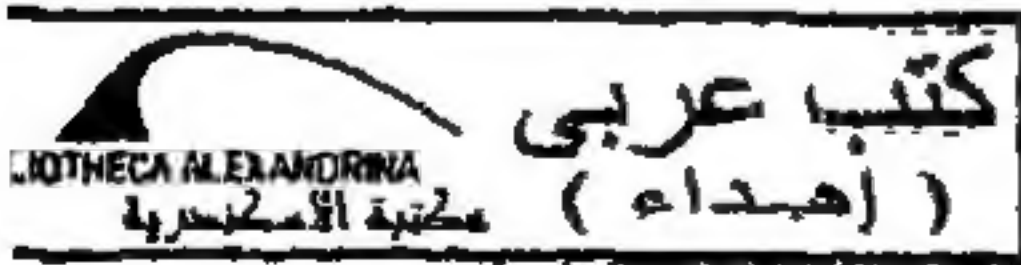
أد/ مصطفى الطاوي الجويني
الاستشارية

ديوان المرحوم أبي

للأمام البغوي الأديب أبي هلال العسكري

عن نسخنا لأمامين العظمين : الشيخ محمد بن عبد الله والشيخ محمد بن محمد الشنقيطي .
مع مقابلة الشكل بنسخة المتحف البريطاني

للجزء الأول



عالم الكتب رقم التسجيل ٩٠١

(كلمة عن حياة المؤلف)

عن معجم الأدباء لياقوت وعيون التواريخ لابن شاكر

وشذرات الذهب لابن العماد، وغيرها

هو أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوى
العسكرى .

قال أبو طاهر السلفى : سألت الرئيس أبا المظفر محمد بن أبي العباس الأبيوردى
رحمه الله بهمدان عنه فأنشئ عليه ووصفه بالعلم والفقہ^(١) معاً ، وقال كان يتميزز احترازاً
من الطمع والدناءة والتبذل - وذكر فيه فصلاً هو فى سؤاله عن - وكان الغالب عليه
الأدب والشعر، وله فى اللغة كتاب وصحه بالتلخيص كتاب مفيد، وكتاب الصناعتين
صناعتى النظم والنثر وهو أيضاً كتاب مفيد جداً^(٢) .

ومن جملة من روى عنه : أبو سعد السمان الحافظ بالرى ، وأبو الغنائم بن حماد
المقرئ إملاء . وأنشدنى أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى لنفسه :

قد تعاطاك شباب وتفشاك مشيب
فأنى مالىس بمضى ومضى مالا يؤوب
فأهـب اسقام ليس بشفيه طيب
لاتوهمه بعيداً إنما الآنى قريب

ومما أنشدنا القاضى أبو أحمد الموحـد بن محمد بن عبد الواحد الحنفى بتسـتر قال
أنشدنا أبو حكيم أحمد بن إسماعيل العسكرى أنشدنا أبو هلال الحسن بن عبد الله
ابن سهل اللغوى لنفسه بالعسكر :

(١) فى نسخة « العفة » مكان « الفقه » . (٢) سيذكر باقى مصنفاته بعد .

إذا كان مالى مالٌ من يلقطُ المعجم وحالى فيكم حالٌ من حاكٌ أو حجم
 فأين انتفاعى بالأصالة والحجا وما ربحتُ كفى على العلم والحكم
 ومن ذا الذى فى الناس ^(١) يصيرُ حالى فلا يلعنُ القرطاسَ والخبرَ والقلم
 ومما أنشدنا القاضى أبو أحمد الحنفى يتستر قال أنشدنى أبو حكيم اللغوى قال
 أنشدنا أبو هلال العسكري لنفسه :

جلوسى فى سوقٍ أبيعُ وأشتري دليلٌ على أن الأنايم قرودُ
 ولا خيرَ فى قومٍ تذللُ كرامهم ويعظمُ فيهم نذلهم ويسودُ
 وتهجومُ عنى رثائهُ كسوتى ^(٢) هجاءٌ قبيحاً ما عليه مزيدُ
 ومما أنشدناه أبو غالب الحسين بن أحمد بن الحسين القاضى بالسرس قال أنشدنا
 المظفر بن طاهر بن الجراح الاستراباذى قال أنشدنى أبو هلال الحسن بن عبد الله
 ابن سهل اللغوى العسكري لنفسه :

يا هلالاً من القصورِ تدلُّ صامَ وجهى لمقلتيهِ وصَلَّى
 لستُ أدري أطلالَ ليلٍ أم لا كيفَ يدري بذاك من يتقلّى
 لو تفرَّغتُ لاستطالةِ ليلٍ ولرعى النجومُ كنتُ مخلى
 هذا آخر ما ذكره السلفى من حال أبى هلال .

قال ياقوت : وهذه الأبيات الأخيرة التى منها * لست أدري أطلال ليل أم لا *
 والبيت الذى بعده رأيت فى بعض الكتب منسوباً إلى خالد الكاتب والله أعلم ^(٣) .
 هذا عن السلفى . وذكر غيره أن أباه هلال كان ابن أخت أبى أحمد العسكري .
 وله من الكتب بعدما ذكره السلفى : كتاب ديوان المعاني وهو من أحسن الكتب ^(٤)

(١) فى عيون التواريخ (فى الدهر) . (٢) فى عيون التواريخ (رثائهُ ملبسي)

(٣) لعل الغلط من الراوى لأن أباه هلال نفسه ذكر الأبيات فى الجزء

الأول من هذا الكتاب فى الصفحة ٣٥٠ منسوبة لخالد الكاتب .

(٤) يثنى ابن شاكر فى عيون التواريخ على (ديوان المعاني) فلعله اطلع عليه .

وكتاب جهرية الأمثال . كتاب معاني الأدب . كتاب من احكم من الخلفاء
إلى القضاة . كتاب التبصرة وهو كتاب مفيد . كتاب شرح الحمامة . كتاب
مفاخرة الدرهم والدينار . كتاب المحاسن في تفسير القرآن خمس مجلدات . كتاب
المدة . كتاب فضل العطاء على العسر . كتاب ما تلحن فيه الخاصة . كتاب
أعلام المعاني في معاني الشعر . كتاب الأوائل . كتاب ديوان شعره . كتاب
الفرق بين المعاني . كتاب نوادر الواحد والجمع . كتاب الفروق :

قال ياقوت : وأما وفاته فلم يبلغني فيها شيء ، غير أني وجدت في آخر كتاب
الأوائل من تصنيفه : وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت
من شعبان سنة ٣٩٥ ، ولبنضمهم :

وأحسن ما قرأتُ على كتاب بخط المسكري أبي هلال
فلو أني جُعلتُ أميرَ جيشٍ لما قاتلتُ إلا بالسؤال
فإنَّ الناسَ ينهزمونَ منه وقد ثبتوا لأطرافِ العوالي
وقال أبو هلال المسكري في تفضيل الشتاء على غيره من الأزمنة :
فترتُ صبوتي وأقصرَ شجوي وأتاني السرورُ من كلِّ نحرٍ
إنَّ رَوْحَ الشتاءِ خلصَ رُوحِي من حرورٍ تشوي الوجوه وتكوي
بردَ الماءِ والهواءِ كأنَّ قد سرقَ البردُ من جوانحِ خلوي
ريحه تلسُ الصدورَ فتشني وغماماته تصوبُ فتروى
لستُ أنسى منه دَمَائَةَ دجنٍ ثمَّ من بعده نَضَارَةُ صحوي
وجنوباً تبشرُ الأرضَ بالقَطَسِ كما بُشِّرَ العليلُ ببرو
وغيوماً مطرِزاتِ الحواشي بوميضٍ من البروقِ وخفوي
كلما أرختِ السماءُ عُراها جمعَ القطرِ بينَ سُفلٍ وعلو
وهي تعطيك حينَ هبتِ شمالاً بردَ ماءٍ فيها ورقَّةٌ جَوُّ
وترى الأرضَ في ملامَةٍ تلج مثلَ ريطٍ لبسته فوقَ فرو

فاستعار العراء ^(١) منها لباساً	سوف يبنى من الرياح ينضو
فكان الكافور موضع تريب	وكان الجاث موضع قزو
وليل اطلب مدة درسي	مثلا قد مدد في عمر لوى
مر لي بعضها بقتة وبعض	بين شعر اخذت فيه ونحو
وحدث كأنه عقد ريباً	بت أرويه للرجال وتروى
في حديث الرجال روضة أنس	بات يدعى بأهل نبل وسرو ^(٢)
ومن شعره في ارتفاع السفل :	
لا يفرنكم علو لثيم	فلو لا يستحق سفال
فارتفاع الخريق فيه فضوح	وارتفاع المصلوب فيه نكال

(١) في الأصل « العراء » . (٢) أكثر هذه الأيات غير موجود في ديوان المعاني ، مما يدل على كثرة نظم أبي هلال وسعة ديوانه رحمه الله .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على جلائل نعمه وفواضل آلائه وقسمه والرجبة اليه فيما يزلف لديه ويمهد المنزلة عنده ويوجب الحظوة قبله والصلاة على خير بريته محمد وعترته .
قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمه الله تعالى : جمعت في هذا الكتاب أبلغ ما جاء في كل فن وأبديع ما روى في كل نوع من أعلام المعاني وأعيانها إلى عواديبها وشذاذها ، وتخيرت من ذلك ما كان جيد النظم محكم الرصف غير مهمل رخو ولا متجذر فج ، وهذا نوع من الكلام لا يزال الأديب يسأل عنه في المجالس الخافلة والمشاهد الجامعة إذا أريد الوقوف على مبلغ علمه ومقدار حفظه فإن سبق إليه بالجواب جل قدره وفنم أمره ، وإن نكص عن ميدانه وشال في ميزانه قلت الرغبة فيه وانصرفت القلوب عنه ، وذلك مثل ما أخبرنا به أبو أحمد الحسن ابن عبد الله بن سعيد رحمه الله تعالى^(١) قال : كان بعض من ينتحل الأدب يريد الدخول في جملة أبي الفضل محمد بن الحسن بن العميد^(٢) لمنادمته ، وشفع له في

(١) هو شيخ المصنف ومحمية اللغوى العلامة ، يروى عنه في هذا الكتاب كثيراً ، ولد سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وكان من الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع العلوم والتحقيق في التأليف ، توفي سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . وقد اختلط السنيان على صاحب الأعلام وهما في الإمامة علان .

(٢) الملقب بالجاحظ الثاني ، كان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم ، وأما

ذلك جماعة من بطائنه فأحضره يوماً وفاوضه ليقف على مقداره في المعرفة فقال له
 فيما قال : ما أحسن ما قيل في صفة شعر ؟ فبقي ملياً يتفكر فقال أبو الفضل : فندعند
 خاطرك حُداجة ، ثم قال هات أيها الشيخ فقلت أحسن ما قاله قديم في ذلك قول الشاعر :
 فان أهلك فقد أقيتُ بعدى قوافي تُعجبُ الممثلينا
 لذيذات المقاطع محكات لو أن الشعر يُلبسُ لارتدينا
 وأحسن ما قاله محدث قول أبي تمام ^(١) :

ووالله لا أنفكُ أهدي شوارداً إليك يُجملنَ الثناء المنخلا
 تخالُ به بُرداً عليك محبراً وتحسبها عقداً عليك مُفصلاً
 ألدُّ من السلوى وأطيبَ فَنحةً من المسك مفتوقاً وأيسرَ محملاً
 أخفُّ على رُوحٍ وأقلَّ قيمةً وأقصرَ في مِمع الجليس وأطولاً
 ويُزهي به قومٌ ولم يمدحوا بها إذا مثل الراوى بها أو تمثلاً

الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد ، كان كامل الرياسة جليل القدر ، من بعض
 أتباعه الصاحب بن عباد ، ولأجل صحبته له قيل له الصاحب ، وكان له في الرسائل اليد
 البيضاء . قال الثعالبي : كان يقال بدئت الكتابة بعد الحيد وختمت بالين العبيد .
 وكان الصاحب بن عباد قد سافر إلى بغداد فلما رجع إليه قال له كيف وجدتُها ؟ فقال
 بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد ، وكان يقال له الاستاذ . وكان سائساً مديراً
 للملك قائماً بحقوقه ، وله شعر رقيق ، وقصصه جماعة من مشهورى الشعراء من
 البلاد الشاسعة ومدحوه بأحسن المدائح ، منهم أبو الطيب المتنبي ، توفي سنة ٣٦٠ .
 (١) هو حبيب بن أوس الطائي الشاعر المشهور ، ولد بسورية وجاب البلاد
 ومدح الخلفاء وغيرهم ، قال ابن الأثير : أما أبو تمام غرب معان وصيقل ألباب
 وأذهان ، وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر ، فمن حفظ شعر الرجل
 وكشف عن غامضه وراض فكره برائضه أطاعته أعنة الكلام وكان قوله في
 البلاغة ما قالت حزام ، مات سنة ٢٣١ - كافي شذرات الذهب وغيره .

وقوله : إن القوافي والمساعى لم تزل مثل النظام ^(١) إذا أصاب فريدا
 هي جوهرة شرقة قالت ألفتها بالشعر صار قلائداً وعُقودا
 في كل معترك وكل مقامة يأخذن منها ذممة وعهودا
 فإذا القصائد لم تكن خفراءها لم ترض منها مشهداً مشهودا
 من أجل ذلك كانت المُرَبُّب الألى يدعون ذلك ^(٢) سُودَ دَاً مَجْدودا
 وتند عندهم العلا الأعلى التي جعلتها مَرَرُ القريض ^(٣) قِيودا
 قال وبقي الرجل لا يفيض بكلمة ثم خرج ولم يعد . قوله فند يعني أن خاطره بطيء .
 وفند هذا مخنث كان بالمدينة مولى لمائشة بنت أبي وقاص ^(٤) ، وكانت بمشته
 ليقبس ناراً فأتى مصر وأقام بها سنة ثم جاء بنار وهو يعدو فشر فتبدد الجمر فقال
 نعت العجلة فقالت فيه :

بمشتك قابساً فلبثت حولاً متى يأتي غيائك من تغيث
 وقال الشاعر : مارأينا لغراب ^(٥) مثلاً إذ بعثناه لحمل المشله ^(٦)
 غير فند أرسلوه قابساً فتوى حولاً وسب العجله
 فتمثلت العرب به فقالت أبطأ من فند . ومُحْدَاجَة رجل يضرب به المثل في
 السرعة قليل أسرع من مُحْدَاجَة ^(٧) .

ومن سبق إلى الجواب عن هذا النوع غفلي النضر بن شميل ^(٨) أخبرنا أبو

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع « مثل الجمان » وهو اللؤلؤ . (٢) في الديوان
 المطبوع « يدعون هذا » . (٣) في الديوان « مرر القصيد » . (٤) في مجمع الأمثال :
 بنت سعد بن أبي وقاص . (٥) غراب إسم رجل . (٦) المشلة كساء تجمع فيه
 المقدحة بالآلاتها ، وقيل ثوب يشتمل به وقيل غير ذلك . (٧) وهو رجل من عبس .
 (٨) وهو النضر بن شميل المازني البصري كان رأساً في الحديث رأساً في اللغة
 والنحو ثقة صاحب سنة ، ضاقت معيشته بالبصرة فرحل إلى خراسان فشيعة من
 البصرة نحو من ثلاثمائة عالم ، توفي سنة ٢٠٣ كما في شذرات الذهب وغيره .

أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد قال حدثني أبي قال حدثنا إبراهيم بن حامد قال حدثنا أبو بشر محمد بن ناصح الاصبهاني عن النضر بن شميل المازني قال : كنت أدخل على المأمون في صمره فدخلت عليه ذات ليلة وعلى قميص مرقوع فقال يا نضر ماهذا القشف ^(١) فقلت يا أمير المؤمنين أنا شيخ ضعيف وحر مر وشديد فأتبرد بهذه الخلقان، قال لا ولكنك قشف فأجربنا الحديث إلى أن أخذ المأمون في ذكر النساء فقال : حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كن فيها سداداً من عوز » فقلت صدق يا أمير المؤمنين هشيم حدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كن فيها سداداً من عوز » قال وكان متكئاً فاستوى جالساً فقال يا نضر كيف قلت سداد قلت يا أمير المؤمنين السداد ههنا نحن قال ويحك أتلهجني قلت إنما نحن هشيم وكن لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه ، قال فإلفرق بينهما ؛ قلت السداد القصد في الدين والسبيل ، والسداد البلغة وكل ما سددت به شيئاً فهو سداد ، قال وتعرف العرب هذا ؟ قلت نعم العرجي ^(٢) يقول :

أضاعوني وأى فتي أضاعوا ليوم كريمة وسداد تغر

قال قبيح الله من لا أدب له ، ثم أطرق ملياً ثم قال : أنشدني أخلب بيت قالته العرب قلت حمزة بن يسير ^(٣) يقول في الحكم بن مروان :

(١) القشف : رثاء الهيثة . (٢) هو الشاعر المشهور ، منسوب إلى العرج منزلة بين مكة والمدينة ، وكان حبسه محمد بن هشام الخزومي أمير مكة لما شبب بأمه فأقام بالحبس سبع سنين ومات فيه عن ثمانين سنة ، وبعد البيت المذكور :

وصبر عند معترك المتأيا وقد شرعت أستها بتعري

(٣) شاعر مجيد من أهل الكوفة ، كن منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة وولده ثم إلى بلال بن أبي بردة . توفي سنة ١٢٠ هـ « يعض » بكسر الهمزة وسكون

يقولون لي والميئون هازعة أقم علينا يوماً فلم أقيم
 أي الوجوه امتجعت قلت لها وأي وجه إلا إلى الحكم
 متى يقل صاحب سرادقه هنا أين يفيض بالباب يتيسر
 قد كنت أسلمت فيك مقبلاً فهاهنا أدخل أو بقي على
 فقال أحسن ما شاء ، أنشدني أنصف بيت قائمه العرب قلت ابن غزوية المدني
 حيث يقول :

إني وإن كان ابن عمي واغراً لمزاحم من خلفه وورائه
 وميمده بصري وإن كان امرأ مسترحزاً في أرضه ومخائه
 وأكون والى سره فأصومته حتى يمين على وقت أدائه
 وإذا الحوادث أجحفت بسوامه^(١) قرنت تهيحنا إلى جربائه
 وإذا دعا باسمي لتركب مركبا صعباً قصدت له على سبائه^(٢)
 وإذا رأيت له رداءً فاضراً لم يلفني متنبئاً لردائه
 فقال أحسن ما شاء ، أنشدني أقنع بيت للعرب قلت الراعي^(٣) حيث يقول :
 أطلب ما يطلب الكريم من السرزق لنفسي فأجمل الطلب
 وأحلب الذرة الصفاء ولا أجهد أخلاف غيرها حلباً
 إني رأيت الفتى الكريم إذا رغبته في صنعة رغباً
 والنذل لا يطلب الصلاة ولا يعطيك شيئاً إلا إذا رهباً
 مثل الحمار الموقع السولا يجسن شيئاً إلا إذا ضرراً
 ولم أجده غرة الخلائق إلا الدين لما اعتبرت والحسب

الباء آخر الحروف وآخرها ضاد معجمة ، على مانص عليه في الواقي بالوفيات
 والتاج ، ويضبطه كثيرون بالفتح وهو خطأ . (١) السوام : الأبل . (٢) السبائ
 بالكسر : منتظم فقار الظهر ، ومن الفرس حاركة ، ومن الحمار ظهره . القاموس .
 (٣) هو الشاعر عبيد بن حصين الراعي النخري ، من معاصري جرير والفرزدق .

فَإِذَا رَزَقَ الْخَالِقُ الْمَتَمُّ وَمَا شَدَّ بِشَيْشٍ رَحَلًا وَلَا قَبَا
وَيَحْصِرُ الرِّزْقُ ذُو الْمَطِيَّةِ وَالسَّرْحُ وَمَنْ لَا يَزَالُ مُخْتَرِبًا
قَالَ أَحْسَنُ مَا شَاءَ ، مَا مَالِكَ يَا نَضْر ؟ قُلْتُ أَرِيضُ لِي بِعَمْرٍو أَنْصَابَهَا وَأَعْمَدُهَا قَالَ
أَلَا ^(١) نَعِيدُكَ مَعَ ذَلِكَ مَا لَا ؟ قُلْتُ إِنِّي إِلَى ذَلِكَ مُحْتَاجٌ قَالَ فَاخْذِ الْقِرْطَاسَ وَكُتِبَ
وَلَا أُدْرِي مَا كُتِبَ ، قَالَ كَيْفَ تَقُولُ مِنَ التَّرَابِ إِذَا أَمَرْتُ أَنْ تَتْرَبَ ؟ قُلْتُ أَتْرَبُهُ ،
قَالَ فَهُوَ مَاذَا ؟ قُلْتُ مَتْرَبٌ ، قَالَ فَمِنْ الطِّينِ ؟ قُلْتُ رَطْنُهُ ، قَالَ فَهُوَ مَاذَا ؟ قُلْتُ مَطِينٌ ،
قَالَ هَذِهِ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى ثُمَّ قَالَ يَا غُلَامُ أَتْرَبُهُ وَطْنَهُ ، ثُمَّ صَلَّى بِنَا الْعِشَاءَ ثُمَّ قَالَ
لِعَلَّامِهِ تَبْلُغُ مَعَهُ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ . فَأَتَيْتُهُ فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ قَالَ يَا نَضْرُ إِنَّ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَكَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ فَمَا كُنَّ السَّبَبُ فَأَخْبَرْتَهُ وَلَمْ أَكْذِبْهُ فَقَالَ
لَحَنْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قُلْتُ كَلَّا أَمَّا لِحْنُ هَشِيمٍ وَكَانَ لِحَانَةً فَتَبِعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِحْظُهُ
وَقَدْ تَبِعَ الْمُتَقَهَاءَ ، فَأَمَرَ لِي الْفَضْلُ بِثَلَاثِينَ أَلْفًا فَأَخَذْتُ ثَمَانِينَ أَلْفًا بِحَرَفٍ اسْتَفَادَهُ مِنِّي .
وَأَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ قَالَ أَخْبَرَنَا الصُّوْلِيُّ قَالَ أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمُهَلَّبِيُّ قَالَ
حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ جَرَى فِي مَجْلِسِ الْوَائِقِ بِاللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُ مَا قِيلَ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ
فَأَمَرْتُ أَنْ يُسَأَلَ أَبُو عَمَلٍ عَنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ فَسُئِلَ بِعَدَانٍ أَحْضَرَ فَقَالَ أَحْسَنُهُ
قَوْلُ حَكِيمٍ وَهُوَ شَاعِرُ عَصْرِهِ النَّمِرُ بْنُ تَوَلَبٍ الْعَمَلِيُّ ^(٢) :

وَفِيَّةٌ كَالسُّيُوفِ أَحْصَرُمُ لَا أَحْصَرُ فِيهِمْ وَلَا بَخْلُ
بَيْضٌ مَسَامِيحٌ فِي الشَّوَاءِ وَإِنْ أَخْلَفَ نَجْمٌ عَنْ وَبَلِهِ وَبَلُوا ^(٣)
لَا يَتَارُونَ ^(٤) فِي الْمَضِيقِ وَإِنْ نَادَى مُتَنَادٍ أَنْ انْزِلُوا انْزَلُوا
لَا يَعْزِي شَرِبْنَا اللَّجَاءَ وَقَدْ تَوَهَّبَ قَيْنَا الْقِيَانُ وَالْحَلَلُ
فَاسْتَحْسَنَ الْوَائِقُ الْأَيَّاتِ وَوَهَبَ ^(٥) أَبَا عَمَلٍ .

(١) في نسخة « أفلا » . (٢) من شعراء الجاهلية أدرك الإسلام كبيراً ،
وكان وجيهاً جواداً . (٣) الويل : المطر الشديد . (٤) تآرى بالمكان : احتبس .
(٥) في نسخة « ووصل » .

فحاجة الأديب إلى هذا الفن شديدة وفاقته إليه عتيدة ، وأولى ما يصنف ويؤلف
ويقرب مأخذ ويسهل ما كانت الحاجة إليه هنا الحاجة فوقت العناية عليه وانصرفت
بالاهتمام إليه حتى تهذب وتثقف وتشذب وتلدانت شعبه وتقاربت سبله ولم أهال
مألني فيه من زيادة تعب وفضل كد ونصب إذ لم يكن الانسان يبلغ ما يريد وينال
ما يرغب ^(١) إلا بتكلفة لغوب ^(٢) ومواصلة دؤوب لاسيا إذا كان الغرض الذي
ينزع إليه جسيا يكسبه حسن الذكر ويمنحه طيب النشر من علم يتقنه أو بصنفة
ويدونه أورياسة أرادها فارتادها وسيادة طلب اقتيادها وليس ذلك للمتواني المتهاون
ولا المتواكل المتواهن ، وقد قيل :

سَهَرَتْ عُيُونُهُمْ وَأَنْتَ عَنِ الَّذِي فَأَمْرُهُ حَالِمٌ
وقيل : وإن سيادة الأقسام فأعلم . لما صعداء مطلقها طويل
وقيل : ان السيادة والرياسة والملى أعباؤهن كما علمت فقال
وقيل : وإن جسيمات الأمور منسوخة . يُسْتَوْدَعَاتٍ فِي بَطُونِ الْأَسَاوِدِ
وقلت : * إن الأمور مزيجها في المتعب * وفي المثل « عند الصباح يحمد القوم
السرى » وقيل * ما لن لم يركب الأهوال حظ * وقلت :

وَلَمْ يَتَسَهَّلْ لِلْفَقْدِ دَرَكُ الْعُلَا . إذا هولم يصبر على المتصعب

ومن كانت له حاجة في الشيء اشتغل به وفرغ له واستندب التعب فيه حتى بلغ
مراده منه وقيل :

طَوَامِسُ لِي مِنْ دُونِهِنَّ عَدَاوَةٌ . ولي من وراء الطامسات حبيب
بعيد . على من ليس يطلب حاجة وأما على ذي حاجة فقريب
والذي حداني على جمع هذا النوع أيضا اني لم أجده فيه كتابا مؤلفا ولا كلاما مصنفًا
يجمع فنونه ويحوى ضروبه ، ورأيت ما تفرق منه في أثناء الكتب وتضاعيف
الصحف غير متفرق يشق الراغب ويكنى الطالب فيجمعتها هنا وأضفت إلى كل نوع منه

(١) أراغ : أراد وطلب . (٢) أي متعبة أشد تعب كما في القياموس .

ما يقاربه من أمثاله وما يجري معه من أشكاله ليكون مادة للمناقضة وقوة للمفاوضة ،
وجعلته نظاماً ونثراً وخبراً وشمراً لا يثبت به نشاط الناظر وأجلى به صدها الخاطر .
لأن الخروج من ضرب إلى ضرب أتقى لللال وأعدى على الكلال من لزوم نهج
لا يعتمد والاقتصار على أمر لا يتوخى سواء .

وجعلته إثنى عشر باباً : الباب الأول : في التهانى والمديح والافتخار .

الباب الثانى : في الخصال .

الباب الثالث : في المعانيب والهجاء والاعتذار .

الباب الرابع : في التزل وأوصاف الحسان .

الباب الخامس : في ذكر النار والطبخ وأنواع الطعام وصفات الشراب
وما يجرى مع ذلك .

الباب السادس : في ذكر السماء والنجوم والشمس والقمر وما يجرى مع ذلك .

الباب السابع : في ذكر السحاب والمطر والثلوج والمياه وصفات البساتين
والرياض والأشجار والثمار والرياحين والتسيم وما يجرى مع ذلك .

الباب الثامن : في ذكر السلاح والحرب وما يشبه ذلك .

الباب التاسع : في ذكر القلم والخط والكتاب وصفة البلاغة وما يجرى مع ذلك .

الباب العاشر : في ذكر الخيل والابل والسير والغلوات والسراب وصفة
سائر الحيوانات .

الباب الحادى عشر : في ذكر الشباب والمشيب والعلل والموت والمرأى
والتعازى والزهد .

الباب الثانى عشر : في صفات أشياء مختلفة .

ثم رأيت أصحابنا يشكون طوله وكبر حجمه وبعد غايته فجعلت كل باب منه
ينفرد بنفسه ويتميز من جنسه ليخف محمله ويقرب مأخذه ، على أن فوائد الكتاب
على قدره في صغره وكبره ولكن ينبغي أن يحمل على كل بقدر طاقته ويكلف

على حسب مقدرة ويحدث بما ينشط لاستماعه ويتسع لوعيه ، وتقريب الحكمة
حكمة ثانية ويكسوها المحبة ويوجد اليها الرغبة ، وأرجو أن أوافق الصواب في
جميع ما ضمنت هذه الأبواب : وإن وجد في بعض فصوله خطأ أو تعرض فيه زلل
أو تخلله خلل فغير بديع ولا قبيح شنيع لأن النقصان منوط بالإنسان لا يسلم منه
خلقه وخلقه وقوله وفعله وقد شمل الميب كل شيء حتى صارت في وجنة القمر
سفة ، وقد قلت :

وفي كل شيء حين تخبر أمره معايب حتى البدر أكلف أسفع
والشيء إذا سلم جله فقد حسن كله وبالله التوفيق :

﴿ كتاب المبالغة ﴾

في المديح والتهاني والافتخار وهو الباب الأول
من كتاب ديوان المعاني وهو ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول في المديح ﴾

محمث أبا أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد رحمه الله تعالى يقول أمدح بيت
قاله العرب قول النابغة الذبياني^(١) .
ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب^(٢)

(١) هو زياد بن معاوية ، لقب بالنابغة لنبوغه في الشعر ، كان يعرض عليه
الشعراء قصائدهم في سوق عكاظ ، وهو أحد أصحاب الملقات ، كان حظي بإقبال
النعمان بن المنذر ، ثم هرب خيفة من بطشه بعد أن شبيب بزوجته ، ثم عفا عنه
ورجع إليه ، مات سنة ١٨ قبل الهجرة . وقيل لقب بالنابغة ببعض شعره .

(٢) السورة : المقام والمكانة ، والملك : الملك ، ويتذبذب : يضطرب .

بأنك شمس^١ والملوك^(١) كواكب^٢ إذا طلعت لم يَبْدُ منهم كوكب
ثم قال أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى بن العباس قال حدثني أبو ذكوان قال : أدخلت
إلى إبراهيم بن العباس وهو بالأهواز خدمته فقال ما تقول في شعر النابغة * ألم تر أن
الله أعطاك سورة - البيتين قتل ما عندي فيه إلا الظاهر المشهور يقول فضلك على
الملوك كفضل الشمس على الكواكب فقال نفهم معناه قبل هذا إنما يعتذر إلى
النعمان من مدحه آل جفنة الفسانيين وتركه له ويريد أن له في مدحه لهم عنراً
ألا ترى إلى قوله :

ولكني كنتُ امرأةً لى جانب من الأرض فيه مُستراةً ومذهبُ
ملوك^(٢) وإخوان إذا ما أنيتهم أحكم في أموالهم وأقرب
حكمتك في قوم أراك اصطفتهم^(٣) فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا
يقول لا تلتني على شكرى وقد أحسنوا إلى إذ لجأت إليهم وإن كانوا أعداءك كما
أحسنتم إلى قوم فشكروك عند أعدائك فقد أحسنوا ولم يذنبوا ، ثم قال اعمل على أنى
أذنبت فمن أين تجد من لا يذنب فقال :

ولست بمُستَبقٍ أخاً لائتُهُ على شعثِ أى الرجال المهذب
فإن أكُ مظلوماً فبئس ظلمته وإن يك ذا عُتبي فمثلك يُعتب
يقول مثلك بعفو ويحسن وإن كان طائفاً وفي كرمك ما يفعل ذلك ولك

العتبي والرجوع إلى ما يجب ، ثم فضله عليهم فقال :
ألم ترَ أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
بأنك شمس^١ والملوك كواكب^٢ إذا طلعت لم يَبْدُ منهم كوكب
يقول ما صلحت لى أنت قانى لا أريد غيرك من الملوك كما أن من طلعت عليه

(١) في الأصل هنا «النجوم» مكان «الملوك» الموجودة في ديوان النابغة

المطبوع ، وفي الأصل بعد أسطر كذلك . (٢) وهم ملوك غسان . (٣) الذى فى

ديوان النابغة المطبوع « كفعلك فى قوم أراك اصطفتهم » .

الشمس لم يحتاج الى النجوم . قال أبو ذؤانف وما رأيت أعلم بالشعر منه . ثم قال
لو أراد كاتب بليغ أن يثر من هذه المعاني ما نظمه النابغة ما جاء به في أضعاف
كلامه ، وكان يفضل هذا الشعر على جميع أشعار الناس / وقد سبق بعض شعراء
كندة النابغة الى هذا المعنى فقال يمدح عمرو بن هند :

تَكَادُ تَمِيدُ الْأَرْضُ بِالنَّاسِ إِنْ رَأَوْا لِعَمْرَوِ بْنِ هِنْدٍ عُصْبَةً وَهُوَ عَانِبٌ
هُوَ الشَّمْسُ وَاقْتِ يَوْمَ سَعْدٍ فَأَفْضَلْتُ عَلَى كُلِّ ضَوْءٍ وَالْمُلُوكِ كَوَاكِبُ
سرو قالت صفيه الباهلية :

أَخْبَنِي عَلَى مَالِكٍ وَبِزْمَانٍ وَلَا يُبْقِي الزَّمَانَ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَذَرُ
كُنَّا كَأَنْجُسٍ لَيْلَ يَتَنَّا قَمَرُ يَجْلُو الدُّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِنَا الْقَمَرُ
ومن هنا أخذ أبو تمام :

كَأَنَّ بَنِي نَبَهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ نَجُومٌ مِمَّا خَرَّ مِنْ يَدَيْهَا الْبَدَنُ

وقال نصيب في معنى النابغة :

هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكَوَاكِبُ حَوْلُهُ وَهَلْ يَشْبَهُ الْبَدْرَ الْمَضَى الْكَوَاكِبُ
ومثل قول النابغة . * احكم في أموالهم وأقرب * قول الأشجع (١) :
لَا تَعْذِلُونِي فِي مَدِيحِي مَعْشَرًا خَطَبُوا الْمَدِيحَ إِلَى الْأَمْوَالِ
يَنْزَحْزَحُونَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا عَنْ كُلِّ مُتَّكِئٍ مِنَ الْأَجْلَالِ
وصحبت أبا أحمد يقول : أبرع بيت قيل في المديح قول النابغة :

فَأَنْتَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خَلَّتْ أَنْ الْمَتَى عَنْكَ وَاسِعِ

ثم قال أخيرني محمد بن يحيى قال أخبرنا عون بن محمد الكندي أخبرنا قنص بن
عمرز قال سمعت الأصمعي قال سمعت أبا عمرو يقول كان زهير يمدح السوقة ولو
ضرب أسفل قدميه مائة على أن يقول مثل قول النابغة * فأنت كالليل الذي هو مدركي *

(١) هو أشجع بن عمرو السلمي من فحول الشعراء ، مدح البرامكة ، وتقرب

من الرشيد ، ومات بعده .

ماقاله فما لا يقول مثله زهير كان غيره أبعد منه .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن السكن بن سعيد عن محمد بن عباد قال سمعت أبا عبد الله نعطويه يذكر عن الفراء . قال قال الكسائي حضرت مجلساً للخليل بن أحمد وقد جمع بينه وبين يونس بن حبيب ^(١) عند العباس بن محمد في مناقشة اللغات ومجاريها ونواحي الأعراب ومذاهب العرب ومجازها وأخبارها فكان الخليل كالسابق قرن به ذوا الزوائد الحظم في حلبة المضار إلى أن تذاكروا ^(٢) الأشعار والشعراء فأكثر يونس من ذكر زهير وتقديمه وذكر الخليل النابغة وقدمه وعظم أمره فقال العباس للخليل بم تذكر النابغة ؟ قال كان النابغة أعذب على أفواه الملوك وأبسط قوافي شعر كأن الشعر ثمرات تدانين من خلده فهو يجتنيهن اختياراً ، له سهولة السبق وبراعة اللسان ونقاية الفطن لا يتوعر عليه الكلام لعذوبة مخرجه وسهولة مطالبه . أخبرنا شيخ لباهلة يكنى أبا جحار أن النابغة وفد على النعمان معتذراً من تلك البلاغات ومعه اعتذاره الذي يقول فيه :

* فانك كالليل الذي هو مدركي * فقال النعمان أقبل منك عندك وأصنع لقدرك عنك ثم أمر نخلع عليه خلع الرضا وكن حبرات خضر مطرفة بالدر في قضب الذهب وانصرف إلى منزله . قال الباهلي وإن النابغة جاء يوماً مستأذناً معتذراً فقال له الحاجب الملك على شرا به قال فهو وقت الملق والشعر تقبله الأئمة عند السكرفان يلج لي قلق المجد عن غرر مواهبه فانت قسم ما أفدت . فقال الحاجب والله ما تنق عناقيتك بدون شكرك لي فكيف أرغب فيما تصف ودون ما ترغب رهبة التعدي فهل من سبب يمكن الاستئذان . فقال النابغة فعلت ما يجب عليك في الأدب وقضاؤها معقود

(١) هو الأديب النحوي ، أخذ الأدب عن أبي عمرو بن العلاء وغيره ، وهو في الطبقة الخامسة في الأدب بعد علي كرم الله وجهه ، اختلف إليه أبو عبيد أربعين سنة وخلف الأحرار عشرين سنة ، وله عدة تصانيف ، توفي سنة ١٨٢

(٢) في الأصل « تذاكر »

بشرك فمن عنده ؟ قال خالد بن جعفر الكلابي فقال أين أنت عنه بما أقول لك قال قل قال تقول له خاليا إن زياداً يقول إن قدرك فوق الغمام ووقاءك وقاء الكرام . وقال الفراء تقول له خاليا إن زياداً يقول إن من قدرك نيل الدرك بك . وزكاة الجاه وفد المستعين ، وناجي من الشكر ما علمت وحاجتي ملاطة الأسباب حتى يحرك ذكر آ يمكن بمثله الاستئذان . وقال الفراء يجري ذكر آ . فلما صار خالد إلى بعض ما يبعث موارد الشراب نهض فاعترضه الحاجب فقال ليهنك أبا البسام حادث النعم قال خالد هناك غيشك كل ما نحن فيه تجديد للتفضيل وإتمام للشرف وكل ذلك ببقاء الملك وحسن مواده فاذك فأخبره بما قال النابغة فقال آذنه بالطاعة وانتظار المراجعة وكان خالد رفيقا يتأى الأمور ^(١) والأسباب لطفاً وحسن بصيرة في الارتياح فدخل متبسماً وهو يقول :

ألا لملك أو من أنت سابقة سبق الجواد إذا استولى على الأمد
ثم قال واللات والعزى لكأني أنظر إلى أملاك ذي رعين ^(٢) وذى قايش ^(٣)
وقد مدت لهم قصبات المجد إلى معالي الأحساب ومناكب الأنساب في حلية أنت
- أبيت اللعن - غرتها فبحث سابقاً متمهلاً وجاؤا لم يتم لهم سعى ، وجاء زياد
فقال النعمان والله لآنت في وصفك أبلغ احساناً من إحسان النابغة فينا في نظم
قوافيه ، فقال خالد أيها الملك واللات ما أبلغ فيك حسناً إلا غمره قدرك استحقاقاً
للشرف الباهر ولو كان النابغة حاضراً لقال وقتلنا ، فقال النعمان النابغة يا غلام فخرج
الحاجب فقال النابغة ما وراءك قال رفع الحجاب وأذن في السيادة والافضال فدخل
فانتصب بين يدي النعمان وحياء بتحية أملاك ثم قال أيها خرك - أبيت اللعن - ابن
جفنة وأنت سائس العرب وغرة الجسب واللات لأمسك أبهى من يومه واتقدا لك .

(١) في نسخة « يتأى للأمور » . (٢) ذو رعين : لقب ملك من أذواء اليمن

كما في المرصع لابن الأثير . (٣) ذوقاش . أحد أذواء اليمن ، اسمه يزيد ، من بني
يحصب ، وهو أبو سلامة الذي مدحه الأعشي ، على مافي المرصع لابن الأثير .

أحسن من وجهه وليسارك أجمع من يمينه ولعبدك أكثر من قومه ولنفسك أكبر من جده وليومك أشرف من دهره ولوعدك أنجز من وفده ولهلك أصوب من جده ولتترك أبسط من شبره ولأملك خير من أيه ، ثم أنشأ :

أَخْلَاقُ تَجِدُكَ جَلَّتْ مَا لَهَا حَصْرٌ فِي الْبَاسِ وَالْجُودِ بَيْنَ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
مُتَوَجِّعٌ بِالْمَالِ فَوْقَ مَقَرِّهِ فِي الْوَغَى ضَيْغَمٌ فِي صُورَةِ الْقَمَرِ
قَالَ فَتَهْلِلُ وَجْهَ النِّعَمَانِ بِالسُّرُورِ وَأَمْرٌ غَشِي فِيهِ دُرٌّ ، وَقَالَ لِكُلِّ هَذَا تَرْتَاحُ الْقُلُوبُ
وَيُثَلِّهِ تَمْدَحُ الْمُلُوكَ ، ثُمَّ قَالَ الْخَلِيلُ أَفِيحَسَنَ زَهْرٍ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ هَذَا ؟ فَقَالَ يُونُسُ
لِلْعَبَّاسِ أَنِّي لَا تَعْجَبُ مِمَّا حَدَّثَ عَنْ قِصَّةِ النَّابِغَةِ وَشَعْرِهِ قَوْلُهُ :

* وَفِي الْوَغَى ضَيْغَمٌ فِي صُورَةِ الْقَمَرِ *

أَجُودُ شَيْءٍ قَبْلَ فِي الْحَسَنِ مَعَ الشُّجَاعَةِ مِنْ شَعْرِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَمِنْ شَعْرِ الْمُحَدِّثِينَ
قَوْلُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ ^(١) يَمْدَحُ الرَّشِيدَ وَوَلَدَهُ :

بَنُو الْمُصْطَفَى هَارُونَ بَيْنَ سَرِيرِهِ فَخِيرٌ قِيَامِ حَوْلِهِ وَقُعودِ
يُقَلِّبُ الْحَاطَّ الْمَهَابَةَ بَيْنَهُمْ عُيُونُ ظُلُمٍ فِي قُلُوبِ أَسُودِ
وَأَخَذَهُ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فَقَالَ * كَأَنَّ فِي سَرَجِهِ بَدْرًا وَضُرْغَامًا *
وَقُلْتُ : فَتَى عَلَى نَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ رَاصِدٌ يَصْدَهُ أَنْ نَطَقَ الشَّيْنُ وَالذَّامُ ^(٢)
مَا زَالَ يَنْفَسُ مَا لَا ثُمَّ يَغْرُمُهُ مَا زَالَ لِلْمَالِ غَنَامًا وَغَرَامًا
أَغْرَ أَرْبَعٍ يَحْكِي النِّبْثَ مَكْرُمَةً وَالنَّجْمَ مَنَزَلَةَ وَالطُّودَ أَحْلَامًا
تَجَلَّه ^(٣) حِينَ يَبْدُو أَنْ يَقُولَ لَهُ كَأَنَّ فِي سَرَجِهِ بَدْرًا وَضُرْغَامًا
وَقَدْ تَدَاوَلَ النَّاسُ مَعْنَى قَوْلِهِ * كَأَنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي *

(١) غلب عليه هذا اللقب لعتوه ، وهو من مقدمي الموالدين من طبقة بشار وأبي نواس ، كان يبيع الفخار قبل أن يقول الشعر ويبرع فيه ، يقال أطعم الناس بالشعر بشار والسيد الحميري وأبو العتاهية ، توفي سنة ٢١١ .

(٢) الذام : العيب . (٣) في الأصل « يحله » .

فقال الفرزدق :

ولو حملتني الريحُ ثم طلبتني لكنت كشيء أدركته مفادره
وهو دون قول النابغة لأن الليل أعم من الريح والريح أيضاً يتمتع منه
بأشياء ، والليل لا يتمتع منه بشيء . وأخذ الأخطل ^(١) قول الفرزدق ^(٢) فقال :
فأنت كالدهر مبتوتاً حباله والدهر لاملجأ منه ولا هرب
ولو ملكت عنان الريح أصرفه في كل ناحية ما فاتك الطلب
وأخذ مسلم البيت الأول من الأخطل فقال :
وإن أمير المؤمنين وفعله لكالدهر لاغاد بما فعل الدهر
وهو أيضاً مأخوذ من قول النابغة : وأخذ أبو تمام فقال :
خشعوا لصوتك التي هي عندهم كاللوت يأتي ليس فيه ماد
فالقول همس والنداء إشارة خوف انتقامك والحديث مراد
وأخذه علي بن جبلة ^(٣) فقال :
ومالامرى حاولته منك مهرب ولو رفته في السماء المطالم
يلي هارب لا يهتدى لمكانه ظلام ولا ضوء من الصبح لايع
وقال البحتري ^(٤) :

-
- (١) هو غياث بن غوث التغلبي ، نشأ في العراق ، ودخل الشام ومدح
الملوك الأمويين ، كان لا يظهر من شعره إلا المتخير ، مات سنة ٩٠ .
(٢) يقول ابن خلكان : أجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل
ثلاثة : جرير والفرزدق والأخطل ، وكان بينهم مهاجرة وتفاخر ، يقال لولا شعر
الفرزدق لذهب ثلث اللغة ونصف أخبار الناس ، كان لا ينشد عند الخلفاء إلا قاعداً
توفي في البصرة سنة ١١٠ . (٣) هو العكوك الآتي .
(٤) هو الوليد بن عبيد الطائي البحتري - نسبة إلى جد اسميه بحتري - قال المبرد :
أنشدنا شاعر دهره ونسيج وحده البحتري ، عرض أول شعره على أبي تمام فقال له

ولوانهم ركبوا الكواكب لم يكن لهم من خوف بأسك مهرب
وقلت في قريب منه :

ويدنو له المطلوب حتى كأنما يواكب ضوء الصبح في كل مطلب
وقالوا أمدح بيت قاله العرب قول أبي الطمحان ^(١) :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
نجوم سماء كلما انقض كوكب بدا كوكب تأوى إليه كواكبه
وما زال منهم حيث كان مسود تسير المنايا حيث سارت كتابه
ومثله قول الخطيب ^(٢)

نمشى على قول أحساب أضأت لنا كما أضأت نجوم الليل للشارى
ومثله قول الآخر :

وجوه لو أن المدلجين اعتشوا ^(٣) بها صدعن الدجى حتى يرى الليل يتجلى
وقال بعض الأعراب في رجل : مادفته في سواد إلا محاء ولا قابلت به مدأ

إلا سكفاء . ومثل قوله * صدعن الدجى * قول بعض المحدثين :
ومصباحنا قمر زاهر * كقوس لجين يشق الدجى
وقلت : وأنشق ثوب الظلام عن قمر يضحك في أوجه الدجيات

أنت أشعر من أنشدني وكتب له بذلك فعضم وبجل ، وقال له أبو تمام : نعت
إلى نفسي فقال أعينك بالله فقال ان عمرى ليس بطويل وقد نشأ لطف مثلك ،
فمات بعدها بسنة . وكانت وفاة البحترى سنة ٢٨٤ (١) هو حنظلة بن الشرقى
القينى من الشعراء الجاهليين ، أدرك الإسلام ، ومات قبيل الهجرة .

(٢) هو جرول بن أوس العبسى من الشعراء المحضرمين ، اشتهر بالهجو
حتى هجا والده ونفسه : ولعل في البيت تحريفاً فنى رواية الأغاني :

نمشى على ضوء إحسان أضاء لنا ماضوات ليلة القمر للشارى
(٣) الدج : السير من أول الليل . واعتشوا : امتضاوا .

كأشما النجم حين قابله . قبيعة (١) في نصاب مرآة
 وقلت: بليل كما ترقو الفزالة أسود
 كواكب زهر وصفر كأنها
 وقلت: وذى غنج يأوى إلى فرعه الدحي
 فبه ظلام بالصباح مقنع
 وقول أبي الطمحان مولى ابن أبي السمت :

فتى لا يبالى المدجلون بنوره
 له حاجب عن كل أمر يشينه
 إلى ما به ألا تضيء الكواكب
 وليس له عن طالب العرف حاجب
 وقول الآخر :

من البيض الوجوه بنى سنان
 لو أنك تستضيء بهم أضوا
 وقول الآخر :

غلام رماه الله بالحسين يافعا
 كأن الثريا علقبت في جبينه
 ولما رأى المجد استعيرت ثيابه
 إذا قبلت العوداء غض كأنه
 وقول الآخر (٢) :

إنخر فناء بني عمرو فانهم
 إن بسألو الخير يعطوه وإن جهدوا
 وإن توددتهم لانوا وإن شتموا
 هينون لينون أيسار ذوو يسر
 من تلق منهم تقل لاقت سيدهم
 أو لو فضول وأقدار وأخطار
 فالجهد يخرج منهم طيب أخبار
 كشفت أقدار من غير أصرار
 أرباب مكرمة أبناء إيسار
 مثل النجوم التي يهدى بها السارى

(١) قبيعة السيف كسيفنة : ماعلى طرف مقبضه من فضة أو حديد .

(٢) تروى هذه الأيات عن الجاحظ كما سيأتى .

وهذا عندي أمدح شيء قيل في وصف جماعة .

وأشدهنا أبو أحمد لميسى بن أوس في الجنيد بن عبد الرحمن ^(١) :
 إلى مُستنير الوجه طالَ بسودد تقاصر عنه الشاهق المتطاوُلُ
 مدحُك بالحق التي أنتَ أهله ومن مدح الأتواء حق وباطل
 يعيشُ الندي ما دمتَ حيًّا فإن تمت فليس لي بعد موتك طائل
 وما لأمري عندي خبيلة نعمة سواك وقد جادت عليّ مخايل
 وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول الأعشى :

فتى لو ينادي الشمس ألت قناعتها أو القمر الساري لأتقى المقالدا
 وهذا وقول أبي الطمجان من الغلو ، والغلو عند بعضهم مذموم وليس كذلك ولو
 كان مذموماً لما جملوا هذين البيتين من أمدح ما قالت العرب وهما من الغلو على
 ما هما عليه ، ومثل هذا الغلو قول طريح بن اسماعيل ^(٢) :

أنتَ ابنُ مُسلطع البطاح ولم يضرب عليك الخنى والولج
 لو قلت للسيل دع طريقك والسموج عليه كالهضب يتلج
 لارتدَّ أوساخ أو لكان له في جانب الأرض عنك مُنرج
 وهذا من أعلى الغلو لأن السيل لا ترد وجهته هية ولا مخافة ، والعرب تقول أجراً
 من السيل فيهمز ولا يهمز والهمز من الجراءة وترك الهمز من الجري ، ويقال في المثل
 لأفعل كذا حتى يرد وجه السيل ، وليس هذا الشعر بمختار الرصف واللفظ وإنما
 جئت به لمكان غلوه ، ومن الغلو المشهور المستفيض الذي قبله الناس واستحسنوه
 ورووه بكل لسان قول أبي تمام في المعتصم :

لِيُمنِني أبي اسحق طالَ يدُ العلا وقامت قناتُ الدين واشتدَّ كاهله

(١) هو الجنيد بن عبد الرحمن المروى الأمير ولي خراسان وغيرها وكان

أجود الأجواد ، توفي سنة ١١٥ . (٢) هو طريح بن اسماعيل الثقفى الشاعر ،

لزم الوليد بن يزيد الأموى وبائع في مدحه .

هو البحر من أي النواحي آتية قلبه المعروف والجود ساحله
 نمود بسط الكف حتى لوانه أراد اقتباضاً لم قطعه أنامله
 ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليق الله سائله
 وقلت في قريب منه :

وكيف بيت الجار منك على صدى وكفك بحر لجة البحر ساحله
 أخبرنا أبو أحمد قال سمعت أبا بكر - يعني ابن دريد - يحكي عن أبي حاتم قال
 قال الأصمعي سمعت أعرابياً يقول : انكم معاشر أهل الحضرة تختطون المعنى ان
 أحكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول كأنه الأسد ويصف المرأة بالحسن فيقول
 كأنها الشمس ، لم لا يجمعون هذه الأشياء بهم أشبه ثم قال لانشدك شعراً يكون
 لك اماماً ثم أنشدني :

إذا سألت الورى عن كل مكرمة لم تلف نسبها إلا إلى الهول
 فتى جواداً أعاد النيل فائله فأنيل بشكر منه كثرة النيل
 وليس هذا الشعر مختاراً عندي :

والموت يرهب أن يلقى نيتته في شدة عندل أنخيل بالليل
 لو مارض الشمس ألقى الشمس مظلمة أوزاحم الغيم ألقاها إلى الميل
 أو بارز الليل غطته قوادمه دون القوافي كمثل الليل بالليل
 أمضي من النجوم ان نابتة نائية وعند أعدائه أجرى من السيل

ومن الجيد في هذا المعنى قول الآخر :

علم النيت الندى حتى إذا ما جكاه علم البأس الأسد
 فله النيت مقر بالندى وله الليث مقر بالجملد

وقد أنكر عبد الملك ما أنكره الأعرابي من تشبيه المدوح بالأسد والصخر
 والبحر فأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر أخبرنا عبد الأول بن مزيد - أحد
 بني أنف الناقة - عن ابن مائشة عن أبيه قال قال عبد الملك يوماً وقد اجتمع

الشعراء عنده : تشبهوننا بالأسد والأسد أبخر وبالبهر والبحر أجاج وبالجيل
والجيل أوعر ألا قلت كما قال أيمن بن خزيمة في قاتك في بني هاشم :
تَهَارَكُمُ مَكَابِدَةٌ وَصَوْمٌ وَلَيْلَكُمُ صَلَاةٌ وَاقْتِرَاءُ
أَجْعَلَكُمُ وَأَقْوَامًا سَوَاءً وَيَيْنَكُمُ وَيَيْنُهُمُ الْهَوَاءُ
وَهُمْ أَرْضٌ لَا رَجْلَكُمُ وَأَتَمُّ لَأَعْيُنُهُمْ وَأَرْوْثُهُمْ مِمَّا
وهذا من قول أمية بن أبي الصلت ^(١) وهو أول من أتى به قوله في عبد الله
ابن جدعان ^(٢) :

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنْ شِيعَتِكَ الْحَيَاءُ
كَرِيمٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنْ الْخَلْقِ الْكَرِيمِ وَلَا الْمَسَاءُ
وَأَرْضُكَ أَرْضٌ مَكْرَمَةٌ بِتَهَا بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهُمْ سَمَاءُ
ونحوه قوله :

لِكُلِّ قَبِيلَةٍ شَرَفٌ وَهَرَفٌ وَأَنْتَ الرَّاسُ يَقْدُمُ كُلُّ هَادِي
وتصرف فيه المحدثون فقال ابن الرومي ^(٣) :

قَوْمٌ يَحُلُونَ مِنْ بَعْدِ مَنْ شَرَفَ وَمِنْ تَحْتِهَا تَحِلُّ الْبَيْضُ وَالْبَلْبُ ^(٤)
حَلَوْا تَحْلَاهُمَا مِنْ كُلِّ مُجْجَمَةٍ نَفْعًا وَرَفْعًا وَإِطْلَالًا عَلَى الرَّتَبِ

(١) شاعر جاهلي ، ورد أن النبي ﷺ قال « كاد أن يُسلم في شعره » عاش
إلى أن أدرك وقعة بدر ورثى من مات بها من الكفار .

(٢) هو التيمي القرشي من أجواد الجاهلية ، أدرك النبي ﷺ قبل البعثة ،
يروى أنه كانت له جفنة يأكل منها القمام والراكب ، وقع فيها صبي ففرق .

(٣) واسمه علي بن العباس صاحب النظم المعجب ، كان شعره غير مرتب
قرنه أبو بكر الصولي على الحروف ، والطبوع هو مختصر ديوانه ، وكان شبيب

موته بأن الوزير أبا الحسن بن عبيد الله وزير المعتضد كان يخاف من هجومه فدنس
عليه ماء كلاً مسموماً في مجلسه وذلك سنة ٢٨٣ (٤) أي السيوف والدروع .

قوم هم الرأس إذ حسادهم ذنب ومن يُمثّل بين الرأس والذنب
ومنه قول الخطيئة :

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوّى بأنف الناقة الذنبا
وقال غيره : الناس أرض بكل أرض وأنت من فوقهم سماء
وقلت : أبشر فانك رأس والعلاجسد والمجد وجه وأنت السمع والبصر
لولاك لم يك للأيام منقبة تسمو إليها ولا للدهر مفتخر

وأخبرنا أبو حامد قال أخبرنا أبو بكر بإسناد ذكره عن الهيثم بن عدي قال
دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان فقال يا أمير المؤمنين قد امتدحتك فاستمع
منى فقال ان كنت شبهتني بالصقر والأسد فلا حاجة لي بمدحك وان كنت قلت
كما قالت أخت بني الشريد لأخيها صخر فهايت فقال الأخطل وما قالت يا أمير
المؤمنين قال هي التي تقول :

فما بلغت كنف امرئ متناول بها المجد إلا حيث ماثلت أطول
ولا تبلغ المهدون في القول مدحة ولو أطبوا إلا الذي فيك أفضل
فقال الأخطل والله لقد أحسنت القول ولقد قلت فيك بيتين ما هما بدون
قولها قال هات فأنشد :

إذا مت مات العرف وانقطع الندى من الناس إلا في قليل مصرّد^(١)
وردت أكنف السائلين وأمسكوا من الدين والدنيا بخلف مجدد
وليس بحسن عندي أن يقال للمسلوح إذا مت فان استماع ذلك مكروه وإن
كانت الشعراء قد استعملته في كثير من مقاماتها أنشدنا أبو أحمد عن ابن جرير :
إذا مت لم توصل بعرف قرابة ولم يبق في الدنيا رجاء لنايل
وهو من قول النابغة :

فان يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرام

وَيُمَسِّكُ بَعْدَهُ بِذَنَابِ عَيْشٍ أَجَبَ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ
وهذا أجود من الأول لأنه لم يخاطب به المدح ولو قيل لولا فلان لكان كذا
وكذا لكان كما قال علي بن جبلة (١) :

لَوْلَا أَبُو دُلْفٍ لَمْ تَحْيَ عَارِقَةٌ وَلَمْ يَتَوَثَّرْ مَأْمُولٌ بِآمالٍ
يا ابن الأكرام من عدنان قد علموا وتبادل المجد بين العم والخال
وناقلُ الناس من مُعْدَمٍ إِلَى جِدَةٍ وصارفُ الدهر من حالٍ إِلَى حَالٍ
أَنْتَ الَّذِي تُنْزِلُ الْآيَامَ مَنَزِلَهَا وَتُمَسِّكُ الْأَرْضَ عَنْ خَسْفٍ وَزَلَالٍ
وما مَدَدْتَ مَدَى طَرَفٍ إِلَى أَحَدٍ إِلَّا قَضَيْتَ بِآجَالٍ وَأَمَلٍ (٢)
تزور مسخطاً فتمسى البيض راضية وتَسْمَلُ فَبِكِي أَوْجُهُ الْمَالِ

وأخبرنا أبو أحمد في كتاب الورقة عن ابن داود قال قال أبو هفان اجتمع
الشعراء بباب المعتصم فقدم لهم محمد بن عبد الملك الزيات فقال ان أمير المؤمنين
يقراء عليكم السلام ويقول لكم من كان يحسن أن يقول مثل قول النمرى في الرشيد :
خليفةُ الله إنَّ الجودَ أوديةٌ أَحَلَّكَ اللهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ (٣)
إِنْ أَخْلَفَ الْقَطْرُ لَمْ يُخْلَفْ غَايِلُهُ أَوْ ضَاقَ أَمْرٌ ذَكَرْنَاهُ فَيَنْتَسِعِ
فقال ابن وهب فينا من يقول مثله :

ثَلَاثَةٌ تَشْرُقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا تَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَقَ وَالْقَمَلُ
تَحْكِي أَفَاعِيْلَهُ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ الْغَيْثُ وَاللَيْثُ وَالصَّمْصَامَةُ الذِّكْرُ
قال فأجازه وفضل ابن وهب . ولبعض الشعراء في المهلب :
أَمْسَى الْعِرَاقُ سَلِيًّا لَا أُنَيْسَ لَهُ إِلَّا الْمَهْلَبُ بَعْدَ اللَّهِ وَالْمَطَرُ

(١) هو العكوك أحد المبرزين في الشعر ، عامة شعره في مدح أبي دلف

البعلي ، كان أعمى ، قيل ان المأمون قتله لمبايعة في مدح أبي دلف سنة ٢١٣ .

(٢) في شذرات الذهب « إلاقضيت بأرزاق وآجال » .

(٣) مياتي هذا البيت بصدر « ان المكارم والمعروف أودية » .

هذا يجود ويحيى من ذيلهم وذا تعيش به الأنعام والشجر
ومنه أخذ ابن وهب . وقلت في معناه :

لم تزل للورى ثلاث شمس وجهك المستغنى والقمران
وقالوا أمدح بيت قاله العرب قول زهير^(١) :

تراه إذا ما جئتته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله
وعاب بعضهم هذا البيت فقال جعل الممدوح فرحاً بعرض بناله وليس هذا شأن
الكبير الهمة ، والجيد قول أبي نوفل عمرو بن محمد الثقفي :

ولئن فرحت بما ينيلك إني لما ينيلك من قده أفرح
ما زال يعطيني ناطقاً أو ساكناً حتى ظننت أبا عقيل يمزح
فجعله بفرح بما ينيل . ومثله قول أبي تمام :

أسائل نصر لا تسله فانه أحن إلى الأرقاد منك إلى الرقد
وقال بعض الأعراب : ما زال فلان يعطيني حتى حسبت أنه يودعني ، ونحو
ذلك أن الحجاج قال لأياس بن معاوية أى الناس أحب إليك ؟ قال من أعطاني
قال ثم من ؟ قال من أعطيته . وقال أبو السمع الطائي في خلاف مقال زهير :
فتى لا يرى سوق المهور غرابة ولا غاليات للمال حطياً على نحر
فتى كن مكرماً لنفس كريمة مهيناً لدنيا غير مأمونة الخدر
وعندى أن بيت زهير أجود ما قيل من الشعر القديم ، وعمت أبداع في ذلك
البحترى في قوله :

سلام وإن كان السلام تحية فوجهك دون الرد يكفى المسلما
ومن الجيد في ذلك قول ابن الرومي :

(١) هو صاحب المعلقة المشهورة زهير بن أبي سلمى المضرى ، قال ابن
الأعرابي : كان زهير في الشعر مالم يكن لغيره : كان أبوه شاعراً وخاله شاعراً
وأخته سلمى شاعرة وابناه كعب وبجير شاعرين وأخته الخنساء شاعرة .

كَأَنَّمَا الْقَطْرُ مِنْ نَدَى يَدِهِ وَالْبَرْقُ مِنْ بَشْرِهِ وَمِنْ ضَحْكِهِ
وَقَوْلُ أَبِي الْأَسَدِ :

وَلَا تُهْمَ لَا مَتَكَ يَا قَيْصُ فِي النَّدَى قُلْتُ لَهَا لَنْ يَقْدَحَ الْوَمُ فِي الْبَحْرِ
أَرَادَتْ لَتُنْثَى الْقَبْضَ عَنْ عَادَةِ النَّدَى وَمِنْ ذَا لَدَى بَثْنَى السَّحَابِ عَنْ الْقَطْرِ
إِذَا مَا أَتَاهُ السَّائِلُونَ تَوَقَّعَتْ عَلَيْهِ مَصَائِيحُ الطَّلَاقَةِ وَالْبَشْرِ
لَهُ فِي بَنَى الْحَاجَاتِ أَيْدٍ كَأَنَّمَا مَوَاقِعُ مَاءِ الْمَزِينِ فِي الْبَلَدِ الْقَفِيرِ
وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

بَعْدِي بِهِمْ تَسْتَنْزِلُ الْأَرْضُ إِنْ تَزَلُوا فِيهَا وَتَجْتَمِعُ الدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعُوا
وَيَضْحَكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِقَةٍ كَانَ أَيَّامُهُمْ مِنْ أَنْسَاءِ جُمُعٍ
وَقُلْتُ : إِذَا عَبَسَ الزَّمَانُ فَمَلَّ إِلَيْهِ تَجِدُهُ الْبَشَرُ فِي وَجْهِ الزَّمَانِ
وَقُلْتُ : كَأَنَّكَ فِي خَدِّ الزَّمَانِ تَوَرَدُ وَفِي فَهْ ضَحْكُ وَفِي وَجْهِهِ بَشَرُ
فَمِنْ بَكَ مَمْدُوحًا يَنْظُمُ يَصُوغُهُ فَانْكَ مَمْدُوحٌ بِكَ النِّظْمُ وَالتَّنْثَرُ
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

وَتَوَاضَعُ لَوْلَا التَّكْرُمُ حَاقَهُ عَنْهُ عُلُوٌّ لَمْ يَنْلُهُ الْفَرْقُ
وَقُتُوذَةُ جَمْعُ الْبَقَى أَطْرَافَهَا وَنَدَى أَحَاطَ بِجَانِبَيْهِ السُّودُ^(١)
وَشَبِيهَةٌ فِيهَا الْنَهْيُ فَإِذَا بَدَتْ لَدَوَى التَّوَسُّمِ فِيهِ^(٢) شَيْبٌ أَسْوَدُ
طَلَقُ الْيَدَيْنِ إِذَا تَفَرَّقَ مَالُهُ^(٣) جَمْعُ الْعِلَالِ فِيهَا يَفِيدُ وَيَنْفَدُ
جَذْلَانُ^(٤) يَطْرَبُ لِلسُّؤَالِ كَأَنَّمَا غَنَاءُ مَالِكٍ طَبِءٌ أَوْ مَعْبِدُ

وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :

(١) كذلك في الديوان المطبوع ، وفي الأصل « ويدى أحاطهما بماء السودود » .
وهو تحريف (٢) في الأصل « التيسم فهو » . (٣) كذا في النسخ ، والذي في
الديوان المطبوع « خضل اليدين إذا تفرق في الندى » . (٤) في الديوان
المطبوع « نشوان » مكان « جذلان » .

أغرَّ أبلىج يكسو نفسه حُللاً من الحامد لا تبلى على الحقب
 تلقاه من نهضة للمجد في صعد ومن تواضعه للحق في صبيب
 كأنه وهو مشلول ومتمدح غناه إسحق والأوتار في صخب
 يهتز عطفه عند الحمد بسمعه من هزة المجد لامن هزة الطرب

وهذا المصراع من قول أبي تمام :

موكل^(١) يفاع الأرض يشرفه من خفة الخوف لامن خفة الطرب
 وقلت : وقد يؤنس الزوار منك إذا التقوا سخاء عليه للطلاقة شاهد

وقلت زهير قول بعضهم فقال :

تراه إذا ماجته متعباً كأنك بالمتقاش تفت شاربه

وقد أحسن خبطة في هذا المعنى أنشدناه أبو أحمد عنه :

قوم أحاول نيلهم فكأنى حاولت تفت الشعر من آنا فيهم
 ثم فاسقنيها بالكبير وفننى ذهب الذين يماش في أكنافهم
 وقالوا أمدح بيت قائمه العرب قول جرير^(٢) :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

وليس هذا الاستفهام للشك وفي القرآن الشريف (أليس الله بعزيز ذي
 انتقام) (أليس الله بأحكم الحاكمين) (أليس الله بكاف عبده)
 وسئل بعض العرب عن أشعر الناس فقال جرير وذلك أن ميوت الشعر أربعة

المدح والمجاء والافتخار والفرل وفي كلها سبق جرير : قال في المديح :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

(١) في الديوان المطبوع « موكل » : (٢) هو جرير بن عطية الخطمي ، قال

ابن خلكان أجمعوا على أنه ليس في شعراء الاغلام مثله ومثل الفرزدق والأخطل ،
 وكان عمر بن عبد العزيز لا يأذن لأحد من الشعراء غير جرير ، ولما مات الفرزدق
 بكى جرير وقال لنفى لا أعلم أحق بقتل اليقاء بعده ، مات سنة ١١٠ وقد قارب المائة .

وقال في الهجاء :

قَنُضَ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُنْمِرٍ فلا كِبًا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابًا

وقال في الافتخار :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ غَضَابَا

وقال في الغزل :

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا

يَصْرَعَنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَهَنْ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا

وقال التنوخي^(١) في هذا المعنى :

فَكَلِمَا أَزْدَدَتْ قُوَى أَجْفَانِهَا ضَعْفًا تَقْوِينَ عَلَى ضَعْفِ الْقَوَى

وأمثال هذا كثيرة نوردتها فيما بعد ، وتقض بعضهم قوله :

* إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ * قَالَ :

لَقَدْ غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ فَمَا نَكَاتَ يَنْفَضَتْهَا ذُبَابَا

وقالوا امدح بيت قاله العرب قول حسان^(٢) :

يَغْشُونَ حَتَّى مَلْهَرٍ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمَقْبِلِ

يقول قد أنست كلابهم بالزوار فهي لا تنبهم وهم من شجاعتهم لا يسألون

(١) هو أبو القاسم علي بن محمد القاضي التنوخي ، له ديوان شعر ، منه

مقصودة عارض بها الدريدية ، كما حكاه ابن خلكان وغيره .

(٢) هو حسان بن ثابت الانصاري شاعر النبي ﷺ قال أبو عبيدة : فضل

حسان الشعراء بثلاثة : كن شاعر الانصار في الجاهلية ، وشاعر النبي صلى الله

عليه وسلم في النبوة ، وشاعر اليمانيين في الاسلام ، مات عن مائة وعشرين سنة

مناصفة في الجاهلية والاسلام ، وكان لسانه يصل إلى جبهته ، ومن قوله مخاطباً

لأبي سفيان بن الحارث :

اتَّبِعْهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكَفٍّ فَشَرَّكَ الْخَيْرَ كَمَا الْفِدَاءَ

عن جيش يقبل نحوم لقلة أكثر أنهم بهم ولتقتهم يسالة أنفسهم وشدتهم على أعدائهم .
ومثله ما أنشد أبو تمام :

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعام^١ لآية حرب أولأى مكان
وقال ابن هرمة^(١) في أثر الكلب بالضيف :

وُسْتَبْجَحُ تَسْتَكْشِطُ الرِّيحُ ثَوْبَهُ لَيْسَقَطُ عَنْهُمْ وَهُوَ بِالشُّوبِ مَعْصَمُ
عَوَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَعْدَ اعْتِسَافِهِ لِيَنْبَحُ كَلْبٌ أَوْ لِيَفْزَعَ نُومُ
فَجَاوَبَهُ مَسْتَسْمِعُ الصَّوْتِ لِلْقَرَى لَهُ عِنْدَ أَقْيَانِ الْمُهَيَّنِ مَطْعَمُ
يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يَكْلُمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهُوَ أَنْجَمُ

وقال عمران بن عصام ، وروى لنصيب :

لَعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ مِثْنُ ظَاهِرِ
فِيَابُكَ أَلَيْنُ أَبْوَابِهِمْ وَدَارُكَ مَاهُولُهُ ظَاهِرِ
وَكَلْبِكَ آتَسُ بِالْمُعْتَفِينَ مِنْ الْأُمِّ بِابْنِهَا الزَّائِرِ
وَكَفْتُكَ حِينَ تَرَى السَّائِلِينَ أَنْدَى مِنَ اللَّيْلِ الْمُسْطِيرِ
فَنَاكَ الْعَطَاءُ وَمِنْكَ الْبِنَاءُ لِكُلِّ مُخْبِرَةٍ سَائِرِ

وقال الخطيئة في خلاف ذلك :

مَلُوا قِرَاهَ وَهَرْنَهُ كَلَابُهُمْ وَضُرُّهُ بَأْنِيَابِ وَأَضْرَاسِ
وقال بشار في قرب من المعنى الأول :

سَقَى اللَّهُ الْقِيَابَ وَتَلَّ عَيْدِي وَبِالشَّرَفِينَ أَيَّامَ الْقِيَابِ
وَأَيَّامَ لَنَا قَصَرَتْ وَطَالَتْ عَلَى فِرْعَانَ فَاثْمَةَ الْكَلَابِ
وقال آخر : وَمَا يَكُنُّ فِيَّ مِنْ عَيْبٍ فَانِي جَبَانَ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ

معناه أن الكلب يضرب إذا نبج الضيف فهو جبان ويؤثر الضيف باللبن والفصيل

(١) هو إبراهيم بن علي الكناني القرشي سكن المدينة ورحل الى دمشق
ومدح الوليد الاموي .

مهزول . وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول النابغة الجعدي :
 فتى تم فيه مايسر صديقه على أن فيه مايسوء الاعاديا
 وهذا غاية المديح لأن الرجل إذا قدر على النفع والضرر فقد كمل ، ولهذا
 قيل في البرامكة :

عند الملوك مضرة ومنافع وأرى البرامك لا تضر وتنتفع
 لا يعرف أهجاءم أم مدحهم لأنه إذا نفي عنهم أن يضر واقعدهم ، وقد قيل :
 إذا أنت لم تنتفع فضر فأنما يراد الفتى كما يضر وينفع
 وقد تداول الناس معنى النابغة فقال بعضهم وهو من أحسن ما يروى عنه :
 متى تهزز بنى قطن تجدهم سيوفاً في حوائقهم سيوف
 جلوس في مجالسهم رزان وإن ضيف ألم فهم وقوف
 إذا نزلوا حسبهم بدوراً وإن ركبوا قاتهم حتوف
 وقال آخر : فذل أعناق الصواب يأسه وأعناق طلاب الندى بالفواضل
 فما انقبضت كفاه إلا بصارم ولا انبسطت كفاه إلا بنائل
 وقال محمد بن بشر الأزدى :

فتى وقف الأيام بالعتب والرضا على بذر مال أو على حد متصل
 وما إن له من نظرة ليس تحتها غمامة غيث أو ضيابة قصطل
 وقال آخر : فتى دهره شطران فيا يذوبه فتى بأسه شطر وفي جوده شطر
 فلا من بغاة الخير في عينه قذى ولا من زئير الأسد في أذنه وقر
 وقد أحسن البحتري في هذا المعنى وهو قوله :

هو العارض الشجاج أخضل جوده وطارت حواشي برقه فتلها
 إذا ماتلطي في وغي أصعق العدى وإن فاض في أكرومة^(١) غمر الربا
 رزين إذا ما القوم خفت حلومهم وقور إذا ما حادث الدهر أجلبا

حياتك أن يلقاك بالجود راضيا وموتك أن يلقاك بالبأس مغضبا
 حرون إذا طاززته في مله فان جنته من بجانب الذل أصحبا
 إذا هم لم يقعد به العجز مقعدا وان كف لم يذهب به الحزن مذهبا^(١)
 وقال الأسدي في تني الخير والشر عن المذكور وهو من أشد الهجاء وأدله
 على الحقول :

فحسبك في القوم أن يملوا بأنك فيهم غنى مضر
 وأنت لم يبع كلهم الحوار وأنت حلوة ولا أنت مر
 وقال غيره : شيخ من بني الجارو د لاخير ولا شر
 وقال آخر : ولقد تزلت على زياد مرة فظننته شيخا يضر وينفع
 فاذا زياد في الدار كأنه مشط يقلبه خصي أصلع

وقد أحسن البحتري في المعنى الأول وهو قوله :

هو الملك الموهوب للبأس والتقى^(٢) قلله تقواه ولهجد سائره
 له البأس يُخشى والساحة تُرنجى فلا النيث ثانيه ولا الليث طائره

كأنه من قول منصور وهو من المعنى الذي نحن فيه :

هو الملك المملوك للمجد والتقى وصولته لا يستطاع خطارها
 لقد نشأت للشام منك سحابة يؤمل جدواها ويخشى زمارها
 فطوبى لأهل الشام أم ويل أمها أتاها حياها أم أتاها بوارها
 فان سلموا كانت غمامة نعمة وخير وإلا فالدماء قطارها
 أبوك أبو الأملاك يحيى بن خالد أخو الجود والنعمى الباب صفارها
 وكان ترى في البرمكين من به ومن سابقات لا يشق غبارها

(١) في الأصل : إذا كف لم يقعد به العجز مقعدا وان هم لم يذهب به الهم مذهبا

والتصحيح من الديوان المطبوع .

(٢) في الديوان المطبوع « هو الملك الموهوب المدين والعلا » .

طبيب^١ بأخبار الأمور إذا التوت من الدهر أعناق^٢ فأنت قصارها

وبعد بيت النابغة الجعدي^(١) قوله :

فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد^٣ فما يبقى من المال باقيا

أشم طوال الساعدين شمر^٤ دل^(٢) إذا لم يروح للمجد أصبح غاديا

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن علي الأجرى ينفذاد حدثنا أبو العيلاء قال قال

الأصمعي أنشدت الرشيد أبيات النابغة الجعدي حتى انتهت إلى قوله :

أشم طوال الساعدين شمر^٤ دل^(٢) إذا لم يروح للمجد أصبح غاديا

فقال الرشيد ويله ولم لم يروحه للمجد ألا قال * إذا راح للمعروف أصبح غاديا *

قلت وأنت والله يا أمير المؤمنين أعلم منه بالشعر ، وكان الرشيد جيد المعرفة ثاقب

اللفظة ، قال لأبي نواس لم وثب بك أهل مصر قال لقولي :

فان يك^٥ باقي أفك فرعون^٦ فيكم^٧ فان عصا موسى بكف^٨ خصيب

قال فوثبوا بي وأرادوا قتلي وقالوا جعلت معجزة موسى لخصيب فقال له الرشيد

ألا قلت :

فان كن باقي أفك فرعون^٦ فيكم^٧ فباقي عصا موسى بكف^٨ خصيب

فيكون شعرك أحسن ويكون سالماً من^٩ التبعة فقال والله يا أمير

المؤمنين إنك لا شمر مني وإني لم أفطن لذلك ، وأنشد العمانى الراجز في

صفة الفرس :

كان^{١٠} أذنيه إذا تشوقا^{١١} قائمة^{١٢} أو قلأ^{١٣} محرقا

فقال له الرشيد دع « كان » وقل « تنخال » حتى يستوى شعرك ، وكان قد لحن العمانى

(١) لقب بالنابغة لأنه لبث ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله ، وكان

من هجر الأوثان ونهى عن الخمر قبل الإجماع ، وقد على النبي ﷺ فأسلم ، مات في

منتصف القرن الأول الهجرى وقد جاوز المائة .

(٢) الشمر دل : الفتى السريع من الابل ، وغيره الحسن الخلق . كما في القاموس .

ولم يعرف ولم يفتن له أهل المجلس حتى قال له الرشيد ذلك فتعجبوا من علمه وفطنته .
وقالوا أمدح بيت قالت له العرب قول حسان :

بيض الوجوه كريمة أحسابهم ثم الأنوف من الطراز الأول
يفشون حتى ماهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
وقبله : لله در عصابة قادتهم يوماً بخلق في الزمان الأول
أولاد جنة حول قبرايمهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
ثم قال : فلبثت أزماناً طويلاً فيهم ثم اذكرت كأنني لم أفعل
وفتي يحب المجد يجعل ماله من دون والده وإن لم يسأل

قوله « ببيض الوجوه » معناه مشهورون ببهاء ولم يمن بهم البياض وقد تضمن هذا اللفظ معنى البأس والجود وغيرها من خلال الخير لأن الإنسان لا يكون نبياً مشهوراً حتى يقال عنه أبيض الوجه وأغرو واضح إلا إذا جمعها وما يجري معها قال الراجز : * فمن يحملن فتى وضاحاً * وقال أبو طالب في النبي ﷺ : وأبيض يستقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل (١)
وقال السموذلي : وأيامنا مشهورة في غدونا لها غرر معروفة وحجول أراد بالغيرة والحجول الشهرة . وقلب بعض أهل البصرة قول حسان :

* ببيض الوجوه كريمة أحسابهم * فقال :
سود الوجوه لثيمة أحسابهم فطس الأنوف من الطراز الآخر
كما قلب بعضهم بيت أبي نواس :

يا قمرأ أبصرت في مأم يندب شجواً بين أتراب
يبكي فينرى الدر من نرجس ويلطم الوجه (٢) بعناب
فقال : وأعور أبصرت في مأم يندب شجواً بتخاليط

(١) من لاميته المشهورة في مدح ابن أخيه النبي ﷺ والدفاع عنه .

(٢) في نسخة « الورد » مكان « الوجه » .

يسبكي فينرى البعر من كوة ويلطم الشوك يسلوط
وأخذ حسان قوله * ثم ادكرت كأنني لم أفعل * من قول أبي كبير :
فأذن . وذلك ليس إلا حينه وإذا مضى شيء كأن لم يفعل
وقال ابن شبرمة أمدح ما قالت العرب قول الخطيئة :

أولئك قومٌ ان بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا وفعوا وإن عقدوا شدوا
وإن كانت النماء فيهم جزوا بها وإن أنصوا لا كدروها ولا كدوا
أقلوا عليهم لا أبا لا أيكم من اللوم أوسدوا المكان الذي سدوا
وبعدلت أبناء سعد عليهم وما قلت إلا بالذي علمت سعد
يسوسون أحلاماً بعيداً أقاتها وإن غضبوا جاء الحفيظة والحد
ولعمري ان معاني هذه الأبيات ابتكار ليس للعرب مثلها وكل من تناولها فأنما
استعارها من الخطيئة وهي جامعة لخصال اللدح كلها ، وقوله * جاء الحفيظة والحد *
- وروى والجد - والحد من قولك حد السيف وحد السنان ، والجد خلاف
الهزل والمختار الحد بالحاء . يقول الخطيئة في بني لآي بن شماس من قريع ، وكان
الزبرقان بن بدر لقي الخطيئة في سفر فقال من أنت فقال أنا حسب موضع أبو مليكة
فقال له الزبرقان اني أريد وجهاً فصر الى منزلي وكن هناك حتى أرجع فصار الخطيئة
الى امرأة الزبرقان فأنزلته وأكرمته فحسده بنو عمه وهم بنو لآي فذهبوا الى الخطيئة
وقالوا له ان نحولت الينا أعطيناك مائة فاقة ونشد الى كل طلب من أطلب بيتك
حيلة محيرة وقالوا لامرأة الزبرقان ان الزبرقان انما قدم هذا الشيخ ليتزوج بنته
فقدح ذلك في نفسها فلما أراد القوم النجدة تخلف الخطيئة وتغافلت امرأة الزبرقان
عنه فاحمله القريسيون ووفوا له بما قالوا فأخذ في مدحهم وهجوا الزبرقان فقال :

أزمتُ يأساً مييناً من نوالكم ولا ترى طارداً للحر كالباس
دع الكلام لا ترحل ليغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي
من فعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

فاستعلى الزبرقان عليه فحكم عمر حسان فقال حسان ما هجاء ولكن سلج
عليه ثم حبس عمر الخطيئة فقال يستمطنه :

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ حمر الحواصل^(١) لأماء ولا شجر
ألقيت كاسيهم في قصر مظلمة فاعفر عليك سلام الله يا عمر
ما آثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر
فأخرجه عمر وأجلسه على كرمي وأخذ شفرة وأوممه أنه يريد قطع لسانه
فضج وقال اني والله يا أمير المؤمنين قد هجوت أبي وأبي ونفسي فتبسم عمر وقال
مالذي قلت قال قلت لأبي وأمي :

ولقد رأيتك في النساء فسؤرتي وأبا بينك فساءتني في المجلس
وقلت لأبي خاصة :

فبئس الشيخ أنت لدى نعيم وبئس الشيخ أنت لدى المعالي
وقلت لأمي خاصة :

تنحى فاجاسي مني بعيداً أراح الله منك العالمينا
أغربالاً إذا استودعت مرأى وكانونا على المتحدثينا
وقلت لامرأتي خاصة :

أطوف ما أطوف ثم آوى الى بيت قعيدته السكاع
وقلت لنفسي :

أبت شفتاي اليوم إلا تكلاماً بسوء فلا أدري لمن أنا قائلة
أرى لي وجهاً قبيحاً^(٢) الله خلقه قبيح من وجهه وقبح حامله
وقد هجا أيضاً من أحسن اليه فقال :

منحت ولم تبخل ولم تخط طائلاً فسيان لا ذم عليك ولا حمد
ثم خلى سبيله عمر وأخذ عليه ألا يهجو أحداً وجعل له ثلاثة آلاف درهم

(١) وفي رواية « زغب الحواصل » . (٢) في رواية « شوه الله » .

اشترى بها من أعراض المسلمين فقال يذكر فيه إياه عن الهجاء ويتأسف :
 وأخذت أطرار الكلام فلم تدع شتاً يضره ولا مديحاً ينفع
 ومنعتي عرض البخل فلم يخف شتمى وأصبح آمناً لا يجزع
 وكان الخطيئة يذم البخل كما ترى وهو ^(١) أبخل الناس اعترضه رجل وهو
 يرعى غنماً له فقال له يراعى الغنم وكان يده الخطيئة عصاً يزجر بها الغنم فرفعها وقال
 عجراً من سلم فقال الرجل انما أنا ضيف فقال : للأضياف أعددتها فتمثلت به العرب
 وقالوا أبخل من الخطيئة ، وكان أحد الحمقى أوصى عند موته بأن يحمل على حمار
 وقال لعل ان حملت عليه لأموت فاني ملأيت كرمياً مات عليه قط وقال :
 لكل جديد لذة غير أنتى رأيتُ جديد الموت غير لذيذ
 وقيل له اوص فقال أوصى ان مالى للذكور دون الاناث قالوا فان الله لا يقوله
 قال لكنى أقوله ، وقالوا له قل لا إله إلا الله قال أشهد أن الشياخ أشعر غطفان .
 وأخذ قوله : « أغرباً لا إذا استودعت سرا » من قول كعب بن زهير حيث يقول :
 ولا تمسك بالمهد الذى عهدت إلا كما يمسك الماء النرايل
 أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبي خليفة عن دماذا عن أبي على القداح
 وهبادة بن سليم الحضرمي قال أنشد الخطيئة عمر :

مهاريس يرزى رسلها صيف أهلها إذا النار أبدت أوجه الحضرات
 عظام مقيل الهام غلب رقابها قبا كرورد الماء فى السبرات
 يزيل القناد جنبها عن أصوله إذا ما غدت مقورة ^(٢) خرصات
 وكان هجاقومه فلما بلغ إلى قوله :

فان يصطنعنى الله لا أصطنعكم ولا أعطكم مالى على العثرات
 لكم دقر مثل التيوس ونسوة مماجين ^(٣) مثل الآتن العثرات

(١) فى نسخة « وكان » بدل « وهو » . (٢) فى الأصل « مقورة » .

(٣) فى الأصل « لماجر » وفى ديوان الخطيئة « مماجين » .

قال عمر بن الخطاب أنت تمدح إيلك وتهجو قومك فخرج وقال :
 رأيت ابن خطاب تجهل بعدما رأيت له عقلاً وما كان جاهلاً
 ألا قد علمنا أن ما قال هكذا ومن قال حقاً غير ما قال باطلاً
 وقالوا أمدح أبيات قبيل ما أنشدناه أبو أحمد عن مهمل بن عوف عن أبيه عن الجاحظ :
 اختر فناء^(١) بنى عمرو قاتهم أولو فضول وأقدار وأخطار
 إن يسألوا الخير يعطوه وإن جاهدوا فالجهد يخرج منهم طيب أخبار
 وإن تودد لهم لانوا وإن شتموا كشفت أذنابهم سر غير أسرار^(٢)
 هينون لينون أسرار ذوو بسر أبناء مكرمة أبناء إيسار
 من تلق منهم تقل لا قيت سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها السارى
 وهى على الحقيقة أمدح أبيات قبيل . وقالوا أمدح بيت قبيل قول الخنساء فى أخيها :
 أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار
 أخبرنا أبو أحمد حدثنا الأنبارى عن ابن عكرمة الضبي أخبرنا أبو دطمة
 عن صالح بن محمد بن المسيب قال سمعت الفضل الضبي يقول أتانى رسول المهدي
 فقال أجب فها أنا ذلك فضيت معه حتى دخلت وعنده على بن يقطين وعمر بن
 يزيد والمعلى مولاه فسلمت فرد وقال اجلس فجلست فقال أخبرني بأمدح بيت
 قاله العرب فتخبرت ثم جرى على لسانى قول الخنساء :

وإن صخرأ لمولانا وسيدنا وإن صخرأ اذا يشو لنحار
 أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار
 فقال أخبرت هؤلاء فأبوا على قلت يا أمير المؤمنين كنت أحق بالصواب
 فقال يا مفضل أسهرتى أبيات ابن مطير الأندلسي :

وقد تغدو الدنيا فيضحي غنيها فقيراً ويفنى بعد يؤس فقيرها

(١) فى النسخ «تفاء» مكان «فناء» . (٢) بعض المعجز غير موجود
 هنا فاستدركناه مما سبق حيث ذكرت هذه الأبيات باختلاف يسير عما هنا .

وكم قد رأينا من تسكدر عيشه وأخرى صفا بعد اكدرار غديره
 فلا تقرب الامر الحرام فانه حلاوتها تبقى ويبقى سريرها
 ثم قال حدثني يا مفضل فقلت أي الأحاديث يشتهي أمير المؤمنين قال أحاديث
 الاعراب فحدثته حتى كاد النهار ينتصف فقال كيف حالك فقلت كيف حال رجل
 مأخوذ بعشرة آلاف درهم فقال يا عمر بن بزيع أعطه عشرة آلاف درهم لقضاء دينه
 وعشرة آلاف درهم لنفقة عياله فانصرفت بها . وكانوا يقولون قاتل الله الخنساء
 ما رضيت ان جعلت أخاها جيلاً حتى جعلت في رأسه ناراً فبالغت أشد المبالغة .
 واعترض ابن الرومي قولها فقال :

هذا أبو الصقر فرداً في مكارمه من نسل شيبان بين الطلح والسلام
 كأنه الشمس في البرج المنيف به على البرية لا ناراً على علم
 وتبعته فقلت :

خير الوري خيار الناس كلهم وشرهم شرار الناس سوار
 منه الذكير معروف طرائقه كالشمس لا علم في رأسه نار
 ومن جيد ما قيل في النباهة قول الأول أنشده أبو تمام :

إني إذا خفي الرجال وجدتنى وقال بشار : أنا المرعث لا أخفى على أحد
 وقلت : أتأمل ان تنال ندى كريم وقلت : أتأمل ان تنال ندى كريم
 ويمجى والمجرة في عنان تصور في القلوب فليس ينأى
 على نأى المحلة والمكان إذا عبس الزمان فل اليه
 تجده البشر في وجه الزمان وقلت : تريلون أن أخشى وأخضع للآذى
 وجار ابن عيسى كيف يخشى ويخضع ولا فيه إقصاء ولا عنه مرجع
 به البدر يعلو أوسنى الصبح بسطع أخر شهر في البلاد كأنما

ومثله قول القاسم بن حبل رحمه الله تعالى :

من البيض الوجوه نبي سنان لو انك تستفي بهم أضوا
لهم شمس النهار إذا استقلت ونور لا يقنيه السماء
هم حلوا من الشرف المعلي ومن حسب العشرة حيث شاؤا
فلو أن السماء دنت لمجد ومكرمة دنت لهم السماء
وقالوا أمدح بيت قاتله العرب قول الحطيئة :

متى تأتته تمشو الى ضوء ناره تجد خير ناره عندها خير موقد
وقالوا أمدح المدح ما يكون بالفضل وهو أن يقول فلان خير من فلان وفلان
أكرم من فلان ، ومن أجود ما جاء في ذلك قول أبي تمام :

كم من وساع الخطو في طلب الندى لما جرى وجريت كنت قطوفا (١)
أحسنا صفدي ولكن كنت لي مثل الريح حيا وكان خريفا
وكلاهما اقتعد الملا فركبتها في الذروة العليا وكان (٢) رديفا
وقال : كواكب مجدي يعلم المجد أنها إذا طلعت بامت بصفر كواكب
وقال ابن الرومي :

تلوح في دولة الأيام دولتهم كأنها ملة الاسلام في الملل
وقلت: نصرت على الاعداء فليهنك النصر ودانت لك الدنيا وذلل لك الدهر
فأنت كاقبال الشبيبة والصبا تطيب بك الدنيا وينعمر العمر
وليس كرام الناس إلا كواكبا على صفحتي ليل وأنت لهم بدر
وفي الناس أجواد كثير وإنما أولئك أحماد وأنت لهم بحر
فان أظلم الأحداث واسود ليلها فهم شفق فيها وأنت بها فجر

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع :

كم من وساع الجود عندي والندى لما جرى وجريت كان قطوفا

(٢) في الديوان «وجاء» مكان «وكان» .

أبا قاسم فخرآ على المجد والعبلا . فإن العلاء روض^ه وأنت به زهر
غدت أرضنا منكم سماء مظلة^ه لما أنجم^ه من زهر أخلاقكم زهر^ه
وبعد بيت الخطيئة :

وأنت امرؤ^ه من تعطه اليوم نائلاً . بكفيك لم يمنعك من نائل الغد
ترى الجود لا يدني من المرء حفة . كما البخل للإنسان ليس بمخلد
ومثله قول ليلي الاخيلية في توبة^(١) :

فلا يبعدتك الله^ه ياتوب إنها لقاء المنايا دارعاً مثل حاصر
فتم فتي الدنيا وإن كن قاجراً وفوق الفتي إن كان ليس بفاجر
فتم كن أحيا من فتاة خريفة وأشجع من ليث^ه بمخفاق خاذل
فتم ينهل الحاجات ثم يملأ فيطلبها عنه ثنايا المصادر
يقول لا يمنعه قضاء الحاجة الأولى عن قضاء الأخرى كما قال الآخر :
وأرضع^ه حاجة^ه بلبان^ه أخرى كذاك الحاج^ه ترضع^ه باللبان^ه
يقول فبرفصا^ه المشنون عليه حتى كأنها ثنية رجم :
فأقسم أبكى بعد توبة هالكاً وأفضل من نالت^ه صروف^ه المقادر
وكان بيت الأعشى :

تشب^ه لمقرودين يصطليانها . وبات على النار الندى والمخلق^ه
يستحسن حتى قال الخطيئة * متى تأته تشو إلى ضوء ناره * على أن قول الأعشى
* وبات على النار الندى والمخلق * من أجود الكلام وأبلغه ، والمخلق المدحوح ،
ومثله قول حماس بن مائل :

فقلت له أقبل فانك راشد^ه وإن على النار الندى وابن مائل
وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن الإخفش أخبرنا ثعلب قال اجتمعنا

(١) كانت ليلي الاخيلية شاعرة فصيحة ذكية ، تعد في الشعر بعدا لنساء .

وتوبة هو ابن الحمير العقيلي من شعراء العرب المشهورين .

عند أحمد بن إبراهيم فأنشده رجل :

أمر مالك قاصرٌ فقره على نفسه ومشيحٌ غناه
فقال أحمد قد جاء مثل هذا كثيراً فأنشد :

فتى إذا علت تميم معاً سادتها عدوه بالخنصر
ألبسه الله ثياب الملا فلم تطل عنه ولم تقصر
فقال أحمد وقد جاء مثل هذا فأنشد الرجل :

أعدد ثلاثاً خلالٍ قد عُرفن له هل سب من أحد أو سب أو يخلأ
فقال أحمد وقد جاء مثل هذا فأنشده فقلت هات فقال نعم المدح الغريب
الذي لم يؤت مثله :

لله درُّ أبي المغيث فإنه حسنُ الفعلِ ضعيفُ الخطِ الدرهم
وقريب من هذا قول أبي البحتري * حتى توهمناء مخروق اليد * وفي خلاف قوله
* فلم تطل عنه ولم تقصر * قول ابن الرومي :

مدحت سليمان المقلب مدحةً . تجاوز حد الحسن لو كن يشكر
فمضى عنها ناظرأه كأنما بهوراء عيني جده كن ينظر
سبغت عليه حلية ليس عيها سوى أنها ظلت تطول وتقصر
بهجو سليمان بن عبد الله بن ماهر .

ومممت عم أبي يقول أمدح شيء قيل قول الأول :

قوم سنان أبوم ^(١) حين تنسبهم طابوا طاب من الأولاد ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بزمهم أو مجدهم قصدوا
محسدون على ما كانت من نعم لا ينزع الله عنهم ماله محسدوا
فأخذ جماعة قوله * محسدون على ما كان من نعم * فصرفوه فيه وحده .

ومنها قول أبي تمام :

(١) في بلوغ الأرب « أبوم سنان » .

لولا التخوفُ للمواقبِ لم يزل للحاسدِ النعمى على المحسود
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورت ما كان يُعرفُ طيبُ عرفِ العود
وقال البحتري :

ولن يستبين الدهر موضعَ نعمة إذا أنتَ لم تدلَّ عليها بحاسد
وقال : محسدون كأن المكرماتِ أبت أن توجدَ الدهرَ إلا عند محسود
وقال غيره : محسدون وشرُّ الناسِ منزلةً من عاشَ في الناسِ يوماً غيرَ محسودٍ
ومعتمه يقول من أوائل المدح الجيد الذي لا نظير له قول أمية بن أبي الصلت في
عبد الله بن جده مان (١) :

عطاؤك زينٌ لا مريءٍ إن حبوته ينزل (٢) وما كلُّ العطاء يزينُ
وليس بشينٍ لا مريءٍ ينزلُ وجهه اليك كما بعضُ السؤال يشين
وقال زهير :

من يلقَ يوماً على عِلاتِهِ هَرِمًا يلقَ الساحةَ منه والندى مُخلفًا
لو نالَ حَيٌّ من الدنيا بِمَكْرَمَةٍ (٣) أفقَ السماءِ لتالت كفه الألقا
قد جعلَ المبتغونَ الخيرَ في هَرِمٍ والسائلونَ إلى أبوابه طُرقا
وروى بعض الرواة للناجبة وروى لسعيد :

واللهِ واللهِ لنعمَ الفتى إلا عرجُ لا النكس (٤) ولا الخامل
الحاربُ الوافرُ والجابر السمعروب والمرجل والجمال (٥)
والطاعنُ الطعنة يومَ الوغى ينهل منها الأسلُ الناهل

(١) تقدم أنه كان من الأجواد . (٢) كذا في ديوانه المطبوع ، وفي

النسخ « بشيب » . (٣) وفي رواية « بمنزلة » .

(٤) النكس : الضيف . (٥) في الأصل « المرجل والحامل » بمهمات .

والقائل القول الذي مثله
والغافر الذنب لأهل الحبا
وقال بعض الاسلاميين وأحسن :

مُخَلِّقَاتُ أَنْامِلُهُ لِقَائِنِمْ مُرْهَفٍ
يلقى الرماحَ بوجهه ويصلده
ويقول للطرفِ اصطبر لشبا القنا
واذا تأملَ شخصَ ضيفٍ مُقبلٍ
أوما إلى الكرماءِ هذا طارقٌ
ولبتُ قائدةً وذروة منبرٍ
ويقيمُ هامةً مقامَ المنفرِ
فهدمت ركنَ المجدانِ لم تغر
منسربلٍ سربالٍ ليلٍ أغبر
تحررتيَ الأعداءُ أن لم تنحر

وسمعت الشيخ أبا أحمد يقول أمدح شيء قاله محدث قول مروان بن أبي
حفصة ^(٢) في معن بن زائدة الشيباني ^(٣) :

بنو مطيرٍ يوم اللقاء كأنهم
هم المانعونَ الجارَ حتى كأنما
بهاليلٌ في الاسلام سادرا ولم يكن
هم القومُ ان قالوا أصابوا وان دُعوا
ثلاثٌ بأمثال الجبالِ حياهمُ
ولا يستطيعُ الفاعلونَ فعالهم
أسودٌ لها في غيل خنان أشبلُ
لجارهم بين السما كين منزلُ
كأوهم في الجاهلية أول
أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا
وأحلامهم منها لدى الوزن أثقلُ
وإن أحسنوا في الثائبات وأجملوا

ثم أخبرنا المفجع أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال بلغني أن يحيى بن خالد
البرمكي قال لشراحيل بن معن بن زائدة أي شعر قاله ابن أبي حفصة في أيك
أشعر قال قوله :

(١) مرع الوادي مثله الراء مراعاة : أكلا ، والمريع : الخصيب - القاموس .

(٢) هو الشاعر النمامي الذي أعطاه الرشيد سبعين ألف درهم لما مدحه بقصيدته

السبعين التي مطلعها * إليك قصرنا النصف من صلواتنا *

(٣) هو الأمير البطل الجواد المشهور . .

نعم المناخُ لراغبٍ أوراغبٍ ممن تصيبُ جوائحُ الأزمانِ
 ممن بن زائدةَ الذي زيدت به شرقاً إلى شرفِ بنو شيبانِ
 مطر أبوكَ أبو الاهلةِ والذي بالسيفِ حاز هجائينَ النعمانِ
 نفسى فداءُ أبي الوليدِ إذا علا رهج السنايكِ والرماحُ دوائى
 فقال يحى أنت لا تعلم ما قيل في أيك أين أنت عن قوله :

بنو مطرٍ يومَ اللقاءِ كأنهم أسودُّ لها في غيل خفانِ اشبلُ
 وأنشد الأبيات المتقدمة وزاد :

تشابهَ يوماهُ علينا فأشكلا فما نحنُ ندرى أىَّ يوميه أفضلُ
 أيوم نداء الغمر أم يوم بأسه وما منها إلا أغرٌ محجلُ

وأخبرنا قال أخبرنا محمد بن يحيى بن على عن أبيه عن اسحق الموصلى أخبرنا
 أبو يوسف القاضي - وكان عدل الرشيد في طريق الحج - قال اعترضه امرأى فأنشد
 أبياتاً فزبره^(١) وقال ألم أنكم عن قول مثل هذا الشعر ألم أقل لكم امدحوني
 بمثل قول القائل : بنو مطر يوم اللقاء كأنهم . وذكر الأبيات المتقدمة ، قال أبو
 يوسف فقلت له فمن قيلت ؟ قال فى أب هذا الشاب الذى يسير فى ظل القبة
 فقلت للشاب من أنت فقال شراحيل بن ممن بن زائدة قال اسحق فسمعت
 شراحيل يقول : ذلك اليوم آثر عندي من الدنيا بخدا فيرها .

وأنشد بعض أهل الأدب قول ابن أبي طاهر^(٢) وقال لو استعمل الانصاف
 لكان هذا أحسن مدح قاله متقدم ومتأخر :

إذا أبو أحمدٍ جادت لنا يدهُ لم يحمِدِ الأجودان البحرُ والمطرُ
 وإن أضامت لنا أنوارُ غرته تضامِلَ النيران الشمس والقمرُ
 وإن مضى رايه أو حدهُ عزمته تأخر المخلصيان السيفُ والقدرُ

(١) الزبر : الاتهار والمنع والتهبي . (٢) هو أحمد بن أبي طاهر ، قال هذا

الشعر في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر على مافى جنى الجنتين في تمييز نوعى المثنيين للمحبي .

من لم يكن حذراً من حدّ صوته ثم يدرما المزيجان الخوف والخفر
 حلوا إذا أنت لم تبعث مرارته فإن أمرٌ فخلوٌ عنده الصبر
 سهل الخلائق إلا أنه خشنٌ كَينُ المهزة إلا أنه حجر
 لاجيةٌ ذكرٌ في مثلِ صوته ان صال يوماً ولا الصبامة الذكرُ
 إذا الرجال طفت أراؤهم وعموا بالأمر رُدَّ إليه الرأى والنظر
 الجودُ منه عيانٌ لا ارتيابَ به إذ جودٌ كلُّ جواد عنده خبر

ومن المديح القليل النظير قول علي بن محمد بن الأفوه :

أوفوا من المجدِّ والعليا في قُلِّ تُشيمُ قواعدهنَّ البأس والجودُ
 سبط اللقاء إذا شمت مخابلهنَّ يُسلُّ اللقاء إذا صيد الصناديد
 يُحسدون ومن يَعلقُ بجبلهم من البرية يُصبحُ وهو محسود

وقال الفرزدق وهو أجود ما قيل في الجود عوداً على بدء :

له راحةٌ بيضاءٌ يندى بنائها قليل إذا اعتل البخل اعتلاها
 جواد إذا أعطتك يوماً يمينه وُعِدْتَ غداً مادت عليك شمالكها

ونحوه قول الأعرابي في عبد الملك :

ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد أحداً سِوَاكَ إلى المكارم يُنسبُ
 فاصبر لعادتنا التي عودتنا أولاً فأرشدنا إلى من تذهبُ

وقول الآخر وهو من أجود ما قيل في حمد الرجل مكانه من قومه :

رأيتكم بقيةً حبي قيسٍ وهضبتة التي فوق الهضابِ
 تُبارونَ الرياحَ إذا تبارت وتمثلونَ أفعالَ السحابِ
 يذكركم في ذراكم مقامي أمسٍ في ظلِّ الشبابِ

ومن عادة الناس أن يتكروها ما هم فيه من العيش وما هم عليه من الأحوال ،
 وقد حمد هذا حاله معهم وعيشه فيهم حتى شبهه بعيشه في ظل الشباب وهو من
 أجود ما قيل في هذا المعنى .

وقالوا أمدح بيت قله محدث قول علي بن جبلة المعروف بالعكوك في أبي دلف :

إنما الدنيا أبو دلف بين مبداء ومختصره

فإذا ولي أبو دلف موالت الدنيا على أثره

قال بعض من حضر : لا يجوز أن يكون مثل هذا الشعر لهذا ، وإنما ازدرأه

لدمامته وعشه فقال له أبو دلف أما تسمع ما يقول الناس فيك أن الشعر لغيرك لأن

الفاظه - أفاظ كاتب متأدب قال الامتحان يزيل الظنة غنى وما أظلم من استبرأ

فكيف رأى الأمير في الامتحان قال فعطيك صدوراً لتردنها بأعجاز قال ما اشتططت

ولا كلفت إلا النبي من نكبت عنه حق عليه القول فدها أبو دلف بنواة وقرطاس وكتب :

ريعت المنشور على مقرقه ذم له عهد الصبا حين انتسب

اهدام شيب جلد في رأسه مكروهة الجدة انضاء العقب

ثم ناوله الدرج فقال كم لي في ذلك من الأجل قال شهر قال فأنطلق بهما إلى

رحلى قال ليس الامتحان للشاعر في بيته بمزيل للظنة عنه ولكن تبوأ حجرة من

القصر قال فليأمر الأمير بها ففعل وركب إلى دار المأمون فأبطأت كرتة فلما رجع

دخل عليه على والدرج يده قال قد أجزت البيتين بقصيدة قال لقد خشيت عليك

النقص من الاعمال قال اليك تساق الرفق ثم أنشدني بيتي أبي دلف ^(١) ثم قال :

أشرقن في أسود ازريق به - كن دُجاء طوى البيض سبب ^(٢)

فاعتضن أيام الغواني والصبا عن ميت مطلبه فن الأذب

فنازل لم يتهج نزوله وراحل أبقى جوى حين ذهب

لم أر كالشيب وقاراً يُحتوى وكالشباب الفص ظلاً يُستلب

كن الشباب لمة أزهي بها وصاحباً حراً عزيز المصطب

إذ أنا أجري واثباً في فيه لا أعتب الدهر إذا الدهر عتب

(١) في نسخة «ثم أنشد يمرثني بيتي» .

(٢) روى صاحب الأغاني هذه القصيدة باختلاف كثير عما هنا .

وأذعر الربّ عن أظفاله
 مطرد يرتج في أقطاره
 تحسبه أقصد في استقباله
 وهو على إرهاقه وطيه
 تقول فيه جنب إذا اتنى
 يخطو على عوج يناهين الثرى
 تحسبها نائمة حين خطا
 يرتاد بالصيد فعارضنا به
 لا يبلغ الجهد به راكب
 إذا تظنينا به صدقنا
 ثم اتقضى ذاك كأن لم تبقه
 وخلف الدهر على أعتابه
 فحمل الدهر ابن غيسى قاسما
 كرونق السيف ابتلاجا بالندى
 لاوسنت عين رأت فرته
 لولا الأمير لغدونا هلا
 ولم يقم يأس يوم وقى
 تكاد تبدي الأرض ما أضمره
 ويستهل أملا وخيفة
 وهو وإن كان ابن فرعى وائل
 وبملاء وعلا آياته
 يا واحد الدنيا وباب الندى
 بأعوحى دثي المنسب
 كلاء جالت فيه ريح فضطرب
 حتى إذا استدبرته قلت أكب
 يقصر عنه المخرمان واللب
 وهو كثل القدح مائه جنب
 لم يتواكل عن شفا ولا عصب
 كأنها واطئة على نكب
 أو ابد الوحش فأجدى راكسب
 ويبلغ الرياح به حين طلب
 وإن تظنى فوته الطرف لزب
 وكل بقيا فالى يوم عطب
 في القدح فيه وارتجاع ما وهب
 ينهض به فراج هم وكرب
 أو كفراريه على أهل الريب
 واستيقظت نبوته من النوب
 لم يمثل بمجد ولم يرع حسب^(١)
 ولا تلاقى سبب إلى سبب
 إذا تداعى خيله هلا وهب
 إذا استهل وجهه وإن قطب
 فبسماعيه ترقى في الحسب
 تحوى غداة السبق أخطار القصب
 وبابحير الزعب في يوم الرهب

(١) في نسخة زيادة «أو نسب» ولعلها إشارة لنسخة فيها كذلك .

لولاك ما كان سدى ولا ندى ولا قریشٌ عُرِفَتْ ولا العرب
 خذها امتحاناً من ملئ بالحبا لكنه غير ملئ بالنشب
 وقرٌ بالأرض أو استقر بها أنت عليها الرأس والناس ذنب
 قال فجعل ينشد وأبو دلف يرجف ^(١) إليه حتى مست ركبناه ركبته قلنا
 بلغ قوله * لكنه غير ملئ بالنشب * قال لا ملأتني الله إن لم أملاك يا غلام كم في
 بيت المال ؟ قال ما قبضته من حامل الجبل وهو مائة ألف درهم قال أعطه إياها وقليل
 له ذلك ، قال فأقبل عليه عقيل أخوه بمنله ويقول له أنت على باب أمير المؤمنين وبين
 ظهرائي قواده وأمرائه ولا وجه لما لا يرد عليك من الجبل فادفع إليه البعض قال
 إليك عني والله لو شاطرته عمرى لكان ذلك دون ما يستحقه علي .

ومن المديح الجيد قول مروان بن أبي حفصة :

كنى القبائلَ من كل معضلة يحى بها الدين أو يرعى بها الحسب
 كنز المحامد والتقوى ذخائره وليس من كنزه ^(٢) الأوراق والذهب
 أنت الشهاب الذي يرمي العدو به فيستنير وتخبو عنده الشهب
 بنو شريك هم القوم الذين لهم في كل يوم رهان تحرز القصب
 أن الفوارس من شيبان قد عرفوا بالصدق أن تزلوا والموت أن ركبوا
 قد جرب الناس قبل اليوم أنهم أهل الخلو وأهل الشغب أن شغبوا
 قل للجواد الذي يسعى ليدركه أقصر فمالك إلا الفوت والطلب
 قوله فمالك إلا الفوت والطلب من أحسن معنى وأجوده وأبينه بياناً وأشدّه
 اختصاراً وهو من قول زهير :

سعى بدمهم قوم لكي يدركوهم فلم يفعلوا أولم يلاموا فلم يألوا
 وقال طريح ^(٣) :

(١) عليه « يزحف » وكلاهما صحيح . (٢) في الأصل (كثرة) (٣) هو طريح

بن اسماعيل الثقفي ، أكثر شعره في مدح خليفه الوليد بن يزيد الأموي .

قد طلب الناس ما طلبت فما قالوا ولا قاربوا وقد جهدوا
يرفضك الله بالتمكرم والتفقوى فتسلو وأنت مقتصد
وقلت في قريب منه :

إذا عن مجد أو تعرض مؤدب تسامى له ضخم الهموم مهم
إذا اهتز للهباء فهو مهذب أو اهتز للافضال فهو غمام
تواضع وهو النجم عزاً ورفعة ونف على الأرواح وهو شمام^(١)
ارجيه يوماً أو الأقبى ساعة فيخصب لي عام ويهر عام
يريدون منه أن يضمن وإنما أرادوا جود الغيم وهو ركم
ولا عيب فيه غير أن قوى الندى يخسرس إذا قيسوا به ولثام
بانت من العلياء ما فاتهم مما كان لم يروموا ما بلغت وراموا
فمن مبلغ عني الكلام أنهم إذا استيقظوا للسكرات نيام
وأجمع بيت قيل في المديح قول أبي الميثل^(٢) في عبادة بن طاهر^(٣)
قالت ركت قلت إن وراءكم ان قد كبرت ومن يسر يركم
وعهدتي أمضى لشأني مطلقاً فليت بسلك بالنسا والأجدع
يا من يؤمل أن تكون خياله كخلال عبادة أنصت واسمع
فلا نصحنك في المشورة والذى حج الحبيج اليه فاقبل أودع
أصدق وعف وجدوا نصت واحتمل واصفح وكاف ودار واحلم واشجع

(١) جبل . (٢) هو عبادة بن خليلد شاعر مؤدب . (٣) عبادة بن طاهر
الخراساني الأمير الشجاع العاقل الجواد ، وفيه يقول أبو تمام وقد قصده من العراق
قصيده المشهورة التي مطلعها :

أطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجود
وفي سفر أبي تمام هذه ألف الحماسة فإنه حكم عليه البرد هناك ووقع على خزانة
كتب فاختار منها الحماسة .

وقد جمع هذا البيت جميع خصال المدح ، ومحمه المثني فأراد أن يصيب على
قالبه ^(١) فأتى بما لا ينطق ^(٢) به اللسان ولا ينطوي عليه الجنان .

ومن الأبيات الجامعة في المديح قول ابن الرومي :

هو الفرقة البيضاء من آل هاشم وهم بعده التحجيل والناس أدهم

ومن الأبيات الجامعة لمعاني الحسن قول البحتري :

ذات حنين لو استزادت من الحُسن اليه لما أصابت مزيدا

فهي الشمس بهجة والقضيب السلدن ^(٣) ليناً والريم طرفاً وجيدا

وقال في هذه القصيدة :

واذا ما عادت يمي وعمرأ وإياساً ^(٤) وطاراً ووليداً

وعبيداً ومسيراً ^(٥) وجدياً وثلولاً وبخترأ وعثوداً

لم أَدع من مناقب المجد ما يقنع من هم أن يكون مجيداً

وقلت في المديح :

حليف علاء وتجد وفخر وبأس وجود وخير وخير

أضاء فأطرق ضوء الشمس وتم فأغضى تمام البدور

وقلت في المديح أيضاً :

من النر لآحوا أشمساً ومضوا ظي وصالوا أسوداً واستهلوا سوارياً

ومن المديح البليغ قول الأول :

متبذل في الحى وهو مبجل متواضع في القوم وهو معظم

وما أحسن في ذكر التواضع أحد كاحسان أبي تمام في قوله :

(١) لعله «قائله» . (٢) في نسخة «ينطلق» . (٣) في النسخة المطبوعة من

ديوان البحتري «الغض» مكان «الدين» . (٤) في النسخة المطبوعة من البحتري

«أبانا» مكان «إياساً» . (٥) في الأصل «غامراً» مكان «مسيراً» والتصحيح

من ديوان البحتري المطبوع .

إذا أحسن الاقوامُ أن يتناولوا بلا مئة أحسنت أن تتولوا
فمظمت عن ذاك التظم منهم وأوصاك نيل القدر أن تنبلا
وقال البحترى في التواضع مع علو الرتبة :
دنوت تواضعا^(١) وعلوت قدرا فإلاك انحدار وارتفاع^(٢)
كذلك الشمس تبعد أن تسامى ويدنو الضوء منها والشعاع
فأتيت بهذا المعنى في بيت :

تواضع إذا العلاء بضيمه كأنحط ضوء البدر وارتفع البدر
وأجود ما قيل في صفة الرجل الخازم الجلد من قديم الشعر قول لقيط بن يعمر^(٣) :
فقلدوا أمركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحق^(٤) مضطلما
لا مترقا أن رخاء العيش ساعده ولا إذا عض مكروه به خشما
ما انفك يحلب هذا الدهر أشطره يكون متبعا طورا ومتبعا
لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه^(٥) هم يكاد حشا يحطم الضلعا^(٦)
حتى استمر على شرد مريرته مستحكما الرأي لا قحما ولا ضرعا
ومن هنا أخذ الشاعر قوله :

ولست بمفراح إذا الدهر مرني ولا جازع من صرفه المتقلب
وقول دريد بن الصمة^(٧)

ينازل أخدان الرجال وانه لمجد ثناء ثم يزد^(٨)
ويخرج من العناء الشدة مصدقا^(٩) وطول السرى درى غضب مهند

(١) في النسختين «وضوفا» وهو خطأ (٢) الذي في الديوان المطبوع :

دنوت تواضعا وبعدت قدرا فشأنك انحدار وارتفاع

(٣) الأيادي شاعر جاهلي ، ومطلع هذه القصيدة «يادار عمرة من تحتها الجرما» .

(٤) وفي رواية «بأمر الحرب» . (٥) في النسخ تصحيف . (٦) أصاه

من هوازن ، كان شجاعا من الأبطال الشعراء ، أدرك الإسلام ولم يسلم .

(٧) كذا (٨) كذا وفي غيره « ونخرج منه حصرة القر جزاة » .

هذا البيت أجود ما قيل في سعة الخلق من قديم الشعر :

كيشُ الأزار خارجٌ نصفُ ساقه ضبورٌ على الزاء ^(١) طلاعُ انجد
 قليلُ التشكى للمصيباتِ حافظٌ من اليوم أعقابُ الأخاديدِ في غد
 إذا سارَ بالارضِ الفضاءِ ترينت لرؤيته كالماتم المتبدد
 فلا يبعدنك الله حياً وميتاً ومن يعلو ركنٌ من الارض يبعد
 موضع هذه الايات من باب المراتى واما أوردتها هنا لأن قوله فيها « قليل التشكى
 للمصيبات » شبيه بما تقدم من قول الآخر : * ولا جازع من صرفه المتقلب *
 ومن شعر المحدثين قول أبي تمام :

وعززت بالسبع الذى يزئره أمست وأصبحت الثغورُ عزيزا
 قطب الخشونة والليان بنفسه ^(٢) فغدا جليلاً فى العيون لطيفا
 هزته معضلةُ الأمورِ وهزها وأخيفَ فى ذات الآله وخيفنا
 يقظان أحصدت التجارب جزمه ^(٣) شرراً وثقف عزمه تثقينا
 وسلكن من أترابه الشعل التى ^(٤) لو أنهن طبعن كن سيوفا
 وإنما أخذ وصف هذا البيت من ديك الجن وكن أبو تمام كثير الاناخذة
 عليه وهو قوله في مرثيته :

ماء من العبرات حدى أرضه لو كن من مطر لكان هزيماً
 وبلايل لو أنهن ما كل لم تخطىء الفسلين والزقوما
 وكرمي بر وعسى لو أنه مرظل لكان الحرث واليحموما

ونقل البيت الأول أنو تمام الى موضع آخر فقال :

مطر من العبرات حدى أرضه حتى الصباح ومقلتاى صماؤه

(١) له « الضراء » . (٢) وفي ديوان أبي تمام المطبوع :

قطب الخشونة بالليان معاقباً فغدا جليلاً فى القلوب لطيفا

(٣) فى الديوان « عقده » . (٤) فى الديوان « واستل من آرائه الشعل التى » .

ومن ذلك قول أبي تمام :

وإذا رأيت أبا يزيد في ندى ووغى ومبلى غارة ومُعيدا
أيقنت أن من السباح شجاعة تدمى وإن من السباحة جوداً
ومكارماً عتق النجار تليدة إن كان هضب عمايتين تليداً
متوقدٌ منه الزمانُ وربما كان الزمانُ بآخرين بليداً

وقال البحتري :

أغر لنا من جوده وممّاحه ظهيرٌ عليه ما ينجب وشافمٌ
ولما جرى للمجد والقوم خلفه تقول أقصى جهدهم وهو وادع
وهل يتكافأ الناس شتى خلاهم وما يتسكافى في اليدين الأصابع
إذا ارتدّ صمتا فالرؤس نواكسٌ وإن قال فالأعناق صور خواضع
وأغلبٌ ما ينفكٌ من يقظاته ربّايا على أعدائه وطلائع
جنانٌ على ما جرت الحرب جامعٌ وصدرٌ لما يأتي من (١) الدهر واسع
جديرٌ بأن ينشق عن ضوئه وجهه ضبابه تقع تحته الموت نافع
تذودُ الدنايا عنه نفسٌ أية وعزم كصدر (٢) الهندواني قاطع
بعيدٌ مقبل السرّ لا يدركُ التي يحاولها منه الأريبُ الخادع
ومنكمُ التدبير ليس بظاهر على طرفِ الرائي الذي هو تابع
ولا يعلمُ الأعداءُ من فرطِ عزمه متى هو مصبوبٌ عليهم فواقع

لم يبق وجه من وجوه المدح في الجود والشجاعة وتصوب الرأي ومضاء العزيمة والدهاء وشدة الفكر إلا قد اجتمع ذكره في هذه الآيات ولا أعرف أحداً يستوفي مثل هذه المعاني في أكثر مدائحه إلا البحتري .

وقال بعضهم أجود ما قيل في صفة الرجل الحازم قول زينب بنت الطرية :
إذا جدّ عند الجد أرضاك جدّه وفو باطلٍ إن شئت أهلك باطله .

(١) في الديوان (به) . (٢) في الديوان (كحد) .

يَسْرُكُ مَظْلُومًا وَيُضِيكُ ظَالِمًا وَكُلُّ الثَّيِّ حَمَلَتُهُ فَهُوَ حَامِلُهُ
ومثله قول الآخر :

أَخُو الْجَدِّ إِنْ جَدَّ الرَّجَالُ وَشَمَرُوا وَذُو بَاطِلٍ إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ بَاطِلٌ
ومن المديح المفرط قول منصور النمرى في هارون :
إِذَا مَا عَدَدْتَ النَّاسَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ قَلِيْسَ هَارُونَ الْإِمَامِ نَظِيرُ
فضله على أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم من الصحابة رضى الله تعالى
عنهم ، وهذا مكروه جداً وأكره منه قول أبي نواس :
تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشُّبُهَةَ قَاشِبَهَا خَلَقًا وَمُخَلَقًا كَمَا قَدْ شَرَاكَانِ
فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَمُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ سَوَاءً فِي الْخَلْقِ وَالْخَلْقِ .
وبعد بيت النمرى آيات جواد منها قوله :

مَنْعَ الْحَى لَكِنْ أَعْنَاقَ مَالِهِ بِظُلِّ النَّدَى يَسْطُوبُهَا وَيَسُورُ
كأنه من قول كثير :

مُفَرِّدًا إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلَقْتَ لَضَحِكَتَهُ رِقَابُ الْمَالِ
وهذا من قول الأخطل :

وَقَفْتُ عَلَى حَالِكَا قَاذَا النَّدَى عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ
خَرَجْتُ أَجْرُ الذِّلِّ حَتَّى كَانَتْ عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ
يُرُوحُ وَيَنْدُو سَاجِيًا فِي وَقَارِهِ عَلَى أَنَّهُ يَوْمَ الْمَرَامِ ذَكِيرُ
وَلَيْسَ لِأَعْيَادِ الْأُمُورِ إِذَا عَرَتْ بِمَكْتَرَتْ لَكِنْ لِهِنَّ قَهُورُ
يَرَى سَاكِنَ الْأَوْصَالِ بِاسْطِجْهَدَ يَرِيكَ الْهُوَيْنَا وَالْأُمُورُ تَطِيرُ

ولا أعرف في هذا المعنى أجود من هذا البيت :

وَقَالُوا أَمْدَحْ بَيْتَ قَلَّهِ مَحْدَثُ قَوْلِ النَّمْرِى فِي هَارُونَ :

إِنْ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةٌ أَحْلَكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْمَعُ (١)

(١) تقدم هذا البيت بصدر «خليفة الله إن الجود أودية» .

أخذه من قول أبي وجزة السعدي^(١) :

أناك المجدُّ من هنا وهنا وأنتَ لهُ بمجتمع السيول
وأخذه ابن أمية السكاتب فقال في غزل :
تركبت فيك التي ! ؟ وأنتَ منها بمجمع الطرق
ونقلته إلى المبعاء فقلت :

أتعدو بمستن العيون خجيا وأنتَ بسبب العالمين موكل
وفي قصيدة النمرى أبيات قليلة النظير منها قوله :

مستحكم الرأي مُستغن بوحدة
يقرى العدو المنايا والقناة ندى
إذا بلغنا جمال الأرض لم ترنا
لما أخذتُ بكفى جبل طاعته
ان الخليفة هارون الذي امتلأت
ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله
أخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن الصولي عن المبرد وغيره قال شكنا منصور
إلى العتابي طلقاً استمر بامرأته ثلاثة أيام تخوف عليها منه فقال العتابي دواؤه معك
أقرب منها وقل «هارون» فان أمرها يسهل فغضب منصور فقال له لا تغضب فأنت
قضيت بذلك في قولك :

ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله أوصاق أمر ذكرناه فينسح
فأسكت منصور . ومن المديح البارع قول بشار :

ألا أيها الطالب المبتغى نجوم السماء بسعى أمم
سمعت بمكرمة ابن العلاء فأنشأت تطلبها است تم
إذا عرضَ الهم في صدره لها بالعطاء وجرب البهيم

(١) هوزيد بن عبيد أبو وجزة ، من التابعين

فقل للخليفة إن جنته نصيباً ولاخير في المتهم
إذا أبقتك جسام الأمور فبه لها عمراً ثم تتم
فتى لا يبيت على رمقه ولا يشرب الماء إلا بدم
يحب العطاء وسفك الدماء فيقدو على نعيم أو نقم

وقال البحتري :

إذا المتهدي بالله عدت خلاله حسبت السماء كارتك نجومها
وقلت : كم غاية لكم تقاصر كونها من رامها فكأنه مارامها
يعلو كرام العالمين وأنا يعلو كرام العالمين لثامها
وإذا تسامى الأكرمون إلى العلا قالوا مناصمها ونلت سنامها
أمن المسكارم أن يبدد ثملها لما زانتك نظامه ونظامها
ذلت له نوب الزمان وأصبحت في عقوبه جبالها آكامها

وقال البحتري :

إذا ذكرت أسلافه وتشوهرت أما كنها قلت النجوم قبورها
إذا مانت الأرض ابتدوها كأنما اليهم حياها أو عليهم نشورها
ودون علاهم للمسامين برزخ إذا كلفته العير طال مسيرها
يتدبير مأمون على الأمر رأيته ذكيرة وأمضى المرفعات ذكورها
وذوها جسي لا يحجب النيب كونه تربه بطون المشكلات ظهورها

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن عبد الله بن الحسن عن البحتري قال سمعت إبراهيم
ابن الحسن بن سهل يقول : الأوائل حجة وهؤلاء أحسن تعريفا إلى أنه أنشده
يوماً عبد الله بن أيوب التيمي شعراً يمدحه فيه فلما بلغ إلى قوله :

تري ظاهر المأمون أحسن ظاهر وأحسن مما قد^(١) أمر وأضمرا
يناجي له نفساً ترع بهمة إلى كل معروف وقلبا مظهر

(١) زدنا «قد» على التسخن لإقامة الوزن .

ويخشع إجلالاً له كل ناظر
ويأبى الخوف الله أن يشكرا
طويل نجاد السيف مضطمر الحشا
طراه طراد الجيش حتى تجسرا
رقل إذا ما السلم رقل ذيله
وان شمرت يوماً له الحرب شمرا
فقال الفضل ما بعد هذا مدح وما شبه فروع الاحسان بأصوله .

ومن المندح القليل النظير قول أمانة بنت الجلاح الكلبيه : أخبرنا
أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن البرمكي أحمد بن جعفر حدثني محمد بن ناجية
الرصفاني قال كنت أحد من وقعت عليه التهمة أيام الواقعة بمال مصر فطلبني
السلطان طلباً شديداً حتى ضاقت على الأرض برحبها فخرجت إلى البلاد
مرتاداً رجلاً عزيزاً منيع الدار أعوذ به وأنزل عليه حتى انتهت إلى بني شيبان
ابن لعلبة فدفعت إلى بيت مشرف بظهر راية منيعة وإلى جانبه فرس مربوط
ورمح مركون يلعب سنانة فتزلت عن فرسي وتقدمت فسلمت على أهل الخباء فردوا
على نساء من وراء السجف يرمقنني من خلل الستور بصيون كيون أخشاف
الظباء فقالت إحداهن اطمن يا حضري قتلتي وكيف يطمئن المطلوب أو يأمن
المرعوب وقلما ينجو من السلطان طالبه والخوف غالبه دون أن يأوي إلى جبل
يمصيه أو معتق يمنعه فقالت يا حضري لقد ترجم لسانك عن قلب صغير وذنب
كبير قد نزلت بفناء بيت لا يضام فيه أحد ولا يجوع فيه كبد مادام لهذا الحي
سبد أو لبد هذا بيت الأسود بن قنان اخوانه كلب وأعمامه شيبان معلوك الحي
في ماله وسيدهم في فعاله لا ينازع ولا يدافع له الجوار وموقد النار وطلب النار وبهذا
وصفته أمانة بنت الجلاح الكلبيه حيث تقول :

إذا شئت أن تلقى فتى لو وزمته بكل معدي وكل يمانى
وفى بهم حلاً وجوداً وسوداً وبأساً فهنا الأسود بن قنان
فتى كالفتاة البكر يسفر وجهه كأن تلالى وجه القمراني
أغرأبر ابني نزار ويعرب وأوثقهم عقداً بقول لسان

وأوفاهم عهداً وأطولهم يداً وأعلامهم فعلاً بكل مكان
وأضر بهم بالسيف من دون جاره وأطعمهم من كدوته بسنان
كان العطايا والمنايا بكفه سبحانه مقرونان مؤلفان

فقلت الآن ذهبت عن الوحشة وسكنت الروعة فأني لي به قالت يا جارية
أخرجي فنأدى مولاي نغرجت الجارية فما لبثت إلا هنيهة حتى جاءت وهو معها
في جمع من بني عمه فرأيت غلاماً حسناً^(١) اخضر شاربه واختط عارضه
وخشن جانبه فقال أي النعمين علينا أنت فبادرت المرأة فقالت يا أبا مرهف هذا
رجل نبت به أوطانه وأزعجه سلطانه وأوحشه زمانه وقد أحب جوارك ورغب في
ذمتك وقد ضمننا له ما يضمنه لثله مثلك فقال بل الله فاك قال فأخذ يدي وجلس
وجلس ثم قال يا بني أبي وذوي رحمي أشهدكم أن هذا الرجل في ذمتي وجواري
فمن أرادته فقد أرادني ومن كاده فقد كادني وما يلزمني من أمره من حال إلا ويلزمكم
مثله فليسمع الرجل منكم ما يسكن إليه قلبه وتطمئن إليه نفسه . فما رأيت جواباً
قط أحسن من جوابهم اذ قالوا بأجمعهم ما هي أول منة مننت بها علينا ولا أول يد
يضاء ملوقتها وما زال أبوك قبلك في بناء الشرف لنا ودفع الهم عنا فهذه أنفسنا
وأموالنا بين يديك . ثم ضرب لي قبة الى جانب بيته فلم أزل عزيزاً منيعاً حتى سرح
لي السلطان ما أملت فأنصرفت الى أهلي .

ومن المديح البارع قول الأخطل :

شمس الهداوة حتى يستقاد لهم^(٢) وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

أخذه خارقة بن مليح المكي وأحسن :

آل الزبير نجوم يستضاء بهم إذا احتجب الليل في ظلماته زهروا

قوم إذا شومسوا لج الشماس بهم ذات الأبار وان يأسرتهن يسروا

(١) في الأصل « حين » .

(٢) في الأصل (بهم) والتصحيح من شعر الأخطل المطبوع :

ومنه قول كثير في عبد الملك :

أبوك الذي لما أتى مرجَ راهط
وقد ألبوا من جمعهم ما تألبا
تسناً للأعداء حتى إذا أتوا
لما شاء منهم طائعين تحييا

وقال البحتري :

حرونٌ إذا عاززته في مُلّة
فان جنته من جانب الذل أصبحا
ونحوه : كريمٌ يفضُّ الطرفَ فضلُ حياته
ويدنو وأطرافُ الرماح دواني
وكالسيفِ ان لا ينته لانَ مَتته
وحداه ان خاشنته خَشَنان
ومثل قول خارجة * إذا احتبى الليل في ظلماته زهروا * قول الأشجعي :
إذا غاب عنا الفجرُ خُضنا بوجه
دُجى الليلِ حتى يَسْتَنيرَ لنا الفجرُ

وقال خارجة أيضا :

ويسفر للسارى إذا جنَّ ليله
مسيل المطايا بالوجود السوافر

وقال ادريس بن أبي حفصة :

لما أمتك وقد كانت منازعة
وافي الرضا بين أيديها باقياد
لما أمامك نورٌ تستضيء به
ومن رجائك في أعقابها حادى
لها أحاديثٌ من ذكراك تشغلها
عن الرثوع^(١) وتلهينا عن الزاد
ولا أعرف في معناها مثلها :

إذا أشرقت في جنح ليل وجوههم
كفى خابطَ الظلماءِ ضوءُ المصابيح
وان ناب خطبٌ أو أملت مُلّة
فكم ثمٌّ من آسى جراح وجراح

ومن أجود ما قيل في صفة الرجل الجواد قول أبي الأسد الدّينورى :

ولأئمة لأمتك يا قبيضُ في الندى
قلتُ لها لن يقدحَ اللومُ في البحر
أرادت لتتقى الفيضَ عن مادة الندى
ومن ذا الذى يثنى السحابَ عن القطر

مواقع جود الفيض في كل بلدة مواقع ماء المزن في البلد القفر (١)
ولا أعرف في معناها مثلاً . وقلت :

تقضى مآربه من كل قائنة لكن من الجدد ما تقضى مآربه -
أفاده المزن آباء ذوو كرم وزاده الخلق المحضر جانبه
لقد فضلت كرام الناس كلهم فهم مناسم مسجد أنت غاربه
يا ليت شعري هل يستطيع شكرهم دهر مساهيكم فيه مناقبه
وحين أرضيتكم كنتم نوافله وأنتم حين أسخطتم نوابه
منكم على الدهر عين لا تناومه وللحوادث قرن لا تغالبه
ومن أجود ما قيل في ذكر الجود قول الأشجع (٢) في جعفر بن يحيى :

يروم الملوك جدى جعفر ولا يصنعون كما يصنع
وكيف ينالون غاياته وهم يجمعون ولا يجمع
وليس بأوسعهم في الفنى ولكن معروفه أوسع
فما خلفه لأمري مطمع ولا دونه لأمري متنع
إذا رفعت كفه معشراً أبى العز والفضل أن يوضعوا
ولا يرفع الناس من حله ولا يضع الناس من يرفع
رأيت الملوك تنفض العيون إذا ما بدا الملك الاتلع
بديته مثل تديره متى هبته فهو مستجمع

أخذ قوله « بأوسعهم في الفنى » من قول الأول :

له نار تشب بكل أرض إذا النيران جلت القناعا
وما ان كنا أكثرهم سواداً ولكن كن أرجبهم ذراعا

(١) يكرر المصنف بعض الآيات في مواضع لمناسبات .

(٢) هو أبو الوليد أشجع بن عمرو السلمي ، مدح البرامكة وانقطع إلى

جعفر بن يحيى فقربه من الرشيد فأثرى ، ورث الرشيد بعد موته .

وقال بعض المولدين :

وما رأيتك في حال تكونُ بها أدنى إلى كل خير منك في العدم
ومن أجود ما قيل في الصلة على بعد الدار قول نهشل بن جرى :
جزى اللهُ خيراً والجزاء بكفه بنى الصلت إخوان السباحة والمجد
أتاني وأهل بالعراق ندهمُ كما صاب غيثٌ من تهامة في نجد
فما يغير من زمان وأهل فما غير الأيام مجدكم بعدي
فأخذه البحري أخذاً ملأيت أعجب منه وقد وجه إليه بنو السمط برمي
حص إلى منبج فقال :

جزى اللهُ خيراً والجزاء بكفه بنى السمط إخوان السباحة والمجد
مُ حضروني والمهامه يبتنا كما أرفض غيثٌ من تهامة في نجد
إلا أن قوله * هم حضروني والمهامه يبتنا * أبدع وأحسن من قول
نهشل * أتاني وأهل بالعراق ندهم * وأخذه ابن المولى فقال :

فرحتُ بجعفر لما أتانا كما سرَّ المسافر بالأياب
كمطورٍ يبلده فاضحى غنياً عن مطالعة السحاب
وأخذه أبو السمط بن أبي حفصة فقال في عبد الله بن طاهر :

لعمري نعم الغيثُ غيثُ أصابنا يفتاد من أرض الجزيرة وأبله
ونعم الفتى والسدُّ بيني وبينه بسبعين ألفاً صبحتني رسائله
فكنا كحى صبَّح الغيثُ داره ولم يحتمل أظمانه وجمائله

وأخذه أبو تمام فقال :

لم أستطع سيراً لِدحةِ خالدٍ فجعلتُ مدحتهُ إليه رسولا
فليرحلنَّ إليك فائلُ خالدٍ وليكنينَّ رواحلي الترحيلا

وأخذه أبو صفان فقال في أحمد بن محمد بن نوبة :

نفسى فداءُ أبي العباس من رجل لم ينسني قطُّ في نأى ولا كُتب

يقرى وبارقة البيضاء منزله من بالعراقين (١) من عجم من عرب
 أغنيته عن زجل أنت فوقهم في المكرمات ودون القوم في النشب
 وأصل ذلك كله من قول جرير : أخبرنا أبو أحمد عن علي بن سليمان
 الأخفش عن ثعلب عن محمد بن سلام قال قال أبو العراف بعث عبد العزيز بن
 مروان إلى جرير بمال من الشام فتعجز يريد فأتاه نعبه فقال جرير يرثيه :
 بنفسى امرأً والشام يفي وبينه أتني يشرى برده ورسائله
 قال أبو أحمد قال أبو الحسن لا يجوز عندنا (إلا امرؤ) إلا أن الرواية
 هكذا ، معناه أفدى .

أتى زمن البيضاء بمدك فاتحى على العظم حتى ماتقوم حوافله
 فيومان من عبد العزيز تفاضلا في أي يوميه تلوم عواذله
 فيوم تحيط المسلمين جواده ويوم عطاء ما يفرح نائله
 ومن المديح البارع قول إبراهيم بن العباس :
 أسد ضار إذا هيجته وأب بر إذا ما قدرا
 يعلم الأبعد إن أثرى ولا يعلم الأدنى إذا ما افتقرا
 ومن بليغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد في جملة خبر أخبرناه عن أبيه عن أحمد
 ابن أبي طاهر النديم عن عبد الله بن السري عن أحمد بن سليمان قال قال عبد الله
 ابن زيد القسري كنت قائماً على رأس ابن هبيرة وعنده مماطان من وجوه الناس
 إذ أقبل شاب لم أر مثل جماله وكأله فقال أصلح الله الأمير إني امرؤ قدحت كربة
 وأوحشته غربة ونأت به الدار وأقلته الأعمار وحل به عظيم خنله أخلاؤه وثمت
 به أعداؤه فناه القريب وأسله البعيد فتمت مقاماً لا أرى فيه معولا ولا جازي
 نعمه إلا رجاء الله تعالى وحسن عائدة الأمير وأنا أصلح الله الأمير ممن لا تجهل

(١) العراقان : السكوة والبصرة ، وعراق العرب وعراق العجم . كما في

جنى الجنيتين في تمييز نوعي الثنين للمحيي .

أسرته ولا تضيع حرمة فان رأى الأمير أن يسد خلقى ويجبر خصاصتى فعل فقال
ابن هبيرة ممن الزجل ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

فزاره بيتُ المجد والمز فيهم فزاره قيسٌ حسب قيس فبالها
لها العزة القمصاء والشرف الذى بناء قيس في القديم رجاً لها
و هل أحدٌ ان مد يوماً بأفنه إلى الشمس في جوف السماء ينالها
لهيات ما عجا القرون التى مضت ما تر قيس واعتلاها خصالها

فقال ابن هبيرة إن هذا الأديب حسن مع ما أرى من جذائفة حسنك فكم
أنت لك ؟ قال تسع وعشرين - فلحن الفتى - فبسم ابن هبيرة كالشامت به وقال
ألمن أيضاً مع جميل ما أتى عليه منطقتك ، شفته بأقبح عيب ^(١) فأبصر الفتى ما وقع
فيه فقال إن الأمير أصاحه الله تعالى عظم فى عبنى وملأت هيته صدرى فنطق
لسانى بما لا يعرفه قلبي . فقال له ابن هبيرة : وما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم
بها أوده ويحضر بها أسلطانه ويزين بها مشهده ويتبوأ بها على خصمه أو يرضى أحدكم
أن يكون لسانه مثل لسان مملوكه وأكلاره ^(٢) وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم
فان كن سبقتك لسانك وإلا فاستعن على اصلاحه ببعض ما أوصلناه اليك ولا
يستحي أحدكم من التعلم فانه لولا هذا اللسان لكان الانسان كالبهيمة المهمة
قاتل الله الشاعر حيث يقول :

ألم تر مفتاح الفؤاد لسانه إذا هو أبدى ما يقول من الفم
وكلن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه فى التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

ومن بارع المديح :

إلى منك موعودٌ طلبت نجاحه وأنت امرؤٌ لا تخلف ^(٣) الدهر موعدا
وعودتى ان لا تزال تُظلى يدٌ منك قد قدمت من قبلها يدا

(١) كذا والمعنى ظاهر . (٢) الاكلر : الحراث . (٣) فى الأصل « يخلف » .

فلو أن مجدداً أوندى أو فضيلةً تغلداً شيئاً كنت أنت المجلداً
ومن بليغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي عن أبي العبيد عن
الأصمعي للصوت الكلابي وقال مرة للصوت الكلابية امرأة :

لله ذررك أي جنة خائف ومتاع دنيا أنت في الحديثان
متخبط يظأ الرحال غلبة^(١) وطأ الفتيق^(٢) دوارح القردان
وتفرج الباب الشديد وتاجبه حتى يكون كأنه بابان
وتبعه أبو تمام فقال في ابن أبي داود :

قلبك الأحساب أي حياة وحيا أزمة زحمة واد
طاق معتق من اللوم^(٣) إلا من مقاساة مغرم أو نجاد
ومن أجود ما قيل في صفة الكمال قول كشاجم :

ومذهب الألفاظ منطقته مافيه من خطل ولا ميين
ماشتت من ظرف ومن شيم مافي محاسنهن من شين
ما كان أحوج ذا الكمال اني عيب يوقيه من العين
قد أحسن وظرف ولم يقصر في تقليل الخز واصابة الفصل . ومثله قوله :
يا كامل الآداب منفرد العلا والمكرمات وبيا كثير الحاسد
شخص الانام الى كمالك فاستعد من شر أعينهم بسبب واحد
وقال ابن الرومي يمدح بعض النبال وقد نكب :

لا يستطيعك بالتقص حادث وأبي لك التكميل أن تزيدا
وكأنني بك قد نحوت محمد في الثائبات كما دعوت محمدا
ذمت كالسيف الحسام مجرداً للحق أو مثل الهلال مجدداً

(١) الغلبة : القهار الغلاب . والغلبة بضم الغين بمعنى الغلبة والقهر .

(٢) الفتيق : الفحل الم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب .

(٣) في ديوان أبي تمام « الهون » .

شهد النهار وكشفه غم الدجى ان الزمان مُبيضٌ ماسودا
 ومثله قول الآخر :
 فما كنت إلا السيف مُجَرَّدٌ في الوغي وأخذ في الهيجا وردَّ الى القمد
 ومن أبلغ المديح :
 بديته وفكرته سواءٌ إذا ما نابه الخطبُ الكبيرُ
 وصبر فيه لهم اتساعٌ إذا ضاقت من الهم الصدور
 ومن أبلغ المديح قول البحري :
 أخذوا النبوة والخلافة واشتوا بالمكرُماتِ كثيرها وقليلها
 وإذا قرشٌ فاضلك فضلتها بأبي خلافتها وهم رسولها
 وجوادها ابن جوادها وكريمها ابن كريمها ^(١) ونيلها ابن نيلها
 لو سارت الأيام في مساعدهم لتناها لتقطعت في طولها
 رفعتهم الآيات في تنزيلها وقضت لهم بالفضل في تأويلها
 وإذا انشعبت أخذت خير فروعها وإذا رجعت أخذت خير أصولها
 وقلت : لئن قلَّ أربابُ المكارم والعلا ليعجب كثيرٌ في العلا والمكارم
 يذكرني جود النائم جوده وشكرى له شكر الثرى للنام
 تخال به بدرًا مع الليل باهرًا يلوح على عرف من الليل فاحم
 يدب من الأيام والدمر منصف بعزم على الأيام والدمر حاكم
 يبرز من الانجاء كل مساور ويعلو من الامجاد كل مكارم
 بخلق كتن الصخر في كف لاس وطور كبرى الماء في عين حاتم
 ورأى كصدر الراغبة شارع وعزم كحد المشرفة صارم
 على بلدة يسقى الضراغم ماؤها ويسقي بها الالى دماء الضراغم
 ومن بارع المديح قول أبي تمام :

(١) في ديوان البحري «وشريفها ابن شريفها» مكان «وكريمها ابن كريمها» .

رأيت لعياش خلائف لم تكن له كرم لو كان في الماء لم يفيض
 أخو عزمت بذله بذل محسن يهوئك أن تلقاه في صدر محفل
 وماضيق أخطار البلاد أضائق وحنى ثياب المدح فاجر ذبولها
 وقد أحسن التنوخي في آيات له منها :

وغية من حير حمر الظبي بيض المطايا حين يسود الأمل
 شمس مجد في سموات علا وأمد موت بين غابات أسل
 وقلت : ما المجد إلا سماء أنت كوكبها والجود إلا غمام أنت سلسله
 فكل سابق قوم أنت سابقه وكل قاضل حزب أنت تفضله
 بالقد تحكمه والأمر تديره والعرض تمنعه والمال تبذله

وللمحدثين آيات بارعة سائرة في المديح منها قول أبي تمام :

أيامنا مصقولة أطرافها بك والليالي كلها أسحار
 مأخوذ من قول عبد الملك بن صالح حدثنا أبو أحمد أخبرنا الصولي حدثنا شيخ
 ابن حاتم العسكلي حدثنا يعقوب بن جعفر قال لما دخل الرشيد منبج قال لعبد
 الملك أهذا البلد منزلك قال هو لك ولي بك قال كيف بناؤك فيه قال دون منازل
 أهلى وفوق منازل غيرهم قال فكيف صفة مدينتك هذه قال هي عذبة الماء باردة
 الهواء قليلة الأتواء قال كيف ليلىها قال سحر كله قال صدقت إنها لطيفة قال لك
 طابت وبك كلت واين بها عن الطيب وهي تربة حمراء وسنبلة صفراء وشجرة
 خضراء فياف فيح بين قيصوم وشيخ . فقال الرشيد لجعفر بن يحيى هذا الكلام
 أحسن من الدر المنظوم فأخذه ابن المعتز فقال :

يارب ليل سحر كله متضج البدر عليل النسيم

تلتقط الأنفاسُ بردَ الندى فيه فتهديه لنارِ الهموم
وقال ابن الرومي * كأن أيامهن كالسكر * وقلت :
أيامنا في جواره بكرٌ وليلنا في فئائه سحر
ومنها قول أبي نواس :

أنت الخصبُ وهذه مصرُ قدقنا فكلّا كما بهر
وقوله : وليس على الله بمستنكرٍ أن يجمعَ العالمَ في واحد
وقوله : فني يشتري حسنَ الثناءِ بماله ويعلمُ أن الدائراتِ تدورُ
فما جازه جودٌ ولا حل دونه ولكن بصيرُ الجودِ حيثُ بصير
وقول أبي الناهية :

أنته الخلافةُ منقادة إليه تَجِرُّ أذيالها
ولم تك تصلحُ إلا له ولم يك يصلحُ إلا لها
ولو رامها أحدٌ غيره لزلت الأرضُ زلزالها
وقول مسلم إلا أنه مرثية :

وإني واسمعا جيل يومٍ وقته لكانت يوم الروع فارقة النصل
فان أغش قومًا بعده أو أزورهم فكألو حش يدنيه من الأتس المحل
الأنس جمع مثل خدم . وقول بعض الأعراب في معن بن زائدة :
أنت الجواد ومنك الجودُ أوله فان فُقدت فما جودٌ لموجود
أضحت يمينك من جودٍ مصورة لا بل يمينك منها صورةُ الجود
من نور وجهك تضحى الأرض مشرقة ومن تنائك يجري الماء في العود
وقول البحتري :

وقد قلتُ للمعلّى إلى المجد طرقة دج المجد فافتحُ بنُ خاقان شاغله
صفت مثل ما تصفو المدامُ خلاله ورقّت كما رق النسيمُ شمائله
والعرب تتمدح بطول القامة فمن أجود ما قيل فيه قول أبي تمام :

أناس^(١) إذا يدعي ترال إلى الوغى
 من المطربين الأولى ليس ينبغي
 جعلت نظام المكررات فلم تدرو
 إذا افتخرت يوماً ربيعة أقبلت
 ومن أجود ما قيل في قدم الشرف ووضوح التسبب قول أبي تمام :
 نسب^٢ كأن عليه من شمس الضحى
 عمران لا يكبو دليل^٣ من عى
 شرف على أولى الزمان وإنما
 لو لم تكن من نعة نجدية
 فطر أبوك أبو أهلة وابل
 ورثوا الأبوّة والحظوظ فأصبحوا
 أكفأة تلد^٤ الرجال وإنما
 أخذه السرى فقال في المهلبى :
 نسب^٥ أضاء عمود^٦ في رفعه
 وثمائل^٧ شهد العدو بفضلها
 وهذا من قول البحترى :
 لا أدعى لأبى العلاء فضيلة^٨
 وقلت : قد نلت بالرأى والتميز منزلة^٩
 وبالتكرم والافضال مرتبة^{١٠}
 قالوا أيمطر من محل ألم^{١١} به
 مال يسدده في جمع مكرمة^{١٢}
 كروضة أخذت بالفيث زخر^{١٣} فيها
 رأيتهم^{١٤} رجل^{١٥} فكانهم ركب^{١٦}
 بغيرهم^{١٧} للدهر ضرف^{١٨} ولا كرب^{١٩}
 رجا سودد^{٢٠} إلا وأنت لها قطب
 مجتنبى مجد وأنت لها قلب
 نوراً ومن قلق الصباح همودا
 فيه ولا يبتى عليه شهودا
 خلق^{٢١} المناسب ما يكون جديدا
 علوية لظننت^{٢٢} عودك^{٢٣} هودا
 ملا البسيطة عدة وعديدا
 جموا جدوداً في العلاء وجدودا
 ولد الختوف أسوداً وأسودا
 كالصبح فيه ترفع^{٢٤} وضياء^{٢٥}
 والفضل^{٢٦} ما شهدت به الأعداء
 حتى يسلمها إليه عديداً^{٢٧}
 ما نالها أخواك البحر والمطر^{٢٨}
 لم يعطها خادماك السيف والقد^{٢٩}
 فقلت قد تمطر الأنهار والغدر^{٣٠}
 فالجدر^{٣١} مجتم^{٣٢} والماء منتشر^{٣٣}
 فالروض منتظم^{٣٤} والفيث منتشر^{٣٥}

(١) في ديوان البحترى «كأذا» . (٢) في نسخة «لرب» وهي الشدائد .

مناقب^١ ما يكاد الدهر^٢ يهملها
فأبشر فانك رأس^٣ واله لا جسد
لولاك لم تك للأيام منقبة^٤
وقلت : هل أنت إلا البدر تم تمامه
والسيف^٥ أدهف^٦ للمضاء^٧ غراره
أنت الريح^٨ الفض^٩ رق^{١٠} نسيمه
خلق كنشر^{١١} الروض^{١٢} ظل نباته
للأولياء^{١٣} رخاؤه ورخاؤه
يامن أدل على الزمان زمانه
يدنو فيغمر^{١٤} كل^{١٥} شيء فضله
ما ان يزال من المآثر^{١٦} والملا
حال تسور^{١٧} فوق قمة سؤدد
يبدو فيبدي الصبح^{١٨} غرة وجهه
سبق الجياد^{١٩} فما يشق^{٢٠} غبارُه
ولئن أبر^{٢١} على الحسام عزيمة^{٢٢}
وكأنما أقلامه أسيافه^{٢٣}
ما المجد إلا العقد جودك شذره^(١)
والجود^{٢٤} في يدك اليمين عنانه^{٢٥}
ما زال قوتك في اللواء^{٢٦} موليا
فاعمر^{٢٧} على زمن أفر محجبل
وقال آخر وأحسن :

(١) الشذر : قطع من الذهب تلتقط من معدنه بلا إذابة ، أو خرز يفصل
بها النظم ، أو هو اللؤلؤ الصغار - كما في القاموس .

كم صغروا منهم والله يكلوهم
وقال أبو يعقوب الخزيمي :

قلو لم يكن إلا بنفسك فخرها
جريت على مهل فأنسبت من جرى
ويستدل دنياه ويمنع دينه
وقلت : وقفت على يحيى رجائي وأنا
إذا ما الليالي أدركت ماسحت له
إذا غاب جاء المزن في الجود سابقا
إذا النيث براه ثنى النيث مقصرا
فتى لم تزنه بالتوافق وإنما
من الغر لآحوا أشمسا ومضوا غلي
رأيت جمال الدهر فيك مجددا
وقلت : في فية أخلاقهم وفصالهم
حل السرور حياهم في مجلس
فهم إذا نظروا الصديق كواكب
لوقيل تلف الجياد يمثليها
فالليل منهم شامس والصبح منهم دامس^١ والدهر منهم وارس
وأظن ابن الرومي سبق إلى معنى قوله :

نفائس ماله أدناه مجنى من الأيدي جميعا والأمانى
كذلك فوارض الثمرات تدنو بجانبها فمنكن كل جاني

وأخبرنا أبو أحمد عن النيشي عن المبرد قال أتى شاعر أبا البختري وهب
ابن وهب وكان من أجود قریش كن إذا سمع المادح له ضحك وسرى السرور
بجوانحه وأعطى وزاد فأنشده هذا الشاعر :

لكل أخى فضل نصيب من العلا ورأس العلا طراً عقيد الندى وهب
وما ضرَّ وهباً عيب من جعد الندى كالا يضر البدر ينبحه الكلب
فتنى له الوسادة وهش إليه ورفله وحمله وأضافه فلما أراد الرحيل وهو أشد
خلق الله اغتباطاً لم يخدمه أحد من غلمان أبى البختري ولا عقب له ولا حل فانكر
ذلك مع جميل ما فعل به فعاتب بعضهم فقال إنما نعين النازل على الإقامة ولا نعين
المرتحل على الفراق فبلغ ذلك جليلاً من القرشين فقال والله لفعل هؤلاء العبيد
أحسن من وفد سيدهم .

ومن بليغ المعاني في المديح قول ابن الرومي :

لما من طائر لك يا ابن يحيى يموت الكاشحون وأنت تمها
على أن الممات لكل حي وقبت به من الحدثان محيا
وقال خفف بن خليفة :

ان استجهلوا لم يغرب الحلم عنهم وإن آثروا أن يجهلوا عظم الجهل
هم الجبل الأعلى إذا ماتنا كرت ملوك الرجال أو تخاطرت النزل
مواعيدهم فعل إذا ماتكموا بتلك التي أن مميت وجب الفعل
ألم تر أن القتل غال إذا رضوا وإن غضبوا في موطن رخص القتل
وقلت : لقد علمت يحيى موافية العلا فضائل آباء تلها فضائله
فحاز طريف الجدير بعد تليده رفيع يطول النجم حين يطاوله
فتى غرة الأيام حسن صنيعه وتيجانها أخلاقه وشمائله
وما هو إلا المزن تصفو خلاله ويملو مبهواه ويكره هاطله

﴿ الفصل الثاني من الباب الأول في الاقتحار ﴾

قلوا أنفر بيت قائله العرب قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
وقالوا قال عبد الملك بن مروان للفرزدق وجرير والأشطل من أتاني منكم
بصدر هذا البيت « والعود أحد » فله عشرة آلاف درهم فما كان فيهم مجيب
فأدخل أعرابي من عنرة إليه فأنشده :

فان كان مني ما كرهت فاني أعود لما تهواه والعود أحد
فقال عبد الملك أحسنت ولكن لم تصب ما أردت فأنشد :
جزينا بنو شيبان قدما بفعلهم وعُدنا بمثل البدء والعود أحد
قال لم تصب ما أردت فأنشد :

وأحسن عمرو في الذي كان بيننا فان عاد بالاحسان فالعود أحد
فقال هذا طلبت . ثم قال أخبرني عن أهجى بيت قائله العرب قال قول جرير :
فغض الطرف انك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا
ولو وضعت قتاح بنو تميم على خبث الحديد إذا لذابا
قال فأخبرني عن أمدح بيت قائله العرب قال قول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح
قال فما أنفر بيت قائله العرب قال قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
قال فما أغزل بيت قائله العرب قال قول جرير :

ان العيون التي في طرفها مرض ^(١) قتلنا ثم لم ينجين قتلانا
يصر عن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضغاث خلق الله أركاناً ^(٢)

(١) وفي رواية « حور » . (٢) في هامش النسخ « انسانا » إشارة للنسخة .

قال فما أحسن بيت قيل ؟ قال قول جرير :

وطوى الطراد مع القياد بطونها على التجار بحضرموت برودا

قال فما أقبح بيت قيل ؟ قال قول جرير :

ألم ترَ أنَّ جِعْثَنَ وَسَطًا سَعْدٌ تُسَمَّى بَعْدَ قِضَتِهَا الرِّحَابُ ^(١)

ترى برصاً بأسفل ^(٢) إسكتياً كمنقعة الفرزدق حين شابا

قال فما أهجن بيت قيل قال قول جرير :

طرقك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فلججي بسلام

قال فهل تعرف جريراً ؟ قال لا ولكن ترد علينا أقاويل الشعراء فلم أر شعراً

أرق في الوزن ولا أملاً للفم من شعره فقام جرير فقبل رأسه وجعل جائزته في

هذا العام له وأضاف عبد الملك إليها مثلاً وكتب إلى عامله باليمامة أن ينصف

من خصم تظلم منه .

وقد قال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير :

بدأتم فأحستم فأنيتُ جاهداً وإن عدتمُ أنيتُ والعودُ أحسن ^(٣)

وقال ابن المعتز أوفيره :

خليلى قد طاب الشرابُ المبردُ وقد عدتُ بعد التسلُّ والعودُ أحد

وقال ابن حبيب دخل رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان فقال له

ممن الرجل ؟ قال من الذين قال لهم الشاعر :

إذا غضبتُ عليك بنو تميم حسبتُ الناس كلهم غضابا

قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

يزيد بنو سعد على عدد الحصى وأثقل من وزن الجبال حلومها

قال فمن أيها أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :

(١) سقط من النسخ بعض كلمات فاستدر كناها من النقائص .

(٢) في النقائص (بجمع) مكان (بأسفل) . (٣) لعله «أحد» .

ثياب بني عوف طهاري نقيه وأوجههم عند المشاهد غران
قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :
فلا وأبيك ما ظلمت قريح بأن يبنوا المكارم حيث شاؤا
قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :
قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا
قال اجلس لاجلس والله لقد خفت أن تفخر على .
وقالوا أفخر بيت قالته العرب قول الفرزدق :
تري الناس ما سرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
ورواه لنا أبو علي بن أبي حفص «أربأنا» قال والارباء الإشارة إلى خلف
والإيماء إلى قدام، والناس يجعلون هذا البيت لجيل في قصيدته التي يقول فيها :
وكانت حميد الأسد عنا تخافة فهل يقتلي ذو بنان بطرف
لقد أخلفت ظني وكانت غيلة وكم من مخيل يرتجي ثم يخلف
إذا اتعب الأقدام مجداً قاننا لنا مغرماً مجد والناس مغر
وضمنا لهم صاع القصاص رهينة بما سوف تنوفه إذا الناس طفقوا
تري الناس ما سرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
وكان جيل جيد الافتخار قال :

والشاعر المبتلى الشاعرون به كي يلمسوه ^(١) وأين اللمس من زحل
وعند الناس قصيدته الفائية أحسن وأسلم من قصيدة الفرزدق . وأخذ بعضهم
قوله * وكم من مخيل يرتجي ثم يخلف * فقال وأحسن :

ظننت به ظناً فقصر دونه فيارب مظنون به الخير يخلف
وما الناس بالناس الذين عرفهم وما الدار بالدار التي كنت أعرف
وما كل من تهواه يهواك قلبه وما كل من أنصفته لك منصف

(١) في الأصل « يلمس » .

أخبرنا أبو أحمد عن البرمان عن أبي جعفر بن العسى عن العسى قال من
أحسن ممدح به الرجل نفسه قول أعشى ربيعة :

وما أنا في نفسي ولا في عشيرتي بمنهضم حتى ولا قارع سني
ولا مسلم مولاي عند جنابة ولا خائف مولاي من شر ما أجنبي
وإن فتادى بين جنبي طام بما أبصرت عيني وما سمعت أذني
وفضلي في الشعر واللب أني أقول على غيل وأعلم ما أغني
فأصبحت إذ فضلت مروان وابنه على الناس قد فضلت خير أبوابين

وأنشدنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي قال وهو من أجود
ما مدح به الرجل نفسه ، قال أبو هلال وهو لمسكين الدارمي :

ورب أمور قد برت لحالها وقومت من أصلابها ثم رشتها
أقيم بدار الحزم ما لم آهن بها فان خفت من دار هوانا تركتها
وأصلح جل المال حتى حسبتني بخيلاً وإن حق عراني أهنتها
ولست بولاج البيوت لفاقة ولكن إذا استغنيت عنها ولجتها
إذا قصرت أيدي الكرام عن العلا مددت لها باعاً طويلاً فنتتها
وعوراء من قيل امرئ ذي عداوة تصامت عنها بعد أن قد سمعتها
رجاء غداً أن يعطف الود بيننا ومظلمة متى بجني عركتها
غيره : ومالي وجه في اللثام ولا يد ولكن وجهي في الكرام عريض
أصبح^(١) إذا لاقيتهم وكأني إذا أنا لاقيت اللثام مريض
وقلت في معناه :

وخل الجهول وبغضى له فاني ليب أحب اللييا
بصادقني الضيف طلقاً ضحوكا وإن كنت لم أر بدعاً عجييا
وأستعمل الحلم ما لم أكن أصبت من اللثام فيه نصيبا

(١) في الأصل « أصبح » وهو تصحيف لقائلة في كثرة التنبيه على مثله .

من الحلم ضربٌ إذا رُمته لقيت من الثل فيه ضروباً
وأنشدنا أبو أحمد قول أبي هذان * فان تسألني عنا فانا حلي العلا * ثم قال
ليس لقوله * فانا حلي العلا * نظير ، وأنشدنا له :

لعمري لئن بيعت في دار غربية ثيابي^(١) إذ ضاقت على الماكل
فما أنا إلا السيف يأكل جفنه له حلبة من نفسه وهو عاقل
وقد زاد في هذا البيت على النمر بن تولب في قوله وهو أول من آتى بهذا المعنى :
فان تلك أثوابي تمزق عن بلي فاني كمثل السيف في خلق القمد
ولا أبي هذان أيضاً :

تمجبت دُرٌّ من شبي قُلتُ لها لا تهجي من يياض الصبح في السدف
وزادها عجباً أن رحت في سَمَلٍ^(٢) ومادرت دُرٌّ أن الدر في الصدف
فرايت في هذا المعنى تكلفاً قُلت :

غيرتني إن رحت في سَمَلٍ والدر لا ترى به الصدف

وله أيضاً في هذا المعنى :

يُبرني عري رجالٌ سفاهةً فزيتُ نفسي مصدراً ثم مورداً
بأني مثل السيف أحسن ما يرى وأهيب ما يُلقى إذا هو مُجردا
في الفاظه فضول لا يحتاج إليها . ومثله في المعنى قول علي بن الجهم أورده
في مصراع وهو * والسيف أهيب ما يرى مملولا *

ولا أعرف في الاختصار أحسن مما أنشده أبو تمام :

قل زهير إن شمت سرائنا فلسنا بشتامين * للشم
ولسكننا نأبي الظلام ونتمنى بكل رقيق الشفرتين مصمم
وتجهل أيدينا ويحلم رأينا ونشم بالأفكال لا بالتكلم
هذا أحسن من كل شيء في الاختصار ، وقريب من هذا المعنى قول

(١) في النسخ « ثيابي إذا » . (٢) محل الثوب مملولاً : أخلق فهو ثوب سمل .

لقبط بن ذرارة :

أغرّمُ أتي بأحسنِ شيمةٍ بصيرٌ وآتى بالفواحشِ أخرق
وانك قد سايئتنا فقلبتنا هنيئاً مريئاً أنت بالفحشِ أخلق
أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة قال يروى أنه قيل
للفردق أي بيت قاله الشعراء أفخر ؟ قال قول امرئ القيس :

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاً ولم أطلب قليل من المال
ولكنني أسعى لمجدٍ مؤثّل وقد يترك المجد المؤثّل أمثالي
قيل له فأيها أحكم قال قوله :

اللهُ أتجحُّ ما طلبتَ به والبرُّ خيرٌ حَقِيقةِ الرجل
قال فأيها أرق قال قوله :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربني بسهميك في أعشار قلبٍ مقتل
قال فأيها أحسن قال قوله :

كان قلوبَ الطيرِ رطباً وبأساً لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالي
وقالوا أفخر بيت قاله العرب قول كعب بن مالك الأنصاري :
وبيئِر بدرٍ اذ برُدُّ وجوهكم جبريلٌ تحتَ لوائنا ومحمد
ومن بليغ^(١) الاختصار قول الحجاج :

صبرت سليمٌ للطعانِ ومامرٌ وإذا جَزِئنا لم نجد من يصبرُ
نحن الذين إذا علوا لم يضجروا يومَ اللقاء وإذا علوا لم ينفخروا
وقال ضمرة بن ضمرة :

أذيقُ الصديقَ رأفتي واحاطتي وقد يشتكي مني العداةُ الأبعدُ
وذى تِرّةٍ أوجعتهُ وسبقته فقصر عني سعيه وهو جاهدُ
(قصر وهو جاهد) بليغ جداً ، ومنه أخذ المحدثون .

ومن جيد الافتحار بالجود وطيب النفس به قول بعض العرب :
 تُسألني هوازنُ أينَ مالي ومالي غير ما أفقتُ مال
 فقلتُ لها هوازنُ إنَّ مالي أضربُ به الملماتُ الثقال
 أضرب به نَعَمَ ونَعَمَ قديماً على ما كن من مال وبالُ
 المعنى حسن جداً ، وفي الألفاظ تكرير شائن .

أبلغ ما افتخر به في كثرة العدد قول الأول :
 ما تطلعُ الشمسُ إلا عند أولنا ولا تغيبُ إلا عند آخرنا
 وقول أبي جندب :

قلو نَزادَ ألفَ ألفٍ لم تزد ولو قُتدنا مثلهم لم نفتقد
 وهو من أبيات أخبرنا بها أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن عمه
 عن أبيه عن ابن الكلبي ، وأخبرنا به غيره فأوردنا أجود اللفظين وأصح الروايتين
 قال بلغني أن عبد الرحمن بن حسان كان يخبر عن أبيه قال خرجت حاجاً في الجاهلية
 فإذا أنا بشاب حسن العينين وضياء وبشيخ يسأله قال فسبه الفتى ثم إن الشيخ
 غيره بأن أمه من بني الأصفر فخزي الفتى فبلغ ذلك أمه فأقبلت ترقل أرقال الناقة
 الصعبة حتى أخذت بمنكبى الشيخ وهزته وقالت :

سائلٌ وخلٌّ في إِيادِ بنِ معدٍّ هل كانتِ الرومُ عبيداً لأحد
 همُ الرِّيعُ والسَّنامُ المعتمدُ والذُّرَّةُ العلياءُ والركنُ الأشد
 وأنتَ حرْمىٌ لثيمٌ المستندُ مُعْصاةُ اللُّؤمِ التي فيها نلد
 فسألت عن الشيخ فقيل المغيرة بن عبد الله الحزومي وسألت عن الشاب فقيل
 بركة بن نوفل ، ثم مررت من فوري حتى آتيت منى فإذا رجل على جمل عظيم لا يمر
 بقوم إلا هبجهم لأنه مربا لأوس والخزرج فهجهم لاهجوته فنظر إلى قباب بيض
 في شرق الجبال فقال لمن هذه فقيل لقرد بن تميم من هذيل فأما وقال :
 هل ههنا من ولد قرد من أحد أعطيهم من رجزى اليوم وغد

نخرج أبو جندب وهو يقول :

نعم غلامٌ منهم جلدٌ عند
بنفون من وقع المعنى والقصد
واين مُهذِلٌ وابنُ أشياخٍ معد
فلو نَزَّادُ ألفَ ألفٍ لم تزد
أني وربُّ الراقصاتِ في السند
أني لئن اليوم وذو أمسٍ وغد
ثم لنهم ولنهم العدد
ولو قدسنا مثاهم لم نفتقد
فارجع إلى معزك تيساً ذاجيد
أوفى على رأسٍ يقاع فصيح
قال فخلفت أني لا أهبو أحداً مادام أبو جندب حياً .

والعرب تفتخر بكثرة العدد وتذم قلته قال الأخطل * الأكثرين حمى
والأطيبين ترى * واحتج السؤال لقلة العدد فأحسن :

نميرنا أنا قليلٌ عديدنا
قللت لها إن الكرامَ قليلٌ
وما قلٌ من كانت بقاياهُ مثلنا
شبابٌ تسمى للعلا وكهولٌ
وما ضرنا أنا قليلٌ وجارنا
عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليلٌ
وهذه قصيدة في الافتخار ليس لها نظير وإنما تركت إيرادها كلها شهرتها .
ومن أجود ما افتخر به محدث قول أبي تمام :

لنا جواهرٌ لو خالطَ الأرض أصبحت
وبطناتها منه وظهراتها تبرزُ
مقاماتنا وقفٌ على الحليم والحجا
وأمردنا كهلٌ وأشبنا حبرٌ
إذا زينة الدنيا من المالِ أعرضت
فأزينُ منها عندنا الحمدُ والشكرُ
ليفتخر بجود من أرادَ فاته
هوانٌ لهذا الخلق وهو لنا بكرُ
جری حاتمٌ في حلبة منه لو جرى
بها القطرُ يوماً قيلَ أيهما القطرُ
فتى دخر الدنيا أناسٌ ولم يزل
لها باذلاً فانظر لمن بقى الذخرُ
ومنها : كاةٌ إذا طل الكاةُ لدى الوغى
بنخيلٍ لزيد الخيل فيها فوارسٌ
وأرماحهم مُجرٌ وألوانهم صفرُ
طوى بطنها الآساد حتى لوانه
إذا نطقوا في مسهب خرس الدهر
بدالك ما شككت في أنه ظهر

صبيته ما أن تَحْتُ نفسها
 فإن ذَمَّتِ الأعداءُ سوءَ صباحها
 مناعِ بضل الشعر في طرق وصفها
 وقوله : منضوا وكان المكرمات لديهم
 بهاليل لو طابتَ فيضَ أكفهم
 وأي يد في المجدِ مُدَّتْ فلم تكن
 أصارت لهم أرضَ العدوِّ قطائما
 إذا ما أغاروا قاحتوا مالَ معشر
 فيعطى الذي يعطيهم الجود والقنا
 يمدون بالبيض القواطع أيديا

وقلنا نجد في الافتخار شعراً يداني هاتين القطعتين . وقلت :

خليلي "باع" الدهر بالعرف ضيق"
 وواقع فعياه عن الحرِّ طائر
 متى ما يصبني بالقوارع طرفه
 وهما تُمثلي للخطوب جواب
 تريك إشـتعالاً بالنجوم طوالاً
 وتزري على البيض الطوال ان مضت
 تخافني الأيام فهي تخفي
 ولو كن في عيني لما قذيت بها
 أتطلع منها في ديارى طوالع
 يقارعُ مني بأسلاً ذا حفيظة
 فتى بآتم الفضل ليس بقانع
 فما صحبتته للأنام صنيعه
 على كل ذي عقل وبالنكر واسع
 وطائر بلواه على الحر واقع
 أصابه همتي وهن قوارع
 كما أنهن مثلى للخطوب دوافع
 وهن إذا لاحت نجوم طوالع
 وهن على العلات يفض قواطع
 وللنكر تهديد إذا ريع رائع
 فكيف ترى أنى إذا صلت خاشع
 بسوء وهمتي عليها طلائع
 يقوم أزاء النصر حين يقارع
 ولكن بأدنى بلغة العيش قانع
 ويصحبهم منه وفيه صنائع

ولم يتواضع في مصاداة منة
له شرف في آل عباس باذخ^١
إلى أن قلت: تؤدبه الأيام حين تضره
وما ضاع مثلي حيث حلت ركابه^٢
ومثلي مخضوع له غير أنه
ومثلي متبوع على كل حالة
وقال ديك الجن^(١) يفتخر بكلب:

كلب قبلي وكلب خير من ولدت
وعيرتنا وما انت طل را؟
غلاة موة والاشراك مكتهل^٣
ان تعبى لدم منا هريق بها
أقعد وقم طاماً انت لو تطوقها
أقام حصن عليهم حصن مكرمة
إذا غدت خيلهم تستنجد المظي؟
كم عرضوا أيدياً يضاً مكرمة
أسديرون الردى المفضي بأنفسهم
وقال الجاني:

ونحن سننا الصبر في كل موطن
وقال: بنا يستشار العز عن مستقره
وقال ابن المعتز:

فقرى قتي وشبابي كل
وكل فضل لي عليه فضل
أشكى لجودي حين يشكى البخل

(١) هو عبد السلام بن رغبان الكلبي، من الشعراء المجيدين في العصر العباسي.

وقرأت لقابوس بن وهيمكير^(١) الخبلى^(٢) رسالة في الافتخار والعتاب ليس لها نظير في علوها وإفراطها وهي : الانسان خلق ألوفا وطبع عطوفا فسابال الاصبهذ لا يحيل عوده ولا يرجى عوده ولا يتخال لغيته غيلة ولا يتحال عن تنكره محيلة أمن صخر تدمر قلبه فليس بليته العتاب أم من الحديد جانبه فلا يميله الاعتاب أخلق^(٣) من صفاقة الدهر حجير^(٤) بنوه فقد نبا عليه غرب كل حجاج أو من قساوته إباء مزاج آبائه فقد أبى على كل علاج ما هذا الاختيار الذي يعد الوهم فيها وهذا التمييز الذي يحسب الجهل علما وهذا الرأي الذي يزين له قبح العقوق ويمقت اليه رفاة الحقوق وما هذا الاعراض الذي صار ضربة لازب والنسيان الذي أنساه كل واجب أين الطبع الذي هو الصدور صدود وللتألف ألوف ودود وأين الخلق الذي هو في وجه الدنيا البشرو في مبسمها الثنايا الثرو وأين الحياء الذي يجلى به الكرم وتحلى بمحاسنه الشيم كيف يزهد فيمن ملك عتنان الدهر فهو طوع قياده وتبع مراده ينتظر أمره ليمثل ويرتقب نهيه ليعتزل وكيف بهجر من نضاءلت الأرض تحت قدمه فصارت له في الاتقياد كعض خدمه إذا رأت منه هشاشة أعشبت وإن أحست منه بجفوة أجذبت وكيف يستغنى عن خيله العزمات والأوهام وأنصاره الليالى والايام من هرب منه أدركه بمكائدها ومن طلبه وجده في مراصدها وكيف يعرض عن تعرض رفاة العيش باعراضه وتنقبض الأرزاق بانقباضه وأضاء نجم الاقبال إذا أقبل وأهل هلال المجد إذا تهلل وكيف يزهى على من تحقر في عينه الدنيا وترى تحته السماء العليا وقد ركب عنق الفلك واستوى على ذات الحباك فتبرجت له البروج وتكوكبت لعبادته الكواكب واستجارت بعزته المجرة وآثرت لمحاسنه أوضاع الثريا بل كيف يهون من لو شاء عقد الهواء وجسم الهباء وفضل ترا كيب الاشياء وألف بين النار والماء وأخذ ضياء الشمس والقمر وكفاها عناء السير

(١) في النسخ (وشيمكير) . (٢) لعله (الجبلى) . وقابوس هو الملقب بشمس

المعالي الأمير الأديب المنشيء . (٣) أصلها مقبجة (٤) في نسخه « مجن » .

خاطري بل محوت ذكره من صفحة فؤادي وأعددت وده فيما سال به الوادي :
وفي الناس ان رئت حياك واصل وفي الارض عن دار القلي متحول
وفي بعض الفاظ هذه الرسالة تكلف إلا اني أوردتها لعلو معانيها .
وقال بعضهم :

ومن يفتقر منا يسأل حسامه ومن يفتقر من سائر الناس يسأل
وقال ابن المعتز (١) :

سألكم بالله ما تعلماني ولا تكتم شيئا فمندا خبري
أرفع نيران القرى لعفاتها وأصبر يوم الروع في ثغرة الثغري
وأسال نيل لا يُجَادُ بمثلها فيفتح بشري ويخضع عندي
ويارب يوم ما توارى نجومه مددت إلى المظلوم فيه يد النصر
وقال : وقمت إلى القوم الصفايا بمنصلي فصيرتها مجدآ لقومي وأحسابا

وأفشدنا أبو القاسم عن العدي عن أبي جعفر لعبد العزيز بن زرارة (٢) :
قد عشت في الدهر أطوارا على طرقي شقي فصادفت فيه اللين والقطما
لا يملأ الأمر صدري قبل موقعه ولا يضيق به ذرعي إذا وقما
كلأ لبست فلا النماء تطرني ولا تخشمت من لأواها جزعا
وسألني بعض أدباء البصرة فقال ما أدل بيت على عقل صاحبه وحزمه ؟ قلت
قول الأقبيل القيني :

إذا لم أجد بدا من الأمر خلتنى كأن الذي يأبى على يسير
فقال ما عدوت ما في نفسي . ومثله قول أبي التشناس :
على أي شيء يصعب الأمر قد ترى بينك ان لا بد أنك راسكه

(١) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسي ، أوقع بالشعر
ونيف فيه ، قتل سنة ٢٩٦ . (٢) هو القائد الشجاع في زمن معاوية ، قتل
في إحدى وقائع القسطنطينية فلما بلغ معاوية قال : هلك والله فتي العرب .

وفي الفاظ هذا البيت زيادة . وقلت في معناه :

علامَ تستصعبُ الأمرَ لا ترى منهُ بدا
بادر واخلُ الموبنا وجدَّ كما تجبدا
فلن تلاقى جدًّا حتى تلاقى كدا

ومن بليغ الافتخار بذلاقة اللسان قول جرير :

وليس لسيفي في العظام بقيةٌ ولا لسيفٍ أسرى وقع من لسانيا
وهي من قول حسان * ويبلغ ما يبلغ السيف مذودى *
وقلت : ولي لسانٌ إذا أطلقته عرضاً منى مساعيَ ضرغامٍ ومعبان
وقد نمتني أجمادٌ جحاجةٌ من نجل ماسان تزهو نجل ماسان
هم الكواكب في أطراف داجية أو العنان على أثباج أعنان
قومٌ إذا ما أتوا بالسوء ما اعتذروا ولا يمنون إن منوا باحسان
وقلت : من يكن صائلاً بمثل لسانى لم بضره أن لم يصل بسنان

وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال قلت لرجل من جذام وأكثر من وصف ملوك الخيرة : لو كنت هؤلاء الأنصار لم ترد فقال لئن كن هؤلاء القوم نصروا الدين لقد نصر أولئك الكرم ولئن كن هؤلاء خصوا بالاسلام لقد خص أولئك بالانعام ولئن حاز هؤلاء شرف اليوم وغداً لقد سبق لأولئك شرف هو باق على الأبد ولو علا فعل هؤلاء على الهواء لجارت مكارم أولئك أعنان السماء ومن يقرن بالبلد الخراب اليباب بلداً نحل به السحاب في كل غدي وما أب .

ومن جيد الافتخار قول مبشرين هذيل الشامي :

ألم تعلمي يا عمر ك الله أني كريمٌ على حين الكرام قليل
واني لا أخزي إذا قيل مملوكٌ جوادٌ وأخزي أن يقال بخيل
فان لم يكن عظمى طويلاً فاني له بالخصال الصالحات وصول
وإن أك قصداً في الرجال فاني إذا حل أمرٌ ساحتني الجليل

إذا كنت في قوم طوال فضلتهم
ولا خير في طول الجسوم وعرضها
ولم أر كالمعروف أمّا مذاقه
وقلت : غنّى غنى نفسى ومالى قناعتى
ونغرى إسلامى وذخرى أمانتى
ولى عزمات كالسيوف قواضيا
وتغشى صدور النائبات صدورها
ألا لا ينم الدهر من كان عاجزاً
فمن لم تبلغه الممالى نفسه
ولا أعرف فى افتخار الجاهلية أجود ولا أبلغ من قول عمرو بن كلثوم^(١) :
ونحنُ الحاكِونَ إذا اطمنا
ونحنُ التاركونَ لما سخطنا
ونحنُ المانفونَ إذا عصينا
ونحنُ الآخِثونَ لما رضينا

وقد أحسن إبراهيم بن المباس في قوله :

إمّا تربى أمامَ القوم متبماً
يوماً أنيخُ فلا أدعى على نسب
لا تسألِ القومَ عن حىّ صحبتهم
وقال : أميلُ مع الزمام على ابن عمى
أفرق بين معروف وبنى
فأما تلقى حرّاً مطاماً
وأقضى للصدى على الشقيق
وأجمع بين مالى والحقوق
فأنك واجدى عهد الصديق

وهذا من قوله الأول :

(١) فى الأصل « عمرو بن أم كلثوم » و « أم » مقحمة . وهو صاحب
الملقة المشهورة ، كان سيد تغلب وقارسها وشاعرهما وخطيبها ، مات قبل الاسلام
بنحو نصف قرن . (٢) فى الأصل « ورأى » .

وإني لعبدٌ الضيفِ مادامَ ثاوياً وما فيَّ إلا ذاك من شيمة العبدِ
وقال الآخر * وعبدٌ للصحابة غير عبدٍ * .

وسمعت بعض الشيوخ يقول أبلغ شيء قيل في الافتخار قول الآخر :

أَبْنَى حَنِيفَةٍ أَحْكَمُوا مُصْفَاءَ كَمْ إِنْى أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضِبَا

قوله * أخاف عليكم أن أغضب * بليغ في الوعيد وفي دلائل القدرة
على ما يسوؤهم ، قال أبو هلال هو لجرير فهدد فيه بالهجرة ولو كان لمن يتمكن من القتل
والأسر والتكابة لكان أفخر بيت قيل . وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دريد عن
عبد الرحمن عن عمه قال ذكر أعرابي قوما فقال : ما نالوا بأطراف أقاليمهم شيئاً إلا
وطئناه بأخامص أقدامنا وإن أقصى منام لا أدنى فمالنا . وقال أبو دلف للمعجل :

وكن على الدهر فارساً بطلا فأنما الدهر فارسٌ بطلٌ
لأبدٍ للخيل إن تحولَ بنا وانحلَّ أرحامنا التي نصلُ
فرّةً باللجين فنقلها ومرةً بالعماء تنقل
حتى ترى الموت تحت رايتنا نطفأ نيرانها وتشتعل

(الباب الثالث من الباب الأول في التهاني)

لم تكن من الأقسام التي كانت العرب تصوغ فيها شعراً وإنما كانت أقسام
الشعر في الجاهلية خمسة : المديح والهجاء والوصف والتشبيب والمرأى حتى زاد
الناطقة فيها قسماً سادساً وهو الاعتذار فأحسن فيه ولا أعرف أحداً من المحدثين
بلغ مبلغه فيه إلا البحترى فإنه قد أجاد القول في صنوفه وأحسن وأبلغ ولم ينر
لاحد مزيداً حتى قال بعضهم هو في هذا النوع النابغة الثاني . ولا أعرف للعرب

شيئاً ينسب^(١) الى التهماني ومهما جاء عنهم من شكلها شيء فهو عند العلماء معدود
في جملة المديح مثل قول أبي الصلت الثقفي يذكر سيف بن ذي يزن واتباعه بالفرس
ومحاربتهم بهم الحبشة حتى أزالهم عن أرضه وهو قوله بعد ذكر الفرس :

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتقاً في رأس غمدان دار منك محلاً
تلك المكارم لاقببان من لبن شيت بماء فعادت بعد أبو الـ^(٢)
أخذه بعض شعراء الجبل فقال في بعض رؤسائه :

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتقاً في شاذ مهروء غمدان لبين
فأنت أولى بتاج الملك تقصده من هوزة بن علي وابن ذي يزن
ولست أختار من التهماني بالأعياد على أبيات أشجع شيئاً :

لازلت مبشر أعياد وتطويها	تمضي بها لك أيام وتثنيها
مستقبلاً غرة ^(٣) الدنيا وبهجتها	أيامها لك نظم في لياليها
العبد والعبد والأيام بينهما	موصولة لك لا تقى وتثنيها
ولا تقضت بك الدنيا ولا بزحت	تطوى بك الدهر أياماً وتطويها
ليهنك النصر والأيام مقبلة	اليك بالفتح معقود نواصيها
أمست هرقة تدعي من جوانبها	وناصر الملك والاسلام مدميها
ابن الخليفة سيف لا يجرده	إلا الذي يملك الدنيا وما فيها
ما قارع الدين والدنيا عدوها	بمثل هارون راعيته وراعيا
وقلت : ما ليالي والأيام منقبة	غراء تسمو بها إلا مساعيك
ربي يتيك ماتهوى على فرح	كما يتيك ماتهوى ويعليكا
لألف فصل لهذا الفصل تبلغه	باليمين والخير تبليه ويشميك
ولا تزال لك الأيام موطاة	تمضي قضائك منها في أمانيك

(١) في الاصل « ينسب » . (٢) في الاصل « شييا بماء فعادت بعد أبو الـ » .

(٣) في النسخ « لغرة » .

ووجدت بخط أبي أحمد من أجود ما قيل في التهنئة بالنوروز قول هارون بن
علي بن محمد الحواري :

علي إذا الجود والمالي يامن الانعام والافضال
يامن به فيطت مخرى الآمال فحكم الآمال في الاموال
جود بلا من ولا اعتلال مبتدأ يغنى عن السؤال
قابله النوروز بالاقبال ونعم تأتي على اتصال
محروسة مأمونة الزوال شبهك في تصرف الاحوال
فليسله أزهر ذو اشتعال كأنه وجهك في الجمال
وصبحه بالمال ذو انهمال يحكي ندى كفك ذا الأسبال

جری بماء و جرت بمال

ومنها : قول غدا يوفي على الأقوال كمثل ما توفي على الرجال
فاشبهه الأجواد بالبخال وعدت^(١) مسروراً رضى البال
في نعمة ضافية الاذيال برز ذى العزة والجلال
وأخبرني بعض اصحابنا قال كتب أحمد بن أبي طاهر إلى إسماعيل بن
بليلى : أنا وإن كنت في عدد الحشم والاتباع الذين يخرجون من تفضيل
الخاصة ويرتفعون عن الدخول في جملة العامة فإني في وسط القلادة منهم
وبمكان من نظام نعمتك التي تجتمعهم وهذا يوم من أيام الملوك السادة الذين لم
تزل تجري لهم السنة^(٢) على عبيدهم وأصحابهم وقوادهم وكتائبهم بالاهداء اليهم
وقبول ما هدوه منهم ليعرف مكان التشريف في مرتبته من مكان المنحط عن منزلته
وموضع النعم من المنعم عليه في التقدم بقبول ما يهديه اليه وكل يهدي على قدر
بضاعته ورتبته ومقداره في نفسه وهمته وعلى حسب موضعه من سيده ومالكه
وما يحويه ملكه وتبافه مقدرته وكرهت أن أمسك عن البر فأخرج عن جملة

(١) في النسخ « عدت » بدون واو (٢) في النسخ مهمة من النقط .

العبيد والحشم وأهدى مائة مصر عن الواجب اللازم والحق المقترض فجعلت هبني مع
الثقة بعنرك والاعتماد على تفضيلك وصفحك أياتا اقتصرت فيها على الدعاء لك
والثناء عليك أسأل الله تعالى أن يقرنه بالاجابة فيك كما قرن مدحي لك بالتصديق فقلت:

أبا الصقر لازالت من الله نعمة تجددوها الأيام عندك والدهر
ولازالت الأعياد تمضي وتنتضي وتبقى لنا أيامك الغرر الزهر
فأنك . للديا جمال وزينة وإنك للأحرار دخر هو الدخر
رأيت الهدايا كلها دون قدره وليس شيء عند مقداره قدر
فلا فضل إلا وهو من فضل جوده ولا ير إلا دونه ذلك البر
فأهديت من حلى المديح جواهرأ منصلة يزهي بها النظم والنثر
مدائح تبقى بعد ما نفذ الدهر وتبهي بها الأيام ما اتصل العمر
شكرت لاسماعيل حسن بلائه وأفضل ما تجزي به النعم الشكر

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن هفان قال دخلت
على سعيد بن حميد في يوم نيروز وهو مستعد يكتب إلى اخوانه فقرأت عليه
كتابك وشعرك إلى أبي الصقر - يعني الكتاب والشعر الذي تقدم - فكتب وأنا
حاضر إلى الحسن بن مخلد : أيها السيد النجيب عشت أطول الاعمار في زيادة
من النعم موصولة بقرائنها من الشكر لا تقضى حق نعمة حتى تتجدد لك أخرى
ولا يمر بك يوم إلا كن موفياً على ما قبله مقصراً عما بعده قد تصفحت أحوال
الاتباع الذين يجب عليهم الهدايا إلى السادة في هذا اليوم والتمست التأمي بهم في
الاهداء اليك وإن قصرت الحال عن الواجب لك فرأيتني أن أهديت نفسي فهي
لك لاحظ فيها لغيرك ورميت بطرفي إلى كراحم مالي فوجدتها منك فكنت أن
أهديت شيئاً كهدي مالك اليك ولم يزد على أن نبه على نعمتك واقضى نفسه
بشكرك وفرغت إلى مودتي وشكري فوجدتها لك خالصتين قديمتين غير مستجدتين
وإني أن جعلتهما هديتي لم أجدد لهذا اليوم برأ ولا لطفاً ولم أفس منزلة شكري بمنزلة

من نعمتك إلا كان الشكر مقصراً عن الحق والنعمة زائدة على ما لم تبلغه الطاقة ولم أسلك^(١) سبيلاً ألتبس بها ما أعتد به في مجازاتك الاوجدت فضلك قد سبقني اليها فقدم لك الحق وأحرز لك سبق فجعلت الاعتراف بالتقصير عن حقك هدية اليك تفي ما يجب لك والعذر في المعجز عن برك برا أتوصل به اليك :

ان أهدى نفسي فهو مالكمها وله أصون كرائم الذخير
او أهدى مالاً فهو واهبه وأنا الحقيق عليه بالشكر
أو أهدى شكرى فهو ممرتهن^٢ بجميل فلك آخر الدهر
والشمس تستفى إذا طلعت أن تستفى بسنة البدر

ثم قرأه على فقلت أبا عثمان الساعة قرأت عليك لابن أبي طاهر هذه المعاني بأعيانها قال والساعة عملتها وليس بيننا حشمة . ولا أعرف لهاتين الرسالتين في هذا الباب نظيراً في رقة معانيها وحسن تخريجها ، ورسالة سعيد بن حميداً كثرهما معاني . وأول من افتتح المكتبة في التهانى بالنوروز والمهرجان أحمد بن يوسف أهدى إلى المأمون سبط ذهب فيه قطعة عود هندي في طوله وعرضه وكتب معها هذا يوم جرت فيه العادة بالطاف العبيد السادة وقد قلت :

على العبد حق^٣ فهو لاشك فاعله وإن عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدي إلى الله ماله^٤ وإن كان عنه ذاغى فهو قابله
ولو كان يهدى للقليل بقدره تقصر عمل البحر عنك وناهله
ولكننا نهدي إلى من نجله^٥ وإن لم يكن في وسعنا ما يشا كله

فأخذ سعيد بن حميد هذه المعاني وكتب إلى ابن صالح بن يزيداد : النفس لك والمال منك والرجاء موقوف عليك والأمر مصروف اليك فما عسانا أن نهدي لك في هذا اليوم وهو يوم قد شملت فيه العادة للاتباع الأولياء بأهدائهم إلى السادة العظماء وكرهنا أن تحليه من مبتته^(٢) فتكون من المقصرين أو ندعى أن

(١) في الاصل «أسألك» . (٢) في النسخ مهملة من النقطة .

في وسعنا ما يفي بحقك علينا فنكون من الكاذبين فاقصرنا على هدية
تقضي بعض الحق وتقوم عندك مقام أجل البر وهي الثناء الجليل والدعاء الحسن
قللت : لازلت أيتها السيد الكريم دائم السرور والعطية في أتم العافية وأعلى منازل
الكرامة تمر بك الأيام المفرحة والأعياد الصالحة فخلقها وأنت جديد .

فأول كلامه مأخوذ من قول المعل بن أيوب للمتصم : النفس لا مير المؤمنين
والمال منه وليس فيما أوجبه الحق تقيصة ولا على أحد فيه غضاضة ، وباقيه من كلام
أحمد بن يوسف ، والدعاء الذي في آخره لمعل بن عبيدة الريحاني لم يزد سعيد بن
حميد فيه شيئا .

وأحسن ما سمعت من الدعاء قول علي بن هرون بن يحيى المنجم : أمتع الله
الأمير بما خوله واستقبل به من الصبر أسره وأطوله وملاه من العز أمدّه
وأكمله وألبسه من الانعام أمبغه وأجزله ومهد له من العيش أرغده وأفضله وجمع
له من الخير آخره وأوله .

وللصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد فصول في التهانى قليلة النظر منها
ما كتب يهنئ بالوزارة : انا أهني أطال الله بقاء سيدي الوزارة بالغائها الى فضله
مقاداتها وبلوغها في ظله ارادتها وانحيازها الى ذراه واضحة المجد والفخر وتوشحها من
كفايته بفرقة سائلة على وجه الدهر واشكر له حسن أثره عليها وعطفه حنان الفكر
اليها حتى قرت لديه قرارها وأتقبت يديه نهارها بعد أن هتا قلبها إشتاقا من
استشراف أيادي النقص لها وخرج صدرها من تحت احلاس الجهل بها ولاغرو
فهي وليدة ذراه قد آلت لا تخطت خطته وعاهدت لا برحت ساحته فالحمد لله الذي
أقر عين الفضل ووطأ مراد المجد وترك الحساد يتعثرون في ذبول الخيبة ويتسقطون
في فضول الحسرة حمداً يديم أيام مولانا ويطيل بقاءه ويحرم عزه وينصر لواءه
فقد شرح صدور المجالس وشد ظهور المعامد بتفويض الصدر الى وليته بمحققين قديم
وحديث وفضلين مكتسب وموروث .

وكتب : الأستاذ الريح الذي يقص مطره من حيث يؤمن ضرره ويدوم زهره
من حيث يتعجل ثمره لازالت الايام مسعودة بقرعها الى انقاده وتقديره والازمان
محسودة بانحيازها الى امضائه وتديره فما اكتسى الدهر حلة أبهى من حصول
عنايه في يديه ومثوله من جملة العبيد لديه لازال آمراً تاهياً سامياً عالياً تنهنا الاعياد
بمصادفة سلطانه وتستفيد المحاسن من رياض إحسانه .

وكتب : الأستاذ عبد الزمان وريح الأيام وهذا الفضل الجامع لأحكام الفضل
معتز اليه معتز بما لديه فغيته متشبه بكفه واعتداله مضاه خلقه وزهره مواز لنشره
وان تسعد به سعادات لا يبلغ حدها ولا يحصر عدها وهو أطال الله بقاءه يحظر
المهاداة بما يحضر ما خلا الكتب التي لا يترفع عنها كبير ولا يمتنع منها خطير
لازال جنابه موروداً بالعلم ومنحماً عنه بالغنى .

ومثله ما كتب : قد أقبل النوروز إلى الأستاذ فاشراً حله التي استعارها
من شيعته ومبدياً حليه التي أخذها من سجيته ومستصحباً من أنواره ما اكتسبه
من محاسن أيامه ومن أمطاره ما اقتبسه من جوده وانعامه مؤكداً الوعد بطول
بقائه حتى يتحلى العمر ويستغرق الدهر ويستكمل من الرتب أعلاها ويحل من
المنازل أسمىها ويرى السادة الفتيان قد افتقروا سعيه واقتفوا هديه وأسعده سمادة
تستوفي معها الهمة وما ترتقى إليه والامل وما يشرف عليه .

وكتب : أما بعد فهنا سيدي الموهبة التي ساقها اليه ومدرواها عليه إذ كانت
من عقائل المواهب مسفرة عن خصائص المراتب وكيف لا تكون كذلك وقد
صدرت عن مالك الأرض وولي البسط والقبض ومصرف الثقلين ومدبر الخلقين
أدام الله سلطانه وأيد أعوانه مكنوقة بكرم رأيه وشرف اختصاصه واجتبائه
وخطبتها عناية مولانا الأمير أدام الله أيامه ونصر أعلامه وحلت من سيدي محل
الايجاب والاستيجاب والاستحقاق دون الاتفاق فرفه الله ميامن أغزر شريعة
بأشرف خريجة وأبرع فضيلة حصلها بأرفع وسيلة .

وكتب في فصل له يهني فيه عضد الدولة وقد ولد له ابنا توأمان: وصل كتاب
 الأمير بالبشرى التي أبت النعمة بها أن تقع مفردة وامتنعت العارفة فيها أن
 تسنح موحدة حتى تسرت منتحان في موطن وانتظمت موهبتان في قرن
 وطلع من النجيين أبي القاسم وأبي كالنجار أدام الله عزها طالعا ملك ونجما
 سعد وشهابا عز وكوكبا مجد فأهلت بهما رباع المحاسن ووطئت لهما أكناف
 المكارم واستشرفت اليهما صدور الاسرة والمنابر ، وفهمته وشكرت الله تعالى
 شكر من نادى الآمال فأجابته مكبة ودما الاماني فأجابته مصحبة وحمدته
 حمداً مكافئاً جسيم ما أتاح وعظيم ما أفاد واكتفنى من السرور ما فسح مناهج
 القبضة وسهل موارد وسعت ماورد أتساعه شرحت صدور الأولياء بمسارها وأزججت
 قلوب الاعداء عن مقارها وسألت الله انهام ما أدناه من الاميرين السيدين من
 سعادة لا يهندي اليها الاختيار علوا ولا ترتقي اليها الافكار مموا وسلطان تضيق
 البحار عن اتساعه وتنخفض الافلاك عن ارتفاعه وتبليغهما^(١) أفضل ما تقسمه السمود
 وتعلوبه الجلود حتى يستغرقا مع السابقين أخويهما مساعي الفضل ويشيدا قواعد
 الفخر ويرحما صروف الدهر وينبطا أطراف الأرض وهو تعالى قريب مجيب .
 وله تهنئة بتجدد رتبة : وصل كتاب الاستاذ من الحضرة البهية يشير أن
 آنسها الله وحرسها بذكر ما لقاء كرم مولانا وورقاء اليه من مراتب تشريف لا تكمل
 القرائح لاقتراحها واستدعائها ولا تتسع الخواطر لالتماسها واقتضاها فحمدت الله
 ولي الحمد والشكر وأخذت بالخط من قوة القلب وانشراح الصدر وسألته أن يطيل
 بقاء مولانا في العز الراهن والسلطان القاطن ويعرف الامتداد بركة مآدره من
 شرف لا حل مقببه ولا يتحيف عميمه انه فعال لما يريد .

وكتب في تهنئة بالسلامة من الفرق : لولا ان الله تعالى عز اسمه حماني عن
 سماع المكروه إلا في ضمان المحبوب حتى تقدم نبأ التبشير ذكر السبب المحذور لما

(١) هذه الكلمة غير منقوطة في النسخ .

وجدت في التماسك به بضيرة ولا من ترك التهالك ذخيرة إلا أن لطف الله وعطفه
عجلاً إلى خير البشرى فامتنت الروعة قبل استقرارها وانتقلت الوحشة قبل
استمرارها فتلقيت جميل صنع الله بالحمد لله رب العالمين أفضل ما قبلت به النعم
وشكرت الزفائب والقسم .

وللبحتري تهنئة للمتوكل يلوغ المعتر يقول فيها :

يا كاليء الاسلام في غفلاته	ومقيم نهجي تحبه وجهاده
يهنيك في المعتر بشري بينت	فينا فضيلة هديه ورشاده
قد أدرك الحلم الذي أبدى لنا	عن حلمه ووقاره وسداده
ومبارك ميلاد ملكك مخبر	بقريب عهد كان من ميلاده
تمت لنا النماء فيك ممتما ^(١)	بسلو همته وورى زناده
وبقيت حتى تستضيء برأيه	وترى الكهول الشيب من أولاده

وقلت في تهنئة بمولود :

قد زادني عدد الكرام كريم	محض صريح في الكرام ضميم
على المحلة لا يزال كأنه	للز قرب والسماك نديم
فلأمره التميم ^(٢) كيف تصرف	حالاته ولشأنه التفخيم
فابشر فقد وافتك يوم رزقه	حظ بتخليد السرور زعيم
فرع تكفل دهره بنائه	حتى بكر الدهر وهو أروم
إن الهلال يصير مدة كاملاً	وهو سد الليل وهو بهم
وهو الوجه إذا تبدى وجهه	وغداً إذا نزل العظم عظيم
وجه كتنوير الرياض وتمنه	خلق لمحسود الرياح وخيم
فلا أهله شرف به متوطد	ولديهم شرف أشم عجم
فاقرر به عيناً فان خلاه	تصفو وتسلم أو يقال نسيم

(١) في ديوان البحتري « تمت لك النماء فيه ممتما » . (٢) في الاصل مهملة

ولخده التصميم حين تلاحقت أقرانه . ولشاده التقديم
ومن أعجب ما جاء في التهئة والتعزية قول عبد الملك بن صالح : أخبرنا أبو
أحمد عن الصولي قال قيل للرشيـد ان عبد الملك بن صالح يُعِدُّ كلامه فأنكر الرشيـد
ذلك وقال بل هو طبع فيه حتى جلس يوماً ودخل عبد الملك فقال للفضل قل له :
ولد لأُمير المؤمنين في هذه الليلة ابن ومات له ابن ففعل الفضل ذلك فدنا عبد الملك
فقال : يا أمير المؤمنين سرك الله فيما ساء لك ولا ساءك فيما سرك وجعلها واحدة بواحدة
نواب الشاكر وأجر الصابر . فقال الرشيـد : أهذا الذي زعموا أنه يصنع الكلام
ملأى الناس أطبع من عبد الملك في الفصاحة . وقلت في تهئة بمولود :

فامستقبل الخير في نجيب	عما يصب الورى نزيه
فشمس نهار وبدوليل	يملك أبصار ناظره
يملاها ^(١) بهجة اذا ما	كشفت عن وجهه الوجيه
رُزقه كاملاً سوياً	تكثر علل عائبه
جنى لذيق المذاق حلو	يقرب من كف محتبه
وعن قليل يصير شهما	يشقى به جد كاشحه
ألا ففس في ضمان خير	حتى ترى الشيب من بنيه

وقلت في تهئة باملاك :

تمحى لك الاملاك عما تحبه	فانك قد فصلت بالتبر جوهرها
فصيرته للدهر عقداً مفصلاً	وطيرته في الأفق نشراً معطراً
هو المين لم يعدمك محبوبة دنت	ومكروهة شطت وصعباً تسرا

ومن عجائب المعاني تهئة لأبي اسحق الصابي مشوبة بالعقد ^(٢) لرجل زوج أمة:
قد جعلك الله وله الحمد من أهل التحصيل والرأى الأصيل وخلوص اليقين فكما
انك لا تتبع الشهوة في محظور تمام فكذلك لا تطيع الأنفة في مباح تحظره ويأوى

(١) في الأصل « بملاذها بهجة » . (٢) في الأصل « بالعقبة » .

الينا من ايقاعك العقدين الوالدة - نفس الله لها في مدتك وأحسن بالبقية منها
امتاعك - وبين فلان ما علمنا أنك فيه بين طاعة الديانة توحيدها ومشقة فيها تجشمتها
وانك قد جدعت أنف الغيرة لها وأضرعت خد الحية فيها وأسخطت نفسك
بارضاها وعصيت هوالك رأيها فتحن نعزيك على قائت مرادك ونسأل الله الخيرة
لك وان يجعلها أبداً معك فيما شئت وأتيت وتجنبت وأتيت والسلام. قال الشيخ
أبو هلال رحمه الله تعالى جدعت أنف الغيرة من قول رسول الله ﷺ وقد رأى
عليها وفاطمة عليهما السلام في بيت فرد عليهما الباب وقال «جدع الحلال أنف الغيرة» .
وهنا بعضهم بخروج الحية وهو أبو نصر بن هبة الله : الحمد لله الذي له
عند خلقه في الأحوال التي يتصرفون فيها والطبقات التي ينتقلون بينها والمراتب
التي يندرجون عليها لطائف من حكمه وفوائد من نعمه توافق مصالحهم وتطابق
حوادثهم في تصارييف نشوم الطفولية والايفاع والشبيبة والاجتماع والبلوغ
والاكتمال والانتها والكمال وجعل لكل واحد منهم في كل حد من الحدود
وسنن من الاسنان قدراً من الاسر والقوة وصنعاً من اللون والصورة ومسافة في
السعي والمهمة وغاية في الطلب والبغية يكون به قوام عيشه ومداد أمره محطوطاً
من الاضطراب بزيادة في بعض ذلك يُعطاه قبل بلوغ أدواته متنهاها يناقص سائر
وينافي نظائره فيفتح بالزيادة في الزوائد صورته ويظهر بالنقصان في الناقص آفته
حقى اذا تعالى في المراتب أمد النهاية وتوافقت اليه أقوامه في الكفاية كمل الله
احسانه اليه وأتم إنعامه عليه والله المنة والفضل وبه القوة والحول ، الحمد لله الذي
كساك باللحية حلة الوقار ورداك بها رداء الابرار وصانك من ميسم الصبا ومطامع
أهل الهوى ماجلك من الهيبة البهية وألبسك من لباس نوى اللب والروية وألحقتك
في متصرفاتك بمن يستقل بنفسه ساعياً ويستغنى عن يصحبه حافظاً وجعلك بما جمل
من صورتك وكل من اداتك وآلتك قرناً لمن جاذبك وخصماً لمن نازعك ونفى
عنك ذلة الاحتقار من أهل المراتب والاختطار تستوى معهم في المجالس الحافلة

وتجربى مجرام فى المشاهد الجامعة منسوعاً قولك اذا قلت مصنى لك اذا نطقت
 آمناً من انصراف الابصار عنك لقرب ولادك ونبو الاستماع من حديثك لقلة
 الثقة بسدادك وجارياً مجرى جلة الرجال على الحملة الى أن تكشف مخابرك بالحنة
 وتعطى المهابة من الذاعر العادى ومن السبع الضارى إذا اتفق لكما مقام يخلو فيه
 كل واحد منك من وفديعه وناصر يؤيده بملكه الاشفاق من صاحبه ويقطعه
 من مواليده من ترك ابقائه فى السطوة عليه ولو كان طارياً من هذه الكسوة الشريفة
 والحلية النفيسة لسبقت اليه بالازدراء الأعين وبالاستصغار القلوب والألسن وبالطمع
 أصناف الحيوان من البهيمة والانسان ثم لا يحسن من نفسه قوة على الدفع عنها ولا من
 حريمه قدرة على ما يدها منها وتلك نعمة من الله حباك بمزيتها فى جمال غشاك وكال
 أذاك فليصدق بها اعترافك وشكرك وليحسن ثناؤك ونشرك قضاء لحق الله عليك
 واستدراراً للمزيد فى احسانه إليك .

وكتب الصاحب تهنة بتزوج أم وتعزية بموت أب : الأيام أطال الله بقاءك تجرى
 على أنحاء مختلفة وشعب متفرقة وأحكامها تتفاوت بيننا بما يسوء ويسر وينفع ويضر وبلغنى
 من نفوذ قضاء الله فى شيخك رحمه الله تعالى ما أزعجنى وأبهم طرق السلاوة دونى وان كان من
 خلفك غير خارج عن رؤية الأحياء ولا حاصل فى زمرة الأموات والله بأسو كلمك
 ويسد ثلمك وقد فعل ذلك بأن أتاح الله لك بعد أميك أباً لا يقصر عنه شفقة عليك وحنواً
 وإيثاراً لك وبراً وقد لعمري وقت حين وصلت بحبلك جبله وأسكنت الكبيرة حرمها
 الله ظله ثلاثاً تقدم من الماضى عنا الله عنه إلا شخصه فالله الذى أرشدك لما يعيد الشمل
 مجتمعا بعد فراقه والعدد موفوراً بعد انتقاصه حمداً يقضى لك بالمسرة ويحسم دونك
 مواد الوحشة ويكفيك ثواب ما قضيت من الحق وتحملته فيه من الارق انه فعال لما يريد .
 وكتب تهنة بقدم : قد جدد الله وله الحمد جمال الدنيا وضاعف بها ما
 وزادها محاسن ترفل فى حللها وتبخت فى حلبيها واكتنفها بيمين يمرع جناها
 ويفتح بالخيرات أبوابها ما استأنف جل اسمه من النعمة الشاملة والمنة الكاملة فى

ثقريب ركب مولانا أطال الله بقاءه وكبت أعداءه وكب حساده وزادهم رغباً
 بزيادته تعالى إياه نعماً لا يرحل مقيمها ولا يتحيف عميمها ماختلف العصران وتعاقب
 النيران واستقبل به في وفدته ماينقاد له أقصر الأسار ويحتوي عليه أربعة غايات
 الاختيار بمنه وجوده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً لا يبلغ نداء ولا ينفصل أخرا من أولاه حتى يستغرق نعمه
 ويستوفي فواضله وقسمه وأنى ذلك وهي متطرفة إلى غير غاية وممدودة إلى غير نهاية
 لا يتخطى إلى شكر بعضها إلا بتجدد أمثاله من جملتها وترادف نظائره من جماعتها
 والحمد لله الذي أعطي كثيراً وقبل من الشكر قليلاً وأوجب به مزيداً والصلاة
 على نبيه محمد وآله وسلم كثيراً وهو حسبنا ونعم الوكيل .

﴿كتاب المبالغة﴾

في أوصاف خصال الإنسان المحمودة من الجود والشجاعة والعلم والحلم
 والحزم والعقل وما يجرى مع ذلك وهو :

﴿الباب الثاني من كتاب ديوان المعاني﴾

سمعت الشيوخ رحمهم الله تعالى يقولون أجود بيت قائمه العرب قول مسلم
 ابن الوليد^(١) :

(١) هو الملقب بصريع الفوائى، تأدب في الكوفة وعظم شأنه في الشعر، مات بمرجان .

يجودُ بالنفس إن حنَّ الجوادُ بها والجودُ بالنفس أقصى غاية الجود
وأول من جاء بهذا المعنى علقمة بن عبدة :^(١)
تجودُ بنفسٍ لا يجادُ بمثالها فانتَ بها يومَ اللقاءِ خصيب
وهذا مثل قول يزيد بن أبي يزيد الشيباني من جاد بنفسه عند اللقاء وبماله
عند العطاء فقد جاد بنفسيه كليهما . وقال اعرابي : من جاد بماله فقد جاد بنفسه
وإن لا يكن جاد بها فقد جاد بقوامها . وقال علي بن الجهم :^(٢)
طلبت هديةً لك باحتيالي على ما كنَّ من حسي ونسي
فلا لم أجدُ شيئاً نفسياً يكونُ هديةً أهديتُ نفسي
وكتب العباس بن حرب إلى بعض الأمراء وأهدى إليه هدية : لا أعلم
بمنزلة توحشه من الأمير أعزه الله ولا توحشه مني أنا موقر من بلائه وفي الطاعة
له كيدته وفي المودة له كنفسه وفي الخاصة كأحد أهله وإنما أطفه من ماله وقد
بعثت إليه ما يصلح ليومه وأهديت له نفسي التي هي لبذلته وخطبته . وقال أبو تمام :
ولو لم يكن في كفه غيرُ نفسه لجادَ بها فليتيق الله سائله
وقد أنكر خلف بن خليفة إهداء النفس : قدم أخ له من سفر فاقتضاه خلف
الهدية فقال أهديت نفسي فقال خلف :

أنا أخٌ من غيبةٍ كان غابها وكنتُ إذا ما غابَ أنشدُ الركبا
فقلتُ له هل جثتنا بهدية فقال بنفسي قلتُ أنحفُ^(٣)
هي النفسُ لا أمسى عليها إذا نأت ولا أتمنى ما حيتُ لها قربا
إذا هي وافت من ثمانينَ قامةً فلا السهلَ اتقاها الآلهُ ولا الرحبا

(١) هو علقمة الفحل من بني تميم ، شاعر جاهلي ، كان معاصراً لأمير القيس .

(٢) كان معاصراً لأبي تمام ، نشأ بين عداة وخص بالمتوكل العباسي ، ثم غضب

عليه فنفاه إلى خراسان ، ورحل إلى حلب فقتل فيها . (٣) كذا في النسخ

ولعله سقط «بها التزييه» أو نحوه ولم نجد لها في الأغاني ولا الخزائن .

وقالوا قول مروان بن أبي حفصة ^(١) كأنه حين يعطى المال يغنيه * أجود
من قول زهير * كأنك معطيه الذي أنت سائله * لأن الغنية ^(٢) حلاوة
ليست للعطية . وأجود ما قيل عندي قول أبي العتاهية ^(٣) :

لو قيلَ للعباسِ يا ابنَ محمدٍ قل «لا» وأنتَ مخلدٌ ما قالها
أخبرنا أبو أحمد عن الصولي حدثنا الحسن بن الحسين الأزدي حدثنا محمد
ابن حبيب ، وعن الصولي أيضاً عن إبراهيم ، بن المولى عن ابن حبيب قال
قال أبو العتاهية يمدح العباس بن محمد :

لو قيلَ للعباسِ يا ابنَ محمدٍ قل «لا» وأنتَ مخلدٌ ما قالها
إن الساحةَ لم تزل معقولةً حتى حلتَ براحتيكِ عقالها
وإذا الملوكُ تسايروا في بلدةٍ كانوا كواكبها وكنتم هلالها
فلم يذبها فقال :

هرزتك هزة السيف المحلى فلما ان ضربت بك اثنت
فهيها مدحة ذهبك ضياءاً كذبت عليك فيها واقتربت
فلما قرأ العباس الأبيات غضب وقال والله لأجهدن في حتفه قال فرأى أبو
العتاهية باسحق بن العباس فقال له اسحق أنشدني شيئاً من شعرك فأنشده :
ألا أيها الطالبُ المستغيثُ بمن لا يفيدُ ولا يرُفدُ
ألا تسأل الله من فضله فإن عطاياه لا تنفد
إذا جئت أفضلهم للسؤال ردّاً وأحشاؤه تُرعد
كأنك من خشية السؤال في عينه الحية الأسودُ

(١) من شعراء العصر العباسي ، اشتهر بمدح المهدي ، ومعن بن زائدة ،
وهارون الرشيد ، توفي سنة ١٨١ (٢) في النسخ «الفنية» .
(٣) هو اسماعيل بن القاسم ، اشتغل بالشعر ومذاهب الفلاسفة ،
ويقلب على شعراء الزهد .

ففرّ إلى الله من أئومهم فاني أرى الناس قد أصلدوا
 وإني أرى الناس قد أبرقوا بلئوم الفعالي وقد أرعدوا
 ثم مضى فقيل لاسحق ما هذا الشعر إلا في أيك فقال اسحق أولى له أن
 عرض نفسه وأحوج أبي العتاهية إلى مثل هذا مع ملكه وقعدته . ومثل قوله
 * كذبت عليك فيها وافتريت * قول علي بن جبلة وقال له أبو دلف أن
 تحسن أن تمدح ولا تحسن أن تهجو فقال الهدم أيسر من البناء ثم قال :
 أبو دلف كالطبل يذهب صوته وباطنه خلوة من الخير أخرب
 أبا دلف يا كذب الناس كلهم ضوأي فاني في مديحك أ كذب
 وأخذ البحتري قوله * كانوا كوا كبها وكنت هلالها * فقال في التوكل :
 اذا غبت عن أرض ويمت غيرها فقد غاب عنها شمسا وهلالها
 خدت بك آفاق البلاد خصيبة وهل تحمل الدنيا وأنت ثمالها ^(١)
 فأما قوله : كأنك من خشية للسؤال في عينه الحياة الأسود
 فمن قول بعض العرب :

من دون سيبك وجه ليل مظلم وخفيف نافحة وكلب موسد
 وأخوك محتمل عليك ضغينة وخسيف قومك لائم لا يحمد
 والضيف عندك مثل أسود صالح لا بل أحبهما إليك الأسود
 ومن جيد ما جاء في خلاف ذلك من الحث على الاتفاق ومجانبة الامساك
 قول ديك الجن :

قالوا السلام عليك يا أطلال قلت السلام على المحيل محال
 حاج الشقى مراده دمن البلى ومراد عيني قلة وحبال
 لا نادمن ^(٢) الراج وهي زلال ولا طرقن البيت فيه غزال
 ولا تركن حليها وقلبه حرق وحشو فؤاده بكبال

(١) في الأصل «نمارها» . (٢) في الأصل (لأغاد من) .

وليشفين^(١) حي قم وحنى يد وكلاهما الى بارد سلسال
 ماذا الغنى والبخل مالك من غنى وكذاك ياذا المال مالك مال
 أطلق يدك فان بين يدك ما يرديهما ووراء حالك حال
 قد تسل الأوكال وهي مواكل للترهات وتقتل الأبطال
 ورجال هذى النائبات وانراوا شظفاً من الأيام فهي رجال
 وقلت : ماذا يسرك من مال تجمه أوما يغمك منه اذ تفرقه
 ولم يكن لك مال يوم تكسبه لكنه لك مال يوم تنفقه
 تحب من أجل الدنيا وتورثها وسوف توبقك الدنيا وتوبقه
 سترته عن عيون الناس كلهم ولست تعلم أن الدهر يرمقه
 ان لم تبكر اليه في نوائبه فسوف يطرقة ركضاً فيرهقه
 وقد أحسن القائل :

إذا أعجبتك خصال امرئ فكنه تكن مثل مايمجيك
 فليس على الجود والمكرمات حجاب إذا جته يمجيك
 هو المال ان أنت لم تخترب أباح لك الدهر ماينخربك
 وإذا كان أفضل الجود ماكن مع الحاجة على حسب مامدح الله تعالى به الانصار
 فقال (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) وأجود ما قيل
 قول عروة بن الورد^(٢) :

فلا تشمتني يا ابن ورد قاتني تعود على مالي الحقوق العوائد
 ومن يؤثر الحق الثوب يكن به خصاصة جسم وهو طيان ماجد
 وقال عبد الملك بن مروان ماودت ان أحداً من العرب ولدني إلا قاتل
 هذه الأبيات .

(١) في الأصل (ولاشفى) . (٢) هو شاعر جاهلي كان فارساً جواداً ، قال
 عبد الملك بن مروان : من قال أن حاتمًا أسمع الناس فقد ظلم عروة بن الورد .

ومن جيد ما قيل في الاشارة على النفس قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كتبه
عبيد الله بن سليمان حين ولي الوزارة :

أبي دهرنا اسماقنا في نفوسنا فأسعفتنا فيمن نحب ونكرم
فقلت له نعماك فيهم آتيا ودع أمرنا ان المهم المقدم
وهذا غاية لانه جعل أمر المدوح أهم له من نفسه وإصلاح شأنه .

ومن جيد ما قيل في جود على قوم دون قوم قول البحتري :
سحاب عداي جوده وهو هامر وبجر خطائي فيضه وهو مفعم
وبرق أضواء الأرض شرقاً ومغرباً وموضع رجلي منه أسود مظلم
ومن أجود ما قيل في كبر الهمة قول بعض العرب :

له هم لا يمتهي لكبارها وهمة الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها على البر كن البر أندى من البحر
أخذه المتنبي فقال وقصر :

تجمعت في فؤاده هم ملء فؤاد الزمان إحداها
وموضع التقصير فيه أن الأول جعل همة الصغرى أجل من الدهر وجعل المتنبي
أحدى هممه ملء فؤاد الزمان فإذا كانت ملء فؤاده فليس بأجل منها .
ومما يذكر في وصف كبر الهمة أن سيف بن ذي يزن دخل على كسرى فتطأطأ
في طاق رفيع من طيقان قصره وجلس فدفعت إليه مخدة فجعلها على رأسه وكسرى
يرمقه فلما سأل سيف حاجته قيل له ان الملك قد رأى منك خلتين عجبتين وضع
المخدة على رأسك وإنما أعطيتها لتجلس عليها وتطأطؤك في الطاق الرفيع فقال اما
المخدة فرأيت عليها صورة الملك فوضعتها على أكرم موضع عندي وأما تطأطؤي في
الطاق الكبير فإني همتي أكبر منه . فاستحسن كلامه وضم إليه جيشاً أزاح بهم
الحبشة عن بلده .

ومن بليغ ما قيل في كبر الهمة قول علي بن محمد البصري :

قلبي نظير الجبل الصعب وهمتي أكبر من قلبي
 فاستخر الله وخذ مرفهنا وافك بأهل الشرق والغرب
 ولا تمت إن حضرت ميتة حتى تبت السيف بالضرب
 ومن المذكور في ذلك قول أبي تمام :

رأى ابن دهر عرقاً في خيله أعلم منه بحذاء أبله^(١)
 قد امت أيدى النوى بشهله متماً مضطجعاً بحمله
 منصلاً كالسيف عند سله مولودة هتبه من قبله
 قد دان ذو الفضل له بفضل كالأصاب من بذقه لا يستحله
 إلا بأن يسكن تحت ظله

وقال : همة تنطح النجوم وجد ألف للحضيض فهو حضيض
 أبغ ما قيل في يمن النقية^(٢) قول الإحشى :

ولو رحت في ظلة قادحاً حصاةً ينبع لأوربت نارا
 الحصاة مع النبع لا توري قال فانت من يمن تقيت لو قدحت بهما لأوربت .
 وقال بعض الأعراب :

بذكرني سعاداً دماءً بالقرى لو أشرف القوم على أرض العدى
 واختلط الليل بالوان الحصى وأرسلوا سعاداً إلى الماء سرى
 من غير دلو ورشاء لاستقى

وهو بليغ في هذا المعنى جداً : وقلت :

ليس للعين وراء شاره إلى العلى والمكرمات مطرح
 قد شح بالعرض وجاد بالهوى فحوى المجد بما جاد وشح
 فاذا هم بأمره فإله فسواء جد فيه أو مزح

(١) في الأصل « أهله »

(٢) النقية : النفس ، يقال فلان ميمون النقية إذا كان مبارك النفس .

وقلت : إذا ما بدت فينا عطاياهُ عقت وكم بادىء العزنِ غير معقب
ولما يفرره قلب دهره فقلت لعلَّ الدهرَ لم يتقلب
ويدنو له المطلوبُ حتى كأنما كواكب ضوء الصبح في كل مطلب
أبلغ ما قيل في اهتمام الرجل بأمر أخيه قول بعضهم :
سأشكرُ عمرًا إن تراخت منيتي أيادى لم تُمنن وإن هي جلت
فتى غير مفراح إذا انخبرُ مسهُ ولا مظهر الشكوى إذا النعلُ زلت
رأى خلقى من حيثُ يخفى مكانها فكانت قذى عينية حتى تجلت
قوله « قذى عينية » لا يقوم مقامه شيء في شدة الاهتمام لأن الانسان إذا
قذبت عينه صرف الهممة إلى قذبتها من غير اشتغال بشيء غيرها وهو على قوله « من
حيث يخفى مكانها » أباح لأنه يدل على تفقد شديد وعناية تامة .

ومما هو في هذه الطريقة قول أمية بن أبي الصلت :
إذا ليلةً نابتك بالشكر لم أبت لشكواك إلا ساهراً أنمل
كأنى أنا المطروقُ دونك بالذى طرقت به دونى فسينى تهمل
وقالوا أشجع بيت قاله العرب قول عباس بن مرداس الأسدي^(١) :
أشدُّ على الكتيبة لا أبالي أحتفى كن فيها أم سواها
قالوا أربعة من الشجعان تبين دلائل الجبن في شعر ثلاثة منهم فمن الثلاثة
عنتره^(٢) في قوله :

فاذا شربتُ فأنى مستهلكُ مالى وعرضى وافرُ لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علتُ شمائلى وتسكرمي

(١) هو الشاعر الفارس كان سيدا في قومه أدرك الجاهلية والاسلام وأسلم قبل
الفتح وكان من ذم الجمر في الجاهلية .

(٢) هو عنتره بن شداد العبسى من شعراء الطبقة الأولى كان حليما على
شدة بطشه اجتمع بأمرىء القيس ، وقصته المشهورة خيالية لم يعرف واضعها .

وخليل غانية تركتُ مجندلاً تمكو قريصتهُ كشدق الأعلم

هلاً سألتِ الخليل بالبنة مالكِ إن كنتِ جاهلة بما لا تعلّم

ينخبرك من شهد الواقعة أننى أخشى الوغى وأعفُ عند المنعم

ومدحج كره الكفاة تراله لا ممن هرباً ولا مستسلم

سبقت يدائى له بما جل طمعة ليس الكريم على القنا بمحرم^(١)

نبشت عمراً غير شاكر نعمتى والكفر مخبلة لنفس المنعم

ثم قال: إذ يتقون بي الاسنة لم أحم عنها ولكنى تضايق مقدي

قالوا فدل على أنه وقف ولم يقدم واعتذر بتضايق المقدم . وكان عنزة هجيناً أمه

أمة فاستعبده أبوه ، وهذه كانت العرب عاداتها في الهجناء فكان يرعى ثم اتخذ

سلاحاً وصنع مهراً فأفارت طيء على عبس فسبوا أهله وجيرانه فركب مهره واتبع

القوم ثم جنبهم حتى أتى من أمامهم فما زال يطمئن في أعين القوم حتى ردوا عليه

أباه وأمّه ثم عمه وابنته عبلة ثم قال لا أنصرف بأهلى وأترك جيرانى فكر عليهم فقتل

منهم أربعين فردوا عليه جيرانه وكان يقول له أبوه وعمه كرفيقول لا يحسن العبد

الكر وإنما يحسن الحلب والصر يقرعهم بذلك إذ كانوا قد استعبدوه فاستلجقه

أبوه يومئذ وزوجه عمه عبلة ابنته وكان عنزة يسمى الفلحاء وكانت أمه حبشية

تسمى زيبية وقال النبي ﷺ « ما سمعتُ بأعرابى فاشتبهتُ أن أراه إلا عنزة » .

والآخر قول عمرو بن معد يكرب^(٢) فى قوله :

ولقد أجمعُ رجلى بها حنرَ الموتِ وإنى لفرور

ولقد أعطفها كرهة حينَ للنفسِ من الموتِ هرير

كل ماء لك مستي خلق وبكل أنا فى الروحِ جدير

فقال « وإنى لفرور » وقال بعض أهل الأدب إنما هو « لفرور » بالثقاف

(١) روى « ورشاش نافذة كلون العندم » .

(٢) هو فارس اليمن ، صاحب الغارات المشهورة .

لأن الشجاع لا يمدح نفسه بالفرار سيما باللفظ البليغ من فرور . وليس كذلك لأن قوله « كل ما ذلك مني خلق » على أنه ذكر حال فرار وحال ثبات فحال الثبات قوله « ولقد أجمع رجلى بها » والحال الأخرى حال للفرار إذا كان ذلك أحزم ولو ذكرنا حالا واحدة لم يحسن أن يقول كل ماء لك مني خلق وإنما دل على أصالته وعقله في ثباته وقت الثبات وفراره ساعة الفرار وليس الشجاعة أن يحمل الرجل نفسه على الهلكة إنما ذلك هوج والشجاعة أن يتقدم وغالب ظنه أن يظفر فاما أنه إذا علم أنه إذا أقدم هلك ثم أقدم فإن ذلك جنون لأن كل أحد يقدر أن يقدم على الهلكة فيهاك وإنما الشأن في أن يمدح بإقدامه وفي قريب من ذلك قوله :
فجاشت إلى النفس أول مرة فردت على مكروها فاستقرت

فما جاشت نفسه إلا وجبن ، ولو وصف عمرو هذه الأشياء من نفسه قيل إنه ممن يصدق عن نفسه ، على أنه ربما كذب الكذبة الصامع روى لنا أبو أحمد عن العيشي عن المبرد وعن غيره قال وقف عمرو بن معدى كرب وخالد بن الصمقب الهندي في جماعة بالكناسة يتحدثون فقال عمرو أغرنا مرة على بني نهد فخرجوا مسترعفين بخالد بن الصمقب فحماة عليه فطعنته فأردبته ثم ملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه فقال خالد حلاً أبا ثور فان قتيك هو المحدث فقال عمرو يا هذا إذا حدثت بحديث فاصمع قائما نرهب هؤلاء المحدثين . مسترعفين أي متقدمين ، وقوله حلاً أبا ثور أي قل إن شاء الله ويقال حلف ولم يتحلل أي لم يستثن .

ويروى عن العرب كذب كثير فمن ذلك ما يزعمون أنهم يرون الجن ويكلمون الغيلان والسعالى حتى زعم تأبط شرا أنه طلب نكاح السعلاة في قوله :
وادم حيت^(١) حليابه فيا جارتا أنت مأهولا
فطالبتها بضعها فاشتت بوجه تهول واستغولا

(١) في النسخ زيادة (قد) قيل (حيت) .

وكنيت إذا ما هممتُ اعتزمتُ وأخرى إذا قلتُ أن أفعل
وقال آخر :

أخو قفرات حالفَ الجنَّ واتقى من الانسِ حتى ماتتِ رماثله
له نسبُ الانسى يعرفُ نحلَه والجنُّ منه خلقه وشماله
وقال عبيد بن أيوب :

فلهِ درُ القولِ أى زلفه لصاحب قفرٍ خائفٍ متفر
وكن كثير من شعرائهم يدعى أن له شيطاناً يعلمه الشعر منهم الفرزدق كن
يكنى شيطانه أبا لبنى وذكر أنه ذهب الى جبل فناداه فجاء مثل الذئب قد دخل
في حلقه فقتل قصيدته التى أولها * عزفت بأعشاش وما كنت تعزف *
وقال أبو النجم :

وجدت كلَّ شاعرٍ من البشر شيطانه انثى وشيطانى ذكر
وزعموا أن عروة بن عتبة صرخ بقومه فأجمعهم من مسيرة ليلة . ورووا أن
لقمان بن حاد لما ضعف بصره كان يفصل بين أثر الذكر والانثى والنر اذا دب
على الصفا فى الليلة الظلماء .

وقال رجل لأبى حنيفة ما كذبت قط قال هذه كذبة أشهد بها هليك .
وسأل الحجاج ^(١) قاصاً عن اسم بقرة بنى اسرائيل قال حنمة فقال له رجل
من أولاد أبى موسى الأشعرى فى أى كتاب وجدت هذا قال فى كتاب عمرو بن
العاص . ودخل عبد الله بن الزبير يوماً على معاوية فقال اسمع أيتها قلتها :
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدتهُ على طرفِ الهجرانِ إن كان يعقلُ
ويركبُ حدَّ السيفِ من أن تضيقه إذا لم يكن عن شفرةِ السيفِ مزحلُ
ثم دخل معن بن أوس المزنى فأنشد * لعمرُك ما أحدى وإنى لأوجلُ *
حتى صار إلى البيتین فقال معاوية ما هذا يا أبا بكر فقال أنا أصلحت المعانى وهو

(١) فى الأصل « الحجاج بن حنمة » .

ألف الكلام وهو بعد ابن ظري وما قال من شيء فهو لي وكان عبد الله بن الزبير مسترضعاً في مزيته :

والثالث عمرو بن الاطنابة ^(١) حيث يقول :

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

فزعم أن نفسه جشأت وجاشت وليس ذلك إلا من الجبن .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن حريز عن الرياشي حدثنا العتيبي عن أبيه قال دخل الحارث بن نوفل بابنه علي معاوية فقال ما علمت ابنك فقال القرآن والفرائض فقال روه من فصيح الشعر فانه يفتح العقل ويفصح المنطق ويطلق اللسان ويدل على المروءة والشجاعة ولقد رأيتني ليلة صيفين وما يحبسني إلا آيات عمرو بن الاطنابة حيث يقول :

أبت لي عتي وأبي بلائي وأخذني الحمد بالثمن الريح

واعطائي على المكروه مالي وضربي هامة الشيخ المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

لأدفع عن مآثر صالحات وأحبي بعد عن عرض صحيح

بذي شطب كلون الملح صافٍ ونفس لا تقر على القبيح

قالوا والذي يدل على الشجاعة الخالصة قول العباس بن مرداس :

أشدُّ على الكتبية لا أبالي أحتفي كلن فيها أو سواها

وهذا على مذهب من ذكرنا قبل هوج ، والذي يدل على أن التثبت والثبات

وسكون النفس من تمام الشجاعة قول بلقاء بن قيس :

وفارس في غمار الموت مُتغمس إذا تآنى على مكروهه صدقا

غشيتة وهو في جأواء باسلة عضباً أصاب سواء الرأس فانفلقا

بضربة لم تكن مني محالسة ولا تعجلتها جيناً ولا فرقا

قد كر أن محالسة الغريب من الجبن . وأحسن ما قيل في التقدم في الحرب قول زهير :

ليث بعثر بصطاد الرجال إذا مالبث كذب عن أقرانه صدقا
يطعنهم ما رتموا حتى إذا ظعنوا ضارب حتى إذا مضاربوا اعتنقا
وصفه بالتقدم على كل حال . وقل أحد منهم لم يصف نفسه بالتأخر ، قال حصين
ابن حمام^(١) :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما
فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما
ذكر أنه تأخر ثم رأى أن التقدم أحرز لظفر يعيش به عزيزاً أو موت بموته شريفاً .
وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن أبيه عن علي قال قال المهدي لابن داب
أنشدني أحسن ما قيل في وصف الفتي الشجاع فأنشده للشماخ :

وأشعث قد قدَّ السفار قبيصه بجر شواء بالعصا غير منضج
دعوت إلى ما نابني فأجابني كريم من الفتيان غير مزيج^(٢)
فتي يملأ الشيزي^(٣) ويروى سنانة ويضرب في رأس السكي المدجج
فالتفت إلى عبد الله بن مالك الخراعي وقال هذه صفتك .

وقالوا أشجع بيت قالته العرب قول كعب بن مالك :
نصل السيوف إذا قصرن بخطونا قدماً وتلحقها إذا لم تلحق
ورأى بعض العرب سيفاً فقال ما أجوده لولا قصر فيه فقال صاحبه نصله
بخطوة فقال الرجل تلك الخطوة أشد من مشيتي إلى الصين .
وأبلغ ما قيل في سعة الخطو في الحرب قول أبي تمام :
خطو ترى الصارم الهندي متصراً به من المارن الخطي منتصفاً

(١) هو ابن ربيعة سيد بني سهم بن مرة من قيس وكان يقال له مانع الضيم ،
بعد من أوفياء العرب ومن الشعراء المقلين . وتقل في الأغاني أنه أدرك الإسلام .
(٢) مزج كعظم : الناقص والدون من كل شيء . (٣) الشيزي بالكسر
خشب أسود للقصاع أو هو الأبتوس .

. يقول لسعة الخطو ينتصف صاحب السيف من صاحب الرمح .

وقالوا أشجع ما قيل قول الشاعر :

أقولُ لنفسي لا يجادُ بمثليها أقلى شكوكاً إنني غيرُ مدبر

. وأجود ما قيل في صدق اللقاء مع قلة العدد قول أبي تمام :

قلوا ولكنهم طابوا فأتجدهم جيشٌ من الصبر لا يُحصى له عددُ
إذا رأوا للمنايا عارضاً لبسوا من اليقين دُرّوعاً ما لها زردُ
نأى عن المصريح الأدنى فليس لهم إلا السيوفُ على أعدائهم مدد

. وأجود ما قيل في وصف القتى الشجاع وصاحب الحرب من شعر المحدثين
قول مسلم بن الوليد في يزيد بن يزيد الشيباني :

لولا يزيد لأضحي الملكُ مضطرباً أو مائلَ الرأسِ أو مسترخىَ الطولِ
حاطَ الخلافةَ سيفٌ من بني مطر أقام قائمهُ من كلِّ ذا ميل
سيدُ الثغورِ يزيد بعد ما انفرجت بقائمِ السيف لا بالختل والهيل
موف على مهج في يوم ذي رهج كأنه أجلٌ يسعى إلى أمل
ينالُ بالرفق ما يبى الرجالُ به كلوتٍ مستعجلاً يأتي على مهل
يكسو السيوف نفوس^(١) الباكثين به ويجعل الهام^(٢) قيجان القنا الذيل
يغدو فتغدو المنايا في أسنته شوارعاً تتحدى الناس بالأجل
قد عودَ الطيرَ عاداتٍ وتغن بها فمن يتبعنه في كلِّ مر محمل
إذا انتضى سيفهُ كانت مسالكهُ مسالكَ الموتِ في الأبدان والقلل
الزائديون قومٌ في رماحهم خوفٌ الخيفِ وأمنٌ الخائفِ الوجل
كبيرُهم لا تقومُ الراسياتُ له خطاً وطفليهم في هدى مكتهل
إسلم يزيدُ فما في الملكِ من أودٍ إذا سلتَ ولا في الدين من خل

(١) في هامش نسخة « د.أ. » مكان « نفوس » إشارة لنسخة فيها كذلك .

وهي موافقة لما في ديوان مسلم . (٢) في النسخ « الهامة » .

وانخر فمالك في شنيان من مثل كذلك مالبني شنيان من مثل
 لله من هاشم في أرضه جبل وأنت وابنتك ركننا ذلك الجبل
 وقوله : سل الخليفة سيفاً من بني مطر يمضي فيخترق الأحشاء والهاما
 كالدهر لا ينتهي عما بهم به قد أوسع الناس إنعاماً وارغاما
 نظم المال والاعداء من يده لازال للآل والاعداء ظلاما
 إذا بدا رفع الستار عن ملك تكسى السيون به نوراً وظلاما
 تمضي المنايا لما تمضي أسنته كأن في سرجه بدرأ وضرغاما
 وله أيضاً :

يلقي النية في أمثال عدتها كالسيل يقذف جلوداً بجلود
 كالبيث بل مثله البيث المصور إذا عني الحديد غناء غير تفريد
 وقالوا أشجع بيت قاله محدث قول أبي تمام :

فما بل في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخمصك الحشر
 وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه عليه الحفاط المرء والخلق الوعر
 غدا غدوة والحمد نسج ردائه فلم ينصرف إلا وأكفائه الأجر
 أخذ معنى البيت الأول من قول عوف بن قطن بقوله يوم الجمل :

لا أبغى اللحد ولا أبغى الكفن من هاهنا محشر عوف بن قطن
 وأجود ما قيل في سكون الجأش في الحرب قول البحري :

لقد كان ذاك الجأش جأش مسالم على أن ذاك الزى زى محارب
 تسرع حتى قال من شهد الوغى لقاء عدا (١) أم لقاء حباب
 وصاعقة في كفه ينكفي بها على أرواس الأقران خمس معائب

وهذا البيت أجود ما قيل في معناه جعل السيف صاعقة وأصابع الضارب
 معائب تجود على مؤمدين بنيتها وتقتل معاوية بصاعقتها .

(١) في النسخ « أعداء » والوزن لا يستقيم بها .

(أصدق بيت قالته العرب) أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العتاء
قال قال الأصمعي أصدق بيت قالته العرب وأحكمه قول الخطيئة :

من يفعل الخيرَ لا يَعمد جوازِيَهْ لا يذهبُ العرفُ بين الله والناس
وقال المحدث في معناه * ماضع حرف وان أوليته حبراً * وقال الالف (١) :

والخيرُ تزدادُ منه ما كُفيتَ (٢) بهِ والشرُّ يكفيتُ منه قلما زاد

وقيل خير من الخير فاعله وخير من الذهب معطيه ، وقال عبيد الله الأبرص :

الخيرُ يبقى وان طالَ الزمانُ بهِ والشرُّ أخبثُ ما أوعيتَ من زاد

وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا عمر بن شبة حدثنا

محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا سفيان بن سعيد عن عبد الملك بن عمير

قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يحدث بمحدث عن أبي هريرة قال قال رسول

الله ﷺ أصدق كلمة قالتها العرب :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلٌ

وكل أناس سوف قد دخل بينهم دويبةٌ تصفرُّ منها الأناملُ

وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا أبو زيد حدثنا

إبراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب أن

عثمان بن مظعون كان في جوار الوليد بن المغيرة وكان لا يؤذى كما يؤذى أصحابه

يعني من المسلمين فسأل الوليد أن ينزل من جواره فيرى منه فلما جلس مع القوم

ولبيد ينشدهم : ألا كل شيء ما خلا الله باطل . فقال عثمان صدقت ثم أنشد

لبيد رأس البيت : وكل نعيم لا محالة زائل . فقال عثمان كذبت فأسكت القوم

ولم يدروا ما أراد ثم أعاد ثانية فصدقه عثمان وكذبه لأن نعيم الآخرة لا يزول فقال

لبيد ما هكذا كانت مجالسكم فتزار رجل من قريش فطمع عين عثمان فأحضرت فقال

(١) هو صلاة بن عمرو الأودي أحد فحول شعراء الجاهلية وحكائها

وساداتها وفرسانها . (٢) وفي رواية «لقيت» .

له الوليد كنت في ذمة منيعة فخرجت منها وكنت عن الذي لقيت عنك غنيا
 فقال بل كنت الى التي لقيت فقيراً وعيني التي لم تلطم الى مثل ما لقيت صاحبها
 فقيرة فقال ان شئت أجزئك ثانية فقال لأربلي في جوارك ، وأول هذه القصيدة :
 ألا تسألان المرء ماذا يُحاولُ انحبُ فيقضى أم ضلالٌ وباطلُ
 حباثتهُ مبثوثةٌ بسيله ويبقى اذا ما أخطأتهُ الحباثلُ
 اذا المرءُ أسرى ليلةً ظنَّ أنه قضى عملاً والمرءُ ما عاشَ حاملُ
 وأجود من هذا سبكاً ورصفاً قول الصلتان :

نرُوحُ ونَعْدُو لحاجتنا وحاجةُ من عاش لا تنقضي
 وأخبرنا أبو أحمد عن رحالة قال قيل لرجل سماه أنشدنا أصدق بيت قاله
 العرب قال الناس يقولون : كل امرئ في شأنه ساعى ، وأنا أقول :
 كأن مُقلاً حين يندو لحاجةٍ الى كلٍّ من يلقي من الناس مذنبُ
 وأصدق بيت قاله محدث قول البحري :

نصليكَ في الأَكرومتين فانما يسودُ الفتي من حيثُ يسخو ويشجع
 زرعُ رجاءٍ في ذراك مُبكرٍ وجلُّ حصادِ المرءِ من حيثُ يزرعُ
 أجود ما قيل في القناعة قول الشاعر :

إذا مُدَّ بابُ عنك من دونِ حاجةٍ فدعها لأخرى لينَّ لك بأبها
 وإن قرابَ البطنِ يُغنيكَ ملؤه ويكفيكَ سواتِ الأمورِ اجتنابها
 أخذه ابن الرومي فقال وأحسن :

إذا ماشئت أن تعرفَ يوماً كذبَ الشهوة
 فكل ماشئت يغنيكَ عن العذبةِ والحلوة
 وطأمن شئت يغنيكَ عن الخناء في النروء
 فكم أنساك ما نهوا عنيلُ الشيءِ لم نهوه

وقال ابن هرمة :

إذا مطمعٌ يوماً غزافى غزوةً . كئائب ناسٍ كرها واطرادها
أمصٌ ثمادى والمياه كثيرة . أعالج منها حضرها واكتدادها
وأرضى بها من بحر آخر أنه . هو الرأى أن ترضى النفوس ثمادها
وأبرع بيت قيل من قديم الشعر قول أبي ذؤيب :

والنفس رغبةٌ إذا رغبته . وإذا تردُّ الى قليلٍ تقنع
وقد أحسن أبو العتاهية فى قوله :

أنت محتاجٌ فقيرٌ أبداً . دون ما ترضى بأذى مالك
وذمٌ بعضهم القناعة فقال هى خلق البهيمة ، معناه أنها إذا وجدت أكلت
وان لم تجد باتت على الخسف ليس لها محالة دون الانطواء على الجوع ولا نكير
دون الاقرار بالهزل كما قيل :

ولا يقيم على ضيمٍ يُرادُ به . إلا الأذلان غير الحى والوتدُ
هذا على الخسف مربوطٌ برمتِهِ . وإذا يُشجُّ فلا يرفى له أحدُ

وإلى هذا المذهب ذهب على بن محمد فى قوله :

إذا اللئيمُ مطاً حاجبيه . وذادَ عن حريمٍ درهميه
فارك عنانَ البخل فى يديه . وقم الى السيف ^(١) وشفرتيه
واستنزل الرزقَ بمضريه . إن قعدَ الدهرُ قمم اليه
وقلت : سأستعطفُ الأيام حتى تردنى . إلى جانب منها يلينُ ويسهل ^(٢)
وأقنعُ لا أن القناعة لى هوى . ولكن صونَ العرض بالحر أجمل
وقال ديك الجن :

لاتقم للزمان فى منزل الضيسم ولا ترتبطك رقةٌ حال
وإذا خفت أن يراحتك العدمُ فمذ بالثقات العوالى
وأهن نفسك الكريمة للموت وقم بها على الأهوال

(١) فى الأصل « وقم بالسيف » . (٢) فى الأصل « تلين وتسهل » .

فلعمري للوقت أجمل بالحر من العيش ضارعا للرجال
 أي ماء يجول في وجهك الحر إذا ما امتهتته بالسؤال
 ثم لا سيما وقد عصفت الدهر بأهل الندى وأهل النوال
 فقليل من الوردى من تراه يُرتجى أن يهسون عرضا بمال
 وفي المعنى الأول ما أنشدنا أبو أحمد رحمه الله تعالى، أنشدنا أبو بكر بن
 دريد أنشدني أحمد بن المثلث^(١) لأخيه عبد الصمد^(٢) :

رأت عذمي فاسترأيت رحلي سبيلك إن نهواها سبيلي
 يرجي اليسار لها بالتقول لعل المنية قبل القول
 لعمري التي وعدتك الثراء بجلاوى الصديق وبر الخليل
 لقد قذفت بك صعب الرام واستجملت لك غير الجميل
 ساقى العفاف وأغنى السكفان فليس غنى النفس جود الجزيل
 ولا أتصدى لشكر الجواد ولا استعد لدم البخيل
 وأعلم أن بنات الرجا نحل العزيز محل الذليل
 وأن ليس مستغنيا بالكثير من ليس مستغنيا بالقليل
 قال أبو أحمد لو كان شعر عبد الصمد كله هكذا لرأيتني الشعر. وقال البه مير :

قلت لأهلى وراموا أن أميرهم بماء وجهي قلم أفضل ولم أكره
 لا تجمعوا انت تهنونى وأكرمكم ولا تمدهوا الى نيل اللئام يدي،
 تبلغوا وادفصوا الحاجات ما اندفعت ولا يكن همكم فى يومكم لغد
 قرب ملتصق مالىس يدركه ومدرك ما تمنى غير مجتهد
 أبلغ ما قيل فى مساعدة الرجل أخاه وأجوده قول دريد بن الصمة وقد أثار
 هو وأخوه عبد الله على نعم لقيس فاستاقروها فلما كانوا ببعض الطريق نزل عبد الله
 ليربح وبستر يبع ويقسم المال بين أصحابه قهاه دريد فينما هما كذلك رأوا غيره

(١) فى الأصل «ابن المعتزل». (٢) من شعراء العصر العباسى نشأ فى البصرة.

فقالوا لرقيبهم ماترى قال خيلاً كالعقبان عليها فوارس كالصبيان فقال فزاره ولا بأس ثم رأوا غيرة أخرى فقالوا له ماترى قال خيلاً كأن قوائمها تنقلع من صخر قال تلك عبس والموت فلما خالطوهم قتل عبد الله فقال دريد :

أمرتهمُ أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد
فلما عصوني كنتُ منهم وقد أرى غوايتهم أنى ^(١) بهم غير مهتدى
وما أنا إلا من غزية إن غوت غويتُ وإن ترشُد غزية أرشد
وأسر دريد ثم نجى فغزاهم من قابل فقتل قاتل أخيه . ووجه المبالغة في هذا الكلام أنه أخبر بموافقة أخيه على علمه بأنها غي وترك مخالفته مع معرفته أنها رشد كراهة الخروج من هواه وترك مطابقتها على رضاه . وقريب منه قول عمر بن أبي ربيعة وروى غيره :

وذى ودٍ أملتُ إليه نصحاً وكان لنا أشيرُ به جميعاً
أطافَ بغيه ونهيتُ عنها وقلتُ تجنبِ الأمرَ الفظيماً
أردتُ رشادَهُ جَهدي فلما عصى وأبى ركبناها جميعاً
وأنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن الحسن بن محمد المهرى عن التوزي :
تنخلتُ آرائى ومقتُ نصيحتى إلى غير طلقٍ للنصيح ولا هشٍ
فلما أبى نصيحى سلكتُ سبيله وأوسعته من زور قول ومن غشٍ
وقال آخر :

ألم تعلم يا ابنى رجاجةً أنى أغشُ إذا ما النصيحُ لم يُقبل
ومن جيد ما قيل في النصيحة قول مخيس بن أرطاة :
عرضتُ نصيحةً منى ليحيى فقال غششتنى والنصحُ مرء
ومابى أن أكونَ أعيب يحيى ويحيى طاهرُ الاخلاق برء
ولكن قد أتانى أن يحيى يُقالُ عليه فى تقواء شرء

(١) في النسخ « أو أنى غير » .

قلتُ له تجنب كلَّ شيء يُقالُ عليك إن الحرَّ حرٌّ
ومثل ما تقدم قول الشاعر أنشدناه أبو أحمد عن جماعة :
إن أخا الصديق الذي ابن يخذلك ومن يضرُّ نفسه لينفك
ومن إذا صرفَ زمان صدك شئتَ شملَ نفسه ليجمعك
وإن غدوت ظالماً غدا معك

فسرّوه يكفك عن الظلم ، وليس كذلك لأن معنى الآيات لا يقتضيه وإنما
أراد أنه يعاونك على الظلم على حسب ما قال عمر بن أبي ربيعة « ركبناها جميعا »
وقال ابن ميادة في النصيحة :

نصحتك يارباحُ بأمرٍ حزم قلت هشيئةً من أهل نجد
نهيتك عن رجال من قرش على محبوكِ الأَصْلَابِ جرد
ووجداً ما وجدتُ على رباح وما أغنيت شيئاً غير وجدى
وقال العباس بن جرير :

إرعَ الأخاءَ أبا محمد الذي يصفو وصنه
وإذا رأيت منافساً في نيل مكرمة فكنه
إن الصديق هو الذي يرمك حين تغيبُ عنه
وإذا كشفت غطاءه أهدت ما كشفت عنه
مثل الحسام إذا اتضا هُ أخو الحفيظة لم يخنه
يسعى لما نسي له كرمًا وإن لم تستعنه
ومن أبلغ ما قيل في ارضاء الرجل عن أخيه قول الراجز :

لم أقض من صحبة زيد أربى فتي إذا نهته لم يقضب
أبيض بسام وإن لم يعجب ولا يرض بالمتاع المحب
موكل النفس بحفظ الغيب أقصى رفيقين له كالأقرب

وهذا خلاف ما قيل * من غاب غاب نصيبه * وقلت في قريب منه :

بذلتُ من شكرى مالم يندل لماجد أجملَ إذ لم أجمل
يحمل من ثقلِ مالم يحمل فمز في عيني حين ذل لي
إن جمال الحر في التجمل وقد يكون العز في التذل
والمجد شهد يجتنى من حنظل

ومن قديم ما جاء في هذا النحو قول لؤس :

وليس أخوك الدائم العهد بالذي يلوئك إن ولي ويرضيك مُقبلا
ولكنه النائي إذا كنت آمنا وصاحبك الأدنى إذا أمر أعضلا
أبلغ ما قيل في النائي وأجوده وأشده اختصارا ما أنشدناه أبو أحمد للرار المقسى :
تقطع بالنزول الأرض عنا وبعد الأرض يقطعه النزول
وهذا مأخوذ من قول النبي ﷺ « ألا إن هذا الدين مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ
يَرْفِقْ فَإِنْ الْمُنْبِتُ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى » وتقول العرب شر السير
الحفظة ، وهي شدة السير . وقلت في نحو قول الرار :

وحطَّ بها كوار خوص لواغب يقلُّ إكثار الذميل ذميلها
نفض عبرة حلَّ الفراق عقالها وأقلق هجران الحبيب مقيلها
فلا غرو إن فاضت دموع متيم على الدار يسقى ظلمن طلوعها
ومن المشهور في النائي قول القطامي :

قد يُدركُ المتأني بعض حاجته وقد يكونُ مع المستعجل الزللُ
وقال غيره :

ومستعجل والمكث أدنى لرشد ولم يدر ما يلقاه حين يُبادرُ
وقيل لبعض العلماء لم لم يقل « كل حاجته » فيكون أبلغ قال ليس « كل » من كلام
الشعر ، وقد صدق ولو قال كل حاجته لكان متكلفا مردودا وكثيرا ما يقع « كل » في
الشعر قلق المكان كوقوعه في بيت ابن طباطبا :

فبالأني دعني أخالي بقيتي فقيمة كل الناس ما يحسنونه

ولا أعرفُ أن «كلا» وقع في بيت أحسن منه في بيت أبي العتاهية :

أعلتُ مُعْتَبَةً أنى منها على أجل مطل
وشكوتُ ما ألقى إليها والمدامعُ تستهل
حتى إذا برمتُ بما أشكوكا بشكو الأذل
قالت فأى الناسِ نمرِفُ ما تقولُ قُلتُ كل
ومن الذى يهوى فلا يزهى عليه ولا ينل
وقد أصاب القائل في صفة العقل :

وجدتُ العقلَ نوعين فطبيعٌ ومسوعٌ
ولا ينفعُ مسوعٌ إذا لم يكُ مطبوعٌ
أجود ما قيل في الاختيار قول ابن المعدل أظنه :

إذا لم تُقدحى زنديك يوماً فما يدريك أيهما الوريُّ
وأول الأبيات :

رأتنا أم عمرو فازدرتنا ونقضُ الحرب منظرُهُ زرىُّ
إذا لم تُقدحى زنديك يوماً فما يدريك أيهما الوريُّ
سلى بي تخبرى أنى طروب إلى الإيسار أبلغُ بُخترىُّ
وأنى حين تختلفُ^(١) العوالى إلى الإبطال أكيس قسورىُّ
كلينى للتدى والبأسِ أنى بكل بسالةٍ وندى حرىُّ
ومثله قول الآخر :

زنى القومَ حتى تعرفى عندَ وزنهم إذا رُفِعَ الميزانُ كيفَ أميلُ
وقال النبي ﷺ (أخبر قلته) معناه اختبر من شئتُ تجد دون ما تظنه فيه
وتطلع على ما تكره منه فتبغضه ، وليس في جميع ما قيل في هذا المعنى أبلغ منه
ولا أوجز وقد شرحه ابن الزومي فقال :

(١) في الأصل «يتخلف» .

دعني الى فضل معروفكم وجوه منظرها معجبه
 فأخلفتم ما بومته وقل حميد على التجربه
 وكم لمة خلتها روضة فأنبتها دمنة معشبه
 ظلمتكم لا تطيب الفروع إلا وأعراقها طيبه
 وكنت حسبت قلما حسبت عني على الحساب مع المحسبه
 فهل تعذروني كمذريكم بأن أصولكم المذنبه
 جزيت موازينكم بالسواء وعذر بعذر فلا ممتبه

وقد قال الناس : الطمانينة قبل التجربة حق : والمثل السائر : لا تحمدن أمراً
 حتى تجربه . سمعت عم أبي يقول ما سمعنا في الشكر أوجز من قول يحيى بن خالد
 « الشكر كفو النعمة . ولا أطرف من قول البحتري . الشكر نسيم النعمة .
 وأنا أقول لم يسمع أجمع في الشكر من قول ابراهيم بن العباس : أخبرنا به أبو أحمد
 عن الصولي عن أحمد بن اسماعيل قال قال ابراهيم بن العباس : الشكر داعية المزيد
 وقيمة المارفة ورباط النعمة ولسان المعطفة . وأبلغ ما قيل في الشكر من الشعر
 قول يحيى بن زياد الحارثي أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :

حلفت برب العيس تهوى بركبها الى حرم مانعه للركب معلل
 لما بلغ الانعام في الفضل غاية تفضل لإغاية الشكر أفضل
 ولا بلغت أيدي المتيلين بسطة من الطول إلا بسطة الشكر أطول
 ولا ثقلت في الوزن أعباء منه على المرء إلا منه الشكر أثقل
 فمن شكر المعروف يوماً فقد آتى أخا العرف من جنس^(١) المكافاة من عل
 وقال الآخر : فعلت خيراً كثيراً وأنت أكثر منه
 وتحسن أكثر منه لشكرنا لك عنه

وأجود ما قيل في عظم النعمة وقصور الشكر من قديم الشعر قول طريح بن اسماعيل :

(١) في نسخة « حسن » مكان « جنس »

سعت^١ ابتغاء الشكر فيما صنعت بي قصرت مغلوباً وإني لشاكر
 قوله وإني لشاكر مع قوله مغلوباً حسن الموقع ، وهو مأخوذ من قول الآخر :
 فراق حبيب لم يبين^٢ وهو بائن^٣
 لأنك توليني الجميل بداهة^٤ وأنت لما استكثرت من ذاك حافر
 فأرجع مغبوطاً وترجم^٥ بالتي لها أول^٦ في المكرمات وآخر^٧
 وقول الآخر :

ولو أن لي في كل منبت شعرة^٨ لساقاً يث^٩ الشكر فيك لقصرا
 وقول دعبيل :

هجرتك لأعن جفوة وملاة^{١٠} ولا لقل أبطأت عنك أبا بكر
 ولكني لما أتيتك راجباً^{١١} فأفرطت في برّي عجزت عن الشكر
 فلان^(١) لا آتيك إلا معذراً^{١٢} أزورك في الشهرين يوماً أو الشهر
 فان زدت في برّي تزايدت جفوة^{١٣} فلا تلتقي^(٢) حتى القيامة والحشر
 وقول أبي نواس :

قد قلت للعباس مستندراً^{١٤} من ضعف شكره ومعتزفاً^{١٥}
 أنت امرؤ قلدتني نعماً^{١٦} أوهمت قوى شكرى وقد ضعفاً^{١٧}
 لا تسدين^{١٨} إلى عارفة^{١٩} حتى أقوم بشكر ما سلفنا^{٢٠}

وهو أول من آتى بهذا المعنى إلا أنه عبر عنه عبارة طويلة ، وأحد أدواء

الكلام فضل ألفاظه على معانيه . وقال البحتري :

هاتيك أخلاق^{٢١} اسماعيل في تعب من العلا والعلا منهن في تعب
 أدابت شكرى فأسمى منك في نصب^{٢٢} أقصر فالي في جدواك من أرب
 لأقبل الدهر نيلاً لا يقوم له^{٢٣} شكرى ولو كن مسديه إلى أبي
 لما سألتك واقاني نذاك على أضعاف شكرى فلم أظفر ولم أخب

(١) أصله « فن الآن » . . (٢) في الأصل « نكتني » .

وقلت في معناه :

تقاصرَ عن نداءه باعُ شكري قصورَ الزجَّ عن زلقِ اللسان
وآسى أن تطولَ يداي منه إلى ما لا يطاولُه لسانى
كان ندى يديه عناقُ بين فليس يسرُّنى إلا شجاني
لهجتُ بذكره لا بينَ عنه فضاقَ بوصفه ذرعُ البيان
حناني ثقله ولو أن قوساً تلقى منكبي لما حناني
فها أنا منه منتقرٌ وغاب وقلبي فيه منطلقٌ وعان

وقال البحترى :

إني هجرتك إذ هجرتك وحشة لا العودُ يذهبها ولا الأبداءُ
أخجلتني بندى يديك فسودت ما بيننا تلك اليدُ البيضاء
وقطعتني بالجودِ حتى أني متخوفٌ أن لا يكون لقاء
صلةٌ غدت في الناسِ وهي قطيعةٌ عجباً وبرٌّ راحَ وهو جناء
ليواصلنك ركبُ شمرٍ سائر يرويه فيك لحسنه الأعداء
حتى يتم لك الثناء مخلداً أبداً كما تمت لك النماء
فتظلُّ تحسدك الملوكُ الصيدي وتظل تحسدني بك الشعراء

وقد أحسن ثمامة فيما كتب إلى بعضهم : قد حيرني سوء رأيك في فما أهدى
لطلب الاعتذار وأنت مولى نعمة أنا عبد شكرها فلا تظلمني من حسن رأيك
فأضوي ولا تسقطني عن حيطتك فأثوي . وقريب من المعنى الأول قول البحترى
مَنْ مُعِينِي مِنْكُمْ عَلَى ابْنِ قُرَاتٍ ومكافاةٍ ما أنالَ واسبدي
كلما قلتُ أطلقَ الشكرُ رقي رجعتني له أياديه عبداً

سمعت عم أبي يقول ما سمعنا بالرضا بالقسمة والشكر أحسن من قول صالح بن
مسارة : ما أدري النعمة الله فيما بسط على أفضل أم نعمته فيما زوى عني فجعل ما بينه
نعمة والناس يجعلونه محنة ونقمة . وكتب بعضهم في المعنى الأول : أنا وإن كنت

ذافاة إلى طولك فليست لي طاقة بما حملته من برك وما أجد لنفسي معقلا ولا أعرف لها متعلا إلا في الاقتداء بمن عجز عن شكر ما أولى فجزئنيصته بالاعتراف والتقصير واعتمد من شكره على تصريح المأذير . وكتب إلى بعض الأصدقاء وصل كتابك مقرونا بالتوقيع في معنى المعيشة فأعاد الأمل جديداً والجد سعيداً والهمة سامية تمشح وجه النجم وتقبل طارض الشمس وتمسك بعنان البدر فأذن بعمارة الجاه وتكفل برفع القدر وضمن أعملاء الأولياء وكبت الحساد وكب الأعداء إلى غير ذلك من أنس أورده وسرور جده ووحشة صرفها وكربة كشفها ، وفهمته وتأملت التوقيع فتصور لي الغناء بصورته وقابلي بصدق مخيلته وعرفت أن الدهر قد غضت جفونه ونامت عيونه وتنحت عن ساحتي خطوته وهذه نعم أعيا بذكرها فكيف أطعم في أداء شكرها بل عسى أن يكون الاعتراف بقصور الشكر عنها شكراً لها ومقابلة لما خلص إلى منها وأنا معترف بذلك اعتراف الروض بمقوق الأنواء إذا تحلى يواقيت الأنوار ولا تكيء الانداء .

وجعل جعفر بن يحيى البرمكي الشكر باظهار حسن الحال أبلغ من الشكر بالقول . أخبرنا أبو أحمد أخبرنا المبرمان أخبرنا أبو جعفر بن القتيبي عن القتيبي قال أراد جعفر بن يحيى حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعي فدفع إلى خادم له كيساً فيه ألف دينار وقال اني سأنزل في رجعتي الى الاصمعي ثم سيحدثني ويضحكني فاذا ضحكك فضع الكيس بين يديه فلما رجع ودخل عليه فرأى جُباً مكسور الرأس وجرة مكسورة العنق وقصعة مشعبة وجفنة اعشار وراه على مصلى بال عليه بركان أجرد فغمز غلامه أن لا يضع الكيس بين يديه فلم يدع الأصمعي شيئاً مما يضحك الشكلاان والنضبان إلا أورده عليه فما تبسم ثم خرج فقال لرجل يسايره من استرعى الذئب ظم ومن زرع صبيخة حصد الفقر إني والله لما علمت أن هذا يكتم المعروف بالفعل ما حلفت بنشره له باللسان وأين يقع مدبح اللسان من آثار العيان ان اللسان قد يكذب والحال لا يكذب والله در نصيب حيث يقول :

فعاذوا فأتتوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق
ثم قال أعلمت أن ناس أبرويز أمدح لأبرويز من شعر زهير لآل سنان .
قد أتى جعفر في هذا الفصل من المعاني بما لم يأت به أحد قبله وشرحه شرحاً ليس
مثله لأحد سواه . وقالت الحكماء لسان الحال أصدق من لسان الشكوى .

وقد أجاد ابن الرومي في هذا المعنى فقال :

حال تبيع بما أوليت من حسن وكل ماتدعيه غير مردود
كل هجاء وقتلي لا يحمل لكم فما يداويكم مني سوى الجود
وقالوا : شهادات الأحوال أعدل من شهادات الرجال .

ومما يجري في باب الشكر وهو من أبدع ما قيل في معناه ما أنشدناه أبو أحمد قال
أنشدنا الصولي قال أنشدنا أحمد بن إسماعيل الخطيب لنفسه :

واني وإن أحسنت في القول مرة فمك ومن آثارك امتار هاجسي
تعلمت بما قلته وفعلته فأهديت غصناً من حناي اغارمي

: أخذه ابن طباطبا فقال في ابن رستم الأصمعي :

لا تشكرن اهداءنا لك منطقاً منك استفدنا حسنه ونظامه
فالله جل وعز بشكر فعل من يتلو عليه وحبه وكلامه

وفي غير هذا المعنى يقول أبو تمام :

كم غارة لك في المسكار ضخمة غادرت فيها ماملكت قتيلا
فرايت أكثر من بذلت من اللهى نزرأ وأصغر ما شكرت جزيلا

وقد أحسن ابن الرومي :

هاجرت عنك إلى الرجا ل فكان عرفهم كنكرك
ورجعت من كذب اليك مفرغاً نفسي لشكرك
ولما أروم بما تم ل زيادة في رفع ذكرك
لك حق أوفيه عوانك بعد برك

كَمْ نَعْمَةٍ لَكَ مَلَأَ فِكْرِي لَا تَلَاظِمُهَا بِفِكَرِكَ
(أحسن ما قيل في الصبر) أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن ابن الرياشي عن
أبيه عن الأصمعي قال قال أبو عمرو أحسن ما قيل في الصبر قول أبي خراش^(١):

تَقُولُ أَرَأَيْتَ بَعْدَ عُرْوَةٍ لَا هِيَ وَذَلِكَ رِزْقٌ لَوْ عَلِمْتَ جَلِيلُ
فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَنَاسَيْتُ عَهْدَهُ وَلَكِنْ صَبْرِي بِأَمِيمٍ جَمِيلُ
وَبَعْدَهُ: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلُنَا خَلِيلًا صَفَاءً مَالِكٌ وَعَقِيلُ

وقال الأصمعي أحسن ما قيل فيه مع الشرح قول أبي ذؤيب:

وَتَجَلَدِي لِلشَّامِتِينَ أَرْبَعًا أَنِّي لَرَيْبٍ الدَّهْرِ لَا أَتَضَمُّعُ
حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرُوءَةٌ بِصَفَا الْمَشْرِ كُلِّ يَوْمٍ تَقَرُّعُ
وَقَوْلُهُ: وَإِنِّي صَبَرْتُ النَّفْسَ بَعْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَدْ لَجَّ مِنْ مَاءِ الشُّؤْنِ لَجُوجُ
لَأَحْسَبَ جَلَدًا أَوْ لَيْنًا شَامِتُ وَلِلشَّرِّ بَعْدَ الْقَارِعَاتِ فُرُوجُ

وأجود ما قاله محدث فيه قول ابن الرومي أنشدناه أبو أحمد عن ابن المسيب

رواية ابن الرومي عن أبيه الرومي:

أَرَى الصَّبْرَ عَمُودًا وَفِيهِ مَذَاهِبُ فَكَيْفَ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ عَنْهُ مَذْهَبُ
هَنَّاكَ يَحِقُّ الصَّبْرُ وَالصَّبْرُ وَاجِبُ وَمَا كَانَ مِنْهُ كَالضَّرُورَةِ أَوْجِبُ
فَشَدُّ أَمْرُوهُ بِالصَّبْرِ كَفَأَقَانَهُ لَهُ عَصْمَةٌ أَسْبَابُهَا لَا تَقْضِبُ
هُوَ الْمَهْرَبُ الْمُنْجَى لِمَنْ أَحْدَقَتْ بِهِ مَكَارَهُ دَهْرٍ لَيْسَ عَنْهُمْ مَهْرَبُ
لِبُوسُ جَمَالِ جُنَّةٍ مِنْ شِمَانَةٍ شِفَاءُ أَسَى يَتَنَّى بِهِ وَيُثَوِّبُ
فِي عَجَابٍ لِلشَّيْءِ هَذَا خِلَالَهُ وَتَارَكَ مَا فِيهِ مِنَ الْخَطِّ أَعْجَبُ
وَقَدْ يَنْظُرُ النَّاسُ أَنْ أَسَاهُمُ وَصَبْرُهُمْ فِيهِ طِبَاعُ مَرْكَبُ
وَأَنَّهُمَا لَيْسَا كَشَيْءٍ مَصْرُوفٍ بِصَرْفِهِ ذُو نَكْبَةٍ حِينَ يَنْكَبُ
فَإِنْ شَاءَ أَنْ يَأْسَى أَطَاعَ لَهُ الْأَمْسَى وَإِنْ شَاءَ صَبْرًا جَاءَهُ الصَّبْرُ يَجْلِبُ

(١) هو خويلد بن مرة الشاعر الفارس المشهور بالعدو، أسلم وعاش إلى زمن عمر.

وليسَ كما ظنوها بل كلاهما لكل لبيبٍ مُستطاعٌ مسبب
 يصرفه الخُتار منها فتارةً يرادُ فينأى أو يزادُ فيذهب
 إذا احتجَّ محتجٌّ على النفس لم ينكد على قدر ما يعنى له يتعجب
 وساعدها الصبرُ الجميلُ فأقبات إليها له طوعاً جنائبٌ تحجب
 وإن هو منهاها الأباطيلَ لم تزل تعانلُ بالغيب القضاء فتغلب
 فتضحي جزوعاً أن أصابت مُصيبةً وتسمى هلوغاً إذ تعذر مطلب
 فلا يعنون التارك الصبر نفسه بأن قيل إن الصبر لا يتكسب

ومن أجود ما قيل في ذم الحقْد قول ابن الرومي :

الحقْد داءٌ دفينٌ لا دواءَ له يرى الصدور إذا ما جرَّه حرثا
 فاستشف منه بصفح أو معاتبةٍ قائما يرى المصدور ما نقثا
 واجعل طلابك بالأوتار ماء عظمت ولا تكن لصغير الأمر مكثرثا
 ثم قال يمدحه :

وخيرُ سجايات الرجالِ سجيةٌ توفيك ما تسدى من القرضِ والقرضِ
 وما الحقْدُ إلا توأمُ الشكر في الفتى وبعضُ السجايا ينتسبُ إلى بعض
 فحيثُ ترى حقداً على ذي اسامةٍ ثم ترى شكراً على حسنِ القرضِ
 ولولا الحقودُ المستكناتُ لم يكن لينقض وتراً آخرَ الدهرِ ذو نقض

وأول من مدح الحقْد عبد الملك بن صالح في قوله : إن كنت تريد الحقْد بقاء
 الخير والشر عندي أنهما الباقيان . وأجمع كلمة قيلت في الصبر قول بعضهم الصبر
 مظنة النصر . وقال الآخر : الصبر مطية لا تكبر وإن عنف عليه الزمان . وممات
 عم أبي يقول : الصبر شرية شمراوية ^(١) وقال * فرج أيام الكريهة بالصبر *
 وقال آخر : * وهل جزعٌ يُجدي على فأجزع * فجعل الصابر الصبر
 ضرورة لعله أن الجزع غير مجد . وقلت :

(١) الشرى : شجر الحنظل والأرى : العسل .

قالوا صبرت وما صبرت جلادةً لكن تملة حيلتي أنصبر
 وليس في الحيوان شيء أصبر من الحمار والجل وذلك أنهما يحملان الحمل
 الثقيل على الدبر ويبلغان به الغاية البعيدة على الحفا حتى قالت العرب «أصبر من ذى
 ضاغط» وهو أن يضغط موضع الابط أصل السكر ككرة حتى يدميه . ويقولون :
 أصبر من عود يجتبيه جلب قد أثر البطان فيه والحقب
 قاله جلجلة بن قيس من أشيم فصار مثلاً ، وقال سعيد بن أبان بن عينة بن حصن :
 أصبر من ذى ضاغط ممرّك ألقى يوانى صدره للمبرك
 ويقولون أصبر من ضب لما هو فيه من القشف واليس . وقالوا حيلة من
 لا حيلة له الصبر . وممعت والذى يقول لمن الله الصبر فإن مضرت حاجلة ومنفعته
 آجلة وذلك أنك معجل بالصبر ألم القلب لتنال المنفعة في المأقبة ولعلها تفوتك
 لعارض يمرض وكنت قد تسجلت الضرر من غير أن تصل إلى نفع . فنظمته
 بعد ذلك وقلت :

الصبر عن تحبه صبرٌ ونفعٌ من لأم في الهوى ضرر
 من كان دون المراد مُصطبراً فليست دون المراد أصطبر
 منفعة الصبر غير حاجلة وربما حال دونها الغير
 فقم بنا نلتبس ما ربنا أقام أولم يقم بنا القدر
 ان لنا أنفساً تسودنا أعانهم^(١) الزمان أو ينذر
 وابع من العيش ما تسر به ان غل الناس فيه أو عذروا
 وقال أبو هلال أجمع كلمات معناها في الحلم ما سمعت عم أبي يقول الخليم
 ذليل عزيز وذلك أن صورة الخليم صورة الدليل الذى لا اتصاف له واحتمال السفه
 والتغافل عنه في ظاهر الحال ذل وان لم يكن به . وقيل الخليم مطية الجهول لاحتمال
 جهله وتركه الاتصاف منه . وقال الأول :

(١) في الاصل «أعانهم من» ولعل «من» زائدة .

وليس يتم الحلم للمرء راضياً إذا كن عند السخط لا يتعلم
 كما لا يتم الجود للمرء موسراً إذا كن عند العسر لا يتكرم
 ولهذا قال شيخ من الأعراب وقد قيل له ما الحلم قال الذي يصبر عليه وقال الشاعر :
 لن يدرك المجد أقوامٌ وان كرموا حتى بذلوا وإن عزّوا لأقوام
 ويشتموا فتري الألوان مسفرةً لاصفح ذلٍّ ولكن صفح أحلام
 وصحته يقول الحلم عقاب الشر وذلك أن من سمع مكروهة فسكت عنها انقطع
 عنه أسبابها وإن أجاب اتصلت بأمثالها . وأنشدوا في هذا المعنى :

وتخرج نفس المرء عن وقع شتمه ويشتم ألفاً بعدها ثم يصبر
 ولا أعرف في الحلم معنى أحسن من معنى معاوية في قوله أنى لأرفع نفسي أن
 يكون ذنب أوريته من حلمي وما غضبي على من أملك أو ما غضبي على من لأملك .
 يريد أنى إذا كنت مالكا للمذنب فأنى قادر على الانتقام منه فلم أزم نفسي
 الغضب وإن لم أكن أملكه فليس يضره غضبي فلم أغضب عليه فأضر نفسي
 ولا أضره . وقال الشاعر في الحلم والاعضاء عن المكروه مع القدرة على التغيير :
 مغمض على العوراء لو لا الحلم غيره انتصاره

وأسمم بعضهم الشعبي فقال له إن كنت صادقاً فغفر الله لي وإن كنت كاذباً
 فغفر الله لك . وهذا أعجب ما جاء في هذا الباب وأحسنه . وأجود شيء قيل في الحلم
 من الشعر ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا ابن حريز أخبرنا أبو عثمان عن الأختش
 قال نال رجل من الخليل بن أحمد وأسممه فقال الخليل :

سأزوم نفسي الصفح عن كل مذنب وإن كثرت منه على الجرائم
 وما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقام
 فأما الذي فوق فأعرف فضله وأتبع فيه الحق والحق لازم
 وأما الذي مثل فأت زل أو هفا تفضلت إن الفضل بالمرحوم
 وأما الذي دوني فإن قال صنت عن إجابته عرضي وإن لأم لأم

قسم هذا الشاعر ثم فسر فأحسن ولم يدع مزيداً . ومن عجيب ما روي في
الحلم ما أخبرنا به أبو أحمد عن رجاله قال حي . قيس بن عاصم بابت له قتيلاً وابن
أخ له كتيلاً وقيل له هذا قتل ابنك فلم يقطع حديثه ولا نقض حبوته فلما فرغ من
حديثه التفت الى بعض بنيه فقال قم الى ابن عمك فاطلقه والى أخيك فادفنه والى أم
القتيل فاعطها مائة ناقة فانها غريبة لعلها أن تسلو عنه ثم اتكأ على شقه الأيسر وقال :

إني امرؤ لا يمتري خلقي دَنَسٌ يَغِيرُهُ وَلَا أَفْنٌ
من منقر في بيت مكرمة والفرع يَبْتَ فَوْقَهُ القَصْنُ
خطباء حين يقول قائلهم ييضُ الوجوه مصارع لسن
لا يفتنون لئيب جارم وهم لحفظ جوارم فطن

ويوصف الحلم بالرزانة وأجود ما قيل في ذلك قول مروان بن أبي حفصة ^(١) :
ثلاثٌ بأمثال الجبال حياهم وأحلامهم منها لدى الوزن أثقل
وقد ذكرناه . والعرب تسمى العلم حلماً قال المتنبي :

لذي الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا وما علم الانسان إلا لبعثا
ومن أشرف نعوت الانسان أن يدعى حليماً لأنه لا يدماه حتى يكون عاقلاً
والمأومصطبراً محتسباً وعفواً وصالحاً ومحتملاً وكافلاً ، وهذه شرائط الاخلاق
وكرائم السجاياء والخصال . وقد خولف هؤلاء قليل في خلاف مذهبهم هذا أنشد المبرد :

أباحسن ما أقبح الجهل بالفتى وللحلم أحياناً من الجهل أقبح
إذا كان حلم المرء عوناً عدوه عليه فإن الجهل أعنى وأروح
وقال غيره :

قليل الأذى إلا عن القرن في الوغى كثير الأيادي واسع النزع بالفضل
ويحلم ما لم يجلب الحلم ذلةً ويجهل ما شئت قوى الحلم بالجهل
وقال غيره :

ترفعتُ عن شتم العشرة اتى رأيتُ أبى قد كفَّ عن شتمهم قبلى
 حلیمٌ إذا ما الحلمُ كان جلاله وأجهلُ أحياناً إذا التمسوا جهلى
 وقال غيره : * إذا الحلم لم ينفعك فالجهلُ أحزم * وقالوا ليس شيء خيراً من
 الحق إلا العفو وذلك أن عقاب المستحق للعقاب حق والعفو خير منه ، ومن أحسن
 ما جاء فيه قول بعضهم : لو أن المسىء لى عبد لآخ لي لرأيتُ تفضله والصفيح عنه
 إجلالاً لقدر مولاه واعظاً لما لحق صاحبه فأنا بالصفيح عن عبد الله أولى .

وفي ذم العفو قول عميرة بن عقيل :

وما ينفعك من سعدٍ إلينا قطوعُ الرحم بادية^(١) الأديم
 ونفرتها كأن لم ينفلوها وطولُ العفو أدرب^(٢) للظلوم

أجود ما قيل في المشهورة قول بشار أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن يحيى حدثنا
 الغلابي حدثنا محمد بن عبد الرحمن التميمي قال دخل بشار على إبراهيم بن عبد الله
 ابن الحسن بن الحسين فأنشده قصيدة بهجو فيها المنصور ويشير برأى يستعمله في
 أمره فلما قتل إبراهيم خاف بشار قلب الكنية وأظهر أنه قالها في أبي مسلم ، أولها :

أبا جعفرٍ مأكلاً عيشٍ بدائم وما سالمٌ عما قليلٍ بسالم
 على الملك الجبارٍ يقتحمُ الردى ويصرُّعه في المأزقِ المتلاحم
 كأنك لم تسمع بقتلٍ متوجٍ عظيمٍ ولم تعلم بهلك الأتاجم
 تقسم كسرى رهطه بسيفهم وأمسى أبو العباس أحلام نائم
 وقد ترد الأيام عزاً وربما وردن كلوماً باديات الكشائم
 ومروان قد دارت على نفسه الردى لاجرامه لا بل قليل الجرائم
 وأصبحت تجري سادرآتي طريقهم ولا تتقى أشباه تلك القوائم
 تجردتَ للإسلامِ تعفو رسومه وتعرى مطايا لليوث الضراغم
 فما زالت حتى استنصر الدين أهله عليك فعاذوا بالسيفِ الصوارم

(١) في النسخ غير منقوطة . (٢) لعله (آدب) .

لحى الله قوماً رأسوك عليهم ولمألت مرؤساً خيث المطاعم
 أقول لبسام عليه جلالة غداً أريحياً عاشقاً للكارم
 من الفاطميين الدعاة إلى الهدى جباراً ومن يهدبك مثل ابن فاطم
 سراج لعين المستضى وتارة يكون ظلاماً للمدو المزاحم
 إذا بلغ رأى المشورة فاستعن برأى نصيح أو نصيحة حازم
 ولا تجعل الشورى عليك فضاصة فان الخوافي قوة للقوادم
 وما خير كيف أمسك الغل اختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم
 واخل الهوينى للضعيف ولا تكن تؤوماً فان الحزم ليس بناثم
 وحارب إذا لم تعط إلا ظلامة شبا الحرب خير من قبول المظالم
 هذا ما أورده أبو هلال العسكري وفي بعض الكتب زيادة في هذه القصيدة وهي :
 فأذن على الشورى المقرب نفسه ولا تشهد الشورى امرأ غير قائم
 فانك لا تستطرد الهيم بالنى ولا تبلغ العليا بغير المكارم
 وما قارع الأقوام مثل مشيع أريب ولا جلى العمى مثل عالم
 وما خير كف - البيت . قال أبو بكر فحدثني الجمعى قال سمعت المازنى
 يقول سمعت أبا عبيدة يقول مبيعة بشار هذه أحب إلى من ميعتى جرير والفرزدق .
 وقيل لبشار ما أحسن أيمانك فى المشورة فقال المستشار بين صواب يفوز بشمرته
 أو خطأ يشارك فى مكروهه ف قيل له هذا والله أحسن من شرك . ومن الأفراد
 التى لاشبه لها قول عبد الملك بن صالح فى ذم المشورة : ما استشرت أحداً إلا تكبر
 على وتصاغررت له ودخطنى الذلة فعليك بالاستبداد فان صاحبه جليل فى العيون
 مهيب فى الصدور فاذا افتقرت إلى القول حقرتك العيون فضعضم شأنك ورجفت
 بك أركانك واستحقرك الصغير واستخف بك الكبير وما عز سلطان لم يغنه
 عقله عن عقول وزرائه وآراء نصعائه . فتم المشورة كما ترى وهى ممدوحة بكل لسان .
 وقال رومى لفارسى نحن لائملك من يشاور فقال الفارسى نحن لائملك من

لا يشاور ، وقد أجمع الناس ان الفرس أعقل من الروم .
ومن أوجز ما قيل في الطمع قول بعضهم إذا طمعت مللت . ويقولون
الطمع طبع ، والطبع الدنس وأنشد :

لاخيرَ في طمع يدعو إلى طمع وُغفَةٌ من قوام الغيش تكفي
والغفَةُ القوت وأصلها القفارة ^(١) وجميت بذلك لأنها قوت للسنور . وأنا
أقول إن أول الطمع ذلة وأوسطه شقوة وآخره حسرة . وقال ثابت قطنة ^(٢) :

ألا ثمتي عميرة أن رأني عزفت النفس عما لم ينالا
أحزم كلمة بمعناها عن العرب قولهم « إن ترد الماء يماء أكيس » معناه ينبغي
أن تحتفظ بما عندك حتى تصل إلى غيره ولا تاتي ما في يدك رجاء لما هو
أكثر منه فملك لاتناله لحادث يحدث . ومثل ذلك قولهم « لا يرسل الساق إلا
مسكاً ساقاً » أي لا يترك مفتداً إلا اذا وجد مثله . وأصله في الحرباء لا يترك
ساق شجرة حتى يمسك بساق أخرى ، قال الشاعر :

أنى أتبع لها حرباء تنضبة ^(٣) لا يرسل الساق إلا بمسكاً ساقاً

أجود ما قيل في الحياء قول الخنساء :

ومخرقٌ عنه القميص تخالهُ بين البيوت من الحياء مقيماً

حتى إذا رفع اللواء رايتهُ تحت اللواء على الخيس زعيماً

أخذ بعضهم وأحسن :

يشبهون سيوفاً في صرامتهم وطول أنضبة الأعناق والقيم

إذا غدا المسك يجري في مفارقهم راحوا كأنهم مرضى من الكرم

(١) في الأصل تصحيف في بعض الكلمات ، والتصحيح من القابوس .

(٢) كان قائداً شجاعاً ، شهيد وقائع خراسان سنة ١٥٢ وأصيبت عينه فجعل

عليها قطنة فعرف بها . وفي الأصل (ثابت بن قطنة) .

(٣) في أمثال الميداني « يلت يا شوس من حرباء تنضبة » .

وقال غيره :

كريمٌ يفضُّ الطرفَ فضلُ حياته ويدنو وأطرافُ الرِّيحِ دوان
وكأسيف إن لا يبتُّه لأن مسه وزداه إن خاشقته خشان

وقال أبو دهبيل :

تزرُّ الكلام من الحياء نخاله صمتاً وليس بجسمه مغم
عقم النساء فلا يلدن شبيهه إن النساء بمثله عقم
غيره : أنى كأتى أرى من لحياء له ولا أمانة بين الناس عريانا

أجود ما قيل في تفضيل الجد على العقل والخبار بأن الحظ والعقل لا يجتمعان قول الأول :

ومالب اللبيب بغير حظ بأغنى في المعيشة من قليل
رأيتُ الحظَّ يسترُ عيبَ قوم وهياتَ الحظوظُ من القول
والعرب تقول «اسع بجَدٍّ أودع» .

أجود ما قيل في التنزه والتصون وترك السؤال قول بعضهم : السخاء أن
تكون بمالك متبرهاً وعن مال غيرك متورعاً . فجعل اليأس مما في أيدي الناس
سخاءً لأن النفس إذا سحت وممحت لم تتطلع إلى مال الغير كما أنها إذا ضاقت
وحرصت ناقت إلى ما ليس لها ، وهو معنى حسن دقيق أخذه ابن أبي حازم فقال :

ومنتظر سؤالك بالمطايا وأفضل من عطاياه السؤال
إذا لم يأتك المعروف طوعاً فدعه فالتنزه عنه مال
وما أحسب أنى ممعت في هذا المعنى أحسن من هذا وقلت :

ألا إن القناعة خيرُ مال لدى كريم يروحُ بغيرِ مال
وان تصبر فإن الصبر أولى بمن عثرت به نوب الليالي
تجمل إن بليت بسوءِ حال فإن من التجميل حسن حال

أجود ما قيل في مضاء العزم وثبوت الرأي والفظنة من الشعر القديم قول

أوس بن حجر :

الألمى الذى يظن بك الفطن كأن قد رأى وقد سمعا
 وقالت الحكماء لا ينتفع الرجل بعلمه حتى ينتفع بظنه . وكان عمر رضى الله
 عنه يقول إذا أنا لم أعلم ما لم أرماعلمت ما رأيت . وقلت :
 أما نك مصروف إلى كل راهب وسبيك موقوف على كل راغب .
 تباشرت الدنيا بجذواك واكتفت فلم تباشر بالغيوث الصوائب
 تبسم منك الدهر عن زائن^(١) له وعين عليه فى اختلاف النوائب
 بصير له دون العواقب فكرة تكشف عن رأى وراء العواقب
 ليشارك بحد لا تزال تحوطه وتحميه بالنصلين هزيم وقاضب
 كائى اذا أمسكت منك بعروة أخذت باهداب الفيوم السواكب
 وليس فى المضاء والعزيمة أجود من قول أبى تمام :

وركب كأطراف الاسنة عرسوا على مثلها والليل تسطو غياهبه
 لأمر عليهم ان تم صدورهم وليس عليهم أت تم عواقبه
 مأخوذ من قول الأول :

غلام وغى تقحمها فأودى وخان بلاد الزمن الخوون
 وكان على الفتى الاقدام فيها وليس عايه ماجنت المنون
 وقوله : وقد علم الافشين وهو الذى به يُصان رداء الملك من كل جانب
 بأنك لما استخذل الأمر^(٢) واكتسى اهلى سيني فى وجوه التجارب
 تجلته بالرأى حتى أريته به مله عينيه مكان العواقب
 سللت له سيفين رأيا ومنصلا وكل لنجم فى الدجسة ثاقب
 وكنت متى تهزز لخطب نقشه^(٣) ضرائب أمضى من رفاق المضارب
 وقال : وسارت به بين القنابل والقنا عزائم كانت كالقنا والقنابل

(١) فى هامش النسخة (راقب له) اشارة لنسخة فيها كذلك .

(٢) فى الديوان (النصر) . (٣) فى الاصل (لحظ نعيشه) .

ومن جيد ما قيل في كتمان السر قول الأول :

تلاقت حيازي^(١) على قلب حازم كتوم لما ضمت عليه أصابعه
أواخي رجالاً لست أطلع^(٢) بعضهم^(٣) على سر^(٤) بعضي إن قلبي واسعه^(٥)
وقال الآخر : سأ كتمه سرى وأحفظ سره ولا غرنى أنى عليه كريم^(٦)
عليم فينسى أوجهول يذيعه وما الناس إلا جاهل وعليم
والمثل السائر :

إذا ضاق صدر المرء عن سر^(٧) نفسه فصدر الذي يستودع السر أضيق^(٨)
أحسن ما قيل في العقل ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد :
وأفضل^(٩) قسم الله للمرء عقله فليس من الخيرات شيء يقاربه
إذا كل^(١٠) الرحمن^(١١) للمرء عقله فقد كملت أخلاقه وضرائبه
يمش^(١٢) الفتى بالعقل في الناس أنه على العقل يجري عليه وتجاربه
ومن كان غلاباً بعقل ونجدة فلو الجدد في عقل المعيشة غالبة
يزين^(١٣) الفتى في الناس صحة عقله وإن كان محظوراً عليه مكاسبه
ويزري^(١٤) الفتى في الناس قلة عقله وإن كرمت أعراقه ومناسبه
ونحوه قول الآخر :

ولم أرَ مثل^(١٥) النقر أوضح للفتى ولم أرَ مثل^(١٦) المال أرفع للنذل
ولم أرَ من عدم^(١٧) أضر^(١٨) على الفتى إذا طاش بين الناس منعدم^(١٩) العقل
وقال سهل بن هرون : العقل راية الروح والعلم راية العقل والبيان ترجمان العلم.
أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أحمد بن عبد الواحد أخبرنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي
قال قال قيس بن ساعدة أفضل العقل معرفة الرجل بنفسه^(٢٠) وأفضل العلم وقوف

(١) في الأصل (حياذمي) . (٢) في النسخ (بينهم) .

(٣) في النسخ (ذاسعة) . (٤) سقط « القتي » من النسخ .

(٥) في الأصل (من عدم) . (٦) في نسخة (نفسه) .

المرء عند علمه وأفضل المروءة استبقاء الرجل ماء وجهه وأفضل المال ما قضيت منه الحقوق . ومن المعجب أن العرب تمثلت في جميع الخصال بأقوام جعلوهم أعلى ما فيها فضربوا بها المثل إذا أرادوا المبالغة فقالوا أحلم من الأحنف ومن قيس بن عاصم وأجود من حاتم ومن كعب بن أمية وأشجع من بسطام وأمين من سحبان وأرعى من ابن تقن وأعلم من دغفل ، ولم يقولوا أعقل من فلان فلعلمهم لم يستكملوا عقل أحد على حسب ما قال الاعرابي وقد قيل له حد لنا العقل فقال كيف أحده ولم أره كمالاً في أحد قط .

ووصف بعضهم الحجاج بالعقل وعكس أمره آخر فوصفه بالحق قال عتبة بن عبد الرحمن رأيت عقول الناس تتقارب إلا ما كن من عقل الحجاج بن يوسف وإياس بن معاوية ، ثم قال أبو الصنفى كان الحجاج أحق بنى مدينته في بادية النبط ثم حمام دخولها فلما رحل عنها دخلوها من قرب . وقال يونس بن حبيب كان والله يفتق ولا يرتق . ويخرق ولا يرفق ، وقال بعضهم ما دخل العراق أكثر أدباً من الحجاج فلما طال مكثه في ولايته واشتد في سلطانه وترك الناس الرد عليه فسد أدبه ، وقال له عبد الملك ان الرجل لا يكون طاقلاً حتى يعرف نفسه وأمير المؤمنين يقسم عليك لتخبره عن نفسك فقال أنا حديد حنود ذو قنوة حسود ، فانشغل الشر بحدافيره وجمعه يزوبره . ومن المعجب أنهم قالوا من عرف نفسه نجا وقد عرف الحجاج نفسه هو هالك . وقالوا العاقل لا يخبر بيب نفسه وقال بعضهم لا يعرف الرجل حقيقة ما اشتمل عليه من العيب كما أن آكل الثوم لا يجد رائحته من نفسه وقلت في ذلك :

لو تم شيء من الدنيا لذي أدب لا نضاف مال إلى علمي وآدائي
قمم جاهي عند الناس كلهم وطاب عيشي في أهلي وأصحابي
عز الكمال فلا يحظى به أحد فكل خلق وان لم يدر ذوطاب

وقال اسماعيل بن غزوان كل علم لا يكون في مغرس عقل وبيان لا يكون في نصاب علم وخلق لا يجري على عرقه فليس له ثبات إذا احتيج إلى الثبات وقال أبو داود :

على أعرافه يجرى المذكي وليس على تكلفه وجهه
وقال بعض الملوك لحاجبه : أدخل على رجلاً مائلاً فأدخل عليه رجلاً قال
بم عرفت عقله قال رأيت يلبس الكتان في الصيف والقطن في الشتاء واللبس^(١)
في الحر والجديد في القبر . وما قيل في علامة العاقل أعجب إلى من قول الأول :
علامة العاقل أن يكون عالماً بأهل زمانه حافظاً للسانته مقبلاً على شأنه . وقال
بعضهم إنما تنفع التجارب من كان طافلاً . ومما يدخل في الباب ما أخبرنا أبو أحمد
عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن عمه قال لم يقل أحد في التفرح بالمنادمة إلى
الآخوان والتسلي بمنامة أهل الحفاظ بمثل قول بشار حيث يقول :

وأثبتُ عمراً بعض ما في جوانحي وجرعته من مرٍّ ما أتجرعُ
ولا بدُّ من شكوي إلى ذي حفيظة إذا جعلت أسرار نفسي تطلع
ومن أجود ما قيل في ترك الشيء إذا أدبر قول بعض الأعراب :
إذا ضيعت أول كل أمر أبت أعجازه إلا التواء
وإن حملت أمرك كلَّ غد^(٢) ضعيف كان أمرك ما سواء
وإن داويت دنيا بالتنامي وبالليان أخطأت الدواء
وقال الأعشى :

إذا حاجةٌ ولتك لا نستطيعها فخذ طرقاتاً من غيرها حين تسبقُ
فذلك أحرى أن تنالَ جسيمها وللقصد أهدى في المسير وألحقُ
ومن أجود ما قيل في المهابة من قديم الشعر ما ينسب إلى الفرزدق وهو غيره
في علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما :

ينفضي حياءً وينفضي من مهابة فما يكلمُ إلا حينَ يتبسّمُ
جعله مهيباً في السكون والاضواء ولو جعله مهيباً مع الصولة والبطلان لما كان

(١) في النسخ غير منقوطة، واللبس : الثوب قد أكثر لبسه فأخلق كافي القاموس .

(٢) في الأصل « رغد » .

كذلك فهو بليغ جداً . وأنشدنا أبو أحمد عن بعض رجاله لشاعر في بعض العلماء

هو الامام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى :

يأبى الجوابَ فما يراجعُ هيةً والسائلونَ نواكسُ الاذقان

هدى التقى وعزُّ سلطانِ النهى وهو المهيَّبُ وليس ذا سلطان

ومن أحسن تشبيه جاء في الهية قولهم (كأن على رؤوسهم الطير) وذلك أن الهائب

تسكن جوارحه فكأن على رأسه طائراً يخاف طيرانه إن تحرك وقال أبو نواس :

أضمرُ في القلبِ عتاباً له فان بدا أنسيتُ من هيئته

ومثل هذا في النسيب كثير وشبيهه قول الأول :

أهاؤُك إجلالاً وما بك قُدرةٌ على ولكن ملءُ عينٍ حبيبها

وما هجرتك النفسُ أنك عندها قليلٌ ولأن قلَّ منك نصيبها

لا ترى أجود من قوله « ملء عين حبيبها » ولا أحسن ولا أبلغ ولعلك

لا تجد لفظة تقوم مقامها ، ويقولون حسن يملأ العين . وهية تملأ الصدر . وقال

« وتملأ عين الناظر المتوسم » وقال ابن الرومي :

في فتيةٍ من ولدِ المنصورِ أملأُ للعين من البدورِ

وقال آخر « إذا ذكرت أمثالها تملأ الفم » وقد أجاد أبو تمام في صفة

الهية والخافة فقال :

تَبَّتْ المَقامَ يرى القَبيلةَ واحداً ويُرى فتَحسبهُ القَبيلُ قَبيلاً

وقال :

قد أترعت منه الجوانحُ هيةً ^(١) بطلت لديها سورةُ الأبطال

لو لم يزاحفهم لزاحفهم له ما في قلوبهم من الأوجال

ومثله قول ابن المعتز :

أنا جيشٌ إذا غدتُ وحيداً ووحيدٌ في الجحفلِ الجراء

(١) في ديوان أبي تمام « رهبة » .

وقلت في نحو ذلك :

قبيلكم في العز يعلو قبائلاً وواحدكم في المجد يكثر مشرا
وقال الأشجع في إبراهيم بن فهيك وقد ولي المعونة :
شد الخطام بأنف كل مخالف حتى استقام له الذي لم ينظم
لا يصلح السلطان إلا هية تلقى البرى بفضل جرم المجرم
منعت مهابتك النفوس حديثها بالشئ تكرهه وإن لم تعلم
ونهجت بن حزم السياسة منهجاً فهمت مذاهبه الذي لم يفهم
وأبلغ من هذا كله ما أنشدناه أبو أحمد عن المبردى عن المبرد :

وأثبت حياً في الحروب محامهم والجيش باسم أيهم يستهزم
بقول به الجيش يستهزم إذا ذكر فليس أبلغ منه . ومثله قول الفرزدق :
ليبك وكيف خيل ليل مغيرة تساقى الحمام بالردنية السور
لقوا مثلهم فاستهزموهم بدعوة دعوها وكيفا والجياد بهم تجري
ومثله قول الآخر :

سماؤك تمطر الذهبا وحربك يلتظي لها
وأى كنية لاقتك لم تستحسن الهربا
فجعلها تستحسن الهرب إذا لاقته ولا تخشى اللائمة إذا فرت منه فهو غاية .
ومما هو بليغ في باب المهابة قول الأشجع :

وعلى عدوك يا ابن عم محمد وصدان ضوء الصبح والافلام
فاذا تنبه رعته وإذا غفا^(١) سلت عليه سيوفك الاحلام
فنقله أبو نواس إلى غزل فقال :

قاسيت فيه الهموم والأطما وصرت فيه بين الورى علما
أكون يقظان في تذكره حتى إذا نمت كان لى حلا

(١) في الأصل « هدى » .

ومما هو أبلغ من ذلك كله قول النبي ﷺ «نُصرت بالزُّعب» وما وصف أحد هيبة صاحب السلطان إذا بدا كما وصفها البعثرى في قوله :

إذا ما مشى بين الصفوف تقاصرت رؤسُ الرجال عن أشمِّهم يمدح
يقومون من بُعد إذا أبصروا به لا يُلجّ موقورِ الجلالة أروع
ويدعون بالاسماءِ مثني وموحداً إذا حضروا بلب الرّواق المرفع
وان سار كفّ اللحظ عن كل منظر سواء و غص الصوت عن كل مسمع
فاست ترى إلا إفاضة شاخص إليه بعين أو مشير بأصبع
وقوله: تراءوك من أقصى الساط فتصروا خطاهم وقد جازوا الستور وهم مجل
ولما قضوا صدر السلام تهاقوا على يدِ بسام سجيته رسل
إذا أسرعوا في خطبة قطعهم جلالة طلق الوجه جانبه السهل
إذا نكسوا أبصارهم من سبابه ومالوا بلحظ خلت أنهم قبل

وقال أبو بكر الصولي وهو من البليغ :

إذا ما بدا والقوم فوق سرورهم تناثرت الأشراف منهم على الأرض

وقال البعثرى :

ومبجل وسط الرجال خفوفهم لقيامه وقيامهم لعوده
فالله يكلؤه لنا ويحوطه ويمزه ويزيد في تأيده

أبلغ ما جاء في وصف العلم قول علي رضي الله تعالى عنه : قيمة كل امرئ ما يحسنه .
وشد به بعضهم فقال : قيمة كل امرئ علمه .

ولا أعرف في مدح العلم وعدّ خصاله أبلغ من كلامه رضي الله تعالى عنه خاطب به
كما بن زياد أثبت لك هنا وان كن مشهوراً : أخبرنا أبو أحمد حدثنا الهيثم بن أحمد
ابن ربيعة حدثنا علي بن حكيم الأخرى حدثنا الربيع بن عبد الله المدني حدثنا
عبد الله بن حسن عن محمد بن علي عن آبائه عن كميل بن زياد قال أخذ بيدي علي
رضي الله تعالى عنه فلما أصغرنا قال يا كميل ان هذه القلوب أوعية وخيرها أوطاها

فاحفظ عني ما أقول لك : الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهم جرحاء
أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يأدوا إلى ركن وثيق
يا كميل العلم خير من المال العلم يحرمك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة
والعلم يزكو على الاتفاق ، يا كميل عجة العلم دين تدين به تكتسب به الطاعة في
حياتك وجميل الاحدثة بعد وفاتك والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، يا كميل
ملت خزان المال والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب
موجودة هاهنا ههنا لعلنا لو أصبت له حيلة على أصبت لقنًا ^(١) غير مأمون
يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا فيستظهر بحجج الله على أوليائه ، أو منقاداً لحيلة الحق .
لا بصيرة له في اجناته فيقده الشك في قلبه عند أول طرأ من شبهة ، أولا إذا
ولاذ فمهموم بالذات سلس القياد للشهوات ومغرم بالجمع والادخار ليس من رعاة
الدين أقرب شبيهاً بهم الانعام السائمة اللهم على لا تخلو الأرض من قائم بحجة
إما ظاهر وإما خائف ثم لا تبطل حجة الله وتبينه لكم وأين أولئك الأقلون عدداً
الأعظمون قدراً بهم يحفظ الله تعالى حججه حتى يودعوها أسباع نظرائهم ويزرعوها
في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقائق الأمور فباشروا روح اليقين واستلأنوا
ما استوعده المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان
أرواحها متعلقة بالمحل الأعلى ، يا كميل أولئك أولياء الله من خلقه وعماله في أرضه
والدعاة إلى دينه هاهنا شوقاً إلى رؤيتهم .

ومما حث به على تحفظ العلوم قول بعض الاوائل : خير العلم ما إذا غرقت
بسفينتك سبوح معك ، وقال الخليل :

افخر وكأثر بالتقريبحة إنها فخر المسكائر

واعلم بأن العلم ما أوعيت في صحف الضمائر

وقال أبو هلال رحمه الله تعالى لو قال « ماضته صحف الضمائر » كان

(١) المقتن : السريع الفهم - كما في القاموس .

أجود ، وقال غيره :

استودعَ العلمَ قرطاساً فضيعةً وبئسَ مُستودعُ العلمِ القراطيسُ
وقلت : تقل غناءً عن جهولٍ مغمَرٍ دقاترُ تلقى في الظروفِ وترفعُ
تروح وتغدو عنده في مضجعةٍ وكائن رأينا من نفيسٍ يضجعُ
ومن المختار في طلاقة اللسان قول الآخر :

إذا قال لم يترك مقالاً ولم يقف لمي ولم يثن اللسانُ على مُهجر
يصرِّفُ بالقولِ اللسانَ كما اتحي وينظرُ في اعطافه نظرَ الصقر
ونحوه : لا خيرَ في حشو الكلام م إذا احدثتَ الى عيوبه
وأجود ما قيل في إقامة الأعراب وترك التغير ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :
وبعجبتني زىُّ الفقى وجماله ويسقط من عيني ساعةً يلحنُ
على أن للأعرابِ حداً وربما صممت من الأعراب ما ليس يحسنُ
ولا خيرَ في اللفظ الكريه استماعه ولا في قبيح اللحن والقصدُ أزينُ

صممت أبا أحمد يقول أحسن ما صممت في السؤال قول عبد الله بن العباس وقد
سئل بم أدركت هذا العلم قال بلسان سؤول وقلب عقول . ثم أخبرنا قال أخبرنا
الحسن بن علي بن عاصم ثنا الهيثم بن عبد الله حدثنا علي بن موسى الرضى حدثني
أبي حدثني أبو جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسن رضى الله تعالى عنهم
قال قال رسول الله ﷺ « العلم خزائن مفتاحها السؤال فاسألوا فإنه يؤجر فيه
أربعة السائل والمستمع والعالم والمحِب لهم » وأجود ما جاء في السؤال من الشعر
ما أنشدناه أبو أحمد أنشدنا ابن الأثير عن أبيه :

شفاء العيِّ في طولِ السؤالِ وعدلك في المقالِ وفي الفِعالِ
وبحثك في الأبرِ عن المعاني وتخرج المقالِ من المقالِ
وقولك بانصواب إذا أتت شواهدُ ورفضك للجدالِ
وصمتك بينَ تسمع من حكيم ليفهمك الصحيح من المحالِ

أجود ما قيل في صفة اللسان وآتاه ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن
 دريد قال أحمد بن عيسى المكي حدثنا الخليل عن عبد الله بن صالح بن مسلم
 القاضي قال قال بعض الحكماء لابنه يا بني اللسان أداة يظهر بها البيان وشاهد يخبر عن
 الضمير وحاكم يفصل به الخطاب وناطق يزده الجواب وشافع تترك به الحاجة ومزير
 الأحران وواعظ ينهى عن القبيح ومزين يدعو إلى الحسن وزارع يحرث المودة
 وحاصد يذهب بالضغين ومملو يوقف الاسماع ألا ترى أن الله تعالى رفع درجة
 اللسان بأن أنطقه بالتوحيد وليس شيء من الجوارح ينطق به غيره .

ومن أجود ما احتج به للكلام ما أخبرنا به أبو أحمد حدثني أبي حدثنا أحمد
 ابن أبي طاهر حدثنا أبو تمام قال ثنا كرنا الكلام في مجلس سعيد بن عبد العزيز
 التتوخي وحسنه والصمت ونبله فقال سعيد ليس النجم كالقمر انك إنما تمدح
 السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت وما أنبأ عن شيء فهو أكبر منه .
 ومثله ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن أحمد حدثنا أبو تمام حدثنا أبو
 عبد الرحمن الأموي قال ذكر الكلام في مجلس سليمان بن عبد الملك فذمه
 أهل المجلس فقال سليمان كلا إن من تكلم فأحسن قدر أن يسكت فيحسن
 وليس كل من سكت فأحسن قدر أن يتكلم فيحسن .

ومن أجود ما احتج به للصمت ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبي أخبرنا أحمد بن
 أبي طاهر حدثنا حبيب بن أوس حدثني عمرو بن هاشم البيروني قال تحدثنا يباب
 الأوزاعي وفيه أعرابي من بني عليم بن ضاب لا يتكلم قليل له بحق ما سمعتم خرس
 العرب ألا تتحدث مع القوم فقال إن الحظ للمرء في أذنه وأن الحظ في لسانه لغيره
 وإنما جعل للمرء أذنان ولسان ليكون استماعه ضعف كلامه . قال فحدثنا الأوزاعي
 فقال والله لقد حدثكم فأحسن .

وقد سوى بعضهم بين الصمت والكلام فحدثني أبو أحمد عن أبيه عن
 أحمد بن أبي طاهر عن أبي تمام حدثني يحيى بن اسماعيل الأموي حدثني إسماعيل

ابن عبید الله قال قال جدی : الصمت منام العاقل والنطق يقفله ولا منام الا يقظة ولا يقظة إلا بمنام . قال أبو هلال : وأنا أقول الصمت يورث الحبسة والحصر وإن اللسان كلما قلب وأدير بالقول يكن أطلق له : أخبرني بعض أصحابنا قال ناطقت فتي من بعض أهل القرى فوجدته ذليق اللسان فقلت له من أين لك هذه الذلاقة قال كنت أعمد كل يوم إلى نخسین ورقة من كتب الجاحظ فأقرأها برفع صوت فلم أجري ذلك مدة حتى صرت إلى ماری . وبمجي البيان سحرأ لدقة مسلكه وأول من نطق به رسول الله ﷺ وهو من أجمع ما مدح به البيان : حدثنا أبو القاسم عبد الوهاب بن ابراهيم أخبرنا أبو بكر أحمد بن حماد العقدي أخبرنا أبو جعفر أحمد بن الحارث الخزاز أخبرنا المدائني قال قال أبو الحسن بن مسلم بن محارب بن مسلم بن زياد عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمرو بن الاعمى أخبرني عن الزبرقان بن بدر فقال مطاع في أذنيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره . فقال الزبرقان : إنه يعلم مني أكثر من هذا ولكنه حسدني . فقال عمرو : أما والله يارسول الله أنه لزم المروءة ضيق العطن أحق الوالد لثيم الخال وما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الأخرى رضيت فقلت أحسن ما أعلم وسخطت فقلت أسوأ ما أعلم فقال رسول الله ﷺ (ان من البيان لسحرا وان من الشر لحكمة) وإنما تعجب رسول الله ﷺ من تقضه وإبرامه في حال واحدة ومثل هذا من البلاغة أصعب مرأما وأعجز مطلباً وقد أشبعنا القول فيه في كتاب صنعة الكلام .

ومما يدخل في بابه ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا الصولي حدثني الطيب بن محمد الباهلي قال موسى بن سعيد بن عن أحمد بن يوسف الكاتب قال دخل خالد بن صفوان التميمي على أبي العباس السفاح وعنده أخواله من بني الحارث بن كعب فقال له ما تقول في أخوالي قال هم هامة الشرف وخرطوم الكرم وغرس الجود إن فيهم لخصالاً ما اجتمعت في غيرهم من قومهم انهم لأطولهم أمماً وأكرمهم

شيئاً وأطعمهم طعاماً وأوقام ذمناً وأبعدهم همأهم الجرة في الحرب والرفد في الجلب
والرأس في الخطب وغيرهم بمنزلة العجب . فقال لقد وصفت أبا صفوان فأحسنت
فزاد أخواله في الفخر فغضب أبو العباس لأعصامه فقال أفخر يا خالد فقال أعلى
أخوال أمير المؤمنين فقال نعم وأنت من أعصامه فقال وكيف أفخر أقواماً هم من
بين ناسج برد وسائس قرد ودانغ جلد دل عليهم الهدهد وغرقهم الفأرة وملكهم
امرأة . فأشرق وجه أبي العباس وجعل يضحك . قال حدثني ابن المزرع قال سمعت
عمرو بن بحر الجاحظ وقد ذكر كلام خالد هذا يقول والله لو نفكر في جمع
معانيهم واختصار اللفظ في مثاليهم بعد ذلك المدح المذهب سنة لكان قليلاً
فكيف على بديه لم يرض فكراً .

وأجود ما قيل في كراهة المزاح قولهم ان المزاح هو السباب الاصفر ، وقيل
المزاح سباب النوكي . وأجود ما قيل في تخوف طاقته قول أبي نواس :

انه نار وقدح القادح وأي جسد بلغ المازح

ومثله : صارَ جسداً ما فرحت به رُبَّ جِدٍ جرَّه لصب .

وقلت : غضبت للزح ولم تنظر في موقعه المزح في موضعه كالجد في موضعه

أجود ما قيل في التظافر والتعاون قول قيس بن عاصم المنقري بوصى ولده وقومه
وجدت في كتاب غير مسوع لما حضر عبد الملك بن مروان الوفاة وطأنته وقال
يا بني أوصيكم بتقوى الله وليعطف الكبير منكم على الصغير ولا يجهل الصغير حق
الكبير وأكرموا مسلمة بن عبد الملك فإنه نأبكم الذي عنه تعبرون ومجنكم الذي
به تستجبرون ولا تقطعوا من دونه رأياً ولا تعصوا له أمراً ، وأكرموا الحجاج بن
يوسف فإنه الذي وطأ لكم المقابر وذلل لكم قارب العرب وعليكم بالتعاون والتظافر
وإياكم والتقاطع والتدابير . فقال قيس بن عاصم لبنيه :

بصلاح ذاتِ البين طولُ بقائكم إن مُدَّ في عمري وإن لم يمدد

حتى تلين جلودكم وقلوبكم لسود منكم وغير مسود

إن القداح إذا جمن فرامها بالكسر ذو شحق ويطش أي
 عزت ولم تكسروا إن هي بددت قالوهن والتكسير للمتبدد
 ثم قام علي بن خالد بن يزيد بن معاوية وخالد بن عبد الله بن أسيد فقال لهما قد
 حضر من الأمر ماريان قن كان في نفوسكما شيء من بعة الوليد تزعماء وجعلنا
 الأمر حيث شئنا قال بل رضىنا أكل الناس لها وأقوامهم عليها قال أما والله لو
 غيرها قلنا أما قبلي ثم رفع طرف فراشه فإذا تحت سيف مجرد فقال للوليد لا أعرفنك
 إذا أنامت تعصر عينيك وتغسحها فكل الأمة الوعكاء شمر وأبرز والبس جلد
 النمر وادع الناس إلى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا ثم لم يزل
 متمثلاً بقول الشاعر :

وهل من خالد أما هلكننا وهل بالموت بالناس عار
 ثم قال الحمد لله الذي لا يبالي أصغير هلك في ملكه أم كبير ثم قضى . فقال هشام
 ابن عبد الملك :

وما كان قيس هلك هلك واحد ولكن بنيان قوم تهدما
 فسمعها الوليد فتطير منها فرفع يده فلفطمه وقال إنك أعور مشؤوم هلاقت كما
 قال التيس :

إذا سيدنا ذرا حد نابه تخطفينا ناب آخر مكرم
 فسمع مسلة الصيحة فقال ذروا الصياح فانكم إن استقمتم استقام الناس
 وإن اختلفتم اختلفوا .

أخبرنا أبو حمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال
 كان عبد الملك بن مروان ذات ليلة في منفره مع ولده وأهل بيته وخاصته فقال ليقل
 كل واحد منكم أحسن ما قيل من الشعر وليفضل من رأى من الشعراء تفضيله
 فأنشدوا وفضلوا فقال بعضهم أمرؤ القيس وقال بعضهم النابغة وقال بعضهم
 الأعشى ، ولما فرغوا قال أشعر والله من هؤلاء جميعاً عندي الذي يقول :

وذى رحمٍ قلمتُ أظفارَ ضغنه
 إذا نُصتته وصلَّ القرايةَ سامي
 وأسى لىكى أبى وبهدم مصالحى
 يحاولُ رغبى لا يحاولُ غيره
 فإن أتصر منه أ كن مثل رائش
 فبادر متى التأتى والمرء قادر
 فإن أعف عنه أغض جفنا على القذى
 حفظتُ الذى قد كن يبنى وبينه
 فما زلتُ فى لين له وتمطف
 لا ستل منه الضغن حتى سلته
 وقالوا يا أمير المؤمنين من قاتل هذه الآيات فما أحسنها وأرضاها قال معن
 ابن أوس المزنى .

ومن أجمع ما قيل فى المعروف قول النبي ﷺ « المعروف كاسمه » أخبرنى
 عم أبى عن أبيه قال قال العنابي كنت واقفاً بباب المأمون أنتظر من يستأذنه لى
 فأقبل يحيى بن أ كتم فعمت إليه فقلت استأذن لى على أمير المؤمنين فقال لست
 بحاجة فقلت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان قال سلكت بى غير سبيل قلت
 ان الله قد آتفك بجاه وهو مقبل عليك بالزيادة ان شكرت وبالنقصان ان كفرت
 وأنا لك منذ اليوم أنفع منك لنفسك أذعر الى ازدياد نعمتك وتأتى على ولكل
 شىء زكاة وزكاة الجاه وفد المستعين وقد قال رسول الله ﷺ (أفضل المعروف
 فضلُ جاهك تعود به على من لاجاه له) فعمت ودخل فما لبث ان خرج
 الحاجب يسأل فدخلت فقال حدثنا أبو نصر النخعي عن سفيان بن عيينة عن
 ابن نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله
 ﷺ على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب وجعفر الطيار وعمر بن الخطاب

رضي الله تعالى عنهم أجمعين فتذاكروا المعروف فقال علي : المعروف حصن من الحصون وكنز من الكنوز فلا يزهدنك فيه كفر من كفره فقد يشكر الشاكر ما ضاعه جمود الكافر . وقال العباس : المعروف أفضل الأمور وأوثق الحصون ولا يتم إلا بثلاثة تعجيله وتصغيره ومستره فاذا عجلته هنأته وإذا صغره عظمتها وإذا سترته تمتته إن بأهل المعروف من الرغبة أكثر مما بأهل الحاجة اليهم وبيان ذلك أن لهم ذكره ومناؤه ونخره فهما آيت من معروف فأنما آيته لنفسك . وقال عمر إن لكل شيء أنف وأنف المعروف السراح : نخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال « فيم أنتم » فقالوا تنذاكر المعروف فقال عليه الصلاة والسلام « المعروف كاسمه وأول من يدخل الجنة المعروف وأهله » .

ومن أجود ما قيل في بذل المعروف وإن كان قليلاً ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجوهري عن المنقري عن الأصمعي عن بعض العباسيين قال كتب كلثوم بن عمرو إلى رجل في حاجة : بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاءك وجعله يمتد بك إلى رضوانه وجنته . أما بعد فأنك كنت روضة من رياض الكرم تشهيج النفوس بها وتستريح القلوب إليها وكنا نغنيها من النجعة استتماماً لزهرتها وشفقة على نضرتها وادخاراً لثمرتها حتى مرت بنا في سفرتنا هذه سنة كانت قطعة من سني يوسف اشتد علينا كلها وأخلفتنا غيومها وكذبتنا بروقها وقد ناصحنا الأخوان فيها فانتجستك وأنا بانتجاعى بك كثير الشفقة عليك مع علمي بأنك نعم موضع الزاد واعلم بأن الكريم إذا استخى من إعطاء القليل ولم يحقر الكثير لم يعرف جوده ولم تظهر منه وأنا أقول في ذلك :

ظل اليسار على العباس محدود	وقلبه أبداً بالبخل معقود
إن الكريم ليخفى عنك عسرتة	حتى تراه غنياً وهو مجهود
وللبخل على أمواله علل	زرق العيون عليها أوجه سود
إذا تكرهت أن تعطى القليل ولم	تقر على سعة لم يظهر الجود

بث النوال ولا يمنعك قلته فكل ماسد فقراً فهو محمود
قال فشاطر ماله حتى بث إليه قيمة نصف خاتمه وفرد نعله . ومن ملبح ما جاء
في هذا المعنى قول ابن الرومي :-

أبا عمرو لك المثل الملقى	وجدت عذوك التربُّ الذليل
رأيت المظلَّ ميداناً طويلاً	بروض طباعه فيه البخیل
فما هذا المظال فدتك نفسي	وباعك بالتدنى باع طویل
أظنك حين تقدر لي نوالاً	يقولُ لديك لي منه الجزيل
فلا تقدر بقدرك لي نوالاً	ولا قدری فيحقر ما تبیل
وأطلق ما هم به عساه	كفاني أيها الرجل النبیل
وإلا فالسلام عليك مني	نبت دار فاسرع بي الرجل
إذا ضاقت على أمل بلاد	فما سدت على عزم سبیل

وقال غيره :

وما الجودُ عن فقر الرجال ولا الغنى ولكنهُ خيمُ الرجال وخبرها
ومن عجيب المعاني في عظم السؤال وموازته للنوال بل رجاحته عليه ما
أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن
عباد قال دخل كوثر بن ذفر بن الحارث الكلبي على يزيد بن المهلب فقال له أيها
الأمير أنت أعظم قدراً من أن تستعان أو يستعان عليك وليس تفعل من المعروف
شيئاً إلا وهو يصغر دونك وأنت أكبر منه وليس العجب أن تفعل ولكن العجب
أن لا تفعل . فقال سل حاجتك قال حملت عشر ديات وقد بهظتني فقال قد أمرت
لك بها وشفعتها لك بمثلها فقال أماما سألتك بوجهي فأقبله منك وأما ما ابتدأتني
به فلا حاجة لي فيه . قال ولم وقد كفيتك مؤنة السؤال ؟ قال لا لي رأيت الذي
أخذت مني بمسألتي إياك بوجهي أكثر مما نأني من عرفك وكرهت الفضل على
نفسى . فقال له يزيد أسألك بحقوقك على ما رأيتني أهله من أنزال الحاجة بي إلا قبلتها فقبلها .

وسأل العنابي رجلاً فحصر وأقل فقل له قد أقللت فقال وكيف لا أقل
ومنى ذل المسألة وحيرة الطلب وخضوع الهيبة وخوف الرد . وقيل لا آخر متى
يكون البليغ عيياً قال إذا سأل حاجة لنفسه . وقال أحمد بن أبي خالد الأثول :
ما استكثرت بذلاً بذلته قط لا ترى أرى الأجر والشكر أكثر منه ولا استصغرت
معروفاً قط لا ترى أراه أكبر من تركه .

ومن جيد ما قيل في الترغيب في المعروف قول الأول :
فأنك لا تدري إذا جاء سائلٌ أنت بما تعطيه أم هو أسعدُ
عسى سائلٌ ذو حاجة أن منعه من اليوم سؤلاً أن يكون له غدٌ

هذا آخر كتاب الخصال والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
النبي الأُمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بصرنا سبل الحمد ووقفنا على طرق النعم لنضع كلاً منهما في موضعه
ونستعمله في حينه ونلحقه بمستحقه إذ ذكر من أحبه فقال (نعم العبدُ إلهٌ أو أبٌ)
ووصف من مقتله فقال (همازٌ مشاءٌ ينجم مناعٌ للخير مُعتدٌ
أثيمٌ عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمٌ) فذم قوله وفعله وعاب شيعته وخلقه وهتك
بالشم عرضه وسود بالدم وجهه جزاءً بما اكتسب من ذميم الفعل ووفقاً لما أطلقه
من اسم المقال نكالا من الله والله عزيز حكيم . وصلى الله على نبيه محمد البشير النذير
الداعي إلى الله بأذنه والسراج المنير وعلى آله الطيبين وعترته .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في المعاتبات والهجاء والاعتذار وهو :

﴿ الباب الثالث من كتاب ديوان المعاني ﴾

وهو يشتمل على ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول في المعاتبات ﴾

فمن أوائل ذلك ما أخبرنا به أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال قال عليه الصلاة والسلام لطلحة حين رأى تلونه عليه « فراق جميل خير من صُحبة على دَخْن » والدخن والدخل الفساد والمدخل القاسد وقد دخل فسد ، وروى (على دخل) ومن قديم ما جاء في ذلك قول أبي ذؤيب :

تريدنَ كما تجميني وخالداً وهل يُجمعُ السفانِ ويحك في غمد
يقول لأم عمرو امرأة من هذيل وكان رجل منهم يقال له وهب بن عمرو
- وقيل وهب بن جابر - هوبها فامتنت عليه فخرج يوماً بتصيد فخلت ظبية فلما
أخذها أنشد :

فمالك يا شبيبة أم عمرو اذا طابتنا لا تأمنينا
فمينك عينها اذ تنظرينا^(١) وجيدك جيدها لو تنطقينا
وساقك ساقها^(٢) ولا أم عمرو خجلة يضيق بها البرينا
ورأسك أزعر ولا أم عمرو غداً يرث يثغرت وينثنينا

ثم خلا منها فبلغ ذلك أم عمرو فواصلته وكان رسوله اليها أبو ذؤيب فلما
أينع وترعرع رغبته اليه واطرحت وهباً وخشى أبو ذؤيب الفضيحة فقصر عنها

(١) «تنظرينا» غير موجودة في الاصل . (٢) (ساقها) غير موجودة في الاصل .

وجعل يرسل اليها خالد بن ابراهيم ^(١) فلم تلبث ان علفت خالداً وتركته ابا ذؤيب
فجعل أبو ذؤيب يعاتب خالداً ، مثل قوله :

فنفسك فاحفظها ولا تبند ^(٢) للعدى من السر ما يطوى عليه ضميرها
رعى خالد سرى ليالى نفسه توالى على قصد السبيل أمورها
فلما تراماه الشباب وغيه وفي النفس منه غيرة ونحورها ^(٣)
لوى رأسه عنى ومال بودة أغابج خود كان فينا يزورها
تعلقه منها دلال ومقلة تفل لأصحاب الشقاء تديرها
وما أنفس القيان إلا قرائن تبين ويبقى ^(٤) هامها وقبورها
فأجابه خالد :

لا يبعدن الله حليمك اذ بغزا وسافر والاحلام جم عثورها
لعلك إما أم عمرو تبدلت سواك خليلاً شامئ تستخيرها ^(٥)
فلا تجزمن من سنة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها
وهذا جواب لا ترى أقطع منه لأنه ذكر أنه إنما جوزى بمثل فعله :
فان التي فينا زعمت ومثلها لفيك ولكنى أراك تجوزها ^(٦)

-
- (١) خالد هذا هو ابن أخت أبي ذؤيب وابن عمه ، على ما في ديوان أبي
ذؤيب ، وفيه (خالد بن زهير) لا (بن ابراهيم) . وأبو ذؤيب هو خويلد بن خالد
ابن محرز من بني تميم بن سعد بن هذيل ، شاعر مقلد ، أدرك الجاهلية والاسلام
قدم المدينة على النبي ﷺ وهو في مرضه فمات قبل وصوله بليدة وشهد دفنه ، وتوفي
في خلافة عمر ، وسئل حسان : من أشعر الناس فقال حياً أم زنجلاً ؟ قالوا حياً
قال هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب . (٢) في نسخة «تفش» .
(٣) في ديوان أبي ذؤيب «فتنة وقبورها» . (٤) في الاصل (ويثني) .
(٥) تستخيرها : تستعطفها وأصله أن النزال والعجل ينحور إلى أمه فتجيبه ، معناه
تطلب منها أن تجيبك . (٦) تجوزها أي تمسك عنها . وفي الديوان (تجوزها) .

ألم تنقذها من ابنِ عُويمر وأنت صنيُّ نفسه وسجيرها

فإن يك يشكو من قريب مخانة ^(١) فلتك الجوازي عقيبها ونُصورها

وفيه يقول أبو ذؤيب :

يُرى ناصحاً فيما بدا فإذا خلا فذلك سكينٌ على الخلقِ حاذق

ثم إن وهباً بعث ابنه عمرأ فوهب لها ذات يده فواصلته وكن لعمره علاتيتها
ونخلاله سرها فجاء خالد ليلاً وعمره معها على شراب فقتله وهرب فبلغ الخبر وهباً

فركب في جمع فبعوه حتى لحقوه فقتلوه فقال أبو ذؤيب يرثيه :

لعمر أبي الطير المربة غدوة على خالد إن قد وقعن على لحم

كلبه وربي لن تعودى بمثله عشية لاقته المنية بالردم

فأنك لو أبصرت مصرع خالد منعت ^(٢) الستار بين أظلم فالحزم

علمت بأن الباب ليست ؟ ولا البكر لاضمت يداك على غنم

ضروب لهامات الرجال بسيفه إذا التفت الأبطال مجتمع الحزم

ومن قديم العتاب المزوج بالشكوى قول جميل :

لحي الله من لا ينفع الودُّ عنده ومن حبله إن مدَّ غير متين

ومن هو إن تحدث له العين نظرة تقصب لها أسباب كل قرين

ومن هو ذو لونين ليس بدائم على العهدِ خوانٌ لكل أمين

ومن هو عند العين أما لقاءه فحلوٌ وأما غيبه فظنون

وكتب بعض الكتاب : لو كنت أعلم أنك تعيب إذا طابتك سلكت في

ذلك مذهباً لا يبلغ فيه القصوى ولا اقتصر على الأدنى ولا أخليتك من الاستزادة

في غير شكوى والتعريف في غير تعنيف والاحتجاج في غير تنكيت ولا توقيف

ولكن شر القول ما لا يسمع وليس لقائله فيه متتفع وأشبه البر بالعقوق ما استكرهت

(١) في ديوان أبي ذؤيب (وان كنت تشكو من خليل مخانة) وفي النسخ

نقص كلمات في الايات استدر كناها من الديوان .. (٢) في النسخ غير منقوطة :

عليه النفوس - وقد قال الشاعر :

ونس بمن في المودة شافعٌ إذا لم يكن بين الضلوع شفيحٌ
وكتب الكرخي : قد واصلت أياماً تبا عاغدوا إليك ورواحا حتى ماني البكور
وسمى التهجير وشكائي الطريق ولحائي الصديق في كل ذلك أعاق بالحجاب
وتستقبلني ردة البواب :

ولاخير في ودّ امرئ متكارهٍ عليك ولا في صاحبٍ لا توافقه
وهذا ذره ^(١) عتاب جاش به الصدر وضاق عن كتمان الصبر فان عطفك
حفاظ فأهل الفضل والبر أنت وإلا فاني على العهد الذي كان بيننا ولا أقول كما قيل :
فما ملئ الانسان إلا ملته ولا فاني شيء فظلت له أبكي
ولا أقول كما قيل :

وإني على عهد الأخلاء دائمٌ ولست إذا مال الصديق على حرفٍ
إذا أنا لم أصفح وأغضض على القذى فلا انبسطت في الحادثات إذا كنى
ومن أطف الكلام قول بعض الكتاب : أنفذ إلى أبو فلان كتاباً منك
فيه ذره عتاب كان أحلى عندي من تعريسة الفجر وألذ من الزلال العذب
فلك العتي ولييك وسعديك داعياً مستجاباً له وعاتباً معتذراً إليه ولو شئت مع
ذلك أن أقول إن العتب عليك أوجب والاعتذار لك ألزم لقلت ولكني
أسأحك ولا أشأحك وأسلم لك ولا راحك لأن أفعالك عندي مرضية وشيمك لدى
مقبولة ولولا أن للحجة موقعها لقصرت العنان عما أجريت إليه من هذا العتاب
وكفنت اللسان عما أطلقته فيه من مر هذا الخطاب وقلت :

إذا مرضتم ^(١) أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتكم ونعتز
ولا ترى كلاماً أطف من هذا ولا أحسن في معناه . وكتب بعضهم لست
أقتضي الوفاء بكثرة اللاح فأنقل عليك ولا أقبل الجفاء بترك العتاب فأغتم

(١) في القاموس : خروء من خير : شيء منه . (٢) في الاصل (إذا مرضنا) .

القطيعة منك والمثل البائر « ويبقى الود ما بقي العتاب » . وقلت :

أمنّا إذا جئكم أستميرٌ فكيف إذا جئت أستوهبٌ
ومثلي إذا كان في مشيرٍ فلعمري عندكم منك
يقرب مثلي إذا ما نأى ويكرّم مثلي إذا يقرب
عتبتك للود لا للثلى وواصل صديقاً ما عتب

ومما يجرى مع هذا الباب قول الآخر :

إذا رأيتُ ازوراراً من أخى ثقة ضاقتُ على برحبي الأرضِ أوطاني
فإن صدّدتُ بوجهي كي أكاثره قالعين غضبي وقلبي غير غضبان

وقد أحسن العباس بن الأحنف في قوله :

كنا نعاتبكم ليالي عودكم حلوا المذاق وفيكم مستعجبٌ
فالآن إذ ظهر العتب منكم ذهب العتاب وليس غنكم مذهب

ومن مشهور العتاب قولهم :

طال المطال فلا خلود حاجة مقضية أو ير ينفع
واعلم بأنّي لأسرّ بحاجة إلا وفي عمري بها مستمتع

ومن جيد المعانيات قول أبي تمام في أبي دلف :

يا أيها الملك النائي بفرته (١) وجوده لمرجى (٢) جوده كتب
ليس الحجاب بمقص عنك لي أملاً أن السماء تُرجى حين تحتجب
مادون بابك لي باب الود به وما وراءك لي مشوى ومطلب

وقوله في أبي سعيد :

لعمرك لليأس غير المريث خير من الطمع الكاذب
وللريب تحصره بالنجاح خير من الأمل الخائب

وقال يعاتب موسى بن إبراهيم الرافعي في ضئته عنه بجأه :

(١) في الأصل « برويته » . (٢) كنا في ديوان أبي تمام ، وفي الأصل « لمراعى » .

سأقطع أرسان العتاب بمنطق
وان أمراً ضنت يداه على امرئ
أخذه من قول مسلم :

وأحببت من حبها الباخلين
إذا سئل عرفاً كسا وجهه
بغار على المال فعل الجواد
وقول أبي تمام :

لآل وهب أكف كلما اجتديت
قوم تراهم غيارى دون مجدهم
ومنها: دنيا ولكنها دنيا ستنصرم
ومنها: فلا تقل قدم أزرى يهيجه
وقد أحسن ابن الرومي وأجاد في قوله لقوم إسماعيل بهم فأعانوا خصمه :

تخذتكم درعاً وترساً لتدفعوا
وقد كنت أرجو منكم خير ناصر
فان أنتم لم تحفظوا لمودتي
قفوا موقف المذور مني بمنزل
هي النفس إما أن تعيش عزيزة
عفاء على ذكر الحياة إذا حلت
وهذا مثل قوله أيضاً :

عفاء على الدنيا إذا مستحقها
بهاها ولن يرجى لديه منوعها
وسأل بعض الزهراء أن يكتب له كتاباً إلى رئيس فقال :

أتبخل بالقرطاس والخط عن نخ
وكفاك أئدى في العطايا من المزن

(١) في ديوان مسلم المطبوع «تيا بآمن اللؤم حراً وسودا» . (٢) في الديوان «أن يجودا» .

فلا يكن المبذول اليوم^(١) معمه وقرطاسه بين الصيانة والخزن

وهي طويلة. وقال جملة يعاتب على شدة الحجاب :

الله يعلم أنى لك شاكركم^١ والحر للفضل الجليل شكور
 لكن رأيت. يباب دارك جفوة فيها لصفو صنعة تكدير
 ما بال دارك حين تدخل جنة ويباب دارك منكر ونكير
 غيره :^(٢) سأترك هذا الباب مادام إذنه على ما أرى حتى يلين قليلا
 إذا لم أجد يوماً إلى الآن سلبا وجدت إلى ترك المجيء سبيلا
 وقول أبي تمام : ان السماء ترجى حين تحتجب * مأخوذ من قول الأول :
 وإني لأرجوكم على بطء سعيكم كما في بطون الحاملات رجاء
 وقد أحسن أبو تمام في معاتبته ابن أبي دؤاد واستبطائه إياه في قوله :
 رأيت العلا معمورة منك دارها إذا اجتمعت يوماً^(٣) وقرقرارها
 وكم نكبة ظالماء تحسب ليلة تجلى لنا من راحتك نهارها
 فلا جارك العافي تناول محلها ولا عرضك الوافي تناول غارها
 فلا تمكن المطل من ذمة الندى فبئس أخوالاً بدي الكبار^(٤) وجارها
 فان الأيادي الصالحات كبارها إذا وقفت تحت المطال صغارها
 وما نفع من قدبات بالأمس صادياً^(٥) إذا ما مساء اليوم طال انهارها
 وخير عداة المرء^(٦) محتضراتها كما أن خيرات الليالي قصارها
 وما العرف^(٧) بالتسويق إلا كحلة تسليت عنها حين شط مزارها

(١) (للزم) ساقطة من الأصل فاستدر كناها من ديوان ابن الرومي المخطوط .

(٢) نسبها ابن خلكان لأبي العيثل ، وفيه (يخف) مكان (يلين) و (اللقاء)

في موضع (المجيء) . (٣) في ديوان أبي تمام « جاشاً » .

(٤) في ديوان أبي تمام « الغزار » . (٥) في الأصل « ضارياً » .

(٦) في ديوان أبي تمام « الحر » . (٧) في الديوان « وما النفع » .

وقد أحسن في هذه الأبيات ما شاء وفي قوله أيضاً لما لك بين طوق وقد حجبته :
 قل لا بين طوقٍ وحاسدٍ إذا خبطت نوائبُ الدهرِ أعلاها وأسفلها
 أصبحت حاتمها جوداً وأحنفها حلمًا وكيسها علماً ودغفلها
 مالي أرى الحجرة الفيعاء ^(١) مقفلة عني وقد طال ما استفتحت مقفلها
 كأنها جنة الفردوسِ ممرضة وليس لي عملٌ زاك فأدخلها
 . وليس لهذا التمثيل نظير في حسنه وبراعته ..

وكتب صاحب أبو القاسم ^(٢) إلى بعضهم يعاتبه في صغر كتابه إليه : كتابي
 وعندي نعم من أعظمها خلوص ودك وبقاء عهدك ورد لي كتاب حسبه
 بطير من يدي ثلثته ويلطف عن حسي لقلته وعهدي بك تروى إذا سقيت
 وتجزل إذا أعطيت فما الذي أحالك وبذل حالك أملال أم كلال أم اقلال وليس
 عندي أنك تمل صديقاً صدوقاً وشقيقاً شقيقاً ولا عندي أنك تكمل ولو ملأت
 الأرض كلاماً وشعنت صفحات الجود نظاماً ولا عندي أنك تقل وبهر فضلك
 فياض وثوب علمك فضفاض فما أملك وقد نبوت وزهدت وجفوت إلا أن أصبر
 على هجرتك كما تمتعت بصلتك لتكون عني نسخة أخلاقك إذا قربت وبعدت
 ووصلت وصددت وأكره أن أطيل وقد قصرت وأكبر وقد أقللت فتسامني كما
 سممت عادتك وتتركني وقد تركت شيمتك فأجب أن تطالعتي بأخبارك وعوارض
 أوطارك إن شاء الله تعالى :

إذا أنت طابت الصديق ولم يكن يودك لم يمتبك حين تعاتبه
 ومن يرع شرقى البلاد مسوامه وغريبها يملكه ؟ صاحب
 ومن يخلط الماء الزلال بآجن من الماء تخبث ما تطيب مشاربه
 وكان . . . أبا عن كتاب قصص فيه من الخطاب : وقفت على الفصل
 المؤذن بالجفاء المنسل على سوء الجزاء وعلى ما احتواه من دنيء الخطاب ووضع الدماء

(١) في ديوان أبي تمام «البيضاء» . (٢) هو صاحب بن عباد الوزير البليغ المشهور .

وعجبت كيف حطمت الدماء من رتبته المعروفة وخففت الخطاب عن درجته
 المألوفة وأنت على منزلتك لم تردد تقيراً وأنا في درجتي لم أنقص قطيراً فكيف
 لو زدت زادك الله بصراً بمالك وعليك وأراك من عيبك ما لا يتصور لديك
 وكفالك من شر نفسك ما هاصر عليك من كيد عدوك وثماتة حسودك ولا
 اختار لك أن تتكبر كلما تكبر وتتجبر كلما تجبر فقد سمعت ما قال يحيى بن خالد :
 من بلغ رتبة فتاه أخبر أن محله دونها ومن بلغها فتواضع أعلم أن حقه فوقها
 فكيف والأحوال على ما كانت عليه لم يضر الجلال بدراً ولا الشبل ليثاً ولا الفصن
 ساقاً ولا القطوف معناقاً . والعرب نسي الكبرياء وهو الخيرة لأن صاحبه لا يهتدى
 لرشاد ولا يصل إلى سداد ولو لم يكن إلا التطير من اسمه دون التحلي بقبح سمته
 ورمحه لكان الماقل حقيقاً بتركه وخليفاً برفضه ، وقد قيل ليس لمعجب رأى
 ولا لشكبر صديق فأياك أن تحرم نفسك بكبرك الذي يضرك ولا ينفعتك ويحطك
 ولا يرفعك استفادة الإخوان الذين هم أبلغ في الخير والشر من البيض الحداد
 وأحضر عناء في الأمن والخوف من الطرائف والتلاد فان ذلك غين كبير وحرمان
 جسيم ، وقد قال الأول :

ما بال من أوله نطفة^{هـ} وآخره جيفة^{هـ} يفخر^{هـ}

ولبعض بني هاشم وهو الرضى رحمه الله تعالى :

ولرب مولى لا ينقض^{هـ} جاحه^{هـ} طول العتاب ولا عناء المذل

يطنى عليك وانت تلام^{هـ} شعبه والسيف يأخذ من بنان الصيقل

ضاق الزمان فضاقت فيه قلبي والماء يجمع نفسه في الجدول

وقال بعضهم في يزيد بن المهلب :

فمن يلزم النازلون^{هـ} محله^{هـ} فنزلكم للحمد والشكر منزل^{هـ}

رأى الناس فوق المجد مقدار مجدكم فقد يسألونكم فوق ما كن يسأل

وقصر عن مساكنكم كل^{هـ} آخر وما فاتكم ممن تقدم أول^{هـ}

بلغت الذي قد كنت آمله لكم
وملك حق واجب غير أني
قلت أنتم أنتم وبررتهم
وان كنتم أوليتوني تفضلاً
وكم ملحف قد قال منكم رغبة
وعودتوني قبل أن أسأل الفنى
وقال ابن الرومي :

من الحيف تخسيس^(١) النوال ومطله
وكن نخلة تلوى وتسنى عطاءها
وقال : يا شبعة البدر في الحسن
مجد قد تنفجر الصخرة بالماء الزلال
وله في المعانيب مالا أعرف لغيره - قال :

يا ابن الوزير الذي تمت وزارته
ان كنت أحسنت في وصفي مآثركم
وان أكن قلت مالا أستحق به^(٢)
ان المديح اذا ماسار منفرداً
فقد يبرز بليغ في بلاغته
أسهت فيكم لكني أعلو فطاطاتي
ان السلايم لا تبني أطاولها
لكن ليصعد انجاداً تشرفه
وقد هبطت بما شيدته لكم
لا تجمعن على العار والنار
فأثروا في بالاحسان آثارا
منكم ثواباً فردوه وما سارا
من الثواب كسى من قاله عازا
وقد يظن سوى المختار مختارا
تقصيركم بي فقد أزمعت إقصارا
يوماً ليهبط بانيهن اغوارا
حتى يمد إليها^(٣) الناس أبصارا
من حائقي ولعل الله قد خارا

(١) في الأصل « تطيف » وفي ديوان ابن الرومي « تخسيس » .

(٢) في الديوان « أو كنت قد قلت مالا أستحق به » . (٣) في الديوان (إليه) .

كم هابط صاعد من بعد مهبطة^(١)
 ثقلت في كفة الميزان فانكدرت
 صبراً فكم ناهض من بعد وقته
 لابن ضمير^(٢) صروف غير غافلة
 وقال: وتابع بعد الفتح قوماً سبقتهم
 ولم يصف من شيء صفاء طوبى
 وما جاء مدح مثل مدحى فيكم
 ومالى لا أنفك أنى مستنداً
 لعمري لقد غوثت غير مقصر
 وكم قاتل أبلغت فيما تقوله
 وقلت: قد كنت توليت الحسن وتكرمنى
 فما بدا لك في جود ومكرمة
 ارجع الى الحالة الأولى قالت لنا
 وحسن أحدىثة لو كنت تبصرها
 أذكي من المسك في أصداع غانية
 وللصاحب بن عباد في الاستزاد والعتاب آيات لم يمر بي من شره أجود منها فنها:
 يشهد أبناء الفاخر كلهم بأن مضيع الأكرمين مضيع
 يزعمك الواشون عن حومة الملا وكان بعيداً أن يزعم لعلم
 وقد طرف البحرى في قوله يستبطن محمد بن العباس الكلبي:
 المئة الدينار منسية في عدة أشبتها خلفاً
 لاصدق اسماعيل فيها ولا وقاه إبراهيم إذ وفي

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (مهبطة). (٢) في الديوان (القوم).

(٣) ابن ضمير: الليل والنهار لأنه يسرف فيهما أى يتحدث — كما في جنى الجنتين.

ان كنت لا تنوى نجاحاً لها . فكيف لا تجعلها ألفاً
 وقوله : عمرت أبا إسحق مصلح العمر . ولا زال مَزْهُواً بِأَبَائِكَ ^(١) الدهرُ
 فأنت ندى نحيباً به حيث لا ندى . وقطرٌ يرجى جودَهُ حيث لا قطر
 على أنتى بعد الرضا مُتَسَخِّطٌ . ومستتبٌ من خطه منهلها وعر
 وقد أوحشتني ردةٌ لم أكن بها . بأهلٍ ولا عندي بتأويلها خبر
 فلم جئت طوع الشوق من بعد فابقي . الي غير مشتاق ولم رَدَّني بشر
 وما باله يَأْبَى دخولي وقد رأى . خروجي من أبوابه ويدي صفر
 ومن جيد ما قيل في حسن الاقتضاء قول أبي تمام :

وإذا المجدُ كان عوفى على المر . تقاضيته بتركِ التقاضى
 وقول الآخر : أروح بتسليم وأغبو بمثل . وحسبك بالتسليم متى تقاضيا
 وفي خلاف ذلك قول بعضهم : ثقتى بكرمك تمنع من اقتضائك وعلني بشغلك
 يحدو على اذ كرك . ومما يجرى مع هذا الباب قول الآخر :
 أنت أمضى من أن تحرك للمجد . ولكن شراةُ الشعراء
 وفي خلاف ذلك قول الآخر :

أروح وأغدو نعوكم في حوائجى . فأصبح منها غدوة كالذى أمسى
 وقد كنت أرجو للصديق شفاعتى . فقد صرت أرضي أن أشفع في نفسى
 وقول الآخر : وألموت خيرٌ من حياة زهيدة . وألمنع خيرٌ من عطاءٍ مكدر
 ومن مליح الاستبطاء ما كتب بعضهم : كتابي ليس باستبطاء وأمسأ كي ليس
 باستغناء ولكن كتابي تذكرة لك وأمسأ كي ثقة بك . وكتب عثمان الى علي رضي
 الله تعالى عنهما : أما بعد فقد بلغ الماء الزبي والحزام الطيبين وطعم في من لا يدفع عن نفسه :
 فان كنت ما كولاً فكن خير آكل . وإلا فأدركني ولما أمرق
 ومما جاء في ذم العتاب قول بعض الحكماء : العتاب رسول الفرقة وداعي القلى وسبب

(١) في ديوان البحترى « بأيامك » .

السلوان وباعث الهجران. وقال بعضهم: العتاب يمت التجنى والتجنى ابن الحاجة والحاجة
أخت العداوة والعداوة أم القطيعة. وقال بعضهم: سبيل من يأخذ على أيدي الأحداث أن
لا يكدرهم بالتوبيخ لئلا يضطروا إلى الفحة. وقال غيره العتاب داعية الاجتناب فإذا
انفسلت المعاتبة انقبضت المصاحبة. وقال آخر: حرك اخوانك يعض العتاب لئلا
يستعذبوا أخلاقك وأغض عن بعض ماتكر منهم لئلا يوحشهم الحاحك. وهذا
أقصد ما قيل في هذا المعنى. وكتبت في فصل لى: العتاب مقدمة القطيعة وطلبة
الفرقة فتجنبه قبل أن يجنبك حظك من السرور برؤية أحبابك وانتقل عنه قبل
أن يتقل بك عن مقر غبطتك بمشاهدة أودائك وإن لم تجد منه بداً فاقصد فيه
ولا تكثر منه فإن الكثير من المحبوب مملول فكيف من المكروه والاقتصاد في
المحمود ممدوح فكيف من المذموم. وقال ابن الرومي:

أرّفه ما أرّفه في التقاضى	وليس لديك غير المطلق تقدّ
خلا وعد مددت إليه كفى ^(١)	فأعرض دونه مطلق بمدّ
إذا إنجاز وعدك كن وعداً	فيكفينى من الوعدين وعد
وقال: سألت قفيزين من حنطة	فجذت بكرّ من المنع واف
وأنتعت منك لى بالمجاب	مهلاً مهديت فى المنع كاف
كأنى سألتك حبّ القلوب	ذاك الذى من وراء الشفاف
وقد أجاد الآخر حيث يقول:	
وكن عند ما نرجوه منك فانتا	جنيماً لما أوليت من حسن أهل
ولا تعتذر بالشغل عنا فأنما	تناط بك الآمال ما اتصل الشغل

(١) فى ديوان ابن الرومي المخطوط «مددت إليه عيني».

﴿ الفصل الثاني من الباب الثالث في الهجاء ﴾

قالوا أهجى بيت قالت العرب قول جرير :

ففض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد حدثنا أبو عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة عن يونس قال قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده جلساؤه : هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم شعر ودوا أنهم اقتدوا منه بأموالهم ، وشعر لم يسرهم به حمير النعم ؟ فقال أسماء بن خارجة نحن يا أمير المؤمنين ، قال وما قيل فيكم ؟ قال قول الحارث بن ظالم :

وما قومي بشعبة بن سعد ولا بفزارة الشعر الرقابا

فو الله يا أمير المؤمنين إني لأبأس العمامة الصفيقة فيخيل لي أن شعر قفاي قد بدا منها . وقول قيس بن الخطيم ^(١) :

همنا بالاقامة ثم سرنا مسير حذيفة الخير بن بدر ^(٢)

فما يسرنا أن لنا بها أوبه سود للنعم . فقال هانيء بن قبيصة أولئك نحن يا أمير المؤمنين ، قال ما قيل فيكم ؟ قال قول جرير :

ففض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

والله لو ددنا أننا اقتديناه بأملأ كنا ، وقول زياد الأعجم :

لمعرك فارماح بني نمير الصدور ولا قصار ؟

فو الله ما يسرنا به حمير النعم . قال أبو بكر وذكر أن جريراً لما قال :

والغلي إذا تمنح للقرى حك استه وتمثل الأمثالا

(١) كان شاعر الأوس وأحد رجالاتها ، اشتهر بتبعيه قاتلي أبيه وجده حتى

قتلها وقال في ذلك شعراً ، أدرك الاسلام وقتل قبل أن يسلم .

(٢) في النسخ تصحيف صحناه من ديوان قيس .

قال قد قلت بيتاً فيهم لو طعن أحد في استه لم يحكما .

وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال مرت امرأة بيني
نمير فتخامزوا إليها فقالت يا بني نمير لم تعملوا بقول الله تعالى ولا بقول الشاعر :
يقول الله تعالى (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ فَنُصٌّ وَمِنْ أَفْصَارِهِمْ) ويقول الشاعر :
* فنض الطرف إنك من نمير * فخبجوا وكان النميري إذا قيل له ممن أنت ؟
قال من نمير فصار يقول من بني عامر بن صعصعة .

ولو قيل إن أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق لم يعمد وهو :

ولو ترمى بلؤم بني كليب نجوم الليل ما وضحت لساى
ولو يرمى بلؤمهم نهار لدنس لؤمهم وضح النهار
وهذا مثل قول الآخر :

ولو أن عبد القيس ترمى بلؤمها على الليل لم تبدُ النجوم لمن يرى
وقالوا أهجى بيت قالته للعرب قول الأعشى :

تبيتون في المشتى ملأ بطونكم وجاراتكم غرثى يتن خائفا
وكان من حديث هذا الشعر أن عامر بن الطفيل بن مالك وعلقمة بن علاثة
تنازعا الزعامة فقال عامر : أنا أفضل منك وهى لعمى ولم يمت - وعنه عامر بن
مالك بن جعفر بن كلاب وكان قد اهتز وسقط - وقال علقمة : أنا أفضل منك أنا
عنيف وأنت عاهر وأنا وفى وأنت غادر وأنا ولود وأنت عاقر وأنا أدنى إلى ربيعة .
فتداعيا إلى هرم بن قطبة ليحكم بينهما فرسلا إليه ومع كل واحد منهما ثلثائة من
الابل مائة يطعمها من تبعه ومائة يطعها الخاكم ومائة يعقرها إذا حكم . فأبى هرم
ابن قطبة أن يحكم بينهما مخافة الشر ، وأيا أن يرحلا فخلا بملقمة وقال له : أترجو
أن ينصرك رجل من العرب على عامر فارس مضر أتدى الناس كفاً وأشجعهم لقاء
لسان رمح عامر أذكرك في العرب من الأحوص وعنه ملاعب الأستة وأمه كبشة
بنت عروة الرجال وجدته أم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الفحفاء وأملك من

النخع وكانت أمه مهيبة وأم علامة^(١) من النخع ، ثم خلا به امر فقال له أعلی علقمة
تفخر أنت بتأوته أعلی ابن عوف بن الأحوص أعف بنی عامر وأحلمه وأسوده
وأنت أعور عاقر مشرّوم أما كان لك رأي يزعلك عن هذا أ كنت تظن أن أحداً من
العرب ينصرك عليه . فلما اجتمعوا وحضر الناس للقضاء قال أتما كركبتی البعير فرجما
راضين . والصحيح أنه توارى عنهما ولم يقل شيئاً فيهما ولو قال أتما كركبتی الجمل
لقال كل منهما أنا اليماني فكان الشر حاضرآ . ولقد سأله عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنهما بعد ذلك لمن كنت حاكماً لو حكمت ؟ فقال اعفني يا أمير المؤمنين فلو
قلتها لعادت جذعة فقال عمر صدقت مثلك فليحكم . فارتحلوا عن هرم لما أحيام نحو
مكاظ فاقبهم الأعشى منحدرآ من اليمن وكلن لما أرادها قال لعلمة اعتدلي جبلاً
قال أعقد لك من بنی عامر قال لا تغني عني قال فمن قيس قال لا قال فما أنا رائدك .
فأتى عامر بن العافيل فأجاره من أهل السماء والأرض ، فقيل له كيف نجّيه من أهل
السماء ؟ قال ان مات وديته فقال الأعشى لعامر أظهر إنكما حكمتاني ففعل فقام
الأعشى فرفع عقيرته في الناس فقال :

حكمتموه فقتضى بينكم	أطبع مثل القمر الزاهر
لا يأخذ الرشوة في حكمه	ولا يبالي غبن ^(٢) الخاسر
علقم ما أنت ^(٣) إلى طامر	الناقض الاوتار والواتر
واللامس الخيل بخيل إذا	ثار عجاج الكه الثائر
ساد وألني رهطه سادة	وكبرآ سادوك عن كابر

وشد القوم على الابل المائة فقروها وقالوا عامر وذهبت به الضوغاء وجهد

علقمة أن يردّها فلم يقدر على ذلك فجعل يتهدد الأعشى فقال الأعشى :

أتاني وعبد الحوص من آل جعفر فباعبد عمر ولونبيت الأحوصا

(١) يياض في الأصل ، وذ كر القصة صاحب الأغاني بغير هذه الرواية . (٢) «غبن»

ساقطة من الأصل فاستدركتاها من بلوغ الأرب . (٣) في الأصل «لأنت» .

فما ذنبنا أن جاش بحر ابن عمك وبحرك سابع لا يوارى الدمامصا
 كلا أبويكم كنّ فرع دمامية ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصا
 تبيتون في المشتى ملا بطونكم وجاراتكم غرثى يمتن خائصا
 يراقبن من جوع خلال غنافة فجوم العشاء القائمت القوامصا
 رمى بك في أخراهم تركك الندى وفضل أقواماً عليك مراهما
 فمض حد يد الأرض ان كنت ساخطاً بفيك وأحجار الكلاب الرواهما
 فبكي علقمة لما بلغه هذا الشر وكان بكاءه زيادة عليه في العار . والعرب تعبر
 بالبكاء ، قال مهلهل :

يبكى علينا ولا نبكى على أحد لنحن أغلظ أكباداً من الأبل
 وقال جرير :

بكي دوال لا يرنا الله دمه ألا إنما يبكي من الذل دوال
 وكان الخطيئة مع علقمة وليد مع عامر ^(١) فقال الخطيئة :
 يا عام قد كنت ذاباع ومكرمة لو أن مساة من جاريتك أمم
 جاريت قرماً ^(٢) أجاد الأحوصان به ضخم الدسيمة في عرينه شمم
 لا يصعب الأمر إلا حيث يركبه ^(٣) ولا يبيت على مال له قسم
 وقال : فما ينظر الحكام في الفصل بعدما ^(٤) بداوا ضح ذو غرة وحجول

(١) كذا في النسخ ، وفي طبقات الجحى (وكان الخطيئة مع علقمة بن علاثة
 حين نافر عامر بن الطفيل) . (٢) وفي رواية (جاريت فرعا) وفي ديوان الخطيئة :
 جاريت قرماً أجاد الأحوصان به جزل المواهب في عرينه شمم
 والأحوصان : الأخوص بن جعفر بن كلاب - واسمه ربيعة وكان صغير العينين -
 وعمرو بن الأخوص ، كما في جنى الجنتين في المثنيين للمعجم .
 (٣) في طبقات الجحى وديوان الخطيئة (إلا ريث يركبه) .
 (٤) في الأصل (بعدها) والتصحيح من ديوان الخطيئة :

وها تان القصيدتان جيدتان بارعتان في معنيهما ولكن الناس استخفوا قول
الأعشى * علقم لالنت الى عامر * فر على ألسنتهم ومقط شعر الخطيئة .

أخبرنا أبو علي بن أبي جعفر أخبرنا جعفر بن محمد حدثنا أبو عبيدة العسكري
حدثنا محمد يعني ابن الوليد حدثنا أبو زكريا عن الأصمعي قال قال عبد الملك
ابن مروان لامية ^(١) مالك وللشاعر إذ يقول :

إذا هتف المصفور طار فؤاده وليث حديد الناب عند الثرائد ^(٢)

قال أصابه حد من حدود الله تعالى فأقمته عليه ، قال فهلا درأته عنه بالشبهات ؟
قال كان أهون علي من أن أعطل حداً من حدود الله تعالى فقال يا بني أمة أحسابكم
أحسابكم أنسابكم أنسابكم لا تعرضوا للهجاء ^(٣) فان للشعر مواسم لا يزيد لها الليل
والنهار إلا جدة ^(٤) والله ما يسرني أني هجيت بيت الأعشى حيث يقول :

تبيتون في المشى ملاء بطونكم وجاراتكم غرنى بيتن خائفا
ولى الدنيا بخذا فيرها ، ولو أن رجلا خرج من عرض الدنيا كن قد أخذ عوضاً
لقول ابن حريثان :

على مكثريهم حق من يعتريهم ^(٥) وعند المقلين السباحة والبذل
هكذا رواء لنا والبيت لزهير . وقالوا أهجى بيت قاله العرب قول الخطيئة في
الزبرقان بن بدر :

دع المكارم لا ترحل لبثتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي
وأخبرني أبو أحمد سمعت بعض الشيوخ يقول اجتمع مطيع بن إلياس ويحيى
ابن زياد وحامد عجرد وجعفر بن أبي رزة في مسجد الكوفة فامتروا ^(٦) في أهجى
بيت قاله العرب ثم اتفقوا على قول الفرزدق في جرير :

(١) في الاصل (لائنه) (٢) عجز البيت في الأصل غير منقوط فصحيحه
من الامالى والعقد الفريد ، وفيه (صوت) مكان (هتف) . (٣) في الاصل (للفصحاء)
(٤) في الاصل (حيرة) . (٥) في الأغاني « رزق من يعتريهم » .
(٦) في الأصل غير منقوطة .

أنتم قرارة كل معدن سوءة ولكل سائلة نسيل قرار
أخذه أبو تمام فقال :

وكانت زفرة ثم اطعمت كذاك لكل سائلة قرار
وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأخطل لجري :

مزال فينا رباط الخيل مطعة وفي كليب رباط اللؤم والعمار
قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأنهم بولي على النار
قالت بنو تميم ماهجينا بشيء هو أشد علينا من هذا البيت . وهو يتضمن
وجوها شتى جعلهم بخلاء بالقرى وجعل أمهم خادمتهم يأمرونها بكشف فرجها ،
وجعلهم يخلون بالماء أن يطفئوا به النار فيأمرونها بأن تطفئها بيولها بينهم وبين
المجوس لتعظيم المجوس النار ، الى غير ذلك وان نأرم من قلتها كانت تطفئها بيولها .

وقالت بنو مشاجع ماهجينا بشعر أشد علينا من قول جرير :

وبرحان غداة كبل معبد نكحت نساؤهم بغير مهور

وقالت بنو كليب ماهجينا بشعر أشد علينا من قول الفرزدق :

أست كليباً إذا سيم سوءة أقر كقرار الحليلة للبعل

وقالوا بل أهجى بيت قالته العرب قول الطرماخ :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت
وقال بعض الشيوخ لو أن هذا البيت لجرير أو لمن في طبقة لحكم على جميع
ما في معناه . وبعده وهو أبلغ ما قيل في الاحتقار والتقليل والجبن :

ولو أن حرقوصاً على ظهر نمل تشد على صفي تميم لو كنت

ولو جمعت يوماً تميم مجموعها على ذرة معقولة لاستقلت

ولو أن أم العنكبوت بنت لها مظلتها يوم الندى لاستظلت

ولو أن برغوثاً يرفق مسكة إذا نهلت منه تميم وعلت

وأبلغ ما قيل في الحقول قوله أيضاً :

لو كان يخفى على الرحمن خافية^١ من خلقه خفيت عنه بنو أسد
 قوم^٢ أقام بدار الذل أولهم كما أقامت عليه خدمة^٣ الوند^(١)
 وقال ابن الأعرابي قال أبو عمرو بن العلاء أحسن الهجاء ما تنشده العاتق في
 خدرها فلا يقبح بها مثل قول أوس :

إذا ناقة شعرت برجل ونمرق إلى حكم تمدى فضل ضلالها
 وقال ابن الأعرابي وأنا أقول مثل قول جرير :

ولو أن ثعلب جمعت أحسابها يوم التفاخر لم تزن مثقالا
 وقيل أهجى ما قالته العرب قول الأعرابي :

اللؤم أكرم من وير ووالد^٢ واللؤم أكرم من وير وما ولدا
 قوم^٣ إذا جرجان منهم^(٢) أمنوا من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا
 وقال النجاشي^(٣) في بني العجلان :

قبيلة لا يغدرون بنمة ولا يظلمون الناس حبة خردل
 ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الوراء^٤ عن كل منهل
 فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب فقال ما قيل فيكم ؟ فأنشدوه :
 إذا الله عادى أهل لؤم ورقة فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل
 فقال عمر إن كان مظلوما استجب له ، قالوا وقد قال :

قبيلة لا يغدرون بنمة ولا يظلمون الناس حبة خردل
 فقال لبت آل الخطاب هكذا . قالوا وقد قال :
 ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الوراء^٤ عن كل منهل

(١) مقطع من النسخ بعض عجز البيت فاستدر كناه من الغند الفريد .

(٢) في الأصل « إذا ماحر جانيهم » .

(٣) في الأصل هنا « النجاش » وفي موضع آخر (النجاش) والصواب

« النجاشي » وهو شاعر أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه على ما في بلوغ الأرب وغيره .

قال عمر : ذاك أقل لك - يعني الازدحام ، قالوا وقد قال :
 تعاف الكلاب الضاريات لحومهم ويا كلن من عوف وكعب ونهشل
 قال أحيا^(١) القوم قتلاهم ولم يضيعوهم ، قالوا وقد قال :
 وما تُسمى العجلان إلا لثيلهم تُخذِ القعبَ واحلب أيها العبدُ واعجل
 فقال عمر خير القوم خادمهم ثم بعث إلى حسان فسأله فقال ما بهجاءم ولكن
 سلح عليهم فهدد النجاشي وقال إن عدت قطعت لسانك .

وكانوا يتمدحون بتقديم الورد وكان أعزهم أسبقهم إلى الماء بابلهم ومثل قوله :
 * تعاف الكلاب الضاريات لحومهم * قول البحري :
 ورددت العتاب عليك حتى شئت وآخر الود العتاب
 وهان عليك سخلى حين تغدو برض ليس يأكله الكلاب
 ومن التناهي في الاحتقار والحقول قول بعضهم^(٢) :

قالوا الأشاقر تهجوهم فقلت لهم ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا
 قوم من الحسب الزاكي بمنزلة كالنقع بالقاع لا أصل ولا ورق
 أن الأشاقر قد حلوا بمنزلة لو يرهبون بنعل عندنا علقوا
 لا يكثرُونَ وإن طالت حياتهم ولو تبول عليهم فارة غرقوا
 وقول الآخر : لو يحلوا بالحرير ما وجدوا * وقول الآخر ، أستغفر الله من قوله :

يكاد من رقة ولؤم يخنى على الباري القديم
 وقول أبي الهيثم :

يا جعفر بن القاسم بن محمد مالي أراك عن الندى معزولا
 إني أقول مقالة تجري بها لو كنت من كرم لكنت قليلا

وقول أبي تمام :

ما كنت أحسب أن الدهر يمهلي حتى أرى أحداً بهجوه لا أحد

(١) في الأصل «أحيا» (٢) نسبت في العقد باختلاف في بعض الألفاظ لزيادة الاعمى .

ونحوه قوله: هب من له شيء يريد حجابَهُ ما بال لا شيء عليه حجاب
وقال ه وأنت أنزرت من لا شيء في العدد ه

ومن مشهور ما قيل في بلوى الأختار بالأشعار قول الأول :

قلو آتى بليت بهائمى خولته بنو عبد الدانى
صبرت على عداوته ولكن^(١) تعالى فانظري بمن ابتلانى

وشكار جل إلى أبى الميناء رجلاً فقال فك دخل في العدد وخرج من العدد ،
يقول هو يعد في الحساب ويخرج من عدد التحصيل ، وهو من قول القائل :

خرجنا العداة إلى زهرة وفينا زياد أبو صمصمه
فسته رهط به خمسة وخسة رهط به أربعة
وقلت في معناه :

أنظر اليهم ولا تعجيك كثرتهم فانما الناس قلوا كلما زادوا
ولا يهولئك من دهمائهم عدد فليس للناس في التحصيل أعداد
عجبت من زهدهم فيما يزينهم والناس مذ خلقوا في الخير زهاد

ومن التناهى في صفة الخول قول عبد الصمد في أبى العباس محمد بن يزيد المبرد :

سألنا عن ثمالة كل حي فقال القائلون ومن ثمالة
قلت محمد بن يزيد منهم فقالوا زدتنا بهم جهالة

ومن الاستحقار الشديد قول مسلم :

أمويس قل لي أين أنت من الوردى لأنت معلوم ولا مجهول
أما الهجاء فدق عرضك دونه والمدح عنك كما علمت جليل
فأذهب نأنت طليق عرضك إنه عرض عززت به وأنت ذليل
فجعله زور الاله والهجاء فوقه فلا يهيجى لضمته وقلته .

ومن ههنا أنشد إبراهيم بن الحسن قوله :

(١) وفي نسخة « لئان على ما أتى ولكن » .

فكن كيف شئت وقل ما تشاء وأبرق عينا وأرعد شمالا
 نجابتك لئوم منجى الذباب حته مقاذيره أن ينالا
 وهذه الأبيات وإن كانت مشهورة فإن لا يرادها ههنا معنى كبيراً وذلك أنى
 لست أجده خيراً منها فى معناها وأجود، وقد شرطت أن لأضمن هذا الكتاب
 الاكل جيد اللفظ بارع المعنى ، وأنت أيضاً إذا احضرت اليه تتناوله من قرب .
 وأنشد الجاحظ :

ووثقت أنك لاتسبى حماك لئومك أن تُسبى
 وقال الآخر : بذلة والديك كسيت عزاً وباللؤم اجترأت على الجواب
 وقال غيره : دناءة عرضك حصن منيع قتيك اذا ساء منك الصنيع
 قتل لمدوك ما تشتهى فأنت الرقيق المنيع الوضع
 وقلت : لست الوضع ولا الصغير وإنما أنت الوضع عن الوضع الأصغر
 لاتفخرن وإن غدوت مقدما فعلى جبينك سييأ مؤخر
 وقال أبو نواس :

ما كان لو لم أهجه غالب قام له هجوى مقام الشرف
 يقول قد أسرف فى هجونا وإما زاد بذلك السرف
 غائب لا تسمى لتبنى العلا بلغت مجداً بهجائى قف
 قد كنت مجهولاً ولكنى نوهت بالمجهول حتى عرف
 فجعل شرفهم ونباهتهم بهجائه إياهم ، وقوله :

وما أبقيت من غيلان إلا كما أبقت من البظر الموامى
 ومن قديم الهجاء لمن لا يقيم فى حياته وفى موته فجعة قول بمضهم :
 وأنت امرؤ منا خلقت لغيرنا حياتك لاتفع وموتك فاجع
 وقال ابن الرومى :

ولا تخش من أسهمى قاصداً ولا تأمن من العاير

ولكن وقال معراتها تضاؤل قدرك في الخاطر
وقال غيره :

إني هجوت بكل لفظ مقدر
وقلت : يا أبا القاسم هل أبصرت
ونظيراً لك في شؤمك
إن من شبهك الكلب
وقلت : أهنت هجائي يا ابن عروة فاتحى
وقالوا أتتهجو مثله في سقوطه
وقال ابن الرومي :

خسأت كلباً مرأى مرة فقال مهلاً يا أخا خالد

حسبك خزيًا إني آدم شركتكم إياه في الوالد

ومثله ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدني ابن لسكك (١) لنفسه :

وعصبة لما توسطتهم صارت (٢) على الأرض كالخاتم

كانهم من سوء أفهامهم لم يخرجوا بعد إلى العالم

يضحك إبليس سروراً بهم لأنهم طار على آدم

وقلت : قلت للكلب حين مر بي أخساً فكأنني كويت قلبك كيا

أترى أنني أهدك كلباً أنت عندى إذا نبحت الثريا

ومن التناهي في الاستصغار والحوّل قول زياد الأعجم :

إذا ما اتقى الله امرؤ وأطاعه فليس به بأس وإن كان من جرم

وله جمعت جرم على رأس نملة لباتوا شباعاً يضربون من الشحم

ومن يبلغ ماجاء في الاستصغار ما رواه قدامة قال قال محمد بن ناشد سألتني

(١) هو أبو الحسن محمد شاعر البصرة وأهجي أهل زمانه بالمقطعات .

(٢) في رواية « ضاقت » .

فلان عن رجل قتل يساوى قلس ، فقال قد زدت في قيمته درهمين .

ومن أبلغ ما قيل في الهجاء قول ذى الرمة :

وأمثل أخلاق امرئ القيس أنها صلاب على طول الهوان جلودها
وما انتظرت غياها لليلة^(١) ولا استؤمرت^(٢) في حل أمر شهودها
إذا امرئيات حللن^(٣) ليلة من الأرض لم يصلح ظهوراً صعيداها
وقال غيره : لعمر ك ما تبلى سرايل عامر من اللؤم ما دامت عليه ظهورها
وقال أبو سعيد الخزومي :

يثابت بن أبي سعيد إنها دول وأحراها بأن تنتقل
هلا جعلت لنا كحرمة دعبل في است أم كلب لا تساوى دعبلا
وقالوا أهجى بيت قاله محدث بيت حماد في بشار :

نسبت إلى برد وأنت لغيره فبك لبرد نلت أمك^(٤) من برد

وأخبرني أبو أحمد أخبرني أبو الحسن الصيمري عن أبي الملاء قال حماد عجرد

* نسبت إلى برد وأنت لغيره * قال بشار تها لحاد في هجائي في هذا البيت
خسة معان أوردتها جرير في الفرزدق فلم يقدر عليها حيث يقول :

لما وضعت على الفرزدق ميسى وضع البعيث جدعت أنف الأخطل
ومن أجود ما هجى به الدعش قول دعبل في مالك بن طوق :

الناس كلهم يسعى لحاجته ما بين ذى فرح منها ومهموم
ومالك ظل مشغولاً بنفسه يرم منها خراباً غير مرموم
يبنى بيوتاً خراباً لا أنيس بها ما بين طوق إلى عمرو بن كلثوم .

(١) في الشعر والشعراء (المظيمة) . (٢) في الشعر والشعراء (استؤذنت) .

(٣) في الشعر والشعراء (نزلن) . (٤) سقط من الأصل (نلت أمك)

فاستدر كناها من الأغاني وهي بالكاف ، وفيه (دعيت إلى برد) .

وقال ابراهيم بن اسماعيل النسوي ^(١) :

لو أن موتى تميم كلهم نشروا وأثبتوك لقبيل الأمر مصنوع
إن الجديد إذا ما زيد في خلق تبين الناس أن الثوب مرقوع
وقالوا أهجى بيت قاله محدث قول الآخر :

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم حسنت مناظرهم لقبح الخبر
ولست أعرف أبلغ في الهجاء من قول الأول :

إن يفجروا أو يفسدوا أو يسيئوا لم يفسدوا
وغدوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا

هذا أبلغ من ذكر الفروج والقول الفاحش المقذع في الأمهات والاختوات .
ومن البليغ قول حسان :

أبناء طارف لن تلقى لهم شياً إلا التيوس على أفتائها الشعر
إن نافروا نفروا أو كثروا كثروا أو قامروا الزنج عن أحسابهم قمر
كأن ريحهم في الناس إذ خرجوا ريح الكلاب إذا مامسها المطر ^(٢)

قد استوفى المعنى عند قوله (ريح الكلاب) ثم قال (إذا مامسها المطر) فجاء
بتشميم حسن . وقالوا قول جرير * تفت شواربهم على الأبواب * وقالوا قول حسان :

أبوك أبو سوء وخالك مشله ولست بخير من أهلك وخالك
وإن أحق الناس أن لا تلومه على اللؤم من أنى أباه كذلك

ومن الإفراط في صفة البخل قول ابن الرومي في سليمان بن عبد الله بن طاهر :

تجنب سليمان قفل الندى فقد يئس الناس من فتحه
فلو كان يملك أمر استه لما طعم الحش في سلحه

(١) في الأصل (النسوي) ولعل صوابه (النسوي) نسبة إلى نسا التي يجوز

فيها نسوي ونسائي ، وهو ابراهيم بن اسماعيل بن يسار النسائي شاعر ابن شاعر .

(٢) في ديوان حسان المطبوع اختلاف في بعض الألفاظ .

وأبلغ ما قيل في الهجاء باللؤم قول الفرزدق :

ولو تُرمى بلؤم بني كليب نجوم الليل ما وضعت لسا
ولو لبس التمار بني كليب^(١) لدنس لؤمهم وضح النهار
وما يقدو عزيز بني كليب ليطلب حاجة إلا يجار
وقد مر البيتان الأولان فيما تقدم . ومن الاقراط في الهجاء قول الآخر :
لو اطلع الغراب على نعيم وما فيها من السوات شبا
وقول الآخر :

سأل الله ذا المن من فضله ولا تسألن أبا وائله
فما سأل الله عبده له نجاب ولو كان من ياهله
وقال الآخر : ولوقيل للكلب يباهل لأعول من قبح هذا النسب
وأنشدني أبو أحمد أنشدني أبو مسلم بن بحر لابراهيم بن العباس وهي أبيات
مشهورة أوردتها لأنني لست أجدها مثلاً في معناها :

ولما رأيتك لا فاسقاً تهاب ولا أنت بالزاهد
وليس عدوك بالمتقي وليس صديقك بالحامد
أبيت بك السوق سوق الرقيق فتاديت هل فيك من زائد
على رجل قادر بالصديق كفور لنعمائه جاحد
فما جاءني رجل واحد يزيد على درهم واحد
سوى رجل حار منه الشقا وحطت به دغوة الوالد
فبعثك منه بلا شاهد مخافة أدرك بالشاهد
وأبت الى منزلي سالماً وحل البلاء على الناقد

وقد أحسن التصرف فيها فما قاربه في معانيها أحد .

وأبلغ ما قيل في البخل قول ابن الرومي :

(١) في الأصل « بنو كليب » والتصحيح من منتهى الطلب في أشعار العرب .

يُقْتَرُ عَيْسَى عَلَى نَفْسِهِ وَلَيْسَ يَبَاقُ وَلَا خَالِدٍ
فَلَوْ يَسْتَطِيعُ لَتَقْتِيرَهُ تَنْفَسُ مِنْ مَنْخَرٍ وَاحِدٍ
رَضِيتُ لَتَشْتِيتُ^(١) أَمْوَالَهُ يَدِي وَارِثٍ لَيْسَ بِالْحَامِدِ

والناس يظنون أن ابن الرومي ابتكر هذا المعنى وإنما أخذه مما رواه الجاحظ
أن فلاناً كان يقير^(٢) إحدى عينيه ويقول إن النظر بهما في زمن واحد من السرف .
ومن الفرد الذي لا شيء له قول بعضهم :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنِّي بَتُّ طَاهِرًا فَبَاءَ سُلُوكِي فَبَالَ عَلَى رَجُلِي
فَقُلْتُ أَقْطَعُوهَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ فَأَنَّى كَرِيمٌ غَيْرٌ مَدْخِلُهَا رَحْلِي
وَقُلْتُ : وَقَفْتُ لَدَيْكُمْ لِلْسَّلَامِ عَلَيْكُمْ وَقُوفِي عَلَى أَطْلَالٍ سَلَى وَعَاتِكِهِ
يُرِوْمُكَ تَسْلِيمُ الْعَفَاةِ كَأَنَّهُ بَوَادِرُ طَمَنِ فِي الضُّلُوعِ مَوَاشِكِهِ
وَمَا فِيكُمْ حَرٌّ يَكْرُمُ ضَيْفَهُ وَلَكِنْ إِذَا مَا سَاءَ أَكْرَمُ نَائِلِهِ
وَإِنْ كُنْتُمْ نَاسًا وَمَا أَنْتُمْ بِهِ فَانِ الْقُرُودَ وَالْكِلَابَ مَلَائِكِهِ
وليس في هذا الباب أبلغ من هذا ولا أعرقى سبقت إليه . وقال بعضهم :

سَمِعْتُ الْمَدِيحَ أَنَا سَاءَ دُونَ مَا لَمْ رَدِّ قَبِيحٍ وَقَوْلٍ لَيْسَ بِالْحَسَنِ
فَلَمْ أَفْزَ مِنْهُمْ إِلَّا بِمَا حَمَلْتُ رَجُلٌ الْبِعُوضَةَ مِنْ فُخَّارَةِ الْبَنِّ
وهذا كما نراه بليغ جداً . وقال الآخر * يعطيك ما تعطيك مكحلة *

وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن أبي طاهر الدجيل :

أَتَقْلُ مُطْبِخًا لَا شَيْءَ فِيهِ مِنْ الدُّنْيَا تَخَافُ عَلَيْهِ أَكْلُ
فَهَذَا الْمَطْبِخُ اسْتَوْتَقَتَ مِنْهُ فَمَا بِالْكَنِيفِ عَلَيْهِ قَلُّ
وَلَكِنْ قَدْ بَخَلْتُ بِكُلِّ شَيْءٍ فَحَتَّى السِّلَحَ مِنْكَ عَلَيْكَ بَخْلُ
وَأَنْشَدْنَا : وَإِنَّ لَهُ لَطِبَاحًا وَخَبْرًا وَأَنْوَاعَ الْفَوَاكِهِ وَالشَّرَابِ
وَلَكِنْ دُونَهُ حَبْسٌ وَضَرْبٌ وَأَبْوَابٌ تَطَابِقُ دُونَ بَابِ

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط « لتفريق » . (٢) في النسخ « يقتر » .

ينودون الذباب يمرُّ عنه
 وقال الخليل بن أحمد :
 لا تعجبن خير زلَّ عن يديه^(١)
 وقال أبو تمام :
 صدق أليته^(٢) ان قال مجتهداً
 وان همت به فافتك بخبرته
 قد كن يعجبني لو أن غيرته
 وقال آخر : يزاد لؤماً على المديح كما
 وقلت : مخبر الأمير عشيّة
 وإذا بدا جلّسه
 ومحوطه أحراسه
 فالزور يصنع عنده
 وقال آخر: قى لرغيفه فرط وشفف
 إذا كسر الرغيف بكى عليه
 ودون رغيفه قلع الثنايا
 وقال آخر: إن هذا القى بصون رغيفاً
 هو في سفرتين من آدم الطا
 مخمت كل سلة برصاص
 في جراب في جوف تابوت موسى
 وقلت : لنا سيد واحد ماجد
 لئيم إذا جاءه طارق
 كأمثال الملائكة الغضاب
 قال كوكب النعش يسقى الأرض أحياناً
 « لاو الرغيف » فذاك البر من قسمه
 فان موقعها من لجه ودمه
 على جرادقة كانت على حرمه
 يزاد تن الكلاب بالمطر
 يندو عليه يلاعبه
 أفضى إليه يماثبه
 وتنب عنه كتائبه
 والضيف ينف شاربه
 واكيلان من درّ وشنر
 بكاء الخنساء إذ فجعت بصغر
 وحرب مثل وقعة يوم بدر
 ما إليه لا كل^(٣) من سبيل
 ثف في سلتين في مندبل
 وميور قد دنت من جلد فيل
 والمفاتيح عند ميكائيل
 يقتل في الجود آباءه
 فقد جاءه كل ما ساءه

(١) في الأصل غير منقوطة . (٢) أي قسمه .

(٣) في العقد الفريد « لناظر » وفي الأصل تصحيف صححناه من العقد .

وَهَلْ يَطْمَعُ النَّاسُ فِي خَبْزِهِ إِذَا كَانَ يَمْتَنِعُهُمْ مَاءَهُ
فَمَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِي لُؤْمِهِ لَمَّا زَالَ يَقْدِفُ أَمْعَاءَهُ
وسمعت عن أبي حفص يقول قال جعفر بن محمد العسكري أبلغ ما قاله محدث
في البخل قول بعضهم :

الْحَابِسُ الرُّوثَ فِي أَعْفَاجِ بَغْلَتِهِ خَوْفًا عَلَى الْحَبِّ مِنْ لَقَطِ الْعَصَافِيرِ
وَأَجُودُ مَا قِيلَ فِي الْبَخْلِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

وَعَدْتُ فَأَكْدَتِ الْمَوَاعِيدُ بَيْنَنَا وَأَقَامَتْ إِقْلَاعُ الْجَهَامِ بِلَا وَبَلٍ
وَأَجْرَدْتُ لِي جِبَلًا طَوِيلًا تَبَعَتْهُ وَلَمْ أَذْرَأَنَّ الْيَأْسَ فِي طَرَفِ الْحَبْلِ
وقال أبو نواس :

رَأَيْتُ قُدُورَ النَّاسِ سُودًا مِنْ الصَّلَى (١) وَقَدَرُ الرَّقَاشِينَ زَهْرَاءَ كَالْبَدْرِ
يُيَسِّتُهَا لِلْمَعْنَى بِفَنَائِهِمْ ثَلَاثًا كَنَقَطِ الثَّاءِ مِنْ نَقَطِ الْحَبْرِ
إِذَا مَا تَنَادَوْا لِلرَّحِيلِ سَمَى بِهَا أَمَامَهُمُ الْخَوْلَى مِنْ وَلَدِ النَّوْرِ
وَلَوْ جَسَّتْهَا مَلَأَى عَيْطًا (٢) مَجْزَرًا لَا أَخْرَجْتَ مَا فِيهَا عَلَى طَرَفِ الظُّفْرِ
غَيْرُهُ : يَحْصَنُ زَادَهُ عَنْ كُلِّ ضَرَسٍ وَيَعْمَلُ ضَرَسُهُ فِي كُلِّ زَادٍ
وَلَا يَرَوِي مِنَ الْآدَابِ (٣) شَيْئًا سَوَى يَتٍ لَا بَرَهَةَ الْإِبَادَى
قَلِيلُ الْمَالِ تُصْلَحُهُ فَيَقِي وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ
وقلت في مثله :

يَطْعُمُ دُونَ الشَّيْعِ أَوْلَادَهُ وَيَخْتَمُّ الْبُرْمَةَ وَالْجَنْفَ
لَمْ يَرَوْا إِلَّا خَسِيرًا وَاحِدًا قَدْ تَذَهَبُ الْبُطْنَةُ بِالْفُطْنَةِ
وقال آخر : ظَهَرَتْكَ إِذْ سَأَلْتُكَ مَاءَ كَرَمٍ وَمَاءُ الْكَرَمِ لِلرَّجُلِ الْكَرِيمِ
وقلت : لَكَ بُرْمَةٌ تَزْهِنُهَا مِنْ أَنْ تَدْنَسَ بِالْدَّسَمِ
يَضَاءَ مُبْشِرٍ نَوْرُهَا كَالْبَدْرِ فِي غَسَقِ الظُّلَمِ

(١) الصلّى بالكسر : النار . (٢) لحم عيط : أى صحيح طرى . (٣) في رواية «الاشعار»

لو كانت عرضك مثلها كنت الممدح في الأمم
أو كنّ فملك مثل قو لك كنت تاريخ الكرم
ومن أبخل يكت قيل :

وما رَوْحَتَنَا لثَنَبٌ عَنَّا ولكن خفت مرزئة الذباب
وقال أبو نواس يصف قدراً :

بغصٌ بخلقوم الجرادَةِ صدرها وينضحُ ما فيها يعود خلال
وتغلي بذكري النار من غير حرّما وتنزلها غفواً بغير جمال^(١)
هي القدرُ قدرُ الشيخ بكر بن وائل ربيع البتاي عام كلّ هزال
وقال ابن الرومي :

رأى البخلَ طبأفهو يحمى ويحصى فليست ترى في بيته غير جائع
ومن أجود ما قيل في زيادة البخل والشح مع زيادة المال قول ابن الرومي :
إذا غمرَ المالُ البخلَ وجَدْتُهُ يزيد به يديساً وإن ظنَّ^(٢) يربط
وليس عجيباً ذاك منه فأنه إذا غمرَ الماءُ الحجارةَ تصلبُ
وهو مأخوذ من قول بعض حكماء الهند . وأنشدنا أبو أحمد عن أبي طاهر :
رغيفك في الحجابِ عليه قفل وحراسٌ وأبوابٌ منيمه
رأوا في بيتهِ يوماً رغيفاً فقالَ لضيّفه هذا وديبه
وأنشدنا عنه :

له حاجبٌ كونهُ حاجبٌ وحاجبٌ حاجبهُ مُحْتَجِبٌ
وقال أبو تمام :

لا تكلفنَّ وأرضُ وجهك صخرةً في غيرِ منفعةٍ مؤونةً حاجب

(١) في الأصل « جفال » بالفاء ، والتصحيح من القاموس حيث قال :
الجمال بالكسر : خرقه ينزل بها القدر . (٢) سقط من الأصل (يديساً وإن
ظن) فاستدر كناها من ديوان ابن الرومي المخطوط .

وقال آخر : لا تتخذ باباً ولا حاجباً
 وأنشدنا : أعجبت أن ركب ابن حزم بغلة
 وعجبت أن جعل ابن حزم حاجباً
 وقال آخر : إحتجب الكاتب في دهرنا
 القوم يخلون بمحبابهم
 وقال آخر وأحسن :

وصاحب أسرفت في مدحه
 حجابهُ ألزمني منزلي
 وقلت في معناه :

مدحت فلم تصدق ولم تك مُذنباً
 وما الجهل إلا أن تفرطَ معشراً
 وأنشدنا أبو أحمد :

لا خير في صاعد فأذكره
 ليس له ما خلا اسمه نسب
 والخير يأتيك من يدي عمر
 كأنه آدم أبو البشر

ومن أظرف ما قيل في هذا الباب قول ابن الرومي :

لك وجه كآخر الصك فيه
 كخطوط الشهود مشبهات
 وقلت : إن كان شكلك غير متفق
 من عصبية شتى إذا اجتمعوا
 لمحات كثيرة من رجال
 معلمات أن لست بآبن حلال
 فكذا خلاك غير مؤلفة
 شبهت داركم به عرفه
 فأتت خلاك وهي مختلفة
 وورثت ذاك خناه^(١) أو صلفه
 والدُّر لا ترى به الصدقه
 فورت من ذا قبح منظره
 عبرتني أن رحت في عمل

(١) في الأصل غير منقوطة .

وأجود ما قيل في عظم الجسم مع قلة العقل من الشعر القديم قول حسان :
 * جسم البغال وأحلام المصافير * وقال ابن الرومي :
 طولٌ وعرضٌ بلا عقلٍ ولا أدبٍ فليسَ يحسنُ إلا وهو مصلوبٌ
 وقال وأحسن :

إذا فقت الذمِّمَ بحسن جسمٍ فلا يسبقك بالشيم الشريفة
 فيصبح أفضلَ الرجلين نفساً وتصبح أعظمَ الرجلين جيفة
 وأنشدنا أبو أحمد أنشدني ابن لنكك لنفسه :

إثنان لم ينكرهما منكرٌ بغضٌ أبي إسحقٍ والموت
 ويدعى العلمَ على أنه قد طار بالجهل له الصوتُ
 لا يلتقي والدم في مجلس أو يلتقي الإدراك والفوتُ
 وكتب ابن العميد :

وليت شعري بأي حلى تصدبت له وأنت لو توجت ^(١) بالثريا وتمنطقت
 بالجوزاء وتوشحت بالحجرة وتقلدت قلادة الفكة ما كنت إلا عطلاً ولو توضحت
 بأنوار الربيع الزاهر وشدخت في جبينك غرة البدر الباهر واستعرت من الصباح
 ثوباً وخضت أوضاع النهار خوضاً ما كنت إلا غفلاً .

وأبلغ ما قيل في صفة ثقيل ما أنشدناه ابن أبي حفص عن جعفر :
 وثقيل أشدَّ من غصص الموت ومن زفرة العذاب الأليم
 لو عصت ربها الجحيمُ لا كان نِساءً عاقبةً للجحيم
 وأبدع ما قيل في هذا المعنى قول بشار :

ربما يثقلُ الجليسُ وإن كان نَ خفيفاً في كفةِ الميزان
 ولقد قلت حين طلَّ على القومِ ^(٢) ثقيلٌ أربي على ثهلان

(١) في الأصل «توجت» . (٢) في الأصل «ولقد قلت حين في الأرض» وفي
 المقد الفريد «ولقد قلت إذ أظل على القوم» . وفيه «أبا عمران» بدل «أبا سفيان» .

كيف لم تحمل الأمانة أرضاً حملت فوقها أبا سفيان
أخذه ابن الرومي فقال :

أنتَ فضلٌ وفضلُ الشيءِ لغوٌ ثم أردفتَ ذلةَ التصغيرِ
مُحقرَ الفضلِ ثم صغرتَ عنه زادك الله يا صغيرَ الخيرِ
ثم عرَّجتَ فاحتواك انتقاصٌ في اسمٍ سوءٍ وجسمٍ سوءٍ ضريرِ
ثم بردتَ فانتصفتَ من التنا ر يرد يربى على الزمهريرِ
فقبولُ النفوسِ إياكَ عندي آيةٌ فيك لطيفُ الخيرِ
إن قوماً أصبحتَ تنفقُ فيهم لعلى غاية (١) من التسخيرِ
أو أناسٌ غدوا وراحوا من الظُرِّ ف على حالةِ الفقيرِ الوقيِرِ
فتى ظفروا بزورٍ ظريفٍ أعجبتهم زخارفُ التزويرِ
كالأعاريبِ لم يروا درمك البرِّ فهم يعظمون خبزَ الشعرِ
وكذا القومُ لم يروا لجة البحرِ — ر فهم يكبرون ماءَ الغديرِ
ياتقبلاً على القلوبِ خفيّاً في الموازينِ دونَ وزنِ النقيِرِ
طر سخيّاً وقع مقيتاً فطوراً كسفاةً وقارةً كثيرِ
وله : وثقل نبحانه من ثقل وتعالى عن كلِّ مثلٍ وند
حل الله أرضه ثقلها وعلاها بثالث من أد

وأجود ما قيل في تباعد الأشباه من الأقرباء (٢) ما أخبرنا به أبو أحمد عن
الصولي قال سمعت المبرد يقول لم يقل في تباعد الأشباه من الأقرباء أجود من قول
ابن أبي عينة يهجو خالد بن يزيد المهلي ويمدح أباه في كلمة :

أبوك لنا غيثٌ نعيشُ بفضلِهِ (٣) وأنتَ جرادٌ ليس يبقَى ولا يذَرُ
له أثرٌ في المسكراتِ يسرُّنا وأنتَ تعني دائماً ذلك الأثر

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط «لعلى خطة» وفي الأصل نقص كلمات إستكملناه

من الديوان . (٢) في نسخة «القرناء» . (٣) في الأغانى (يعاش بوبله) .

لقد قنمت قحطان خزيًا بخالد فهل لك فيه ينزك الله يا مضر
 فسمع المهدي بيته هذا فقال بل تكرمون وتوثرون . وله في مثل ذلك يقول
 في قبضة بن روح بن حاتم بفضل عليه ابن عمه داود بن يزيد بن حاتم :
 أقبيصُ لستَ وإن جهدتَ يبالغ^(١) سعى ابن عمك في الندي داود^(٢)
 شتانَ بينك يا قبيصُ وبينه إن المذممُ ليس كالمحمود
 داودُ محمودٌ وأنتَ مُذَمَّمٌ عجباً لذاك وأنتما من عود
 ولربَّ عودٍ قد يشقُّ لمسجد^(٣) نصفاً وسائرُهُ لحشٌّ يهود^(٤)
 وقلت في خلاف ذلك :

كم حاجة أزلتها بكريم قوم أو لثيم
 فاذا الكريم من اللثيم أو اللثيم من الكريم
 سبحان ربِّ قادرٍ قدر البرية من أديم
 فشر يفهم ووضيهم سبان في شرف ولوم
 قد قلَّ خيرٌ غنيهم فقنيتهم مثلُ العديم
 وإذا اخبرتَ حبيهم ألفيته مثل الذميم
 لا (نفع فيه)^(٥) للصغير من الأمور ولا العظيم
 أنظر إلى كبر الجسو م ولا نسل رفع الجسم
 وقالوا أنصف بيت قيل في الهجاء قول حسان :

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
 أتتهجوه ولست له بكفٍّ فشر كما خير كما الفداء

(١) في الأغاني (بمدرك) . (٢) في الأغاني (ذي الملا داود) .

(٣) سقط من النسخ (لمسجد) فاستدركناها من الأغاني .

(٤) في النسخ مصحفة ، والتصحيح من الأغاني .

(٥) في النسخ يفاض ولاه سقط (نفع فيه) أو (خير فيه) أو ما يقاربها وزنا معنى .

يقوله في أبي سفيان بن الحارث ، وفيه يقول أيضاً :
 أبوك أبٌ حرٌّ وأُمك حُرَّةٌ وقد بلد الحُرَّانِ غيرَ نجيب
 فلا يعجبُ الناسُ منك ومنهما فما خَبَثَ من فضةٍ بمعجب
 وأخبرنا أبو علي بن أبي حفص أخيراً جعفر بن محمد قال أهدى ما قالت العرب قول الشاعر :
 فصبراً على ذلِّ ربيع بن مالك وكلُّ ذليلٍ خيرٌ عادته الصبر
 تحالفكم قعرٌ قديمٌ وذلة وبئسَ الخليقانِ المذلةُ والفقر

.....

ومن غير هذا الفن ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال قال أبو سرح
 سمعني أبو دلف أنشد :

لا يمنعك خفضُ العيشِ في دعةٍ نزوعُ نفسٍ إلى أهلِ وأوطان
 نالني بكلِّ بلادٍ إن حلتَ بها أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيران
 فقال هذا الأُم بيت قائمه العرب . والتزوع هيناردي . والجيد النزاع ، وإنما
 جعل هذا البيت أبو دلف الأُم بيت قائمه العرب لأنه يدل على قلة رعاية وشدة
 قساوة ، وحنين الرجل إلى وطنه من المناقب التي يستد بها ويمدح لأجلها لما فيه
 من الدلائل على كرم الطينة ووفور العقل ، وقد قالت الحكماء : حنين الرجل إلى
 وطنه من علامات الرشدة . وقال بزرجمهر : من علامات العاقل بره باخوانه
 وحنينه إلى أوطانه ومداراته لأهل زمانه ، وقال أهرابي : لا تشك بلداً فيه قبائك
 ولا تجف أرضاً فيها قوايلك . وقالت العرب : أكرم الخيل أشدها جزءاً من
 السوط وأكيس الصبيان أشدهم بغضاً للمكتب وأكرم الصفايا أشدها حنيناً إلى
 أوطانها وأكرم المهارة أشدها ملازمة لامهاتها وأكرم الناس آفهم للناس .
 وقلت : إذا أنا لأشتاق أرضَ عشتري فليس مكانى في التهي بمكين
 من العقل أن أشتاق أولَ منزل غنيتُ بخفضٍ في ذراه ولين
 وروض رماه بالأصائلِ فاخرى وغصنُ تناءُ بالنداءِ يميني

وَأَيُّ لَأَنْسَى الْعَهْدَ إِذَا أَتَتْ بَنَاتُ النَّوَى دُونَ الْخَلِيطِ وَحَوَى
 إِذَا أَنَا لَمْ أَرَعْ الْعَهْدَ عَلَى النَّوَى قُلْتُ بِمَأْمُونٍ وَلَا بِأَمِينٍ
 وَنَسْنَدُ كَرَمٍ مِنْ هَذَا الْبَابِ طَرَفًا فَيَا بَعْدَ أَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ^(١) . وَمِمَّا لَا تَسْكَادُ
 تَجِدُ أَجُودَ مِنْهُ فِي مَعْنَاهُ مَا أَخْبَرْنَا بِهِ أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصُّوْلِيِّ قَالَ دَخَلَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ
 عَلَى بَعْضِ الْأُمَرَاءِ بِرَقْعٍ ^(٢) فَجَعَلَ يَنْشُدُهُ وَجَعَلَ الْأَمِيرُ يَمْتَنِعُ بِجَارِيَةٍ بَيْنَ يَدَيْهِ
 وَلَا يَسْمَعُ مِنْهُ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ :

أَدَبٌ لَعَمْرُكَ قَامِدٌ مِمَّا تُؤَدِّبُ بَرْقَعِيدُ
 مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ مَا يَرِيدُ فَكَيْفَ يَعْرِفُ ^(٣) مَا يَرِيدُ
 مَنْ لَيْسَ يَضْبِطُهُ الْحَدِيدُ فَكَيْفَ يَضْبِطُهُ الْقَصِيدُ ^(٤)
 مَالِي رَأَيْتُكَ مَرْسَلًا أَيْنَ السَّلَامُ وَالْقِيُودُ
 أَغْلَا الْحَدِيدُ بِأَرْضِكُمْ أَمْ لَيْسَ يَصْطَلِكُ الْحَدِيدُ
 وَقُلْتُ فِي الْمَعْنَى الَّتِي تَقْدُمُ :

قُلْ خَيْرُ ابْنٍ قَامِمٍ فَتَنَاهُ كَلِمَةً
 كَادَ مِنْ خَشْيَةِ الْقَرَى يَخْتَبِي فِي حِرَامِهِ
 جَازَ فِي اللَّؤْمِ حَذُّهُ كَأَيْسِهِ وَعَمِهِ
 كَادَ بِعَدِيكَ لَوْمُهُ لَوْ تَسَمَّيْتَ بِاسْمِهِ
 وَقُلْتُ : قَرَأْنَا يُقُولَ إِذْ أَنْخَنَّا بِيَابِهِ فَأَصْبَحَ فِينَا ظَالِمًا لِلْبِهَائِمِ
 وَقَفْنَا عَلَيْهِ الرَّكْبَ نَسْأَلُهُ الْقَرَى وَنَحْنُ عَلَى أَعْنَاقِ أَغْبَرٍ ^(٥) قَامِمٍ

(١) وذلك في « القول في الحنين إلى الأوطان في الجزء الثاني ص ١٨٦ » .

(٢) بليدة في طرف بقاء الموصل . (٣) في معجم البلدان (بدرى) مكان

(يعرف) . (٤) هذه الآيات الثلاثة هي التي ذكرت في معجم البلدان ،

وأما البيتان الآتيان فلعلهما من أبيات أخرى أوردها ابن خلكان في ترجمة

يوسف البياسي . (٥) في الأصل هنا (أغبر) وسيأتي في موضع آخر (أغبر) .

فصامَ وصوم الليل ليس بجائز وان جاز في قه^(١) اللثام الاشائم
 أجازَ صيام الليل حين استفره^٢ تاورُ ضيف في دُجى الليل طائم
 فبتنا أديم الليل تطوى على الطوى كأننا على غبراء من ظهر واشم
 وأطمعنا لما فرقنا^(٣) من الدجى دحاريج لا تنساق في حلق طاعم
 مُدَوِّرة سود المتون^(٤) كأنها خصى الزنج لاحت نجت فيش قوائم^(٥)
 فأبشارها تحكى بطون عقارب وارؤسها تحكى أنوف محاجم
 ومن أعجب الهجاء هجو الرجل نفسه وهو ملووثناه للحطبة ثم قال ديك الجن :

أيها السائل عني لست بي أخبر مني

أنا إنسان^٦ برأى الله في صورة جنى

بل أنا الاسمع في العين قدع عنك التظنى

أنا لا أسلم من نفسي فمن يسلم مني

وهجاء أبو نواس نفسه من حيث لا يعلم فقال في رجل وعده أبو نواس وعداً ثم مطله :

وأخوس^(٥) ولاج^٦ على ورائح^٧ رجاء نوال لو أعين^(٦) بجود

زويت^(٧) له وجهاً قطوباً عن الندى وأياسته من وعده بوعيد^(٨)

فان كنت لا عن سوء فعلك مقلماً فتونك فاستظهر بنعل حديد

فمندى مطلق لا يطير غرابه مطير ولا يدعى له بوليد

ومن خبيث الهجاء قول ابن الرومي :

منى الهجاء ومنك الصبر فاصطبر لشر^٩ منتظر^{١٠} ياشر^{١١} منتظر

(١) في الأصل (قد) مكان (قه) الواردة في ميسراني .

(٢) في الأصل (فرقنا) . (٣) يريد الباذنجان . (٤) في الأصل (قيس) .

(٥) في ديوان أبي نواس (وأخوس) بإثاء المعجمة ، ولعل ما في الأصل هو

الأقرب . (٦) في ديوان أ : نواس (لوعين) . (٧) في الديوان (قطبت له) .

(٨) في الديوان (من نائل بوعيد) .

أنت اللثيم فإن تصبر فمن قعة على الهوان وإن تمجزع فمن خور
رأيت عيبك شعري حين قاله شبيه عض أخيك الكلب للحجر
فانظر إلى الكلب مرمياً لتعلم أن لم تترك شيئاً منه ولم تفر
وقال ابن الزمكلم:

وليل كوجه البرقبيدي ظلمة وبرد أغانيه وطول قرونه
سريت ونومي فيه نوم مشرد^(١) كعقل ابن هرون ورقته^(٢)
على أولق فيه اختبال^(٣) كأنه أبو جابر في خطه وجنونه

ومن أبلغ ما قيل في الجبن من الشعر القديم قول الشاعر:

ولو أنها عصفورة لحسبتها مسومة تدعوا عبيداً وأزلاماً

أى لورأيت عصفورة لحسبتها من جبنك خيلاً مسومة، ومثله قول عروة بن الورد:
وأشجع قد أدر كنهم فوجدتهم يخافون خطف الطير من كل جانب
ومثله قول الآخر:

ما زلت تحسب كل شيء بدم خيلاً تكره عليهم ورجالا
وقال أبو تمام:

موكل بفضاء الأرض يشرفه من خفة الخوف لا من خفة الطرب
وأبلغ ما قاله محدث في ذلك قول ابن الرومي:

وقارس أجبن من صفرة يحول أويصور من صفرة

لو صاح في الليل به صائح^(٤) لكانت الأرض له طفرة

يرحمه الرحمن من جبنه فيرزق الجنده النصره

وقال في سليمان بن عبد الله بن طاهر:

قرن سليمان قد أضر به شوق إلى وجهه سيدته

لا يعرف القرن وجهه ويرى قناه من فرسخ فيعرفه

(١) في معجم البلدان (كعقل سليمان بن فهد دينه). (٢) في المعجم (فيه الهباب).

وقال فيه : هو الأسد الورد في قصره . ولكنه ثعلب المعركة
ومن ظريف ما جاء في ذلك قول أبي الفعر هرون بن محمد من أهل آمل خرج
عليه اللصوص فلم اليهم متاعه وهرب : أئشدهاه أبو أحمد عن الانباري :
طلبت تشجعتي ضللاً بتضليل وللشجاعة خطبٌ غير مجهول
هاتى شجاعاً بنير القتل مصرعه أوجدك ألف جبان غير مقتول
والله لو أن جبريلاً تكفل لي بالنصر ما خاطرت نفسي لجبريل
إسمع أحدثك عن بامى شكر؟ خلاف بامى المساعيز البهايل
لما بدت منهم نحوى ؟ تسرع الذعر فى عرضى وفى طولى
حتى اتقيتهم طوعاً بذات يدي وانصعت أطوى الفلاميل إلى ميل
الله خلصنى منهم و ؟ حتى تخلصت مخضوب السراويل
وهذا خلاف ما قاله المتنبي :

وإذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز أن تموت جباناً

وقال سعيد بن العاصي حين هرب مروان بن محمد :
لجُّ الفرارُ بمروانٍ قُلتُ له عادَ الظلومُ ظليماً همُّ الهربِ
أنى الفرار وتترك الحرب إذ كشفت عنك الهويتنا فلا دينٌ ولا حسبُ
فراسه الحلم فرعون المذاب وان تطلب نداء فكلب دونه كلبُ
فشبهه بالنعامة في الجبن وهو من أنفر الحيوان . وقال بعض العرب :
نِفْرِجَةٌ يَنْفِرُ مِنْ ظِلِّ الشَّجَرِ فَوَادُهُ أَنتَى وَضْرُسِهِ ذَكَرُ
والنَّفْرِجَةُ الجبان . ومن جيد ما قيل في النظر قول بعضهم :

الكوكب الدنيُّ يخسر بالمجائب بعد سبعة

خلعوا عليه ويحبلوه وصار في عزٍّ ومنعه

وكذاك يُفعلُ بالجندو ر لنحرها في يوم جمعه

وقريب منه : وزارة العباس منكوسة تقتلع الدولة من أسها

كأنه حين غدا راكباً في خلعة يعجز عن لبسها
جارية السوء إذا جربت ثياب مولاها على نفسها
وأكسل ما سمعناه ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن عماد عن سليمان عن يحيى بن
سعيد الأموي لبعضهم :

سألت الله أن يأتي بسلي وكان الله يفعل ما يشاء
فياخذها ويطرئها بجني ويرقدنا وقد كشف الغطاء
وياخذني ويطرئني عليها ويرقدنا وقد قضى القضاء
ويرسل ديمة معاً علينا فيفسلنا ولا يلقى عتاء
أخبرنا أبو أحمد عن أبي عمر عن ثعلب قال قلت لابن الأعرابي من أحق
الإعراب ؟ قال أعرابي سبق الناس إلى الموسم وجعل يدعو الله لحاله وشأنه
ويقول : اللهم اقض حاجتي قبل أن يذهبك الورد . قال ثعلب أفلا أدلك على أحق
منه الذي يقول :

خلق السماء وأرضه في ستة وأبوك يمدد حوضه في عام
وسألت بعض الأدباء من أهل البصرة فقال أي الشعراء أشد حمقاً ؟ قلت الذي يقول :
أتبه على إنس البلاد وجنسها ولو لم أجد خلقاً انتهت على نفسي
أتبه فلا أدري من التيه من أنا سوى ما يقول الناس في وفي جنسي
فان صدقوا أتى من الانس مثلهم فما في عيب غير آتى من الانس
فقال ما عدوت ما في نفسي . وقال بعضهم لابنه إياك والكبر وكيف الكبر مع
النطفة التي منها خلقت والرحم التي فيها حملت والغذاء الذي به غذيت .
ومن بليغ ما جاء في تم الكبر قول بعضهم : التواضع مع السخافة والبخل أحد
من السخاء والأدب مع الكبر والعجب . وقلت في مثل هذا :
وعندهم مذنب منيب أحمد من محسن مدلل

وأبلغ ما قيل في صلابة الوجه قول الإعرابي : لو دق بوجهه الحجارة لرضها

ولو خلا بالكعبة لسرقها .

ومن المنظوم قول بعضهم :

لو كنت من شيء خلافتك لم يكن ليكون إلا مشجباً في مشجب
يا ليت لي من جلد وجهك رقعة فأقد منها حافراً للأشهب
والييت الأول مأخوذ من قول بعضهم : فلان يشجب من حيث رأيت وجدت (لا) .
وقد أحسن ابن أبي العتاهية في قوله :

قلت (لا) فأنها خلعت خلعة العدم^(١)

فهي تستهلك الجيسل وتأتي على الكرم

وقول أبي تمام :

وسابع هطل التمداء هتاف على الجزاء آمين غير خوان

أظمي الفصوص ولم تقطاً قوائمه فخل عينك في غلمان ريان

فلو تراه مسيحاً في الحمى ديم تحت السنايك من مثق ووحيدان

أيقنت ان لم تثبت أن حافره من صخرة تدمر أو وجه عثمان

وقال في معناه يمدح رجلاً ويهجو عثمان هذا :

عثمان لا تلجج بذكر محمد يرضيك طول المجد عنك وعرضه

بذلك كله امساكه ويفوت بسطك في المسكارم قبضه

وكان عرضك في السهولة وجهه وكان وجهك في الحزونة عرضه

وقال أبو الشعمق :

صلاية الوجه سلاح الفتي ورقة الوجه من الحرفه

من كان صلباً وجهه محكماً فأت منه الدهر في طرفه

ومن أبخل ما قاله محدث قول ابن طباطبا الأصماني يتخاطب غلامه :

اجعل الزوج من سراجهك فردا واقصد يا غلام والقصد أجدى

ان يكن قلبك الضياء ردياً فاقصصى للزر أرى وأزرى
وقد غير هذا البيت في وجوه الآيات المقولة في البخل .

ومن أملح ما قيل في مخالفة ظاهر الرجل باطنه قول بعضهم :
إذا ما جئتَ أحدَ مستبيحا فلا يفررك منظره الأنيقُ
لهُ خلقٌ وليسَ عليه خلقٌ كبارقة - تروق ولا تريق
ومن ملع في الدعوة رزين العروضي :

لقد جئت يا ابنَ أبي تبّع بأمِّ الدّواهي لدى المجمع
حلفت بأنك ^(١) من حمير وليس اليمين على المدعي
وملح أيضاً في قوله :

ان فخر الناس بآبائهم أتيهم بالمعجب العاجب
قلت وأرغمت أبا خاملاً أنا ابن أخت الحسن الحاجب
ومن أملح ما قيل في إفشاء السر قول بعضهم :

أودعته السر فألقيته أنم من كأسٍ على راح
وقال السري :

تثنى عنك فامتشرت هجراً خلالٌ فيك لست لها براض
وانك كلما استودعتِ سرّاً أتم من النسيم على الرّياض
وقد أحسن كعب بن زهير غاية الاحسان في قوله :

ولا تمسك بالعهد الذي عهدتِ إلا كما يمسك الماء الفرايل
وأخذ الحطيئة فقال :

أغرباً لآ إذا استودعتِ سرّاً وكانوا على المتحدّثينا
والكانون : الرجل الثقيل ، قال الشاعر :

ليت الكوانين في زبل معلقة تحت الثريا بجبل ثم ينقطع

وقد مر فيا تقدم بيت الحطيثة .

ومدح ابن الرومي ابن المدير ^(١) فرمديحه قتال فيه :

رَدَدْتُ عَلَى مَدْحِي بِعَدَمِ مَطْلٍ وَقَدْ دَسَّتْ عَلَيْهِ الْجَدِيدَا

وَقُلْتُ أَمْدَحُ بِهِ مَنْ شَتَّ غَيْرِي وَمَنْ ذَا يَقْبَلُ الْمَدْحَ الرَّدِيدَا

وَلَا سِيَا وَقَدْ أَعْلَقْتُ ^(٢) فِيهِ مَخَازِيكَ الْوَرَاثَى لَنْ تَبِيدَا

ثم أخنى عليه بالهجاء حتى قال فيه وقد ضربه الريح بالأهواز ضربة في وجهه
مدحه بها البعثرى مدحاً كثيراً فمن ذلك قوله :

وَوَجْهُ ضِمَانٍ الْبَشَرِ فِيهِ مَوْقِفٌ عَلَى التَّجَحُّجِ وَالْحَاجَاتِ تُتْرَى عِبَالُهَا

بِهِ مِنْ صَنِيعِ الْهِنْدِ وَشَمٌّ تَبِينُهُ صَفِيحَةٌ وَضَاحٌ يَرُوقُ جِوَالُهَا

مَتَى رِبْدَتُهَا عِزَّةٌ أَوْ حَفِيزَةٌ أُعِيدُ إِلَيْهَا بِالسُّؤَالِ صِقَالُهَا

مَتَى تَرَاهَا يَوْمًا عَلَيْهَا دَلِيلُهَا تَعْجِبُكَ مِنْ شَمْسٍ عَلَيْهَا هَلَالُهَا

وذكرها ابن الرومي فأنشده في قوله :

بُوجْهِ أَبِي اسْمَعُقٍ صَدْعٌ كَعَرَضَةٍ لَهُ قِصَّةٌ غَيْرُ الَّذِي هُوَ يَظْهَرُ

يُخْبِرُ عَنْهُ أَنَّهُ أَثَرُ ضَرْبَةٍ يَبْعُضُ سَيْوْفِ الزَّيْجِ حِينَ يُخْبِرُ

وَمَا ضَرْبَتُهُ الزَّيْجُ فِي الْوَجْهِ بَلْ رَأَى أَبْوْرَهُمْ قَانَشَقٌ فِي وَجْهِهِ حُرٌّ

فِي آيَاتٍ سَخِيفَةٍ فَطَلَبَهُ ابْنُ الْمَدِيرِ أَشَدَّ الطَّلَبِ فَلَمَّا خَفِرَ بِهِ وَأَرَادَ قَتْلَهُ أَنْشَأَ يَقُولُ :

حَقَّقْتُ الصَّفْحَ عَنْ ذُنُوبِي وَحَقِّي أَنْ قَتْلِي مُحَسَّلٌ لَكَ طَلْقٌ

فَاعْفُ عَنْ عَبْدِكَ الْمُسِيءِ وَلَا تَبْسُطْ بِمَا يَسْتَعُوْ مَا تَسْتَحِقُّ

فمنا عنه وأجازه . وقال يهجو بخيلاً :

نَعْمَاكَ عِنْدِي الَّتِي أَقْرَبُهَا أَنْتَكَ أَصْبَحْتَ لِي مِنَ الْغَيْرِ

وَحَبْلُكَ الدَّمُّ لَا تَقْ بِكَ مَا أَشْبَهَ خَطْمَ الْخَنَزِيرِ بِالْقَدْرِ

أَبَدَيْتَ فِي أَوْلِيَاءِ لَوْ مَكَ مَا قَدَرْتَ فِي أَخْرِيَاتِهِ الْآخِرِ

(١) في دائرة المعارف للبستاني (ابن المهدي). (٢) في الأصل (أعبت). .

كالقطران الذي يرى أبداً في رأسه ما اتقى من العكر
وهو من قول الناس أول الدن دردى . وقالت العلماء البلاغة أن تجعل المعنى الدنى
رفيعاً والمعنى الرفيع وضعياً . ومثل قول ابن الرومي قول الديلمي :
في أوان الشباب عاجلني الشيب وهذا من أول الدن دردى
وليس هذا بالمختار لا بتدال لفظه . وقلت في بخيل :

قفع البرد ضيف عمر وفاضحي مثل من فيه بأخى زمانه
بات للبرد في طهارة سوء ومن الجوع والطوى في بطانه
وهو قدماً للضيف جوع وقر ولمولاه ذلة ومهانه
جمع الرأس بين رأسه ورجلى فكأن في يته أرساه ؟
وقلت : ضفت عمراً فجاءني برغيف زادني أكله على الجوع جوطا
ثم ولي يقول وهو كئيب لطف نفسي على رغيف أضيما
كن خداعة الضيوف ولكن ربما أصبح الخدوع خديما
كنت أنزله محلاً رفيعاً فندا ذلك الرفيع وضعيا
عجباً منه إذ أتبع هجاء كيف لم يمتنع وكان منيما
(اتفاق الاسماء والألقاب وتباعدهما بينها في الأخلاق)

قال الأول في ذلك :

يزيد الخير إن يزيد قومي سميك لا يزيد ولا تزيد
يقود عصاة وتقود أخرى فيرزق من يقود ومن تقود
شبينك في الولادة والتسني ولكن لا يجود كما تجود
ومثله : على وعبد الله بينهما أب وشتان ما بين الطبايع والفعل
ألم تر عبد الله يلحى على الندى علياً ويلجأ على البخل
ومثله : فان بك بجرانا إلى جمع نسبة فني الرأي والأخلاق مختلفان
وما أنت مثلي في مقام أقومه لدى البأس إلا أننا أخوان

آخر : لن وصلت أبوتنا انتساباً لقد قطعت مرارثنا العقول
 أبوك أبي وأنت أخي ولكن تباينت الطبائع والشكول
 أخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال قال لنا المكتفي بالله يوماً ما أهلك بيت
 من الشعر وأفجر قائل أنعرفونه ؟ فقال يحيى بن علي المنجم قول أبي نواس :
 ألا فاستنى خيراً وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرّاً إذا أمكن الجهر
 فقلت له ان المأمون أمر أن يخطب بهذا البيت على منابر خراسان وقال من
 عيوب محمد أنه استجلس رجلاً يقول ألا استقني خيراً ، ولكن الحسين بن الضحاك
 الخليج قد قال ما هو أهلك من هذا قال وما هو ؟ فأنشدته :

أتبعْتُ مُسْكراً بِسُكْرٍ وَاثْبَعْتُ خُمُوراً بِقُورٍ

فقال هذا لعمري أهلك من ذلك . قال أبو هلال رحمه الله تعالى : وأبلغ
 الهجاء ما يكون بسبب الصفات المستحسنة التي تخص النفس من الحلم والعلم والعقل
 وما يجري مجرى ذلك ، وليس الهجاء بقبح الوجه وضوالة الجسم وقصر القامة
 وما في معنى ذلك بايغاً مرضياً ، وينبغي أيضاً أن يتضمن الهجاء والمدح من نعوت
 المهجو والمدح وأسماهما وصفاتهما ما هما مشهوران به فإذا ذكر لم يخفيا .

خبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي عثمان^(١) عن التوزي عن أبي عبيدة
 قال مدح مصعب بن عمير الليثي عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان فحرمه فقال^(٢) :

سيروا فقد جن الغلام عليكم فبئس امرؤ يرجو القرى عند عاصم
 دفننا اليه وهو كالريح خاطباً^(٣) فشدّ على أكباده بالعمائم
 وماليّ من ذنبٍ اليه علمته سوى أني قد جثته غير صائم
 فلولاً يدُ الفأروك عندي رميته بقافية يحدى بها في المواسم

(١) (أبي عثمان) غير موجودة في الأصل فزدناها اعتماداً على ماورد في أسانيد
 الكتاب في غير هذا الموضع . (٢) ذكر صاحب الاغانى ثلاثة أبيات منها منسوبة
 للحزين باختلاف في بعض الألفاظ . (٣) في الاغانى « كالتييس طاعماً » .

فليتك من جرّم بن زبّان أوفى نعيم أو التوكى أبان بن دارم
 أناسٌ إذا ما الضيفُ حلّ بدارهم غدا جائعاً غرثان ليس بناعم
 فلما بلغ ذلك عاصماً قال ما أكثر من يسى عاصماً حتى يقول : عاصم بن عمرو بن
 عثمان بن عفان فبلغه ذلك فقال :

جنبته عاصماً من أن تلمّ به أغنى ابن عمرو بن عثمان بن عفان
 إذا أناخت به الضيفان طارقة جاءت بنوه إلى الضيفان ضيفان
 فبلغه ذلك فقال : الآن طوقى بها طوق الحمامة لعنة الله تعالى . وقال بعضهم :
 أرى ضيفك في الدار وكرُب الموت ينشأه على خبزك مكتوبٌ سيكنفكم الله
 وقال بشار^(١) :

وضيفٌ عمرو وعمرٌو يسهران مآ عمرو لبطته والضيفٌ للجوع
 آخر : نوالك دونه خراطٌ للقتاد وخبزك كالثريا في البعاد
 ولو أبصرت ضيفاً في المنام لحرمت المنام إلى التناد
 أرى عمرَ الرغيفِ بطولٌ جدّاً لديك كأنه من قوم عاد
 وما أهجوك أنك كفء شمرى ولكنى هجوتك لانكساد
 وقال آخر : رأى الصيفَ مكتوباً فظنّ لبخله وتصنيفه ضيفاً فقام يواثبه
 ورأيت في الفاظ هذا البيت زيادة فقلت :

قد كنّ للمال ربا فصار في البخل عبده وصحف الصيف ضيفاً فقام بلطم خده
 وقال أبو نواس : * على خبز إسماعيل واقية البخل * أخبرنا أبو أحمد أخبرنا
 أحمد بن عماد أخبرنا ابن حدثني محمد بن عمران بن مطر الشامي حدثني خالي الحسن
 ابن محمد قال نصب إسماعيل بن أبي سهل في صحن داره فاصطحبنا أربعين يوماً
 ومعنا أبو نواس فبلغت نفقته أربعين ألف درهم فقال أبو نواس بعد ذلك فيه :
 خبزٌ إسماعيل كالوشى إذا ماشق يرقا

(١) من المولدين ، كن رقيقاً ضريباً ، آتهم بالزندقة فضرب حتى مات .

عجيباً من أثر الصنعة فيه كيف يخفى
 إن رقاءك هذا أطف^(١) الأمة كفا
 فإذا ألصق بالتصنيف من الحروف نصفا^(٢)
 أطف الصنعة حتى ماترى مطعن أشفى^(٣)
 مثل ما جاء من التنوير ما غادر حرقا
 وله في الماء أيضاً عملٌ أبدع ظرفا
 مزجه العذب بماء السبر كي يزداد ضعفا
 فهو لا يسقيك منه مثل ما يشرب^(٤) صرفا

فلم يسبق أبو نواس إلى هذه المعاني وهي كما تراها غاية : قال وقال فيه أيضا :
 على خبز إسماعيل واقية البخل فقد حل في دار الأمان من الأكل
 وما خبز^٥ إلا كمنقاة مغرب
 يتحدث عنها الناس من غير رؤية
 وما خبز^٥ إلا كأوى يرى ابنه
 وما خبز^٥ إلا كليب بن وائل
 وإذا هو لا يستب خصمان عنده
 فان خبز إسماعيل حل به الذي
 واسكن قضاء ليس يسطاع رده
 وكان الجاحظ يفضل قوله * وإذا هو لا يستب خصمان عنده * على قول مهمل
 * واستب بهك يا كليب المنزل * وغير ذلك قال ابن الرومي :

(١) في ديوان أبي نواس « أحلق الأمة » : (٢) في الديوان « وإذا قابل
 بالنصف من الجردق نصفا » والجردق : الرغيف . (٣) في الديوان (مغرزا شفى) .
 والاشفى بالكسر : المثقب . (٤) في النسخ (يشرب) مكان (يسقيك) وبالعكس .
 (٥) في ديوان أبي نواس « في حزون ولا سهل » . (٦) في الديوان « ومن كل يحمي » .

وقينة أبرد من ثلجة تظل منها النفس في ضجة
 كأنها من تنها نومة لكنها في اللون أترجة
 تفاوتت خلقتها فاعتدت لكل من عطل محتجه ^(١)
 كأنها والوشم في جلدها زينة شيت بيلنجه
 خراجة للفسق دخالة تعجبها الدخلة والخرجه
 كأنما قفحتها غمة فت عليها عاث ثلجه

وهي آيات سخيفة تركت أكثرها لسخفه . وتقل قوله * فهي لمن عطل محتجه *
 إلى موضع آخر فقال في اسماعيل بن بلبل :

لأسقيت نعي تسربلتها كم حجة فيها لزنديق
 وقد أبدع أبونواس في قوله يهجو جعفر بن يحيى :

قالوا امتدحت فماذا اعتضت قلت لهم خرق النعال وإخلاق السراويل ^(٢)
 ذاك الأمير الذي طالت علاوته كأنه ناظر في السيف بالطول
 وكان جفر طويل الوجه والقفا . وقال فيه أيضا * قفا ملك يقضي الهدوم على بشق *
 وقلت : سوداء يذرف دمعها مثل الاتون إذا وكف
 وكأنها من قبها سلح العليل على الخرف
 وقال أبو تمام :

فأشهد ^(٣) ماجسرت على إلا وزيد الخليل دونك في الشجاعة
 ووجهك إذ رضيت به نديما فأنت نسج وحدك في القناعة
 ولو بدلته وجهاً إذا لم أصل به نهاراً في جماعه
 ومن أعجب ما قيل في كبر الأنف قول كشاجم :

لقد مر عبد الله في السوق راكباً له حاجب من أنفه وهو مطرق
 رعيت له من جانب السوق مخطة ثوبت أن السوق منها سيقرق

(١) في الأصل « فهي لمن عطل محتجة » . (٢) في ديوان أبي نواس

« إبلاء السراويل » . (٣) في ديوان أبي تمام « فاقسم » .

فأقتر به أنفأ وأقتر برُّه على وجهٍ منه كنيفٌ معلقٌ
وقال غيره: أنت في البيت وعريفك في البيت يطوفُ
ومن أقبح ما جاء في قبح الاسنان قول جرير:

إذا ضحكت شبهت أنيابها العلى خنافس سودا في صرارة قلب
وأما خص الأنياب العلى دون السفلى لأنها تبدو في التبسم والتكلم وعند
التثاؤب، وهو كقول الآخر:

إذا كان يهدى برد أنيابها العلى لأقتر منى اثى لفقير
فشبه أسنانها بالخنافس وصعة فيها بالقلب، والصرارة: الماء الفاسد فشبه به فساد
نكبتها. وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن الرياشي عن ابن سلام قال دخلت ديباجة
المدنية على امرأة فقيل لها كيف رأيته قالت لعنها الله كأن بطنها قرية وكان
تديها دبة وكان استها رقعة وكان وجهها وجه ديك قد نفش عرقه يقاتل ديكاً.
ومن بديع الهجاء بالتبزيق والتمخط والبخر قول ابن الرومي:

نحسبُ مزكوماً وإن لم نركم من سدة في أنفك المورم
مخرج الصدر بر طلى بلغم إن لم تنخ مرة تنخم
نخامة كالضفدع الموثم دكنا رقطاء بقيح أودم
منخطاً بالكوع أو بالمصم تضرط من أنف وتفسو من فم
ذانكة من لم تمته يصدم حتى دعاك الملا أرخم نرحم
وقال جعظة^(١) في البحر:

تنفس في وجهي فكدت أموت وأعرض عني جانباً فحييت
ونسى؟ حتى حسبت بأنني وربكما يا صاحبي خريت
وقال بعضهم في سرعة الكلام:
كان بني رالان إذ جاء جمعهم فراريج يلقى بينهن سويق

(١) هو أحمد بن جعفر البرمكي، لقبه عبد الله بن المعتز بجعظة.

وقال دعبيل في قصر الشعر :

فوهاءُ شوهاءُ لها شعرةٌ كأنها خملٌ على مسح

وقال ابن المعتز في أمر ديتف :

وَخَدُهُ مُشَوَّكٌ مَزُورٌ التلويحُ وَأَنْفُهُ كَسْتَرَةٍ مُشْتَرِقِ الْأَفْرِيزِ^(١)
وَقُلْتُ : لِمَبِّ الزَّمَانُ بِحَسَنِ وَجْهِ مُحَمَّدٍ
قَدْ كَانَ مَعْرُوفَ الْجَمَالِ فَلَمْ يَزَلْ
عَهْدِي بِهِ مُتَكَفِّرٌ مُتَمَصِّرٌ
وَكَأَنَّمَا صَدَّاعُهُ فِي وَجَنَاتِهِ
ثُمَّ اغْتَدَى مُتَمَصِّنًا مُتَزَعِفًا
جَمَلَانِ يَنْتَابَانِ سِلْحًا أَصْفَرَا

وقال ابن الرومي في غير هذا المعنى يحكى عن امرأة :

أَنَا كَبِيَّةُ النَّبِكِ الَّتِي نَصَبْتُ لَهُ فُتْلُقَ مَنِيٍّ^(٢) حَيْثُ شَتَّتَ وَكَبِيرُ
فَتَبَيْتُ بَيْنَ مُقَابِلٍ وَمَدَائِيرِ مِثْلَ الطَّرِيقِ لِمَقْبَلِ أَوْ مَدْبَرِ^(٣)
كَأَجِيرِ الْمَشَارِ يَجْتَذِبَانِهِ مُتَنَازِعِينَ فِي قَلِيجِ صَنُوبِ
وَلَا أَعْرِفُهُ سَبْقَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى وَهُوَ مِنْ أَظْرَفِ مَعْنَى وَأَعْجَبِهِ .

وقال أيضاً وهو من ظريف المعاني :

رَأَيْتُ فِي دَارِ حَسَنِ مَشْرَعَهُ وَامْرَأَةً قَاعِدَةً مَرْدَمَةً
لَهَا بَظُورٌ فِي اسْتِهَا بِجَمْعِهِ كَأَنَّهَا أَتْرَجَةٌ مُقْتَمَعَةٌ

وقال في خصي أراد أن يتزوج بامرأة :

قُلْ لِنَجْحِ أَخْطَاتَ بَابِ النَّبَاحِ إِذَا تَعَاطَيْتَهُ^(٥) يَلَا مِفْتَاحَ
لَسْتُ بِالسَّابِحِ الْمَجِيدِ قَدَحِ عَنكَ رُكُوبَ الْبَحَارِ لِلْسَّابِحِ

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (تحشى من الافريز) . (٢) في الأصل مبهم من

النقط . (٣) في ديوان ابن الرومي (فُتْلُقَ مَنِيٍّ) . (٤) في الديوان (ولمدبر) .

(٥) في ديوان ابن الرومي المخطوط (بل تعاطيته) .

فظم الحب بالخصى كما يظم قد المردى بالملاح
 ليت شمرى بما تظنك تصبي قلب ودان يا كسير النباح
 أبوجه كأنه وجه قرد حائل اللون جامد المصباح
 نمشة فوق صفرة قتره كونيم الذباب في اللقاح
 إنما أنتم ققاح فمهلاً ماغناء الققاح في الأحراح
 إن من يعشق النساء بلا أبر كئل الغازى بغير سلاح
 لن يكون الطمان إلا برمح فدعوا^(١) الطمن للطوال الرماح
 ثم قال: معشراً شبهوا القروود ولكن خالفوها في خفة الأرواح
 وهى طويلة. ومن أعجب ما قيل فى البحر قول الخالدي في رجل حلق مباله بعد أن أطاله:

حلقت مبالك جهلاً بما يوارى من النكرات القباح
 فمذبت صعبك حتى المساء وعذبت عرسك حتى الصباح
 فلا أبعد الله ذاك السبال فقد كان متراً على مستراح
 وقال ابن السككن:

رجل يبق الكأس كل عشة ويعاقب المسواك كل صباح
 وقلت: قال لى صاحبي وقد صفقته نفحات الكرو من من في وصف
 لعن الله ليلة بت فيها مع رفيقى كأننا فى الكنيف
 وقد أبدع ابن الرومى فى قوله:

فسا على القوم فقالوا له إن لم تقم من بيننا قمنا
 فقال لاعدت فقالوا له من يصف فيه ذا كما كنا
 وقال أيضاً يذكر قينة:

مسمومة^(٢) الربق إذا قبلت صحت التقييل تقيلا

(١) في ديوان ابن الرومى (فاتركوا).

(٢) في الأصل «مسمومة» والتصحیح من ديوان ابن الرومى المخطوط.

قبلها جلود عرارة يحسنُ البخراءُ قبيلا
 قاحشةُ النقصابِ لكنها قد كلتُ بالبظرِ تكيلا
 أزدى بها اللهُ فلم يسطها إلا بطولِ البظرِ تفضيلا
 إذا بدا الفيلُ وخرطومُهُ قلنا أمارتُ بظرها القبلا
 غول يبيت الشرب من قبحها يرونَ في النومِ التهاويلا
 ما أحسنَ الأرقم طوقاً لها وأحسنَ الأسود اكلبلا
 قد عذَّبَ اللهُ أمراً نالها طورَينِ تعجلاً وتأجيلا
 لها ضرامٌ ريحهُ عاصفٌ يطفىءُ في الليلِ القناديلا
 حلت سراويلي على واسع ماخلته إلا سراويللا
 أحلت تنكيلى ياب استها فكان للتنكيل تنكيلا
 لورامت التوبة لم تستطع لسنة الشيطان تبديلا
 يابسة المود وقد ذلت قطوفها للنيل تذليلا
 وهي طويلة عجبية ليس لأحد في ملاحظها وعلو جودتها وكثرة معانيها شيء .

وبما قيل في طول الحية قول ابن الرومي :

ولحية لو شاء ذو الخارج أغنى بها كواسد النواسج^(١)
 بنسج مسحبن لخان الدارج^(٢) وفرق الباقي على الكواسج

ومن ذلك قول بعضهم وهو مشهور :

ألم ترَ أن الله أعطاك حيةً كأنك منها قاعدٌ في جوائق
 وقال الآخر : ألم ترَ أن الله أعطاك حيةً كأنك منها بين تيسين قاعدٌ

وكان المعنى إذا كتب كتاباً أخذ حيته تحت إبطه وإذا كلفه إنسان من
 الجانب الآخر التفت إليه فخلصت حيته من تحت إبطه فمرت على الكتاب

(١) سقط من النسخ « كواسد النواسج » وكذلك في شعر ابن الرومي نقص

كثير في الأصل استكملناه من الديوان المخطوط . (٢) في الديوان (الديزج) .

فطمست جميع ما كتبه فيقول اللهم غفرا ، فقال فيه بعضهم أوفى غيره :
 لحية قاضي القضاء لو جهدت بمجهودها لم تكن كمنفقته
 إذا أراد الكرى توسدّها فقد كفته مكان مرفقه
 وقال رقة بن مصقلة لأبي شيبة القاضي : لو كانت لحيتك هذه من الذنوب
 لكانت من الكبائر . وقد قيل من تدلت لحيته فقد تقلص عقله .
 وقلت : قل للمدل بلحية موفورة وسما ولحية كل الحى جهله
 لا يمجبنك طول نبتك إنه من طال لحيته تكوسج عقله
 وقد أجاد ابن الرومي وأبلغ وجمع في آيات من المعاني ما لم يجمعه أحد في
 هذا الباب وهو قوله :

ان تطل لحيه عليك وتعرض	فالتحالى معروفة للحمير
علق الله في عذاريك مخلا	ولكنها بغير شير
لو غدا حكما على اطارت	في مهب الرياح كل مطير
ارح منها موسى فانك منها	شهد الله في أثام كبير
أيماء كوسج رآها فيلقى	ربه بعدها صحيح الضير
هو أحرى بأن يشك ويغرى	باتهام الحكيم في التقدير
ما تلقاك كوسج قط إلا	جور الله أيماء نجوير
لحيه أهملت فطالت وقاضت	قالها تشير كف المشير
مارأتها عين امرئ مارأتها	قط إلا أهل بالتكبير
روعة تستخفه لم يرعها	من رأى وجه منكر ونكير
فأدو الله ذا الجلال وغير	منكرأ منك ممكن التغير
أوقصر منا فحسبك منها	قيد شير علامة التذكير
لو رآها النبي يوما لأ	في لحي الناس سنة التقصير
واستعجب الاحقاء فيهن والخلق مكان الاعناء والتوفير	

أراد قول النبي ﷺ « أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا عَنِ اللَّحَى »^(١).

وقلت : ان أبا عمرو له لحيةٌ بعيدةُ البعض من البعض

مضى الى السوق وعثونه أقام في البيت فلم يحض

وهو إذا مامراً في سكةٍ يعلأها بالطول والعرض

يدوسها الناس بأقدامهم كأنها أرضٌ على الأرض

وأخبرنا أبو أحمد عن أبيه قال قال الجراز كن لبعض أصحابنا في الظاهرة تل

تراب فأتاه غلامه برجل يضرب له اللبن وقد حمل في عنقه قالباً وإذا لحيته ملء

القالب فقلت له ليس في قالبك فضل يدخل فيه الطين مع لحيته فقال إني سأخرجها

من القالب قبل ضرب اللبن وإنما أردت أن أدفنها فيه قليلاً ، قال فلما رأيت حقه

قلت يحتاج أن يضرب في كل يوم ألف لبنة . قال خريم أنا أقدر على ذلك .

وقال الناجم : لابن شاهين لحيةٌ طويلةٌ شطراً طولها

فهو الدهر كله عائرٌ في فضولها

ولولا القصد لجمع أعيان المعاني والشرط المتقدم تركت التشبيح المفظوظ من

المنظوم والمنثور على أن العلماء لو تركوا رواية مخيف الشعر لسقطت عنهم فوائد

كثيرة ومحاسن جمة موفورة في مثل شعر الفرزدق وجبريل والبيث والأخطل

وغيرهم ولم يصلح ذكر الفروج بتصريح أعمائها لكانت تسمية أهل اللغة

إياها بذلك خطأ وهذا محال^(٢).

ومما قيل في الدمامة وقصر القامة ما ينسب لأبي نواس وهو لغيره^(٣) :

إذا استن في قهوة متبخترا قتل جرذٌ يستن في لبنٍ محض

(١) رواد البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم بالفاظ مختلفة - كما في

كشف الخفا . (٢) ونسب للكناية محاسن ، وفي معنى الحديث الشريف

ان الله يكره الفحاش البذيء اللسان . (٣) نسبها القالي في الامالي لرجل من

أهل الكوفة : وفيها : إذا راح في قبضية متأزراً قتل جعل يستن في لبن محض

فأقسم لو خرت من استك بيضة^١ لما انكسرت من قرب بعضك من بعض
 وقال غيره: ألا يا بيدق الشطرنج في القيمة والقامه
 وقال آخر: يستر الناس في الطريق من دمايته
 وقال آخر: فقام إلى الفلام نسي وغبطاً^٢ بقدر لم يزد فيه القيام
 وقال ابن الرومي: أنت تشتم عرضي وأنت في طول أبري
 وقال الناجم: ينقص الأحرار من شأنه وهو أخو القلة والنقص
 كأنه البرغوث لم يخطه في صفر الجفاف والقرص
 وقال: وما زب الرأي ضيف مغرور مكاثراً في العلم وهو مكثور

في جسم عصفور وحلم عصفور

وقال آخر: كأنهم كلهم غتم الأضاحي إذا قاموا حسبهم قعودا
 وفي غير هذا المعنى قول الآخر:

إذا لبس البياض فعدل قطن وأن لبس السواد فعدل غم
 وقال ابن الرومي في القبيح والسواد:

وجهك يا جعفر من قبحه أولى من العورة بالستر
 كأنما تآري إليه الدجى إذا هي انقضت عن الفجر

وقال ابن طباطبا في مجذور:

فو جُدري وجهه^٣ يحمكه جلد السمكه
 أو جلد أفعى ساخت أو قطعة من شبيهه
 أو حلق الدرع إذا أبصرتها مشتبكه
 أ. سفر محجب أو كرش^٤ منفركة
 أو مناز^٥ أو عرض^٦ رقعته^٧ منهته^٨
 أو حجر الحماكم من وسخ قد دلكه
 أو كور زنبور إذا فرخ^٩ فيه تركه

أو كدر الماء إذا ظهر فيه جبهه
أو سلحة جامدة تنقر فيها الديكة
بيفضه من قبعه كل طريق ملكه
وقد أبدع ابن الرومي :

جُدَ رى ما شأنها وهي شين كل أثر في ذلك الوجه نقش
بدلت من ضفائر وقرون^(١) حمل أنف فيه فرخين عش
وقلت في غير هذا المعنى :

قد حسن ظاهره وباطنه وأمر مخبره ومنظره
شعر تجدد في عوارضه مثل المكا الرطب تسفره
وقال ابن طباطبا في أسودين : أخبرنا أبو بكر أحمد أخبرني عبد الله بن أبي
حامر قال كان أبو الحسن العلوي المعروف بابن طباطبا قصد يوماً أبا علي بن رستم
فبادف على بابه عثمانين أسودين كالنعم متممين بهامتين حمراوين فامتحنهما
فوجدهما من الأدب خالين فدخل مجلس ابن رستم وكتب في درج :
رأيت ياب الدار أسودين ذوى هامتين حمراوين
كجمرتين فوق فختين قد غادر الروض قرير العين
جد كما عثمان ذو النورين فإله أنسل ظلمتين
ياقبح شين صادر عن زين طائد تطبع من لجين
ما أتيا إلا غرابا بين طيرا فقد وقعتا
ردا ذوى في المصرين المظهرين الحب للشيخين
وخليا الشيعة للبطين لا تبرما إرام رب الدين
ستعيطان في مدى عامين صكا بخفين الى حنين
وقال أبو تمام يهجو عياشاً بعد ما مات :

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (عوضت من ذوائب وقرون)

كُرت على اللؤم^(١) بما ساءه وساءه كُرتك الخاسره
 أسهرت عين اللؤم من ثناطوت عليك أثوابك بالساهرة
 قد كانت الدنيا شفت لوعي منك ولكن أذنت بالآخره
 يا أسد الموت تخلصته من بين لحى أسد القاهره
 أبارك المكره من مثله فاقرة نجتك من فاقره
 وقال فيه : وتصور القبر الذى ضمته^(٢) حتى ظننا أنه المقبور

فأتبع لأبى تمام مخلص الموصلى فهباه بعد موته فقال :

سقى حمارك بإطائي غادته من المني وقطعان من الكمر
 حر الحلاق ويرد الشعر اتلفه فجاءه الموت من حر ومن حصر
 ومما قيل فى البرد أيضاً قول بعضهم فى المبرد :

ويوم كنار الشوق فى القلب والحشا على أنه منها أحر وأومد^(٣)
 ظلت به عند المبرد قائلاً فما زلت فى الفاظه أتبرد
 وقلج أحد الشعراء فسل عنه رجل قيل له ما كن سبب فالجه ؟ قال أكل بيتين
 من شعره . ومن جيد ما قيل فى برد الغناء قول بعضهم :

كاد من برده يحمد روى ضرب الله شقه بنائه
 وقال غيره : غنى لنا نصر قتلنا له مصعب جرأك على السبع
 وحرك العود بأطرافه فكان يحتاج الى الصفع
 فقامت من مجلسه هارباً أدعو على كفيه بالقطع

وقال كشاجم : ومن بارد التغممة مختل البدن

مارآه أحد فى دار قوم مرتين

صوته أقطع لذات من صبيحةيين

(١) فى ديوان أبى تمام (على البخل) . (٢) فى الديوان (الذى أسكته) .

(٣) الومد : الحر الشديد مع سكون الريح .

وقلت : قد أسمعنا غناء لا خلاق به
حتى إذا ارتفعت في الصوت لا ارتفعت
وكلما انخفضت فيه مزمنة
لا تجد عنه بأبواب مصيبة

وقال ابن الرومي :

وإذا غنت ترى في حلقها
وقال الناجم : وقنية شتمها قنوت
مفقودة الكل غير بطن
وقال غيره : كأن أبا الحسين اذا تننى
يلوك لسانه طوراً وطوراً
وقال المصيصي : ونحسب الندمان في حلقه
ماعبي منه ولكني
وقلت في عواد : يقول لنا غير ما يضرب
ككيسان يكتب غير الذي
فيكتب غير الذي قاله
فصمتاً إذا شئت اطرابنا
ولا ماسي ؟ إذا جئتني
وقلت : تغنى لنا فجعلتنا عليه
جعلنا اللطام لها لمة

ومن جيد ما قيل في تغير وجوه الاحداث عند خروج اللحي قول البسامي :

قالوا تغير عن ملاحظه
يا زهرة ومحاسناً مسخت
قد كانت الأبصار تجرحه
قلت الزمان يريكم العبرا
ماذا لحاء الشعر لو شعرا
واليوم يجرحها إذا حصرا

وقال سعيد بن حميد :

قَالَ آنَ حِينَ بَدَتْ بِخَدِّكَ لَحِيَةً ذَهَبَتْ بِمِلْحِكَ مِلءُ كَفِّ الْقَابِضِ

وقال ابن طباطبایا : یامن یزیل خلة السر عن عا خلقت

تب وخف الله علی کفک مما اجترحت

هل لك عنر عنده إذا الوحش حشرت

بلحیة ان سُئِلْتُ بأی ذنب تفتت

وقلت : حصلت فی می ذا غلظة کأنتی مشطاً ابن منصور

بالحیة هتك أستارها بأصبع منه وأظفوره

فخذ من سحر تارة وتارة من قشر بلور

فتارة كللسك في لونه وتارة في لون كافور

يعجبه الرد فيحكيم حكاية زور من الزور

يقول ما أحسن رب الوری إذ غرس الظلة في النور

وقلت : من شقوة الرد أن تبدوا عوارضهم مسودة قبل أن تبدوا عوارضهم

يا ويحهم من لحي جدت منافسهم فيهن أو لعبت فيها مقارضهم

قد أتيت في هذا الفصل على ما فيه مقنع وبالله التوفيق .

(الفصل الثالث في الاعتذار)

الاعتذار أيذك الله ذلة ولا بد منه لأن الاصرار على الذنب فيما بينك وبين

خالقك هلكة وفيما بينك وبين صديقك فرقة وعند سائر الناس مثلية وهجنة فعليك به

إذا وقعت الذنب وقارفت الجرم ولا تستكف من خضوعك وتذلل لك فيه فريما

استثير العز من تحت الذلة واجتنى الشرف من شجرة الندلة ورب محبوب في مكروه

° والمجد شهد يجتنى من حنظل ° ومما خص به الاعتذار ان الحق لا يثبت

لباطله والحقيقة لا تقوم مع تخيله وتمويهه وان رده لا يسمع مع الكذب اللائح في

صفحاته ، وقالوا الما ذير مكاذب ، ويقولون مع ذلك لا عنرفى رد الاعتذار والمعتذر من الذنب كن لا ذنب له . وهذه خصلة لا يشركه فيها غيره : ولم يرو عن أحد قبل النابغة الذي أنى فى الاعتذار شرفيه أجود منه ، ومما ترويه له فيه قوله حين سعى به المنخل اليشكرى إلى النعمان وزعم أنه غشى المتجردة حظية النعمان وذلك حين وصفها النابغة فقال :

وإذا لمست لمست أختم^(١) جائماً متحيزاً^(٢) بمكانه ملء البد
وإذا طمنت طمنت في مستهدف رابى المجسة بالعير مفرمد
وإذا نزعت نزعت عن مستحصف نزع الحزور بالرشاء المحصد

فقال المنخل للنعمان هذا وصف من ذاقها . فوفر فى نفس النعمان ثم وفد عليه رهط من بنى سعد بن زيد مناة من بنى قريع فأبلغوه أن النابغة مازال يذكرها ويصف منها فأجمع النعمان على الإبقاء بالنابغة فمرفه ذلك عصام حاجب النعمان وهو الذى قيل فيه * نفس عصام سودت عصاما * فصار يمثل به فيقال عصامى وليس بعظامى إذا كن يكسب المآثر لنفسه ولا يتكل على مآثر الأموات من أسلافه ، ويقولون كن عصامياً لأعظامياً . فانطلق النابغة الى آل غسان وكانوا قتلوا المنذر ولد النعمان فزادهم لحاق النابغة بهم حشة ثم اتصلت به كثرة مدائح النابغة لهم فخدم عليه قائمه وراسله فى المصير اليه فصار اليه وجعل يستنر بما عرف به ومن مدحه لآل غسان فى قوله :

حلفت فلم أترك لنفسك رية وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت غنى خيانة لمبلغك الواشى أغش وأكذب
ولست بمستبق أخاً لانفك على شئت أى الرجال المهذب

وقد ذكرنا هذا فى أول الكتاب ، وقوله :

وعيد أبى قابوس فى غير كنهه أتانى ودوفدا كس^(٣) فالضواجم^(٤)

(١) فى الأصل «أجتم» . (٢) فى الأصل (متحيزاً) .

(٣) را كس : واد ، والضواجم : موضع .

فبت كآتي ساورتنى ضئيلة^١ من الرقش في أنيابها السم^٢ نافع^٣
أتاني أبيت اللعن أنك لمتني وتلك التي تستك منها المسامح^٤
إلى أن قال :

فإن كنت لاذوا الضغن عني مكذب^٥ ولا حيلفي على البراءة نافع^٦
ولا أنا مأموت^٧ بشيء أقوله^٨ وأنت بأمر لا محالة واقم^٩
فأنك كالليل الذي هو مدركي وإن خيلت أن المتأني عنك واسع^{١٠}
وقال : أنبت أن أبا قابوس أو عدني ولا قرار^(١١) على زأر من الأسد
مهلاً فداء^{١٢} لك الأقوام كاهم وما أثمر من مال ومن ولد
لا تقذفني بركن لا كفاء له وإن تأثمتك الأعداء بالرقد^(١٣)
ما قلت من شيء مما أتيت به إذا فلا رفعت سوطي إلى يدي
ها إن ذي عذرة إلا تكن نعت فأن صاحبها قد تاه في البلد^(١٤)

فخلع عليه النعمان خلع الرضا وكن حبرات خضر امطرقة بالجواهر، وقد ذكرنا
الحديث بطوله فيما تقدم . وما سلك أحد طريقته هذه فأحسن فيها كاحسان
البحترى : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولي سمعت عبد الله بن المعتز يقول :
لوم يكن للبحترى إلا قصيدته السينية في وصف إيوان كسرى فليس للعرب مثلاً
وقصيدته في صفة البركة . ميلوا إلى الدار من ليل نحيها . واعتذاراته في قصائده
إلى الفتح التي ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة مثلاً ، وقصيدته في دينار التي
وصف فيها ما لم يصفه أحد قبله وهي التي أولها . ألم تر تغليس الربيع المبكر .
وصفة حرب المراكب في البحر لكان أشعر الناس في زمانه فكيف وقد انضاف
إلى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه في قصائده . فن اعتذاراته قوله في قصيدته التي
أولها . لوت بالسلام بناً خضيباً . فقال فيها :

(١) في ديوان النابغة (ولامقام) . (٢) أي احتوشوك فصاروا حولك كالأنافي ،
والرقد جمع رفدة وهي العصبية (٣) في ديوان النابغة (فإن صاحبها مشارك النكد) .

فدَيْنَاكَ من أيَّ خطب عرا
 وإن كان رأيك قد حال في^(١)
 يرييني الشيء تأتي به
 واكره أن أتمادى على
 أ كذب نفسي بأن قد جنيت^(٢)
 ولو لم تكن ساخطاً لم أكن
 أبصبح وردى في ساحتك
 وما كان سخطك إلا الفراق
 ولو كنت أعرف ذنباً لما
 سأصبر حتى ألقى رضاك
 أراقب رأيك حتى يصح^(٣)
 وقوله : عذيري من الأيام رتقن مشربي
 واكسبني سخط امرئ بت موهناً
 تبليج عن بعض الرضا وانطوى على
 إذا قلت يوماً قد تجاوز حدّها
 وأصيد إن نازعت الطرف^(٣) رده
 ثناء العدى عن فأصبح معرضاً
 وقد كان سهلاً واضحاً فتوَعَّرت
 أمتخذ عندى الاساءة محسن^(٣)
 ومكتسب في الملامة ماجد^(٣)
 يخوفني من سوء رأيك معشر^(٣)
 وقائبة أوشكت أن تنوبا
 فلقيتني^(١) بعد بشر قطوبا
 وأكبر قدرك أن أستريا
 سبيل اغترار فألقى شغوبا
 وما كنت أعهد ظني كذوبا
 أذم الزمان وأشكو الخطوبا
 طرقات ومرعاه محلاً جديبا
 أفاض الدموع وأشجى القلوبا
 تخالجنى الشك في أن أتوبا
 إما بعيداً وإما قريباً
 وأنظر عطفك حتى يشوبا
 ولقيتني نحساً من الطير أشامبا
 أرى سخطه ليلاً مع الليل مظلمبا
 بقية عتب شارفت أن تصرماً
 تلبث في أعقابها وتلوّماً
 كليلاً وإن راجعته القول جمجما
 وأوهه الواشوش حتى توها
 رباه وطلقاً ضاحكاً فتجهمبا
 ومنتقم مني امرؤ كان منعبا
 يرى الحد غمماً والملاحه مغربا
 ولا خوف إلا أن تجور وتظلمبا

(١) في الاصل (فأوليتني) (٢) في ديوان البحتري (أ كذب ظني بأن قد سخطت) .

(٣) في ديوان البحتري (نازعتة اللحظ) .

أعيتك أن أخشاك من غير حادث تبين أو جرم إليك تقدما
 ألسن الموالي فيك نظم^(١) قصائد هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجما
 أعد نظراً فيما نسخت هل ترى مقالاً دينياً أو فعلاً مذهباً
 رأيت العراق ناكرتني وأقسمت على صروف الدهر أن أتشاماً
 ولكن رجائي أن أؤوب مملكا فصار رجائي أن أؤوب مسلماً
 حياء فلم يذهب بي الفنى مذهباً بيداً ولم أركب من الأمر معظماً
 ولم اعرف الذنب الذي سؤمتني له فأقتل نفسي حسرة وتندماً
 ولو كان ما خبرته أو ظننته لما كان غرواً أن ألوم وتكرماً
 أذكرك العهد الذي ليس سؤدداً تناسيه والود الصحيح المسلماً
 وما حمل الركبان شرقاً ومغرباً وأنجده في أعلى البلاد وأنهما
 أقر بما لم أجده متصلاً إليك على أني أخالك ألوما
 لي الذنب معروفاً وإن كنت جاهلاً به فلك السبي على وأنما
 ومثلك من أبدى الفعال أعادة وان صنع المعروف زاد ونما
 ونحن نقول ان لكل شيء ثمناً وثمان خضوع المستغرق قبوله . وكتبت: وسيلتي
 إليك الثقة بكرم أخلاقك وشرف أعراقك وقد طلبت المسامحة منك بك وجعلت
 كرمك أقوى أسبابي إليك وقد خفضت لك جناح الذل في التئصل مما فرط
 ففضل على بالقبول لئلا يلحقني هجتان هجئة تذلي لك وأخرى ردك لي . وقد
 قيل: ارض لطالب الخضوع ذنباً مثله الاعتذار . وفي هذا المعنى ما كتب بعضهم:
 لما تذر على العذر جعلت معولي على فضلك أبلغ عذراً قدمه وأقوى سبباً أوكدته .
 وأخبرنا أبو أحمد عن أبي روق عن السكري عن إبراهيم الندي قال قلت لرجل:
 ما حملك على بذلك وجهك في حوائج الناس؟ قال اني لم أسمع شيئاً أحسن من بناء
 حسن على رجل أحسن ومن شكر حر وشفاعة شفيع لطالب شاكر ولا في لا أبلغ

المجهود ولا أسأل من لا يجود وليس صدق العذر عندى بدون انجاز الوعد ولا
اكداء السائل بأغلف من الاجحاف بالمسؤول ولا أرى السر أغبالى بالمسألة بحسن
ظنه بى أوجب حقاً على من المرغوب اليه الذى يتحملة من لدى والعرب تقول ان
مع الهيشة الخبيثة والفرصة خلسه قشب عند صدور الأمور ولا تتبع اعجازها . وقال
ابن المعتز العذر مع التعذر واجب . ومن أعجب الاعتذار فى التقاضى قول بعضهم :

هَزَزْتُكَ لَا أَتَى ظَنَنْتُكَ نَاسِيًا لَوْ عَدِيَّ وَلَا أَتَى أَرَدْتُ التَّقَاضِيَا

ولكن رأيتُ السيفَ فى حالِ سله الى الهزِّ محتاجاً وان كلن ماضيا

ومن ملبح ما يجرى فى هذا الباب ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن دريد عن أبي
حاتم عن العتيبي عن أبيه عن شيخ من قريش قال قال رجل لسليمان بن عبد الملك :
ان القدرة تمنع الحفيظة وأنت تجل عن العقوبة وان توف فأهل ذلك أنت وان تعاقب
فأهل ذلك أنا ، فعفا عنه ، فأخذ بهمض المحدثين فقال :

فَإِنْ طَاقَبْتَنِي فَبِسْوَءٍ فَعَلِي وَمَا ظَلَمْتُ عَقُوبَةً مُسْتَفِيدِ

وَإِنْ تَغْفِرَ فَاِحْسَانٌ جَدِيدٌ دَهْوَتْ بِهِ إِلَى شُكْرٍ جَدِيدِ

تم الباب والحمد لله وحده .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم عونك . جمع الله ثملك ووصل حبلك ومتعك بأحبتك وأعطاك مأمولك
فى نفسك وأعزتك وأعاذك من قطيعة أحبابك وجنبك تجنب أودائك ولا جعل
للمجر عليك سبيلا ولا للفراق عليك دليلا لينعم باللذة جسمك ويعمر بالسرو قلبك
فتعيش فى ضمان الفرح ويؤى حاسدك بأعباء الترح انه حميد مجيد فعال لما يريد .
المشوق أدام الله توفيقك من شرائف أخلاق الفتيان وكرائم سجايا الشبان

يطلق لسان العيسى ويفتق حيلة البليد ويبعث على السخاء بما تسمح به نفس الكريم
ويضحدون بذله اللئيم ويدعو الى استعمال الفتوة واظهار المروءة في تنظيف اللباس
وتحسين الرياش ويجدد حب المساعدة والامثالاف وكراهة التباين والاختلاف
الى غير ذلك من محمود الحال وممدوح الخصال وإذا رزقت منه نصيباً جزلاً فوفه
حقه واسلك به طرقه وتأمل ما أهديت اليك فيه فإنه يبينك عليه ويحسن أسبابك
ويكبت لأمنك فيه ويكون جلاء لناظر ك وشحناً لناظر ك إن شاء الله سبحانه وتعالى .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في التشبيب وأوصاف الحسان وما يجري مع ذلك وهو)

﴿ الباب الرابع من كتاب ديوان المعاني ﴾

قالوا أرق بيت قالته العرب قول امرئ القيس :

وما ذرقت عينك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل
يقول ما بكيت إلا لتجرحي قلباً مشراً أي مكسراً ، يقال برمة أعشار إذا
كانت مشعوبة ، يريد أن قلبه عليل وأنت تزيدينه علة بسهميك يعني عينيها ، والمقتل
المدلل . ومثله قول الشاعر :

رمتك ابنة البكري عن فرع ضالة وهن بنا خوص يخلن ناعماً
ولم نسمع للأعشار بواحد . وأخبرنا أبو أحمد قال حكى لي عن ابن سلام
أنه قال أنسب بيت قالته العرب :

ولما التقى الحيان أقيت العصا ومات الهوى لما أصيت مقاتله

وقالوا أنسب بيت قالته العرب قول الآخر :

إذا قلت إني مُشتفٍ بلقائها فخم التلاقي بيننا زادنا سقما

وأبلغ من هذا قول أبي نواس :
 ما يرجع الطرف عنها حين أبصرها حتى يعود إليها القلب مشتاقا
 وقد أحسن ابن الرومي ولا أعرف في معناه أبلغ منه :
 أطبقها والنفس بعد مشوكة إليها وهل بعد العناق تداني
 وألثم فاهها كي تموت حرازي فيشتد ما ألقى من الهيجان
 وما كل مقدار الذي بي من الجوى يشفيه ما ترشف الشفتان
 فان فؤادي ليس بشئ ربيبه سوى أن ترى الروحان تترجان
 ومن البليغ في الاشتياق ما أنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن الحسين بن اسماعيل :
 هبت شمالا فقال من بلد أنت به طاب ذلك البلد
 وقبل الريح من صبابته ما قبل الريح قبله أحد
 وأبلغ ما قيل في شدة الحب قول بعضهم وقد قيل له ما بلغ من حبك فلانة ؟
 قال انى أرى الشمس على حيطانها أحسن منها على حيطان جيرانها . وقال نصر بن
 الحجاج لامرأة أحبت حباً لو كان فوقك لا ظلك أو كان تحتك لا ظلك ، أخذه بشار فقال :
 انى لا أكنم في الحشى حباً لها لو كان أصبح فوقها لا ظلها
 ويبيت بين جوانحي وجد بها لو بات تحت فراشها لا ظلها
 وقلت : أحبك يا شبيهة الشمس حباً فردد بالتماس فلا تمام
 فلو ألقته ما بين ماء وفار كل بينهما التمام
 وقال ابن الرومي في اجتماع الأهواء على محبوبه :
 سائلة نور ليس يدركها^(١) اللس إذا ما بدا أغضى له البدر والشمس
 به^(٢) أمست الأهواء يجمعها هوى كأن نفوس الناس في وجه نفس
 وقال بشار :

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (يدركه) . (٢) (به) سقطت من الأصل فاستدركناها من الديوان ، وفي الأبيات تصحيف صحيحناه منه .

ولستُ بناسٍ من يكونُ كلامُهُ بأذني وان غُيبتُ قرطاً معلقاً

ومن ظريف التشبب أيضاً قول ابن المعتز :

كذبت يا من لحاني في مودِّته ما صورة البدر الأدون صورته
ياربُّ ان لم يكن في وصله طمعٌ ولم يكن فرجٌ من طول جفوتيه
فاشف السقام الذي في لخط مقلته واستر ملاحه تخدبه بلحيتيه
ومن الظريف قول كشاجم :

كان الشفاء اللس منها خواتم من النبر مخنوم بهن على الدر
ولا أعرف في وصف الفم أحسن من هذا .

وأحسن ما قيل في حث الشوق من قديم الشعر قول عمرو بن شاس الأمدى :
إذا نحن أدلجنا وأنت امامنا كفى لمطايانا بذكرك حاديا^(١)
أليس يزبن^(٢) العيس خفة أذرع وان كن حسرى ان تكون اماميا
وآتم من ذلك شرحاً قول الآخر :

إذا عقلت خبت وإن هي خلت لترتع لم ترتع بأذني المراتع
كأن لديها سائقاً يستعدها كفى سائقاً بالشوق بين الأضالع
ومن جيد ما قيل في ازدياد الشوق على القرب قول الآخر :

صب يحث مطايا بذكركم وليس ينساكم أب حل أو سارا
يرجو النجاة من البلوى بقربكم والقلب يلهب في أحشائه نارا
ومن ظرف الاعرابي قوله أنشد المبرد :

وعود قليل الذنب عاودت ضربه إذا عاد قلبي في معاها ذكر
وقلت له ولقاء ويحك سييت لك الضرب فاصبر إن عادتك الصبر
ونحوه قول الآخر :

قد قطع الأحراج أغناق الابل فهي تسير سير مشتاق عجل

(١) في الأغاني « بوجهك هاديا » . (٢) في الأصل « يزبن » وفي الأغاني (يزيد) .

وقول الآخر قد ألف:

إن لها لسائقاً خدجاً لم يُدَلِّج الليلةَ فيمن أدجلاً
وفي خلاف ذلك يقول العباس بن الأحنف:

أيام يقتل شوقها زيارتي كلما يقتل برده عطش الصدى
فأما أجود ما قيل في التذكرة على البعد فقول بعضهم:

اذكرا خانا تولى الله صعبته أنى وإن كنت لا ألقاه ألقاه
الله يعلم أنى لست أذكره وكيف يذكركه من ليس ينساه
وقلت: ذكرهم والنوى بينى وبينهم ذكرى الشباب الذى قد كان طاصاني
بل كيف أذكر عهداً لست ناسيه هل يعرض الذكر إلا بعد نسيان
ونحوه يقول البرى:

غضبان ينسأى وأذكره وينام عن ليلى وأسهره
وبجوده ماضار مورقه حظى وحفظ سوى مشره
وكفى الهوى لو كان مكتفياً مارحت أضمره وأظهره
لم يقتسم فى العاشقين نسي لم يقتسم فى العاشقين نسي
فأصبح فى نفس أصمده وأعوم فى دمع أجده
ومن مליح ذلك قول بشار:

واست بناس من يكون كلاًه بأذى وإن غيت قرطاً معلقاً
أجود ما قيل فى إخفاء الحركة عند زيارة المعشوق من الشعر القديم قول امرئ القيس:
ممدوت إليها بدءاً ما نام أهلها ممدوت حجاب الماء حالاً على حال
وأحسن من هذا وأظرف قول وضاح اليمن^(١):
واسقط علينا كسقوط الندى ليلة لانام ولا زاجر

(١) غلب عليه هذا اللقب لبهائه ، واسمه عبد الرحمن بن اسماعيل ، شاعر عجيب

فى تشبيهه ، قتله الوليد بن عبد الملك بتشبيهه بزوجته .

وهذا أبلغ أيضاً لأن سقوط الندى أخفى من ممحوج باب الماء لأن لسوء حجاب
الماء صوتاً خفياً ليس ذلك لسقوط الندى وهو من آيات ظريفة أولها :

قالت ألا لاتلجن دارنا إن أبانا رجل غائر
أما رأيت الباب من حوتنا قلت قاني وائب ظافر
قالت فان القصر من حوتنا قلت قاني فوقه ظاهر
قالت فان الليث ماد به قلت فسيف مرهف باثر
قالت فهذا البحر مايتنا قلت قاني سابع ماهر
قالت أليس الله من فوقنا قلت بلى وهو لنا غافر
قالت فاما كنت أعيتنا فأت إذا ما هجم السامر
واسقط علينا كسقوط الندى ليلة لانه ولا زاجر

ومن مليح ما جاء في هذا المعنى قول المؤمل :

وطارقات طرقتني رسلاً والليل كالطيلسان مُعترك
فقلن جئنا إليك من ثقة من عند ضوء كأنها قمر
هل لك في عادة مُنعمية يحار فيها من حسنها النظر
في الجيد منها طول إذا التفت وفي خطاها إذا مشيت قصر
فقلت أسى الى مُحجبة قضى منها البيوت والحجر
قلت لما بدا تخفها جودي ولا يمنحك الخفر
قلت توقرو ودع مقالك ذا أنت امرؤ بالقبيح مشهر
والله لا نلت ما تطالب أو يثبت في بطن راحتي شعر
لا أنت لي قيم فتخبرني ولا أمير علي مؤنم
قلت واسكن ضيف إناك به تحت الظلام القضاء والقدر
فاحتسبي الأجر في إنائه وباشري قد تطاول العسر
قالت فقد جئت بتغني عملاً تكاد منه السماء تنفطر

قلت لما رأيتها خرجت وضئيتها الموم والفكر
 لا طاقب الله في الصبا أبداً أنثى ولكن بواقب الذكر
 قالت لقد جئتنا بمبتدع وقد أتتنا بغيره النذر
 قد بين الله في الكتاب فلا وازرة غير وزرها ترر
 قلت دعى سورة لمجت بها لا نحرمن لذاتنا السور
 وجهك وجه تمت محاسنه لا وأبي لا يمسه مقر

ومثل هذا أصعب ما يرام من الشعر ولا يكاد يوجد في هذا المعنى أحسن من
 هاتين المقطوعتين . ومن أحسن ما عذر به المشوق في سوء فعله قول كشاجم:

تستدفع الأعين عن حسنهما بموذة من سوء^(١) أفعالها
 وهي من آيات قليلة النظر :

هل حاكم يمدى على ظبية ظالمة في كل أفعالها^(٢)
 دائمة الأعراض غنى فلا يخطر لي ذكره على بالها
 صغيرة عظمها حبها عندي وأغراني بأجلالها
 تستدفع الأعين عن حسنهما بموذة من سوء أفعالها
 لم أطمع العذال فيها وقد أصغت إلى أقوال عذالها
 تمضي بليل فاذا أقبلت أقبلت الشمس بأقبالها
 قلت وقد أبصرتها حاسراً عن ماقها فاضل مربالها
 لو لم يكن من برد ماقها لا حترقت من نار خلخالها

وأحسن في هذا المعنى ولا أظنه سبق إليه .

وقد أحسن ابن الرومي في ذكر الخلخال والساق أيضاً وهو قوله :

وإذا لبس خلخالاً كذبين أسماء الخلخال

يقول لا تخلخل الخلخال في سوقهن أي لا تتحرك فقد كذبت أسماءها ، وذلك أن

(١) في ديوان كشاجم (من قبح) . (٢) في الديوان (جائرة في كل أحوالها) .

اشتقاقها من التخلخل وهو التحرك . وفي نحو ما تقدم قول كشاجم :

وكان الشمس يبط بها قمر يمتأ والقدر
صد إذ مازحته غضباً ماعلى الأحياب إذ مزحوا
وهو لا يدري لتخوته أتنا في النوم نصطلح
ثم لا أنسى مقالته « أطفلي » ويقترح

ومن أفراد المعاني قول الشاعر :

وإني لأغضى الطرف عنها نسراً ولي نظره لولا الحياء شديد
وسها قالت لقد نلت وده وما ضرني بخل فكيف أجود
وقلوا أنسب بيت قائله العرب قول الآخر :

سبق لها في مضمير القلب والحشا سريرة ودي يوم نبلى السراير
ومن أجود ما قيل في حسن الحبيب في عين المحبوب قول عمر بن أبي ربيعة :
خرجت غداة النحر أعرض الله بي فلم أر أحلى منك في العين والقلب
فوالله ما أدوى أحسن رزقه أم الحب يعنى مثل ما قيل في الحب
وهو من قول النبي ﷺ « أحبك الشيء يعنى ويعم^(١) » وأنشدني أبو
أحمد عن الصولي عن أحمد بن سعيد الشامي عن الزبير بن بكار لعمر بن أبي ربيعة :

زعموها سألت جاريتها وتقرت يوم حر تبترد
أكما ينعتني تبصرنتي عمركن الله أم لا يقتصد
فضاحكن وقد قلن لها حسن في كل عين من تود
حسداً حملته من أجاها وقديماً كان في الناس الحسد

وأنشدنا عنه قال أنشدنا اسحق لرجل :

حلفت بصحراء الخجون وناقني لها بين قاع الأخشيين حنين
غموراً لقد فصلت في الحسد بطة على الناس أوبى من هواك جنون

(١) رواه أبو داود والامام أحمد وغيرهما .

وأنكر بعض المحدثين أن يكون استعصائه لحبيبه لا فراط حبه أو لجنونه له فيه
فقال وأحسن :

حسنٌ والله في عيني وفي كلِّ العيون
قبةٌ بيضاء سوداء القرون
لم يصبها سقمٌ قط سوى سقم العيون
لم أصفها بجمال لموى أم لجنون
بل لحسن وجمال قول حقٍ يقين
وقد أبدع الآخر في قوله في المعنى الأول :

يا مَنْ يلومُ عليه أنظر بعيني إليه
فلست تبرح حتى تصير ملك يديه
وقد جمع القائل جمعاً حسناً في قوله * وفي أربع منى حكّت منك أربع *
أجود ما قيل في صفة النساء من الشعر القديم ما أخبرنا به أبو أحمد قال قال
ابن سلام أحسن ما قيل في صفة النساء :

كأنَّ بيضَ نعامٍ في ملاحفها إذا اجتلاهنَّ قِيظَ ليله ومد
وتشبيه النساء ببيض النعام تشبيه قديم وهو كثير مشتهر .

قالوا أحسن ما قيل في الوجه من الشعر القديم قول قيس بن الخطيم :
تبدَّتْ لنا كالشمس تحت غمامةٍ بدا حاجبٌ منها وضنت بحاجب^(١)
مأخوذ من قول النمر بن تولب :

فصدَّتْ كأنَّ الشمس تحت قناعها بدا حاجبٌ منها وضنت بحاجب
وهو أحسن ما قيل في إعراض المرأة ، ونقله قيس إلى موضع آخر وزاد فيه فقال :
كلَّ متى بلقائها فلقيتها ولهوت من لهو امرئ مكدوب
فرايت مثل الشمس عند طلوعها في الحسن أو كدنوَّها لغروب

(١) في منتهى الطلب من أشعار العرب « وضنت بحاجب » :

أراد في وقتين يمكن الناظر النظر إلى الشمس فيها . ونحو ذلك قول زهير :

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليلة القدر

وقضها كثير على الشمس فقال وأحسن :

بأبي وأمي أنت من معشوقة^(١) طين^(٢) العلو لها فقير حالها

وسعى إلى بيب^(٣) عزة نسوة^(٤) جعل الآله^(٥) مخطوذهن^(٦) نعالها

ولو أن عزة خاصمت شمس الضحى في الحسن عند موقف^(٧) لقضى لها

قوله عند موقف غاية ما يكون من الاحسان .

ومن أحسن ما قيل في حسن الوجه قول عمر بن أبي ربيعة :

قلنا تواقفنا وسلمت أقبلت^(٨) وجوه زهاها الحسن أن تتقنا

تباليه بالمرقان لما رأيتي وقلن امرؤ باغ أكل وأوضعا

وقربن أسباب الهوى لمتيم يقيس ذراعاً كلما قسن أصبعا

فذكر أنهم لم يتقنن الحسن وجوههن ، أخذه من قول الشماخ :

لها شرق من زعفران وعنبر أطارت من الحسن الرداء المجهرا

ثم تصرف المحدثون في تشبيهه أي الوجه بالشمس فقال ابن الرومي

• كالشمس غابت في حرة الشفق • وزاد أبو نواس فقال في الأمين قبل الخلافة :

تتية الشمس والقمر المنير اذا قلنا كأنها الأمير

فان يك أشبها منه قليلا فقد أخطأها شبه كثير

لأن الشمس تغرب حين تضي وأن البدر ينقصه المسير

ونور محمد أبداً تمام على وضوح الطريقة لا يحور

وقد أحسن الآخر وقد جعل في البدر مشابة من وجه المرأة فقال :

(١) في أمالي القالي (من مظلومة) . (٢) أي فطن ، وفي الاصل غير منقوطة .

(٣) في الامالي « بصرم عزة » . (٤) في الامالي (جعل المليك) .

(٥) في الامالي (موقف) . (٦) في الأغاني « أشرقت » .

يأبدر إنك قد كسبت مشاهداً من وجه أم محمد ابنة صالح
وأراك تمصيح في الحاق وحسنها باق على الأيام ليس بماصح
وقال العباس بن الأحنف :

قالت ظلوم وما جارت وما ظلمت إن الذي قد أسي بالبيد قد ظلما
البدر ليس له عين مكحلة ولا محاسن لفظ يبعث السقما
وقال النظام : يا مشرقاً ملأ العيو ن وطرفها ما يستقل
أوفى على شمس الضحى حتى كأن الليل ظل
وزاد آخر على هؤلاء كلهم فقال :

إذا عبتا شبهتها البدر طالما وحسبك من عيب لها شبه البدر
ومن أبلغ ما قيل في حسن الوجه من طريقة أخرى قول أبي نواس :

يزيدك وجهه حسنا إذا مازدته نظرا

فذكر أن حسنه يزاد على تكرار النظر والمعهود في كل شيء تصانته على
كثرة التأمل ولا يكاد الشيء الرائع يروى عليك إذا اعتدته . وقريب منه قول كشاجم :
يضاء بمحضر طيب العيش ما حضرت وإن نأت عنك غاب اللهو والفرح
كل اللباس عليها معرض حسن وكل ما تنقني فهو مقترح
والمعارضة تتخير للجوارى على حسب ألوانهن فالبيضاء تبرز في المعرض الأحمر
والأسود والأزرق والسوداء في الأصفر فذكر أن هذه تحسن في كل معرض
فهو غاية . وقريب من المعنى الأول قول كشاجم أيضاً :

منعمة يقربهما هواها وإن نزحت بمنزلها البلاد
يعاد حديثها فيزيد حسناً وقد يستقبح الشيء المعاد

وقال الحناني :

إذا كنت لم أقعد الغائبين وإن غبت كنت فريداً وحيدا
تباعد نفس إذا ما بعثت فليس تماود حتى تعودا

وهو من قول أبي نواس :

أشبهك الشيء حسناً فما أعم ذلك حتى تزيدا

وقال بعضهم : وكلما عدت فيه يكون في العود أحد

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي الميناء عن الأصمعي قال أحسن ما قيل

في اللون قول ابن أبي ربيعة :

وهي مكنونةٌ تحير منها في أديم الخدين ماء الشباب

قال وما أعرف أحداً أخذه فأحسن فيه مثل أحمد بن إبراهيم بن اسمعيل فإنه قال :

بات يعمى يمالج السهرا وراح نشوان يقسم النظرا

أغيد ماء الشباب يرغد في خديه لولا أديمه قطرا

وقال ابن الأحنف :

وقد ملئت ماء الشباب كأنها

وقال النري : ومخطف بهتز عن ماء الصبا

وقلت : ووجهٌ تشرب ماء النعيم

يمر فأمّنه ناظري

تمت العين في نفسه

وقال ابن المعتز : يحرك الدل في أنوابه غصنا

وقال ابن الرومي : متعات وجهك في بديتها

وقوله : مخففة مثقلة تراها

إذا الاغياب جدّ حسن شيء

ومثله قوله : لا شيء إلا وفيه أحسنه

فوائد العين منه طارقة

وقد أطرف أبو نواس في قوله :

إن اسم حسن لوجهها صفة

ولا أرى ذا غيرها اجتمعا

فهي إذا سميت فقد وصفت قد يجمع^(١) اللفظ معنيين معا
وقد بالغ ذو الرمة في قوله :

فيا لك من خد أسيل ومنطقٍ رخم ومن خلقٍ تعلل جادبه
إلا أنه ذكر خلقها أجمع ، والجادب : العائب ، هو يقول ان الذي يصيها لا يجد
عيّاً فهو يتعلل . وهو في خبر حسن : أخبرنا به أبو أحمد عن العباسي عن
المبرد حدثنا عمر بن شبة^(٢) حدثني اسحق بن ابراهيم الموصلي حدثني أبو صالح
الفزاري قال ذكر ذو الرمة في مجلس فيه عدة من الاعراب فقال عصمة بن مالك
- شيخ منهم كان قد بلغ مائة وعشرين سنة - إياي فاسألوا عنه كان من أطرف بني
آدم خفيف العارضين حسن الضحك حلو المنطق وكان اذا أنشد بربر وحبس صوته
فاذا راجعك لم تسأم حديثه وكلامه ، وكان له أخوة يقولون الشعر : منهم مسعود
وحرفاس وهو أوفى وهشام كانوا يقولون القصيدة فيزيدون فيها الأبيات فيغلب عليها ،
فجمعني وإياهم مربع فأتاني يوماً وقال لي يا عصمة إن ميا منقرية وبنو منقر أخبث حي وأقوفه
لا أثر وأبصره في نظر فهل عندك من ناقة تزدار عليها ميا قلت اى والله إن عندى
للجوذر قال على بها فركبناها جميعاً وخرجنا حتى نشرف على ميوت الحى فاذا هم خلوف
وإذا بيت مية خلوف عرف النساء ذا الرمة فقمى إلى بيت ميا وجئن حتى
أتحننا وسلمنا وقعدنا نتحدث واذا ميا جارية المود؟ واردة الشعر صفراء فيها عسر
واذا عليها صب أصفر وكان أخضر فتحدثن ملياً ثم قلن له أنشدنا يا ذا الرمة فقال
أنشدن يا عصمة فأنشدن قوله :

نظرتُ الى أظمانٍ ميا كأنها ذرى النخل أوائل^(٣) تميل ذوائبه
فأوشكت العيتان^(٤) والصدركاتم بمغر ورقٍ نمت عليه سواكبه

(١) في ديوان أبي نواس (ويجمع اللفظ). (٢) في الاصل (شبة) وكذلك في بعض

الفاظ الخبر تصحيف صححنا أكثره من مصارع العشاق والامالي وغيرها .

(٣) في ديوان ذى الرمة المخطوط «مولية ميس تميل ذوائبه» . (٤) في ديوان

بكى وامق ^(١) جاء الفراق ولم تجل جوائلها أسرارها ومعاتبه
 فقالت ظريفة منهن لكن الآن فليجل فنظرت اليهامي ، ثم مضيت في القصيدة الى قوله :
 اذا سرحت من حب مي سوارح عن القلب اتمه جميعاً عوازيه
 فقالت الظريفة قتله قتلك الله فقالت مي ما أصحه وهينأله فتنفس ذوارمة تنفسه
 كدحرها يطير شعر وجهه ، ومضيت حتى انتهيت الى قوله :

وقد حلفت بالله مية ما الذي أقول بها إلا الذي أنا كاذبه
 اذا فرماني الله من حيث لا أرى ولا زال في أرضي عدو أطاربه
 فقالت الظريفة قتله قتلك الله فقالت مي خف عواقب الله يا غيلان ، ثم مضيت
 حتى انتهيت الى قوله :

اذا راجعتك ^(٢) القول مية أوبدا لك الوجه منها ونضا الدرع سالبه
 فبالك من خدر أسيل ومنطق رخم ومن خلق ^(٣) تعلل جادبه
 فقالت الظريفة للنساء ان لهن لشدن لشأنا فقم بنا فقم وقمت معهن فجلست في
 بيت أراها منه فسمعتها قالت له كذبت والله وما أدري ما قال لها وما كذبه ، فلبث
 قليلاً ثم جاءني ومعه قارورة فيها دهن وقلائد فقال طيب أتحمتنا به مي وهذه قلائد
 للجوذر ولا والله لا أقبلهن بغيراً وشدهن بذوابة سيفه ثم انصرفنا فكان يختلف
 اليها حتى تقضى الرمي ودعا الناس الصيف فأثاني فقال باعصمة قدرحت مي ولم
 يبق إلا آثار والنظر الى الديار فاذهب بنا ننظر في ديارها ونقفوا آثارها فخر جناحني
 أتينا منزلها فوقف ينظر ثم قال :

أفاسلمي يا دارمي على البلى ولا زال منها لا يجرعائك القطر

قال عصمة فما ملك عينيه فقلت مه فأتبه وقال إني لجلد وإن كان مني ما ترى .

ذی الرمة « فأبدیت من عینی » وفي المصارع والامالی (فأسبلت العینان والقلب

کاتم) . (١) في ديوان ذی الرمة (هوی الف جاء الفراق ولم تجل) .

(٢) في الديوان والمصارع (إذا نازعتك) . (٣) في الامالی « ومن وجه » .

قال فمارأيت أحداً كن أشد منه صباية ولا أحسن عزاءً وصبراً ثم انصرفنا وتفرقنا

وكن آخر العهد به . ومن بديع ما قيل في حسن الوجه قول الصوري :

الم قلبي ناره وما شعر دبت إليه عقراب وقت السحر

دبت إلى غلى بسبيح حور ليس نوطي نوازي وانتشر

فظفرت لاطفرت أي ظفر وهكذا العقراب للقمر

أحسن ما قيل في العيون : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي

قال قال أبو عمرو ولا أصحابه : ما أحسن ما قيل في العيون ؟ قل بعضهم قول جرير :

إن العيون التي في طرفي حور قتلنا ثم لم نجيب قتلنا

بصر عن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركاناً

وقال آخر قول ذي الرمة :

وعينان قال الله كونا فكاتنا فمولان بالاباب ما تفعل الخمر

وقال آخر بل قوله :

يذكرني ميا من الظبي عينه مراراً وفاها الاقحوان المنور

(مراراً) حشوا لا يحتاج إليه ، فقال أبو عمرو أحسن من هذا كله قول عدي بن الرقاع^(١) :

وكأنها بين النساء أطارها عينه أحور من جاذر جاسم

وسنان أقصده الناس فرقت في عينه سنة وليس بناسم

أخذ بعض المحدثين قول جرير . وهن أضعف خلق الله أركاناً . فقال :

كأنما ازدادت قوى أجانها ضعفاً تقوين على ضعف القوى

ومثله أيضاً قول النابغة :

لا شيء أعجب في جفنيه أنهما لا يضعفان القوى إلا إذا ضعفا

وقد أحسن ذو الرمة في قوله :

(١) الرقاع هو جد جده وعرف بالنسبة إليه لشهرته ، كان شاعراً مقدماً عند بني

أمية مداحاً لهم خاصة بالوليد بن عبد الملك ، بعد في الطبقة الثالثة من شعراء الاسلام .

إذا عرضت بالرمل أو ماء عوهج لنا قلت هذا عينٌ ميّ وجيدها

ومن التشيل القليل النظير قول ابن المعتز :

ويجرحُ أحشائي بعينٍ مريضة كما لأن متنبُ السيف والحدُّ قاطع

ومن أحسن ما قيل في النظر قول ابن الرومي :

نظرتُ فأفصدت الفتوادَ بسهمها ثم اثنيتُ عنه فسكادَ بهم

ويلاه إن نظرتُ وإن هي أعرضت وقعُ السهام ونزعهم أليم

ومن البديع النادر القريب في ذلك قول بعضهم :

جعل الفتور بعينه كعلا فحفوته وحسن بها المسرة ؟

وقول الآخر :

ينظرون من خلل السجوفِ كأنما يمحطون أحشاءَ الكريم نبالا

ومن أظرف ما سمعناه في هذا المعنى قول محمد بن أبي الموج :

لله ما صنعتُ بنا تلك المهاجرُ في المهاجر

أمضى وأثمد في القلوب بمن الخناجر في الخناجر^(١)

وقلت : فأرعى تحت حاشية الدياجي شقائق وجنة سقيت مداها

إذا اكترت لواحظٌ مقتلتي حسبت قلوبنا مطرت سهامها

وإن مالت بعطفه شمولى سقانا من شمائله سقاما

(١) دخل أعرابي على ثعلب الراوية فقال أنت الذي تزعم الناس أنك أروى

لشعر العرب ؟ قال كذا يزعمون ، قال أنشدني أغزل بيت قيل في العيون فأنشده

بيت جرير * أن العيون التي في طرفها حور * فقال لا هذا شعر غث قد لا كنه السفلة

بألسنتها هات غيره ، فقال ثعلب أفدنا فقال الأعرابي :

نبارزُ أبطالَ الوغى فنيدها ويقتلنا في السن لحظ السكواب

وليست سيوفُ الهند تفتي نفوسنا ولكن سهامٌ فوقت بالحواجب

فحين ثعلب استحساناً لها وقال اكتبوها ولو بالخناجر على الخناجر - كما في هامش الأصل .

وقال ابن الرومي :

تقسمها نصفان نصف مؤث^١ ونصف كخوط الخيزران مذكر^٢
تعبد من شاءت^٣ بين كأنها
وقلت : راحت^٤ تميس^٥ وحولها خرد^٦
فلأت^٧ طرف من محاسنها
عين لعل السيف لحظها
وقال ابن المعتز :

كم ليلة عانت^٨ فيها يده حتى الصباح موصداً كفيه
فسكرت^٩ لا أدري أمن سكر الهوى أم كأسه^(١) أم فيه أم عينيه
وغدا قم^{١٠} عليه عهد^{١١} مه ؟ أثر من التقييل في شفثيه
وسقام عين لم تنق طعم الكرى يدمر الموائد في الصباح اليه
وقلت : إذا ما جاءني للأخذ^{١٢} غنى تشاغل طرفه بالأخذ مني
وقال البحتري :

أجد النار تستار^{١٣} من النا رويفشا من سقم عينيك سقي
وقلت : يسعى^{١٤} الى^{١٥} مقرطق^{١٦} في كفه كأس^{١٧} وبين جفونه كاسان
وقد أطرف البحتري في قوله :

والذي صير الملاحه في عي^{١٨}ـنيه وقتاً والسحر في أجفانه
لا أظمت^{١٩} العذول فيه وإن أسبـرف في ظله وفي عدوانه
فدعا^{٢٠} الوم في التصابي فاني لا أرى في السلو^{٢١} ما تريانه
وقلت : ومقلة كحميا الكأس مسكرة وحاجب كلال الشهر مقرون
وقلت أيضاً :

ونسيت^{٢٢} في ليل^{٢٣} شيه^{٢٤} بزرعا شيباً بينيها وشكلاً بخدّها

(١) في نسخة « كنه » مكان (كأسه) :

فتسكرو من عين وكأس ووجنة تحيك أعتاب الكؤوس بوردها
 وقالوا أجود ما قيل في الثغر من شعر المتقدمين قول جرير :
 تجرى السواك على أغر كأنه بردٌ تحدر من ممتون غمام
 وقالوا بيت النابغة :

تجلو بقادمتي حمامة أيكه برداً أسف لثاته بالأمس
 كالأقحوان غداة غب ممائه جفت أعالیه وأسفلهُ ندى
 شبه الشفتين لرقتهما بقادمتي حمامة . وقالوا بيت بشر بن أبي خازم :
 يُفْلَجِن الشفاء عن أقحوان^(١) جلاه غب سارية^(٢) قطار
 ومن أحسن ما جاء في ذلك قول البحتري :

ولما التقينا والتقى موعده لنا تبين رامي الدر منا ولاقطه
 فن برد تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه
 وهذا أحسن من قول الأول ومنه أخذ البحتري :

إذا هن ساقطن الأحاديث بالضحى سقاط حمى المرجان من كف ناظم
 ومن أحسن ما قيل في بياض الثغر قول البحتري أيضاً :
 ويرجع الليل مبيضاً إذا ضحكت عن أبيض خضل السمطين وضاح
 فجعله يجلو الظلام لبياضه ، وذكر كثرة الريق فقال خضل لأن قلة الريق
 تورث تغير الفم ، وذكر حسن تنضيد الثغر فجعله ممطين . فلا يرى في هذا المعنى
 أجمع من هذا البيت . وقد أحسن ابن طباطبا :

قره عند سرده كالغاب الزرد
 مثل در منظم بين در منضد^(٣)

وقد أحسن البحتري وأبلغ في قوله :

(١) في الأصل «عن الخوان» والتصحيح من «منتهى الطالب من أشعار العرب» .

(٢) في الأصل (سائرة) . (٣) (منضد) غير موجودة في الأصل .

وأرتنا خدّاً يراح له الور دُ ويشتمه جنى التفاح
 وشبتنا يفضُّ من لؤلؤ النظم ويُرزي على شبت الاقاحي
 فأضاءت تحت الدُّجّة للشر ب وكادت تضيءُ للمصباح
 وأشارت إلى القناء بالحا ظِ مرض من التصابي صحاح
 فطربنا لمن قبل الثاني وسكرنا منهم قبل الراح
 وتدير^(١) الجفون من عدم الألسباب مالا يدور في الأقداح
 وقلت : مخضبة الأطراف تحسب أنها أساريع في أفواههن عقيق
 دها في منها ترجس يرشق الحشا وهل ترجس بالرجال رشوق
 ومبتسم عذب المذاقة موق تجمع فيه لؤلؤ ورحيق
 وقلت لبعض البغداديين ما أحسن ما قيل في طيب النكهة والريق وحسن
 الثمر ؟ فقال قول ابن الرومي :

وقيل أفواهاً عذاباً كأنها ينابيعُ خر خضبت لؤلؤ البحر
 فقلت إلا أن قوله (لؤلؤ البحر) فضل لا يحتاج إليه لأن اللؤلؤ لا يكون إلا في
 البحر ولو كان في غير البحر لؤلؤ فليس لنسبته إليه فائدة .

وقد أحسن ابن الرومي في وصف طيب النكهة فقال :
 وما أعتريها آفةٌ بشرية من النوم إلا أنها تتخرُّ
 كذلك أنفاسُ الرياض بسحرة تطيبُ وأنفاسُ الأنام تغيرُ
 هذا التمثيل مليح جداً . وأجود ما قيل في الريق أيضاً قوله :
 يارب ريق بات بدر الدحي يمجُّه بين ثناياكا
 يروي ولا ينهاك عن شربه والماء يرويك وينهاكا
 ولا أعرف لهذا البيت نظيراً في معناه . وقد سبق ابن الرومي إلى قوله :
 سقته ابنة العمرى من خر عينها ووجتها كأماً يميت ويدف

(١) في ديوان البحترى (قد تدير) .

فقال امزجها بالرشاب لعله يسكن من خمر الهوى ويخفف
فصدت ملياً ثم جادت بريقة يزيد بها سكر الحب ويضعف
فراح بضعفى سكره من مزاجها وقد يسأل العدل الولاة فيسعف
فهل من مزاج زاد فى سكر شارب سوى ريق ذات الخال أم أنت تعرف
وقال : مزجت خمره عينها بريقها كما تسكف عفى من حياها
فاشتد إسكارها إياى إذ مزجت ومزجك الكأس ينهى عنك طفياها
وأخبرنا أبو أحمد عن يحيى عن الرياشى قال قال الأصمى أحسن ما قيل
في الشعر قول ذى الرمة :

وتجلو بفرع من أراك كأنه من العنبر الهندى والمسك ينفح
خرى أقحوان واجه الليل وارتقى إليه الندى غاديه والمروح
وقد أحسن ديك الجن في قوله :

وقهوة كوكبها يزهر بفتح منها المسك والعنبر
وردية محددا ؟ كأنها من خدء تنصر

مهتف لم ينسم ضاحكا مذ كان إلا كنيذ الجوهر ؟
وقد جمع كشاجم فأحسن في قوله :

البدر لا يفتيك عنها إذا غابت وتفتيك عن البدر
في فمها مسك ومشولة صرف ومنظوم من الدر
فالمسك للنكهة والخر للريقة واللؤلؤ للشعر

جمع ثم قسم تقسيما صحيحاً ولم يترك مزيداً . ومن البارع المشهور في هذا المعنى
قول الصنوبرى :

تلك الثنايا من عقدها نظمت أم نظم العقد من ثناياها
وقال غيره وأحسن التقسيم :

وثنايا وريقة كغدير وعقار وروضة من أقاح

قال ابن المعتز : شرب عذب مشارعه
 وقال : قلت للكأس وهو بكرع منها
 وقال : ياسر إن أنكرتني فلكم
 بأبي حبيب كنت أعهد
 عبق الكلام بمسكة نفحت
 من فيه ترضى من يعاتبه
 وقد أحسن أبو تمام في قوله :

تعطيك منطقها فتعلم أنه
 وهو من قول بشار :
 يا أطيّب الناس ريقاً غير مختبر
 وإلا شهادة أطراف المساويك
 وقول بشار من قول قيس :

كأنّ على أثوابها الحمر
 وما ذقتّه إلا بعيني تفرّساً
 ومثله قول الآخر : وتبسم عن ألى اللثام مفلج
 وقال ابن الرومي :

بدا لي وميض مؤذن أنّ صوبه
 وما ذقتّه إلا لشم ابتسامها
 وقال عمار بن عقيل (١) :

كأنّ على أنيابها مبيت الكرى
 تأمل عين لا تقيل إذا ارتأت
 وقال آخر وأحسن : بأبي فم شهد المحبه
 كشهادة لله خالصة
 وقلت في معنى الأول : أقول للملاح من خدوه
 والليل يرخى الفضل من ستره

(١) شاعر مقدم فصيح ، كان يسكن بادية البصرة ، والنحويون فيها يأخذون عنه اللغة.

أبدره أحسن من وجهه أم وجهه أحسن من بدره
 قد مالت الرقة في شطره ومالت الغلظة في شطره
 فأزره غصت بأردافه ووشحه جالت على خصره
 أصبحت لأدري وإن لم يكن في الأرض شيء أنا لم أدريه
 أشمره أحسن من وجهه أم وجهه أحسن من شعره
 ودره يؤخذ من لفظه أم لفظه يؤخذ من دره
 وثقره ينظم من عقده أم عقده ينظم من ثقره
 فمن عذير الصب من صدده ومن يجير القلب من هجره
 ياليت يعرف حبي له عساه يحزني على قدره

أحسن ما قيل في حديث النساء قول القطامي :

فهن يبنذن من قول يصبين به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى
 وقد أحسن القائل :

هي الدُّرُّ منشوراً إذا ما تكلمت وكلاذُرٌ منظوماً إذا لم تكلم
 تعبّدُ أحرار القلوب بذُها وتملأ عين الناظر المتوسم
 وقد أحسن ابن المعتز غاية الاحسان في قوله :

لعمرك ما أجدى هواك سوى المني على وما ألقاك إلا كما أخلو
 ثم قال : وشر أحاديث عذاب لوانها جنى النحل لم يمجج حلاوتها النحل
 الناس كلهم شبهوا حلاوة الحديث بحلاوة العسل وزاد ابن المعتز هذه الزيادة فأحسن.
 وعندى أن أحسن ما قيل في وصف حديثهن قول بعض المحدثين وهو ابن الرومي :
 وحديثها السحر الحلال لوانه لم يجن قتل المسلم^(١) المتحرز
 أن طال لم يملل وإن هي أوجزت ودَّ المحدث أنها لم توز
 شرك القلوب وفنة^(٢) ما مثلها للمطمئن وعقلة المستوفز

(١) في من غاب عنه المطرب (الماشق) . (٢) في الأملالي (ونهرة)

ومن جيد ما قيل في الحديث ومشهوره قول ابن الرومي :

ولقد سئمت مآربي فكان أظيها خبيث
إلا الحديث فانه مثل اسمه أبداً حديث

وقلت: وحديث كأنه عقد ربا بيت أرويه للرجال وتروى

وحديث الرجال روضة أنس بات برطاء أهل نبل ومسرو

ومن جيد ما قيل في الحياء ما أخبرني به عم أبي قال قال أبو العباس الفضل

ابن محمد اليزيدي قال قال الهيثم قال لنا صالح بن حسان يوماً هل تعرفون بيتاً

شريعاً في امرأة خفرة ؟ قلنا نعم بيت حاتم إذ يقول :

بضئ بها البيت القليل خصاصه إذا هي ليلاً حاولت أن تبسما

قال لم يصف شيئاً ؛ قلنا فبيت الأعمش :

كان مشيتها من بيت جاريتها مر السحابة لاريت ولا عجل

قال قد جعلها خرجت وهذا ضد الخفرة ؛ قلنا فهات ما عندك قال قول أبي

قيس بن الأسلت^(١) :

ويكرمها جاراتها فيزورها وتعل عن إتيانها فتعثر

أجود ما قيل في العناق قول بكر بن خازمة^(٢) :

أني رأيتك في نوم تعانقني كما تعانق لأم الكاتب الألفا

وهذا من المقلوب لأن الألف تعانق اللام ، ويجوز أن يحتاج له بأن يقال

الألف لاتعانق اللام إلا واللام معانقة لها . ومن أطرف ما قيل في ذلك قول ابن المعتز :

كأنني عانقت ريحانة تنفست في ليها البارد

قلو ترانا في قميص الدجى حسبنا من جيد واحد

وقلت في نحو ذلك :

(١) من شعراء الجاهلية ، كانت الأوس قد أسندت إليه حربها وجعلته رئيساً

عليها فساد . (٢) كان وراقاً ضيق العيش ، طيب الشعر مطبوعاً .

ونحن نظم في الهوى واحد^١ كأننا عتدنا في نحر
وقال التنوخي :

لله أيام^٢ مَضِينَ قِطَاعِهَا وطوالها بالقاصراتِ قِصَارُ
أَخْلَوِ النَّهَارَ عَلَى النَّهَارِ وَانْثَى وَالشَّمْسُ لِي دُونَ الشَّعَارِ شَعَارُ
خَدَاهُ^٣ وَرَدَّ^٤ وَالنَّوَاطِرُ نَجَسُ^٥ وَالْثَرَمُوسُنُ وَالرَّضَابُ عِقَارُ
حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ أَقْبَلَ ضَمْنَا كُؤْنَ الْإِزَارِ مِنَ الْعِثَاقِ إِزَارُ
فَعَلَى النُّحُورِ مِنَ النُّحُورِ قِلَادَةٌ وَعَلَى الْخُدُودِ مِنَ الْخُدُودِ خَارُ
وقد أحسن وطرف إلا أنه أخذ قوله «من العتاق إزار» من قول ابن الرومي :

طالما التفت إلى الصبح لنا ساق^٦ بساق

في قناع من^٧ لثام وإزار من^٨ عناق

وأنشد أبو أحمد من الصولي عن أحمد بن سعيد لابن عبيد كأنه الكاتب :

وكلانا مُرْتَدٍ صَاحِبُهُ كَرْتَدَاهِ السِّيفُ فِي يَوْمِ الْوَفَى

بِخُدُودِ شَافِيَاتٍ مِنْ جَوَى وَشَفَاهِ مُرَوِّياتٍ مِنْ ظِلْمَا

نَتَسَاقَى الرِّبْقَ فَيَا بَيْنَنَا زَا أَمَاتِ الْقَطَا زَغَبَ الْقَطَا

أحسن ما قيل في الشعور من الشعر القديم قول الأعشى :

فَأَنْضَيْتُ مِنْهَا إِلَى جَنْبِي تَدَلَّتْ عَلَى عُنَاقِيْدُهَا

ليس لأشعار المتقدمين نظير ، وكان بشار يتمعجب من حسنه ويقدمه على جميع

ما قيل في الشعر . وقد أحسن القائل :

بِيضَاءُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامِ فُرْعَاهَا وَتَغِيْبُ فِيهِ وَهُوَ جِثْلُ^(١) أَسْحَمِ

وَكَأَنَّهَا فِيهِ نَهَارٌ سَاطِعٌ وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلَمِ

أخذه بعضهم فقال وأحسن :

(١) في الأصل غير منقوطة والتصحيح من (من غاب عنه المطرب)

وفي الامالي «وحف أسحم» .

نشرت على ذوائباً من شعرها حذر الكواشح والمدمر المحنق
فكأننى وكأنها وكأنه صبحان باتا تحت ليل مطبق
وقد أحسن السرى القول في سواد الشعر مع أوصاف آخر وهو قوله :

مصقولة بسنى الصباح وجوهاً^(١) مصبوغة بدجى الظلام طرارها
أغصان بان أبدعت^(٢) في حملها ففرائب الورد الجنى ثمارها
طالت ليالى الحب بعد فراقها وأحبهن إلى الحب قصارها
ولرب ليليات بهن تفرجت أسدانها وتأرجت أسعارها
ما كان ذاك العيش إلا سكرة رحلت لتأذنها وحل خمارها
وقال ديك الجن :

أنظر إلى شمس القصور وبدورها وإلى خزامها^(٣) وبهجة زهرها
لم تبسل عينك أيضاً في أسود جمع الجمال كوجهها في شعرها
وقال أبو تمام :

بيضاء تسحب شعرها من وجهها في حسنه أو وجهها من شعرها
وقال أبو نواس :

وسالت من عقيصتها سلاسل كسرت حلقاتها
وقال آخر : سيقرب منك الردى عنوة إذا مائت عنك أحماله
فهل أنت باك على اثره وهل تشجينك أطلاله
سيكثر من بعد ترحاله توجع صبر وإعواله
بنفسى الذى قلته وشعه وضاق بما فيه خلخاله
يريك الخنادس إدباره ويبدى لك الصبح أقباله
مليح الدلال قليل النوال جميل وان قل أجماله
وقلت : رخيتم قاتر اللحظ رشيق مخطف الخصر

(١) في ديوان السرى (جياها). (٢) في الديوان (أغربت). (٣) في الاصل (حدامها).

وقد مُعِمَّ بالليل وقد قنم بالفجر
وما ينفق حسنك يا أحسن من بدر
إذا كان نصبي منك طول البين والهجر
وقال كشاجم :

بالله يامتفرداً في حسنه ^(١) ومقلتا هروت بين محاجره
ومحكما أردافه في خصره ومصافحاً خلخاله بضفاثره
وبكاتم الأسرار حتى إنه ليصونها من أن تتمر بخاطره
لا تمصين على قتي يرضى بما أوليته ولو انتقلت بناظره
أخذ قوله * ومصافحاً خلخاله بضفاثره * من قول أبي نواس :

باتوا وفيهم شمس دجن بنعل أقدامها القرون
تعوم أعجازهن عوماً وتثنى فوقها المتون
غريب شكل بديع حسن أفرد ^(٢) المثل والقرين
بانوا بروحي فصرت ^(٣) وقفاً لابي حراك ولا مسكون

وقال نصر بن أحمد :

سلسل الشعر فوق وجهها كي ظلمة الليل فوق ضوء الصباح
وقال السري :

قصرت ليلة الخورنق حسناً والليالي الطوال فيه قصار
إذ وجوه الأنام فيه رياض ومياه السرور فيه غمار
وجنات تحير الورد فيها وتغور جرت عليها العقار
فضحاء من التوائب ليل ودجاء من الخلود نهار
وقال : ومالت غصون طوقتها مناطق ولاحت شمس توجتها خنادس

(١) في ديوان كشاجم (بالله يامتفرداً بجماله) . (٢) في ديوان أبي نواس

(أعوزه المثل والقرين) . (٣) في الديوان (فصرت شخصاً)

وقلت : وذى غنج يأوى إلى فرعه الدُّحى
 ففيه ظلام بالصباح معمم
 يروق سليبي منك جمل سلسل
 وفرعك من صبح الشباب ممسك
 ووجهك مثل الروض بنفسه الحيا
 أبلغ ما قيل في صفة الاصداع والعدار : فمن بديع ما قيل في الصدغ قول ابن المعتز :
 له ظمرة كجناح الغداف
 وفي عطفة الصدغ خال له
 وقوله : وكان عقرب صدغه وقفت
 وقوله : غلالة خدّه وردّ جنّي
 وقلت : وكان دارة صدغه وعذاره
 وقال ديك الجن :
 فقام مختلفاً كالبدور مطلقاً
 رقت غلالة خديه فلو رميا
 كأنّ لاما أديرت فوق وجنته
 وقلت : إذا التوى الصدغ فوق وجنته
 وقلت : الغيم بين ممسك ومكفر
 فإذا شربت فمن رحيق سلسل
 من ربق أهيف كالقضب مخضرا
 فإذا جلالك غرة في طرة
 فانظر عناق ممسك لمكفر
 وإذا تمنق خدّه وعذاره
 وقال آخر : عجي لخضرة زعفران عذاره
 واخشف عكفتا الغصن منقطعا
 باللحظ أو ماها بأن يكفا
 واخطّ كاتبها من تحتها ألفا
 رأيت تفاحة بها عضه
 والروض بين مجدد ومدبج
 وإذا رشفت فمن شتيت أفلج
 أو كفّ أبلج كالصباح الأبلج
 ألوى بقلبك أبلج في أدعج
 يجلوه حسن مفلج ومضرج
 فانظر عناق عقائق ودهن مسج
 ومن العجائب زعفران أخضر

وقال ابن المعتز :

من كفَّ ريم تقي مناطه على هضم الكشحين مشوق
بعطيك ماشاء من معانة مقفلة من وراء معشوق
مسطر الخد بالمدار ولا يحسن غصن الا بتوريق
وقلت : له وجتنا ورْد وعينا غزالة وغرة اصباح وطرة غيب
وصدغ يناجي الاذن وهو مقرب وطورا يناغي الخد غير مقرب
له من ظلام الليل احسن ملبس وفوق ضياء الصبح احسن ملعب

وقال الصنوبري :

تلك طرار عليك أم حلق زانك صدغان أم هما زرد
وقلت : يفتن القلب بخد لم يدع للورد قدرا
مثلا تكتب بالمسك على الكافور مطرا
وعذار يسحر الصب وما يعرف سحرا
وبصدغ دار في الخد كما تعقد عشرا
كلما أظلم (ليلي) ^(١) كان (لي) وجهك فجرا

وقال ابن المعتز :

لعمرك ما أزررت يوسف حية ولكنه قد زاد حسنا وأضعفا
فلا تعتذر من حبه في التحائه فما يحسن الدينار إلا مسيفا
وقال في خضرة الشارب :

تبسم إذ ما زحته فكأما تكشف عن در حجاب زبرجد ^(٢)
وقال بعض المتأخرين وأحسن :
ومندرين كأن نبت خدودهم أقلام مسك تستمد خلوقا
قرفوا البنفسج بالشقيق ونظموها تحت الزبرجد لؤلؤا وعقبها

(١) ما بين القوسين غير موجود في الأصل . (٢) في ديوان ابن المعتز (زمرد) .

وقلت : وعما فقت خلف من صدغ خلفنا كالعين في العين وكالجيم في الجيم ؟

وقلت وليس من هذا الباب :

كأعمى النور مضحك يقق وعطفة الغصن شارب خضر

وقلت : وترى النور مثل مضحك خرد وترى الغصن مثل شارب أمرد

ولعبد الرحمن السيلي رجل من أهل خراسان :

وشادن سائقات الشعر قد سلكت في عارضيه على جهيد بها طرقا

هذا البيت متكلف جداً :

لما رأت أنها قد أخطأت وجئت ولت تعود فدارت كلها حلقا

وهو مأخوذ من قول كشاجم :

علم الشعر الذي عاجله أنه جار عليه فوقف

فقال هذا (وقف) وقال عبد الرحمن (دارت حلقا) الفرق بينهما هذا .

وقلت : لا والذي دار من صدغيك وانعطفنا وصار نوفاً إذا صيرته ألفا

ما كنت إذ خنتني إلا أخا قبة لم تستعض منه إذ ضيعته خلفا

لم أسبق لمعنى البيت الأول . وقلت :

قد التوى ضدغه واختط عارضه كأنه ألف من فوقه نون

وقلت أيضاً ولم أسبق إلى معناه :

ومفزع قال الكمال لوجهه كن مجماً للطيبات فكانه

زعم البنفسج أنه كذا ربه حسناً فسلوا من قناه لسانه

أعنى الهنة النابتة تحت ورقة البنفسج : وقلت :

بنفسج عارضه ينتى إلى حمرة من وجنتيه

فيجمل قلبي في كفه يبيء إليه ويمدو عليه

وقال ابن المعتز :

والصدغ فوق العذار منكسر كصولجارت يرد ضربته

وقال • وصدغه كالصولجان المنكسر •

أجود ما قيل في حسن القد ورقة الخصر وكبر المعجزة : أخبرنا أبو أحمد
أخبرنا أبي عن عسل بن ذكوان ، وأخبرنا به أبو علي بن أبي حفص عن جعفر
ابن محمد العسكري عن بعض رجاله قال قال أبو عمرو بن العلاء لأصحابه أنشدوني
أحسن ما قيل في حسن القد وعظم المعجزة فأنشده بعضهم قول علقمة :
صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكة^(١) كأنها رشا في البيت ملازم
قال لم تأت بشيء ، فأنشدت ذى الرمة :

ترى خلفها نصفاً قناة قويمه ونصفاً تقا يرتج أو يتمرر
وأنشد بيت الأعشى :

صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكة^(٢) إذا عشت يكاد الخصر ينحول^(٣)
وأنشدت ذى الرمة :

عجاء ممكورة خصانة قلق^(٤) عنها الوشاح وتم الجسم والقصب^(٥)
فقال أحسن من هذا كله قول الخارث :

غرثان ممط وشاحها قلق شبعان من أردافها المرط

قال أبو هلال أخذه عبد الله بن عبد الله بن طاهر فقال :

سلى وتسلى تفوق المتى ؟ والوصف أنواعاً وألواناً

وشاحها يحسد خلخالها كجائع يحسد شبعاناً

نقله إلى وصف السلو ، وأخذه ابن المعتز بلفظه ومعناه فقال :

وظباء غرائر مشبعات المآزر

ومن البديع قول أبي نواس :

وربان من ماء الشباب كأنه يظلم من ضمير الحشا ويجاع

(١) في ديوان علقمة (خربة) - (٢) في ديوان الأعشى (يتخزل) .

(٣) قلق وشاحها لضمور بطنها : والقصب : المظام التي بها المنخ .

أخذه الآخر فقال :

ظليَّ كأنَّ بخصره من ضربه ظمأ وجوعا
وقلت : وقد عصن أوطانا كشمايت كافور
وقد شددت زناييراً على مثل الزنابير

وقد أحسن ابن المعتز حيث يقول :

وتحت زنايير شددن عقودها زنايير عكان معاقدتها السرر
وقال مؤمل وأفرط :

من رأى مثلاً رجبتى تشبه البندر إذ بدا
تدخل اليوم ثم تدخل أردافها غدا
وأنشد أبو أحمد قال أنشدني أبو بكر بن دريد ^(١) :

قد قلت لما مرَّ بخطو ماشياً ^(٢) والرِّدفُ يجذبُ خصره من خلفه
يا من يُسلمُ خصره من ردفه سلم فؤاد محبه من طرفه
وقد أحسن القائل في وصف لين القوام والسرغ :

ممن له حسن الرجح وطيه ومزاج شارب ومشي نريمه
وقلت : لا والظباء الآتسات إذ ارنت فاقن حسن عيونهن فتونا
ان لحن لحن كواكباً أو نحن نحسن لعلماً أو ملن ملن غصونا
وبدرن من مقل اليك فواتر يكسين قلبك بالفتور فتونا
ماخنت عهد هوى عليك وقفته وأخو المروءة لا يكون خؤونا
وقبل هذا مترجرج الارداف مضطمر الحشا لدن القوام يكاد يعقد لنا
داب النعيم له فائز صدره ثمراً إذا حلت الثمار حلينا

يقال حلا الشيء في الفم وحلى في القلب . وكتبت في فصل لي : والله يعلم أني
أخدمه بالضمير خدمة لو تصورت له لرآها الراي روضاً ممطوراً ووشياً منشوراً

(١) نسب البيتان في ذيل الأملى لخالد الكاتب . (٢) في الذيل (لما أن بدا متبخترا)

ولؤلؤاً منظوماً ومشوراً بل لا تبصر أعطاف الفتيان تتثنى تتنى الأغصان في قراطين
الحبيرة ومن دررات الدياج والحرير وقد اطلعت أزرارهم يواهر الآثار مطرفة
بمقارب الاصداغ وحلق الاطرار فأقبلوا يسفرون عن غرة الصباح ويسمون
عن حجاب الراح ويمزجون الدلال بنخجل أسأره فيهم الوصال فاذا حضروا وكلوا
الابصار وإذا غابوا استوهبوا القلوب والافكار فهم الداء والدواء ومنهم السقم والشفاء .
ومن الافراط في ذكر الليد وهو لين القامة قول ماني ^(١) :

أتمنى الذي إذا أنا أوماً ت إليه بطرف عيني تجني
أهيف كالقضيبي لو أن ريمًا حركت هذب ثوبه لتثني
وأجود ما قيل في النهود وعظم المجيزة قول الاعرابي : يضاء جمدة لا يمس
الثوب منها إلا مشاسنه كتفها وحلمى تديمها . أخذه الشاعر فقال أو أخذه الاعرابي
من الشاعر :

أبت الرِّوادفُ والشدى لقمصها مَسَّ البطون وان تمسَّ ظهورا
وإذا الرِّياحُ مع العشي تناوحت تبين حاسدةً وهجنَ غيورا
وقلت : تمشي بأردافِ أبين قعودها بين النساءِ كما أبين قيامها
وقال ابن المعتز في النهود :

يا عُصْنًا ان هزَّه مشيهُ خَشِيتُ أن يَسْقَطَ رُمَانُهُ
إرحم ملبكاً صارَ مستعبداً قد ذلَّ في حبك سلطانُهُ

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن العكلى عن ابن خالد عن الهيم
ابن عدي قال قد اعرابي إلى جانب دار إسماعيل بن علي بالكوفة فخرجت جارية
فطلق الاعرابي بنظر إليها فقال له رجل ما نظرك إلى شيء غيرك أقبل على شأنك
واصبر ، والجارية تسمع - فقال الاعرابي ربلات تصطلك وغصن يهتز وتدى بحرق
أهابه وتقول اصطبر ، فضحكت الجارية وقالت والله ما مدحتني أحد مثل ما مدحتني

(١) هو مان الموسوس الشاعر المصري المشهور .

به . فقال بأبي أنت وأمي أن الهوى يظهر جيد القول ويبدى المستتر الكامن وانك
لما بما يكنى عنه الربلات مجامع الفخمين ٦ . وقلت :

أيا ورداً على غصن . بكرَّ الحفظ يلقطه
ورماناً على قن يكادُ المشي يسقطه
آتى والبدر يحسدُ . وشمسُ الدُجن تنبسطه
وخوفُ الناس يقبضه . وحبُّ الوصل ييسطه
وأحسن ما قيل في الثدى :

قبيحٌ بمثلِكَ أن تهجرى . وأقبح من ذاك أن تهجرى
أقتلتى بثورِ الجفونِ . ورماتينِ على منبر
كحقين من لبِّ كافورٍ . برأسيهما نقطتا عنبر
والناس يستحسنون قول مسلم بن الوليد :

فأقسمت أنسى الداعيات إلى الصبا . وقد فاجأتها العينُ والستر واقع
فقطت بكفيها (١) ثمارَ نهورها . كأيدى الأسارى أقتلتها (٢) الجوامع
وهو حسن جداً ومثله قول النعمير :

أعيرُ كيفَ بحاجة . طلبت إلى صمِّ الصخور
لله دَرٌ عداكم . كيفَ اتسبنَ إلى الفرور
ولقد تبيتُ أنا ملي . تمجِنَ رمانَ الصدور
وقال علي بن الجهم :

شاخص في الصدر غضبان على . قيب البطن وطى العكن
يملاً الكفَّ ولا يفضله . وإذا أثنته لا ينثنى
وقد ظرف ابن الرومي في قوله :

صدرٌ فوقهنَّ حقائق حاج . وحلى زانه حسنُ انساق

(١) في ديوان الصريح « فنطت بأيديها » . (٢) في الأصل « أقتلتها » .

يقول القائلون إذا رأوها أهذا الحل من هذى الحقائق
أجود ما قيل في الخضاب بأنامل المرأة من قديم الشعر قول الأسودين يعفر :
يسعى بها ذوؤنومتين مقرطق^(١) قتأت أنامله فمن الفرصاد
فأخذ المحدثون ذلك وتصرفوا فيه فمن أحسن ذلك قول أبي نواس :
يا قمرآ أبصرت في مآتم يندب شجوا بين أتراب
بيكي فيلقى الدر من نرجس ويلطم الوردة بعناب
وقال ديك الجن :

ودعتها لفراق فاشتكت كبدي وشبكت يدها من لوعة يدي
وحذوت أعين الواشين وانصرقت تمض من غيظها العناب بالبرد
فكان أول عهد العين يوم قتأت بالدمع آخر عهد القلب بالجلد
ومن البديع في هذا المعنى قول الآخر :

قالوا الرّحيل فأسرعت أطرافها في خطها وقد اكتسبن خضابا
فاخضر موضع كنفها فكأنما غرست بأرض بنفسج عنابا
وقال النّاشيء وهو أحسن الواصفين لهذا المعنى :

من كف جارية كأنّ بنانها من فضة قد طرقت عنابا
وكانّ يمناها إذا نطقت به يلقي على يدها الشمال حسابا
وقال أيضاً : لناقينة ترنو بناظرتين بما في قلوب الناس عالمين
تخالّ تطاريف الخضاب بكفها فصوص عقيق فوق قضب لجين
وقال : متماشقان مكانان هواهما قد نام بينهما المتاب قطابا
يتناقلان اللحظة من جفنيهما فكأنما يتدارسان كتابا
وإذا هدّت عين الرّقيب تخالست كفاهما حلس السلام سلابا
بأنامل منه يلوح مدادها وأنامل منها كسين خضابا

(١) في الأصل «كأنما» وفي منتهى الطلب من أشعار العرب (مقرطق) .

فكأنما يجنى لها من كفه عنباً ونجيبه له عنباً
 يذكّر أثر المداد بأنامله وأثر الخضاب بأناملها. وقلت :
 انظر الى النقش من أطرافها البضة مثل البنفسج مشوراً على فضه
 أو خلتها أخذت أطراف جرمة فنضدته على جمارة غصه
 ومن غريب ما قيل في نظم حليهن قول النمر بن تولب :
 كعاب عليها لؤلؤ وزبرجد ونظم كأجوان الجراد مفصل
 قوله « كأجوان الجراد » غريب بديع لم يسبق إليه ولا أعرف أحداً أخذه منه .
 ومن البديع قول الدمشقي :

بدر بدا والشمس في كفه وأنجم الليل عليه رعات
 وهو من الليل ومن طرفه وشعره في ظلمات ثلاث
 أحسن ما قيل في صفة الدمع : إذا امتزج بالدم قول أبي الشيص :
 لهوت عن الأحران إذا سفر الضحى وفي كبدى من حرهن حريق
 مزجت دماً بالدمع حتى كأنما يذاب عليها لؤلؤ وعقيق
 وقول أبي تمام : نثرت فريد مدام لم تنظم والدمع يحمل بعض ثقل المنعم^(١)
 وصلت نجيماً بالدموع^(٢) فخذها في مثل حاشية الرداء المعلم
 وقال : أيت أراعى أنجم الليل بعدكم فيا ليت شعري هل نراعونها بعدى
 ودمع نثرت كدره وعقيقه كأنى حلت العقد من طرف العقد
 ومن أجود ما قيل في يياض الدمع على حرة الخدما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :
 لو كنت يوم الوداع حاضراً وهن يطفئن لوعة الوجد
 لم تر إلا الدموع جارية تسقط من مقلة على خد
 كأن تلك الدموع قطر ندى يقطر من نرجس على ورد
 ونحوه قول ابن الرومي :

(١) في ديوان أبي تمام (شجو المنعم) . (٢) في الديوان (وصلت دموعاً بالنجيم)

لَا دَنَا الْبَيْنُ وَرَّاحَ الدَّلُّ وَدَعْتَهَا وَدَمَعَهَا مُنْهَلٌ
 وَخَسَّدَهَا مِنْ قَطْرِهِ مُنْخَضِلٌ كَأَنَّهُ وَرَدٌ عَلَيْهِ طَلٌ
 وَمَنْ أَجْمَعَ بَيْتَ قَبِيلٍ قَوْلَ الْمُحَدِّثِينَ :
 فَأَسْلَبَ لَوْلَا مِنْ نَرْجِيٍّ وَسَقَتْ وَرَدًا وَعَضَّتْ عَلَى الْعَتَابِ بِالْإِرْدِ
 لَيْسَ لِهَذَا الْبَيْتِ تَنْظِيرٌ . وَقُلْتُ :
 يَبْكِي فَيَسْقِي الدَّمْعُ وَجَتَّهُ كَمَا يَسْقِي الطَّلُ وَرْدَةَ غَضِهِ ؟
 وَمَنْ الْمَشْهُورُ قَوْلَ بَعْضِهِمْ وَهُوَ حَسَنٌ :
 كَأَنَّ الدَّمْعَ عَلَى خَدِّهَا بَقِيَّةُ طَلٍّ عَلَى جِلْمَارِ
 وَنَحْوَهُ مَا أَنْشَدَنَاهُ أَبُو أَحْمَدَ فِي الْمَرْقِ :
 يَحْدَرُ مِنْ أَرْجَاءِ صُورَةٍ وَجْهَهُ مِنْ الْفَمِ سَحَابُ الْجَبِينِ وَفِي الْخَدِّ
 فَرَادَى وَمَثْنَى يَسْتَبِينُ كَأَنَّهُ سَقِطٌ نَدَى وَفِي عَلَى وَرَقِ الْوَرْدِ
 وَمِثْلُهُ مَا قُلْتُ :
 أَخْرَجَهُ الْحَمَامُ كَالْفَضَى يَحْسُدُ مِنْهُ بَعْضُهُ بَعْضَهُ
 كَأَنَّمَا الْمَاءُ عَلَى جَسَدِهِ طَلٌّ عَلَى مَسْوُونَةٍ غَضَهُ
 وَفِي صِفَةِ الدَّمْعِ :
 تَوْرِيدُ دَمْعِي مِنْ خَدِّكَ مُخْتَلِسٌ وَسَقَمُ جَسَدِي مِنْ عَيْنِكَ مُسْتَرْقٍ
 لَمْ يَبْقَ لِي رَمَقٌ أَشْكُو هَوَاكَ بِهِ وَإِنَّمَا يَنْشَكِي مِنْ بِهِ رَمَقٌ
 وَأَبْلَغُ مَا قَبِلَ فِي امْتِلَاءِ الْعَيْنِ مِنَ الدَّمْعِ قَوْلُ بَعْضِ الْأَعْرَابِ أَظْلَنَهُ :
 فَظَلْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زَجَاجَةٍ إِلَى النَّارِ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظَرُ
 وَقَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ فِي مَعْنَاهُ :
 وَيَحْسَنُ دَلُّهَا وَالْمَوْتُ فِيهِ وَقَدْ يَسْتَحْسِنُ الْمَوْتُ الصَّقِيلُ
 وَقَفْنَا وَالْعَيُونُ مُتَشَفَّلَاتٌ بِمَا لَجَّ دَمْعُهَا طَرَفٌ قَلِيلٌ ^(١)

(١) فِي أَمَالِي الْقَالِي (يُغَالِبُ دَمْعَهَا نَظَرَ كَلِيلِ) .

نَهْتُهُ رَقَبَةُ الْوَاشِينَ حَتَّى تَمْلُقَ لَا يَغِيضُ وَلَا يَسِيلُ
قوله «يحسن دلها والموت فيه» أحسن ما قيل في الدلال .

ومن أعجب ما قيل في الدمع قول بعضهم ونسب إلى السرى ولا أظنه له :
بِنَفْسِي مِنْ رَدِّ النَّجَى ضَاحِكًا فَجَدَّ بَعْدَ الْيَأْسِ فِي الْوَصْلِ مَطْمَعِي
إِذَا مَا بَدَأَ أَبْدَى الْفَرَامُ سِرَّائِي وَأَظْهَرَ لِلْمَذَالِ مَا يَنْ أَضْلَعِي
وَحَالَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ نَعِشَقُهُ مَعِي
وهذا معنى ظريف حسن جداً .

ومن حسن الاستعارة في صفة الدمع ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :
قَدْ كَانَتْ فِي طَوْلِ الْبَكَاءِ لِرَاحَةٍ وَهَتَانُ سَرِّي فِي يَدِ الْكُتْمَانِ
حَتَّى إِذَا الْإِعْلَانُ نَبَهَ وَاشْبَأَ رَقَاتُ دُمُوعِي خَشْيَةَ الْإِعْلَانِ
ومن البديع في ذلك قول بشار وهو مشهور :

مَاءُ الصَّبَابَةِ نَارُ الشَّوْقِ تَحْمَرُهُ فَمَلَّ مَحْمَمٌ بِمَاءٍ خَافَ مِنْ نَارِ
وَقُلْتُ : أَشْكُو الْهَوَى بِدُمُوعٍ قَادِمًا قَلْقُ حَتَّى هَلَقَنَ بِجَمْنٍ رَدَّهَا الْفَرْقُ
فَنِي فَوَادِي سَبَلٍ لِلْأَمْبِي جَدُّ وَفِي الْجَفُونِ مَقِيلٌ لِلْكَرَى قَلْقُ
لَهَيْبٌ قَلْبِي أَفْضَ الدَّمْعَ مِنْ بَصَرِي وَالْعُودُ يَقْطُرُ مَاءً حِينَ يَحْتَرِقُ
ولا أظنني سبقت إلى هذا التمثيل . وقال ابن المعتز :

وَلَطْمَةُ خَدٍّ تَجْعَلُ الْوَرْدَ دَخْرًا وَتَنْثَرُ دَمًا لَا يَبَاعُ بِأَثْمَانِ
ونظير المصراع الأول قول صاحب مصر :

وَاللَّهُ لَوْلَا أَنْ يُقَالَ تَغِيرًا وَصَبَا وَإِنْ كَانَ التَّصَابِي أَجْدَرًا
لَا طَادَ تَفَاجَ الْخُدُودِ بِنَفْسِجًا لَمَيَّ وَكَافُورَ التَّرَائِبِ عَنْبَرًا
وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال أنشد الحسن بن رجاء عن المبرد يوم أبيت ذي الرمة :
لَعَلَّ الْخُدُودَ الدَّمْعَ يُعْقِبُ رَاحَةً مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجْبًا بِالْبَلَابِلِ
وقال له من قال في مثله ؟ فقال قد ملح الحسن بن وهب في قوله :

إبك فما أكثر نفع البكا والحب إشفاق وتطيل
إفزع إليه في ازدحام الجوى فقيه مسلاة وتسهيل
وهو إذا أنت تأملت حزن على الخدين محلول

وقد ملح العباس بن الاحنف :

إني لأجحدُ حبكم وأسرُّه والدِّمُّ معترفٌ به لم يجحد
والدِّمُّ معُشِّدٌ أني لك عاشقٌ والناس قد علموا وإن لم يشهد
وقال : طالَ عهدي بها فلما رأيته نظمت لؤلؤاً على تفاح

وقد أحسن الآخر في قوله :

إذ لأجواب لفحم متحير إلا الله موع تصان بالاطراف

قوله « تصان بالاطراف » عبارة صحيحة جيدة . وقال آخر :

تقول غداةً البين عند وداعها لك الكبد الحري فسر ولك الصبر
وقد سبقتها عبرة فدموعها على خد هايبض وفي نحرها حر

معناه إذا انحدرت إلى نحرها إنصبغت بلون الطيب والزعفران بها .

ومن غريب المعنى قول الآخر :

غدَّتْ بأحبتى طول المطايا فبان النوم وامتنع القرار
وكان الدِّمُّ لي ذخراً معداً فأغقت الذخيرة يوم ساروا

أجود ما قيل في طيب عرف المرأة : جميع ما مر بي من الشر في هذا الفن

متقارب في المعنى لا يفضل بعضه بعضاً إلا في القليل ، ومنه ما هو جيد المعنى حلو

المعرض فتركته لأن الشرط قد تقدم بإيراد الجيد لفظاً ومعنى ورجحاً وذلك قليل

ليس يقع إلا بعد التصريح الطويل والتعب الكثير :

فمن أجود ما قيل في ذلك من قديم الشعر قول الأعشى :

ماروضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعيم النبات مكنهل

يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل

وقول القطامي وهو جيد النظم متضمن لماء الطلاوة :

وما ربح قاع ذى خزامى وحنوة له أرج من طيب النبات طازب

بأطيب من مى إذا ما تقلبت من الليل وسنى جانباً بعد جانب^(١)

إلا أنه جاء بالمعنى في بيتين. ومما هو مضطرب الرصف جيد المعنى قول ابن الطثرية:

خود يكون بها القليل بمسه من طبعها عبثاً يطيب ويكثر

هذا البيت على غاية اضطراب الرصف :

شكر الكرامة جلدها فصفا لما إن التبيحة جلدها لا يشكر

قوله (شكر الكرامة جلدها) فى غاية من الحسن . أخذه ابن الرومى فقال :

ألف عطر تذكي وهى ذاكية إذا أسامت جوار العطر أبدان

نسيم كل نهار من بحامرها ويشمس الليل منها فهو ضحيان

كأنها وعشان الند بشملها شمس عليها ضبايات وادخان

وأخذ ابن المعتز قول القطامي ببعض لفظه إلا أنه زاد زيادة حسنة وجاء بالفاظ

بدیعة وهو قوله :

وما ربح قاع زاهر مست الندى وروض من الریحان سحت صحائبه

فجاء سحيراً بين يوم وليلة كما جر من ذيل الغلالة صاحبه

بأطيب من أثواب شمر موهبا إذا الليل أدجى دابر كتابه

إذا رغبت عن جانب من فراشها تضوع مسكاً أين مانت جوانبه

وقد طرف ابن الاحنف فى قوله :

ذكرتك بالریحان لما شمته وبالرأح لما قابلت أوجه الشرب

(١) الذى فى ديوان القطامى :

وما ربح روض ذى أقاح وحنوة وذى نفل من قلة الحزن طازب

بأطيب من ليلى إذا ما تمايلت من الليل وسنى جانباً بعد جانب

تذكرت بالرحمة يحان^(١) منك رواثح^(٢) وبالرحمة طعماً من مقبلك العذب
 وأنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني عبيد الله بن عبد الله لنفسه :
 تطيرت أيام اجتنابك أن ترى مكانك عيني لا خلا منك خاليا
 فأسكتته نوراً كريك طيبه يذكرك منك الذي لست ناسيا
 وقد أحسن وحسنه قليل . وقيل لأعرابي أبة راحمة أطيب قال راحمة بدن
 تحبه أو ولد تربه فقال ابن الرومي * ريحه ريح طيب الاولاد * وقلت :
 يمر بي وقد الصبا والليل يقضي نجيته
 مر بروض زاهر ذر عليه عشب
 فغلت من طيبه نشوة من أحبه
 ومن البليغ قول سحيم^(٣) :

فما زال بردى طيباً من ثيابها إلى الحول حتى أنهج البرد باليا
 وأبلغ من ذلك وصفهم طيب المواضع التي وطنها الحبيب ، وأول من قال
 ذلك النميري^(٤) :

تضوع مسكاً بطن فمان إذ مشته به زينب في فسوة خفرات
 ومن أحسنه وأرشقه قول جميل :
 ألا أيها الربيع الذي غير البلاد هنا وخلا من بعد ما كان لا يخلو
 تداءب ربيع المسك فيه وإنما به المسك إذ جرئت به ذيلها جمل
 وقوله : وأنت الذي حبيت سما إلى بدا إلى وأوطاني بلاد سواها
 حلت بهذي مرة ثم مرة بهذي فطاب الواديان كلاهما

(١) في ديوانه (بالتفاح) في الموضعين . (٢) في ديوانه (سوالها) . (٣) هو عبد بنى
 الحسحاس ، كان أسود حلوا الشعر رقيق الحواشي . (٤) « النميري » ماقطة من الاصل
 فاستدر كناها من الأغاني حيث ذكر البيت في أخبار النميري وهو محمد بن عبد الله
 شاعر غزل . ولد من شعراء الدولة الأموية ، وفيه « عطران » بدل (خفرات) .

وقال الآخر :

أرى كل أرض يعمتها^(١) وإن مضت لما حجج^٢ يزداد طيباً ترابها
وقد طرف ابن الاحنف في قوله :

وجدت الناس ساطع المسك من دجلة قد أوسع المشارب طيبا
فهم يشكرون ذاك وما يدرون أن قد حلت منها قريبا
وقال البحتري : فكان^(٣) العبير بها وأشيا
وقلت : تأملت منها غزالاً ريبيا
جلت لك عن خضل واضح
وهزت لنا بسراة الكتيب
عشية راحت وأتراها
كواكب ليل إذا مارأت
وأقمار روض قمرن^(٣) العقول
إذا زدتها نظراً زدتنى
رحلن العشية من ذى النضا
وقد أحسن القائل في قوله :

جارية أطيب من طيبها والطيب فيها المسك والعنبر
ووجهها أحسن من طيبها والحي فيها الدرّ والجوهر
ولو قيل ان هذا أحسن ما قاله محدث في ذلك لم يكن بعيداً . ومما هو غاية قول
إمريء القيس :

ألم تر آتى كلما جئت طارقا وجدت بها طيباً وإن لم تطيب
وقد طرف القائل :

(١) في الأصل (دمتها). (٢) في الديوان (فصان) (٣) في هامش الأصل : ما عليه
لو قال «عقلن العقول» لي مطابق الجنس كما قال «قلبن القلوب» فكان أوقع في النفوس .

أتاها بغير أهلها فتضاكت^١ وقالت وهل يحتاج عطر^٢ إلى عطر
وقد أجاد البحري :

لنا من ريقه راح ومن رياه ريحان
وأنشدنا أبو أحمد في طيب الريح إلا أنه وصف رجل :
سقى لأيام مضت . وكان معيها حلوم
أيام بقي لي وفي ريقه الرجل العريم
إذ لا دليل على في برد الضحى إلا النسيم
أجود ما قيل في حب الصغار من شعر المتقدمين قول نصيب^(١) :
ولولا أن يقال صبا نصيب^٣ لقلت يتنفس النشء الصغار
بروح كل مهضوم حشاها إذا ظلت فليس لها انتصار^٤
إذا ما اللئى ضاعفن الحشايا كفاها أن يلاث لها الأزار^٥
ومن مליح ذلك قول عوف بن محم^(٢) :

وصغيرة علقها كانت من القن الكبار
كالبدري إلا أنها تبقى على ضوء النهار
وأنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني عبد الله بن الحسن وقد ملح وطرف :
جارية أذهلها اللعيب^٦ عما يقاسى الهائم^٧ الصب^٨
شكوت ما لقاء من حبا فأقبلت تسأل ما الحب^٩
ومن مليح ذلك ما روى أن عبد الملك بن مروان عرضت عليه جارية فقال لها
أبكر أنت أم ثيب ؟ فقالت بل ثيب فأنشد عبد الملك :

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم خير المطي لدى ما لم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة لبست وحية لؤلؤ لم تثقب

(١) هو نصيب بن رباح الشاعر الفحل المتقدم في المديح والنسيب .

(٢) الخزاعي الشاعر العالم الأديب الراوى صاحب البيت المشهور (إن الثمانين) :

فقال الجارية: إن المطايا لا يلدن ركوبها ما لم تذللن بالزمام وترك
والدرء ليس ينفع أربابه ما لم يؤلف في النظام ويثقب
قد أحسننا جميعاً إلا أن وجه الكلام أن يقال يثقب ويؤلف في النظام .
أصدق ما قيل في صفة الحب قول العباس بن الأحنف :

من كان يزعم أن يدارى في الهوى حتى يشكك فيه فهو كذوب
الحب أملك للفؤاد بقره من أن يرى للسر فيه نصيب
وقلت :

آفة السر من جنو ن دوام دواع
كيف يخفى مع الدموع ع الهوى في الموامع
مارأينا أخا هوى سره غير ذائع
أن نيران محبه باديات الطوالع

من أظرف ما قيل في ذكر الشركة في الهوى ما أنشدني أبو أحمد :

مالي جفيت وكنت لأجني وعلامة الهجران لا تخفي
وأراك تمزجني وتشريني ولقد عهدتك شاربى صرفا

وقد أحسن العباس بن الأحنف في هذا المعنى وهو قوله :

يا فور لم أعجركم الملاة منى ولا لقال واش حاسد
لكنني جربتكم فوجدتكم لا تصبرون على طعام واحد

وقد جاء أبو نواس بهذا المعنى إلا أن قول العباس أطبع ، قال أبو نواس :

أتيت فؤادها أشكو إليه فلم أخلص إليه من الزحام
فيا من ليس بكفيها محبة ولأننا محبة كل عام
أظنك من بقية آل موسى فهم لا يصبرون على طعام

وهما سبق به العباس الشعراء كلهم قوله :

أحرم منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشقوا
صرت كافي ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق .

وأول من ذكر هذا المعنى صاحب كلية ودمنة . وإلى معنى قول البيت الأول
يوميء قول البحتري :

قصائد ماتت فك فيها غرائب تألق في أضعافها وبدائع
مكرمة الانساب فيها وسائل إلى غير من يحوي بها وخرائع
ومما سبقت إليه من المعاني ما قلته :

رفع الستر فاشتى غصن بان يتجلى الهلال في معناه
ليس لي أن أنال ما آمنى من جنى وصلة اللذيق جناه
فلو أنى كنت في بعض شعري فاذا ما شهداء قبلت فاه

ومن أبلغ ما قيل في بخل العشوق من قديم الشعر ما أنشدناه أبو أحمد عن أبي
بكر بن دريد عن عبد الرحمن عن عمه :

وما نطفة كانت سلاله بارق نمت عن طريق الناس ثم استظلت
بأطيب من أثياب تلم بعدما حدا الليل أعقاب النجوم فولت
وقد بخلت حتى لو أنى سأتها قذى العين من ضاحى التراب لضنت

ومن أحسن ما قيل في وقوف النظر على العشوق قول بعضهم (قيد الحسن
الحدقا) وهو من قول امرئ القيس « قيد الأوابد » وقد أحسن الآخر في قوله :
ظبي له من قلوب الناس ناجة من المودة تجنى أطيب الثمر
إذا بدا رمت الأبصار وجنته دما فلم تختلف عينان في نظر
وتحوره قول المتنبي :

وخصر تثبت الابصار فيه كأث عليه من حديق نطاقا
ومن أجود ما قيل في كمال الحسن ما أنشدناه أبو أحمد :

كل شيء من محاسنها كامن في حسنه مثلا
ليس فيها ما يقال له كملت لو أن ذا كمالا

وقال أبو نواس * لومنى الحسن ما تمداها * أخذه أبو تمام فقال :

منديل لم يتبدل عدله في عاشق طال به خبله
 أطرقه أحسن أم طرفه وحسنه أكل أم عقله
 انظر فما عاينت في غيره من حسن فهو له كله
 لو قيل للحسن تمن التي إذا تمنى أنه مثله
 أي خصال حازها مبدى لو لم يسكر صفوها مطله
 وقال أبو نواس: تمت وتم الحسن في وجهها فكل شيء ما خلاها محال
 للناس في الشهر هلال ولي من وجهها كل صباح هلال
 وقال: متناه بجماله صلف لا يستطيع كلامه نيبا
 لو كانت الأشياء صورة حتى إذا كملت تاهت على النيبا
 وقال: الأخطى حسن وجته فتجر حتى وأجر حها
 وقال غيره: شكوت إلى شبيبك إذ تجلى هواك فلم يزل شكوى الحزين
 وكان كانت إشراقا وحسنا وقلة رحمة المستكين

أحسن ما قيل في إعراض الحبيب قول النمر بن تولب :

قصدت كأن الشمس تحت قناعها بداحاجب منها وضنت بحاجب
 وقد مر قبل . ومن ظريف ما جاء في ذلك قول ابن الرومي :
 ما ساء لي إعراضه عني ولكن مررتي
 سالفناه هو ض عن كل شيء حسن

وقال الآخر وأحسن :

صدقني محمد بن سعيد أحسن العالمين ثاني جيد
 صدقني من غير جرم إليه ليس إلا حسنه في العبدود

والفرد الذي لا شبهة له في كثرة اعتلال العشوق على العاشق وكثرة تجنبه عليه قول بعضهم :

شكوت فقالت كل هذا تبرما بحبي أراح الله قلبك من حبي
 فلما كتمت الحب قالت لشرما صبرت وما هذا بفعل الشجي الصب

وأدنو فتقصيني فأبعد طائبا
فشكواى تؤذيها وصبرى يسوءها
وقريب منه قول مسلم :

ويخطئ عذرى وجه جرمى عندها
إذا أذنبت أعددت عذرا لذنبها
بذكرك ملت اليأس في حضرة المتي
قد أصاب صفة الماشق . وقلت :

صبابة نفس لا ترى الهجر حاليها
ترلت على حكم الصبابة والهوى
ولولا الهوى ما كنت أمل باخلا
ومن شأنه أنى إذا ما ذكرته
على أنى أنأى فأدنو تذكرأ
وبعجبتى حبي له وصبابتي
فلو ظننى أسلوه لم أك هاجرا
ولكن عشق في خان جفونه

ومن أصاب وصف الماشق الصادق
إذا قربت دار كلفت وإن فأت
وإن وعدت زاد الهوى لانتظارها
ففي كل حال لا محالة فرحة
ومثله قول الآخر :

وما في الأرض أشقى من محب
تراه باكيًا في كل حين
فيمكى أن نأوا شوقًا إليهم
وان وجد الهوى حلوا المذاق
مخافة فرقة أو لاشتياق
ويمكى أن دتوا خوف الف

رضاها فتعد التباعد من ذنبي
وتجزع من بعدى وتتفر من قربى

فأجنى إليها الذنب من حيث لا أدري
فإن سخطت كن اعتذارى من العذر
وإن كنت لم أذكرك إلا على ذكر

وصبوة قلب ما ترى القلب شافيا
فصرت أرى للخل ما لا يرى ليا
أرحم ظلاما وأذكر ناميا
جفاني ومحاني إذا غبت جافيا
ولست كن يدنو فينأى تناسيا
إليه وإمساكي عليه وداديا
ولو خالني أنساه لم يك نائيا
فيأمن سلواني ويرجو غراميا

أسفت فلا للقرب أسلو ولا البعد
وإن بخلت بالوعد مت على الوعد
وحبك ما فيه سوى محكم الجهد

فَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَائِي وَتَبْرُدُ^(١) عَيْنُهُ عِنْدَ التَّسْلَاقِ
ووصفه الهوى بالحلاوة مع هذه الصفات وصف بديع غريب . ومثله قول ابن الاحنف :
اِذَا رَضِيتُ لَمْ يَهْنِ ذَلِكَ الرَّضَا لَصَحَّةٍ عَلَيَّ أَنْ سَيِّبَهُ عَتَبُ^(٢)
وَأَبْكِي إِذَا مَا أَذْنَبْتُ خَوْفَ عَتَبِهَا^(٣) فَأَسْأَلُهَا مَرْضَاتَهَا وَأَهْلَا الذَّنْبِ
وَصَالِكُمْ صَرْمٌ وَحَبْكُمُ قَلِي وَعَظْفُكُمْ صَدٌّ وَسَلَامُكُمْ حَرْبُ
ومثل البيت الأول قول سعيد بن حميد ويزيد بن الفضل الشاعر :

مَا كُنْتُ أَيَّامَ كُنْتُ رَاضِيَةً . عَنِي بِذَلِكَ الرَّضَا بِمَقْتَبِطِ
عَلَاً بِأَنَّ الرَّضَا سَيِّبُهُ مِنْكَ التَّجْنِي وَكَثْرَةُ السَّخَطِ
فَنَكَلُ مَا سَاءَ لِي فَمَنْ خَلَقَ مِنْكَ وَمَا سَرَّ لِي فَمَنْ غَلَطَ
ومن البديع في طلب نيل المعشوق قول الآخر :

عَدِينَا مَوْعِدًا ثُمَّ اجْعَدِينَا فَمَنْ مِنْ مَبْطِلٍ حَقًّا بِجُحْدِ
وَالَا قَابِذِي مِنْ غَيْرِ وَعَدِ قَدَدْتَ كَفَ السَّمَاءُ بِغَيْرِ وَعَدِ
وقلت في نحو ذلك :

تَسِيُّ عَلَى بَعْدِ الدِّيَارِ تَنَائِيًا وَخَلْفَكَ عِنْدَ الْقَرَبِ مِنْ عَصَبِ الْبَعْدِ
كَثِيرٌ سُرُورِي فِي قَلِيلِ وَقَائِهِ وَعِنْدَ ابْتِسَامِ الْبَرْقِ قَهْقَرَةُ الرَّعْدِ
ومن أبلغ ما قيل في الرضا عن المعشوق بالقليل قول جميل :

أَقْلَبُ طَرَفِي فِي السَّمَاءِ لَعَلَّهُ يُوَافِقُ طَرَفِي طَرَفَهَا حِينَ تَنْظُرُ .
ومثله قول ابن المفلح :

أَلَيْسَ اللَّيْلُ يَلْبِسُ أُمَّ عَمْرُو وَإِنَّا فَذَلِكَ لَنَا تَدَانِ
بَلِي وَأَرَى السَّمَاءَ كَمَا تَرَاهَا وَيَطْلُوهَا النَّهَارُ كَمَا عَلَانِي
وأنشدني أبو أحمد عن ابن الأنباري لجميل^(٤) :

(١) في الأصل (تسخن) . (٢) في ديوان ابن الاحنف (لعلني به أن سوف يتبعه العتب)

(٣) في ديوان ابن الاحنف (خوف صدها) . (٤) هو جميل بن معمر البصري

وإني لأرضى من بثينة بالذي لو استيقن الواشي لقرت بلابله
 بلا وبالا استطيع وبالمنى وبالأمل المكذوب^(١) قد خاب آمله
 وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى أواخره لا للثقي وأوائله
 وكان جميل يصدق في حبه وكثير يكذب . ومن ردىء هذا الباب قول بعضهم :
 وما نلت منها محرماً غير أنى إذا هي بالث بلى حيث يقول
 وعفة هذا كفة المتنبي في قوله :

أنى على شغفى بمافى خمرها لأعف عما فى سراويلاتها
 سمعت بعض الشيوخ يقول من الفجور ما هو أحسن من هذه العفة إذ عبر
 عنها بهذا اللفظ . وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة قال حدثني
 أبو يحيى الزهرى عن رجل ذكره قال قيل لكثير ما أنسب بيت قالته العرب ؟
 قال الناس يقولون :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثّل لى لى بكلّ سليل
 وأنسب عندى منه :

وقل أم عمرو داؤه ودواؤه لديها وريأها الطيب الموافق
 وهذا البيت جيد المعنى ردىء الرسم . وأبلغ ما قيل فى شدة الحب ما أنشدناه قدامة :
 يودّ بأن يمسى سقياً لعلها إذا سمعت منه بشكوى ترامله
 ويهتز للمعروف فى طلب العلى لتحمد يوماً عند سلمى شمائله
 وقلت فى معناه :

وقلت عساها إن مرضت تعودنى فأحييت لو آتى غدوت مريضاً
 وزدت اتساعاً فى المكارم والعلا ليصبح جامي عندهن عريضاً
 ومن الشعر المختار فى النسب قول أبي المطاع :

كان كثير راوية جميل وجميل راوية هدية وهدية راوية الخطيئة والخطيئة راوية
 زهير بن أبى سلمى . (١) فوقيات الاعيان (وبالأمل المرجو) .

أفدى الذى زرتة والسيفُ يخفّرني ولحظُ عينيهِ أمضي من مضاربهِ
فما خلعت نجاداً في العناقِ لهُ حتى لبستُ نجاداً من ذوائبهِ
فباتَ أنعمنا بالآ بصاحبه من كان في الحب أشقانا لصاحبه
وقلت في معنى البيت الآخر :

بقدر الصباية عند الغيب تكونُ السرّة عند الحضور
وأطيب ما كان برؤ الثغور إذا هو صادف حرّ الصدر
ومن المختار في صفة العذار :

وقلت الشعرُ يسليني هواهُ ولم أعلم بأن الشعرَ حيني
فظلتُ لشقوتي أفدى وأمي سوادَ عذارهِ بسوادِ عيني

ومن أعجب ما قيل في التهاك في الحب ونهاية التقرب الى المعشوق قول ديك الجن :

بانوا فصارَ الجسمُ من بدم ما تصنعُ الشمسُ لهُ فيا
بأى وجهٍ انتقامُ إذا رأوني بدمٍ حيا

ومن أبدع ما قيل في عدم السلو قول ابن الرومي :

أسماءُ أي الواعدين ترنه أشدّ كما مطلقاً فاني لأدرى
أأنتِ بنيل منك يردُ غلتي أم النفس بالسوانِ عنك وبالصبر

لم يقل في بعد الحبيب أحسن من قول ابن الاحنف : أخبرنا أبو أحمد عن الصولي
عن هارون بن عبد الله المهلي قال كنا عند دعبل قد ذكر العباس بن الأحنف فقال
جيده قليل ولا أعرف أحسن من شعره في الشعر :

هي الشمسُ مسكنها في السماء فزّ الفؤادَ عزاءً جميلاً
فلن تستطيعَ إليها الصعودَ ولن تستطيعَ إليك النزولاً

ومن البديع القليل النظير قوله أيضاً يذكر كلام الناس فيه وفي معشوقه :
قد سحب الناس أذيالَ الظنون بنا وفرّقوا الناسَ فينا قولهم فرقا

فكاذب^(١) قد رمى بالظن غيركم وصادق^(٢) ليس يدري أنه صدقا

وهذا معنى غريب بديع ما أظنه سبق إليه .

ومما هو في معنى قوله * هي الشمس مسكنها في السماء * الخ قول الآخر :

شكوت^(٣) إلى بدر^(٤) هواي^(٥) فقال لي ألت^(٦) ترى بدر^(٧) السماء الذي يسرى

فقلت^(٨) بلى قال^(٩) التمس^(١٠) فأنه نظيري ومثلي في علوي^(١١) وفي قدر

فان^(١٢) نلت^(١٣) فاعلم^(١٤) بأنك^(١٥) نائلي وإن لم تلت^(١٦) فابغ^(١٧) أمرا سوى أمري

فكان^(١٨) كلا البدرين صعبا^(١٩) مرامه^(٢٠) فويلي^(٢١) من بدر^(٢٢) السماء ومن يدري

ومن الغريب البديع في مدح الفراق لمكان القبلة والاعتناق قول محمد بن

عبد الله بن طاهر :

ليس^(٢٣) عندي شحط^(٢٤) النوى^(٢٥) بمظلم^(٢٦) فيه غم^(٢٧) وفيه كشف^(٢٨) غموم^(٢٩)

من يكن^(٣٠) يكره^(٣١) الفراق^(٣٢) فاني^(٣٣) أشبه^(٣٤) لموضع^(٣٥) التسليم^(٣٦)

إن^(٣٧) فيه اعتناقة^(٣٨) لوداع^(٣٩) وامتظار^(٤٠) اعتناقه^(٤١) لقدوم^(٤٢)

فلكم^(٤٣) قبلة^(٤٤) وغيبة^(٤٥) شهر^(٤٦) (هي) خير^(٤٧) من امتناع^(٤٨) مقيم^(٤٩)

وأخبرنا أبو أحمد عن ابن المسيب لابن الرومي :

فإذا كان^(٥٠) في الفراق^(٥١) عناق^(٥٢) جعل^(٥٣) الله^(٥٤) كل^(٥٥) يوم^(٥٦) فراقا^(٥٧)

أجود^(٥٨) ما قيل^(٥٩) في خفتان^(٦٠) القلب^(٦١) قول^(٦٢) قيس^(٦٣) بن ذريح^(٦٤) :

كان^(٦٥) القلب^(٦٦) ليلة^(٦٧) قيل^(٦٨) يصدى^(٦٩) بيلي^(٧٠) العامرية^(٧١) أو يراج^(٧٢)

قطاة^(٧٣) عزها^(٧٤) شرك^(٧٥) فبات^(٧٦) تهاذبه^(٧٧) وقد علق^(٧٨) الجناح^(٧٩)

فلولا^(٨٠) التضمين^(٨١) الذي^(٨٢) فيه^(٨٣) لكان^(٨٤) غاية^(٨٥) . ومن الغريب في ذلك قول ديك الجن :

ومملوء^(٨٦) من الحزن^(٨٧) يبالغ^(٨٨) سورة^(٨٩) الأرق^(٩٠)

(١) في ديوان ابن الأحنف « فجاهل » . (٢) في الأصل (صعباً فراقه) .

(٣) الكناني من شعراء العصر الأموي من سكان المدينة شمره على الطبقة في التشبيب

والحنين . (٤) كذا في الأثالي ، وفي الأصل « غزها » وفي الصناعتين « غرها »

تَكَادُ غُرُوبُ مُقَلَّتِهِ تَعْمُ الْأَرْضَ بِالْفَرْقِ
كَأَنَّ فَوَادِهِ قَلَقَا لِسَانُ الْحَيَةِ الْفَرْقِ
وقد أحسن في قوله أيضا :

علمت قلبي وجيًّا است أعرفه ما أنكر القلب إلا كما خفقا
ياشوق إلين حال البين بينهما فهاقصاء على التوديع قاعتنا
لو كنت أملك عيني ما بكيت بها تطيراً من بكائي بدم شفا
وقد أحسن القائل وجاء بما في نفس الماشق :

ولو دأواك كل طيب (ركب) بنير كلام ليلى ما شفاكا
ولو أصبحت تملك كل شيء سوى ليلى عبت على غناكا
ومن أعجب ما قيل في الشفقة على المشوق قول أبي دلف العجلي :
أحبك يا جبان وأنت مني مكان الروح من جسد الجبان
ولو أني أحبك محب نفسي نلقت عليك بادرة الطمان
لا قدامي إذا ما الخيل جالت وهاب شجاعها وقع الطمان

خص الجبان لأنه أشد شفقة على نفسه من الشجاع وهذا من جيد الاستطراد.
ومن بليغ ما قيل في الحب مع الشجاعة ومن أجود ما قيل في اليأس عن الوصل
قول مجنون ليلى أو غيره :

خرجت فلم أظفر وعدت فلم أفر بنيل كلا اليومين يوم بلاء
فيا حسرتي ما أشبه اليأس بالقتي وإن لم يكونا عندنا بسواء
وقال : وقد أيقنت نفسي بأن حيل بينها وبينك لو يأتي يأس يقينها
أرى النفس عن ليلى تعاني بلاعنا وقد جن من وجدى بليلي جنونها
ومثل ذلك : فإن يك عن ليلى غنى وتجلد فرب غنى نفس قريب من الفقر
ومن أطرف ما قيل في النحول ما أنشدنيه أبو أحمد :

إذا (يوماً) بليت وذاب جسمي لعل الريح تحملني إليه

وقال ابن المعتز :

ماذا ترى في مدنف يشكوك طول سقمه
أضنيه فما يطبق ضعفه^(١) حل اسمه
فلا يراك طائداً إلا بعين وهمه

وقال كشاجم :

وما زال يرى أعظم الجسم جهاً وينقصها حتى لطفت عن النقص
وقد ذُبت حتى صرتُ إن أنا زرتها
وقال ديك الجن وبالح :
أنحلَّ الوجدُ جسمه والحنين

وَبَرَّاهُ الهوى فما يستبين
لم نفس أنه جليدٌ ولكن
دَقَّ جداً فما تراه العيون

وقال نصر بن أحمد :

قد كان لي لما مضى خاتمٌ
وَذُبْتُ حتى صرتُ لوزجٍ بي
فاليوم لو شئتُ تمنطقتُ به
في مُقلَّةِ النَّائمِ لم ينتبه
الحسن بن وهب^(٢) :

أبليتُ جسمى من بعد جدته
فما تكادُ العيونُ تبصره
كانه رسمُ منزلٍ خلق
تعرفه العينُ ثم تنكره
ومما لا أظن أن له شيئاً قول بعض الحول وليس في هذا المعنى :

جئتُ إلهي إذ بليتُ بمحبها
على حَوْلٍ يغني عن النظرِ الشر
نظرتُ إليها والرقيبُ يظنني
نظرتُ إليه فاسترحتُ من العذر
ومن فصيح ما قيل في إنشاء الهوى صاحب : قول بعض نساء الأعراب :
ألا قاتل الله الهوى ما أشدهُ وأصرعهُ للمرء وهو جليدُ

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (فلم يطبق من ضعفه)

(٢) هو الكاتب الشاعر الوجيه صاحب الأخبار مع أبي تمام ، وثناه البحري لمات .

دماي الهوى من نحوها فأجبتُ فاصبح بي حيثُ يريدُ
وقال كشاجم وأحسن في قوله وليس من هذا المعنى :
أقبلتُ ثمَّ عرَّجتُ ليتها لم تُعرج
في حدادٍ كأنها وردةٌ في بنفسج
ومن أحسن ما قيل في بحىء الفراق بعد التلاق قوله أيضاً :
لم أسنمُ عناقهُ لقلومه حتى بدأتُ عناقه لوداعه
فضى وأبقى في فؤادى حسرةً تركته موقوفاً على أوجاعه
وأنشدنى أبو أحمد قال أنشدنى الصولى أنشدنى الحسين بن يحيى أنشدنى
الحسين بن الضحاك لنفسه :

بأبى زورٌ تلفت له فتنفتُ عليه الصمدا
بينما أضحك مسروراً به إذ تقطعتُ عليه كدا
وأنشدنا عنه لأبى العيثل (١) :

أقيتُ ابنةَ السهمى زينبَ عن عُفْرِ ونحن حرامٌ مسمىَ عاشرَةِ العشر (٢)
فكلمتها ثنتينِ كالثلجِ منهما وأخرى على لوحٍ أحرَّ من الجمر
الأولى تسليمُ اللقاء فهي باردة طيبة والآخرى تسليمُ الوداع .

ومن جيد ما قيل في تمجيد الشوق على قرب الديار قول بعض العرب :
ويزدادُ في قرب الديار صبايةً ويعدُّ من فرطِ اشتياق طريقها
وما ينفع الحرَّ أن ذا اللوع أن يرى حياضَ القرى مملوءةً لا يذوقها
ومن جيد ما قيل في رد العفول :

(١) هو عبد الله بن خليل ، كان كاتب عبد الله بن طاهر وشاعره ، كان
مكثراً من نقل اللغة عارفاً بها ، شاعراً مجيداً . (٢) في البيت تصعيف صححناه
من الأماي ، وفيه : عن عُفْرِ : عن بعد أى بعد حين ، ونحن حرام : أى محرمون ،
ومسمىَ عاشرَةِ العشر بمعنى أنه أقيمت بعرفت عشية عرفة وهو مسمى عاشرَةِ العشر .

إذا أمرتني الماذلاتُ بهجرها هفت كبدٌ مما يقلنَ صديع
 وكيف أطيعُ الماذلاتِ ووجهها يؤرقتني والماذلاتُ هجوع
 ومن جيد ما قيل في رياضة النفس على الهجر ما أنشده أبو اسحق الموصلي :
 وإنى لا أستحي كثيراً وأتقى عيوباً وأستبقى المودةَ بالهجر
 وأنذرُ بالهجرانِ نفسى أروضاها لأعلمَ عندَ الهجرِ هل لى من صبر
 وقال غلام من فزارة :
 وأعرض حتى يحسب الناسُ أنما هى الهجرُ لا والله ما بى لك الهجرُ
 ولكن أروضُ النفسَ أنظر هل لها إذا فارقتُ يوماً أحبها صبرُ
 وزاد العباس بن الأحنف فقال :
 أروضُ على الهجرانِ نفسى لعلها تمسك لى أسبابها حينَ تهجر
 والزيادة فى قوله :
 وأعلمُ أن النفسَ تكذبُ وعدّها إذا صدقَ الهجرانَ يوماً وتغدر
 وما عرّضت لى نظرةً مذعرفتها فأنظر إلا مثلتُ حينَ أنظر
 وهذا من قول جميل :
 أريدُ لأنسى ذكراً فكأنها تمثُلُ لى ليلٍ بكلِّ سبيل
 وذَكَر بعضهم أنه بهجرها مخافة العين تصيب وصلها : أنشدناه أبو أحمد عن
 الصولى عن أحمد بن يحيى ، وأحمد بن سعيد الدمشقى عن الزبير :
 خشيتُ عليها العينَ من طول وصلها فهاجرتها يومين خوقاً من الهجر
 وما كانَ هجرانى لها من ملالةٍ ولكننى جرّبتُ نفسى على الصبر
 ومن فصيح الشعر الداخل فى هذا الباب قول إبراهيم بن العباس أنشدناه أبو
 أحمد عن الصولى عن ثعلب وأبى ذكوان قالاً أنشدنا إبراهيم بن العباس لنفسه :
 يمرُّ الصبا صبحاً بساكن ذى الغضا فيصدعُ قلبي أن يهبَ هبوبها
 قريةٌ عهدٍ بالحبيب وإنا هوى كلِّ نفس أين حلَّ حبيبها

تطلع من نفسى اليك طوالم هوارف أن اليأس منك نصيبها
 وإنما أغار إبراهيم بن العباس على ذى الرمة حيث يقول :
 إذا هبت الأرواح من نحو جانب ^(١) به أهل مى زاد شوقى ^(٢) هبوبها
 هوى تذرف العنان منه وإنما هوى كل نفس أين ^(٣) حل جيبها
 مو قال العباس بن الأحنف في غير هذا المعنى :

متى تبصرنى يا ظلم تبينى شمائل بادی البث منصدع القلب
 بريثا نعى الذنب لما هجرته ^(٤) لكيا يقال الهجر ^(٥) من سبب الذنب
 وقد كنت أشكو عتبتها وعتابها . فقد فجعنى بالعتاب وبالعتب
 أشفق عليها من أن تهجره بنير ذنب فيقال إنها ملول فليحتمها هجته .
 ومن أجود ما قيل في الوقوف على الديار قول امرئ القيس : قنا نيك من
 ذكرى حبيب ومنزل * وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في
 مصراع فليس له شبيه في جميع أشعارهم . وأحسن ما قيل في وصف الديار وبلاها
 ما أنشدناه أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر عن أبيه :

ولم يترك الأرواح والقطر والندى من الدار إلا ما يشفق ويشفق
 وقلت : قد هربت أمانها حين اكنست أردية الرّيح عشياً وضحى
 لم يبق فيها غير ما يذكى الجوى وبصرف النوم ويبعث البكى
 وأنشدنا أبو القاسم :

ألا حى من أجل الحبيب الثانيا لبسن البلى مما لبسن الليالي
 ولا عرابى : طللان طال عليهما الأبد دثرا فلا علم ولا نضد
 لبسا البلى فكأنما وجدا بعد الأجنة مثل ما أجد

(١) في ديوان ذى الرمة (من كل جانب) . (٢) في الديوان (هاج شوقى)

(٣) في الديوان (حيث حل) . (٤) في ديوان العباس المطبوع (صرمته)

(٥) في الديوان (الصرم) .

وهذا مثل قول جرير * أحب لحب فاطمة الديارا * والذي أورد من أنواع
هذه المعاني إنما هو إشارة إلى جمهورها وتنبية على مظهرها ولو اتبعت كل ما فيه أمثاله
وعلفت عليه أشكاله لكثرت واتصلت وتوفرت حتى أملت وأضجرت وتجاوز
الحد في القول من هذه فيه وهجنة على قائله . ومن أجود ما قيل في حب السودان :
أحبُّ النساء السودَّ من حبِّ تكتم ومن أجلها أحبتُّ من كانَ أسودا
فجئني بمثل المسكِ أطيب نفحة وجئني بمثل الليل أطيب مرقدًا
البيت الثاني على غاية الجودة وحسن التمثيل . وقلت :

صرفتُ ودِّي إلى السودان من هجر وما (أميل) إلى روم ولا خزر
أصبحتُ أعشقُ من وجهٍ ومن بدن ما يشقُّ الناسُ من عينٍ ومن شعر
فإنَّ حسبت سوادَ الجلودِ منقصةً فانظر إلى سفةٍ في وجنة القمر
وروي للجاحظ :

يكونُ الخلالُ في وجهٍ ملبح فيكسوه الملاحاةُ والجالا
ولستَ تملُّ من نظري إليه فكيفَ إذا رأيتَ الوجهَ خالا
وقد ملبح بعضهم في خلاف ذلك :
إنَّ الذي يعشق من لا
وإنَّ من يعشقُ زنجيةً كالذي دلك في الظلمة

أجود ما قيل في الخيال من قديم الشعر قول قيس بن الخطيم :
أني مررت وكنت غير سروبٍ وتقربُ الأحلامُ غير قريبٍ
ما تمنى يقظى فقد تؤيننه في النوم غير مكدر^(١) محسوب
كأنَّ المنى بلقائها فاقبتها ولهوتُ من لهُ امرئ مكذوب
وقول عمرو بن قميئة^(٢) :

(١) في ديوان قيس (غير مصرد) . (٢) من قدماء الشعراء في الجاهلية ،
يقال إنه أول من قال الشعر من تزار وهو أقدم من امرئ القيس ، وهو شاعر فحل .

فأتلك أمانة إلا سؤالا وإلا خيالاً يوافي خيالاً
خيالى يخيل لى نيلها ولو قدرت لم يخيل نوالا
وهذا من معانى القدماء غريب وهو أبلغ ما قيل فى بخل المشوق ، ومن هاتين القطعتين
أخذ المحدثون أكثر معانيهم فى الخيال ، ومن البارغ الفصيح فى هذا المعنى قول البيهقي^(١) :
أزارتك ليلى والركاب خواضع وقد بهر الليل النجوم الطوالع
فأعطتك آيات التى غير أنها كواذب إن حصلتها وخوادم
على حين ضم الليل من كل جانب جناحيه واتقضت نجوم ضواجم
وأعجلها عن زورة لم أفز بها من الصبح حاد يزعج الليل ساطع
وأحسن النميرى حيث يقول :

عجبا لطيفك أنه يشكو الجوى وهو الجوى

أخذه مسلم فقال :

طيف الخيال عهدنا منك إلما داويت سقما وقد هيبت أسقاما
ومن اللفظ الغريب قوله : « ز الكرى طيفها وهنا خيال »
لأعرف أنه سبق إلى هذا اللفظ . وقال أبو تمام :

استزارتته فكرتى فى المنام فأنافى خيفة^(٢) واكتنام

يا لها ليلة تراورت^(٣) الأرواح فيها سرا من الأجسام

مجلس لم يكن لنا فيه عيب غير أنا فى دعوة الأحلام

وهذه معان إلا أنه ليس لألفاظها طلاوة . ومن غريب المعانى فى هذا قول دعبيل :

سرى طيف ليلى حين حان محبوب وقضيت شوقى حين كاد يؤوب

ولم أر مطروقا يحمل بطارق ولا طارق يقرى المنى ويثيب

(١) هو خداش بن بشر من بنى مجاشع ، كان أخطب بنى تميم وصلى البيهقي بقوله :

تبعث منى ما تبعث بعدما استمر قوادى واستمر عزيمى

(٢) فى ديوان أبى تمام « فأنافى فى خيفة » . (٣) فى الديوان (تزهت) .

يقول ان العادة أن يقرى الطارق المطروق والخيال طارق يقرى المطروق .

ومن الغريب الدقيق قول ابن الرومي :

طرقنا فأنالت . فثلا شكره لو كان في النبة الجحود
ثم قالت وأحست عجبى من سراها حيث لا تسرى الأسود
لا تعجب من سر أنا فالسرى عادة الأقمار والناس هجود
فرايت في هذه الآيات زيادة وتضميناً قلت :

رقت غفلة الرقيب فزارت نحت ليل مطر ز بهار
فعمجت من سراها فقالت غير مستطرف سرى الأقمار
ثم مالت بكأسها فسقتى جلتارية على جلتار
آخر : فباليت طيفاً خيلته لى المنى وإن زادنى شوقاً إليك يعود
أكلف نفسى عنك صبراً وسلوة وتكلف مالا يستطاع شديد
الجيد أن يقول (تكلف مالا يستطاع) وأمان تكليفه في الحقيقة فتدبر شديد على المكلف
وأما جعل هذا التكليف مكان التكلف هو ردى . وقال الحمدونى :

لم الله فنلت بالامانى فى منامى سرّاً من الهجران
واصل الحلم بيننا بعد هجر فاجتمعنا ونحن مقتربان
وكان الارواح خافت رقيقاً فطوت سرها عن الأبدان
منظر كان كزهره العين إلا أنه ناظر بنير حجاب

وقال ابن المعتز :

لا فرج الله عن عيني رؤيته ان كنت أبصرت شيئاً بعدة حسنا
إلا خيالاً عسى ان نمت بطرقى وكيف يحلم من لا يعرف الوسنا
وقال : كلامه أخدع من لحظه ووعدته أ كذب من طيفه
وليس لأحد في الخيال ما للبحترى كثرة فتنه قوله :

بعينك اعوالى وطول شيقى وإخفاق عيني من كرى وخفوق

على أن تهويماً إذا عارض أطبي^(١) سرى طارقاً في غير وقت طروق
فبات يماطيني على رقية العدى ويمزج ريقاً من جناه بريقي
وبت أهاب المسك منه وأتقى رداع غير صائك وخلق
أرى كذب الاحلام صدقا وكصفت إلى خبر أذناي غير صدوق
وما كن من حق وبطل فقد شفى حرارة متبول وخبل مشوق
وقلت في خلاف ذلك:

طرق الخيال فزار منه خيالا فسرى يغازل في الرقاد غزالا
يا كشفه للكرب إلا أنه ولي على دبر الظلام فزالا
فندا المقيم وهو أكبر صبوة وأشدّ بلبالا وأكف بالا
وما قيل في الامتزاج والاختلاط مثل قول الخربى^(٢):

ليالى أرمى في جنابك روضة وآوى إلى حصن منبع مراتبه
وإذا أنت لى كالحرو والشهد ضمنا بماء لصفاف ضعفته جنائبه
وقال بشار:

لقد كان ما بينى زماناً وبينها كما بين ربيع المسك والعنبر الورد
أجود ما قيل في صفة الركب: أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولي حدثنا محمد بن
سعيد عن عمر بن شبة قال كان الناس يقدمون قول أبي النجم وبتعجبون من حسنه:
كان تحت درعها المنقط ضخم القذال حسن الخط
وقد بدا منها الذى تقطى كأنما قط على مقط
شطاً رميت فوقه بشط كهامة الشيخ اليماني الشط
لم يعل في البطن ولم ينحط

حتى قال بشار:

(١) في الاصل (اطأى) (٢) هو اسحق بن حسان، اتصل بمحمد بن منصور بن
زياد كاتب البرامكة، وله فيه مدائح جياذ، عى بعد ما أسن، وقال في ذلك شعراً.

عجزاء من سرب بني مالك لها حرٌّ من بطنها أرفع
 زينَ أعلاهُ بأشراقه وانضمَّ من أسفله المشرع
 قال أبو هلال رحمه الله تعالى أول من أتى بهذا المعنى النابغة حيث يقول :
 وإذا طمنت طمنت في مستهدفٍ رابى المجسة بالعبير مقررمد
 وإذا نزع نزع عن مستحصفٍ نزع الحزور بالرشاء المحصد
 بصف ضيقه ويقول إن النازع منه يتمب من نزع كما يتمب الحزور - وهو
 الغلام - إذا استقي من البئر .

وأحسن ابن الرومي في وصف الضيق والحرارة حيث يقول :
 لها من تستعيرٍ وقدرته من قاب صبٍّ وصدر ذى حنق
 كأنما حره ظلمه ما أوقدت في حشاه من حرق
 يزداد ضيقاً على المراسر كما تزداد ضيقاً أنشودة الوهق
 وقال في سجنه :

بسم السبعة الأقاليم طرّاً وهو فى أصبعين من إقليم
 كضمير الفؤاد يلتهم الدنسبا وتحويه دقتنا حيزوم
 ومن النادر قول الناجم :

إن ردف الفتاة عجنةُ خبا زِي وقد أمها من الأدم جينه
 وقال المفضل بن غيلان ^(١) :

ومركب كيضة الأُدحى كأن نبت الشعر المطلى
 عليه شونيزٌ على فرنى

ومما يجرى مع ذلك قول بعضهم :

أقولُ والقومُ تعادى بهم إلى الوغى مضمرةٌ قرح
 استعمل الله على مركبٍ يحثُّ بالسير ولا يبرح

(١) هو والد عبد الصمد بن المفضل الشاعر المشهور .

وهو مثل قول مسلم :

ما مركب من ركوب الخيل يعجبني
ومثل الأول : فبات يسرى ليله ولم ينم
وقال الفرزدق : ثم اتقتني بجهم لاسلاح له
كان رمانة في جوفه انفجرت
وأبلغ ما قيل في كبره قول الفرزدق :

إذا بطحت فوق الأثافي رفعتها
يقول إنها إذا بطحت على وجهها لم يمس الأرض منها شيء لان نهودئديها وكبر
ركبها مثل أثافي القدر لبدنها ، وهذا أبلغ من قول بشار الذي اختاره الأصمعي .
وقال الراجز في وصف الضيق :

كأن هجماً^(١) شديداً أبهره يدارك المص ولا يقتره

ومما قيل في حب الكبار قول المجنون :

وعهدى بليلي وهي ذات موصد ترد علينا بالمشي المراميا
فشب بنو ليلي وشب بنوا بذا وأعلاق ليلي في الفؤاد كاهيا
ابن المعتز : من ميني على السور وعلى الهم والفكر
وابلائي من شادن كبر الحب إذ كبر

ومن البديع قول ابن الأحنف :

لعمري لقد كذب الزاعمون بأن القلوب تمحاذي القلوبا
ولو كان حقاً كما يزعمون لما كان يشكو حب حبيباً

ومما يلحق بالفصل الأول ما أخبرنا به أبو أحمد عن العسولي عن البلعي عن أبي
حاتم قال سمعت الأصمعي يقول سمعت الرشيد يقول قلب العاشق عليه مع معشوقه
فلت له هذا يأمر المؤمنين أحسن من قول عروة بن حزام العذري^(٢) في آخر

(١) في نسخة (هماماً) (٢) شاعر أصلامي من المتيمين .

أبياته التي أنشدتها :

أراني تعرفني لذكراك رعدة^(١) لها بين جلدی والعظام ديب
وما هو إلا أن أراها فجأةً فأهت حتى ما أكاد أجيب
وأصرف^(٢) عن رأيي التي كنت أرتئي ويعزب عني ذكره ويغيب^(٣)
ويضمرُ قلبي عندها وبينها عليّ فمالي في الفؤاد نصيب
فقال الرشيد من قال هذا وهما قاني أقوله علماً والله حرك بأصبعي قاني أجد عندك
ما يضل عنه العلماء ، فأخذه محدث فقال :

يؤازرهُ قلبي عليّ وليس لي يدانِ بمن قلبي عليّ يؤازرهُ
وأخذه سهل بن هرون فقال :

أعان طرفي على جسدي وأعضائي بنظرةٍ وقفت جسدي على دائي
وكنتُ غراً بما تمنى عليّ يدي لا علم لي أن بعضي بعضُ أعدائي
وهذا شرفه تكاف ، أخذه البحري :

ولستُ أعجب من عصيان قلبك لي عمداً إذا كان قلبي فيك يعصيني
وقال ابن الأحنف :

قلبي إلى ما ضرني داعي يكثرُ أسقامي وأوجاعي
كيف احترازي من عدوي إذا كن عدوي بين أضلاعي
ومن جيد ما قيل في قرب الدار مع تباعد القلوب قول النظار القمسي :
يقولون هذي أم عمرو قريبة دنت بك أرضٌ نحوها وسما
ألا إنما بعدُ الحبيب وقربةُ إذا هو لم يوصل إليه سواء
وفي خلافة : وإني زوارٌ لمن لا يزورني إذا لم يكن في ودّه بمرتب
يقربُ لي دار الحبيب وإن نأت وما دارٌ من أبغضته بقرتب

(١) في الأغاني (وإني لتغشاني لذكراك هزة) (٢) في الأغاني (وأصدف)

وهما بمعنى . (٣) في الأغاني (وأنسى الذي أزمعت حين تغيب) .

ومن ظريف الشكاية قول ابراهيم بن العباس :

فدعني راغداً أشقى بوجدى ومُخذ قلمي إليك بغير حد
سقام لا يرقُّ علىَّ منه ووجد لا يكافئُ بودَ
وقد أصفيتها ودَى بجهدى فعارضَ في الجفاءِ بمثل جهدى

ومن جيد ما مدح به الفراق قول بعض الكتاب : في الفراق مصافحة التسليم
ورجاء الأوبة والسلامة من الملال وعمارة القلب بالشوق والدلالة على فضل
المواصلة واللقاء . وقال الشاعر :

جزى الله يومَ البينِ خيراً فانه أرانا على علاته أم ثابت

وكتب بعضهم في معنى قول الشاعر * وما في الأرض أشقى من محب * وقد تقدم :
تفكرى في مرارة البين بمنعنى من التمتع بحلاوة الصبر وتكره عيني أن تقربك مخافة
أن تسخن يبعدك فلي عند الاجتماع كبد ترجف وعند التناهي مقلة تكف . ومثله :
لا والذي بيده السلامة بروح دارك وبعد مزارك ملازادنى اللقاء إلا صبا به وأسفاً والاجتماع
إلا نزاحاً وكلفاً لا نئى منقسم القلب بين رجاء يمدنى بقربك وحذر يوعدنى يبعدك وإذا
قربت دارك كلفت وإن فأت أسفت فلا في القرب أسلو ولا البعد .

ومعنى لما نى الموسوس ^(١) معنى أظنه ابتكره وهو :

بكت عيني غداة البين دمعاً وأخرى بالبكى بخلت علينا

ضاقبتُ التي بخلت علينا بأن غمضتها يومَ التقينا

وسبكه البيت الأول ووصفه ردى جداً لا خير فيه وإنما استغربت المعنى

فأوردته . وقد أخذ ابن الرومي فشرحه وزاد فيه وهو من قوله :

ولقد يؤلفنا اللقاء بليلة جعلت لنا حتى الصباح نظاماً

نجزى الصيون جزاءهن عن البكى وعن السهاد فلا نصيبُ أئاماً

فنبيحهن مُرادهن يردنه فيما أدعين ملاحاً ووساماً

(١) هو أبو الحسين محمد المصري ، شاعر لين الشعر رقيقه ، لم يقل غير النزل .

ونكافي الأذان وهي حقيقة^١ إذ لا تزال تكابد اللواما
فتشبهن من الحديث مشوبة تشفى الغليل وتكشف الأسقاما
ونكافي الأفواه عن كتمانها إذ لا يزال لها الصمات^٢ الجاما
فنيحمن^٣ ملائماً ومراشفاً ماضرها أن لا تكون مدا
نجزى الثلاثة أنصباء ثلاثة مقسومة آناؤها أقساما

وخالد الكاتب معنى يلحق بما تقدم وهو قوله :

بكيت دماً حتى بكيت^٤ بلا دم بكاء قى فرد على شجن فرد
أبكى الذي فارقت^٥ بالدمع وحده^٦ لقد جل قدر^٧ الدمع فيه إذا عندي
وكتبت في فصل لي : قد جل شوقي إليك ووجدى بك عن أن يبرد نارهما
ويسكن أوارهما دمع ينصب على مثله فتحسبه درأ ينكسر على در ويمتزج بالدم
فتخاله شذور عقيق في نظام فريد .

ومما يلحق بما تقدم أيضاً قول سعيد بن حميد^(١) :

وما كن^٨ حبيبها لأول^٩ نظرة ولا غمرة من بمدى فتجلت^{١٠}
ولكنها الدنيا تولت^{١١} فما الذي يسلى عن الدنيا إذا ماتت^{١٢}
وقال أعرابي :

أعلل^{١٣} أصحابي بجدي وباطلي وأسماء جد^{١٤} القلب منى وباطله
ومن بديع المعاني قول ابن أبي فتن :
أدبت^{١٥} بالأخطار^{١٦} وجنته^{١٧} فاقص^{١٨} ناظره^{١٩} من القلب
أخذه على بن حاصم فقال :

ضربت^{٢٠} إني يدي خان^{٢١} يميني جلدى
فاقص^{٢٢} لا اغرور^{٢٣} رقت^{٢٤} مقلته^{٢٥} من كبدي
فلا أقلت^{٢٦} بعدها سوطي من الأرض يدي

(١) هو الشاعر الكاتب المترسل ، كان حسن الكلام فصيحاً ، وكان والده شاعراً .

ومن أجود ما قيل في تكافؤ الحسن قول الراجز وكان ينبغي أن يقدم :
 جاءت تهض الأرض أي هض يدفع منها بعضها من بعض
 يقول يتحير الناظر فيها ولا تقف عينه على واحدة فيصيبها بعين لأن بعضها
 يشغل عن بعض . ومن بدع المعاني قول بعض الشعراء :

قصاراك منى الود ما دمت حياً وودك ماء المزن غير مشوب
 وآخر شيء أنت في كل مضجع وأول شيء أنت عند هبوب

ومن جيد القول في الفراق قول أبي محلم :

وما خفت وشك البين حتى رأيتهم معض ؟ أنماط لهم وقطوع
 لعمرك ما شيء مررت بذكره كآخر يأتي بغتة فيروع
 ومما لا أعرف في معناه أجود منه قول بعضهم :

ما بين باب الوزير والمسجد الجا مع ظبي كالظباء في جيده
 أطماره رثة قد ضاع لا ضاع وضاع التميز في بلده
 ليس له ناقد فيعرفه وآفة النبر ضعف متقده

وفي خلاف ذلك قول صاحب البصرة :

ولست بوصف أبداً حيباً أعرضه لأهواء الرجال
 تراني آمن الشركاء فيه وآمن فيه أحداث الليالي

معنى آخر :

وقائلة متى يفنى هواه فقلت لها إذا فنى المـالـح
 معنى آخر : وإذا أتيتك زائراً متشوقاً قصر الطريق وطال عند رجوعي
 معنى آخر : إذا طلعت شمس النهار فاتها أماره تسليى عليك فسلمى
 آخر التشبيب والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قال فأبلغ وأنعم فأسبغ ، أحل الملاذ ومنح لينعم
عباده في العاجل ويدل على ما أعد لهم في الآجل فقال (يَا أَيُّهَا النَّاسُ
كُلُوا مِنَّمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا) وقال (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ
وَأَعْمَلُوا صَالِحًا) وقال تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) وله الحمد على كمال بركه وتمام لطفه والصلاة على خير خلقه
محمد النبي وآله .

(هذا كتاب المبالغة)

(في صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفي ذكر الشراب
وما يجري مع ذلك - ثلاثة فصول وهو :)

(الباب الخامس من كتاب ديوان المعاني)

(الفصل الأول في ذكر النار)

فأول ما نذكر فيها قول الله تعالى (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ) إلى
قوله (نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَزِينَةً لِلْمُقَوِّينَ) فذكر منفعتها وحسن
عائدها في الدنيا والدين فأما منفعتها في الدين فأنها تذكر ما أعد الله تعالى لعصاته
منها في دار العذاب فيكون ذلك مزجرة لمن تذكر ومنهارة لمن تبصر ، وأما منافعتها
في الدنيا وكثرة مراقبتها فغير بمجھولة وقد خص الانسان بخيرها دون سائر الحيوان

فليس يحتاج إليها شيء سواه وليس به عنها غنى في حال من الأحوال ولهذا عظمها
المجوس وقالوا إنها قد أفردتنا بنفعها فينبغي أن نفردها بتعظيمنا على أنهم يظنون
جميع ما فيه نعمة على العباد فلا يدفنون موتاهم في الأرض ولا يستنجون في الأنهار،
رؤى على عهد كسرى رجل يقتل في دجلة فضربت رقبتة ، وكانت العرب إذا
تحالفت تحالفت على النار ويدعون على من يغلد ويتقض اليد بحرمان منافعها . وقد أحكمتنا
ذلك في كتاب الأوائل . ومن عجيب التشبيه في النار قول الأول :

كَأَنَّ الرِّيحَ تَقْطَعُ مِنْ سَنَاهَا بَنَائِقَ حَبَّةٍ مِنْ أَرْجَوَانٍ
وقول ابن المعتز :

وَمَوْقِدَاتُ بَنٍ^(١) يَبْضُرُ مِنَ اللَّهَبِ بِشَبْعَةٍ مِنْ فَحْمٍ وَمِنْ حَطَبٍ
يَرْفَعْنَ نِيرَانًا كَأَشْجَارِ الذَّهَبِ

وقال آخر : كَأَنَّ نِيرَانَنَا فِي جَنْبِ قَلْعَتِهِمْ مَصْبِغَاتٍ عَلَى أَرْسَانِ قِصَارٍ
وقول أبي تمام في إحراق الأفشين :

نَارٌ يَسَاوُرُ جِسْمَهُ مِنْ حَرِّهَا لَهَبٌ كَمَا عَصَفَتْ شَقٌّ إِزَارِ
صَلَى لَهَا حَيًّا وَكَانَ وَقُودَهَا مِيتًا وَيَدْخُلُهَا مَعَ الْفَجَارِ

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي حدثنا أحمد بن اسمعيل حدثني جعفر بن علي بن
الرشيد فقال أنشدنا المعتصم قول بعض الهاشميين في فتحه هرقة :

رَبِيتْ هَرْقَةَ لِمَا أَنْ رَأَتْ عَجَبًا جَوَّ السَّمَاءِ^(٢) تَرْتَمِي بِالنَّفْطِ وَالْقَارِ
كَأَنَّ نِيرَانَنَا فِي جَنْبِ قَلْعَتِهِمْ مَصْبِغَاتُ^(٣) عَلَى أَرْسَانِ قِصَارِ

فقال لابن داود وقد أنشدنا شاعر طائي أوصلته إلى في حرق القادر أفشين شيئاً من
هذا الجنس استحسنته فقال أحمد ما أحفظه وإنما أحضر الشاعر فقال بعض أولاد
الحجاب أنا أحفظ القصيدة والموضع فقال هات فأنشد :

مَازَالَ سِرُّ الْكُفْرِ بَيْنَ ضُلُوعِهِ حَتَّى اصْطَلَى سِرُّ الزُّنَادِ الْوَارِي

(١) في الأصل غير منقوطة. (٢) في الأصل (جوائم) (٣) في الأصل (مصقلات)

ناراً يساورُ جسمه من حرّها لهبٌ كما عصفت شقٌّ إزار
طارت لها شررٌ ^(١) يودمُ لفحها أركانهُ هدماً بغيرِ منار ^(٢)
ففسدانَ منه كلُّ مجمعٍ مفصل وفعلانَ فاقرةً بكلِّ قفار
رمقوا أعالى جذعه فكأتما رمقوا هلالَ عشيّة الإفطار
كرّوا وراحوا في متون ضواير قيدت لهم من مرتبط النجار
لا ينزلون ^(٣) ومن رآهم خالهم أبداً على سفرٍ من الأسفار
فقال المعتصم أحسن ما شاء قد أمرت له بمشرة آلاف درهم ولهذا الذي حفظها
بنصفها ، قال فتعجبنا من فطنة المعتصم ومن رزق هؤلاء على غير طلب ولا أمل
قال فلم يبق في المسكر أحد إلا حفظ قصيدة أبي تمام . وقلت :

أوقدتُ بعدَ الهدوءِ نارا لها على الطارقين عَيْنُ
شرارها إنْ علا نضارُ لكنهُ إنْ هوى لجين
دعتهُم فانتفى إليها محبهم قرة رَأين؟
إلى كريم الفعاليِّ مَح عطاؤه للكرم زين
يقضى ديونَ العلا يَنْذلُ إذ ليس يقضى لهن دين

وقال ابن المعتز :

وقد تعلّى شررُ الكاتون كأنه شارٌ ياممين
وقلت : نار تلعب بالشقوق كأنها مُحللٌ مشققةٌ على حبسان
رَدَّتْ عليها الريحُ فضلَ دخانها قاتتْ به سيجاً على عصان
فالجوُّ يضحك في ايضاضٍ شرائر منها ويعبسُ في اسوداد دخان

وقال أبو فضلة :

اشربْ على النار في الكوانين إذ ذهبتْ دولةُ الرّياحين

(١) في ديوان أبي تمام (شعل) . (٢) في الديوان (بغير غبار) .

(٣) في ديوان أبي تمام (لا يبرحون) .

بَدَّتْ لَنَا وَالرَّمَادُ بِحُجْبِهَا كِبْلَنَارٍ مِنْ نَحْتِ نَسْرِينِ
وقلت في معناه :

قَصُرَتْ يَدَ الشَّتَاءِ بِحَرِّ جَمْرٍ وَأَخْتِ الْجَرِّ صَافِيَةِ الرُّحْبِ
تَرَى نَبْذَ الرَّمَادِ بِوَجْتِهِ كَكَاغُورٍ يَنْدُرُ عَلَى خَلْقِ
وَقَلْتُ : تَحَرَّكَتِ الشَّمَالُ فَرَّ لَيْلَى فَهَاتِ الرِّيحَ مِنْ أَيْدِي الْمَلَحِ
جَرَادِ الْجَرِّ يَسْتَرْهُ رَمَادُ كَثَلِ الْوَرْدِ يَسْتَرْهُ الْأَقَاخِ
وَأَنْفَاسُ الرِّيَاضِ مَطَرَاتُ تَطِيرُ مِنْ أَنْفَاسِ الرِّيَاحِ
وَأُرْدِيَةُ الظَّلَامِ مَمْسَكَتُ مَطَرُزَةُ الْخَوَاشِي كَالصَّبَاحِ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ فِي مَقْطُوعِ الشَّرْرِ عَلَى الثِّيَابِ وَالْبَسْطِ :

فَتَرَكِ الْبَسَاطَ بَعْدَ الْحَدِّ ذَا تَقَطَّرِ سَوْدُ كِبْلَدِ الْفَهْدِ
وَقَالَ أَيْضًا * وَصِيرَتْ جِبَاهُهُمْ مَنَاخِلًا * وَقَلْتُ :
كَأَنَّ النَّارَ يَنْتُهُ ذَهَبُ وَالْجَمْرُ مِنْ تَحْتِهِ يَوَاقِيتُ
وَمَنْ بَدِيعَ مَا قِيلَ فِي الْقَدُورِ عَلَى النَّارِ قَوْلُ بَعْضِ الْعَرَبِ :
كَأَنَّ صَوْتَ غَلِيهِ الْمُسْتَعْجِلِ قَصْدُ الشُّبُوحِ لِلشُّيُوخِ الْجَهْلِ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

وَالسَّيْفُ رَاعِي إِبِلِي فِي الْحُلِيِّ يَسْلُمُهَا ^(١) إِلَى قَدُورِ تَخْلِي
تَرْقُلُ فِيهَا بِالْوَقُودِ الْجَزْلِ أَرْقَا لَهَا فِي السَّيْرِ نَحْتِ الرَّحْلِ
وَقَالُوا أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الْإِثْنَانِ وَالرَّمَادِ قَوْلُ ابْنِ هَرْمَةَ ^(٢) :
نَبْكَى عَلَى زَمَنِ وَتَوَّى هَامِدُ وَجِوَالِمِ سَفْعِ الْخُدُودِ رَوَاكِدِ
عَرِينٍ مِنْ عَقْدِ الْقَدُورِ وَأَهْلِهَا فَمَكْفَنَ بَعْدَهُمْ بِهَابِ لَا بَدِ
فَوْقَيْنِهِ عِبْثَ الصَّبَا فَكَأَنَّهُ دَنْفُ يَرْنِ الدَّمْعِ بَيْنَ عَوَائِدِ ؟

(١) فِي دِيْوَانِ ابْنِ الْمُعْتَزِ (يَسُوقُهَا) . (٢) إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ الْكِنَانِيُّ

الْقُرَشِيُّ ؛ مِنْ سُكَّانِ الْمَدِينَةِ ، مَدَحَ الْوَلِيدَ الْأُمَوِيَّ بِدَمَشْقٍ فَأَجَازَهُ .

وقال أبو تمام : أتا ف كاخلدود لعلن حزنًا وتؤى مثل ما انفصم السوار
ومما يجرى مع ذلك القول فى الشمعة ، ومن أجود ما قيل فيها قول السرى
ه شفاؤها ان مرضت ضرب العنق * وقول الآخر * موقوف بين حريق وغرق *

وقلت : كم قد جنيتُ اللهو من غصنه ما بين أنوار ونوار
من روضة بلل أعطافها مقيطُ أنداء وأمطار
وأوجه تحسبها أشمساً فى ليل أصداع وأطرار
وشفت عنها ستور الدجى نارٌ على نارٍ على نار

وقلت فى السراج :

وحيةٌ فى رأسها دُرَّةٌ تعملُ فى وجه الدجى غرَّة
وجنتها أكبرُ من رأسها فهى إذا أبصرتها عبره
كم من مرربٍ أهنكت ستره وصيرته فى الورى شهره
يردفها أصفرٌ فى أصفر يقدمها أسودٌ فى حمرة

وقال السرى فى الكانون :

وكأنما الكانونُ ألبَ جره أحداق أسدٍ يدَّرين أسودا
يكسو خدود الشرب من نفحاتها قبل الكؤوس وحسنها توريدا

وقلت فى الكانون :

وبركةٌ مترعة الأرجاء فارغةٌ من سبل الأنواء
يغسل فيها حلة الظلماء أقامت النار مقام الماء
نارٌ كوجه غادة حسناء ترقصُ فى مبدعة صفراء
والجرُّ فى حلتِه الحمراء مثل بنانٍ عل بالحناء
وأسمهم تصبغ بالحناء فما كها ريحانة الشتاء
واشرب عليها حلب الصبياء فشربُ صبياء على شقراء

بطرف عين البؤس والضراء

ومن أجود ما قيل في النعم قول بعضهم :
 فحيمٌ كيوم الفراقِ . تشبه نارُ كَنارِ الفراقِ في الكبدِ
 أسود قد صارَ تحت حمرتها مثلَ العيونِ اكتحلنَ بارِئاً

﴿ الفصل الثاني من الباب الخامس ﴾

(في ذكر ألوان الطعام)

العرب تشبه البر بقراضة الذهب ويمتازون النقران ، والنقران جمع نفرة ^(١) وهي عصفورة : أخبرنا أبو أحمد عن ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قال شيخ من أهل البادية ضفت فلاناً فأتاني بخبزة من حنطة كأنها مناقير النقران قد اتفخت في الملة حتى رأيت الحجر يتحدر منها تحدر الحشو من البطان وتراها حين غمرت بالسن يجول فيها المثراد كما يجول الضبعان في الضفرة ، ثم أتانا بتمر كأنه أعناق الورلان يدخل فيها الفرس . الحشو صغار الابل ، والضفرة الرمل المتقد . وأخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن عبد الله بن محمد القرشي عن المثني بن معاذ الصنبري عن بشر بن الفضل عن عقبة الراسبي قال دخلت على الحسن وهو يأكل خبزاً ولحماً فقال لي هلم إلى طعام الأحرار . والعرب تدعو الخبز أم جابر .

وأخبرنا أبو أحمد حدثنا الجلودى حدثني محمد بن زكريا حدثني مهدي بن سابق حدثنا شبيب قال استأذن خالد بن صفوان على يزيد بن المهلب فأذن له فوجده يتغدى فقال يا ابن صفوان أذن فكل فقال أصلح الله الأمير لقد أكلت أكلة لست ناصيها قال وما أكلت ؟ فوصف ما أكل ثم قال أتيت بخبز أرز كأنه قطع العقيق وكانما تجري عليه سبائك الذهب ثم أتيت بينائي مبيض البطون زرق العيون سود المتون حذب الظهور مقفعات الأذنان صغار الرؤوس غلاظ القصر عراض السرر مع بصل

نظيف كأنه قطع الزند وخل تقيف مري حريف ، قال أبو هلال ما سمعت في وصف السمك أحسن من هذا ولا آتم .

وقريب منه ما أخبرنا به أبو خليفة عن ابن سلام عن محمد بن القاسم قال قال الأعمش لجليس له أما تشتهي بناتي زرق العيون بيض البطون سود الظهور وأرغفة باردة ليئة وخلا حاذقا ؟ قال بلى قال فانهض بنا قال الرجل فنهضت معه فدخل منزله وقال خذ تلك السلة فكشفها فاذا فيها رغيفان يابسان وسكرجة كامنخ وشبت قال فجعل يأكل وقال لي تعال كل قلت فأين السمك فقال ما عندي سمك وإنما قلت أنتشيه وأنا والله أشتهي . أخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن المغيرة بن محمد عن أبي عثمان المازني عن الأصمعي قال قال أبو صوارة ^(١) وكان بمكة مثل الأشعب بالمدينة في شهوة الأكل : يا أبا سعيد الأرز الأبيض باللبن الحليب بالسكر السليمانى بالسمن السلى ليس من طعام أهل الدنيا . ومن أحسن ما قيل في الرقاق قول ابن الرومي :

مائسَ لَأَنسَ لَأَنسَ خبازاً مررتُ به يدحو الرقاقةَ وشكَّ الملح بالبصر
مايينَ رؤيتها في كفه كَرَّةً وبينَ رؤيتها قوراء كالقمر
وقلت : وخبز بأبدى الخبازين كأنه ترأس تعاطيها الجنود جنود
وأطعمة حلتْ بساحتها المني إذا جاءَ من أرداحين يريد
وضمتْ إلى الحلواء فيه فواكهً عليهم أهواءُ النفوس وفود
وقال الصنوبري في رقاق ورؤوس :

غير ما راجع من رقاق رقيق فوق هام على عداد الهام
ذاك كالماء ذى الجباب وهاتيك عليه كطير ماء نيام
بالأقباليين وما يبيدين من مضر شديد الضرام
كأناس يؤشعون مناديل إذا خرجوا من الحمام
ورصف هذه الأبيات غير مختار عندي ولكني أوردتها لجودة معانيها

(١) (أبو صوارة) غير موجودة في الأصل فاستدركناها من العقد الفريد .

وإصابة التشبيهات فيها بقوله (غير مارج) فإن الرواج لفظ عامي لا يستعمله الفصحاء.

وقال ابن الرومي :

هامُّ وأرغفةٌ وخاءٌ فخمةٌ قد أخرجت من جاحم فوار
كوجوه أهل الجنة ابتسمت لنا مقرونة بوجوه أهل النار
وقال غيره في :

وقادم من جاحم فوار محلل الشفق والأنوار
ملبساً حلة جلنار يقصر منه جلده النصار
عن بدن أبيض كالنار

ومن النادر البديع في هذا المعنى ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجلودى عن محمد بن زكريا عن عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد قال كن عوانة يكثر أكل الرأس فقل له إنها متخمة فقال إنها فاكهة اللحم . وأخبرنا عن محمد بن زكريا عن الأصمى قال قيل لأعرابي كيف تأكل الرأس قال أفك لحيه وأنخص عينيه وأنقص أذنيه وأخطيه وأرمدى بالدماع إلى من هو أحوج منى إليه فقل له إنك لأحق من ربع قال وما حق ربع إنه ليتجنب العدوى ويتبع المرعى ويرأوح بين الأطباء فما حقه باهلاً^(١) وقيل لأحدكم ما أحب الفاكهة إليك قال أما الرطب فاللحم وأما الياض فالعدوى . وقلت في صفة لحم :

تركتُ سمينَ اللحم يبيضُ بعضه ويحمرُّ بعضُ خلطك الدُّرِّ بالتبر
وأعرضتُ عن حلواء شق فتونها فيبيضُ إلى حمرٍ وحمرٍ إلى صفر
إلى ثردةٍ رقطاء قطع فوقها مقفعة خضراء في ورق خضر

وحاجة الإنسان إلى الطعام إنما هي من أجل ما يأخذ الهواء من جسده فيحدث فيه خلل فإذا أكل اللحم فقد دم الجسد بما هو من جنسه فكأنه وقع الديباج بالديباج فإذا أكل غير اللحم فكأنه وقع الديباج بالكرباس، وفي الحديث «مَنْ

(١) في أمثال الميداني (وما حق الربع والله إنه ليتجنب العدوى ويتبع أمه في المرعى

ويرأوح بين الأطباء ويعلم أن حنينها له دعاء فأين حقه) .

ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه .

وأحسن ما سمعت في جبل مشوى قول السرى :

أنفسته معصر البردين أبيض صافي حجرة الجنين
خلف شهرين على خلقين ثم رعى بعدهما شهرين
فجسه شبران في شبرين يا حسنة وهو صريع الحين
بهرقة مرهفة الحدين بكف شاو عطر الكفين
كسارق حذر من البدن ذو طرف يستوقف العينين
يربك مرأة من اللجين مذهبة المقبض والوجهين
شق حشاه عن شقيقتين أختين في القد شبيهتين
كما قرنت بين كأتين أو كرتي مسك لطيفتين^(١)
ان شين خورقين ناجين فانه زين بغير شين

ومن المشهور قول ابن الرومي في دجاجة مشوية :

ومحيطه صفراء دينارية ثمناً ولو فاق زفها لك حزور
طقت تجول بنزيرها حوذاً فأتى لباب اللوز فيها السكر
ظلمنا نقشر جلدها عن لحمها فكان تبراً عن لجين يقشر
يا حسنها فوق الخوان وبنتها قدأما بصهرها تنفر غر
وتقدمتها قبل ذاك ثرائد مثل الرياض بمثلهن يصدّر
ومدقات كلهن مزخرف بالبيض منها ملبس ومدنر
وأنت قطائف بعد ذاك اطائف ترضى اللهاة بها ويرضى الخنجر
ضحك الوجوه من الطير زرد فوقها دمع العيون من الدهان تعصر

وقلت في سكباجة :

سكباجة طيبة نشرها كأنها عود على مجمر

(١) سقط هذا العجز من الأصل فاستلكر كناه من ديوان السرى المخطوط .

حسنتها في القدر إذ أقبلت
ويستنير الشحم في لحمها
يا حسن بالذنبانها إذ بدا
كأنه ماء خلوق جرى
وقال ابن الرومي في دجاجة :

عظيمة الزور بصدر نهدي أجريت منها في مجال العقد
مرهنة ذات شبا وحده لغير ما دخل وغير حقد
بل رغبة فيها شبه الزهد

وقلت في قدور على نار :

كثبت أستعجل الندامي والنار تستعجل القدورا
وقد أتاني الفلام بسمي بأدغف تشبه البدورا
وعندنا قهوة فحول لوقطمت صيرت شثورا
تكون قبل المزاج نارا فانقلبت بالمزاج نورا
فانهض إلى سرعة إلينا تنثر على نفسك السرورا

وقال الشعبي ما رأيت فارساً أحسن من زيد على عمر ، وأنشد لبعض الاعراب :

ألا ليت لي خبزاً نسر بل رائباً وخيلاً من البرني فرسانها زيد

ومن عجيب ما روى عن الاعراب في شهوة الطعام ما أخبرنا به أبو أحمد عن
أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي عن جعفر بن سليمان قال لقيت أعراياً فقلت
هل لك في ثرة ؟ فتنفس الصعداء ثم قال :

واهاً على محسومة وصحفة مكتومة
بالدسم موشومة واللحم مغسومة
قد كملت عراقا وألحفت رقاها
منقوشة الحواشي بطيب التماشي

بقلنس وحص فكل هنيئاً وارقص

فأخنت بيده وذهبت إلى المنزل فأمرتهم فصنعوا ثردة كما وصف فلما قدمتها ارتعش طرباً ثم قال أي بابي والله هذه المرقصة ثم وثب على رجله فرقص ساعة وجلس فأكل أربعة أرغفة في ثردة وستة ثم قبل رأسي وقال بابي أنت وأمي لك حاجة في بدونا؟ قلت نعمي ، ثم قال أي والثردة والله ما دخلت الحضر إلا في طلبها ثم أنشأ يقول :

عمرتُ بطناً لم يزل مصفراً لم يعرف الرغفَ ولا المزدرا
حتى لقد أوجعت والله ترى ما صنعت كفاي في جنب القرى
وقال ابن خلاد في خبز الأرز والملح :

إذا الطابق المنصوب ألقى ثيابه وقدت جيوب الخبز شبرين في شبر
رغيف بملح طيب النشر خلطة خوارجه تغنيك عن أرج القطر
عليه من الشونيز آثارٌ كاتب وجلبابٌ ورأق ينقط بالحبر
ومن ممسم قد زعفرؤهُ كأنهُ قراضة تبر في لجينة غر
وقال في الباقلاء :

فلا تنسَ فضلَ الباقلاء فإنه من المرق قدوافي به الفضل في الزهر
إذا جعلوا فيه سذلياً ونعماً وجزءاً من الزيت المقدس في الذكر
فما صدف العاج المنشى ظواهرأ بطاشني أفندي معقد الخضر
بأحسن من مخضرة الفصن إذ بدت بواكر منها في المجاسد والأزر
تم قال : ويالك يا ذنجانة سارية جلاها نسيم الليل نائرة الفجر
فجاءت بأثواب الحداد مدلهما بأذناها العم المعقفة الخضر
وأكرم بها نياً إذا يز ثوبها فأبدت لنا عن واضح الكشح والصدر
فنجعلها شطرين تلقم شطرها وتنبه قبل الاساغة بالشطر
وقال ابن الرومي في الهريسة :

أيا هنتاه هل لك في هريس بلحمان الفراخ أو البطوط
أمل الليل صانعها بضرب فجاء بها تمدد كالخيط
وبين يديك من مري عتيق توارثه النيط عن النيط
أرانا حول صحفتها^(١) بروكا كما برك البعير على الخيط
فيا لله من لقم هنا كم تجاذب بالشجيج وبالغيط

وقال مسكين الدارمي في قدور على النار :

كان قدور قومي كل يوم قدور البرك ملبسة الجلال
كان الموقدين لها جمال طلائها الزفت والقطران طالي
بأيديهم مغارف من حديد نشبها مغيرة الدوالي
وقلت في هريسة :

هريسة يضاء كافورية في قصعة صفراء ديناربه
للمرء فيها حمة مسكه وللسلاء لمعة تبريه
تدور في مبيضة فضبه مثل السوار في يد الرومي

ومن عجيب ما قيل في قلة الطعام على المائدة ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدني

نصر بن أحمد لنفسه :

من حديثي أن ابن بكر دعاني لشقائي فليتسه مادعاني
غرني منه منظر ولباس وثمات ومجلس وأوان
مجلس كالجنان حسناً ولكن قبح الجوع حسن تلك الجنان
فلعمري كان الخوان ولكن لم يكن ما يكون فوق الخوان
وجفان مثل الجوابي ولكن ليس فيهن ما يرى بالعيان
وغضار الألوان جاءت ولكن ليس فيها روائح الألوان
فاذا ما أدبرت فيها بنى لم أجده ما أمسه بيناني

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط « فتبرك فوق صحفتها بروكا » .

إننى ماضغٌ على غير شئ غير صكِّ الأسنانِ بالأسنان
ترجعُ الكفُّ وهى أفرغُ منها عندَ مدِّى لها فدأبى وشانى
لو ترائى والجوعُ بضحكى منى عند غسلى يديَّ بالاشنان
زادَ فى السفرِ مسرفاً مثلاً أسرفَ عند الطعامِ بالنقصان
والغضاراتُ فارغاتُ أتقنا وسقانا بالترع المِلان
سكرة فوقَ جوعٍ تركتني راحماً كلَّ جائع سكران
وقلت فى قريب منه :

أتدعونى ونطمئنى بسيراً وتسقبنى الكثيرَ على اليسير
فأصبح منك فى يوم عسير فلا يتفكُّ فى يوم عسير
ها حراًن من جوع وسكر فيالك من سكير فى سكير
أقولُ وفي غضارهِ عظامٌ أعرق من قدور أم قبور
ومن جيد ما قيل أيضاً فى ذم الدعوة قول أبى الحسن بن طباطبائي^(١) وقد
دعا الكراريدى فقرب إليه مائدة عليها خيار وفى وسطها جامات عليها قطر ولم
يصحبها بوارد فساها مسيحية لأنها أشبهت موائد النصارى، وقدم سكباجة بعظام
عارية فساها شطر نجية، ثم قدم مضيرة فى غضارة يضاء فساها معتدة^(٢) لأن البياض
لبس المعتد وهى لا تمس الدهن والطيب، ثم قدم زير باجة بأطراف جدى صفراء
لقلّة زعفرانها فساها عابدة لأن ألوان العباد صفر ثم قدم لونا بقضبان محلوّة فساها
قنبية ثم قدم لونا بزبيب أسود فساها موكبية ثم قلية بعظام الأضلاع فساها
حسكية لتشنج لحمها ثم قرب زعفرانية فساها سلحية صفراء ثم قرب فالودجة قليلة
الزعفران والملاوة فساها صابونية ثم اعتل على الجماعة بأن ابته عليل فحولهم من
منزله إلى بستان قد طبق بالكراث وأحضرهم جرة مثقلة يمزجون منها شرابهم

(١) هو محمد بن إسماعيل العلوى الشاعر الملقب العالم المحقق، من أهل خراسان.

(٢) فى معجم الأدباء لياقوت (معتدة).

وإذا ضرب أحدكم الفائط نقلها معه وربط الأكار^(١) بحذائهم عجلة تخور عليهم
خواراً شبيهاً بقناء فاطمة وكان اسمها فاطمة فقال:

يادعوة مغبرة قائمة كأنها من سفر قادمه
قد قدموا فيها مسيحية أضحت على أسلافها^(٢) نادمه
ثم بشطرنجية لم تزل أيدٍ وأيدٍ حولها حائمه
فلم تزل في لبها ساعة ثم تقضئها^(٣) على قائمه
وبعدها معتدة^(٤) أختها عابدة قائمة صائمه
في حجرها أطراف نوودة قد قتلها أمها ظالمه
والقنبيات فلا تنسها فحيرتى في وصفها دائمه
أقنب ما امتد في أصبعي أم حية في وسطها نائمه
والحسكيات فلا تنس في خندقها أوتادها قائمه
والموكيات بسلطانها قد تركت آفاقها راغمة
والسلحة الصفراء فاعجب بها إذ سلحتها أنفُسُ هائمه
وجام صابونية بعدها فانخر بها إذ كانت الخائمه
ظل الكرازيسى مستعبراً من عصبية في داره طاعمه
وقال إن ابني عليل ولى قيامة من أجله قائمه
وولدت دايته حوله فليس إلا عبرة^(٥) ساجمه
وليس هذا لسوى كسرة تكسر ما زالت له ساله
وقد أكلناها فكم هيبت من لاطم خدأ ومن لاطمه
ثم هربنا نحو بستانه خوقاً من المنية العازمه
ظلنا لدى الكراث تلويبه فياله من زهرة قائمه

(١) أى الحراث. (٢) كذا في الاصل ومنجم الأدباء لياقوت، وفي نسخة

(إسلامها). (٣) في الاصل (ثم تقضئنا). (٤) في الاصل (مقيدة). (٥)

وغاية اللطفِ فقي جرّةً محطومة صارت لنا حاطمة
نبولُ فيها ثم نسقى بها يالك من عارضة لائم
وعجلة تشدو بالحامها وكانت الكية الخازمه
فكان فيما أنشدت أذشدت من لي من بصدك يا فاطمه
نشتم من أسمعتنا صوتها وهي لنا من بعدِ شائمه
ظلت تبكي شجوناً فما أبصرت من أربابه عالمه
فلو ترانا وترى زادنا حياؤفت منا نعماً سائمه ؟

فلما سمعها الكراريسى حلف لا يدخل أبوالحسن ولا أحداً من أصحابه داره واتخذ
دعوة ودعا قوماً من الشطرنجيين فقال أبو الحسن انما دعاهم لينظروا في الشطرنجية
التي كنا نفصناها على قائمة هل يمكن فيها من حيلة ، وكتب إليه من وقته أياناً منها :
طمنت بأحق في قمرها لو أمكن القمر قمرناها
فان أقاموها فما ذنبنا كنا على ذاك نفصناها
ثم كتب إليه أبو الحسن :

يا من دعاني أطل الله هرك لي ولا عدمنك من داع ومحتفل
ما أنس لا أنس حتى الحشر مائدة ظلنا لديك بها في أشغل الشغل
اذ أقبل الجدى مكشوقاً ترائبهُ كأنه منقط دائم الكسل
قد مدّ كلنا يديه لي قد كرتي يتأ تمثله من أحسن المثل
كأنه عاشق قد مدّ بسطته يوم الفراق الى توديع مرتحل
وقد تمدى بأطوار الرقاق لنا مثل الفقير اذا ملاح في سمل
فليت شعري ماذا كان أمحله فصار إيمانه قولاً بلا عمل
مددت كفى فلم ترجع بهائدة كأنما وقعت منه على طلل

وأخذ أبو الحسن قوله شطرنجية من قول جحظة أظنه :

قدم لي أعظم حويلة قد طبخت بالماء في برمته

فلم أزل زلت به نعلُ العبدُ بالشرنج في قصته
ومن جيد الوصف قول أبي الفضل بن العميد في وسط: أنشدنا أبو أحمد أنشدنا
أبو الفضل بن العميد لنفسه :

ودونك وسطاً أجاد الصنائعُ تلفيفَ شطريهٍ بالقدمة
فمن صدر فائقةٍ قد نوت ومن عجز فاهضةٍ ملقمة
ودنر بالجوز أجوازه ودَرهمَ بالوز ما دَرهمه
وقابل زيتونها والجبن صفائح من بيضة مدغمة
فمن أسطير فيه مشكولة بملح ومن أسطير معجبة
وطرز بالقل أعطائه فوافي كحاشية معلمه
مرشا تخال به مطرفا بديع التفاوت والنمته
وأنشد في الشواريز (١) :

مامنة العين من خد تورده يزهي عليك بخال فيه مركز
مستغرق الحسن في توسيع وجنته بدائع بين تسهيم وتطريز
يوفي على القمر الموفى إذا اتصلت يسراء بالكأس أو بمناه بالكوز
انهى اليك من الشيراز إن وضعت في صحن وجنته خيلان شونيز (٢)
وقد جرى الزيت في مثنى أسرته فصارعت فضة تعلو بأبريز
وقال ابن خلاد :

وسوف يزورك شيرازها فتقسم بالله أن تكرمه
يميس بشونيز كالروس تخطر في الحلة المسهمة
وتنشى موائد قد عوليت أطايب كالبردة المظلمة
تباهى بجاماتها والغضار كواكب نى البلة المظلمة

وأول من ذكر القالوذ أبو الصلت جاهلي يذكر عبد الله بن جهمان :

(١) جمع شيراز وهو اللبن الرائب المستخرج ماؤه . (٢) أي الحبة السوداء .

لَهُ دَاعٌ بِمَكَّةَ مَشْعَلٌ^(١) وَآخِرُ فَرْقٍ دَارَتِهِ^(٢) يَنَادِي
 إِلَى رُدْحٍ^(٣) مِنَ الشَّيْزِيِّ عَلَيْهَا بَابُ الْبِرِّ يَلْبِكُ^(٤) بِالشَّهَادِ
 بَابُ الْبِرِّ يَعْنِي النَّشَأَ^(٥) . وَكَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا الْقَائِمُ وَالْقَاعِدُ وَالرَّاكِبُ
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُنْتُ أُسْتَظَلُّ بِجَنَّةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْحَانَ فِي الْهَوَاجِرِ .
 وَمِنَ النَّوَادِرِ فِي هَذَا مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو أَحْمَدَ عَنْ رَحَالَةَ قَالَ سَأَلَ أَعْرَابِي عَنْ رَأْيِهِ فِي
 الْقَالُودِ فَقَالَ وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى أَتَى فِرْعَوْنَ بِقَالُودٍ لَا مَنَ بِهِ وَلَكِنَّهُ أَتَاهُ بِعَصَاهُ .
 وَمِنْ مَصِيبِ التَّشْبِيهِ فِيهِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

وَلَا طِفْهَ بِالشَّهْدِ الْمُحْمَلِ وَجْهَهُ وَإِنْ كَانَ بِالْإِطَافِ غَيْرَ خَلِيقٍ
 كَانَ أَصْفَرَارَ اللَّوْزِ فِي جَنَابَتِهِ كَوَاكِبُ تَبَرٍّ فِي سَمَاءِ عَقِيقٍ
 وَقُلْتُ : حَمَاءُ فِي يَبْضَاءَ فَضِيَّةٍ وَظَرْفُ كَافُورٍ وَحَشْوُ الْخَلُوقِ
 يَطُوفُ^(٦) الدَّهْنُ بِأَرْجَائِهِ إِطَافَةُ الدَّمْعِ بِجَفْنِ الْمَشُوقِ
 كَأَنَّمَا اللَّوْزُ بِحَبَافَاتِهِ أَنْصَافُ دُرٍّ رَكِبَتْ فِي عَقِيقٍ

وَمِنَ الْمَشْهُورِ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي اللَّوْزِ بِنَج :

كَأَنَّمَا قَرَّتْ^(٧) جَلَابِيئُهُ مِنْ أَعْيُنِ الْقَطْرِ إِذَا قَبَا
 مَسْتَكْتَفٍ الْحَشْوِ عَلَى أَنَّهُ أَرْقُ جَسَماً مِنْ نَسِيمِ الصَّبَا
 يَسْدُورُ^(٨) بِالنَّفْعَةِ فِي جَامِهِ دَوْرًا تَرَى الدَّهْنَ لَهُ لَوْلَا
 لَوْ أَنَّهُ قَرَّ^(٩) لِرُومِيَّةٍ لَكَانَ مِنْهُ الْوَاضِعُ الْإِشْبَا

وَقُلْتُ فِي قَطَائِفَ :

كَثِيفَةُ الْحَشْوِ وَلَكِنَّهَا رَقِيقَةُ الْجِلْدِ هَوَانِيهِ
 رَشَتْ^(١٠) بِمَاءِ الْوَرْدِ أَعْطَافَهَا مَنَشُورَةُ الطِّيِّ وَمَطْوِيهِ

(١) فِي الْأَصْلِ «وَارْتَهُ» . (٢) فِي الْأَصْلِ (لِلدُّرُوحِ) (٣) اِشْمَعْلُ : أَشْرَفُ الْقَوْمِ فِي
 الطَّلَبِ بَادِرُوا فِيهِ ، وَالرَّدْحَةُ مَسْتَرَةٌ تَكُونُ فِي مُؤَخَّرِ الْبَيْتِ أَوْ قِطْعَةً تَزَادُ فِيهِ ، وَالشَّيْزِيُّ
 خَشَبٌ أَسْوَدٌ يَتَخَذُ مِنْهُ الْقَصَاعُ ، وَالْبَيْتُ الثَّانِي نَسَبٌ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ لِابْنِ الزُّبَيْرِ .

كانها من طيب أنفاسها قد سرقت من نشر ماريه
جاءت من السكر فضية وهي من الأدهان تيريه
قد وهب الليل لها برده وهب الخصب لها زيه
وقلت في ذم الباذنجان :

قرانا بقولاً إذ اتخنا يابه فأصبح فينا ظالماً للبهائم
وقفنا عليه الركب نسأله القرى ونحن على اعتاق أغبر قاتم
فصام وصوم الليل ليس بجائز وإن جاز في فقه الثام الأشائم
أجاز صيام الليل حين استفرزه تعاور ضيف في دجى الليل طائم
فبتنا أديم الليل نطوى على الطوى كأننا على غبراء من ظهر واشم
وأطعمنا لما مرقنا من الدجى دحاريج لا تنساق في حطر طاعم
مدورة سود التون كأنها خصي الزنج لاحت تحت فبش قوائم
فأبشارها تحكى بطون عقارب وأرؤسها تحكى أنوف محاجم^(١)

وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن اسحق القاضي حدثنا نصر قال قال
الأصمى قيل للفاخرى أى التمر أجود ؟ قال الجرد الفطس الذى كأن نواه ألسن
الطير تضع الواحدة فى فيك فتجد حلاوتها فى كعبك يعنى الصيحاني تمر الطية .
وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن أبى أويس حدثنى أبى حدثنى عبد الله بن
دينار عن عبد الله بن عمر قال اجتمع أربعة رهط سروي ونجدى وحجازى وشامى
فقالوا تعالوا نتناعت الطعام أيه أطيب : قال الشامى إن أطيب الطعام ثريدة
موسعة زيتاً تأخذ أدناها فيضطرط عليك أقصاها تسمع لها وقياً فى الحنجرة كتقحم
بنات الحاض فى الخرف ، قال السروي ان أطيب الطعام خبز بر فى يوم قر على
حر عشر موسع ممناً وعسلاً . فقال الحجازى أطيب الطعام خنس فطس باهالة
حسن يغيب فيها الضرس . فقال النجدى أطيب الطعام بكر سنة مقتبطة نفسها

ير ضمنه في غداة شعبة بشفار خدمه في قدور جفمه . ثم قال الشامي دعوني أنعت
نكم الطعام إذا أكلت فأبرك على ركبتيك واقفح فك وأجحظ عينيك وامرح أصابعك
وعظم تمتك واحتسب نفسك . قال عبد الله بن دينار ما سمعت ابن عمر حدث هذا
الحديث قط فبلغ قول الشامي « واحتسب نفسك » إلا ضحك . وقلت في عصيدة :

وعدت عَصيدة شقراء تحكي طرارَ الصبح في ثوبِ الظلام
تراها حين تَبْرُزُ في ظلام كرفِ الطرفِ في زمنٍ قتام
كذى دَلَّ عليه معصراتٌ يدلُّ على المشوقِ المستهام
فلما أت صبا قلبي إليها ومدت نحوها عين اهتمام
تقاصرَ دونها كفايَ حتى كأنَّ الدبسَ علقَ بالغمام
فدونَ السجَن أطرافُ الموالى ودونَ النارِ بادرةُ الحسام
أتلك عَصيدةٌ أم طرفُ سلى فليس يزورُ إلا في المنام
وقلت في ممكة طرية :

يقبضُ للمكتوبِ ماجرٌ حنفة فجازَ بنا في الغيظِ شرٌّ مجاز
بعثنا إليه ينسرُ الباز فأنثنى إلينا بظهرٍ مثل جَوْجُو باز
فأطفأ نيرانَ الطمأنينة كأنها سحابٌ يسح الودق فوق عراز
العراز : الأرض الصلبة . وقال كشاجم في السبك :

ومحجوبة في البحرِ عن كلِّ ناظرٍ ولكنها في حجبها تتخطفُ
أخذنا عليهم السَّيْلَ بأعينٍ روادٍ إلا أنها ليسَ تطرفُ
فجاءَ بها بيضُ المتونِ كأنها خناجرٌ في أيماقتنا تتعطفُ

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن القاسم عن الأصمعي قال دخلت على الرشيد
وهو يأكل الفالوذ فقال يا أصمعي هل قالت العرب في هذا شيئاً ؟ فقال يا أمير
المؤمنين وآتي لها هذا ولكن قالت فيما دونه ، قال وما قالت ؟ قال قال مُرَرَّد^(١)

(١) في الأصل « مرز » وفي العقد الفريد طبعة بولاق « مرزود أخبي سماح »

ابن ضرار أخو الشياخ :

ولما قلتُ أُمِّي تَرورُ بناتها أغرتُ على المكم الذي كان يمنع
خلطتُ بصباغِ حنطة صاع عَجْوَةٍ إلى صاعِ سخنٍ فوقها يسزيع
ودبِلْتُ^(١) أمثالَ الأثافي كأنها رؤوسُ نقادٍ قُطعتْ يومَ نجمِ^(٢)
وقلتُ لبطنى أبشرى اليومَ أنه حى آمناً مما تفيدُ ونجم
فإنْ تكُ مصفوراَ فهذا دواؤهُ وإنْ تكُ جوعاناَ فذا يومُ تشيع
فضحكك الرشيد وقال يا أصمى ما الدنيا ليس فيها مثلك حسن ، فدعوت له وفضلته
على الملوك بالعلم ، فقال يا أصمى نحن كل يوم نشيع .
ومما يجرى مع هذا القول في الرحا : فمن أجود ما قيل فيها ما أنشدناه أبو أحمد :
عجبتُ من سائرةٍ لا تَبْرَحُ ينهاك عن ركوبها من ينصحُ
دائبةٌ تَمسى بِحَيْثُ تُصْبِحُ
والحمد لله وحده .

(الفصل الثالث)

(في ذكر الشراب وما يجرى معه من رقيق المعاني)

للقدماء في صفة الخمر قول الأعشى : تريك القذى من دونها وهي دونه *
يريد أنها من صفاتها تريك القذى طالية عليها وهي في أسفلها .
ومن أطرف ما قيل في صفاء الخمر قول أبي نواس :
ترى حيثما كانت من البيتِ مشرقا ومالم تكن فيه من البيتِ مغربا

وهو تصحيف على ما في مقدمة « القصص » والاسم في التعريف بأنساب العرب
والعجم لابن عبد البر . (١) دبل اللقمة : جمعها بأصابعه وكبرها ، وفي العقد الفريد
طبع بولاق « ودبِلت » وهو تصحيف ، وفي العقد اختلاف في بعض الألفاظ .
(٢) كذا في لسان العرب ، وفي الأصل « ما نجم » .

إذا عب فيها شارب القوم خلته^١ يقبل في داج من الليل كوكبا^٢
أخذه ابن الرومي فقال وأحسن :
ومهنف تمت محاسنه^٣ حتى تجاوز مئة النفس
وكانه الكأس في فيه قمر يقبل عارض الشمس
فجعل الشارب قمرأ وليس هذا في بيت أبي نواس . وقال أبو نواس يذ كر صفاء
الخمر ورقتها وحبابها :

فاذا ما اجتليتها فهباء^١ يمنع الكف ما يبيع العبونا
ثم شجت فاستضحكت عن جان^(١) لو تجمعن في يد لاقنيننا^(٢)
في كؤوس كأنهن نجوم^٣ دثرات^(٣) بروجها أيدينا
طلعات مع السقاء علينا فاذا ما غرن بغرين فينا
لو ترى الشرب حولها من بعيد^٤ قلت قوم من قرة يصطلونا
وقلت في لطافة الخمر والزجاجة :
قلت والراح في أكف الندامى كنجوم تلوح في أبراج
أمداماً فرطم^٥ لمدام أم زجاجاً سبكت^٦ في زجاج
وكان^٧ النجوم والليل داج نقش طاج بلوح في سقف ساج
ومن أعجب ما قيل في صفاتها قول الناشيء * فليس شيء عندها إلا القذى *
وقلت : ومشولة دارت على كؤوسها فرحت^٨ كاتي في مدار الكواكب
أنازعها بدرأ مع الليل طالما^٩ وليس بمردود مع الصبح غارب
وقد شاب^{١٠} لنا بالشماس وإنما تطيب^{١١} لك الصهباء من كف قاطب
وأنشدني أبو أحمد :

فنبهتني وساقى القوم يمزجها . فصار في البيت للمصباح مصباح^{١٢}

(١) في ديوان أبي نواس (عن لآل) . (٢) في الأصل (لضيننا) .

(٣) في الأصل « طلعات » .

قلنا على علمنا والشك يغلبنا أراحنا دارنا أم دارنا الراح
ومثله قول البحري :

فأضاءت تحت اللجئة للشر بـ وكانت تفي للمصباح
وأحسن ما وصفت به كأس على فم قول ابن المعتز :
ظلي خلى من الاحزان أو دغى ما يعلم الله من حزن ومن قلق
كأنه وكان الكأس في فيه هلال أول شهر غاب في الشفق
وقول الآخر :

كأنما الكأس على ثغرها موصولة بالأمل الخمس
ياقوتة صفراء قد صيرت واسطة للبدر والشمس
قد ذهب نفسى على نفسها وآفة النفس من النفس
وقلت : فيسقينى ويشرب من عقيق خليق أن يشبه بالخلق
كأن الكأس من يده وفيه عقيق في عقيق في عقيق
الكأس الحمراء مثل العقيق واليد المحضوبة كالعقيق والشفة مثل العقيق في لونها. وقلت:
ودار الكأس في يدي ذى دلال رشيق القد يعرف بالرشيق
يحلى بالتبسم در ثمر تخلله شواير العقيق
رأيت الكأس في يده وفيه وجنح الليل منصرف الفريق
فني فيه هلال في غروب وفي يده الثريا في شروق
وأحسن ما قيل في الشروق وآمه قول ابن الرومي وأني بشيء لم يسبق إليه
وهو تشبيه الحجاب بخلق اللاؤلؤ وهو على الحقيقة تشبيهه والناس قبله إنما شبهوه
بالؤلؤ الصحيح ، وهو قوله :

لها صريح كأنه ذهب ورغوة كاللاليء الفاق

فشرحت ذلك وقلت :

وكأس تمتطي أطراف كف كأن بناتها من أرجوان

أنازعها على العلاتِ شرباً لمن مضاحكٌ من أفحوانِ
يلوحُ على مفارقتها حجابٌ كأنصافِ الفرائدِ والجمانِ
وفي هذا زيادة لأن في الحجاب ما هو كبير يشبه بأنصافِ الفرائدِ وهي كبار
اللولؤ ، ومنه ما هو صغير يشبه بأنصافِ الجمانِ وهي صغار اللؤلؤ :
وطالعتي الفلامُ بها سحيراً فزاد على الكواكبِ كوكبانِ
ووافقتها بنجدٍ أرجوانِ وخالفتها بفرعِ أرجوانِ
وأغرب ما قيل في الحجاب قول أبي نواس :
إذا علاها الماءُ ألبسها حياً كمثل^(١) جلاجلِ الحجلِ
حتى إذا سكنتُ جوامعها كتبتُ بمثلِ اكراعِ النملِ
ومن غريب ذلك وبديعه قول الأول ويقال إنه ليزيد بن معاوية :
وكأس سبأها البحرُ من أرضِ بابلِ كرقعة ماء المزنِ في الأهينِ النجلِ
إذا شجها الساقِ حسبتُ حبابها هيونَ الدبا من تحت أجنحةِ النملِ
وأبدع ما قيل في الحجاب قول أبي نواس :
قامت ترينى وأمرُ الليلِ مجتمِعٌ صبحاً تولدَ بينَ الماءِ واللهبِ^(٢)
كأنَّ صغرى وكبرى من فواقعها حصباءُ دُرٍّ على أرضٍ من الذهبِ
وخطأه النحويون في قوله « كبرى وصغرى من فواقعها » ، أخذه ابن المعتز فقال :
يا خابلي^(٣) سقياني فقد لا حَ صباحٌ وأذنُ الناقوسِ
من كيتِ كأنها أرضُ تبرٍ في نواحيه لؤلؤٌ مغروس
وقلت : راح إذا ما الليلُ مدَّ رواقه لاحَتْ نظرٌ حُلَّةَ الظلواءِ
حتى إذا مزجت أراك حبابها زهراتِ أرضٍ أو نجومِ سماءِ
وقلت في المعنى الأول :

(١) في الأصل « نمشاً كذا » وفي ديوان أبي نواس « حياً شبيه » .

(٢) في الأصل « والعنب » . (٣) في ديوان ابن المعتز « يا نديمي » .

تَبَيَّنَتْ لِي اللَّذَاتُ مُعْقُودَةُ الْعَرَى إِذَا مَا أَدَارَ الْكَأْسَ أَحْوَرُ مُقَادُّ
يَدْبُ الدُّجَى عَنْ وَجْهِ نَارٍ تَحْلُهُ كُؤُوسَ لَا عُنَاقَ الْبَيَالَى قَلَائِدُ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

قَدْ حَتَّى بِالْكَأْسِ أَوَّلَ فُجْرِهِ سَاقُ عِلَامَةٍ دَبْنِهِ فِي خَصْرِهِ
فَكَأَنَّ حُمْزَةَ لَوْنِهَا مِنْ خَدِّهِ وَكَأَنَّ طَلِبَ نَسَبِهَا مِنْ فُشْرِهِ
حَتَّى إِذَا صَبَّ الْمَزَاجُ نَبَسَتْ عَنْ ثَغْرِهَا فُحْسَبَتُهُ مِنْ ثَغْرِهِ
وَقَالَ : لَدَاءٌ فِيهَا كُتَابَةٌ عَجَبٌ كَتَلُ قَشٍ فِي فَصٍّ يَاقُوتُ
وَقُلْتُ : دَارَ فِي الْكَأْسِ عَقِيقُ فُجْرِي وَاطْفَأَ الدُّرُّ عَلَيْهِ فُطْفُوحُ
نَصَبَ السَّاقِي عَلَى أَقْدَاحِهَا شَبَكَ الْفَضَّةَ تَصْطَادُ الْفَرْحُ
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي لَطَائِفِهَا :

لَطَفَتْ فَقَدْ كَادَتْ تَكُونُ مُشَاعَةً فِي الْجَوْثِمِ مِثْلَ شِعَاعِهَا وَنَسِيبِهَا
وَمِنَ الْإِسْتِعَارَةِ الْبَدِيعَةِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ : فَاضْحَكْ عَنْ ثَغْرِ الْحَبَابِ فَمِ الْكَأْسِ *
وَقُلْتُ : وَشَرَابُ طَوَى الزَّمَانِ خَاكِي نَفْسَ الْوَرْدِ رَقَّةً وَنَفْسِيَا
إِنْ يَكُنْ بِالْعَقُولِ غَيْرُ رَحِيمٍ فَهُوَ بِالرُّوحِ لَا يَزَالُ رَحِيمًا
وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي خِيَالِ الْكَأْسِ عَلَى الْبِدْقِ قَوْلُ بَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ :
كَأَنَّ الْمَدِيرَ لَهَا بِالْيَمِينِ إِذَا قَامَ لِلسَّقَى أَوْ بِالْيَسَارِ
تَدَرَّعَ ثَوْبًا مِنَ الْيَاصْمِينِ لَهُ فَرْدٌ كَمِ مِنَ الْجَلَنَارِ
وَقَالَ السَّرِيُّ فِي مَعْنَاهُ :

وَبَكَرَ شَرِبْنَاهَا عَلَى الْوَرْدِ بَكْرَةً فَكَانَتْ لَنَا وَرْدًا عَلَى خَيْرِ مُوَرِّدِ
إِذَا قَامَ مَبِيضُ الْجَبِينِ يُدِيرُهَا تَوَهَّمَتْهُ يَسْعَى بِكُمْ مُوَرِّدِ
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ : أَلَا رُبَّمَا كَأْسُ سَقَاتِي سَلَا فُهَا رَهْفُ الثَّنْيِ وَاضِحُ الثَّغْرِ أَشْنَبِ
إِذَا أَخَذْتَ أَطْرَافَهُ مِنْ قَتْوِهَا ^(١) رَأَيْتِ اللَّجِينَ بِالْمَدَامَةِ يَنْهَبِ

(١) فِي دِيْوَانِ الْبَحْتَرِيِّ (إِذَا ذَكَرْتَ أَطْرَافَهُ مِنْ قَتْوِهَا) .

وقلت : وقد شغلت كلنا يديه بقره
 كأن خيال الكأس فوق ذراع غشاء من العتيان فوق لجين
 وقلت أيضاً :

يسمى إلى مُقرطق في كفه كأسٌ وبين جفونه كأسان
 وتناسبت فيها بغير قرابة كف المدير وجنة الندمان
 ومن أحسن ما قيل في الزجاجة ورقها وصفائها قول بعضهم :

رق الزجاج وراقت الخمر وتشابها فتقارب الأمر
 فكانها خمر ولا قدح وكأنة قدح ولا خمر

وقال ابن المعتز في رقة الخمر وصفائها وذكر الكأس ولطافتها :

وكأس تعجب الأبصار عنها فليس لناظر فيها طريق
 كأن غمامة يضاء بين وبين الراح تحرقها البروق
 وقلت : وندمان سقيت الراح صرفاً وجنح الليل مرتفع السجوف
 صفت وصفت زجاجتها عليها لمحي دق في ذهن نصيف

وليس هذا التشبيه بالمتعار ولو أن بعض الناس يستملحه لأنه أخرج ما يرى
 بالبيان إلى ما يعرف بالفكر^(١) . وقال بعضهم :

خفيت على شراها فكانهم يجدون رياء من إناء فارغ
 وقال غيره : وزنا الكأس قارغة وملاى فكان الوزن بينهما سواء

وقال ابن الرومي :

لطفت فقد كادت تكون مشاعة في الجوّ مثل شعاعها ونسيمها^(٢)
 وقلت : حملت بخصرها إناء مدامة صفراء تلمع في زجاج أقر
 فكانها واللحظ ليس يحورها شمس النهار تختمت بالمشتري

ومن أجود ما قيل في الأباريق وفضول الكأس وأنشده إسحق :

(١) لعل في الأصل نقصاً لأن الشعر المتقديس من قول المصنف . (٢) تقدم قريباً .

كَأَنَّ أَبَارِيقَ الْمَدَامِ لَدَيْهِمْ ظَبَاءٌ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ قِيَامُ
وَقَدْ شَرَبُوا حَتَّى كَانُوا رِقَابَهُمْ مِنْ اللَّيْلِ لَمْ يَخْلُقْ لَهُنَّ عِظَامُ
وَقَدْ أَحْسَنَ مُسْلِمٌ فِي قَوْلِهِ :

إِبْرِيْقُنَا سَلْبَ الْفَزَالَةِ جِيْدَهَا وَحَكَى الْمَدِيرُ بِمَقْلَتَيْهِ غَزَالَا
وَأَحْسَنَ الْآخَرُ وَيَنْسَبُ إِلَى بَشَارِ :

كَأَنَّ إِبْرِيْقُنَا وَالْقَطْرُ فِي فَمِهِ طَيْرٌ تَتَاوَلُ يَأْقُوْتَا بِمَنْقَارِ
إِلَّا أَنْ قَوْلَهُ « طَيْرٌ » رَدِيٌّ وَالْجِيْدُ طَائِرٌ ، وَأَجَازَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَلَمْ يَجْزِهِ غَيْرُهُ .
وَقُلْتُ : تَضَحُّكَ فِي الْكَأْسِ إِبْرِيْقُنَا وَحَسَبَ مَا يَضْحَكُنْ يَبْكِيْنَا
كَأَنَّ أَعْلَاهَا إِذَا أَسْفَرَتْ تَعَقَّدُ فِي الْكَأْسِ تَلَايِنَا
وَأَوَّلُ مَنْ شَبِهَ الْإِبْرِيْقَ بِالْأَوْزِ لَبِيْدٌ ^(١) فِي قَوْلِهِ وَلَمْ يَذْكُرِ الْخَمْرَ :
تُضَمُّنُ يَشْفَا كَالْأَوْزِ ظُرُوفُهَا إِذَا تَأَقَرَّا أَعْنَاقَهَا وَالْحَوَاصِلَا
فَأَخَذَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ :

وَيَوْمَ كَفَّلَ الرُّمَحَ قَصْرَ طَوْلِهِ دَمُ الزُّقْعَانَا وَاصْطَلَكَا الْمَزَاهِرُ
كَأَنَّ أَبَارِيقَ الْمَدَامِ عَشِيَّةً إِيْزُ بِأَعْلَى الطَّفِّ عَوِجُ الْخَنَاجِرِ
وَقَالَ أَبُو الْهِنْدِيِّ ^(٢) :

سَيَنْفَى أَيَا الْهِنْدِيِّ مِنْ وَطْبِ سَالِمٍ أَبَارِيقٌ لَمْ يَلْقَ بِهَا وَضْرُ الزَّبْدِ
مَقْدَمَةٌ قَرَأَ كَأَنَّ رِقَابَهَا رِقَابُ بَنَاتِ الْمَاءِ تَفْزَعُ لِلرَّعْدِ
وَقَوْلُهُ (تَفْزَعُ الرَّعْدُ) زِيَادَةٌ عَلَى مَا تَقْدِمُ .

وَأَمَّا فَضُولُ الْكُؤُوسِ فَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِيهَا قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ :
قَرَارَتِهَا كَسْرَى وَفِي جَنْبَاتِهَا مَهْمَا تَلَوِيَهَا بِالتَّقْسِيِّ الْفَوَارِسُ

(١) هُوَ صَاحِبُ الْمَلَقَةِ الْمَشْهُورَةِ لَبِيْدُ بْنُ رِيعَةَ الْعَامِرِيُّ ، الشَّاعِرُ الْحَكِيمُ

الْجَوَادُ الْقَارِسُ الْقَتَاكُ الْمَعْرُوفُ .

(٢) هُوَ غَالِبُ بْنُ عَبْدِ الْقَدُوسِ الشَّاعِرُ الْمَطْبُوعُ الْمُسْرَفُ فِي وَصْفِ الْخَمْرِ .

فلخمر ما زرت عليه جيوبهم ولما مدارت عليه القلائس
وقال السرى الموصلى :

كان الكؤوس وقد كلت بفضلاتهن أكاليل نور
جيوب من الوشي بمزودة بلوح عليها ياض النحور
فجئت به في بيت وقلت :

ويض تهاوى في مزعفرة صفر وهبت لها قلبي وأخسرتها فكري
فدارت بأقداح كأن فضولها سوائف تبدو بن مصفرة حمر
وقال السرى أيضاً :

وصفراء من ماء الكروم شربتها على وجه صفراء الفلائل غضة
تبدت وقضل الكأس يلمع ساطعاً كأنرجة زينت باكاليل فضة
وقال الناشئ : ملوك ساسان على كأسها كأنها في عز سلطانها
فخبرها من فوق أذقانها وماؤها من فوق تيجانها
يصف كأساً نقش فيه صور ملوك ساسان .

ومن أجود ما قيل في صفة صفاء الاناء وحسنه مع صفاء الخمر قول ابن الممتز :

غدا بها صفراء كرخية كأنها في كأسها تقدر
فحسب الماء زجاجاً جرى وتحسب الأقداح ماء جمد

ومن أجود ما قيل في صوت الأباريق ما أنشدناه أبو أحمد :

وقد فجت النسيم السماء كأنها يمد عليها منه ثوب ممك
ومجلسنا في الجوى بهوى ويرتقى وإبريقنا في الكأس يميكي ويضحك •

ومن أحسن ما قيل في ابتداء السكر قول بعضهم :

ولها ديب بالعظام كأنه فيض النعاس وأخذ به بالفصل
عبثت أكنهم بها فكأنما يتنازعون بها سحاب قرنفل

وقول أبي نواس :

فأرسلت من فم الأبريق صافيةً كأنما أخذها بالمين إغفاء
 وقوله: ثم لما مزجوها وثبتت وثب الجراد
 ثم لما شربوها أخذت أخذ الرقاد
 ومن شعر المتقدمين قول الأخطل^(١):

أناخوا فجرًا شاصياتٍ كأنها رجالٌ من السودان لم يتسربلوا
 « لم يتسربلوا » تميم حسن ، والبيت من أحسن ما قيل في الزقاق :

فقلت اصبحوني لا أبا لأبيكم وما وضعوا الاثقال إلا ليفعلوا
 ندبٌ ديباً في العظام كأنه ديبٌ نمل في نقا يهيل
 أحسن ما قيل في خروج الحمر من الميزال قول أبي نواس :

وخندريسٌ باكرت حائنها فودجوا خصرها بميزال
 فسال عرقٌ على ترائبها كأن مجراه قتلٌ خلخال

وقال ابن المعتز : تخرج من دنها وقد حدثت مثل هلالٍ بدا بتقويس
 قوله « بدا بتقويس » فضل لا يحتاج إليه لأن الهلال لا يبدو إلا بتقويس . وقال :

جاءتك من بيتٍ خمارٍ بطبقها صفراء مثل شعاع الشمس تنقد
 فأرسلت من فم الأبريق فانبثت مثل اللسان بدا واستمسك الجسد

إلا أن هذا في وصفها جارية من فم الأبريق ، وقال في المعنى الأول :

سعى إلى الدن بالميزال يبقره ساق توشح بالمتديل حين وثب
 لما وجاها بدت صفراء صافية كأنه قد سيرا من أديم ذهب
 وقلت : قد زل الدن قومي انظري زنجيةً تقتل خلخالاً
 واستقنيها واشربي واطربي وجردى في الهواء أذيالاً
 تنعى ما استطعت واستمتعي إن وراء المرء أهوالاً

(١) هو غياث بن غوث التغلبي ، يشبه من شعراء الجاهلية بالتأبغة الذبياني

كان يمدح الأمويين .

أبلغ ما قيل في الكبر الذي يعترى المنتشى قول الأخطل يخاطب عبد الملك :
 إذا مأندي عني ثم عني ثلاث زجاجاتٍ لهن هدير
 خرجت أجره الذيل حتى كآني^(١) عليك أمير المؤمنين أمير
 وإنما صار ذلك أحسن من غيره لأنه خاطب به ملك الدنيا وقال أنا أمير
 عليك في ملك الحال . والأصل فيه قول حسان :
 ونشربها فتركنا ملوكاً وأسداً ما ينهنا اللقاء
 ومنه قول الأخطل :

وإذا سكرت فآني رب الخورق والسري
 وإذا صحت فآني رب الشوية والبعر
 وأجاد ابن الرومي القول في تفسيح أمل السكران حتى يأمل ما لا يجوز دونه وهو قوله :
 ومدامة كحشاشة النفس لطفت عن الإدراك والحس
 لنسيمها في قلب شاربها روح الرجاء وراحة النفس
 وتمد في أمل ابن نشوتها حتى يؤمل مرجع الأس
 وأجود ما قيل في صفة السكران قول عبد الله بن عبد الله بن عتبة :
 وشربك من ماء الكروم كأنه إذا مج صرقاً في الأناء خضاب
 صريع مدام والتدامي يلونه وفي الشدق قى سائل ولعاب
 وقريب منه قول الآخر في حماد الراوية :

نعم القى لو كن يعرف ربه ويقم وقت صلاته حماد
 هدلت مشافره المدام وأنفه مثل القدوم يسنها الحداد
 وابيض من شرب المدامة وجهه فيياضه يوم الحساب سواد
 وأبدع ما قيل في صفة أنف السكران إذا تورم من السكر قول الآخر :
 وشربت بعد أبي ظهير وابنه سكر الدنان كأن أنفك دمل

(١) في ديوان الأخطل « جعلت أجر الذيل مني كآني » .

ومن جيد ما قيل في مبادرة اللذات قول أحمد بن أبي قتن :^(١)
 جَدُّرُ اللذاتِ قَالِيَوْمٍ جَدِيدٍ وامض فيما تشتهي كيف تريد
 أنى إن أمكن يوم صالح إن يوم الشرب لا كان عتيده
 وقال ديك الجن^(٢) :

نمتع من الدنيا فانك فاني وإنك في أيدي الحوادث فاني
 ولا تنظرن اليوم في لهو غد ومن لقد من حادث بأمان
 فاني رأيت الدهر يسرع بالفتى ويتقله حالين يختلفان
 فأما الذي يمضي فأحلامُ نائم وأما الذي يبقى له فأماي
 ونحوه قول عمران بن حطان^(٣)

يأسفُ المرء على ما فاتهُ من ليلاناتٍ إذا لم يقضها
 وتراه فرحاً مستبشراً بالتي أمضى كأن لم يمضها
 عجباً من فرح النفس بها بعد ما قد خرجت من قبضها
 أنا عندي ذاق أحلام الكرى لقريب بعضها من بعضها
 وقال ابن المعتز :

وبادر بأيام السرور فانها سراغٌ وأيامُ المهوم بقاءُ
 وحلَّ عتاب الحادثات لوجهها فإن عتاب الحادثات عناءُ
 تعالوا فسقوا أنفساً قبل موتها ليالي ما يأتي وهن وراءُ
 ونحوه عجير السلولي^(٤) جله لأصحابه وجعل يشرب معهم ويقول :
 هللاني إنما الدنيا عللٌ واطركاني من عتاب وعذل
 وانشلا ما غبر من قدريكما واستقياني أبعد الله الجمل

(١) في الاصل (قدس) وهو تصحيف . (٢) نسبها في الأمل لسعيد بن حميد باختلاف
 في البيت الثاني . (٣) شاعر فصيح ، طال عمره فضعف عن الحرب وحضورها فاقصر
 على الدعوة والتحريض بلسانه . (٤) شاعر إسلامي قتل من شعراء الدولة الإسلامية

وقال أحمد الماحرائي :

هاقر الرّاح ودع نعت الطلل واعصر من لأمك فيها وعذل
فادها واسع لها واغربها وإذا قيل نصاباً قل أجل
إنما دنيّاك قاعلم ساعة أنت فيها وسوى ذلك أمل
ولا بن بسام^(١) :

واصل خليلك إنما السد نيا مواصلة الخليل
وانعم ولا تتعجل السمكروة من قبل النزول
بأدر بما تهوى فما تدري متى وقت الرّجل
وارفض مقالة لائم إن الملام من الفضول

وقد أجاد ديك الجن في قوله بصف السكر ، واسمه عبدالسلام بن رغبان الحمصي :

أستغفر الله لذنبى كله قتلت إنساناً بغير حله
وانصرم الليل ولم أصله والسكر مفتاح لهذا كله
قد أوطأ إلا أنه أصاب المعنى . وقال أيضاً :

مشمشة^(٢) من كف ظلي كأنما تناولها من خدّه فأدارها
فظلت بأيدينا تتعمر روحها وتأخذ من أقدامنا الرّاح ثارها
وهذا معنى بديع حسن أخذه أبو تمام منه وكان كثير الأخذ منه فقال :
إذا اليد نالها بوتر توقّدت على ضعتها^(٣) ثم استقادت من الرجل
وبيت عبد السلام أجود منه .

أحسن ما قيل في وصف الساق إذا أخذ الكأس قول الآخر :

يعدّ في الطبقة الخامسة من شعراء الاسلام . (١) هو أبو الحسن علي بن محمد ،
كان من أعيان الشعراء ومحاسن الظرفاء لستأ مطبوعاً في الهجاء ، يشبه بالخطيئة في الهجاء .

(٢) في وفيات الأعيان (موردة من كف) .

(٣) في ديوان أبي تمام (توقرت على ضعتها) .

كَأَنَّهُ وَالْكَأْسُ فِي كَنهِ بِدُرٍّ إِلَى جَانِبِهِ كَوْكَبٌ
 وقلت : وطلعتي الغلامُ بها سحيراً فزادَ على الكواكب كوكبان
 وما يدخل في مختار هذا المعنى قول ابن الرومي * ومهفهف تمت محاسنه *
 وقد مر . ولم أسمع في هذا المعنى أجود من قول الآخر :

فكَأَنَّهُ وَكَأَنَهَا وَكَأَنَّهُمْ قَرٌّ يَدُورُ عَلَى النُّجُومِ بِأَشْمَسِ
 ومثله في الجمع قول الآخر :

فَالْكَفُّ عَاجٌ وَالْجُبَابُ لَالِيٌّ وَالرَّاحُ تَبْرٌ وَالزُّجَاجُ زَبْرَجِدٌ
 وأجود ما قيل في قيام السقاة بين الندامي قول ابن المعتز :

بَيْنَ أَقْدَاحِهِمْ حَدِيثٌ قَصِيرٌ هُوَ سَحَرٌ وَمِثْلُهَا الْكَلَامُ
 وَكَأَنَّ السَّقَاةَ بَيْنَ النَّدَامَى أَلْفَاتٌ بَيْنَ السُّطُورِ قِيَامٌ
 فشبه اصطفاة الشرب جلوساً بالسطر والسقاة بينهم بالآلقات فأحسن .
 ومن البارع الداخل في هذا الباب قول عنتره :

وَإِذَا سَكِرْتُ فَأَنْتَ مُسْتَهْلِكٌ مَالِي وَعَرْضِي وَافِرٌ لَمْ يَكْمَلْ
 وَإِذَا صَحَوْتُ فَأَنْتَ قَصْرٌ عَنْ نَدَى وَكَأَنَّ عَلِيَّ شَمَائِلِي وَتَكَرَّمِي
 أخذه البحري فزاد عليه في قوله :

وَمَا زِلْتُ خَلًّا لِلنَّدَامَى إِذَا انْتَشَوَا وَرَاحُوا بِدُورًا يَسْتَعْشُونَ أَنْجِمَا
 تَكَرَّمْتُ مِنْ قَبْلِ الْكَؤُوسِ عَلَيْهِمْ فَمَا اسْطَمْنَ أَنْ يَحْدِثَنَّ فِيكَ تَكَرُّمًا
 والزيادة أن عنتره ذكر أنه يستهلك ماله إذا سكر، والبحري ذكر أنه تكرم
 قبل الكؤوس فيبالغ حتى لا تستطيع الكؤوس أن تزيد تكرماً .

ومن أطرف ما قيل في حسن الندامي قول بعضهم :

لَقَدْ عَلِمَ الرِّيحَانُ وَالرَّاحُ أَنِّي عَلَى الْكَأْسِ وَالنَّدَمَانُ غَيْرُ جَهُولٍ
 فَإِنْ سَاءَ لِي مِنْهُمْ مَقَامٌ غَفَرْتُهُ وَلَسْتُ إِلَى مَا سَاءَ لِي بِمَجُولٍ
 قوله * لقد علم الريحان والراح اني * في غاية الظرف . وشبه البيت

الثاني قول الآخر :

ليس من شأنه إذا دارت الكأس من فادري أدمانه بالخلوم
قول ما أسخط النديم وإن أسخطه عند ذاك قول النديم
إلا أن في هذين البيتين عيين أحدهما التضمين والآخر قوله (عند ذاك)

وهي زيادة لا يحتاج إليها . وقال يحيى بن زياد^(١) :

ولست له في فضلة الكأس قائلاً لأصرفه عنها فحس وقد أبي
ولكن أحبيه وأكرم وجهه وأشرب ما أبقى وأسقيه ما اشتهى
وليس إذا ما نام عندي بموقف ولا سامع بفظان شيئاً من الأذى
وهذا جامع جداً . ومن جيد ما قيل في مدح النديم قول اعرابي وقد قيل له :
كم تشرب من النبيذ ؟ قال على قدر النديم . ومن المنظوم قول بعضهم :

ورضيع أرضعت في كبر السن فأضحى أخاً لدى مطاها
لم يكن بيننا رضاع ولكن صيرت بيننا المدام رضاماً
وهو من قول الناشيء : المدام الرضاع الثاني . ويقولون ذكر الرجل عمره الثاني .
وروى ابن عون عن ابن سيرين أنه قال : لا تكرم أخاك بما يشق عليه ، قالوا مغناه
لأنسقيه من النبيذ ما لا يقوم به . وجعل آخر النديم قطب السرور في قوله :

أرى للراح حقماً لا أراه	لغير الراح	إلا للنديم
هو القطب الذي دارت عليه	رحا اللذات في الزمن	القديم
وقلت : لما تبدى وجهه	كالبدر من خلل الغمام	
وكأنه ضوء الصبا	ح يمس في خلع الظلام	
آثرت طاعة حبه	واخترت معصية المدام	
لا أستفيد من المدا	م سوى منادمة الكرام	
فإذا حننت إلى النداء	م فقد حننت إلى المدام	

(١) هو أبو الفضل الحارثي شاعر مقل .

خلق النديم اذا صفا أغناك عن صفو المدام
 وفاخر كاتب تديماً فقال : أنا معونة وأنت مؤونة وأنا للجد وأنت للهزل وأنا
 لاشدة وأنت للرخاء وأنا للحرب وأنت للسلم . فقال النديم : أنا للنعمة وأنت للخدمة
 وأنا للحظوة وأنت للمهنة تقوم وأنا جالس وتحتشم وأنا مؤانس تدأب لرخاقي ^(١)
 وتسمى لما فيه سعادتي فأنا شريك وأنت معين كأنك تابع وأنا قرين فمثلته وقلت :
 ما أطاف النبيذ خيفة إثم إنما عنته لفقد النديم
 ليس في اللهو والمدامة حظ الكريم دون النديم الكريم
 فتخير قبل النبيذ تديماً ذا خلل معطرات النسيم
 وجمال إذا نظرت بديع وضمير إذا اختبرت سليم
 وأحسن ما قيل في احرار لون الشارب من الشعر القديم قول الاعشى :
 وسبيته مما نعتق بابل كدم الذبيح سلبتها جريالها
 الجريال : اللون . وقال بعض المحدثين :

نفضت على الأيام حجرة لونها وسرت بلذتها الى الأرواح
 وأخذ الناجم قول الاعشى (سلبتها جريالها) فقال :
 فخذها مشعشة قهوة نصب على الليل ثوب النهار
 وبسلبها الخلد جريالها فتهديه للعين يوم الحار
 إلا أن هذا فيه زيادة وهو قوله * فتهديه للعين يوم الحار * وهو في صفة حرة
 العين من الحار جيد إلا أن قوله (مشعشة قهوة) ردىء ووجه نظم اللفظ أن يقال
 قهوة مشعشة ، ألا ترى أنك تقول خمر ممزوجة ولا تقول ممزوجة خمر ، وإن كن
 جائزاً فليس كل جائر حسن فاعلم ذلك . وقلت :

شقائى كسائر الخمر وأقحوان كشتور الحور
 ونرجس كآبج الميجور

فشبهت ما يعتري ياض العين والخالق من الحجرة عند الخمار مع سواد الخدقة
بحمرة الشقائق حول سوادها. وقد أحسن أبو نواس في ذكر مراح الكأس حيث يقول:

ألا دارها بالماء حتى تليتها فلن تكرم الصهباء حتى تهينها
أغالى بها حتى إذا ما ملكتها أدلت لا كرام الصديق مصونها
وصفراء قبل المزج بيضاء بعده كأن شعاع الشمس يلقاك دونها
ترى العين تستعفيك من لعانها ونحسر حتى ما تقل جفونها
أخذه ابن دريد فقال:

وصفراء قبل المزج صفراء بعده بدت بين ثوبي زرجس وشقائق
حكى وجنة المعشوق صرفاً فسلطوا عليها مزاجاً فأكنت لون عاشق
ومن أجود ما قيل في صفة القيان:

بدت في نشوة مثل السهما أدجن إدماجا
يماذين من الأردا في كشباناً وأمواجا
وقضبناً من الفضة قد أثمرت العاجا
ويسترن من الأبخار في الدياج ديباجا
وقد لانت من الكور على مفرقها تاجا
فلما طفن بالمجلس أفراداً وأزواجاً
تجاذبن ففتينك أرمالاً واهزجا
وحركن من الأوتار امسداً وادراجا
فلا لوم على قلبك إن هيج فاهتاجا
ومن جيد ما قيل في بحه خلق المعنى قوله أيضاً:

أشهى في الغناء بحه خلق ناعم الصوت متعب مكدود
كأنين الحب أضعفه الشوق فضاء به أنين العود
لأحب الأوتار تملو كما لا أشهى الضرب لازماً للعود

وأحبُّ المجنَّبات كحبي للمبادي موصولةً بالنشيد
كهبوبِ الصبا توسطَ حالاً بينَ حالينِ شدةً وركود
وقد أحسنَ ابنُ المعتز في صفة أنامل القينة :

وتلفظُ بمناسها إذا ضربتُ بها وتثرُّ يسراها على العودِ عناها
وقلت : وهيجتُ لي من شوقي ومن فرح أيدٍ ثرنَ على الأوتارِ عناها
لا عيبَ في العيشِ إلا خوف غيتكم إنَّ السرور إذ ماغبتمُ غابا
ومن أحسن ما قيل في وصف المغنى قول ابن المعتز :

ومغنٍ ملحقٌ كلُّ نفسٍ بهواها وهو للسكر عذر
لا يمدُّ الصوت فيه قورٌ لا ولا يقطعنه منه بهر

وأجمع من ذلك قول ابن الرومي :

تتغنى كأنها لاتغنى من سكون الأوصالِ وهي تهجد
مندٌ في شاور صوتها نفسٌ كما في كأنفاسٍ عاشقها مدبد
ولها الدهر لائمٌ مستزيد ولها الدهر سامعٌ مستعيد
وللناجم من أبيات :

مندرة في كلِّ أصواتها لا كائى تندرُ في الندرة

وقول الآخر :

إذا وقع بالعود زمراً بالكؤس (٤)

فأما أعجب ما قيل في ذم المغنى والتنائى من مماعه فقول ابن الرومي :
فظلتُ أشربُ بالأرطال لا طرباً عليه بل طلباً للسكر والنوم
ومن أحسن ما قيل في مجالس الشرب قول أبي نواس :

في مجلسٍ ضحك السرورُ به عن ناجذيه وحلت الخمر

وقد أحسن ديك الجن في قوله :

كأنما البيتُ بريحانه ثوبٌ من السندس مشقوق

ومثله قول الصنوبري :

وقد نظم الروض ممطيه من ستان نؤيق إلى زجه
 كهرجك خفتان وشى بد ياض الغلالة من فرجه
 ورأيت قوماً يستحسنون هذين البيتين وهما بالاستهجان أولى لا لرداءة
 معناهما ولكن لتكلف ألفاظهما ، وليس التكلف أن تكون الألفاظ غريبة
 وحشية، بل وقد يكون الكلام متكلفاً وإن كان ظاهر اللفظ إذا لم يوضع في موضعه
 وخولف به وجه الاستعمال . وقال السري ولا أعرف في معناه أحسن منه بدعو صديقاً له :
 ألت ترى ركب الغمام يساق^١ وأدمعه بين الرياض تراق^٢
 وقد رقت جلباب التسم على الثرى^(١) ولكن جلاليب الغيوم صفاق
 وعندى من الريمان نوع تحية وكأس كرقراق الخلق دهاق
 وفؤادى جلت صنائع كفه ولكن معانى الشعر فيه دقاق
 لنا أبدأ من ثره ونظامه بدائع حل مالهن حقاق
 وأغيدمتهز على صحن خده غلائل من صبح الحياء رقاق
 أحاطت عيون العاشقين بخصره فهن له دون النطاق نطاق
 هذا البيت من قول المتنبي :

وخصر ثبت الأَبصار فيه كأن عليه من حديق نطاقا
 وقد مر ، ويدت السرى أجود منه سبكاً ونظماً ورصفاً :
 وقد نظم المشور فهو قلادة علينا وعقد مذهب وخناق
 وغرفتنا بين السحاب تلتقى لهن علينا كلة ورواق
 تقسم زوار من الهند مقفها خفاف على قلب النديهم شاق^(٢)
 وليس في هذه الآيات عيب إلا هذا الإبطاء ، وهو من أسهل العيوب التى تعثرى القوافى . . .
 أحاجم تلتذ الخصاص كأنها كواعب زنج راعهن طلاق

(١) في ديوان السرى « على الندى » . (٢) فى الأصل (قلب الكريم رقاق).

أنسن بنا أنس الأمانه تمحييت وشيبتها غدر بنا وإباق
 مواصلة والورد في شجراته مفارق ألف حان منه فراق^(١)
 فزرقية برد الشراب لبيهم حيم إذا فارقهم وغساق
 وقلت : وليل ابتعت به لذة وبعث في العقل والدنيا
 أصاب فيه الوصل قلب الجوى وبات في الهم مسكينا
 وقد خلطنا بنسيم الصبا نسيم راح ورباحينا
 واكؤس الرّاح نجوم إذا لاحت بأيدينا هوت فينا
 تضحك في الكأس أباريقنا وحسبا يضحكن بيكينا
 كأن أعلاها إذا كفرت بمقد الكأس ثلاثينا
 وقلت : هذا حبيب وصول وذا رقيب صروم
 وذاك شرخ شباب أغر وهو بهم
 وقهوة وغناء وسامر ونسديم
 فخذ نصيبك منه فليس شيء يلوم

وهذا من أجمع ما قيل في هذا الباب . وقال الصنوبري :

يوم ذبول مزنه على الثرى منسجبه
 بروقه سافرة وشمسه منتقبه
 فما سي ؟ سماء ضاحكة منتجبه
 طلبت أقصى أملى منه فقلت الطالبه
 بسيد بن ارتقيا منقبة فمنتقبه
 واقفا في كنية والتفيا في مرتبه
 نشرها عنراء قد قامت بحق الشريه
 أكرم زخر زخر من كرمه في عنبه

(١) في ديوان السري « مفارقة ان حان منه فراق » .

في مجلس أظنابه على الملا مطنبه
 أكرم به يوماً مضت ساعاته المستعذبه
 كلحظة مخلوصة وقبلة مستلبه
 وقلت : عندنا طيبٌ وريحاً نٌ وتقلٌ وغناء
 ومن المشروب لونا نِ شمولٌ وطلاء
 ومن اللحم خليطاً ن طيخٌ وشواء
 ومن الحلواء ألوا نٌ أحادٌ وثناء
 ولنا غلمانٌ صدق أدباءٌ أرباء
 أرسلوا في الصحن ماءً فكان الصحن ماءً
 واشنوا للحسن عدواً فحواشيه رداء
 فارشف الهمم هناءً أنما الهمم بلاء
 واغتم لذّة يوم قد تخطأ العناء
 فهو بطوبك ويمضي ليس للدنيا بقاء

ومن المشهور في صفة السكرى قول بعضهم :

مشوا إلى الرّاح مشى الرّخ وانصرفوا والرّاحُ تمشى بهم مشى الفرازين
 غلوا إليها كأمثال السهام مضت عن القسي وراحوا كالمراجين
 وكان شربهم في صدر مجلسهم شرب الملوك وناموا كالساكنين
 ومثل البيت الأول :

راحوا عن الرّاح وقد بدّلوا مشى الفرازين بمشى الرّخاخ
 ومما يجري مع هذا قول الآخر :

تزيد حسا الكأس السفيه سفاهةً وتترك أخلاق الكريم كاهيا
 وإن أقل الناس عقلاً إذا انتشى أقلهم عقلاً إذا كان صاحيا
 ومن أحسن ما أنشد في الخيش ما أنشدناه أبو أحمد ولم يسم قائله ورأيت

بعد في ديوان السرى :

وقد نشأت بين الكؤوس غمامة^١ من الندى إلا أنها ليس تهطل
وعلى بماء الورد خيش كأنه^٢ على جلده ثوب العروس المصنل
وقلت : ظي يروق الناظرين بأبيض^٣ وبأسود وبأخضر وبأشكال
ومقوم مثل القضيبي مهفف ومعوج كالصولجان محبل
ومفرج من خده ومكفر ومخلق من شعره ومسلسل
وبياض وجهه بالصباح مقنع وسواد فرع الظلام مكلل
علقت أباريق^٤ المدام بكفه كالبرق يلق بالهالك الأعزل
وعلا دخان الندى أبيض ماطماً مثل الغمامة غير أن لم يهمل
فكأنما الكاسات في حافاته شقر الخيول تجول تحت القسطل

ومن أبدع ما قيل في لذة الغناء قول الناجم :

شدو^٥ الله من ابتدا في العين في اغنائها
أحلى وأشهى من منى نفس وصدق رجائها
وأجود ما قيل في الاصغاء إلى الغناء والسكوت له قول الآخر :
وأصفوا نحوها الأذان حتى كأنهم وماناموا نيام
ومن عجيب المعاني في الغناء قول أبي تمام :

حد تلك ليلة شرفت وطابت أقام سهادها^(١) ومضى كراها
معمت بها غناء كان أولى بأن يقتاد نفسى من عناها
ومسمعة تفوت السمع حسناً^(٢) ولم تصممه لا يصمم صداها
مرت أوتارها فشفت وشاقت ولو يستطيع حاسدها فداها^(٣)
ولم أفهم معانيها ولكن ورت كبدى فلم أجهل شجاها

(١) في ديوان أبي تمام (شكرتك ليلة حسنت وطابت أقام سرورها) .

(٢) في الديوان (يحار السمع فيها) . (٣) هذا البيت سقط من النسخ

فكنتُ كَأَنِّي أَعْمَى مَعْنَى بِحَبِّ الْفَانِيَاتِ وَلَا يَرَاهَا
وَكُنْ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ (فَدَاهَا حَاسِدَهَا) وَلَيْسَ يَقُولُهُ (فَلَا يَسْطِيعُ حَاسِدَهَا)
مَعْنَى مُخْتَارٌ . وَأَوَّلُ مَنْ آتَى بِهَذَا الْمَعْنَى حَمِيدُ بْنُ ثَوْرٍ ^(١) فِي قَوْلِهِ :

عَجِبْتُ لَهَا أَنِّي يَكُونُ غَنَاؤُهَا فَصِيحًا وَلَمْ تَقْتَرِ ^(٢) بِمَنْطِقِهَا فَمَا
وَلَمْ أَرَ مُحَقَّقًا لَهَا مِثْلَ صَوْتِهَا أَحْسَنَ وَأَشْجَى لِلْحَزِينِ وَأَكْلَمًا
وَلَمْ أَرَ مِثْلِي شَاقَهُ صَوْتُ مِثْلِهَا وَلَا عَرِيًّا شَاقَهُ صَوْتُ أَعْجَمًا
وَمَنْ أَحْسَنَ أَوْصَافِ الْعُودِ إِذَا احْتَضَنَ تَشْيِيمَهُمْ إِيَّاهُ بِالْوَلَدِ فِي حَبْرٍ أَمَّهُ
وَتَشْيِيهِ إِصْلَاحِهِ بِمَرْكَ أُذُنِهِ فَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ وَأَجْمَعَهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :
فَكَأَنَّهُ فِي حَبْرِهَا وَلَدٌ لَهَا ضَمْتُهُ بَيْنَ تَرَائِبٍ وَلِبَانٍ
طَوْرًا تَدْغِدْغُ بَطْنُهُ فَإِذَا هُنَا عَرَكْتُ لَهُ أَذْنَآ مِنْ الْأَذَانِ
وَمِثْلُهُ قَوْلُ النَّاجِمِ :

إِذَا احْتَضَنْتُ عَابَثُ عُوْدَهَا وَتَغَاغَتْ أَحْسَنَ أَنْ يَمْرِبَا
تَدْغِدْغُ فِي مَهْلٍ بَطْنُهُ فَتَسْمَعُنَا مَضْحَكًا مَعْجَبَا
وَذَكَرَ الضَّحْكَ مَعَ الدَّغْدَغَةِ جِدًّا .

وَنَظْمُ كَشَاجِمِ قَوْلِ الْحَكَمَاءِ إِنَّ الْعُودَ مَرْكَبٌ عَلَى الطَّبَائِعِ الْأَرْبَعِ فَقَالَ :
شَدَّتْ فَجَلَّتْ أَسْمَاعُنَا بِمُخَفَّفِ يَحْدُثُهَا عَنْ سِرِّهَا وَتَحْدُثُهُ
مَشَاكِلُهُ أَوْتَارُهُ فِي طِبَاعِهَا عَنَاصِرُ مِنْهَا أَحْدَثَ الْخَلْقَ مَحْدُثُهُ
فَلَنَارٍ مِنْهُ الزُّيْرُ وَالْأَرْضُ وَاللَّيْلُ مِثْلُهُ وَلِلرَّيْحِ مِثْلُهُ
وَكُلُّ أَمْرٍ يَرْتَاحُ مِنْهُ لِنَفْسِهِ عَلَى حَسَبِ الطَّبَعِ الَّذِي مِنْهُ يَبْعَثُهُ
شَكَازِبَ يَمْنَاهَا فَظَلَّتْ بِسَارِهَا تَطَوَّقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرَعُّثُهُ
فَمَا بَرَحَتْ حَتَّى أَرْتَنَا مَخَارِقَا يَجَاذِبُهُ فِي أَحْسَنِ النَّقْرِ عَشْمُهُ

فَاسْتَدْرَكَنَاهُ مِنْ دِيْوَانِ أَبِي تَمَّامٍ . (١) الْهَلَالِيُّ مِنْ فُحُولِ الْمُحَضَّرِ مِ بْنِ وَالْمَعْرِيِّ .

(٢) أَيْ لَمْ تَفْتَحْ .

وحتى حسبت البابليين القنا ؟ على لفظها السحر التي فيه تنقته
 وأجود ما قيل في اتفاق الضرب والزمر قول هرون بن علي المنجم :
 غصن على دعص تقا منها ل . سعى بكأسٍ مثل لمع الآل
 وفاتنات الطرفِ والدلالِ هيف الخصورِ وجع الا كفال
 يأخذن من طرائف الأرمال ومحكم الخفاف والنعال
 يجري مع الناس بلا انفصال مثل اختلاط الخمر بالزلال
 يدفعو إلى الصبورة كل سال يصرع كل فاتك بطل
 ومن حرام اللهو والحلال أكرم من مصارع الأبطال
 وقال كشاجم في وصف المود والقبيلة وأحسن :

تميس من الوشي في حلة تيجرر من فضل أذيالها
 وتحمل عوداً فصيح الجواب يضاهي اللحن بأشكالها
 له عنق مثل ساق الفتاة ودستانه مثل خلخالها
 فظلت تطارح أوتارها بهزاجها وبأومالها
 وتعمل جساً كبجس العروق وتلوي الملاوي بأمثالها

وقيل لرجل أي المغنين أحقق ؟ قال ابن شريح كأنه خلق من كل قلب فهو
 يعني لكل إنسان بما يشتهي . وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر
 عن المدائني قال قال المغيرة للوليد بن يزيد بن عبد الملك أي خارج إلى
 العراق فاستهد ما أحبيت فقال إهدني بربطاً من عمل ذرلي فأهدى إليه عوداً وكتب
 إليه : قد بعثت به أرسح البطن أحذب الظهر صافي الوتر رقيق الجلد وثيق الملاوي
 كهيئة طاليه وملاحه محتضنه وحسن الضارب به وطرب المستمع له .

ومن أحسن ما قيل في حسن الضارب ما تقدم ذكره وهو قول الناشي
 * وكان يمثاها إذا ضربت بها * وقال ابن الحاجب :

إذا هي جسته حكمت متطياً يحيل يديه في مجس عروق

وقد استحسنَ الناسَ هذا البيتَ وأجازوه وليس هو في طريقة الاختيار
لأنَّ الطيبَ يجس يد واحدة وكذلك الضارب فليسَ لذكر اليدين وجه .
ومن جيد ما قيل في صحة عبارة العود عن الغناء قول ابن أبي عون :
تتاجيك بالصوت أوتاره فتوفيك ألسنه أحرف

وأبين منه قول الناجم :

إذا نوتَ الضربَ قبلَ الغناء أنشدنا شعرها عودها
وقلت: رُبَّ ليلٍ كساكَ ثوبَ نعيم بينَ ساقٍ وسامرٍ ونديم
وكووس جرت وراءَ كووس وأعانتُ على طريقِ الهوم
ولنا مزهرٌ كمثلِ فطيم في يدي مطرب كأمِّ الفطيم
وسموا صدرهُ بواجٍ وذيلُ فزتهُ محاسنُ التوسيم
مثل أَرْضٍ تحبَّتْ بأفاح أو سماء نكَلَتْ بنجوم
ذو ملاوٍ سودِ الفروعِ وُحمر مثل أطرافِ فرحةٍ ونعيم
ووسابنٍ لانبجولٍ عليه كخلاخيلٍ ماردٍ وظلوم
أحر الزر أسود المِ أحوى هل رأيتُم جداولَ التفويم
ومن جيد ما قيل في سرعة الضرب والجلس قول كشاجم :

وترى لها عوداً تحركهُ وكلامه وكلامها وفقاً
لو لم تحركهُ أناملها كأنَّ الهواءُ يفيدُهُ نطقاً
جتهُ طامةٌ بحالتيه جسُّ الطيبِ لمدنفٍ عرقاً
فحسبتُ يَمناها تحركهُ رعداً وختلَ يمينها برقاً
وقال بعضهم في رقص :

عجبتُ من رجليه تتبعانه يعلوها طوراً ويعلوانه
كأنَّ أفمين تلسعانه

ومما لم يقل مثله في إزالة الحمار بمعاودة الشرب قول الأعشى :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها
كل من أخذ هذا المعنى منه قصر في العبارة عنه ولا يجوز أن يؤتى بمثله ، قال
أبو نواس * وداوني بالتي كانت هي الداء : فحشا الكلام بمالا وجه له وهو قوله
كانت هي الداء ، وقال المجنون : ولا يتداوى شارب الخمر بالخمر * ولا يقع هذا مع
قول الأعشى موقفاً ، ومثله قول البحترى :

تداويت من ليلي بيلي فما اشتقي من الداء من قد بات بالداء يشتقي
ومن جيد ما قيل في الدنان والزقاق قول الأخطل * أناخوا فجروا شاصيات *
وقد مر . وقد أحسن ابن المعتز في صفة الدنان :

ودنان كثل صف رجال قد أقيموا ليرقصوا دستبندا
وقال العلوي الأصفهاني في الزق :
عجبت من حبشي لا حراك به لا يدرك الثار إلا وهو مذبح
طور آبري وهو بين الشرب مضطجع رغو الزقاق وطورا وهو مشبوح
وفي ألفاظ العلوي زيادة على معناه في أكثر شعره ، وأخذ البيت الأول من
قول بشار يصف ركب المرأة :

وصاحب مطرق في طول محبته لا ينفع الدهر إلا وهو محموم
وإن كان المعنيان مختلفين إلا أن حذف الكلامين جنوا واحدا . وقال ابن المعتز :
إن غدا ملآن أمسى فارغا كأسير الرق أدى فتقى
وقال القطامي :

استودعتها رواقبدا مقيرة قد برنس بالطين
مكالحات لحر الشمس قائمة كأنهن نيط في بساتين
وقال آخر : تحسب الزق إذا أسندته حبشياً قطعت منه الشوى

وقال العلوي الأصفهاني يصف شراباً في ظرف خرف :

مخدرة مكنونة قد تكشفت كراهية بين الحسان الأوانس

وأترابها يلبسنَ يعضَ غلائلُ هي العرىُ مقرورٌ بها كلُّ لابسٍ
 مشعشة مرهاء ما خلتُ أنثى أرى مثلها عنراء في زى مانس
 المعنى جيد وفي الألفاظ زيادة وليس لها حلاوة . وقال آخر في الراووق :
 كأنما للراووق^(١) واتصابه خرطومٌ قيل سقطت أنيابه
 وفيه : مماء لاذ قطر هار حيق رَحِب الذرى ينحط فيه الضيق
 ماء حقيق لو جرى المقيقُ حتى إذا ألهبها التصفيق
 صمنا إلى جيراننا الحريق

وأنشد أبو عثمان :

فبتُ أرى الكواكبَ دانياتٍ ينلنَ أناملَ الرَّجلِ القصيرِ
 بالكفين غنى وأمسحُ عارضَ القمرِ المنيرِ
 أبو حكيم فن حكمت كاسك فيه فاحكم له بأقالة عند العشار . في ضعف السكر :
 فديتك لو علت بضعف سكرى أما سقيتى إلا بمسقط
 بحسبك أن خارا بجني أمره يابه فأكاد أسقط^(٢)
 ولابن الرومي في نبيذ حامض :
 قد لعمري اقتصصت من كل ضرر
 قد ردَدناه فأتخذهُ لسكبا
 واتخذهُ على خوانك خلا^(٣)
 أضرمنا حوضه فيه نحمكى
 رعدة^(٤) تعريك من ضيفانك
 معنى آخر : إسقنى بالكبير إلى كبير
 إنما يشرب الصغير الصغير
 لا يفرنك يا عبيد خشوعى تحت هذا الخشوع فسق كثير

(١) الراووق : ناجود الشراب الذى يرووق به ، والكأس بعينها .

(٢) نسبها الثعالي في النهاية لابن لتكك باختلاف في بعض الألفاظ .

(٣) في ديوان ابن الرومي (أدماً) . (٤) في ديوانه (ضجرة)

وكن ابن مائشة ينشد :

لما رأيتُ الحظَّ حظَّ الجاهل ولم أرَ المغبونَ غيرَ العاقل
رحلتُ عنا من كروم بابل فبتُّ من عتلى على مراجل
وقال غيره في نبيذ الدبس :

على أحمد من الدوشاب شربة تخمضت سوادَ الشباب
لو ترائى وفي يدي قدحُ الدو شاب أبصرتَ بازياً في غراب
وقال بعضهم في كيزان القناع :

لستُ بناف خمار مخمور إلا بصافي الشرابِ مقرر
يطيرُ عن رأسه القناع إذا نفست عنه خناق مزور
يميلُ أعلاه وهو متصبُّ كأنه صولجانٌ بلور
وقلت : وأبيض في أحشاء خضر كأنها قصارُ رجال في المسول قعود
وقال بعضهم في الطنبور :

مخطف الخصر أجوف جيدة نصف سائر
أنطقه بدا فتى فأن اللحظ ساهر
فكى عن ضميره ماجرى في خواطره

وقال آخر في المعزقة :

معلقة الأوتار صخابة لها حنينٌ كحنينِ الغريب
مكسوة أحشاؤها حلة بيضاء من جلد غزالٍ ريب
كأنما نسمة أوتارهم نصين أشراكاً لصيد القلوب

آخر الباب والحمد لله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل السماء سقفاً محفوظاً شيد بنيانها ووثق أركانها فأمنها من
التهافت وبرأها من التفاوت فأرجع البصر هل ترى من فطور ثم أرجع البصر
كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير وصير لونها أوفق الألوان لا تبصر
الناظرين وأحلاها فى أنفس المتوسمين وحبرها بالنجوم وطرزها بالرجوم وبيض
أعلام صبحها وسود ذوائب ليلها وجلا غرة شمسها ومسح صفحة قمرها وقدره فى
منازله وخالف بين مناظره لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق .
وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأنبياء وأكرم الأصفياء وعلى عترته وأصحابه المختارين
وسلم تسليماً كثيراً .

(هذا كتاب المبالغة)

(فى وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر)
وما يجرى مع ذلك : وهو

الباب السادس من كتاب ديوان المعانى - ثلاثة فصول

(الفصل الأول)

فى ذكر النجوم

أحسن ما قيل فى النجوم من الشعر القديم قول امرئ القيس :
نظرتُ إليها والنجومُ كأنها مصايحُ رهبان تشبُّ لُفُفَال (١)

(١) تشب : أى توقد ، واللفال : الراجعون من السفر .

وقول الآخر :

سرينا بلبيل والنجوم كأنها قلادة درّسل عنها نظامها
وقد أصاب القائل التشبيه في قوله :

ورأيت السماء كالبحر إلا أن مرسوبه من الدرّ طافي
فيه ما يملأ العيون كبير وصغير ما بين ذلك خافي
المعنى جيد وليس للألفاظ روثق . وقال ابن طباطبا في معناه :

أحسن بها لججاً إذا التبس الدّجى كانت نجوم الليل حصاءها
وأحسن من هذا كله لفظاً ومبكاً مع إصابة المعنى قول ابن المعتز :
كأنّ سماءها لما تجلت خلال نجومها عند الصباح
رياضٌ بنفسج خضل نداه تفتح بينها نور الأقاحي
إلا أنه مضمن . وقلت :

لبسنا إلى الخمار والنجم فائر غلالة ليل بالصباح مطرر
كأن يياض النجم في خضرة الدّجى تفتح ورد بين رند^(١) وعبقر
وقلت : كم سرور زرعته بين الندامى وهوم طردت بين الكؤوس
وتلوح^(٢) النجوم في ظلمة الليل كعاج يلوح في ابنوس
وقلت : بلبيل كما ترفو الغزاة أسود على أنه من نور وجهك أبيض
كواكبه زهر وصفر كأنها قبائع منها مذهب ومفضض
وفي النجوم ماهو أبيض ومنها ماهو أصفر وأحر فشبه الأبيض بقبعة
مفضضة والأصفر والأحر بالذهبة والذهب يوصف بالحبرة والصفرة ، ومثل هذا
التمييز قليل في الشعر . وقال ابن المعتز :

(١) الرند : شجر طيب الرائحة .

(٢) في هامش الأصل : ما عليه لو قال « وياض النجوم » لثم المقابلة ويخلص

من تكلف « تلوح » .

وخلتُ نجومَ الليلِ في ظلم الدُّجى خصاصاً أرى منه النهارَ نقاباً
وقد أحسن النّاشيء القول في اشتباك النجوم والتفافها حيث يقول :
وردت عليها والنجوم كأنها ككتابٌ جيشٌ سوّمت لكتائب
وقلت : وأنجم كزرب في شهب كالشهب تجري في خلال خطب
والحور ترنو من خلال الحجب

ومن أحسن ما قيل في الثريا قول امرئ القيس :
إذا ما الثريا في السماء تعرضت . تعرضَ أثناء الوشاح المفصل
وقد استحسّن الناس هذا البيت في صفة الثريا على قديم الدهر وقدموه ، ثم
قال بعضهم وهو معيب لأنّ التعرض إنما هو أن يبدي لك عرضه أي جانبه قال
والثريا تشق وسط السماء شقاً . وقالوا أحسنه قول ذى الرمة :
وردت اعتسافاً والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء مخلق
وقالوا أحسنه قول ابن الطرية :

إذا ما الثريا في السماء كأنها جنانٌ وهي من سلكه فتبدّدا
أنشد عبد الملك بن مروان هذا البيت فقال ما هي بتبددة ولكنها مرصوفة .
قال أبو هلال : وإنما أرادها عند غروبها وهي متبددة عند الغروب ، وامرؤ القيس
أيضاً أرادها حين تغيب لأنها حينئذ تنحرف من وسط السماء إلى جانب ، وأحسن
الوصف ما يتضمن أكثر صفات الموصوف ، والوشاح وابن الماء إنما شبها بها من جهة
البياض فقط . وأخذ معنى ابن الاسلت بعض المحدثين فقال :

قد انقضت دولة الصيام وقد بشرَ سقمُ الهلالِ بالعيد
تبدو الثريا كفاغرٍ شريرٍ يفتحُ فاهُ لاأكلِ عنقود
والأول أجود لذكر وهذا ذكر المنقود ولم يصفه وقد يكون المنقود أسود
أو أحمر . وكان أبو عمرو بن العلاء : يقول أجود ما قيل فيها قول الآخر :

ولاحت لسايرها الثريا كأنها على الأفق الغربي قرطٌ مسلسل
أخذه ابن الرومي فقال :

طيبٌ طعمه^(١) إذا ذُقتَ قاهُ والثريا في جانبِ الغربِ قرط
وقد قصر عن الأول أيضاً ، ومثله قول أبي فضلة :

وتأملتُ الثريا في طلوعٍ ومنيبٍ
فتخيرتُ لها التشبيهَ بالمعنى المصيب
فهي كأسٌ في شروقٍ وهي قرطٌ في غروب^(٢)
وقلت : شربنا والنجومُ مغفراتٍ تمرُّ كما تصدعت الزحوف
وقد أصغت إلى الغربِ الثريا بوالد لو سلمها الضعيف
وأجود ما قال فيها محدث عندي قول بعضهم :

كانَ الثريا هو دَجٌّ فوقَ ناقةٍ يسيرُ بها حادٍ من الليل مزعج
وقد لمت بينَ النجومِ كأنها قواريرُ فيها زئبقٌ يترجرج
وتروى لابن المعتز ، وفي ألفاظ البيتين زيادة على معناهما ، وقال غنجد الموصلي :
وترى النجومَ المشرقات كأنها دررُ العصا به
وترى الثريا وسطها وكأنها زردُ الذؤابة
وزرد الذؤابة يشبه نجومها وتأليفه يشبه تأليفها فهو تشبيه مصيب . وقال ابن المعتز :
فناولنيها والثريا كأنها جنى نرجس حيا الندامى به الساقى
قالوا لو قال باقة نرجس كان أتم ، فقلت :

أراعى نجومَ الليل وهي كأنها نواظرٌ ترنو (نحو) رافع سندس
كأنَّ الثريا فيه باقة نرجس وما حولها منهن طاقات نرجس

(١) في ديوان ابن الرومي (طيب ريقه). (٢) في هامش الاصل : وقد وصفها

الصنوبرى على كل حالاتها فقال :

في الشرق كأسٌ وفي مغاربها قرطٌ وفي أوسطِ السماء قدم

وأنشدني بعض العمال :

رُبَّ لَيْلٍ قَطَعَتْهُ بَهَنُونَ مِنْ غَنَاءٍ وَقَهْزَةٍ وَمُجْحُونَ
وَالثَّرِيَا كَنَسُوقِ خَفَرَاتٍ قَدْ تَجَمَّعْنَ لِلْحَدِيثِ الْمَصُونِ
وَقَدْ أَحْسَنَ وَأَطْرَفَ . وَقَدْ أَصَابَ الْقَائِلُ بَعْضَ وَصْفِهَا فِي قَوْلِهِ
« كَأَنَّ الثَّرِيَا حَلَّةَ النُّورِ مَنخَلٌ » وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

أَلَا فَاسْتَنْبِهَا وَالظُّلَامُ مُقَوِّضٌ وَخَيْلُ الدُّجَى نَحَرَ الْمَغَارِبِ تَرَكُضُ
كَأَنَّ الثَّرِيَا فِي أَوَاخِرِ لَيْلِهَا تَفْتَحُ نَوْرًا أَوْ لُجَامًا مَفْضُضٌ
وَشَبَّهَتْ بِالْقَدَمِ ، قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

قَمِّ يَا نَدِيمِي نَصْطَبِجُ بِسَوَادٍ قَدْ كَادَ يَبْدُو الصَّبْحُ أَوْ هُوَ بَادٍ
وَأَرَى الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا قَدَمٌ تَبَدَّتْ فِي ثِيَابِ حَدَادٍ
وَقُلْتُ : كَأَنَّ نَهْوضَ النُّجُومِ وَالْأَفَاقِ أَخْضَرُ تَبْلُجُ تُغْفِرُ تَحْتَ خَضِرَةٍ شَارِبِ
وَقُلْتُ : تَلُوحُ الثَّرِيَا وَالظُّلَامُ مُقْطَبُ فَيَضْحَكُ مِنْهَا عَنْ أَفْرِ مَفْلَجِ
نَسِيرٍ وَرَاءَ وَالْمَلَالُ أَمَامَهَا كَمَا أَوْمَأَتْ كَفًّا إِلَى نَصْفِ دَمَلَجِ
وَقُلْتُ : شَمْسٌ هَوَّتْ وَهَلَالٌ الْأَفَاقِ يَتْبَعُهَا كَأَنَّهَا سَافِرٌ قَدَامَ مَتَقَبِ
تَبْدُو الثَّرِيَا وَأَمْرُ اللَّيْلِ يَجْتَمِعُ كَأَنَّهَا عَقَرَبٌ مَقْطُوعَةُ الذَّنَبِ
وَأَحْسَنَ مَا قِيلَ فِيهَا عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ قَوْلُ الْآخَرِ :

وَكَأَنَّ الصَّبْحَ لَمَّا لَاحَ مِنْ تَحْتِ الثَّرِيَا
مَلِكٌ أَقْبَلَ فِي الثَّانِي جُ مَبْدَى وَيُحْيَا
وَقُلْتُ : وَبِالثَّرِيَا أَثَرُ الْخُودِ كَالنَّارِ لَا تَسْفُ بِالْوُقُودِ
فِي أَنْجَمٍ كَرَّيْبٍ فِي يَدِ يَلُوحُ فِي التَّصَوُّبِ وَالتَّصْعِيدِ
كَشَرَفَاتِ فُلْنٍ مَشِيدِ

وَقُلْتُ : قَمِّ بِنْتَ نَظَرُ الدُّهُومِ بِكَأْسِ وَالثَّرِيَا لِمُفْرِقِ اللَّيْلِ تَاجُ
وَقَدْ انْجَبَرَتْ الْمَجَرَّةُ فِيهِ كَسِيْبٍ يَمْدُهُ نَسَاجُ

وقال العلوي الأصفهاني في حسن الاستعارة :

رُبَّ لَيْلٍ وَهَتْ لَأَلَى مُسَوِّعِي فِيهِ حَتَّى وَهَتْ لَأَلَى الثُّرَيَّا
وَرَدَاءُ الدُّجَى لَيْسَ حَرِيسٌ يَدِ الصَّبْحِ وَهُوَ يَطْوِيهِ طَيًّا
وشبه أبو فراس الثريا بالغخذ من النمر وهو من المقلوب لأن أنجم الثريا يبيض
والنقط على فخذ النمر سود . وقال السري :

تَرَى الثُّرَيَّا وَالبدر في قَرْنٍ كَمَا يَحْيَا بَنرجسٍ مَلَكٌ
أَجُودٌ مَا قِيلَ فِي الْجُوزَاءِ مِنَ الشَّعْرِ الْقَدِيمِ قَوْلِ كَعْبِ الْفَنَوِيِّ (١) :
وَقَدْ مَالَتْ الْجُوزَاءُ حَتَّى كَانَهَا فَسَاطِيطُ رَكْبٍ بِالْفَلَاةِ تَزُولُ
ولو شبهها بفسطاط واحد كان أشبه . ومن شعر المحدثين قول ابن المعتز فيها وفي الثريا :
وَقَدْ هَوَى النِّجْمُ وَالْجُوزَاءُ تَتَبَعُهُ كَذَاتِ قِرْطٍ أَرَادَتْهُ وَقَدْ سَقَطَا
مع أن المصراع الأخير غير مختار الرصف ، والنجم اسم مخصوصة به الثريا .
وقال فيها وفي الشعرى العبور :

وَلَا حَتَّ الشَّعْرَى وَجُوزَاؤُهَا كَمَثَلِ رُمَحٍ جَرَّهٗ رَامِحٌ
وَقُلْتُ : سَقَانِي وَالْجُوزَاءُ بِحِكْمِي شَرِّقَهَا طِفْؤُ غَرِيقٍ فَوْقَ مَاءٍ مَطْحَلِبٍ
وهذا وصفها عند طلوعها . وقلت فيها حين توسط السماء :
شَرِبْتَهَا وَاللَّيْلُ مُسْتَوْفِزٌ يَجْرُ فِي جَلْبَابِهِ كَوَكَبُ
كَأَنَّمَا الْجُوزَاءُ رَقَاصَةٌ تَرْقُصُ فِي مَنَاطِقِ مَذْهَبِ
كَأَنَّمَا الْجُوزَاءُ طِبَالَةٌ تَحْتَضِنُ الطَّبْلَ عَلَى مَرْقَبِ
وقلت فيها عند غروبها :

إِسْقِنِيهَا وَاللَّيْلُ فَرْعُ عُرُوسٍ زَيْتُونُهُ بِدُرَّةٍ وَجْهَانَهُ
وَكَاَنَّ الْجُوزَاءَ حِينَ تَهَاوَتْ قَارِسٌ مَلَّ عَنْ سِرَاقِ (٢) حِصَانِهِ
وقال آخر : وَكَأَنَّ الْجُوزَاءَ وَاتَرُ قَوْمٌ أَخَذُوا وَتَرَمَ بِقَطْعِ بَدْنِهِ

(١) غنى ، وهو في الطبقة الثانية من شعراء الجاهلية . (٢) سراق كل شيء : أعلاه .

وقد استحسن قول العلوي الاصفهاني فيها :

وتلوح لي الجوزاءُ مكري كلاً فأت بها الجرباءُ كادت تنثني
ونطاقها متراصف في نظمه فكأنما انقطعت بقطعة جوشن
الجرباء اسم للسماء ، وفي الفاظها تكاف كما ترى والمعنى جيد .

وقلت : وليل أسود الجلباب داج كفير الخود أوعين الغزال
كان كواكب الجوزاء فيه زميلة^(١) مفجرة البزال
تمس بالخلي قرط الثريا إذا انخفضت وتوج بالهلال
ركبت صدوره وتركت خيلي توالى تحت أنجمه التوالى
ويخبطن الصباح إذا تبدى كما يكرعن في الماء الزلال
ومن ظريف ما قيل في الشعرى قول عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر :
أقول لما هاج شوق الذكري واعتضت وسط السماء الشعرى
كانها ياقوتة في مدى ما طول الليل بسر مرمى
وقد أكثروا من وصفها بالعبر وأخذوا ذلك من اسمها وهو العبور .

أحسن ما قيل في سهيل وبعده من الكواكب قول بعضهم :
ولاح سهيل من بعيد كأنه شهاب ينحبه عن الرشح قابس
وقال ابن المعتز :

وقد لاح للساري سهيل كأنه غلي كل نجم في السماء رقيب

وأجود ما قيل في خفتانه واضطرابه قول جبران العود :

أراقب لهما^(٢) من سهيل كأنه إذا ما بدا من آخر الليل مطرف^(٣)

وقلت : وبسهيل رعدة المزود^(٤) وهو من الأنجم في محيد
حل محل الرجل الطريد

(١) في نسخة « زميرة » . (٢) في ديوان جبران العود « أراقب لهما »

(٣) في ديوانه « يطرف » . (٤) أي المزود .

وقال ابن طباطبا في المعنى الأول :

كَأَنَّ سَهِيلًا وَالنَّجُومُ أَمَامَهُ يَمَارِضُهَا رَاعٍ أَمَامَ قَطِيعٍ

أَجُودُ مَا قِيلَ فِي النَّسْرِ الْوَاقِعِ قَوْلُ الْحَمَانِيِّ :

وَرَكِبَ ثَلَاثَ كَالِاثْنَانِي تَعَاوَرُوا دُحَى اللَّيْلِ حَتَّى أَوْ مَضَتْ سَنَةُ الْبَدْرِ

إِذَا اجْتَمَعُوا سَمِعْتَهُمْ بِاسْمٍ وَاحِدٍ وَإِنْ فَرَّقُوا لَمْ يَعْرِفُوا آخِرَ الدَّهْرِ

وَهُوَ مِنَ اللَّغْزِ الْمَلِيحِ . وَمِنْ جِدِّ مَا قِيلَ فِي الْفَرَقْدَيْنِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ :

وَرَنَا إِلَى الْفَرَقْدَانِ كَمَا رَأَيْتُ زُرْقَاءُ تَنْظُرُ مِنْ نِقَابِ أَسْوَدَ

وَفِي الْمَجْرَةِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

كَأَنَّ الْمَجْرَةَ جَدُولُ مَاءٍ نَوْرُ الْإِقَاحِ فِي جَانِبَيْهِ

وقال ابن طباطبا :

بَحْرَةٌ كَالْمَاءِ إِذَا تَرَقَّرَا شَقَّتْ بِهَا الظُّلُمَاءُ بَرْدًا أَزْرَقَا

لِبَاسِ نَسْكِ وَشَبَهِ الْمَشَقَّةِ

ونقله إلى موضع آخر فقال :

كَأَنَّ الَّتِي حَوْلَ الْمَجْرَةِ أَوْرَدَتْ لَتَكْرَعًا فِي مَاءٍ هُنَاكَ صَيِيبٌ

فَوَجَدْتَهُ مُتَكَلِّفًا جَدًّا قَلَّتْ فِي مَعْنَاهُ :

لَيْلٌ كَمَا نَفَضَ الْغَرَابُ جَنَاحَهُ مُتَبَقِّعُ الْأَعْلَى بِهِمِ الْأَسْفَلِ

تَبْدُو الْكَوَاكِبُ مِنْ فِتْنٍ ظَلَامَةٍ لَمَحَ الْأُسْنَةُ مِنْ فِتْنٍ الْقَسْطَلِ

وَتَرَى الْكَوَاكِبَ فِي الْمَجْرَةِ شَرْعًا مِثْلَ الظُّبَاءِ كَوَارِعًا فِي جَدُولِ

وَقُلْتُ : تَبْدُو الْمَجْرَةُ مِنْجَرٌ خَوَائِبُهَا كَلَمَاءٌ يَنْسَاحُ أَوْ كَلَايِمٌ يَنْسَابُ

وَزَهْرَةٌ بِإِزَاءِ الْبَدْرِ وَاقِفَةٌ كَأَنَّهُ غَرَضُهُ يَنْحُوهُ نَشَابُ

أَغْرَبَ مَا قِيلَ فِي صِفَةِ الْهَلَالِ مِنَ الشُّعْرِ الْقَدِيمِ قَوْلُ الْأَعْرَابِيِّ :

كَأَنَّ ابْنَ مَرْتَه جَانِحًا قَسِيطٌ لَدَى الْإِفْقِ مِنْ خَنْصَرِ

أَيُّ كَأَنَّ ابْنَ مَرْتَه وَهُوَ الْهَلَالُ لَدَى الْإِفْقِ قَسِيطٌ مِنْ خَنْصَرٍ وَالْقَسِيطُ الْقَلَامَةُ

وهذا البيت على غاية سوء الرصف . وقد أخذه ابن المعتز فحسنه في قوله :
ولاح ضوء هلال كاذب يفضحه مثل القلامة قد قدت من الظفر
وقال ابن طباطبا :

وقد غمض الغرب الهلال كأنما يلاحظ منه ناظر ذات أشفار
كأن الذي أبقي لنا منه ألقه قصيص سوار أو قراصة دينار
ولا خير في رصف قوله * كأن الذي أبقي لنا منه ألقه *

ومن غريب ما قيل فيه وعجيبه قول ابن المعتز :
إذا الهلال فارقته ليلته بدا لمن يبصره وينتعه
كهامة الاسود شابت هامته

قد سبق إلى هذا المعنى ولم يأخذه من أحد أعرفه ، ونقله إلى موضع آخر فقال :
وقد بدا فوق الهلال كرتة كهامة الاسود شابت لحيته
ومن أطرف ما قيل فيه قوله أيضاً :

أهلاً بنظري قد أنار هلاله فالآن فاعد إلى المدام وبكر
وانظر اليه كزورق من فضة قد أثقلت حمولة من عنبر
وقال : في ليلة أكل الحاق هلالها حتى تبدى مثل وقف العاج
وقلت : لست من عاشق أضل السبيل فسقى دمه الهطول طلولا
برد الليل حين هبت شمالا فجعلت الصلاة فيها الشمولا
في هلال كأنه حية الرمس أصابت على البقاع مقبلا
بات في معصم الظلام سواراً وعلى مفرق الدجى إكليلا
وقلت : وكؤوس إذا دجى الليل أسرت تحت سقف مرصع بالاجين
وكانت الهلال مرآة تدير تنجلي كل ليلة أصبعين

هذا البيت يتضمن صفة من لئن هو هلال إلى أن يتم . وقلت في هلال شهر رمضان :
جلب المجاعة ضامر بجمل قد خلت فيه لضعفه سلا

طفلٌ ولنكزُ امرؤه عجبٌ قد عاد بعد كهولة طفلاً
قد كنَّ حمارٍ ليلتين فلم ترَ مثله طفلاً ولا حلاً
ومن العجائب أن يعودَ فتى في سبع عشرة ليلة كهلاً
وقال السري :

قم يا غلامُ فهايتها في كأسها كالجلائرة في جنى نسرين
أوما رأيت هلال شريك قد بدا في الأفق مثل شعيرة السكين
جمل الزجاج كأساً ولا يقال كأس إلا إذا كانت مملوءة ، ولا أعرفه سبق إلى هذا التشبيه . وقال بعضهم :

والجورُ صافٍ والهِلالُ مشنف بالزُّهرة الزُّهراءِ نحو المغرب
كصحيفة زرقاء فيها نقطة من فضة من تحت نون مذهب
جمل النقطة تحت النون والعادة أن تكون فوقها .

وقلت : والبدر زين للعيون هلاله فرمقن منه حاجباً مقرونا
يبدو ويبدو النجم فوق جبينه وكأنَّ جنح الليل ينقط نونا
وقد استعسنت للعلوى الأصهباني قوله :

لاح الهلالُ فوثقَ مغربه والزُّهرة الزُّهراءُ لم تغب
تهوى دون مغيها فهوت تبكي بدمع غير منسكب
فكأنها أسماء باكية عند انقصاص سوارها الذهب

ومن البديع قول الآخر :

لم أنس دجلة والهوى متضرِّم والبدرُ في أفق السماء مغرب
فكأنها فيه رداء أزرق وكأنه فيها طراز مذهب

حق الدجى ان تؤث لانها جمع دجية . وقلت :

كأن الهلال الشهر قطعة دملج تلوح على أعضاء متكر غاس
تري الزهرة الزهراء تهوى وراءه كما مرَّ سهم قاصد نحو قرطاس

ومن أجود ما سمعته في الليلة القمرية ما أنشدني أبو أحمد :

هل لك في ليلة بيضاء بمقبرة كأنها فضة ذات على البلد
وقلت: كم قد تناولت اللذاذ من كتب والدهر مسكون الحوادث والنوب
في ليلة قراء تحسب أنها تلقى على الآفاق أردية قصب
ومن البديع قول ابن المعتز :

ما ذقت طعم النوى لو تدرى كأنما جنبي على جمر
في قبر مشرق نصفه كئانه بحفرة العطر
فريسة للبق منهوشة قد ضعفت كفى عن النصر
وقال في ذم القمر :

وبت كما سر أعداؤه إذا رام قوتا من النوم شد
نمززه شررات البعوض في قبر مثل ظهر الجرذ

(الفصل الثاني من الباب السادس)

(في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره وما يجري مع ذلك من سائر أوصافه)
فن أحسن ذلك قول ذي الرمة :

وليل كجلباب العروس ادرته^(١) . بأربعة والشخص في العين واحد
أحم^(٢) علافي^(٣) وأبيض صارم^(٤) وأعيس^(٥) مهري^(٦) وأروع ماجد^(٧)
فأخذه ابن المعتز ونقله إلى ما هو أطرف لفظاً منه وهو قوله :

وليل كجلباب الشباب قطعه^(٨) بفتيان صدق يملكون الأمانيا
جلباب الشباب أطرف من جلباب العروس .

(١) في الأصل (ودعته) والتصحيح من ديوان ذي الرمة .

(٢) أحم : أسود يعني الرجل ، علافي : منسوب إلى علاف حي من العرب يعملون
الرحال ، والأعيس : الأبيض يعني بعيره ، والمهري منسوب إلى مهرة حي من اليمن .

قالوا من أبلغ ما قيل في ظلمة الليل قول مضر بن ربيعي^(١).

وليل يقولُ الناسُ من ظلماته سواء صحباتُ العيونِ وعورها
كانَ لنا منه ميوتاَ حصينةً مسوحاً أعاليها ومساج كسورها^(٢)
وقريب من هذا قول الأعرابي : خرجنا في ليلة حندس قد أنقت على الأرض
أكرعها فمحت صورة الأبدان فما كنا نتعارف إلا بالأذان . وقلت في هذا المعنى :

وليلة كرجائي في بني زمني مسودة الوجه منسوباً إلى النعم
سدت على نظير الرائيين منهجه حتى تعارفت الأشخاص بالكلم
لأسامُ الجهد فيها أن أكابده ولا ترى صاحب الحاجات ذا سام
أحاولُ النجح في أمر أزاوله والنجح في دجات الأبنق الرسم
ومن جيد التشبيه قول أبي تمام :

إليك هتكنا جنح ليل كأنه^(٣) قد اكتنحت منه البلاد بأمد
أخذه من قول أبي نواس :

أين لي كيف صرت إلى حربي وحنح الليل مكتحل بقار
وقول أبي تمام أجود لأن الاكتحال بالأمم لا بالتقار ، وأظرف ما قيل في ذلك
قول مسلم بن الوليد :

أجذك ما تدرين أن رب ليلة كأن دجاها من قرونك تنشر
صبرت لها حتى تجلت بغرة كغرة يحيى يوم يذكر جعفر
وقد ظرف القائل في قوله :

لاتدعني لصبح إن النبوق حبيبي
فالليل لون شبابي والصبح لون مشبي

ومن الاستعارة قول ذي الرمة :

(١) نسب البيتان في زهر الآداب إلى ابن محكان السعدي . (٢) في زهر الآداب
(مسوحاً أعاليها ومساج) . (٣) كذا في ديوان أبي تمام ، والذي في الأصل (كأنما) .

وَدَوِّيَّةٌ مِثْلُ السَّمَاءِ عَسَقَتْهَا وَقَدْ صَبَغَ اللَّيْلُ الْحَصَى بِسَوَادِ^(١)
أَخَذَهُ الْبَحْرَى فَقَالَ وَقَصْرُ :

عَلَى بَابِ قَتَسْرِينَ وَاللَّيْلُ لَا طَخُ^٢ جَوَانِبُهُ مِنْ ظِلْمَةٍ بِمَدَادِ
لَيْسَ الْبَيْتُ عَلَى السَّكَةِ الْمُخْتَارَةِ وَقَوْلُهُ (لَا طَخُ جَوَانِبُهُ مِنْ ظِلْمَةٍ بِمَدَادِ) مِنْ بَعِيدِ
الِاسْتِعَارَةِ . وَأَخَذَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ قَوْلَ مُسْلِمٍ * كَأَنَّ دَجَاهًا مِنْ قُرُونِكَ تَنْشُرُ * فَقَالَ :
سَمِعْتَنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِشَعْرِهَا شَبِيهَةً خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبِ
فَوْقَ بَعِيدٍ عَنْهُ وَاخْتَلَفَ فِي النِّظْمِ وَأَقْلَقَ الْقَافِيَةَ . وَقُلْتُ فِي مَعْنَاهُ :
تَسْقِيكَ فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِفَرْعِهَا شَبِيهًا بِعَيْنَيْهَا وَشَكْلًا بِخَدَّيْهَا
فَتَسْكُرُ مِنْ عَيْنٍ وَكَأْسٍ وَوَجْنَةٍ نَحِيكَ أَعْقَابَ الْكُؤُوسِ بِوَرْدِهَا
وَمِنْ الْبَدِيعِ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ :

أَرَقْتُ لَهُ وَالرَّكْبُ مِيلٌ وَوَسْهُمْ يَخْرُضُونَ ضَحَضًا حَالِي وَبِهِمْ قُرُ^٣
عَلَامٌ جَلِيدٌ اللَّيْلُ حَتَّى كَانَتْهُمْ بَرَاةٌ تَجَلَّى فِي مَرَاقِبِهَا قُرُ^٤
إِلَى أَنْ تَرَى النُّجُومَ مِنْ حُلَّةِ الدُّجَى وَقَالَ دَلِيلُ الْقَوْمِ قَدْ نَقَبَ الْفَجْرُ^٥
وَقَدُوا أَدِيمَ الْفَجْرِ حَتَّى تَرَفَّتْ^٦ لَهَا لَيْلَةٌ أُخْرَى كَمَا حُومَ^(٢) النَّسْرُ^٧
وَقَالَ دَبْكُ الْجَنِّ :

سِرْضِيكَ أَنِّي مَسْخَطُ فَيْكَ كَاشِحًا وَمَرْتَقِبٌ هَوْلَانِ مَوْتِ مَرَقِبِ^٨
وَجَانِبِ لَيْلٍ لَوْ تَعْلَقُ قِطْعَةً بِقِطْعَةٍ صَبَحَ لَا تَنْتَ وَهِيَ غَيْبِ^٩
وَقُلْتُ : وَمَدَّ عَلَيْنَا اللَّيْلُ ثَوْبًا مَنَمَقًا وَأَشْعَلَ فِيهِ الْفَجْرَ فَهُوَ مَحْرَقِ^{١٠}
وَصَبَحْنَا صَبْحًا كَأَنَّ ضِيَاءَهُ^{١١} تَعْلَمُ مِنَّا كَيْفَ يَبْهَى وَيُشْرِقُ^{١٢}
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

نَخَلْتُ الدُّجَى وَاللَّيْلُ قَدْ مَدَّ خَيْطَهُ رَدَاءَ مَوْشَى بِالْكَوَاكِبِ مَعْلَا^{١٣}
وَهُوَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)

(١) فِي الْأَصْلِ نَصْحِيفٍ صَحْحَنَاهُ مِنْ دِيْوَانِهِ . (٢) فِي دِيْوَانِ ابْنِ الْمُعْتَزِ (حَلَقُ) .

ومن أتم أوصاف الظلمة التي ليس في كلام البشر مثله قول الله عز وجل
 (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ
 سَحَابٌ مُمِطَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) وقال الأصفهاني العلوي :
 وَرُبَّ لَيْلٍ بَاتَتْ عَاكِرُهُ تَحْمِلُ فِي الْجَوِّ سَوْدَ رَايَاتِ
 لَامِعَةٍ فَوْقَهَا أَسْتَهَا مِثْلَ الْأَزَاهِيرِ وَسَطَرِ رَوَضَاتِ
 ولست أورد أكثر شعره إلا لاصابة معناده دون لفظه لأن أكثر لفظه متكاف
 وجل صنفته قاسد وهذا من العجب لأنه من أكثر الناس تقدماً لشعر غيره وقد
 صنف كتاب عيار الشعر فأجاده وهو إذا أراد استعمال ما ذكرناه لم يكمل له
 فهو كالسن يشخذ ولا يقطع .

ومن أحسن الـ ارة في ذكر الليل قول ابن أبي قنن :

أَقُولُ وَجَنَحُ الدُّجَى مُلْبِدٌ وَلَيْلٌ فِي كُلِّ فَجٍّ يَدُ
 وَنَحْنُ ضَجِيمَانِ فِي مَسْجِدٍ فَلِلَّهِ مَا ضَمِنَ الْمَسْجِدُ
 أَيَّالِيلَةَ الْوَصْلِ لَا تَنْفَدِي كَمَا لَيْلَةُ الْهَجْرِ لَا تَنْفَدُ
 وَيَا غَدُ إِنْ كُنْتُ لِي رَاحِمًا فَلَا تَدْنُ مِنْ لَيْلَتِي يَا غَدُ

وقال السري :

وَشَرُّ دَالِصِ بَحْرِ اللَّيْلِ فَاتَضَحَتْ سَطُورُهُ الْبَيْضُ فِي رَايَاتِهِ السُّودُ
 وَقُلْتُ : لَيْلٌ كَفَرَعِ الْخُودِ تَخْلِفُهُ ضَحَى زَهْرَاءُ مِثْلَ عَوَارِضِ الزَّهْرَاءِ
 عَبَقْتُ بِأَنْفَاسِ الرِّيَاضِ كَأَنَّمَا نَفْضُ الرُّقِيبِ غِلَاةُ الدُّنَا
 وَقُلْتُ : وَاللَّيْلُ يَمْشِي مَشْيَ الْوَيْدِ فِي الْخَضِرِ مِنْ لِبَاسِهِ وَالسُّودُ
 وَالصَّبِيحُ فِي أَخْرَاءِ ثَانِي الْجِيدِ

فأما أجود ما قيل في طول الليل من الشعر القديم فقول امرئ القيس :

وَلَيْلٌ كَوَجِّ الْبَحْرِ ^(١) أَرْخَى سِدُولَهُ عَلَى بَأَنَوَاعِ الْهَيُومِ لَيْثَلِي

(١) أي كوج البحر في شدة ظلمته .

فقلتُ له لما تَطى بصلبه ^(١) وأردف أعجازاً وناء بكل كل
 ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا انجلِ بصبح وما الاصبحُ منك بأمثل
 وهذا من أفصح الكلام وأبرعه إلا أن فيه تضييلاً يلحق به بعض العيب
 وهو من أدل شيء على شدة الحب. والهم لأنه جعل الليل والنهار سواء عليه فيما
 يكابده من الوجد والحزن وجعل النهار لا ينقصه شيء من ذلك وهذا خلاف العادة
 إلا أنه دخل في باب الغلو. والذي أخبرنا بما في العادة الطرماح في قوله :
 ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا اصبح بصبح وما الاصبحُ منك بأروح
 فهذا معنى قول امرئ القيس ، ثم استدرك فقال :
 على أن للعينين في الصبح راحةً بطرحيهما طرفيهما كل مطرح
 فجاء بما لا يشك أحد في صحته إلا أن لفظه لا يقع مع لفظ امرئ القيس
 موقعاً والتسكف في قوله * بطرحيهما طرفيهما كل مطرح * بين والكرامة فيه ظاهرة.
 وقال ابن الدميني في معنى قول الطرماح :

أظلم نهارى فيكم متعللاً ويجمعني والهم بالليل جامع
 وقال المجنون :

يضمُّ إلى الليلُ أطفالَ حبها ^(٢) كما ضمُّ أزرارَ القميصِ البنائِقُ .
 جعل ما ينشأ من الهم بالليل أطفالاً ، وفي هذا المعنى يقول النابغة :
 كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطل السكواكب
 تطاول حتى قلتُ ليس بمنقضي وليل الذي يرعى النجوم ^(٣) يا آيب
 وصدير أراح الليل عازباً هم تضاعف فيه الحزن من كل جانب

(١) وفي رواية « بجوزه » وهو ضيف المعنى . (٢) في الاصل
 « حبكم » وفي اللسان « حبها » وقال فيه : يروى « أثناء حبها » ويروى « أبناء
 حبها » وأراد بالاطفال الاحزان المتولدة عن الحب . (٣) في ديوان النابغة
 « يهدى النجوم » وهو الذي يتقدمها .

فجعل الهمَّ يأوى إلى قلبه بالليل كأنهم العازبة تريحها الرعاة مع الليل إلى
أما كنها ، وهو أول من ذكر أن الهموم تتزايد بالليل . وقلت :

وذكريه البدرُ والليل دونهُ فبات بمجدِّ الشوق والصبر يلعب
كذكرى الحى والحى في منعج اللوى وذكر الصبا والرأس أخس أشيب
فأزدادُ في جنح الظلامِ صبايةً فلا مصبَ إلا وهو بالليلِ أصعبُ
وقلت: ورأيتُ الهمومَ بالليلِ أدهى وكذلك السرورُ بالليلِ أعذب
ومما استجدت من شعر أبي بكر الصولى فى معنى امرئ القيس قوله :

أسرَّ القلب فى هواه وسارا وتجنى على ظلماً وجارا
فتهارى أراءه البعدِ ليلاً وأرى للسهادِ ليلى تهارا
أنتَ فرقتَ بالفرقِ صبرى فأعرتنى لما عراني اضطبارا

ويستجد هذا بالاضافة إلى جملة شعره فأما تنفاسه لنفسه فلا .

وقال إسحق الموصلى فى معنى النابغة :

إنَّ فى الصبحِ راحةً لحبِّ ومع الليلِ ناشئاتُ الهمومِ
وهذه اللفظة مأخوذة من قول الله تعالى (إنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ
وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً) وقال طاهر بن على بن سليمان :

إذا لاحَ لى صبحٌ فهمى مقسم وفي الليلِ همى بالتفرُّدِ أطول
ومعنى بعض المثقلين بالدين المبتلين بالتفرُّدِ دام الليل لما يلقى النهار من الغرماء
ولما يحتاج اليه من النفقة فى كل يوم فقال :

ألا ليتَ النهارَ يعودُ ليلاً فإنَّ الصبحَ يأتى بالهمومِ
حوائج لا تطيقُ لها قضاءً ولا رداً وروحات الغريمِ
قوله « ولأرداً » من التميم الحسن . وقال التنوخى فى طول الليل :
وليلة كأنها طولُ الأملِ ظلامها كاللأهر مافيه خللُ
كأنما الاصباحُ فيها باطلُ أزهره اللهُ لحقَّ فبطلُ

ساعاتها أطولُ من يوم النوى وليلة الهجر وساعات العذل
 موصدة على الورى أبوابها كأنار لا يخرج منها من دخل
 وهذا يستلح وان لم يكن مختاراً من التشبيه لأن إخراج المحسوس إلى
 مالمس بمحسوس في التشبيه ردىء . ومن التشبيه الغريب في ذلك قول بعض العرب :
 ويوم كظل الرَّمح قصر طوله دم الزقِّ عنا واصطكاك المزاهر
 وقال البحتري :

وقاسين ليلاً دون قاسان لم تكد أواخره من بعد قطربه تلحق
 وقال ابن المعتز في نحوه :
 وحلت عليه ليلةٌ أرحيةٌ إذا ماصفا فيها الفديرُ تكدراً
 بعيدة^(١) ما بين البياضين لم يكد يصدق فيها صباحها^(٢) حينَ بشرا
 وقال : بمخشية الاقطار حيلة الصدى معطلة الآيات مخدورة القصد
 كأنَّ نجومَ الليلِ في حجراته دراهمُ زيف لم يجزن على النقد
 يريد أن نجومه واقفة ليست تسير فكانها دراهم زيفت ليست تنقد . وقد
 أبر بعض المحدثين على من تقدم حيث يقول في طول الليل على دناءة لفظه :
 عهدى بنا ورداء الليل مُنسدل والليلُ أطوله كاللمح بالبصر
 والآن ليلي من باتوا فديتهم ليلُ الضريرِ فصبحي غير منتظر
 وهذا أبلغ معنى من قول امرئ القيس الذي تقدم إلا أنه لا يدخل في مختار
 الكلام لا بهذا لفظه وزيادته على معناه وسوء صنعه ، والمعنى أن ليله ممدود
 بلا انقضاء كالليل للضرير كله عند الضرير ليل . وقال على بن الخليل :
 لا أظلمُ الليلَ ولا أدعى أن نجومَ الليلِ ليستْ تقول
 ليلى كما شاءتْ قصيرٌ إذا جادتْ وإن ضنت قليلى طويلٌ
 فأغار عليه ابن بسام فقال :

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع « طويلاً » . (٢) في ديوانه (فجرها) .

لا أظلم الليل ولا أدعى أن نجوم الليل ليست تغور
 ليلى كما شئت فإن لم تزر طال وإن زارت قليلى قصير
 إلا أن يته الثانى أحسن تقسيماً من بيت الخليل . وصحبت كافى الكفاة يقول
 لأبى أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد وقد أنشده هـ جُلِّ همى وهمتى جرجان *
 فقال هذا المصراع خطبه ، قال أبو هلال المسكرى وأنا أقول إن قوله :
 ليلى كما شئت خطبه . وقال سعيد بن حميد :

يا ليلُ بلْ يا أبداً أنا ثمَّ عنك عُدُّ^١
 وقال ابن الرومى وأحسن التشبيه * ليست تزول ولكن تزيد * وقلت :
 غابوا فلم أدر ما ألقى مسٌّ من الوَجْدِ أوجنون
 ليلى لا يبتغي براحاً كأنه أدم حُرُوفُ^٢
 أجيلٌ في صفحته عينا ما تتلاقى لها جُفون
 وملح ابن الأحنف فى قوله :

حدَّثونى عن النهار حديثاً وِصفوه فقد نسيتُ النهارا
 وقد أنبا بشار عن العلة التى يستطال لها الليل وهو السهر فقال :
 لم يطل ليلى ولكن لم أنم ونفى عنى الكرى طيفٌ ألم^٣
 ولا أرى فى قلة النوم أجود من قول المجنون :

ونوم كحشر الطير بتنا ننوشه على شعب الكوار والليل غاسق
 على أن زهيراً قد قال * وكصفقة بالكف كان رقادى * والاول أفصح .
 وأنبا العجاج أيضاً عن العلة التى لها يطول الليل * تطاول الليل على من لم ينام *
 وقال بشار :

لخدِّيك من كفيك فى كل ليلة إلى أن ترى ضوء الصباح وساد^٤
 وهذا مأخوذ من قول أبى ذؤيب * نام الخلى وبت الليل مشتجرا * والاشتجار
 وضع اليد على الخلد والاعتماد عليها وهو جلسة المتفكر :

نبيت نراعى الليل نرجو نقاده
وقال : خليل ما بال الدجى لا ترحزح
كأن الدجى زادت وما زادت الدجى
وقال ديك الجن :

من نام لم يدري طال الليل أم قصرا
وقد أجاد ابن طباطبا العلوى القول فى طول الليل وهو :
كأن نجوم الليل سارت نهارها
فخمين حتى تستريح ركابها
وذكر خالد الكاتب^(١) أنه ليس يدري أطال ليله أم قصر لتحيره وتبلده فقال :
لست أدري أطال ليلي أم لا
لو تفرغت لاستطالة ليلي
وتبعه أبو بكر الصولى فقال :

وطولت ليلي لو دريت بطوله
وقال بشار :

طال هذا الليل بل طال السهر
لم يطل حتى دهاني بالهوى
فكأن الهجر شخص مائل
وقلت : صيرني البين عرضة الحين
قد طال يومي وليلقى بهم
كان قليلاً لدى مكثهما
فطال بمد الحبيب لبثهما
وقد أعرف ليلي بالقصر
ناعم الأطراف فسان النظر
كلا أبصره النوم نفر
لا أربح الله صفقة البين
لما يزال بهم قصيرين
فكنت أدعوها الجديدتين
فصرت أدعوها عتيقين

(١) هو خالد بن يزيد ، من أهل بغداد ، وأصله من خراسان ، وكان أحد
كتاب الجيش فى أيام المعتصم العباسى . أ كثر شعره فى الغزل .

وقال آخر :

باليلة طالت على عاشقٍ منتظري في الصبح ميعاداً
كادت تكون الحول في طولها إذا مضى أولها عاداً
أجود ما قيل في قصر الليل وأشدّه اختصاراً قول إبراهيم بن العباس :
وليلة من الليالي الزهر قابلت فيها بدرها يندرى
لم تك غير شقي وفجر حتى تولت وهي بكر الدهر
وقال غيره : ليلة فيوا قصر عشاؤها مثل السحر

وهذا على غاية الاختصار . وقال العلوي الاصفهاني في قصر الليل واليوم :

ويوم دجن ذو ضمير متهم مثل مرور شابه عارض غم
صحوٌ وغيمٌ وضياءٌ وظلمٌ كأنه مستعر قد ابتم
مازلت فيه عاكفاً على صنمٍ مبهف الكشح لذيد المتزم
تفاحه وقف على لثم وشمٍ وبانه وقف على هصر وضم
ياطيه يوم تولى وانصرم وجوده من قصر مثل الدم
وقلت : قصر العيش بأكناف القضا وكذا العيش إذا طاب قصر
في ليالٍ كأباهيم القطا لست تدوى كيف تأتي وتمر
وقلت : إذا البرق من شرقي دجلة ينبري على صفحات البارق المتألق
أشبهه دهرًا أغرّ محجلاً ققمنا به في ظل فينان مورق
فرّ كرجع الطرف ليس يمسه حنين إلى مخبورة المتعشق
وقد يعرض المحذور من حيث يرنحى ويمكنك المرجو من حيث تقي
أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن سعيد عن أبي عكرمة قال أنشدت
اعراباً قول جرير :

أبدل الليل لا تسري كواكبهُ أم طال حتى حسبت النجم حبرانا
فقال هذا حسن وأعوذ بالله منه ولكن أنشدك في خده من قولي وأنشدني :

وليس لم يقصره رقاد وقصره لنا وصل الحبيب^(١)
 نعيم الحب أوق فيه حتى تناولنا جناء من قريب
 يجلس لذّة لم تقو فيه على الشكوى ولا عدّ الذنوب
 بخلنا أن نقطعه بلفظ فترجت العيون عن القلوب
 فقلت له زدني فما رأيت أظرف منك شعراً ، فقال أمان هذا فحسبك
 ولكن غيره وأنشدني :

وكنّت إذا علت جبال قوم صحبتهم وشيتى الوفاء
 فأحسن حين يحسن محنوم وأجنب الاساءة إن أساؤا
 أشاء سوى مشيتهم فآتى مشيتهم وأترك ماأشاء
 وأنشدنا عن محمد بن يزيد :

لله ليلتنا بجو سوية والمبش غص والزمان غرير
 طابت فقصر طيبها أيامها فكأنما فيها السنون شهور

وأنشدنا عن عون بن محمد بن إسحق الموصلي :

ظلنا في جوار أبي الجنب يوم مثل سالفة الذباب
 يقصره لنا شغف التلاقي ويوم فراقنا يوم الحساب
 وأخبرنا عنه عن محمد بن الحسن أبي الحسن العتّابي عن عيسى بن اسماعيل
 قال سمعت الأصمعي يقول قرأت على خلف شعر جرير فلما بلغت إلى قوله :
 ويوم كاهام القطاة محبب إلى هواه^(٢) غالب لي باطله
 رزقنا به الصيد العزيز ولم نكن^(٣) كن نبه محرومة وجبائله
 فيالك يوم خيره قبل شره تغيّب واشيه وأقصر عاذله

(١) في زهر الآداب « وقصر طوله وصل الحبيب » . (٢) في زهر الآداب

« إلى صباه » . (٣) في الأصل (الصيد العزيز ولم يكن) .

فقال وبله وما ينفعه خير يؤول إلى شر؟ قلت كذا قرأته على أبي عمرو ، قال صدقت وقال كذا قال جرير وكان قليل التنقيح مشرد الألفاظ ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع ، قلت كيف كان يجب أن يقول؟ قال الأجود له لو قال * فإلك يوماً خيره دون شره * فأروه هكذا ، وكانت الرواة قديماً تصلح من شعر القدماء ، فقلت والله لا أرويه بعدها إلا هكذا .

ومثل ذلك أن أبا الفضل بن العبد أنشد قول أبي تمام :
وكشفت لي عن صفحة الماء الذي قد كنت أعهده كثير الطحلب
فقال إنما قال (عن جلدة الماء) فقال إذا أمكن أن يصلح قصيدته بتغيير لفظة
فمن حقها وحق قائلها أن تغير . قال أبو هلال وبين الصفحة والجلدة بون بعيد .
وقال ابن طباطبا :

بأبي من نعمت فيه يوم لم يزل السرور فيه نمو
يوم هو قد التقي طرفاه فكان العشي فيه غمو

ومن قول إبراهيم بن العباس والناس يروونه لغيره :

ليلة كاد يلتقي طرفاها قصر أدهى ليلة الميلاد
وقلت : وطال عمرك في دهر به قصر تمد فيه شهور العيش أياما

وقال القصاني :

ذكرتكم ليلاً فنور ذكركم دجى الليل حتى انجاب عنا دياجره
فوالله ما أدرى أضوء مسجر لذكركم أم يسجر الليل صاجره
وبت أسقى الشوق حتى كائن صريع مدام لم ينهنه دائره
وظلت أكف الشوق لا ذكرتكم تمثل لي منكم خيالاً أسايره
فلو كنتم أقصى البلاد لزرتكم إلى حيث يعي ورده ومصادره
أرى قصر بالليل حتى كأنما أوائله مما تناني أواخره

وقد أحسن ابن المعتز في صفة ليلة طيبة فقال :

يا ليلة نسي الزمان بها احداثه كوني بلا فجر
 راح الصباح يدها ووشت فيها الصبا بمواقف القطر
 ثم انقضت والقلب يقبها في حيث ماسقطت من الدهر
 وقلت : وصلت نعم ولكن صلة تشبه اللحظة في انتقالها
 لست أدري اتممت بها أم يزور الزور من خيالها
 ومضى الليل سرياً مثلما أنشطت دماء من عقابها

(الفصل الثالث من الباب السادس)

في ذكر الصباح والشمس والنهار وما يجري مع ذلك

أجود ما قيل في الصباح من شعر الأعراب : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر
 ابن حريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال نزلت بقوم من غنى وقد جاؤوا
 قبائل من بني عامر بن صعصعة^(١) فحضرت ناديم وهناك شيخ طويل الصمت
 عالم بالشعر^(٢) قد جعل الناس يأتونه من كل ناحية فيجلسون إليه وينشدون
 أشعارهم فإذا سمع الشعر الجيد قرع الأرض بمحجته فينفذ حكمه على من حضر منهم
 بشاة^(٣) إذا كان ذا غنم وابن مخاض ان كان ذا إبل فذبح أو نحر لأهل الوادي
 فقال حضرته يوماً والشيخ جالس فأنشده بعضهم يصف القطا :

غَدَت في رَعِيل ذِي أَدَاوَى مَنُوطَةٍ بَلْبَاتِهَا مَرْبُوعَةٌ^(٤) لَمْ تُسَرِّخْ^(٥)
 إِذَا سَرَّ بَسَخٌ عَطَتْ^(٦) بِجَالِ سَرَائِهِ تَمَطَّتْ فَحَطَّتْ بَيْنَ أَرْجَاءِ سَرَبِخٍ
 فَرَقَعَ الشَّيْخُ الْأَرْضَ بِمَحْجَتِهِ وَهُوَ صَامِتٌ ، ثُمَّ أَنْشَدَهُ آخَرُ يَصِفُ لَيْلَةً^(٧) :

-
- (١) في الأصل (من بني صعصعة) . (٢) في أمالي القالي زيادة (وأيام الناس)
 (٣) في الأمالي (فينفذ حكمه على من حضر يبكر للنشد ، وإذا سمع مالا يعجبه
 قرع رأسه بمحجته فينفذ حكمه عليه بشاة) . (٤) في الأصل (مدبوعة)
 (٥) تمرخ أي تلتين . (٦) السربخ : الأرض الواسعة ، وعطت : شقت .
 (٧) في الأصل (يصف إبلا) والاستدراك من الأمالي .

كَأَنَّ شَمِيطَ الصَّبْحِ فِي أَخْرِيَاتِهَا مُلَاءٌ يَنْقِي مِنْ طَيَالِسَةِ خُضْرٍ
تُخَالِ بَقَايَاهَا الَّتِي أُسَارَ^(١) الدُّجَى تَمْدُ^(٢) وَشَيْعًا^(٣) فَوْقَ أَرْدِيَةِ الْفَجْرِ
فَقَامَ الشَّيْخُ كَالْمَجْنُونِ مَصْلَتًا سَيْفَهُ حَتَّى خَالَطَ الْبَرْكَ^(٤) فَجَعَلَ يَضْرِبُ يَمِينًا
وَشِمَالًا وَهُوَ يَقُولُ :

لَا تُفْرَغَنَّ فِي أَذُنِي^١ بَدَاهَا مَا يَسْتَفْزُ^٢ فَأَرْيَكَ فَقْدَاهَا
إِنِّي إِذَا السَّيْفُ^٣ تَوَلَّى نَدَاهَا لَا أَسْتَطِيعُ^٤ بَعْدَ ذَلِكَ رَدَّهَا

قَالَ أَبُو هَلَالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ عِلْمَ الشَّعْرِ وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ جَيِّدِهِ
وَرَدِئِهِ كَانَ غَرِيزًا عِنْدَ أَهْلِ الْبَوَادِي وَهُمْ أَصُولُهُ وَمَنْبَعُهُ وَمَعْدَنُهُ ، وَكَانَ قَوْلُ هَذَا
الشَّيْخِ وَاسْتَفْزَازَ جَيِّدِ الشَّعْرِ لَهُ قَرِيبًا مِمَّا رَوَى عَنْ مُحَمَّدِ الْأَمِينِ أَنَّهُ قَالَ إِنِّي لَا أُطْرِبُ
عَلَى حَسَنِ الشَّعْرِ كَمَا أُطْرِبُ عَلَى حَسَنِ الْفَنَاءِ .

وَمِنْ غَرِيبٍ مَا قِيلَ فِي الصَّبْحِ مِنَ الشَّعْرِ الْقَدِيمِ قَوْلُ ذِي الرِّمَّةِ ، وَقَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ
عَلَى أَنَّهُ أَحْسَنُ الْعَرَبِ تَشْبِيهًا :

وَقَدْ لَاحَ لِلسَّارَى الَّذِي كُلُّ الشُّرَى عَلَى أَخْرِيَاتِ اللَّيْلِ فَتَقَى^١ مُشَهَّرُ^٢
كُلُونِ الْحِصَانِ الْأَنْبِطِ^٣ الْبَطْنِ قَائِمًا تَمَّائِلَ^٤ عَنْهُ الْجِلُّ وَاللَّوْنُ أَشْقَرُ
وَهَذَا أَحْسَنُ تَشْبِيهِ وَأَكْمَلُهُ ، الْأَنْبِطُ : الْأَبْيَضُ الْبَطْنُ ، شَبْهُ يَبَاضِ الصَّبْحِ تَحْتَ
حَرَّتِهِ يَبْيَاضُ بَطْنُ فَرَسٍ أَشْقَرٍ . أَخَذَهُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ فَقَالَ :

وَمَارَاعَنَا إِلَّا الصَّبَاحُ^١ كَأَنَّهُ جَلَالُ قِبَاطِي^٢ عَلَى فَرَسٍ وَرَدٍ
وَقَالَ أَوْ قَالَ غَيْرُهُ :

بَدَا وَالصَّبْحُ^١ تَحْتَ اللَّيْلِ بَادٍ كَمَهْرٍ أَشْقَرٍ مَرَخِي الْجَلَالِ
وَمِنْ أَغْرَبِ مَقَالِهِ مَحْدَثٌ فِيهِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِّ :

(١) السُّورُ : الْبَقِيَّةُ وَالْفَضْلَةُ ، يُقَالُ إِذَا شَرِبْتَ قَامُتُ . (٢) الْوَشِيْعَةُ : لَفِيْفَةٌ مِنْ
غَزَلٍ ، وَتَسْمَى الْقَصْبَةُ الَّتِي يَجْعَلُ النَّسَاجُ فِيهَا لَحْمَةَ الثَّوْبِ لِلنَّسِجِ وَشِيْعَةً . (٣) الْبَرْكَ
إِبِلُ أَهْلِ الْحَوَاءِ بِالْفَاءِ مَا بَلَغَتْ ، وَقِيلَ الْبَرْكَ الْإِبِلُ الْبَرْوَكُ ، وَقِيلَ الْبَرْكَ : أَلْفُ بَعِيرٍ .

وقد رفع الفجرُ الظلامَ كأنَّهُ ظلمٌ على يضرٍ تكشفَ جانبَهُ
وقد أبدعَ أيضاً في قوله :

قد اغتدى والليلُ في جلبابِهِ كالخبثيُّ قرٌّ من أصحابِهِ
والصبحُ قد كشفَ عن أنيابه كأنما يضحكُ من ذهابِهِ
وقال أبو نواس :

فقمْتُ والليلُ يجلوهُ الصباحُ كما جلا التيسُ عن عُمرُ الثنياتِ
وفي ألفاظ هذا البيت زيادة على معناه .

وقال : لما تبدى الصبحُ من حجابِهِ كطلعةِ الأشمطِ من جلبابِهِ
وهذا من قول الآخر : كطلعةِ الأشمطِ من بردِ ثملٍ وقال ابن المعتز :
ولقد قفوتُ الغيثَ ينطفُ دجنهُ والصبحُ ملتبسٌ كمينِ الأشملِ
وقلت : بأكرنها والليلُ في البكورِ والصبحُ بالليلِ مكوثُ النورِ
كما خلطت المسكُ بالكافور

وقال ابن المعتز :

أما ترى الصبحَ تحتَ ليلته كما وقد باتَ ينفخُ الفعصا
وقال : والليلُ قد رقى وأصفى نجمهُ واستوفز الصبحُ ولما ينتقب
معتزاً بفجرِهِ في ليلة كفريس بيضاء دهماء اللب

وقال العلوي وأجاد المعنى :

والصبحُ في صفحِ الهواءِ مورداً مثل المدامةِ في الزجاجِ تشمع
وقلت : إلى أن طويتنا اليومَ إلا بقيةً يضلُ ضياءُ الشمسِ عنها فيزلق
وجلل وجه الشمسِ بردٌ ممسك وقابلهُ للغربِ بردٌ ممشق
فلاح لنا من مشرقِ الشمسِ مغربٌ وبان لنا من مغربِ الشمسِ مشرق
ومدَّ علينا الليلُ ثوباً منمقاً وأشعل فيه الفجرُ فهو يحرق
وصبحنا صبحٌ كأنَّ ضياءَهُ تعلم منا كيف يهوى ويشرق

وقلت : ركبت أعجاز ليل مظلمة مطرقاتٍ بالصباح معلمة
 أخطرُ في يردتها المسهم والرَّوضُ في حلقه المنمنمة
 قد نثر الليلُ عليه أنجمه والنبتُ قد دَنَرَهُ ودرهمه
 وقدوشى رداءه ورقمه

وقال بعض الأعراب :

والليلُ يطردُّ النهارُ ولا أرى كالليلِ يطردُّ النهارَ طريدا
 ونراؤه مثل البيتِ مالَ رواقه هتك المقوص شره الممدودا
 وهذا شعر مطبوع . وقال أبو نواس :

قد اغتدى والليلُ في حريمه معسكر في المزَّ من نجومه
 والصبحُ قد نسف في أدبمه بدعهُ بطرُ في حيزومه
 دعى الوصى في قنا بتيهه

ومن الاستعارة المصيبة في صفة الصبح قول سالم بن وابصة :

على حين أثنى القومُ خيرا على السرى وطارَ بأخرى الليلُ أجنحة الفجر
 والنصف الأول من قول الآخر : عند الصباح يحمد القوم السرى *
 وقال العلوي الأصفهاني :

وليل نصرتُ النى فيه على الرشد وأعديتُ فيه الهزل منى على الجد
 وضيعتُ فيه من عناقٍ معانق فظنَّ وشأنى أنى فأنتم وحدى
 الى أن تجلى الصبحُ من خلل الدجى كما انخرط السيفُ اليماني من الغمد
 وقلت : حتى أزال الصبحُ قاضلَ ذيله كالنيل يخطرُ في نوادي يعرب

وقد أحسن ابن المعتز في صفة النجم يبدو في حمرة الفجر حيث يقول :

قد اغتدى على الجياد الضر والصبحُ قد أسفرَ أولم يسفر
 كأنه غرةُ مهرٍ أشقر حتى بدا في ثوبه المعصفر
 ونجمه مثل السراج الأزهر

وقال الشمر دل بن شريك^(١) :

ولاحَ ضوء الصبح فاستبيننا كما أرتنا المفرق الدهينا
وقال التنوخي: والستر يا كلواء خافق من فوق مرقب
وبدا الفجر كسيف في يد الجوزاء مذهب
وقلت: أدير أعلَى الكأس والليل راحل وفي أثره للصبح بلق شوائل
ترفع عنه منكب الليل فانجلي كما ابتسمت لمياء والستر مائل
وقال التنوخي :

وبدا الصبح كالحسام علاه علق فوق شفتيه متاع
وقال: أسامره والليل أسود أورك إلى أن جلا الأصباح عن أشقر ورد
تبسم محمراً خلال سواده تبسم ورد الخلد في الصدغ الجعد
ومن حسن الاستعارة في الشفق قول ابن المعتز :

ساروا وقد خضعت شمس الأصيل لهم حتى توقد في جنح الدجى الشفق
لحاجة لم أضاجع دونها وسنا وربما جر أسباب الكرى الأرق
وأبرع بيت قيل في الصبح من شعر المحدثين قول ابن المعتز :

والصبح يتلو المشتري فكأنه عريان يمشى في الدجى بسراج
والناس يظنون أنه ابتداء وابتكروه وإنما أخذه من قول ابن هرمة في
وصف السحاب والبرق :

تؤام الودق كالزاحف يزجي خلف إطلاق
صدوق البرق كالسكران يمشى خلفه الصاحي
كان العازف الحنى أو أصوات نواح
على أرجائه والبرق يهديه بمصباح

وهذا البيت مضطرب الرصف مضمن لاخير فيه والمعنى بارد .

(١) شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية كان في أيام جرير والفرزدق .

ومن أطرف ما قيل في الليالي الطيبة قول ابن المعتز :

تلتقطُ الأنفاسُ بردَ الندى فيه فتهديه حرُّ الهوم
وقلت: وقد غدوت وصبح الليل متقص وغرة الصبح مصقول حواشيها
وغربت أنجمُ الظلماءِ وانحدرتُ فشالَ أرجلها وأحطَ أيديها
فأما أجود ما قيل مما أنشدناه أبو القاسم عن عبد الوهاب عن المقدى عن أبي
جعفر عن ابن الأعرابي قديماً في صفة الشمس فقال هو أحسن وأتم ما قالته العرب فيها :

مخباءة أما إذا الليلُ جنها فتخفى وأما بالنهار فتظهرُ
إذا انشقَّ عنها ساطعُ الفجر فأنجلي دُجى الليل وأنجاب الحجابُ المستر
وألبس عرض الأرض لوناً كأنه على الأفق الشرقى ثوبٌ معصر
ولون كدرع الزعفران مشبه شعاع يلوح فهو أزهرٌ أصفر
إلى أن علت وأبيض عنها اصفرارها وجالت كما جال المليحُ المشهر
ترى الظل يطوى حين تلو وتارة تراه إذا مالت إلى الأرض ينشر
وتدنف حتى ما يكاد شعاعها يبين إذا ولت لمن يتبصر
وأفنت قروناً وهي في ذلك لم تزل نموتُ ونحيا كل يوم وتنشر

وأنشدناه أيضاً أبو أحمد عن الصولي عن علي بن الصباح عن ابن أبي محلم على
غير ما تقدم هنا أخذ ابن الرومي قوله * وقد جعلت في مجنح الليل تمرض *

ومن بديع ما قيل في انقلابها عند الغروب قول الراجز :

صبَّ عليه قانصٌ لما غفل والشمسُ كالرآة في كف الأشل
ونحوه قول أبي النجم * وصارت الشمس كمين الأحول *

ولأعرابية تذكر السحاب :

تطالعي الشمسُ من دونها طلاع فتاة تخافُ اشتهارا
تخافُ الرقيبَ على سرِّها وتحذرُ من زوجها أن يفارا

فتستر غُرَّتْهَا بالخمار وقال ابن المعتز وأغرب :

تظلُّ الشمسُ ترمقنا بلحظ
تحاولُ فتقَّ غيمٌ وهو يأبى

وقال ابن طباطبا :

وأقذبت عين شمس فحكت
وقلت : فيا بهجة الدنيا إذا الشمس أشرقت
يفضضُ منها الجوُّ عندَ طلوعها
وتحسبُ عين الشمسِ أذهى رفتُ
وقلت في يوم صحو :

ملاً الميونَ غضارةً ونضارةً
والشمسُ واضحةً الجبين كأنها
وكأنها عندَ انبساطِ شعاعها
جَرتُ إذا بكرت ذُيولَ مزَعفرِ
فشربتها عنراءَ من يدِ مثاها
وقال ابن طباطبا :

وشمس تجلت في رداءٍ معصر
وقال ابن المعتز فيها عند غروبها :
حتى علا الطود ذيل من أصائله
وقال أبو نواس :

قد اغتدى والشمسُ في حجابها
وقال ابن الرومي وهو من المشهور :

طورا وطورا تزيل الخمارا^(١)

خفى مدنف من خلفِ صتر
كمنين يريدُ نكاحَ بكر

من خللِ الغيمِ طرفَ عشاء
كما أشرقت فوق البرية زنب
ولكن وجه الأرض فيها مذهبُ
على الأفقِ الغربي شبرا يذرب

محموٌ يطالنا بوجهٍ موقر
وجهُ المليحة في الخمار الأزرق
تبرُّ يذوبُ على فروع المشرق
وتجرحُ إن راحت ذُيولَ ممشق
تحمكي الصباح مع الصباح المشرق

كأسماء إذ مدت عليها إزارها
كما يصفر فودي رأسه الحرف

مثل الكماط الخود في تقاها

كَأَنَّ خَبِيرًا^(١) الشَّمْسُ ثُمَّ غُرِبَتْ بِهَا وَقَدْ جَعَلَتْ فِي مَجْنَحِ اللَّيْلِ تَمْرُضُ
تَخَاوَصَ عَيْنَ بَيْنَ أَجْفَانِهَا الْكَرَى يَرْتَقِ^(٢) فِيهَا النَّوْمُ ثُمَّ تَفْضُضُ
وَمِنْ جِيدِ مَا قِيلَ فِي أَحْرَارِهَا عِنْدَ الْمُنِيبِ قَوْلُ ابْنِ الْحَاجِبِ :

وَكَاثُهَا عِنْدَ الْغُرَى بِجُفُونِ عَيْنِ الْأَرْمَدِ

وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ وَهُوَ مِنَ الْمَشْهُورِ :

إِذَا رَقَّتْ^(٣) الشَّمْسُ الْأَصِيلُ وَنَفَضَتْ عَلَى الْأَفْقِ الْغَرْبِيُّ وَرَسًا مَذْعَدًا^(٤)
وَوَدَّعَتْ الدُّنْيَا لِنَفْثِ نَجْبِهَا وَشَوَّلَ بَاقِيَ عَمْرِهَا وَتَشَعَّشَعَا
وَلَا حِظَّ النَّوَارِ وَهِيَ مَرِيضَةٌ وَقَدْ وَضَعَتْ خَدَّآ عَلَى الْأَرْضِ أَضْرَعَا
كَأَنَّهَا لَحِظَتْ عَوَادَةً^(٥) عَيْنٌ مَدْنَفٌ تَوَجَّعَ مِنْ أَوْصَابِهِ مَا تَوَجَّعَا
وَوَلَّتْ عَيُونَ الرُّوضِ^(٦) تَخْضَلُ بِالنَّدَى كَمَا اغْرَوْرَقَتْ عَيْنُ الشَّجِيِّ لَتَدْمَعَا
وَبَيْنَ إِغْضَاءِ الْفَرَاقِ عَلَيْهِمَا كَأَنَّهَا خَلَا صَفَاءِ تَوَدَّعَا

وَقَالَ الْآخَرُ :

وَالشَّمْسُ تُؤْذِنُ بِالشَّرُوقِ كَأَنَّهَا خَوْدٌ تَلَاخِظُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ

وَقَالَ السَّرِيُّ :

وَمِنْ قُصُورِ دَلِيلِهِ مُشْرِفَةٌ^(٧) نَفْثُ وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ الْحَبِيبِ
يَبُضُّ إِذَا الشَّمْسُ حَانَ مَغْرِبُهَا حَبَّتْ أَطْرَافُهُنَّ مِنْ ذَهَبِ

-
- (١) كَذَا فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرَّومِيِّ الْمَخْطُوطِ ، وَفِي الْأَصْلِ « جَبْر » .
(٢) كَذَا فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرَّومِيِّ الْمَخْطُوطِ ، وَفِي الْأَصْلِ (يَرْفُقُ) .
(٣) كَذَا فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرَّومِيِّ الْمَخْطُوطِ ، وَفِي الْأَصْلِ « إِذَا أَرَقَّتْ » .
(٤) الْوَرَسُ : نَبَاتٌ كَالسَّيْسَمِ ، وَمَذْعَدًا : مَتَرَفًا .
(٥) فِي الْأَصْلِ « عَوَادَهَا » .
(٦) فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرَّومِيِّ « عَيُونَ النَّوْرِ » .
(٧) كَذَا فِي دِيْوَانِ السَّرِيِّ ، وَفِي الْأَصْلِ « عَلَى مُشْرِفَةٍ » .

ومن بديع ما قيل فيها من شعر المتقدمين قول أبي ذؤيب :
 سبقت إذا ما الشمس عادت ^(١) كما أنها صلاة طيب ليطها واصفرارها
 ومن جيد ما قيل في النهار قول أعرابي :
 فإذا أشرقَ النهارُ تراها راملات في مثل ماء زلال
 وقلت : ويخبطن الصباح إذا تبدى كما يكرهن في الماء الزلال
 وقلت : وعلى الصباح غلالة فضية فيها طراز من خيالك مذهب
 آخر الباب السادس والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده
 وعلى آله وصحبه أجمعين .

(انتهى الجزء الأول)

(استدراكات وتصويبات)

الصفحة	السطر	
٥٨	١٦	هذا البيت يجب أن يكون قبل سابقه .
٦٠	١٩	يقول كان المأمون يتعصب للاوائل من الشعراء ويقول انقضى الشعر مع ملك بني أمية ، وكان عمي الفضل بن سهل يقول الاوائل
٦٣	١٦	وقال غيره
١٥٩	١١	علبت بأن الثاب ليست رزية
١٩٨	١٣	من صخر تدمر أو من وجه عثمان

(١) في ديوان أبي ذؤيب « أضئت » .

﴿ فهرس الجزء الأول من ديوان المعاني ﴾

الصفحة	
٢	ترجمة المؤلف .
٦	صورة آخر النسخة الشنقيطية .
٧	مقدمة الديوان .
٨	أحسن ما قيل في وصف شعر .
١٠	النضر بن شميل والمأمون، والكلام على « سداد » .
١٠	أخلب بيت قاله العرب .
١١	أنصف بيت قاله العرب ، أقنع بيت للعرب .
١٤	أبواب ديوان المعاني .
١٥	الباب الأول : في المديح والتهاني والافتخار .
١٥	الفصل الأول : في المديح .
٢٦	الفصل الثاني : في الافتخار .
٩١	الفصل الثالث : في التهاني .
١٠٣	الباب الثاني : في أوصاف خصال الانسان المحمودة من الجود والشجاعة والعلم والحلم والحزم والعقل ، وما يجرى مع ذلك .
١٥٧	الباب الثالث : في المعاتبات والهجاء والاعتذار .
١٥٧	الفصل الأول : في المعاتبات .
١٧٠	الفصل الثاني : في الهجاء .
٢١٦	الفصل الثالث : في الاعتذار .
٢٢٢	الباب الرابع : في التشبيب وأوصاف الحسان وما يجرى مع ذلك .
٢٨٦	الباب الخامس : في صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفي ذكر الشراب وما يجرى مع ذلك .
٢٨٦	الفصل الأول : في ذكر النار .
٢٩١	الفصل الثاني : في ذكر ألوان الطعام .
٣٠٥	الفصل الثالث : في وصف الشراب .

٣٣٤ الباب السادس : في وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر ومايجرى مع ذلك .

٣٣٥ الفصل الاول : في ذكر النجوم .

٣٤٢ الفصل الثاني : في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره ، وما يجرى مع ذلك من سائر أوصافه .

٣٥٤ الفصل الثالث : في ذكر الصباح والشمس والنهار ، ومايجرى مع ذلك .

{ استدركات وتصويبات }

الصفحة السطر

٢٠٣ ٢٠ نصب اسمعيل بن نوبخت طارمة في صحن

٢٠٤ ١٩ وما قيل في قبج الحلقة وغير ذلك

٢١٥ ٤ لا تخضعه بأثواب مصبغة

٢٣٧ ١٠ وغدا قم عليه عند رقيه

٢٤١ ١١ كان على أنيابها الخرشجها

٢٤٩ ١ وعانقت خلق من صدغه حلقا

٢٦٥ ٩ لو كانت الاشياء تعرفه أجلته اجلال بارها

لو تستطيع الارض لاجتمعت حتى يكون جميعه فيها

٢٧١ ٢٣ أسرا اذا بليت وذاب جسمي

٢٧٦ ١٥ ان الذي يعشق من لا يرى كيت من شدة الغلبة

٢٩٣ ٧ يقشر جلداً منه كالنضار

٣٠٠ ٦ ظلت تبكي شجوماً أبصرت من أمرنا وهي به عالمه

٣١٤ ٧ هذا الشعر للخبيل يشكرى لا للاخطل

٣١٥ ١٣ انها عندي وأحلام الكرى

٣١٩ ٥ كما أنك تابع وأنا قرين فقلبه

٣٢٣ ٢٢ أكرم ذكر ذخرته كرمه في عنبه

٣٢٤ ١١ فأت نف المم عنا

(إختلافات نسخة المتحف البريطاني وغيرها من الروايات والتصويبات في الجزء الأول)
وأكثرها من استدراك المشرق الأستاذ الدكتور كرنكو

الصفحة	السطر				
١١	١	تقول لي.. هاجعة	٣٣	٥	ليسقط عنه
١١	٥	أبوعروة المدني	٣٣	٧	عند إتيان
١١	٨	نصرى	٣٣	١٣	الماطرة
١١	١٥	الثرة الصفي	٣٣	١٤	ومنا التاء
١١	١٨	السوء لا	٣٤	١٦	قسطل
١٢	١	لعيس	٣٥	٧	وأنت مبيع
١٢	٣	وأتمزها	٣٥	١٦	ذمارها
١٢	١٦	كالسيف أوجههم	٣٨	٥	وفوا
١٢	١٩	اللحاء	٤٠	١٤	دماذ
١٨	١٠	السبك	٤٠	١٦	ضيف.. الخفريات
١٨	١٤	خضرا	٤١	١٢	أبي عكرمة
٢٠	١٢	حول سرير	٤٤	٩	بخفان
٢٠	١٧	أغر أروع	٤٤	١٩	٢٠٤ ثامل
٢٠	١٨	فانك كالليل	٤٧	٥	وبصدره
٢١	٢	كحى أدركته مقادير	٤٧	٨	الكوماء.. تحرى
٢١	٥	مبتوثا	٥٧	٣	من الشجاعة
٢١	٨	لا عار	٥٨	١٣	غر الرداء
٢١	١٠	فيه عار	٦٠	٢١	وأحسن منه ما
٢١	١١	سرار	٦٠	١٩	تفريعا إلى أن
٢٢	١	من أخذ	٦١	١١	مركز
٢٣	٢	قرنو	٦٣	٢٠	يافيض
٢٣	٧	إلى باب	٦٥	٣	ابن حرى
٢٥	١٥	أبقى.. الصم	٦٥	٢٢	هفان.. ثوابه
٢٦	٢	بن فانك	٦٦	٤	أبو الغراف
٢٧	٧	أبو أحمد	٦٦	٩	أثلمت حوامله
٢٧	١٧	مجرد	٦٦	١١	فيوم تحوط
٢٧	١٨	للممدوح	٦٦	١١	ماتعب نوافله
٢٨	١٠	٦٨٤٢٨ ١٠: ٧٤١٠٠	٦٨	٥	دوارج
٣٠	٤	الفيض	٦٨	١٩	كادعت
٣١	١٠	أحسن لحظة	٧١	١٥	أو أزره
٧٢	١٢	أكفاؤه	٧٤	٢	الخرمى
٧٨	١٧	المثالي الشاعرون	٧٩	١٠	أمون.. لحاها
٨١	١٦	الجحاف	٨٢	٧	أخرانا
٨٥	١٧	الحمانى	٨٥	٢١	قصرى غنى
٨٦	٣	ولا يحال	٨٦	٥	نبوه
٨٧	١٨	جينه	٨٧	٢٠	بالأفول
٨٧	٢٠	على الرقود	٨٧	٢٠	واعتمدت
٨٨	١	إلى الكوم	٨٨	١١	أشوى
٨٩	٦	أو القنان	٨٩	١٠	العاصمون
٩٠	١١	العارمون	٩٠	١١	ومنى
٩٠	١٤	الفصل الثالث	٩٢	٥	شيء بما فعاذا
٩٢	١٠	تنشر أعيادا	٩٢	١٣	رابعه
٩٢	٢٠	كهذا	٩٣	١٥	بلبل
٩٤	١٢	أنى هفان	٩٤	١٧	يهدى للجليل
٩٦	١٦	عنان الفكر	٩٦	١٧	يديه نارها
٩٦	٢٢	إلى من وليه	٩٦	١٥	أو أزره

٩٧ ١٥	اقتفروا	١٥٣ ٤	أن يحل به	٤٩ ٩	شيئت
١٠٠ ١	ولشأوه	١٥٣ ٦	وبأذرت منه	٥٠ ٦	وما ظلم
١٠٠ ١٧	تجلى لك	١٥٥ ١٦	زفر	٥٣ ٧	ويمرع
١٠٢ ٦	من مواليه	١٥٨ ١٢	راضى سنة	٥٤ ١٠	وتدولا، وعتودا
١٠٢ ٢٠	ويلقبك ثواب	١٥٩ ١٠	بجنب الستار	٥٥ ٧	مد العلاء
١٠٦ ٥	إنك	١٧٠ ١٧	بطائشة الصدور	٥٦ ١٦	٢٠، خدى
١٠٦ ٢٢	بليال	١٧٣ ١١	دوبل.. دوبل	١٤٥ ٧	مذهب
١٠٩ ١٠	آلف	١٧٥ ٢٢	يزوق	١٤٩ ١٨	عليم بن جناب
١١٠ ٣	يواكب	١٧٦ ٢	جذمة	١٥٠ ٢٠	سعيد بن مسلم
١١٠ ٩	تقذيتها	١٧٦ ٧	تغلب	١٩٦ ٧	بذى شكر
١١١ ١	مجدلا	١٨١ ١٦	به الدعى	١٩٦ ٨	نحوى جمعة
١١١ ٢	بمالم	١٩٨ ٣	تكن لتكون	١٩٦ ١٩	فى التطير
١١١ ٣	أغشى	١٩٨ ١٠	أمين	١٩٩ ١١	وأدغمت أبا
١١١ ٧	أخم	٢٠٦ ٢	الدار يطوف	١٩٩ ١٥	ثنتى عنك
١١١ ٢٠	ماذلك	٢١٣ ١٥	غادر الرفض	٢٠١ ٦	فيه مذرمان
١١٢ ١٣	الصقعب النهدي	٢١٣ ١٨	وقعتما للحين	٢٠١ ٧	ظهارة سوء
١١٢ ٢١	قدجبت جلبابه	٢١٣ ١٩	زوراذوى السنة	٢٠١ ١٧	كما تريد
١١٣ ٦	رفيقة	٢٣٣ ١١	فيزيد فيها	٢٠٢ ١١	بسلب الصفات
١١٤ ١٨	بلعاء	٢٣٣ ١٦	أملود	٢٠٢ ١٥	عن الأشنانداني
١١٥ ١٠	يمرح	٢٣٣ ١٧	سب.. وطاق	٢٠٢ ١٨	كالذبيح
١١٨ ٦	عيد بن الأبرص	٢٣٤ ١٩	يا اسلى	٢٠٣ ١٩	ابن مهرويه
١٢٢ ٥	وأثنى غير	٢٣٧ ٨	فيها بدرما	٢٠٦ ٢٠	وتنتنى حتى
١٢٢ ١٨	دجاجة	٢٥٣ ١٤	الغرى	٢٠٨ ٢	كسير الجناح
١٢٣ ٨	ابن ميادة	٢٥٥ ١٣	يذاب بعينى	٢٠٨ ٣	خامد المصباح
١٢٦ ٥	عنى الحساب	٢٥٦ ٤	فأسبلت	٢١٠ ٦	وسماد الحية
١٢٨ ٢٢	أنعمة الله	١٧ ٥	غضبة	٢١٢ ٣	بهمن دمامته
١٣١ ٩	المشقر	٤٢ ١	تكدر عيشة	٢١٣ ١	أظهر فيه
١٣١ ١٣	راوية.. ابن	٢٦ ١٤	خبث	٢١٤ ٨	غادية
١٣٢ ٣	تعجب	٩٢ ٥	قعيان	٢١٥ ١٧	ولا تأتيني
١٣٢ ٤	تجنب	١٢٥ ١٥	بختري	٢١٦ ٧	فى بيتى
١٣٣ ٦	حلحلة	٢٤٩ ٤	شارب	٢٢٠ ١٨	وللقارف ذنباً
١٣٣ ٧	بوانى	٤٩ ٥	آراؤهم	٢٢١ ٤	أرى الراغب إلى
١٣٦ ٧	قول عمارة				الهيئة الحية
١٥١ ١٥	التضافر				
١٥٣ ٣	ويهدم صالحى				

٢٢٥	١٥	دمع احدره	٢٦٣	٨	الحوامى الموامع	٢٩٦	١٥	من المن
٢٢٦	١٣	عند خود	٢٦٣	٢٠	قوم موسى	٢٩٦	٤	في السقي
٢٢٨	٨	ونبتها قالت	٢٦٤	٨	كنت في	٢٩٨	١١	أتعرف من
٢٢٨	٢٢	الحسن بسطة	٢٦٤	١٤	الحسن عليه	٢٩٨	١٦	المعتدة
٢٢٩	٤	بيضا كالفضة	٢٦٤	١٧	معا فلم	٣٠٠	٣	الكيسة الحازمة
٢٣١	٤	قاسنى بالبدرد	٢٦٥	٢	أظرفه	٣٠٠	٧	صادفت منا
٢٣٢	١٥	حسنه .. حفلت	٢٦٥	٢٣	لشدها	٣٠٠	١٩	وقد تردى
٢٣٧	٦	عين تفل	٢٦٦	٨	الوصل شافيا	٣٠١	١٠	موشى تخال
٢٤٠	١٣	يحتبها أحور	٢٦٦	١٠	وأرحم	٣٠٢	١٧	تغر .. الواضع
٢٤١	١	مشرب عذب	٢٦٦	١٤	لم يك	٣٠٤	١٠	فنون السمن
٢٤٢	١٤	بدلها	٢٦٩	١٨	في الشمس	٣٠٤	١١	طيف سلى
٢٤٤	٤	وأثنى	٢٧١	٥	قفاصاه	٣٠٤	١٤	منسر الباز
٢٤٤	١٤	زق أمات	٢٧١	١١	ياجنان	٣٠٨	١١	سباها التجر
٢٤٤	١٦	فأفضيت	٢٧٢	١٠	يعش .. المنون	٣١٠	١	أرى نجمين
٢٤٥	١٩	قلقت وشحه	٢٧٢	٢٠	أقياده .. صاحبه	٣١٠	٥	ووجنة
٢٤٦	٨	تغضبن .. اتعلت	٢٧٣	١	في يستن	٣١٠	١٣	ذهن لطيف
٢٤٧	٧	طرة .. طرة	٢٧٦	١٠	سفعة	٣١٢	١٨	وقد حجب
٢٤٧	١٤	أوبالمى	٢٧٧	١٠	يشنى الجوى	٣١٥	٣	اله ان
٢٤٨	٢٢	قرنوا	٢٧٧	١٣	زف .. لخياني	٣١٥	٦	لهوا الى
٢٤٩	١	أو كالجيم	٢٧٧	١٨	معان جياذ	٣١٥	١٧	ليأتى ما
٢٥٠	١٦	وما سلى	٢٧٧	٢٠	ولا طارقا	٣١٨	٢	فأزرى
٢٥٠	١٨	وصف الساق	٢٧٨	١٥	ونحن مغترقان	٣١٨	١١	راضعت
٢٥١	٣	نقطن أذقانا	٢٨١	٥	ليلة القرر	٣١٩	١٣	على الأجسام
٢٥١	١٣	القوام والترنح	٢٨١	١١	حجاما	٣٢٠	٢	ذكر مزاج
٢٥٢	١٠	إلامشاشة	٢٨٢	١٢	من نزوح	٣٢٥	٥	يميل
٢٥٢	٢١	يخرق	٢٨٤	٢	فتبين	٣٢٦	١٨	والارض به
٢٥٤	٢١	خلص	٢٨٥	٨	تفص	٣٢٧	١٥	ابن سريج
٢٥٥	٤	أطراف خرمه	٢٨٩	١٩	وجوهم سفع	٣٢٧	١٨	عمل زلزل
٢٥٦	٦	كما سقى	٢٩٠	٣	موقوفه بين	٣٢٧	٢١	في جس
٢٥٦	٢١	السيف الصقيل	٢٩٠	٢١	تصبغ بالدماء	٣٢٨	٤	أحرفه
٢٥٧	١٢	فاضن من	٢٩٠	٥	في جوداوة	٣٢٩	٤	كما يتداوى
٢٥٨	١٥	كوم المطايا	٢٩٣	٥	في جوداوة	٣٢٩	١٩	دكن الظواهر
٢٥٩	٦	من طيبها	٢٩٦	١١	أرج العطر	٣٢٩	٢٠	في تباين
٢٥٩	١٠	بغء كل						

ديوان المعتمداني

للأمام اللغوي الأديب أبي هلال العسكري

عن نسخنا لأمامين العظمين : الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي
مع مقابلة الشكل بنسخة المتحف البريطاني

الجزء الثاني

عالم الكتب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على نعمه الثامة وأياديه الخاصة والعامة في إنشاء السحاب الثقال وإجراء العنب الزلال وتفجير البارد السلسال ليغذويه النجم والشجر ويرب الحب والتمر رحمة للأنام ونظراً للأنام فله الحمد أولاً وآخراً. والصلاة على نبيه محمد الذي أرسله بالحق شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بأذنه ومراجاً منيراً وعلى آله المختارين وعترته المتعجبين .

وقد رأينا الحكماء في كل زمان يجتهدون في تقريب الحكمة وتسهيل سبلها وشرح مشكلها وإيضاح أبوابها وإدناء أسبابها ليخف حملها ويقرب منهاؤها ويرغب فيها كل أحد ويأخذ منها بنصيب ويفترف منها بذنوب .

و كنت جعلت كتابي الموسوم بديوان المعاني مشتملاً على اثني عشر باباً يتضمنها خمسمائة ورقة فرأيت بعض الناس يستكبر حجمه ويستثقل نسخه فجعلت كل باب منها كتاباً ينفرد بنفسه ويتميز من جنسه ليقرّب أمره ويسهل نسخه ولتسرع الرغبة إليه فيكثر الانتفاع به إن شاء الله تعالى وبه التوفيق .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد وذكر المياه والرياض
والنبات والأشجار والرياحين والثمار والنسيم وما يجرى من ذلك وهو :
﴿ الباب السابع من كتاب ديوان المعاني وفيه ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد والثلج والضرب
أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قال
أبو عمرو لذي الرمة أي قول الشعراء في المطر أشعر ؟ قال قول امرئ القيس :
ديمة هطلأ فيها وكف طبق الأرض تحرى وتدر
قوله طبق الأرض غاية في صفة عموم السحاب أراد أنها على الأرض بمنزلة
الطبق على الأتاء . ولا أعرف أحداً أخذه فأجاده كاجادة ابن الرومي حيث يقول :
سحاب قيست بالبلاد فالتيت غطاء على أغوارها ونجودها
هدتها النعامى مثقات فاقبلت نهادى رويداً سيرها كركودها
قوله سيرها كركودها غاية في وصف ثقلها وثقلها من كثرة ماؤها .
والبيت البليغ المشار إليه من أبيات امرئ القيس قوله :
وترى الشجراء في ريقه كرؤوس قطعت فيها الخمر
الشجراء الأرض ذات الشجر وإذا غرقت الشجر من ريقه حتى لا يبين منها
إلا فروعها فكيف يكون في شدته ، وريق المطر أوله وأخفه ، وشبه رؤوس الشجر
خارجة من الماء برؤوس قطعت عليها عمام ، والخمار ههنا العمامة .
وقالوا أجود ما قيل في المطر قوله :

كأن أبانا في أفانين وبله كبر رجال في بجاد زممل^(١)
يقول كأن أبانا - وهو جبل - من التناف قطره وتكاثفه في الهواء شيخ في كساء،
ونخفض زممل على الجواب وهو نمت كبير كما تقول جحر ضب خرب .
وقالوا أجود ما قيل فيه قول أبي ذؤيب :

لكل مسيل من نهامة بعد ما تقطع أقران السحاب عجاج
وهذا مع جودة معناه فصيح جداً . أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن
ذكو أن قال قال الأصمى قلت لأبي عمرو ما أحسن ما قيل في المطر فقال قول القائل^(٢) :
دائن مسف فويق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح
فن بنجوته كمن بمقوته والمستكن كمن يمشى بقرواح^(٣)
يقول قد عم هذا السحاب فاستوى في شيم بركة وأصاب مطره المنجد والنائر
والمستكن والمصحر ، قرب من الأرض لثقه بالماء حتى يكاد يدفعه القائم براحته
وهذا غاية الوصف .

ومن أبلغ ما جاء في ذلك من نثر الأعراب ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي
بكر بن دريد عن أبي حاتم وعبد الرحمن عن الأصمى قال سألت أعرابيا
من طمرين صمصمة عن مطر أصاب بلادهم فقال نشأ ماضاً فطلع ناهضاً ثم ابتسم
وامضاً فاعترض الأمطار فأعشاها وامتد في الآفاق فغطاها ثم ارتجز فهمهم ثم
دوى فأظلم فأرك^(٤) ودث وبش ثم قطقط فأفرط ثم ديم فأغط ثم ركد فأجثم ثم

(١) في ديوان امرئ القيس «ودقه» مكان «وبله» و«أناس» مكان (رجال) .

(٢) قيل هو أوس بن حجر وقيل عبيد بن الأبرص ، وقيل البيت :

يأمن لبرق أيت الليل أرقبه في ماض كضئ الصبح لماح

(٣) القرواح الأرض الواسعة التي لانبات فيها ، ومطلع القصيدة :

ودع لميس وداع الصارم اللاحي إذ فنكت في فساد بعد اصلاح

(٤) أرك أتى بمطر ركيك أي قليل .

وبل ففتح وجاد فأنعم فقمس الربى وأفرط الزبي سبماً تباعاً لا يريد اقشاما حتى
ارتوت الحزون وتضحضحت الثون ساقه ربك الى حيث شاء كما جلبه من
حيث شاء . الدث والبفش المطر الخفيف ، والققطظ المطر الصغار ، وقوله أنعم أى
بالغ من قولهم دقه دقاً ناعماً ، وقمس أى قوص ، وأفرط ملاً . والزبي جمع زبية وهى
حفرة تحفر للأسد ويجعل فيها طعم فيجىء حتى يقع فيها ولا تحفر إلا فى مكان
مال فاذا بلغها السيل فهو الغاية يوفى المثل « بلغ السيل الزبى » والمتن صلابة من
الأرض فيها ارتفاع ، وتضحضح أى صار عليه ضحضاح وهو الماء يجرى على
وجه الأرض رقيقاً .

وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن ابن أبي طاهر عن ابن الأعرابي لأعرابية :

فبينما نرْمُقُ أحشاءنا	أضياءً لنا عارضاً فاستناراً
فأقبل يزحف زحف الكسير	سياق الرماء البطاء العشارا
تغنى وتضحك حاقاته	امام الجنوب وتبكي مرارا
كأنا تغنى لنا حرة	نشدة إزاراً وتلقى إزارا
قلنا حسبنا بأن لا نجا	وأن لا يكون فرار فرارا
أشار له أمر فوقه	هلم فأم إلى ما أشارا

وأنشدنا غيرها :

تبسمت الريح ريح الجنوب	فهاجت هوى غالياً وادّكلرا
وساقت سحاباً كمثل الجبال	إذا البرق أومض فيه أنارا
إذا الرعد جلجل في جانيه	فروى النبات وأروى الصغارى
تطالعنا الشمس من دونه	طلّاع فتاة تخاف اشتهارا
تخاف الرقيب على سرها	وتحذر من زوجها أن يشارا
فتستر غرتها بالبخار	طورا وطورا تزيل الخارا

وقدمت هذه الايات الثلاثة قبل :

فلما مراها هبوبُ الجنوبِ وانهرَ الماءُ منهُ انهارا
تبستِ الأرضُ لما بكت عليها السماءُ دُموعاً غزارا
فكان نواجذها الاقحوان وكان الضواحك منها البهارا
وقال ابن مطير وهو أجود ما قيل في سحاب :

مستضعكٌ بلوامعٌ مستعبرٌ بدوامعٍ لم تمرها الاقضاء
فله بلا حزن ولا بمسرة ضحكٌ يؤلفُ بينه وبسكاه
ثقلت كلاله وأنهرت^(١) أصلابه وتبعجت^(٢) من مائه الاحشاء
غدقٌ ينتج بالباطح فرقا تلدُ السيولَ وما لها اسلاء^(٣)
وكان ريقه ولما يحتفل ودقُ السحابِ عجاياة كدراء
غرٌ محجلةٌ روائحُ ضمنت حقلَ اللقاء وكلها عذراء
سحمٌ فهن إذا كظمن قواحم وإذا ضيكن قاهنٌ وضاء^(٤)
لو كان من لجج السواحلِ ماؤه لم يبقَ من لجج السواحلِ ماء

ومن هذا البيت أخذ المتكلمون الحجة على الفلاسفة في قول الفلاسفة المطرا بما هو البخارات ترتفع من البحر ، قالوا لهم لو كان الأمر كذلك لكان ماء البحر ينقص عند كثرة الأمطار قتالت لا يلزم ذلك لأن البحر مغيص لمياه الأرض فمصر ما يتطلب من الثلوج اليه ومنه مواد هذه الأشياء فثله مثل المنجنون يغرف من بحر ثم يصب فيه فليس له نقصان والذي ينقص هذا ان ماء البحر يزيد عند كثرة الأمطار وينقص عند قلتها والعادة في ذلك معروفة ولو كان الأمر على ما يقولون لكان ماء البحر ينقص على مرور الأوقات لاحالة لأن الشمس

(١) من أنهر العرق لم يرقأ دمه . (٢) تبعج السحاب تبعجاً وهو إنفراجه في الودق . (٣) ينتج أى يولد ، وقرقت الناقة أخذها الحاض فندت في الارض فهي فارق ج فوارق وتشبه بها السحابة المنفردة عن السحاب . والاسلاء جمع سلى وهي الجلدة فيها الولد من الناس والمواشي (٤) وضاء جمع وضيفة .

والهواء لا شك تأخذ مما يتفرق عنه في الأرض يزعمهم ، والكلام فيه يتسع
 وإنما أشرت الى موضع الدلالة على فساد قولهم .
 وقال النظار النعسي :

يا صاحبي أعيناني بطرفكما أتى تشيان^(١) برق العارض الساري
 أبصرته حين غاب النجم وانسرفت عنا غفائر^(٢) من دجن وأمطار
 فبات ينهض بالوادي وجلته^(٣) نهض الكسير بذى آونين جرار^(٤)
 حيران سكران يفتش كل راية من الروابي بأرجاف وأضرار
 مفرق^(٥) لدمت الأرض منهمر رحاب أفئدة شعل أبصار
 كأن يلتقا عراباً تحت ريقه عوداً تذب بريح عند امهار

وشبه البرق بريح الابلق ، وهو من قول أوس بن حجر :

كأن ريقه لما علا شيطبا^(٥) أقراب أبلق ينقى الخيل رماح

ومن أبلغ ما قيل في ذلك قول الاعرابية التي سألتها ذوالرمة عن الغيث فقالت :
 غشنا^(٦) ماشئنا . فكان ذوالرمة يقول قاتلها الله ما أفصحها . وترك ذوالرمة هذا
 المذهب على إعجابه به واختياره له وقال :

ألا يا أسلى بادارمي^(٧) على البلى ولا زال منهلاً بجر حائك القطر

ف قيل له هذا بالدعاء عليها أشبه منه بالدعاء لها لأن القطر إذا دامت فيها
 فسدت . والجيد قول طرفة :

فستى بلادك غير مفسدها صوب^(٨) الريح وديعة^(٩) نهى

وقال اعرابي : أصابتنا سحابة وأنا لبنوطة بميدة الأرجاء فاهرمع مطرها حتى
 رأيتنا ومارأيتنا غير السماء والماء وصهوات الطلح ففرب النيل النجاف وملا

(١) شام البرق : نظر اليه أين يقصد وأين يعطر .

(٢) الغفائر جمع غفارة ما يوضع على الرأس نحو العمامة . (٣) الجلبة : الجانب .

(٤) الاونان : جانبنا الخارج . (٥) اسم جيل . (٦) أى أصابتنا الغيث .

الأودية فرعها فما لبثنا إلا عشرًا حتى رأيتها دوضة تندى . قوله مارأيت غير السماء والماء وصهوات الطلح غاية في صفة كثرة المطر . وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن حريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال خرج النعمان بن المنذر في بعض أيامه في عقب مطر فلقى أعرابيًا فأمر بأحضاره فأتى به فقال كيف تركت الأرض وراءك ؟ قال فيجرحاب منها السهولة ومنها الصعاب منوطة بمجاليها حاملة ثقالتها . قال أنا عن السماء سألتك قال مطلة مستقلة على غير مقاب^(١) ولا أطناب يختلف عصرها ويتعاقب سراجها ، قال ليس عن هذا أسألك قال فسبل عما بدالك قال هل أصاب الأرض غيث يوصف قال نعم أغمطت^(٢) السماء في أرضنا ثلاثًا هوائًا ثرت وأرزغت^(٣) ورسفت ثم خرجت من أرض قومي أقروها^(٤) متواصية^(٥) لاخطيطة^(٦) منها حتى هبطت تسار فتداعى السحاب من الأقطار فجاء السيل الجرار فعنا الآثار وملاً الجفار وقوب الأشجار وأجعر الحُضار ومنع السفار ثم ألق عن تقع واضرار فلما اتلأبت في النيطان ووضعت السبل في القيمان تطلعت رقاب العنان من أقطار الاعنان فلم أجدر ورراً إلا الغيران فقات وجار الضب فعادت السهول كالبحار تتلاطم بالتيار والحزون متلفعة بالغشاء والوحوش مقنوفة على الأرجاء فمازلت أطال السماء وأخوض الماء حتى أطلعت أرضكم اه . أغمطت السماء دام مطرها ، رهوآسا كناً ، ثرت تركته ثرية^(٧) ، أرزغت تركت الأرض في رزغة والرزغة والردغة الطين اذا أعطي القدم ، رسغت بلغت الرسخ ، متواصية متصلة ، الخطيطة والخطيطة أرض لم يصبها مطر بين أرضين ممطورتين ، وتشار موضع ، والعنان السحاب والاعنان نواحي الشخب فقات من التى وجار الضب وهو عندهم غاية

(١) أى أعمدة . (٢) أى دامت . (٣) أرزغ المطر الأرض : بلها

ولم تسل . (٤) أى أتبعها قرية قرية . (٥) أى متصلة .

(٦) الخطيطة الأرض غير المطورة بين أرضين ممطورتين ، أوالتى مطر بعضها .

(٧) أى تراباً مبلولاً .

ما يوصف به المطر وهو عندهم الذي يجر أنضب من وجارها فيخرجها من كثرة سيله . وقوله والحزون متلفعة بالغشاء يقول بلغ الماء رؤوس الحزون ثم نضب عنها فبقى الغشاء في موضعه .

ومن الوصف الجيد التام في تكاثف المطر قول بعضهم : وقع مطر صغار وقطر كبار وكائن الصغار لحمة للكبار ، جل الهواء كالثوب المنسوج من كثرة المطر وتكاثفه . ومن أجود ما قاله محدث في وصف السحاب والقطر والرعد والبرق ما أنشدناه أبو أحمد عن فطويه للمعاني :

أرقت للبرق يخفو ثم يأتق	يخفيه طوراً ويديه لنا الاثق
كانه غرة شهاب لائحة	في وجه دهاء ما في جلدها بلق
أو ثغر زنجية تفر ضاحكة	تبدو مشافرها طوراً وتنطبق
أوسلة البيض ^(١) في جأواء مظلمة	وقد تلت غلباها البيض والبرق
والغيم كالثوب في الاثاق منتشر	من فوقه طبق من تحته طبق
تظنه مصباً لا فتق فيه فان	سالت عوالب قلت الثوب منفتق
ان مغمع الرعد فيه قلت ينخرق	أولاً لا البرق فيه قلت يحترق
تستك من رعده أذن السبع كما	تمشى إذا نظرت من برقه الحلق
فالرعد صهليق ^(٢) والريح منخرق	والبرق مؤلق والماء منبعق
قد حال فوق الرابي نور له أرج	كانه الوشي والدياج والسررق
من صفرة بينها حمراء قانية	وأصفر فاقع أو أبيض يتفق
فامتحننت هذه الطريقة قلت :	

برق يطرز ثوب الليل مؤلق	والماء من ناره يهيم فينبق
نوقلت في أديم الأرض حمرة	كانها غرة في الطرف أو بلق
ما امتد منها على أرجائه ذهب	إلا تحدر من حاقاته ورق

(١) الشيوف . (٢) الصهليق من الأصوات : الشديد .

كأنها في جبين المزن إذ لمت
 فالرعد مرتجس^١ والبرق مختلس
 والضال فيما ظم من مائه غرق
 والغيم خز^٢ وأنهاء^(١) اللوى زرد
 والروض يزدهو عشب أخضر^٣ نضر^٤
 ومما ورد في المياه^(٢) :

من سيول يعجبها الواديان
 فواستواء إذا جرى والتواء
 فهو حيث استدار وقف^١ لجين
 وقال ابن المعتز :

لا مثل منزلة الدورية منزل^١
 بؤساً لدهر غيبتك صروفه
 لم يحل^٢ بالعينين بعدك منظر^٣
 أي^٤ المعاهد منك أندب^٥ طيبة
 أم برد ظلك ذى النصوص وذى الحيا
 وكأنما سطعت بجامر^٦ عنبر^٧
 وكأنما حصباء^٨ أرضك جواهر^٩
 وكأن^{١٠} درما^{١١} مفرغاً من فضة

وهذه الأيات أحسن أبيات قيلت في صفة دار . وقلت :

شققن^١ بنا تياراً بحري كأنه^٢
 ترى مستقر^٣ الماء منه كأنه^٤
 إذا ملجرت فيه السفين^٥ يبربد^٦
 سيب^٧ على الأرض الفضاء^٨ ممدد^٩

(١) جمع نهى وهو انتهى الرمل الذى يسكن إليه الماء .

(٢) هنا يياض في النسخ . (٣) الأرض الميثاء : السهلة .

ويجري إذا الأرواح فيه تقابلت
فإن تسكن الأرواح خلت متونه
فطوراً تراه وهو سيف مهند
نصعد فيه وهو زرق جسمه
كامل من كف النهمي^(١) مبرد
متون الصفايح البيض حين تجرد
وطوراً تراه وهو درع مسرد
فنجسب أنا في السماء نصعد
وقال ابن طباطبا العلوى في مدد الوادى :

يا حسن وادينا ومدد الماء
يختال في حلتبه الكدواء
في صخب عال وفي ضوضاء
ترى به تناطح الطيلاء
قد جاء بين الصيف والشتاء
أكدر يمتد على غبراء
بصافح الرياح في الهواء
جاء قد شئت إلى جاء
فانظر إلى أعجب مرأى الرأى
من كدر ينجاب عن صفاء
ي تقشع النعيم عن السماء

وقال السرى في المدد وانقطاع الجسر ينداد :

أحذركم أمواج دجلة إذ غدت
فقلت صغار السفن يرقصن وسطها
تفرقها هوج الرياح وتعلل
فمن كدم الخيل جالت صفوفها
مصنعة بالمد أمواج ماها
كرقص بنات الزنج عند انتشائها
ربى الموج من قدامها وورائها
وقد بدرتها روعة من ورائها
وقد سامها ضياء أسود صماها
على تربة محمرة من فضاها
فأبصرت أقماراً تروح وتغرب
وغودر فوق الماء يطفو ويرسب
فيا من رأى خشفاً على الماء يلعب
تجىء على زرق الزجاج وتذهب
كأنهم درية تقطع سلكه
فكم من خشف^(٢) على الماء لاعب
كأن السميريات فيه عقارب

(١) النهمي بالنون : الحداد . (٢) الخشف مثلثة الخاء : ولد الظبي .

وقال أبو بكر الصنوبري :

إذا السماء أعنقت منها إلى شطّ وشطّ
حسبت أن بطها الأمواج والأمواج بطّ
وقال : وروضة أريضة الأرجاء من ذهب الزهر لجين الماء
يجري على ذمرد الجصاء بين استواء منه والتواء
كما نفخت جوفّة الهواء

وقال أبو فراس بن حمدان :

أنظر إلى الزهر البديع والماء في برك الربيع
وإذا الرياح جرت عيسى في القباب وفي الرجوع
ثرت على يفض الصفا فتح بينها حلق الدروع
ومن أوائل ما جاء في ذكر الماء المظلل بالأشجار قول ليبيد :
فثوسطا عرض السماء فصدا مسجورة متجاوز قلامها
محفوفة وسط البراع يظلمها منه مصرع غابة وقيامها
وقال بشر بن أبي خازم في البحر :

ونحن على جوانبها قعود نفض الطرف كالابل القماح
إذا قطعت براكبها خليجا تذكر ملديه من الجناح

﴿ الفصل الثاني من الباب السابع ﴾

في ذكر الرياض والآثار والبساتين والثمار وما يجري مع ذلك
أخبرنا أبو أحمد عن رجاله عن أبي عمرو وغيره قالوا أجود ما قيل في وصف
روضة قول الأعشى :

ماروضة من رياض الحزن مشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بقمم النبت مكتمل

يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل
قال المصنف خص العشي لأن كون الإنسان بالعشي أحسن منه بالغداة لركة
تعلوه بالعشي وتهيج^(١) بتأده بالغداة وتعتري الألوان بالعشيات صفرة قليلة
تستحسن ولذلك شبهها بالروض لما في الروض من الزهر وهو أصفر، ومن
هذا قوله أيضاً • وصفراء العشي كالمرارة • وقال بعضهم بل خص العشي
لنقصان الحسن فيه قال فشبهها في نقصان الحسن بالروضة في حال تمام حسنها،
وليس كذلك لأن الروض بالغداة أحسن منه بالعشي.

والتشبيه المصيب من الشعر القديم قول بشر بن أبي خازم :
وروض أحجم الرواد عنه له قفلٌ وحوزان^(٢) تؤام
تعالى نبتة واعتم حتى كأن منابت العلجان^(٣) شام
الشام جمع شامة أى ظاهر كظهور الشامة في الوجه ويقال ما أنت إلا شامة
أى أمرك ظاهر . وأنشد الجاحظ قول النمر بن تولب المكي :

ميشاء جاد عليها مسبل هطل فأمريت لاختيال فرط أهوام
إذا يجف ثراها بلها ديم من كوكب نازل بالماء سجام
لم يرعها أحد وارتبها زمنا فأو من الأرض محفوف بأعلام
تسمع للطير في حافات زجلا كأن أصواتها أصوات مخدام
كأن ربيع خزاماها وحنوتها^(٤) بالليل ربيع يلتجوج وأهضام
ولم يدع شيئاً يكون في الخصب إلا ذكره . ومن أبلغ ما وصف به كثرة الكلام ما أخبرنا
به أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عمه عن ابن الكلبي عن أبيه قال خطب
ابنة الخس ثلاثة نفر من قومها فارتضت أنسابهم وجماهم وأرادت أن تسير

(١) التهيج بالباء قبل الجيم : شئ من التورم في الوجه يظهر عند القيام من النوم.

(٢) النفل والحوزان نبتان ، وتؤام أى توأمان (٣) العلجان : نبت .

(٤) الخزامي والحنوة : نبتان طيبا الرائحة .

عقولهم فقالت لهم انى أريد أن ترنادوا إلى مرعى فلما أتوها قالت لأحدهم ما رأيت
قال رأيت بقلًا وبقيلًا وماءً غدقًا سيلًا يحسبه الجاهل ليلًا قالت أمرعت .
وقال الآخر رأيت ديمة فوق ديمة على عهد غير قديمة فالتاب تشيع قبل الفطيمة .
وقال الثالث : رأيت نباتًا تمدًا معدًا متراكبًا جمدًا كأنخاذ نساء بنى سعد
تشيع منه التاب وهي تعدوا . بقلًا وبقيلًا : يقول بقل قد طال ونحته عمير
قد نشأ ، والنق: الكثير يحسبه الجاهل ليلًا من كثافته وشدة خضرته ، والديمة
المطر يدوم أيامًا في سكون ولين ، والعهاد أول ما يصيب الأرض من المطر
الواحد عهد ، تشيع منه التاب قبل الفطيمة : يريد أن العشب قد اكتمل وتم
فالتاب وهي المسنة من الابل تشيع قبل الصغيرة منها لأنها تنال الكلأ وهي قائمة
لا تطلبه ولا تبرح موضعها والفطيمة تتبع ما صغر والصغير فيه قليل . وهذه صفة
بليغة . وأبلغ منها قول الآخر تشيع منه التاب وهي تعدوا أى من طول النبات
وكثرته وعمومه تعدوا وتأكل لا تحتاج إلى تتبعه وطأ طأة رأسها له . ولا أعرف
في جميع ما وصف به كثرة الكلأ أبلغ من هذا . والشعد : الرطب اللين والمعد
اتباع . والثرى الجعد الذى قد كثر نداء فاذا ضمته يذك اجتمع ودخل بعضه
في بعض كالشعر الجعد ، وخص نساء بنى سعد لأن الأدمة فيهم فاشية .

ومن أبلغ ما قيل في طول الكلأ قول الآخر أنشده ابن السكيت وتعلب :
أرعبتها أطيب أرض عودا الصل والصفضل واليضيديا
والخازباز السنم الجودا بحيث يدعو عامر مسعودا

يقول قد سد النبات من طوله وسيوغه مسعوداً قلبي يراه عامر فهو يصبح
به ، الصل والصفضل وخازباز ضرب من النبات . وليس ألفاظ الآيات بالمتارة
أما اخترتها لجودة معناها .

ونظر أعرابي الي يوم دجن والى نبات غض فاستحسن فقال ارتجالا :
أنت والله من الأيام لدن الطرقين .

كلما قلبت عيني في قرّة عين
وقلت: أناه يُريدُ المزنَ ينشدهُ الصبا
فدوّمَ من أهلي رُباهُ ودّيمَا
ولاحَ اليه بالبروقِ مُطرزاً
فأصبحَ منها بالزواهرِ معلماً
ومن بديع مآقاله محدث في صفة الرياض والبساتين قول عبد الصمد بن المعدل
أنشدناه أبو أحمد وغيره :

معان من العيش التبرير ومَعْمَر	ومبدى أنيق بالعذيب ومَحْضَر
نما الروض منه في غداة مربية	لها كوكبٌ يستأنقُ العينَ أزهَر
ترى لامعَ الأنوارِ فيها كأنه	إذا اعترضته العينُ وشيٌ مُدَّ ر
تسابقَ فيه الإقحوانُ وحُضوةٌ	وسامها رندٌ نضيرٌ وعِبرٌ
يمجُّ تراها فيه عفاء جمدة	كأن نداها ماءٌ ورِدٌ وعِبرٌ
أطاد نسيمَ الريح أنفاسَ نشره	وخايل فيه أحرّ اللون أصفر ^(١)
بدا الشبحُ والقيصومُ عند فروعه	وشتٌ وطَبَّاقٌ وبانٌ وعَرعرٌ
وناظرٌ رمانٌ يرفُّ شكيره	يكادُ إذا ماخوذ الشمسُ يقطرُ
ويأنعُ تفاحٌ كأنَّ جنبه	نجومٌ على أغصانه الخضرِ تزهَر
إذا زرتَه يوماً تفرد طائرٌ	ورائكَ ظبيٌّ بين غصنينِ أحورٌ
فاذهاج نوحُ الأيلِكِ في دونق الضحى	تذكر محزونٌ أوارتاح مقصر
تجأوبن بالترجيع حتى كأننا	ترنم في الأغصانِ صنجٌ ومزهر
مرانةٌ موموقٍ وترجيعٍ شائقٍ	فلقلب ملهاةٌ ولعينٍ منظر
وانى إلى صحنِ العذيبِ لائقٌ	وانى إليه بالودّةِ أصور
مرعت ولا زالت تصوبك ديمة	يجودُ بها جونُ الغواربِ أقمر
أحم الكلى واهى العرى مسبل الجدى	إذا طعنت فيه الصبا يتفجر
كأن ابتسامَ البرقِ في حبراته	مهندةٌ يعضُ تشامٌ وتشهر

وقول ابن المعتز يتضمن صفة الأنوار على التام ولا يكاد يشتمل على شيء البتة وهو :

والروض مفسولٌ بلبيلٍ ممطر جلا لناوجه الأثرى عن منظر
كالمضب أو كالوشى أو كالجوهر من أبيض وأحمر وأصفر
وطارق أجفانه لم تنظر تخالاه العين فمالم يُففر
وفائق كاد ولم ينور كأنه مبتسم لم يكشر
وأدمع الغدران لم تكدر كأنه درام في منثر
أو كمشور المصحف المنشر والشمس في أصحاء جوا أخضر
كدمة حائرة في محجر تسقى عقاراً كالسراج الأزهر
مدامة تمقير إن لم تقمر يديرها كف غزال أحور
ذى طرة قاطرة بالعنبر ولم يكشفه عن جوهر
وكفيل يشغل فضل المنزر تخبر عيناه بنسب مضمهر

يعلم الفجور إن لم يفجر

وقلت : جواهر عشب ونورٍ نظم وأفراد ظلٍ وقطرٍ ثير
فمن بين صفرٍ وحمرٍ وخضر على القضب غديرٍ وزورٍ وصور
وليس تناسب لسن الشفاء ويض تمارض ييض الثور
نواظر من بين يقظى ووسقى ونجلٍ وخزيرٍ وحولٍ وحور

وقد استوفى في هذه الآيات جميع أوصاف الأنوار على اختلاف حالاتها .

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا التنوخي لنفسه :

أما ترى الروض قد وافتك مبتسماً ومد نحو الندامى للسلام بدا
فأخضر ناضر في أبيض يبق وأصفر قاقع في أحمر تضدا
مثل الرقيب بدا للماشقين ضحى قاحر ذا خجلا وأصفر ذا كدا

ومن المشهور قول الجاني :

ديم كان رياضها يكسين أعلام المطارف

وكأنا غُدراتها فيها عُشورٌ في مضاحف
وكأنا أنوارها قترٌ^(١) بالريح القواصف
طرر الوصائف يلفت من بها إلى طرر الوصايف
وقلت : وروضة حالية الصدر كاسية البطون والظهور
محمودة المخبور والمنظور موقفة المطوى والمنشور
معجبة الظاهر والمستور ضاحكة كالوافد المخبور
باكية كالعاشق المهجور شذرها النيث بلا شذور
شقائى كناظر الخمور واقحوان كغور الحور
ونرجس كأنجم الديجور والطلّ منشور على منشور
يرصم الباقوت بالبلور

وقال السرى وأحسن . وليس فيمن تأخر من الشاميين أصفى ألفاظاً مع الجزالة
والسهولة وألزم لعمود الشعر منه :

وجنات يهيى الشرب وهنا جنى وهداتها حتى رباها
إذا ركد الهواء جرت نسباً وإن طاح الغمام طفت مياها
يفرّج وشيها عن ماء ورد يفيض على اللاكى من حصاها^(٢)
تعانق ريحها لم الخزامى وأعناق القرنفل في سراها
ويأبى زهرها إلا هجوعاً ويأبى عرفها إلا انتباها
وقال البحتري :

قطرات من السحاب وروض ثرت وردها عليه الخدود
فالرياح التى تهب نسيم والنجوم التى تظلّ سعود
وقال ابن الرومى :

أصبحت الدنيا تروق من نظري بمنظر فيه رجلاء للبصر

(١) فى نسخة « قتر » . (٢) فى نسخة « صفاها » .

واهاً لها مصطنعاً لقد شكر أثنت على الله بالآاء المطر
والارض في روض كأفواء الحير تبرزت بعد حياء وخفر
تبرز الانثى تصدى للذكر

وقال وأحسن :

وحلس من السكتان أخضر فاضر ميا كرهه دان الرباب مطير
إذا درجت فيه الرياح تتابعت ذوائبه حتى يقال غدير
وقلت: أنظر إلى الصحراء كيف تزخرت وإلى دموع المزن كيف تذرف
وعلى الربى حلال وشاهن الحيا قسمهم ومقصب ومغوف
وملابس الأنواء فيها سندس ومضاجع الانداء فيها زخرف
نم الرياح على الرياض نماماً ذكر نك الكافور حين يدوف^(١)
وعلى التلاع من الاقاصي حلة وعلى اليفاغ من الشقائق مطرف
والنسيم تنقشه الرياح عشة كالقطن في زرق الثياب يندف
والقطر بهي وهو أبيض ناصع ويصير سيلاً وهو أغبر أكلف
والبرق يلعب مثل سيف ينفضي والسيل يجري مثل أفعى ترجف
وقال أعرابي : باكرنا ومي^(٢) ثم خلقه ولي فالارض كأنها وشتى منشور عليه لؤلؤ
منشور ثم أتتنا غيوم جرار بمناجل حصاد فاختربت البلاد وأهلكت العباد فسبحان
من يهلك القرى إلا كحل بالضعيف المأ كول: وقال أبو تمام :
الروض ما بين مقبوق ومصطبح من ريق محتفلات بالحاء دلع
جون إذا هطلت في روضة طيفت عيون نوارها تبكي من الفرح
وقال أبو الغضبان البيمامي :
غدونا على الروض الذي طله الندى سحيراً وأوداج الأباريق تسفك
فلم أر شيئاً كن أحسن منظراً من الروض يجري دمه وهو يضحك

(١) أي يذاب . (٢) الومى : أول المطر ، والولي الذي يليه .

وقال غيره : وإذا الزمردُ مشر ذعباً

لا زال يُمتِعُنَا بِجِدَّتِهِ

وقال غيره في تلون الأرض :

فترى الرياضَ كأنهنَّ عرائسُ

وقال أبو تمام :

رقت حواشي الدهر وهي تَمَرُّ مَرُّ

مطرٍ يروقُ الصحو منه وبعدهُ

وندى إذا أذهنت به ألمُ الثرى

ما كانتِ الأيامُ تَسْلُبُ بهجةً

أولا ترى الأشياءَ إذ هي غيوتُ

يا صاحبي تقصيا نظريكما

ترياً نهاراً مشمساً قد شابهُ

دنيا مما يش للسورى حتى إذا

أضحت تصوغُ ظهورها لبطونها

من كل زاهرة تَرَقَّرَقُ بالندى

تبدو ويحجبها الجيمُ كأنها

ومن اللجين لسمجد ورق

وجديله بجديداً خَلَقَ

يُنْقَلَنَ في ضفراءَ من حمراء

وغدا الندى في حليه يتكسرُ

محوً يسكادُ من النضارةِ بمطر

خلت السحابَ أناةً وهو معذِرُ

لو أنَّ حُسنَ الروضِ كان يُعَمَّرُ

تَمُجَّجَت وحسنُ الروضِ حينَ يغيرُ

ترياً وجوهَ الأرضِ كيفَ تصورُ

زهرُ الربيعِ فكأنما هو مقررُ

جلَّى الربيعُ قائماً هي منظرُ

نوراً تكادُ له القلوبُ تنورُ

فكأنما عينُ عليه تحدرُ

عذراءُ تبدو تارة وتختفرُ

الجميم متكاثف النبت، يقول بظهر بتحريك الرياح إياه ويستتر عند سكونها

فيغطيه الجميم :

صنعُ الذي لولا بدائعُ لطفه

ما عاد أصفرَ بعد إذ هو أخضر

وقلت في مديح :

إني أرى لك في الساحة والندى

طَلَقَ الغمامَ سرى بوجهٍ بأسرٍ

ثقلت على عنق الصبا أعباءهُ

طلقاً ذرَّيتَ به على الأطلاق

يُروى الوجوهَ ومبسم براق

مثل الضعيف ينوء بالأوساق

فترى النبات يروق وسط رياضه
وقال البحتري :

إذا أردت ملأت العين من بلد
يمسى السحاب على أجيالها فرقا
فلست تبصر إلا واكفا خلا
وقال أيضاً: ولا زال مخضر من الأرض يافع
يذكرنا ربنا الأجنة كلها
شقائق يمان الندى فكانه
ومن لؤلؤ في الأرجوان منضد
كان جنى الحوذان في رونق الضحى
رباع تروت بالرياض بحودة
إذا راوحتها مزنة بكرت لها
كان يد الفتح بن خاقان أقبلت
وقلت : أما ترى عود الزمان نفرا
أنته الطاف السحاب تترى
تبسط في الصحراء بسطاً خضرا
ونرجساً مثل العيون زهرا
كانا يصوغ فيها تبرا
كانا ينسثر فيها دراً
كلما لونا والعبير نشر
والعيش أن تسر أو تسرا
ثم مر الزير بناغي الزمرا
لاتفسدن بالغرام العمرا

أحسن ما قيل في النرجس بل أبي نواس :

(١) أي يذيب .

لدى نرجسٍ غضُّ القطافِ كأنه إذا مامنحاهُ العيونَ عيونُ
مخالفة في شكلهنَّ فصفرة مكان سوادٍ والبياضُ جنون
والناس يشبهونه بالعيون ولا يفضلون هذا التفضيل . ومالم يقل مثله قول ابن الرومي:
خجلتُ خدودُ الوردِ من تفضيلِ لم يخجل الورد المورود لونه
إلا وناهله الفضيلة فائد آتٍ وحاد عن الطريقة حائد
زهرَ الريحِ وان هذا طارد بتسلُّب الدنيا وهذا واعد
بجياته لو أن حياً خالد يحكي مصايح الوجوه تراصد
وعلى المدامَةِ والسماع يُساعد يوماً فانك لاحالة واجد
بجيد السحاب كما يرى الوالد شهباً بوالده فذاك المساجد
ورئاسة لولا القياسُ القاسد درن علينا بكووس الذهب
فحل من قلبي عقد الكُرب هذا لعمرى عجب في عجب
خجلتُ خدودُ الوردِ من تفضيلِ لم يخجل الورد المورود لونه
إلا وناهله الفضيلة فائد آتٍ وحاد عن الطريقة حائد
زهرَ الريحِ وان هذا طارد بتسلُّب الدنيا وهذا واعد
بجياته لو أن حياً خالد يحكي مصايح الوجوه تراصد
وعلى المدامَةِ والسماع يُساعد يوماً فانك لاحالة واجد
بجيد السحاب كما يرى الوالد شهباً بوالده فذاك المساجد
ورئاسة لولا القياسُ القاسد درن علينا بكووس الذهب
فحل من قلبي عقد الكُرب هذا لعمرى عجب في عجب
وقلت في معناه :

ألم ترنا نعطي الغواية حقها لم تحمر الأجساد مبيضة الذرى
لدى الصفر في أوساطٍ يبيض كأنها
ونجري مع الذات جري السوابق
كثل سقيط الطل فوق الشقائق
كووسٌ عُقار في أ كف عواتق
وقا ابن الرومي :

للنرجس الفضلُ يرغم من رغم
العينُ قبل السن وهي البتسم
ما طيبَ الريح وما أزكى النسم
ومن التشبيه المصيب قول الآخر :

ونرجسٌ لاحظني طرفها يشبه ديناراً على درهم

وقال ابن الرومي في الحر والنرجس :

ويحانهم ذهبٌ على دررٍ وشرابهم دررٌ على ذهب
وقلت : يركبُ الاقحوانُ فيها نهراً
فترى درهماً على دينار
فرشت فوقها فرائدٌ ملل
علقت بالنبات والأشجار
وتدلت على الفصون فجاءت
كشوف الكواعب الأبرار

وقال الآخر :

ونرجس قام فوق منبره
نام الندى في هبونه سحراً
لم يغمض والظلام حل به
فاعتاده من منامه سهر
نحير الطل في مدامه
كأنما في جفونه قصر
فليس يرقا وليس ينحدر
فردّها في جفونه الخدر
وقلت : وغنت الطيرُ بالحانها
فاتبة النرجس من رقدته

وأحسن ما قيل في الورد قبل أن يتفتح قول بعض المحدثين :

قد ضمه في الغصن قرصٌ يرد ضمّ قم لقبله من بعد

وقلت فيه إذا تفتح :

مرّ بنا بهز في خطره
ما بين أغصان وأقمار
يدبر في أمله وردة
جاءت من المسك باخبار
يلوح في حرمتها صفرة
كلخذ منقوطةً بدینار

وقال ابن المعتل :

عشيةً حياني بورد كأنه خلود أضيفت بعضهن إلى بعض
وقلت: قومي انظري ورداً كخذك أحرأ ترك الريح وراءه وتقدما
قد ضمه برد ففتقه ندى كالصب قبل فاك ثم تبسما
ولم أجد في تشبيه الورد أبعد مما ذكرته ، وتشبيهه بالخلد تشبيه مصيب
ولكني تركت إلا كثار منه لشهرته وكثرته ويقال للوردة الحمراء الحوجة والبيضاء
الوتيرة ويشبه بها قرحة الفرس^(١) قال عمرو بن معدى كرب :

يبارى قرحة مثل الوتيرة لم تكن معدي

وقد أحسن علي بن الجهم في قوله يصف الورد :

كأنهن يواقيت يطيف بها زمرد وسطها شذر من الذهب
وهو من قول أزدشير : الورد ياقوت أحمر وأصفر ودرأبيض على كراسى زبرجد
يتوسطه شذور ذهب . وقال البحتري :

وقد نبه النيروز في غلس الدحي أوائل ورد كُنْ بالأمس نوّما
يفتحه برد الندى فسكانه يث حديثاً كان قبل مكثا
وقالت في تفضيل الورد على الترجس :

أفضل الورد على الترجس لا أجل الأنجم كالشمس
نيس الذي يقعد في مجلس مثل الذي يمثل في المجلس

وقال ابن بسام :

مداهن من يواقيت منضدة على الزمرد في أوساطها الذهب
كأنه حين يبدو من مطالع صَبَّ يُقْبِلُ صَباً وهو مرتقب
ومن الباقوت الأزرق والأصفر والأحمر وليس في البيت دليل على أنه أراد
الأحمر دون الأزرق فهو معيب من هذه الجهة . وقلت في الورد على الشجر :

(١) القرحة في وجه الفرس دون الفرة .

أصبح الورد في العصور يحاكي
مثل فرسان غارة يستلبهم
ويلوح النهار أسفل منه
بين نبذ من الشقائق يحكي
وقال ابن المعتز :

ولا زورديّة أوفت بمرقتها
كانها فوق طاقات ضعفن بها
والصحيح أنه في الحرم والشاهد قوله :

بنفسج جمعت أطرافه فحككت
قوله : « كانها فوق طاقات ضعفن بها » يدل على أنه أراد الحرم لأن ساق البنفسجة
لا يضعف عن حمل وردتها وهذا الوصف بالحرم أشبه منه لكبر نوره ودقة ساقه
فاعرف ذلك . وقلت في البنفسج :

وروضة^١ كانها من حسنها
قد نثر الليل على أنوارها
بكت عليها مزنة قابنست
وحولها بنفسج^٢ كأنه
نبرز في أثواب سعد ومني
لآلىء الطل وأفراد الندى
عن لؤلؤ بين فرادى وثنى
أواخر النيران في جزل الغضا^(٣)

وقال آخر :

وكان البنفسج الغض فيه
وقلت : وبخافاتها البنفسج يحكي
وقلت في الهنة النادرة تحت ورقة البنفسج ولم أجمع فيها من الشعر العربي شيئاً :
ومفنج قال الكمال خلقة
زعم البنفسج أنه كعداره
أثر اللطم في خلود الفيد
أثر القرص في خلود العذارى
كن مجمعا لطيبات فكانه
حسناً فسألوا من قفاه لسانه

(١) أي الرجال . (٢) الغضا : شجر يبقى جره كثيراً .

وقال ابن الرومي :

أشرب على ورد البنفسج قبل تأنيب الحسود
فكأما أوراقها آثار قرص في الخدود

أغرب معنى جاء في الشقائق قول الأخيطل :

هذي الشقائق قد أبصرت حرثها مستشرقات على قضبانها الذال
كأنها دمة قد مسحت كحلاً جالت به وقفة في وجنتي خجل
وأظن الأخيطل أبكره إلا أنه أوردته في أهجن معرض وفي أشد ما يكون من
التكلف وأتى بالمحال لأن الوقفة لا تجول فنظمته وقلت :

وشقائق^١ نقش الريح ثيابها فبرزن بين مكحل ومجسد
كالخلد يصبغه الحياء بحمرة وجرى عليه الدمع خلط الأمد
ومن غريب ما قيل فيها قول بعض المتأخرين :

طرب الشقائق للحمام وقد شجا شجوة القيان فشق^٢ فضل رده
وتحيرت ما بين إمد مائه في الخلد دمعته وبين حياته
فكانه الحبشي^٣ بضع جسمه قتيابه^٤ منفضلة^٥ بدمائه
وجعل الشقائق واحداً وهي جماعة مؤنثة والواحد شقيقة فإذا ذكر فعلى
معنى النور وتسميه العرب الشقر . وقلت :

والشقائق خال^٦ فوق وجنتها ووجنة الورد بالدينار منقوطة

وقال التنوخي :

شقائق^٧ مثل خدود^٨ نقشت شوارب^٩ بالمسك فيها ولحي
وهو بعيد لأن السواد الذي فيها لا يشبه الشوارب .

ومن أحسن ما قيل في الآخرين قول ابن المعتز :

يا ربما نازعني روح دنان صافية
في روضة كأنها جلد سماء طاربه

(٤ - ثاني المعاني)

كأما أنهارها بماءٍ وردٍ جاريه
كان آذريونها غيباً مماءً هاميه
مداهنٌ من ذهبٍ فيها بقايا ظليه

وقال أيضاً :

وصير آذريونه فوق أذنه
وقلت : ولاح آذريونها
وقال الشمشاطي^(١) :

تراءُ عيوناً بالنهارِ نواظراً
وبعد غروب الشمسِ أضراراً دياج
وقال ابن المعتز :

كانها مداهنٌ من ذهبٍ مشرقاتٌ وسطهنّ غاليه
أتم التشبيه هنا بقوله « مشرقات » . ومن جيد ما قيل في البهار قول ابن الرومي :
وروضة عذراء غير حانسه
فيها شمسٌ للبهار دارسه
ترؤفك النورة منها الباكسه
وخرمٌ في صبغه الطياله
وقال ابن المعتز :

في روضة كحل العروس وخرم كهامة الطاووس
وقلت في المذهب الذي سلكه ابن الرومي :

خرمة كهامة الطاووس دارى من بهجتها مأنومه
والعين في فنائها محبوسه محفوفة تحسبها محروسه
تجبتى منظورة مدوسه مرفوعة الهامة أومنكوسه

(١) هو علي بن محمد الشمشاطي اتصل بأبي أحمد بن ، له تصانيف في الأدب .

باقوتة لكتنها مغروسه في زهر^(١) كالشعل المقبوسه
كحل ألوانها ملبوسه

وقال التنوخي :

ومن خرم غص خلال شقائق بلوح كخيلائ على وردتي خد
وإذا كان في الخلد خيلائ لم يستحسن الخلال الواحد . وقلت :
على رياض خرم كأنها رؤوس هدايا حرير الحبل
وقال ابن طباطبا :

وطوس فيها خرم فكانها صمامات وشي هبتت لمخازن
وقلت في البهار والورد :

ورد إلى جنبه بهار كالخمد أصفى البه قرط
وقد جمعت أصناف المشور في أبيات وما جمعها أحد إلا بعض الكتاب
في أبيات غير مختارة الرصف فقلت :

ألوان مشور يريك حسنها ألوان باقوت زها في عقده
ياحسنها في كف من يشبهها فانظر إلى الند بكف ينده
من أشهل كينه وأبيض كثره وأحمر كخده
وأصفر مثل صريع حبه إذا تشاء غواشي صده

وقال السري في الورد :

أما ترى الورد قد باح الريع به من بعد مامر حول وهو اضمار
وكان في حلق خضر وقد خلعت للأعري أغفلت منها وأززار
وقلت : ليس ينفك للقيام أباد مكافا وأنعم تتجدد
فترى رعدده يشق حرياً وسنى برقه يطرز مطرد
وترى للزمان غصناً وريفاً يملك الطرف إذ يقوم وبأود

أنبت الأرض عسجداً ولجيناً قالوا بى مكلل ومقلد
 وجرى الريح سحسجاً^(١) ورخاءً فاللتاهي^(٢) مسلسل ومسرّد
 وسبى العين لؤلؤ وعقيق نظماً في زمرد وزبرجد
 قرى ثم مضحكا يتجلى وترى ثم وجنة تتورد
 قطرات الندى أحاد ومثنى مثل در منظم ومبدد
 وكأن الشقيق كأس عقيق طرح المسك في قرارتها ند
 قرى النجد في رداء موسى وترى الوهد في قبص معد
 وعليه من البهار عطاف ومن الورد والشقائق مجسد
 وترى النور مثل مضحك خود وترى النمنم مثل شارب أمرد
 ومن بديع ما قبل في كون النيلوفر وظهوره قول ابن الرومي :
 فكأنه في الماء صاحب مذهب أغراء وسواس بأن لا يظهر
 وقال السرى^(٣) :

ونيلوفر أوراقه الخضر تحت بساطاً إليه الأعين النجل شخص
 هذا البيت غير مختار الرصف ظاهر التكلف :
 إذا غاص في الماء النمر حسبه رؤوس إوز في الحياض تنوص
 وقوله « النمر » لا يحتاج إليه . وقال آخر من أبيات :
 كأنما كل قضيب بها يحمل في أعلاه ياقوته
 وقلت : فشربتها عذراء من يد مثلها تحكى الصباح مع الصباح المشرق
 في روضة تلاقك حين لقيتها بمنمن من نبتها ومنعق
 فانظر إلى عشب هناك مجمع وانظر إلى زهر هناك مفرق

(١) في نسخة « سجداً » . (٢) المنهي : المحل الذي ينتهي إليه الماء .

(٣) هو السرى الرقاء الموصلى ، مدح سيف الدولة والوزير المهلبى والكبار ،

وكان بينه وبين الخالدين معاداة .

تجى بورِد كاللجينِ مكفرٍ منها وورِد كالعقيقِ مخلقِ
وكذاك تتحف من مناقع مائها بمخلقٍ يعلو ذؤابةً أخلقِ
يبدو ويكمن في القديرِ كأنه جانٍ يحاول أن يبينَ ويتقى
قالى السرورِ لنا عنانٌ مطلقٌ إن الفوائدَ فى العنانِ المطلقِ

وقد أحسن القائل فى صفة الرياض :

بكينَ فأضحكنَ الربى عن زخارف من الروضِ عنهنَّ الثرى متهاملُ
ترى قضبَ الباقوتِ تحتَ زبرجد تنوء به أعناقهنَّ الموائلُ
تلقحها الانتداهُ ليلاً بريقها فيصبحنَ أبكاراً وهنَّ حواملُ
وقلت فى الآس ولا أعرف لأحد فيه شيئاً بديعاً :

ومهرجانٌ معجبٌ موقٌ كالنورِ غبَّ السَّبلِ الساجمِ
طالمتُ فيه غرراً وضحا كمثلِ أيامِ أبى القاسمِ
والآس فى كفى أحبيهمُ مثلَ شوايرِ بنى هاشمِ
وقلت فى الريحان :

وخضرٌ يجمع الأعجاز منها مناطق مثل أطواقِ الحمامِ
لها حسنُ العوارض حين تبدو وفيها لين أعطافِ الغلامِ
وقال كشاجم وأحسن :

أرتك يدُ الغيثِ آثارها وأعلنت الأرض أسرارها
وكانت أكنَّت لكانونها خيئاً فأعطته آذارها
والنصف الأول من هذا البيت متكلف :

فما تقعُ المينُ إلا على رياضٍ تصنّف أنوارها
يفتح فيها نسيم الصبا جناها فيبتك أستارها
ويسفح فيها دماء الشقيقِ ندى ظلٍ يقتض أبكارها
وتدنى الى بعضها ببعضها كضمِّ الاحبةِ زوارها

كَأَنَّ تَفْتَحَهَا بِالضَّحَى عَذَارَى تَحُلُّ أَرْزَارَهَا
تَقْضُ لِرَجْسِهَا أَعْيُنًا وَطُورًا تَحْدَقُ أَبْصَارَهَا
إِذَا مَرَّتْهُ مَكِبَتُ مَاءِهَا عَلَى بَقْعَةٍ أَشْعَلَتْ نَارَهَا
وَقَالَ فِيهَا: وَأَقْبَلَ يَنْظُمُ أَتْجَادَهَا
وَأَرْضِيعَ جَنَاتِهَا دَرَّةً فَصَمَّ بِالنُّورِ أَشْجَارَهَا
وَدَارَ بِأَكْنَفِهَا دَوْرَةَ تَنَسَّى الْإِوَائِلَ يَرْجَارَهَا
وَقَالَ أَيْضًا فِي الْبَاقِي :

جَفَى يَوْمٌ لَمْ يُوْخَرْ لَعْدٍ وَلَمْ يَنْقُلْ مِنْ يَدٍ إِلَى يَدٍ
كَالْمَقْدَرِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُعْطَرْ أَوْ كَالْفُصُوصِ فِي أَكْفِ الْخُرْدِ
أَوْ كَكِبَارِ اللَّوْلُؤِ الْمُنْضَدِ فِي طَيِّ أَصْدَافٍ مِنَ الزُّبُرِ جَدِ
مَفْرُوشَةٍ بِالْكَرْسَفِ الْمَلْبَدِ

وَقُلْتُ فِيهِ أَيْضًا :

أَبْدَى الرِّبْعُ لَنَا مِنْ حُسْنِ صَنْعَتِهِ شِبَاهَهُ اتَّفَقَتْ فِي الشَّكْلِ وَالصُّورِ
خَضِرٌ قُلُوهَا يَبْضُ بَطَانَتُهَا تَحْكِي الْقَبَاطِي تَحْتَ السُّنْدُسِ النَّضْرِ
يَبْضُ شِبَاهُهُ فِي خَضَرٍ مَلْمَلَةٍ مِثْلَ الزُّبُرِ جَدِ مِثْنِيًّا عَلَى دُورِ
يَنْشَقُّ أَخْضَرُهَا عَنْ أَيْضٍ يَقْقِرُ كَالْخُرْدِ يَشْرِقُ تَحْتَ الشَّارِبِ الْخَضِرِ

وَمِنَ الْمَشْهُورِ فِي وَرْدِ الْبَاقِي قَوْلُ الصَّنَوْبَرِيِّ :

وَبَنَاتُ بَاقِي يُشْبِهَنَّوَرُهَا بَلَقَ الْحَمَامُ مُشْبِلَةً أُذُنَايَا
وَقُلْتُ فِيهِ : وَيُزْهِى وَرْدُ بَاقِي كَأَطْوَاقِ الشَّعَانِينِ

وَقَالَ السَّرِيُّ فِي غَيْرِ ذَلِكَ :

فِي زَاهِرٍ عَبَقَ تَضْوَعُهُ فَكَأَنَّ عَطَارًا يَطْرَهُ
ضَاهِي مُمْسَكُهُ مَعْصِرُهُ وَحَكِي مُدَرِّمُهُ مَدْرَرُهُ

وَمِنَ أَجْوَدِ مَا قِيلَ فِي الْبَسَاتِينِ وَمَوَاضِعِ الْأَشْجَارِ قَوْلُ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ أَخْبَرَنَا

أبو أحمد عن رجل عن الرياشي قال كن في يد الخليل بن أحمد أرض من
أراضي البصرة ليقيم فلما بلغ اليتيم مضى به الخليل إلى الأرض ومعه قارورة من
ماء زمزم فلما جاء المد صب ما فيها في فوهة نهرها ليخلص إلى جميعها ثم قال يا بني
هذه أرضك فقم فصل فيها ركبتين واشكر الله على ما أعطاك منها وادع بالبركة
لك ولمن بعدك ، ثم أنشأ يقول في وصفها :

ترفت عن يد الأعماق وانخفضت عن المعاش واستغنت بسقياها
فالتف بالزهر والريحان أسفلها ومثل بالنخل والمان أعلاها
وصار يحسده فيها أصادقه ولائم لأم فيها من ثمنها
أبماوية اشكر فضل واهبها وكما جنتها فاعمر مصلاها
وقال ابن المعتز في السرو والترجس :

لدى ترجس غض وسرو كأنه قدود جوار رحن في أزر خضر
وقلت : لبس الماء والهواء صفاء واكتسى الروض بهجة وبهاء
فكان النهاء صرن رياضاً وكان الرياض عدن نهاء
وكان الهواء صار رحيقاً وكان الرحيق صار هواء
وتخال السماء بالليل أرضاً وترى الأرض بالنهار سماء
جللتها الأنواء زهراً وصفراً يوم ظلت تنادم الأنواء
قراها ما بين نوء ونور تكافأ تبساً وبكاء
وتظل الأشجار تتخذ الحسن قيصاً أو الجمال رداءً لبست حين أثمرت مخلدات^(١) واكتست حين أوردت سيرا^(٢)
وترى السر كالنابر تزهى وترى الطير فوقها خطباء
وقال أبو عيينة :

تذكرني الفردوس طوراً فأرعوى وطوراً نواتيني على القصف والفتك

(١) أي أقراط . (٢) نوع من الثياب .

بفرس كأبكار الجوارى وتربة كأن ثراها ماءً وردٍ على مسك
وقال السرى في تفاح ودستنبورى ورمات :

إن شيطانك في الظرف في شيطان مريد
فهذا أنت فيه مبدىء ثم مبعيد
قد أتينا طرف منك على الظرف تزيد
طبق فيه خدود وقدود ونهود

وقد أحسن التتوخي في وصف النارج حيث يقول :

لم لا نجن بها القلوب وقد غلت مثل القلوب
وقلت: تطالنا بين الفصون كأنها خدود عذارى في ملاحفها الخضر
أنت كل مشتاق برىا حبيب فهاجته الأحران من حيث لا يدري
وقال : إذا لاح في أغصانه فكأنه شموس عتيق في قباب زبرجد
وقلت في المركب :

مركب تعجب من حسنه قد كثر الفضة في تيره
يشا كل العاشق في لونه وبشبه المعشوق في نشره

وقال الصنوبرى في التفاح وقد ظرف :

أعطت يداه محبه تفاحة تعطى الحب أمانه من صدّه
وهذا البيت متكلف جداً :

فعلت حين لثمتها من كفه انى سألتم أختها من خده
وقال أيضاً فى الترجة وأحسن :

جاء فحياى بأترجة من ذهب قد حشيت فضه
أتى بها ناعمة غضة من كفه الناعمة الفضة
ببذل للقبلة حسناً ولا تصلح أن ببذل للمضة
أحبب بها من مسكة محضة فاولئها مسكة محضة

وقلت في الأترج والتارنج :

ترى التارنج في ورقٍ نضيرٍ فتحسبهُ حقيقاً في زبرجد
وأترجٌ على الأغصان يزهى كما رفعَ القى قنديلَ عسجد
وقال بعضهم في دستنبوية :

بأحبذا نحيةً رحت بها مسرورا
نخرةً من ذهبٍ قد ملئت كافورا
وقال غيره في اليمون :

وقهوة تزهرُ في السراج نشربها على كراةٍ حاج
ملبسات أصفر الدياج

وقلت فيه : أحرقَ ليمونٌ بأترجة كأنهم تحرقُ بالبدر
مخرطة الأجساد من فضة ملبسات قمصَ التبر
قد شدَّ من هاماتها زُرُّها يا عجباً من ذلك الزرُّ
اشرب عليها وتمتع بها قاتها من تحفِ الدهر

وابعض الكتاب رسالة في التفاح ليس لها نظير في معناها وهي التي أخبرنا بها
أبو أحمد قال أخبرنا الجلودى قال حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال أهدى ظريف من الكتاب
تفاحة وكتب : لما رأيت تنافس أحبابك وثقات أصدقائك على الهدايا وتواتر الطافهم
عليك تفكرت في هدية تحف مؤنتها ويعظم خطرها ويجل موقعها تجمع الخصال
المحمودة وتنظم الخلال المرموقة فلم أجد شيئاً يجتمع فيه ما أحببنا ويكمل له ما وصفنا
غير التفاح فأهديت إليك منه واحدة وأحييت أن أنبهك على فضلها وأقنك على
نبلها وأكشف لك عن سر أثرها وأعرفك لطائف ممانيتها وأنعت لك مقالة الأطباء
فيها وما نظمت الشعراء في مدحها حتى تراها بعين الجلالة وتنظر إليها نظر الصبابة
فانه يحكى عن أمير المؤمنين المأمون أنه قال : اجتمع في التفاح للصفرة الدرية والحمرة
الخرية الذهبية وياض الفضة وقرر القمر يلتذ به من الحواس ثلاث العين لحسن لونها

والأنف لطيب عرفها والفم للذة طعمها ، وقال حكيم من الحكماء : الخمر صديقة
 الجسم والتفاح صديق الروح ، وقال آخر منهم وقد حضرت وفاته واجتمع إليه
 تلامذته وأراد مناظرتهم فضعف عنها فقال : إئتوني بتفاحة أعصم برائحتها ربما
 أقضى وطري من المناظرة. فلم يستخفها إلا لفضلها على غيرها ، وقال آخر : جسم التفاح
 صديق الجسم وريحه صديق الروح ، وقال حكيم من الأطباء : إن أجود الأشياء
 لعلاج المزاج الحاد الكائن في المعدة مع المزاج البارد الكائن في الرأس وغشيان
 النفس وقلة الاستمرار للطعام التفاح ، وقال إبراهيم بن هاني : ما عجل المريض المبتلى
 وسكنت حرارة الشكلى وردعت شهوة الحبل ولا كسرت فورة السكران ولا أرضى
 الغضبان ولا ردت عرامة الصبيان شيء مثل التفاح . والتفاحة إن حملتها لم تثقلك
 وإن رميتها لم تؤلمك وقد اجتمع فيها لون قوس قزح من الحمرة والخضرة ولو حل
 التفاح لكان قوساً ولو عقدت القوس لكانت تفاحاً ، وقال بعض الشعراء :
 "حمرة التفاح في خضرته أقرب الأشياء من قوس قزح
 والحمرة تفاحة ذائبة والتفاحة حمرة جامدة . وقال الشاعر الخمر والتفاح شكلان *
 وقال آخر : تفاحة حمراء منقوشة ركبتهافي غصن الآس
 ألبستها ورداً وكللتها إكليل نسرین علی الراس
 وقال آخر في التفاحه :

كانما حمرة حمرة خدر خجل

وقال ابن أبي أمية :

مازلت أرجوك وأخشي الردى معتصماً بالله والصبر

حتى أنتى منك تفاحة حزحت الأحران عن صدرى

حشوتها مسكاً وتقتتها وتقتش كفيك من السحر

واهاً لها تفاحة أهديت لو لم تكن من خدر الدهر

فاذا وصلت إليك - أوصاك الله إلى رحته وعطفه - فتأمل وصفها بعينك وتناولها

ييمينك وأحضرها ذهنك وفرغ لها شغلك واجمع لها عقلك وغازلها ساعة وهازلها
أخرى ولا تكن متهاونا بقدرها غير مالم بفضلها فتتناولها بحركة باردة وطبيعة
جامدة وقالب ساه وعقل لاه وذهن غبي وشراعية نهم عساه أن يكلمها بأسنانه
ولا يدري ماقدورها عند إخوانه ويقصر عن حياه وينتقص من أهداء ولا يتخذشها
بيدك ولا تثلمها بظفرك ولا تبتذلها لاعتبار ولا تعرضها للدخان فاذا طال لبثها لديك
وخفت أن يرميها الزمان بسهمه ويقصدها بريبه ويذهب بهجتها ويحول نصرتها
فهنيئاً لك أكلها والسلام .

وشبه بعضهم ورق الريحان بقافات وفآت في شعر غير جيد فتركته ولم أذكره.
وقلت في الريحان :

ثم اثنتينا الى خضير مُنْصِية كأنَّ أوراقها آذانُ مُجرذان
وقهوة كجنيِّ الوردِ وشُحَّة من لؤلؤِ القطرِ والأنداءِ سمطان
وقال السري في دستنبوية :

وأغنَّ كالرُشَا الغريبِ رنشا خلالَ الربوب
في تحذِّه وردُّ حما هُ من القطفِ بقرب
حيا بدستنبوية مثل السنان المذهب
وقال أيضاً فيها :

صفراء ما عشت لعيني ناظر إلا توهمها سناناً مُذهبا
وقلت : وأترج يحفُّ بها أقاح كبدِ الليلِ تكتفه النجوم
وقال السري في نارنجية :

أهدت على نايِ المحلِّ وقد أناي التصيرِ طُولُ هجرتها
نارنجيةً منها استمير لها ما ألبست من حُسنِ بهجتها
وتساعها من نورِ وجنتها وسيمها من عطرِ نكهتها
وكانت ما يخفيه باطنها ما أضرت من سوءِ غلوتها

وحكى اخضرار^١ شاب وجنتها قرص^٢ الا كف^٣ اديم وجنتها
 فأتك^٤ مكملة^٥ محاسنها تختال^٦ في أثواب^٧ زيتها
 فشعارها صفو^٨ اللجين ومن ذهب^٩ مصوغ^{١٠} ثوب^{١١} بذلتها
 تُهدى^{١٢} إلى الأرواح من بعد تحف^{١٣} السرور لطيب^{١٤} نشوتها
 ويصونها سرى^{١٥} رواثعها من أن تباشرها بشمتها
 فاشرب^{١٦} عليها من شقيقها في نمت^{١٧} رايها وصيفتها
 واعطف^{١٨} عنان^{١٩} النفس عن فكر راحت^{٢٠} معذبة^{٢١} بفكرتها^(١)

وقال ابن طباطبا العلوى في الأثرج :

ريحانة^{٢٢} في اصفرار^{٢٣} مهديها شبهتها بعد^{٢٤} فكرة^{٢٥} فيها
 أجنة^{٢٦} لم تُصَيَّخْ^{٢٧} لماذما تسد^{٢٨} آذانها بأيديها

فأورد المعنى في يتيقن قصر من غرابة معناه . وجعلت دستنبوية مقفعة في غصن آس
 فسقطت فناولنيها بعض الأجنة فقلت :

وأصفر^{٢٩} يهوى من ذؤابة^{٣٠} أخضر كما انقض^{٣١} نجم^{٣٢} في الدجنة ثاقب
 له شعب^{٣٣} تهوى^(٢) على سروات^{٣٤} فناولني^{٣٥} ذو دلال^{٣٦} كأنما
 فأصبح مشهور^{٣٧} الجمال^{٣٨} مشهراً له الحسن^{٣٩} خدن^{٤٠} والملاحدة^{٤١} صاحب
 وقال بعضهم في الأثرج :

لها ورق^{٤٢} ربحها ريحها وما ذاك في غيره^{٤٣} أو طلب
 كأن^{٤٤} تطف^{٤٥} أوراقها أكف^{٤٦} تشير^{٤٧} إلى من تحب

وقال ابن خلاد في شجر الزيتون :

إذا ذلت^{٤٨} الأشجار^{٤٩} يوماً لجفوة^{٥٠} فإن^{٥١} لها عز^{٥٢} القناعة^{٥٣} والصبر
 تصرف^{٥٤} في الذات^{٥٥} من كآ^{٥٦} طعم تصرف^{٥٧} زيد^{٥٨} أخذاً^{٥٩} بقفا^{٦٠} عمرو

(١) في نسخة (بصحبته) . (٢) في نسخة (تلى) .

وقلت في التفاح :

ليس ربحُ التفاح عندى بريحٍ لا ولكنهُ صديقٌ لروحي
مُحررةُ الخلدِ واخضرارُ عذارٍ فليحُ بطوفُ حوْلٍ مليح
وقال نصر بن أحمد :

أكلتُ تفاحةً فعاتبنى فتى رأها كخدٍ معشوقه
فقال خدٌ الحبيب تأكله فقلتُ لا بل أبصُّ من ريقه

وقال السرى :

لو جُمِدتُ راحنا اغتلت ذهباً أو ذابَ . تفأخنا غذا راحا
وقلت في الرمان ولا أعرف فيه شيئاً مرضياً :

حكى الرمانُ أولَ ما تبدى . حِطاقَ زرجدٍ يُحشِنَ دُرّاً
فجاءَ الصيفُ بِحشوهُ عبقراً وبكسوهُ مرورُ القبطِ تبراً
ويحكى في النصوصِ تلى حور شققنَ غلائلاً عنهن خضرا
وقلت في خوخة :

وخوخة ملء يدِ الجانية تملكُ لحظَ الأعينِ الرانية
مصفرةُ الوجنةِ محمرة كأنها طاشقةُ مالبه
وأجود ما قيل في العنب قول ابن الرومي :

ورازقيَّ مخطفِ الخصورِ كأنه مخازنُ البلورِ
قد ملئتُ مسكاً إلى الشطورِ وفي الاعالى ماءً وردٍ مجورى
لم يُبقَ منها وهجُ الحرورِ إلا ضياءُ في ظروفِ نور
له مذاقُ العسلِ المشورِ وبردُ مسِّ الخصرِ المقرورِ
ونفحةُ المسكِ مع الكافورِ لو أنه يبقَى مع الدهورِ
قرظُ آذنانِ الحسانِ الحورِ

وقال في معنم :

ورازقي مخطف خصوره قد أينعت أنصافه الأسافل
 كأنها مخازن مملوءة من ماء ورد فيه مسك ثاقل
 لا يزيد على هذا الوصف أحد .. ودخل اعرابي على هشام بن عبد الملك فقال
 له هشام ما أطيب العنب عندكم ؟ قال ما خضر عوده وغلظ عموده وسبط عنقوده
 ورق لحاؤه وكثر ماؤه . فقال له كم عطاءك ؟ فقال ألفين فسكت ساعة ثم قال له
 كم عطاؤك ؟ قال ألفان . قال فلم لحنت أولاً ؟ قال لم أشته أن أكون فارساً وأمير
 المؤمنين راجلاً لحنت فلحنت ونجوت فنحوت . فاستحسن أدبه وأجازه . وقلت :

باكرنا الدهر بسرائه وكف عنا بأس بأسائه
 وجاءنا أيلول مستبشراً يثنى على الدهر بالآلائه
 أما ترى الرقة في جوه تناسب الرقة في مائه
 أنظر الى أنواع أمهاده قد ضمه في برد أحشائه
 راحت عليها نسائم الصبا ترقصها في برد أفنايه
 أما ترى حسن ملاحيه يهدى الى بهجة شعرائه
 أنظر الى رمانه ضاحكاً حراؤه في وجهه بيضائه

وقال ابن المعتز في العنب :

ظلت عناقيدها يخرجن من ورق كما اختبي الزنج في خضر من الأزهر
 ويروى لابن المعتز في التفاح :
 وتفاحة صفراء حمراء غضة كخد محب فوق خد حبيب
 أحبابها طوراً وأشرب مثلاً من الراح في كفى أغن ربيب

وقلت في النارنج :

روض زهاه المزن في كراته بمكفر^(١) ومزعفر ومضرع
 فتبسم النارنج في شجراته مثل العقيق يلوح في الفيروزج

(١) أى ممزوج بالكافور .

والكأس يحملها أغن^١ يزينة^٢ وجنات^٣ ورد^٤ في عذار^٥ بنفسج
ومن أجود ما قيل في النخل من قديم الشعر ما أنشدناه أبو أحمد عن الجلودى
عن محمد بن العباس عن أبيه عن الأصمعي للتمر بن تولب :

ضربن العرق في ينبوع عين^١ ملبن^٢ معينه حتى ارتوينا^٣
بنات الدهر لا يخشين محلاً^٤ إذا لم تبق^٥ سائمة بقينا^٦
كان^٧ فروعهن بكل ربح^٨ عذارى^٩ بالثواب^{١٠} ينتصينا^{١١}
وقد ملح النابغة في قوله :

صغار^١ التوى مكنوزة^٢ ليس قشرها^٣ إذا طار^٤ قشر^٥ التمر عنها بطائر^٦
من الواردات الماء^٧ بالقاع تستقى^٨ بأعجازها قبل^٩ استقاء^{١٠} الحناجر^{١١}
وهذا أجود من الأول لأنه ذكر أنهم وردن الماء^١ ببنى الماء^٢ الذى فى
بطن الأرض معينا^٣ . وقال النمر^٤ « ملبن معينه » فجعل الماء^٥ الذى فى بطن الأرض
معيناً ، والمعين إما هو الماء^٦ الجارى على وجه الأرض ظاهراً .

ومن أجود ما قيل فى الطلع من الشعر القديم قول كعب بن الأشرف^١ :
ونخيل^٢ فى تلاع^٣ جة^٤ تخرج^٥ الطلع^٦ كأمثال^٧ الكف^٨
وقال الربيع بن أبى الحقيق :

أذلك أم غرس^١ من النخل مترع^٢ بوادى القرى فيه^٣ العيون^٤ الرواجع^٥
لها^٦ سيف^٧ جمد^٨ وليف^٩ كأنه^{١٠} حواشى^{١١} برود^{١٢} حاكهن^{١٣} الصوانع^{١٤}
وهذا فى وصف الليف حسن . وأخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن الحرث بن
اسماعيل عن سهل بن محمد عن^١ على بن محمد عن^٢ أسلم الأزدي عن^٣ يونس عن^٤ الشعبي
قال كتب قيصر إلى عمر : إن رسل^١ أخبروني أن بأرضك شجرة كالرجل القائم تفلق

(١) فى نسخة « حتى روينا » . (٢) أى يأخذ بعضها بتواصى بعض .

(٣) هو كعب الطائى الشاعر الشجاع الجاهلى كان ينادى من المسلمين

قتله الأنصار .

عن مثل آذان الحمر ثم يصير مثل اللؤلؤ ثم يود كالزمرد الأخضر ثم يصير كالياقوت
 الأحمر والأصفر ثم يربط فيكون كأطيب فالود اتخذ ثم يجف فيكون
 عصمة للمقيم وزاداً للمسافر فإن كان رسول صدقوني فهي الشجرة التي نبتت على مريم
 بنت عمران . فكتب عمر إليه : إن رسلك صدقوك وهي شجرة مريم فاتق الله
 ولا تتخذ عيسى إلهاً من دون الله .

وهذه تشبيهات مصيبة أخذها عبد الصمد بن المذل فقال يصف النخل :

حدائق ملتفة	الجنان	رست نشاطي ترع	ريان
تمتار بالاعجاز	للأذقان	لا رهب المحل	من الأزمان
ولا توفى	تخل الثوبان	ولا ترى ناشدة	الريان
ولا تخاف	عرة الأوطان	سحم الرؤوس	كث الأبدان
لها يوم البازح	الحنان	مثل تنامي الخرد	الحسان
إذ هي أبدت زينة	الرهبان	لاحت بكافور	على إهان
يطلع منها	كيد الإنسان	إذا بليت ملمومة	البنان
معلت بورس	أوبزعفران	حتى إذا شبه	بالآذان
من حمر الوحش	لذي عيان	وهذا لفظ زائد على مناه :	
شقة	علجان مهران	من لؤلؤ صيغ	على قضبان
مصوغة	من ذهب خلصان	ثم ترى لل سبع	والثمان
قد حال مثل الشرير	في الجمان	يضحك عن مشبه	الأقران
كأنه في باطن	الأفتان	زمرد لاح	على التيجان
حتى إذا تم له	شهران	وانسدلت	عشاكل القنوان
كأنها قضب	من العقيان	فصلن بالياقوت	والمرجان
من قاني	أحمر أرجوان	وقاع أصفر	كالنيران

مثل الأكاليل على التواني

ولا أعرف في النخل من شعر المحدثين أجود من هذه الأرجوزة . وقلت :

ونخيل وقفن في معطف الرمسـل وقوف الحبشان في التيجان
شربت بالأعجاز حتى تروّت وترات يزينة الرحان
طلع الطلع في الجماجم منها كأ كف خرجن من أردان
فتراها كأنها كُت الخيل توافت مُصرة الآذان
أهو الطلع أم سلاسلُ حاج مُحلت في سقائن العقيان
ثم حادت شبائهما تباهي بأعلى شبائهما أقران
خرزات من الزبرجد خضر وهبتها السلوك للقضبان
ثم حال النجار واختلاف الشكـل فلاحت بجوهر ألوان
بين صفر فواقع تباهي في شمائخها وُحمر قواني
وقال بعض العرب : * طلعاً كآذان الكلاب البيض *

وقال ابن المعتز في الرطب :

كقطع السقيق يأنات بخالص التبر منوعات
وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن حريد قال أخبرنا السكن بن السعيد
قال أخبرنا محمد بن عباد قال تكلم صمصمة عند معاوية بكلام أحسن فيه فحسده
عمرو بن العاص فقال : هذا بالتمر أبصر منه بالكلام ، قال صمصمة : أجل أجوده
مادق نواه ورق سحاؤه وعظم لحؤه والريح تنفجه والشمس تنضجه والبرد
يدبجه ولكنك يا ابن العاص لا تمرأ نصف ولا الخير تعرف بل تحسد فتعرف^(١)
فقال معاوية رغماً فقال عمرو أضعاف الرغم لك وما بي إلا بعض ما بك .

ومن الغلو في صفة التمر ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأباري عن اسماعيل
ابن أسحق القاضي عن أبي نصر قال قال الأصمعي قيل للغاضري أي التمر أجود ؟
قال : الجرد الفطس الذي كأن نواه ألسن الطير تضع الواحدة في فمك فتجد

(١) أي تغدق .

حلاوتها في كعبك يعني الصبحاني . وقال الخباز البلدي :

ذري شجر للطير فيه تشاجر^١ كأن بتات الورد فيه جواهر
كأن القمارى والبلابل بينها قيان^٢ وأوراق الغصون ستائر
شربنا على ذاك الترم قهوة كأن على أحداقها الدر^٣ دوائر

وقال غيره :

أى يوم لنا على التل^٤ بالماء (١) وعيش نصيب^٥ عنه النعوت^٦
وردد^٧ الدر فيه في شجر اللو ز^٨ وفي الخوخ ورد^٩ الياقوت
وقلت : ظل يسقى حدائقنا وجنانا يالها من حدائق وجنان
خطرت بينها الرياح^{١٠} مسحيراً فتناصت^{١١} تناصى^{١٢} الأقران
وتناجى الغصون فيها سراراً وتنادى الطيور بالاعلان
فتناجى الغصون شبه عتاب وتنادى الطيور مثل أغاني
من كروم تمايلت بمناقيد^{١٣} كجمد الزنوج^{١٤} والخبشان
وملاحية تميل^{١٥} أخرى كوجوه الخرائد^{١٦} الفران
كلآلى تشبت بلال وبنان تشبكت بينان
فهى كالنجم في فروع كروم وهى كالشمس في بطون الدنان
وقلت في البطيخ :

وجامعة لأصناف المعاني صلحن^{١٧} لوقت إكثار وقته
وإحداهن تبرز في عباء وأخراهن في حبر^{١٨} وحله
ومنها ما تشبه^{١٩} بدوراً فان قطعتها رجعت أهله
وقلت : ولون واحد يلقى فيأتينا^{٢٠} بالوان
بسمران^{٢١} وسودان^{٢٢} ومهران^{٢٣} وصفران^{٢٤}
كوشى في يدى واش^{٢٥} وشهد^{٢٦} في يدى جاني

(١) الماء : اسم لتاحية. (٢) أي أخذت كل واحدة بتاحية الأخرى.

فمن أدم ومن مُقلٍ وريحانٍ وأشنانٍ
وأنشدنا أبو أحمد في الكرم :

لهنَّ ظلٌّ باردٌ الودائق يحملنَ لذَّا طعمه للذائق
كأنها غدائرُ العوائق تُنَاطُ في حُجيرٍ من المعالق
كأنها أناملُ القرائق

وهو من قول الآخر : * يحملنها بأنامل النقران * وقلت في الألفاح :
انظر الى الألفاح تنظرُ معجباً يجلو عليك مُنَضُّضاً في مُذَّهَبٍ
يعلو مفارقةً قلانسُ أخفيتُ من نخنٍ دراهمٌ لم تضربِ
وقلت في قصب السكر ولا أعرف فيه شيئاً لأحد :

ومشوقة القامات ييضُ نحرُها وتُخضر نواصيها وتُضفرُ جُسومها
لها حُقبٌ لا تستطيعُ اطراحها وليس يطبقُ سلبها من يرومها
وهنَّ رِماحٌ لا تريقُ دَمَ العدى ولكن يراقُ في القدود صميمها
يميل على أعرافها عذباتُها كحور تناصي هندُها ورميمها^(١)
تتاهى بها الأدراكُ حتى كأنها يُعلُّ بماء الزعفران أدِيمها
تري الرياح بُغريها بنجوى خفيّة إذا ماجرى قصرَ العشي نسيمها
ومن جيد ما قيل في السدر والطلح قول بعضهم :

لم ترَ عَيْننا ناظرٌ منظرًا أحسن من أفنانِ طلح مروح^(٢)
كأنها والرياحُ تسمو بها ألويةٌ منشورةٌ للفتوح
وسِدرَةٌ مدتُ بأفنانها على سواقٍ كتونٍ الصفيح
إلا أن قوله « للفتوح » فضلٌ لا يحتاج إليه لأن الألوية إذا نشرت للفتوح
مثلها إذا نشرت لغير الفتوح فذكر الفتوح لغو .

وإنما أورد في هذا الكتاب مثل هذا الشعر لأن غيري اختارها فأريدُ أن

(١) رميم : اسم امرأة كهنة . (٢) مروح : أى أصابته الريح .

أدُلُّ على موضع العيب فيه ليوقف عليه . ومن جيد ما قيل في النبق قول بعضهم :
 أنا في خياني بنبق كأنه حلي عروس زان ليتاً وأخدعا
 بأحر كالياقوت يقطر ماؤد وأصفر كالعقيان ضمهما معا
 وقال آخر :

أقبل تحت الليل كالظي الغرق بالراح والريحان والمسك عبق
 فجاء بالوصل وحيًا بالنبق وقلت نبق هكذا وتنطق
 ما أخضر عوداً أبداً لا تنفرك

وقلت في النبق :

جلى الربيع	علينا	كواعباً	أبكرا
متوجات	عقيقاً	مسورات	نهارا
نرى لمن	من الور	د شوخراً	وخمارا
أهدى لنا	جواهرات	تخير	الابصارا
يا حسن	حر و صفر	تريك	جرأ وثارا
قد راق	ذاك اجراداً	وراع	ذاك اصفراراً
وخلت	هذا عقيقاً	وخلت	ذاك نُصاراً
وذاك	شهاداً	مشاراً	وذاك راحاً
لو كان	يبقى سليماً	نظمته	تقصاراً (١)

وقلت في الشمس ولا أعرف فيه لأحد شيئاً مرضياً :

جنتها والصبح وردى العذب بنادقاً مخروطة من الذهب
 قد ضمنت أمثالها من الخشب والتف منها خشب على غرب
 وصار منه السم حشواً للضرب فهي لعمرى عجب من العجب
 الغرب الفضة ، والضرب العسل . ولا أعرف في التين أجود من قول القائل :

(١) التقصار : القلابة تحيط بالنبق .

أهلاً بين جاءنا مُبتسماً على طبق
يحكى الصباح بمضه وبعضه يحكى الغسق
كسفر مضمومة قد جُمعت بلا طاق
وقال الحلبي في الفستق :

من الفستق الشامي كل مصونة
زرجدة ملفوفة في حريرة
وقلت في خيارة :

زرجدة فيها قراضة فضة
تلم بناطورين في كل حبة
فعند المصيف ليس يقد نفعا
وأنما ذمّ اللسانين فمن أجود ما قيل فيه قول ابن الرومي :

لله ماضيه من الشجر أظفال غرس ترفجي وتنتظر
ومعجبات من بقول وزهر مصفرة قد هربت لامن كبر
في بقعة لا سقيت صوب المطر حاليقة لنبتها حلق الشعر
ضميرها النار وإن لم تستعر كل امرئ غيري من هذا البشر
بستانه أنثي وبستانى ذكر

ومما يجرى مع هذا قول الاعرابي :

مطيرنا فلما أن رويانا تهادرت
ورامت رجال من رجال ظلامه
ونصت ركاب للصبا فتروحت
بنى عننا لا تعجلوا نضب^(١) الثرى
ولوقد تولى الضب وامرت القرى
وحنّت ركاب الحى حين تزوب

وصارَ فَبُوقَ الْخُودِ وهي كريمةٌ على أهلها ذو جِدَتَيْنِ مَشُوب
وصارَ الذي في أفقه خُزْوانَةٌ ينادي إلى هادي الرِّحَا فيجيب
أولئك أيامٌ تُبَيِّنُ للفتى أكاب سَلِيبِ أوْأَشْمُ نَجِيب

﴿ الفصل الثالث من الباب السابع ﴾

في ذكر النسيم

من غريب ما قيل فيه قول ابن المعتز :

ونسيمٌ يُبَشِّرُ الأرضَ بالقطرِ كذبلِ الفِلاَةِ المَلُولِ
وَوُجُوهُ البلادِ تَنْتَظِرُ الغَيْسَتَ ائْتِظارَ الحُبِّ رَدَّ الرُّسُولِ

وقال ابن الرومي :

حيثُك هنا شِمالٌ طافَ طائِفُها بِجَنَّةٍ فَجَرَتْ رَوْحاً وَرِيحاًنا
هَبَّتْ سَحيراً فَنَاجَى الفُصْنَ صاحِبَهُ مِيراً بها وتنادى الطيرُ إعلاناً
وَرَقٌّ تَغْنَى على خُضِرٍ مُهدلةٌ تَسُو بها وتشمُّ الأرضَ أحياناً
تَحالُ طائرُها نشوانٌ من طربِ والغصن من هزهِ عطفِهِ نشواناً

وقال ابن المعتز :

بَشِقٌ رِياضاً قد تَبَقَّظَ نورُها وبَلَّها دمعٌ من المِزْنِ ذَارِفٌ
كَأَنَّ عِيَابَ المسكِ بين بقاعِها يَفْتَحُها أَيْدِي الرِّيحِ الضَّعَائِفِ
وَقُلْتُ : وَالصِّبَا يَجْلِبُ النِّعَامَ الينا فَتَرى القَطَرَ للرياضِ قَدِيمَا
وترى للغصونِ فيها نِجِياً وعلى زَهْرَةِ الرِّيحِ نِجِياً

وقال ابن الرومي :

كَأَنَّ نَسِيمَهَا أَرْجُ الخُزَامِي ولاها بعد وميٍّ وليٍّ (١)

(١) الولي المطري يأتي بعد الأول وهو الوسمي .

هدية شمال هبت بلبيل لأفتان القُصون بها نجى
إذا أنفاسها نسمت سُحيراً تنفس كالشجي لها الخلى

وقال ابن المعتز:

وماربع قاع عازب طله الندى وروض من الريحان درت سحائبه
فجاءت سُحيراً بين يوم وليلة كما جر في ذيل الغلالة ساجبه
وقد أحسن التشبيه أيضاً في قوله:
ومهمه كرداء الوشى مُشْتَبِه نَفْدُهُ ته والدحي والصبح خيطان
والريح تجذب أطراف الرداء كما أفضى الشفيق إلى تنبيه وستان
وقلت:

وأقبل نشر الروض في نفس الصبا فبات به ثوب الهواء مُكفراً (١)
ومما لم يحمي في معناه مثله قول بشار: أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي قال حدثنا
المكتنى بالله يوماً أنه كان نائماً فسمع دق باب فانتبه له مرتاعاً ثم سكن قليلاً ثم
عاد فنظر فإذا الريح تحرك الباب حركة كأنها دق بيده، قال فقلت له قد ذكر
الشاعر ذلك وما هو فأنشدته لبشار:

طرقني صبا فحركت الباب ب هُدُوٍّ آفارت منه أرتابا
فكأنني ميمتٌ حُسَّ حبيب تقرأ البابَ نقرة ثم هابا
قال ما كنت أظن أنه قيل في هذا شيء وما أقل ما يجري مما لم يذكره الناس.
وقال ابن الرومي وأحسن:

لولا فواكه أيلول إذا اجتمعت من كل نوع ورق الجو والماء
إذا لما حفلت نفسي متى اشتملت عليه هائلة الحالين غبراء
يا حبذا ليل أيلول إذا بردت فيه مناجمنا والريح سجواء
وجش القر في الجلد وأنلفت من الضجيعين أحشاء وأحشاء

وأسفر القمر السارى فصَفَحَتْهُ رِيَالُهَا مِنْ صَفَاءِ الْجَوِّ لَا لَأَلَاءِ
 يَاحِبِذَا قَفْحَةً مِنْ رِيحِهِ مَحْجَرًا يَأْتِيكَ فِيهَا مِنَ الرِّيحِجَانِ أَنْبَاءُ
 قُلْ فِيهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَهْرٍ تَعَهَّدُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَدُ اللَّهِ يَبْضَاءُ
 وَقُلْتُ : وَلَهُ مَجْنَحُ الْأَصِيلِ نَسِيمُ أَيْنُ الْعُطْفِ هَيْنَ الْخَطَرَانِ
 أَرْجُ يَقْتَدِي بِهِ نَفْسُ الْمَسْكِ وَتَحْكِيهِ نَكْمَةُ الزَّعْفَرَانِ
 كَمْ غَدَا مُدْنَفًا وَرَاحَ حَسِيرًا يَتَهَادَى فِي دَجَلَةِ الْمَسْرِ قَانِ
 فَرَأَيْنَا لَهُ لَبُوسَ شَبَاعٍ وَوَجَدْنَا بِهَا ارْتِعَاشَ جَبَانِ
 وَإِلَى هَذَا انْتَهَى بِنَا الْقَوْلُ فِي هَذَا الْبَابِ وَلَوْ أَرَدْنَا اسْتِقْصَاءَهُ أَضْجَرْنَا وَأَمْلَلْنَا وَلَمْ
 نَأْتِ عَلَى مَا فِي نَفْسِنَا مِنْهُ ، وَالْاِقْتِصَارُ عَلَى الْمَشَاهِيرِ^(١) وَالْأَعْيَانِ مِنْهُ أَوْلَى بِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .
 انْقَضَى الْبَابُ السَّابِعُ مِنْ كِتَابِ دِيْوَانِ الْمُعَانِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَصَلَوَاتُهُ عَلَى
 سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ كَلِمَا ذَكَرَهُ الْذَاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ
 وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَمَعَ الضَّلَالَةَ وَدَمَغَ الْجَهَالََةَ وَقَذَفَ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ قَازِمَةً
 وَأَزَالَ مِنْهُ حَتَّى أَوْبَقَهُ بِمَا أَقَامَ مِنَ الدَّلَائِلِ الْوَاضِحَةِ وَبَيَّنَ مِنَ الشُّوَاهِدِ الْلَا تُحْتَجُّ
 وَجَعَلَ خَلْقَهُ حُدُودًا حَذَرَهُمْ تَعْدِيهَا وَخَوَّفَهُمْ تَخْطِئُهَا بِالْقَوْلِ الصَّادِقِ وَالْبَيَانِ الصَّادِعِ
 إِعْذَارًا وَتَحْذِيرًا وَحُجَّةً وَتَنْبِيْهَا فَمَنْ لَمْ يُقْنَعْهُ مَا سَبَقَ مِنْ صِدْقِ قَوْلِهِ وَحُتِمَ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ
 حُكْمٌ فِيهِ السِّيفُ وَسُلْطَ عَلَيْهِ السُّوْطُ لِيُرَدَّاهُ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ بَعْدَ أَنْ يَجْعَلَهُ نِكَالًا
 لِلخَلْقِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ . وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ .

(١) يرى بعضهم عدم جواز جمع (مشهور) على (مشاهير) بل مشهورين .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفات الحرب والسلاح والظعن والضرب وما يجري مع ذلك ، وهو :

﴿ الباب الثامن من كتاب ديوان المعاني ﴾

قالوا أبلغ ما قيل في صفة الحرب قول الأول :

كَأَنَّ الْأَفْقَ مَحْفُوفٌ بِنَارٍ وَتَحْتَ النَّارِ آسَادٌ تَزِيرُ
وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُ مُحَدِّثٍ (١) :

وَيَوْمَ كَانَ الْمُصْطَلِينَ بِحَرِّهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ جَرٌّ وَقُوفٌ عَلَى جَرٍّ
صَبَرْنَا لَهُ حَتَّى تَجْلِي وَإِنَّمَا تُفَرِّجُ أَيَّامُ الْكَرْيَةِ بِالصَّبْرِ

وَمَنْ بَلَغَ مَا قِيلَ فِي شِدَّةِ الرُّوعِ قَوْلُ زَيْدِ الْخَيْلِ :

وَالْخَيْلُ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ قَارِسَهَا يَوْمَ الْأَكْسِ بِهِ مِنْ تَجْدَةِ رُوقٍ
وَقَوْلُ الْمَفْضَلِ الْكَنْدِيِّ :

فَدَاءُ خَالَتِي لِبْنِي حَبِيٍّ خُصُوصًا يَوْمَ كَسُ الْقَوْمِ رُوقٌ

معناه ان الأكس وهو القصير الأسنان قد كلع من كراهة الحال وشدة
الروع حتى تراه كأنه أروق وهو الطويل الأسنان ، آخذه أبو تمام فأجاده
في قوله * فخيّل من شدة التعيس مبتسماً * على أنه ليس فيه مدح لأن
الكلوح في الحرب لا يدل على الشجاعة . ومما يدخل في هذا الباب وليس منه
قول أبي فراس بن حمدان في خيل طارحت يوم تلج :

وَيَوْمَ كَأَنَّ الْأَرْضَ شَابَتْ لَهْوَهُ قَطَعْتُ بِخَيْلٍ حَشَوُ فَرَسَانَهَا الصَّبْرُ

(١) هذا البيت لتهشل بن حري التميمي فهو ليس لمحدث وقد خضر حرب

صفيين ، ولعله أراد بمحدث أنه ليس بجاهلي - كما في هامش الأصل .

تسيرُ على مثلِ الماءِ منشراً وآثارها مُطرزٌ وأطرافها مُحرُ
أجود ما قيل في اصطاف الخيل قول الأسمر :

وكتيبة لبستها بكتيبة حتى تقول نساؤهم هذا الفنى
يخرجن من خلل الغبار عوايساً كأنامل المقرور اقمى فاصطلى
يتخالسون نفوسهم برماخهم فبمثلهم بآهى المباهى واتمى
ومن أجود ما قيل في انصباب الخيل في الغارة قول ضمرة بن ضمرة :
والخيل من خلل الغبار خوارجٌ كالتمر ينثر من جراب الجرم^(١)
وقال آخر :

وربت غارة أوضعت فيها كسح الخرزجى جريم تمر
وقد أحسن الاعرابي في قوله :
مُقاذفُ بالغاتِ عبساً وطبناً وقد هربت منا تميمٌ ومذحجٌ
بنزوكولغ الذئب غاد ورائح وكسر كصدع السيف لا يتعرج
وقال أبو فراس :

وسمر أباد يلح البيض بينهم ويضي أعاد في أكفهم السر
وخيل بلوح الخير بين عيونها ونصل إذا ما شمتة نزل النصر
وقوم متى ما ألقهم روى القنا وأرض متى ما أغزها سبيع السر
ومن أبلغ ما قيل في اعمال السيف قول عمرو بن كلثوم :

كان سيوفنا فينا وفيهم مخاريق^(٢) بأيدي لاعبيننا

وقول قيس بن الخطيم « كان يدي بالسيف مخراق لاعب »

ومن أحسن ما قيل في الضرب قول الحماني :

وإنا لتصبح أسياقنا إذا ما انتضين ليوم سُفوك
منابرهن بطونُ الا كف وأغادهن رؤوسُ الملوك

(١) جمع جازم الذي يجنى التمر. (٢) المخراق خرقه يلويها الصبيان ويديرونها بسرعة.

أخذه من قول معيد بن ناشب :

فان أسياقتنا مبيض مهنده عتق وآثارها في هامكم جدد
وإن هويتم سللناها فما غمدت إلوهاهم بنى بكر لها غمد
وقال مسلم * ونعمد السيف بين النحر والجيد * وقال أيضاً :

لو إن قوماً يخلقون منية من بأسهم كانوا بنى جبريلا
قوم إذا أحر الهجير من الوغى جعلوا الجماجم للسيوف مقيلا
وقال حسان : ويثرب تعلم أتابها أسود تنفض أبادها
إذا ما غضبنا بأسياقتنا جعلنا الجماجم أغمادها

وأحسن ما قيل في الضربة الدامية قول ابن المعتز :

شق الصفوف بسيفه وشفى حزازات الأحسن
دامي الجراح كأنه ورد تنح في فنن

ومن عجيب ما قيل في كثرة الطعن يقع في الجسد قول بعضهم :

فلولا الله والمهر المفدى لرحمت وأنت غربال الأهاب

وقال قيس بن الخطيم في سبعة الطعنة :

طعنت ابن عبد القيس طعنة نائر لها فقد لولا الشعاع أضاءها
ملكته بها كفى فأنهرت فتها يرى قائم من دونها ملوراءها

ومن أبلغ ما قيل في مضاء السيف قول النمر بن تولب :

أبقى الحوادث والأيام من نمر آسباد سيف قديم أثره بادي
نظل تحفر عنه أن ضربت به بعد الدراعين والساقين والهادي

وهذا من الإفراط والغلو وهو عند بعضهم منعموم إذا كان في هذا الحد وعند
آخرين ممدوح ، يقول إذا ضربت به قطع المضروب وتجاوزته حتى غاص في
الأرض فاحتجت أن تحفر عنه فتستخرجه . ودون ذلك في الغلو قول النابغة :

يُطِيرُ فُضاضاً يَنْهَمُ كُلُّ قَوْسٍ ^(١) وَيَتَّبِعُهَا مِنْهُمْ فَرَّاشُ الْحَوَاجِبِ
تَقْدُّ السَّلَوقُ الْمُضَاعَفَ نَسِجُهُ وَتَوَقَّدُ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الْحِبَابِ ^(٢)
يَقُولُ إِنَّهَا تَقْدُّ الدَّرْعَ الَّتِي مُضَوِّعٌ نَسِجُهَا وَالْفَارِسَ حَتَّى تَبْلُغَ الْأَرْضَ فَتَقْدَحَ
النَّارَ بِالصُّفَّاحِ نَوْهِي حَبَارَةٍ . وَمَنْ بَلِغَ مَا قِيلَ فِي صِفَةِ السَّيْفِ قَوْلُ ابْنِ
يَافِرٍ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ الْجَرَّاحِ عَنْ أَبِي هِنَانَ عَنْ الْأَيْمَنِ الْقَاضِي عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ
عَدَى قَالَ لَمَّا صَارَ سَيْفُ عَمْرِو بْنِ مَعْدَى كَرَبَ الَّذِي يُسَمَّى الصَّمْصَامَةَ إِلَى الْهَادِي
وَكَانَ عَمْرُو وَهَبَهُ لِسَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَنَوَارَتْهُ وَلَدَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ الْمُهْدِي فَاشْتَرَاهُ مُوسَى
الْهَادِي مِنْهُمْ بِمَالٍ جَلِيلٍ وَكَانَ مُوسَى مِنْ أَوْسَعِ بَنِي الْعَبَّاسِ مُخْلَقاً وَأَكْثَرَهُمْ عَطَاءً
لِلْمَالِ قَالَ فَبَجَرْتَهُ وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَذِنَ لِلشُّعْرَاءِ فَدَخَلُوا وَدَمًا بِمَكْتَلٍ فِيهِ دَنَانِيرُ
فَقَالَ قُولُوا فِي هَذَا السَّيْفِ فَبَدَرَهُمْ ابْنُ يَافِرٍ فَقَالَ :

حَازَ صَمْصَامَةً الزُّيْدِيُّ مِنْ يَمِينِ جَمِيعِ الْأَنْثَامِ مُوسَى الْأَمِينُ
سَيْفُ عَمْرِو وَكَانَ فِيمَا مَعْنَاهُ خَيْرَ مَا أَغْنَيْتُ عَلَيْهِ الْجَفُونَ
أَوْقَلْتُ فَوْقَهُ الصَّوَاقِقُ نَاراً ثُمَّ شَابَتْ بِهِ الزُّهَّافُ الْقُبُورُ
فَإِذَا مَا هَزَزْتَهُ ^(٣) بَهَرَ الشَّمْسُ ضِيَاءَهُ فَلَمْ تَكُنْ تَسْتَبِينُ
يَسْتَطِيرُ الْأَبْصَارُ كَالْقَبْسِ الْمَشْطَلِ مَا نَسْتَقِرُّ فِيهِ الْعُيُونُ
وَكَاثُنَ الْفَرَنْدَةِ وَالْجَوْهَرِ الْجَاوِي فِي صَفْحَتِهِ مَاءٌ مُعِينُ
نَعْمَ مَخْرَاقُ ذِي الْخَفِيفَةِ فِي الْهَيْبِ بِمَضَائِهَا وَنَعْمَ الْقَرِينُ
مَا يَسَالِي إِذَا انْتَضَاهُ لَضَرْبِ أَشْمَالٍ سَطَّتْ بِهِ أُمُ الْيَمِينِ
وَكَاثُنَ الْمَنُونِ نَيْطُ الْيَبِ فَهُوَ مِنْ كُلِّ جَانِبِهِ مَنُونُ
أَخَذَ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّاتِ تَشْبِيهَ السَّيْفِ بِالشَّمْسِ ثُمَّ بِالْقَبْسِ لِأَنَّهُ قَدْ حَطَّاهُ
دَرَجَاتٍ ، فَقَالَ مُوسَى أَصَبْتَ مَا فِي نَفْسِي وَاسْتَخَفَّاهُ الْفَرَحُ فَأَمَرَ لَهُ بِالْمَكْتَلِ وَالسَّيْفِ

(١) فُضاضاً متفرقاً : والقه. نس أعلى الرأس . (٢) السَّلَوقُ : درع منسوب

لبلدة سلوق ، والحباب ما اقتدح من شرر النار . (٣) في نسخة « سلته » .

فلما خرج قال للشعراء : إنما حرمت لأجلي فدونكم المكنل ولي في هذا
السيف غنى ، قال فقام موسى فاشتري السيف منه بمال جزيل هـ .
وذكر الهيثم بن عدي هبة عمر بن معدى كرب^(١) الصمصامة لسعيد بن العاص
فقال قال سعيد بن العاص وهو بالكوفة لعمر بن معدى كرب هبلى الصمصامة
فانك قد ضُففت عن حمله وكن وزنه سِتَّةَ أَرْطال فقال عمرو ما ضُففتُ قتاني
ولا جناني ولا لسانى وإن اخلتُ جُثمانى وهو لك على أنه أوحش من لا يؤنس
وأظلم من لا يقبسه^(٢) ثم قال :

خليلٌ لم أهبهُ من قِلاءٍ ولكن المواببَ في السكرام
خليلٌ لم أختهُ ولم يخُننِ على الصمصام أضغاث السلام
قوله « أوحش من لا يؤنس وأظلم من لا يقبسه » يقول إذا كنت أستوحش
من جانب العدو آنستى وإذا أظلم لى الليل أضغاث لى . وقال البحرى :
مُصنَعٌ إلى حُكْمِ الرَدَى فاذا مضى لم يلتفت واذا قضى لم يعدل
متوقِّدٌ يَسْزى بأولِ ضربةٍ ما أدركتُ ولو أنها فى بذبل
فاذا أصابَ فكلُّ شئٍ مَقْتَلٌ وإذا أصيبَ فماله من مقتل
يغشى الوغى فالترسُ ليس بجنةٍ من حديدٍ والدرعُ ليس بمَقِيلٍ
وذكر عمرو بن معدى كرب أنواع السلاح فأجاد : أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا
أبو عبد الله بن عرفة قال أخبرنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابى قال حدثنى رجلٌ
من ولد أبى سريحة الغفارى قال قدم عمرو بن معدى كرب على عمر بن الخطاب
رضى الله عنه فسأله عن سعد بن أبى وقاص فقال عمرو اعرابى فى نمرته طاقٌ فى
حجلته أسدٌ فى تامورته نبطى فى جبايته . فقال كيف علمك بالسلاح ؟ فقال
بصيرٌ قال فأخبرنى عن النبيل قال منايا تخطىء وتصيب قال فأخبرنى عن الرمح

(١) كذا، ولعل صواب رصمها « معدى كرب » . (٢) لعل المعنى أن من لم يؤنس

هذا السيف أصابته الوحشة ومن لم يقبسه عمته الظلمة . كما فى هامش الأصل .

قال أخوك وربما خانك قال فأخبرني عن الترس قال هو المجنُّ وعليه تدور الدوائر
قال فأخبرني عن السيف قال عنده قارعت أمك الشكلي قال بل أمك والحمى أضرتني
لك . النمرة كساء أسود تلبسه الاعراب ، والماتق الجارية الكعاب وصفه بالحياه
والتامورة هنا الاجمة ، فقال نبطي في جبايته وصفه بالاستقصاء في جباية الخراج ،
وقوله الحمى أضرتني لك أي الاسلام قبضني لك وأذلتني ولو كنت في الجاهلية
ما كنتني بهذا الكلام ، وهو مثل العرب تضربه عند الشيء بضطرها الى الخضوع .
ومثل ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن دُرَيْد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة
قال قال الاغر النهشلي ووقع بينه وبين قومه شرٌّ فأرسل ابنه وقال يا بُنَيَّ كن
يداً لأصحابك على قتالهم وإياك والسيف فانه ظلُّ الموت وأتق الرميح فانه رشاً
النية ولا تقرب السهام فانها رُسُلٌ تعصي وتطيع قال فبم أقاتل؟ قال بما قال الشاعر :
جلايدُ املاء الاكف كأنها رؤوسُ رجالٍ حُلَّت في المواسم
فعليك بها فالصقها بالاعتاب والسوق .

وقد أحسن التنوخي في صفة الحرب حيث يقول :
في موقف وقف الحمام ولم يزعج عن صاحبه وزاغت الابصارُ
فَقَسْنَا بِسَيْلٍ من الدماء على قنا بطوالهنَّ تُقَصِّرُ الاعمارُ
ورؤوسُ أبطالٍ تطايرُ بالنظي فكانها تحت الغبار غبارُ
وقد أجاد ابن المعتز في هذا المعنى حيث يقول :

قومٌ اذا غضبوا على أعدائهم جَرُّوا الحديدَ أزجةً ودُروما
وكانَ أيديهم تُقَرُّ عنهم طيرا على الأبدانِ كُنَّ وقوما
وقال أيضاً :

بطعن تضيع الكف في لهواته وضرب كاشق الرداء المرعبَل
وقال أيضاً :

قرينا بعضهم طعناً وجياعاً وضرباً مثل أفواهِ القلاح

وقال البحتري وأحسن في ذلك :

ألوى إذا طمن المدجج صكه ليديه أونسثر القناة كعوبا
فأنا النذير لمن تقطرس أوطنى من مارن يدع النحور جيويا
وقد ظرف في قوله أيضاً :

ولولم يحاجز لؤلؤه بفراره لكان لصدر الرمح في لؤلؤه ثقب
ومن المختار قول مالك بن نويرة :

بُسْر كاشطان^(١) الجزور نواهل يجور بها ذو المنايا ويهتدى
يقعن معاً فيهم بأبدى كاتنا كأن المنايا للرمح بموعدا

ومن أبلغ ما قيل في صفة الضرب والطعن من قديم الشعر قول عبد مناف بن ربيع :
فالطمن شعثة والضرب هيقمة ضرب المَعْوَل تحت الديمة العضدا
وللقى أزاميل^٢ وغنمة^٣ حن الجنوب تسوي الماء والبردا
الهيقة : وقع الشيء الصلب على مثله سميت هيقة الحجر والحديد ، وشبه
أصوات القسي بصوت السحاب الذي فيه برد ، والمعول الذي يتخذ العالة وهو
أن يسد الراعي إذا خاف المطر إلى الشجر يتعضده ويجعل عضده على شجرتين
متقاربتين ويستكن تحته ، والعضد ما يعضد من الشجر أي يقطع والعضد المصدر .

ومن أجود ما قيل في نفوذ التدبير في الحرب مع الغيبة عنها قول ابن الرومي في صاعد :
يظل من الحرب العوان بمزل وآثاره فيها وإن غاب شهيد^٤
كما احتجب القدار والحكم حكمة^٥ على الناس طراً ليس عنه معرد^(٦)
أخذه من قول بشار بن برد :

الدهر طلاع بأحدائه ورسله فيها المقادير
محجوبة تنفذ أحكامها ليس لنا عن ذاك تأخير^٧
وقال : حصرت عميد الزنج حتى تخاذلت قواه وأودى زاده المتزود^٨

(١) جمع شطن وهو الجبل . (٢) أي مهرب .

وكانت نواحيه كثافاً فلم تزل
تُفرقُ عنه بالكايد جندَه
تجيفُها حتى كأنك مبرد
وتزدارم جنداً وجيشك محصد^(١)
سكنت سكوتاً كأن رهنأ بوئية
عماس كذاك الليث للوثب يلبد
فما رمته حتى استقل برأسه
مكان قناة الظهر أسمر أجرد
مناك له مقدارُه فكأتما
تقوض شهانٌ عليه وصندد

فقال صندد بفتح حرف الرفع وهو خطأ وليس في العربية فعل إلا درم
وهجرع وهو الطويل الأحمق، وهبلع وهو الكثير البلع، وقلم وهو الكثير
القلع للأشياء، وكانت بني قصيدته على فتح الرفع ولم يلزمه ذلك وكابر على
فتح صندد ورمدد وهما مكسوران فزعم محمد بن حبيب أنه رواهما بالفتح، وكابر
أيضاً على فتح الراء من «دوم» في قصيدته التي أولها:

«أفيضا دماً أن الرزايا لها قيم» وإنما هو «درم».

وأحسن ما قيل في الكيد والحرب قول أبي تمام:

هزرت له سيفاً من الكيد أنا تجذ به الاعناق مالم يجرد

يسر الذي بسطوبه وهو منممد وبفضح من بسطوبه غير منممد

يقول إن أخفيت الكيد ظفرت وسررت وإن أظهرته اقتضحت وخبت.

وقد أحسن في وصف الرماح حيث يقول:

أنهيت أرواحه الأرماع إذ شريعت فما تُردُّ لرب الموت عنه يد

كأنها وهي في الأرواح والغنة وفي الكلى تجد الغيظ الذي يجد

من كل أزرق نظار بلا نظير إلى المقاتل ماني منته أود

كأنه كان خدن الحب منذ زمن فليس يُعجزه قلب ولا كبد

ويشبهه يياض السيف بالملح فمن أجود ما قيل فيه قول النمرى:

ذكر بروتقه الدماء كأنها يملو الرجال بأرجوان فاقع

وترى مضارب شفرته كأنها ملح تنائر من وراء الدارع
ويشبه الفرند بمدب الدر فن قديم ما قيل فيه قول امرئ القيس :
متوسداً غضباً مضارباً في متنه كدبة النمل

وقول أوس بن حجر :

وذو شطبات قدّه ابن مجدّع وأشبرنيه الهالكى كأنه
وأخرج منه القين أثرأ كأنه وقال ابن المعتز وأبدع :

وجرد من اغماره كل مرهف ترى فوق متنيه الفرند كأنما
وقال اسحق بن خاف :

ألقى بجانب خصره وألقى قيس بن الخطيم :

أجالدُم يوم الحديقة حاسراً بسيف كأن الماء في صفحاته
أخذه ابن المعتز فقال :

ولي صارم فيه المنايا كوامن ترى فوق متنيه الفرند كأنه
وقد أجاد ابن الرومي في قوله :

خير ما استعصمت به الكف غضب ما تأملته بينك إلا
مثله أفرع الشجاع الى الدر

(٨ - ثاني المعاني)

ما أبالي أصممتُ شفتاهُ في محزٍ أوجازتا عن محزٍ
 وقال آخر : جرّدوها فألبسوها المنايا عوضاً عوضت من الاغمادِ
 وكأنّ الآجالَ ممن أرادوا ومُطابها كانت على ميعادِ
 وقلت : نميلُ كفى من سيفٍ الى قلمٍ والعزُّ نصفانِ بينَ السيفِ والقلمِ
 وقال ابن المعتز :

وسيوفٍ كأنها حينٌ مُلت وورقٌ هزّه مُقروطٌ قطار
 ودروعٍ كأنها تَمَطُّ جَمَدٌ دهنٌ بضلٍ فيه المَدَارِ
 وقال ابن الأعرابي أحسن ما قيل في صفة الرماح :
 وبكلِّ عَرَّاصٍ المِهْزَةِ مارٍ فيه سنانٌ مثلُ ضوءِ الفرقدِ
 أحسن ما قيل في صفة الرماح قول المزد :

أصم إذا ما هُزَّ مالت سراته كما مال ثعبانُ الرمالِ الموائلِ
 له رائدٌ ماضى الفرار كأنه هلالٌ بدا في ظلمةِ الليلِ ناحلِ
 وقال الأصمعي أحسن ما قيل في صفة الرمح قول أبي زيد :

وأصمّ مربعٌ يرى ماأرته بصيرٌ إذا صوبته للمقاتلِ

وقال ابن الأعرابي أحسن ما قيل في ذلك قول مسكين :

بكلِّ رُدَّيْنِيٍّ كأنَّ كُوبَه قطنسقٍ يستورد الماءَ صائفِ
 كأن هلالاً لاح فوق سراته جلا النعيم عنه والقنّام الحراجف^(١)

وأحسن ما قيل في سرعة وقع الرماح وتداركه قول دريد بن الصمة :

نظرتُ إليه والرماحُ تنوشهُ كوقع الصياصي في التسيج الممددِ

الصيصية الشوك الذي يسوى به الحائك الثوب ، والصيصية أيضاً الحصن

ويقال للناشر من ساق الديك الصيصية أيضاً . وقد أحسن البحتري في قوله :

في معركٍ ضحكٌ تخالُّ به القنا بين الضلوع إذا انحنين ضلوما

(١) الحراجف : فاعل جلا وهي الرياح الشديدة :

وأجود ما قيل في إدمان حمل الرمح قول الآخر :
 وقد طال حمل الرمح حتى كأنه على فرسي عُصْنٌ من البان ثابتٌ
 بطول لسانى في المشيرة مُصلحاً على أنه يوم الكريهة ساكتٌ
 والسكوت في الحرب دليل على سكوت الجأش ، وكثرة الصوت فيها أمانة
 الفزع ، وقد قيل * وكثرة الصوت والاياماد من قتل * وقلت في الرمح :
 يغدو بصدق الكموب لَدُن يَهْتَزُّ ما بين كوكبين
 أغنى الزج والسنان . وقال البحتري :

كأما الحربة في كفه نجمٌ دجى شيعه البدر
 وقد شبهت العرب الرماح بالأشطان والاسنة بالشهبان فتركنا ذكر ذلك
 لشهرته واستفاضة . أجود ما قيل في القوس من قديم الشعر قول أوس بن
 حجر^(١) وهو أوصف العرب للسلح :

فجردها صفراء لا الطول طابها ولا قصرٌ أزرى بها فتعطلا
 كتوم طلاع الكف لادون ملها ولا عجمها من موضع الكف أفضلا
 وحشو جفير^(٢) من فروع غرائب تنطع فيها صانعٌ وتأملا
 تخيرن أنضاء وركبن أنصلا كجمر الغضا في يوم ربيع تزيلا
 وقال الشماخ في صوت القوس :

إذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنمٌ تكلى أوجمتها الجنائز
 وقال آخر : وهي إذا أنبضت عنها تسجع ترنم التكلى أبت لا تهجم
 وقال آخر : تسمع عند التزع والتوتير في سنيها رنة الطنبور
 وقال الأصمعي : أحسن كلام في الإيجاز قول عكلى في صفة قوس :

* في كفه معطية منوع * ومن أحسن ما قاله محدث في القوس قول ابن المعتز بالله :

(١) هو الشاعر التميمي المشهور ، عمر طويلاً ولم يدرك الإسلام .

(٢) أى ورب حشوا الخ ، وحشوا الجفير هو السهام ، والجفير الكنانة .

أُتِيحَ لَهَا هَفَانٌ يُخْطَمُ قَوْمَهُ ^(١) بِأَصْفَرِ حَنَانِ الْقَرَى ^(٢) غَيْرَ أَعْزَلَا
فَأَوْدَعَهُ سَهْمًا كِيدَرَى مَوَاشِطَ بَعْنٍ بِهِ فِي مَفَرِّقٍ فَتَغْلَغَلَا
بَطِيئًا إِذَا أَسْرَعَتْ إِطْلَاقَ فَوْقِهِ وَلَكِنْ إِذَا أَبْطَأَتْ فِي النَّزْعِ عَجَلَا
وَأَجُودَ مَا شَبَّهِ بِهِ أَفْوَاقُ السَّهَامِ قَوْلَ الْآخِرِ :

أَفْوَاقُهَا حَشْوُ الْجَفِيرِ كَأَنَّهَا أَفْوَاحُ أَفْرِخَةٍ مِنَ النَّغْرَانِ

وَالنَّغْرَانِ جَمْعُ نَغْرَةٍ وَهِيَ عَصْفُورَةٌ . وَقَالَ الْفَنْدُ الزَّمَانِي ^(٣) :

* وَبَلَى وَقَفَاها كَعَرَاقِيبٍ قَطَاً طَحَل * أَخَذَهُ عَتَابُ بْنُ وَرْقَاءَ فَقَالَ ^(٤) :

وَحَطَّ عَنْ مَنْكِبِهِ شَرِيَانَةً مِمَّا ابْصَطَنِي بَارِئُ الْقَسَى وَاتَّقَى

أُمَّ بَنَاتٍ عَدَّهَا صَانِعُهَا سَتِينَ فِي كَنَانَةٍ مِمَّا يَرَى

ذَاتَ دَوْسٍ كَالصَّايِحِ لَهَا أَسَافِلُ مِثْلَ عَرَاقِيبِ الْقَطَا

إِنْ حُرِّكَتْ حَنْتَ إِلَى أَوْلَادِهَا كَحَنَةِ الْوَالِهِ مِنْ قَدِّ الطَّلَا ^(٥)

حَتَّى إِذَا مَا قُرْنَتْ بِيَعْضِهَا لَانَتْ وَمَالَ طَرْفَاها وَانْثَى

وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي قَوْسٍ بَنَدَقٍ ^(٦) :

كَأَنَّ قَرَاها وَالْفُرُورَ ^(٧) لَاتِي بِهَا وَإِنْ لَمْ تَجِدْهَا الْعَيْنُ إِلَّا تَتَبَّعُهَا

مَذَرْتُ سَحِيقَ الْمَسَكِ فَوْقَ صَلَابَةٍ أَدَبٌ عَلَيْهَا دَارِجُ الدَّرِّ أَوْ كَرْمَا

لَهَا أَوَّلُ طَوْعِ الْيَدَيْنِ وَآخِرَتُهُ إِذَا مُجِعَتْهُ الْإِغْرَاقُ فِيهِ نَمْنَمَا

نَطْوَعُ لِرَامِيهَا الرَّمَايَا كَأَنَّمَا دَمَّاعُهَا لَهُ دَاعِي الْمَنَايَا فَأَسْمَمَا

يُقَلِّبُ نَحْوَ الْجَوْعِ عَيْنًا بِصِيرَةٍ كَمِنْكَ بِلْ أَذْكَى ذَكَاءٍ وَأَسْرَمَا

(١) جَعَلَ الْآثَرَ بِمَنْزِلَةِ الْخَطَامِ . (٢) الْقَرَى : الظَّهْر . (٣) الْفَنْدُ الزَّمَانِي :

اسْمُهُ شَهْلُ بْنُ شَيْبَانَ ، وَهُوَ الشَّاعِرُ الْجَاهِلِيُّ ، كَانَ سَيِّدَ بَكْرٍ وَقَائِدَهَا فِي زَمَانِهِ .

(٤) مِنْ أَمْرَاءِ الْعَرَبِ الْأَبْطَالِ . (٥) هُوَ الصَّغِيرُ مِنْ أَوْلَادِ الْحَيَوَانِ .

(٦) كُرَّةٌ صَغِيرَةٌ يَقْدِفُونَ بِهَا . (٧) الْفُرُورُ : الْفَضْوَنُ

لها عولةٌ أولى بها من نصيبه^١ وأجبر^٢ بالأحوال من كان موجعا
وهذا مثل قوله في امرأة :
تشكى المحب وتلفى الدهر شاكية^٣ كالقوسِ تصبى الرمايا وهي مرتان
وقال المتنبي في سداد الرمي :
يُصيبُ ببعضها أفواقَ بعض^٤ فلو لا الكسرُ لا تصلت قضيبا
وقال الراجز في ضد ذلك :
مستهر^٥ بالرمي واه^٦ عضده أحصن شيء يوم يرمي طرده
وقال ابن الرومي في سهام :
وكل ابن ربح يسبق^٧ الطرف مبعجه مروق^٨ ومنزوع^٩ لدى حومة الجذب
صنيع^{١٠} مريش^{١١} قوم^{١٢} القين^{١٣} منته^{١٤} فجاء^{١٥} كما^{١٦} بسل^{١٧} النخاع^{١٨} من الصلب
ينغله^{١٩} في^{٢٠} الدرع^{٢١} نصل^{٢٢} كأنه^{٢٣} لسان^{٢٤} مشجاع^{٢٥} مخرج^{٢٦} هم^{٢٧} بالسلب^{٢٨}
وقال ابن المعتز في قوس البندق :
وماء^{٢٩} به^{٣٠} الطير^{٣١} مربوطة^{٣٢} تحاكي^{٣٣} الحلي^{٣٤} بأطواقها
غدونا عليه^{٣٥} وشمس^{٣٦} النهار^{٣٧} لم^{٣٨} تكه^{٣٩} ثوب^{٤٠} إشراقها
فظلنا وظلت^{٤١} عيون^{٤٢} القسي^{٤٣} ترمي^{٤٤} الطيور^{٤٥} بأحداقها
وقد أحسن القائل في صفة الرماح على العواتق :
ترى غابة^{٤٦} الخطى^{٤٧} فوق^{٤٨} رؤوسهم^{٤٩} كما^{٥٠} أشرفت^{٥١} فوق^{٥٢} الصوار^{٥٣} (١) قرونها
وما^{٥٤} يجري^{٥٥} مع^{٥٦} ذلك^{٥٧} قول^{٥٨} أبي فراس^{٥٩} بن حمدان :
وما^{٦٠} الذنب^{٦١} إلا^{٦٢} العريكة^{٦٣} الفتى^{٦٤} وما^{٦٥} ذنبه^{٦٦} أن^{٦٧} جاوزته^{٦٨} المطالب^{٦٩}
ومن^{٧٠} كل^{٧١} غير^{٧٢} السيف^{٧٣} كافل^{٧٤} رزقه^{٧٥} قلئل^{٧٦} منه^{٧٧} لا^{٧٨} محالة^{٧٩} جانب^{٨٠}
وما^{٨١} جاء^{٨٢} عن^{٨٣} أهل^{٨٤} الجاهلية^{٨٥} في^{٨٦} التشاب^{٨٧} شيء^{٨٨} إلا^{٨٩} قول^{٩٠} سيف^{٩١} بن

(١) الصوار : جماعة بقر الوحش .

ذی یزن یذکر القوس :

هَزُّوا بِنَاتِ الرِّيحِ نَحْوَهُمْ أَعْوَجُّهَا طَالِحٌ وَزَمَزَمَهَا
كَأَنَّهُا بِالْفَضَاءِ أُرْشِبَةٌ يَخْفُفُ مَنَقُوضُهَا وَمُجَرَّمُهَا
فَأَمَّا النَّبَلُ فَقَدْ جَاءَ فِيهَا عَنْهُمْ شَيْءٌ كَثِيرٌ.

أجود ما قيل في الدروع : قال أبو عبيدة أحسن ما قيل فيها قول كعب بن زهير :
ويبيض من النسج القديم كأنها نهاء ^(١) بقاع ماؤها مترايع ^(٢)
تصفقها هوج الرياح إذا صفت وتعقبها الأمطار قالماء راجع
وهو مأخوذ من قول امرئ القيس :

تَفِيضٌ عَلَى الْمَرْءِ أُرْدَانُهَا كَفَيْضِ الْآتِي ^(٣) عَلَى الْجَدِّ جَدٍ
وقال البحتري :

يمشون في زرد كأن متونها في كل ممركة متون نهاء
بيض تسيل على الحكاة فضولها سيل السراب بفترة يبداء
وإذا الأسنة خالطتها خلتها فيها خيال كواكب في ماء
ومعنى البيت الأخير دقيق غريب حسن مصيب ما أظنه سبق إليه .

ومن مליح ما جاء في صفة الدرع قول بعض بني هاشم :

وعلى سابغة الذئول كأنها سلخ كسانيه الشجاع الأرقم

ومن مليح ما جاء في صفة الحرب ما أخبرنا به أبو القاسم عن العجلي عن
أبي جعفر عن المدائني قال قال رجل من بني تميم لعبادي : لم يكن لآل نصر بن
ربيعة صولة في الحرب قال لقد قلت بطلا ونطقت خطلا كانوا والله إذا أطلقوا
عقل الحرب رأيت فرسانا تمور كرجل الجراد وتدافع كتدافع الامداد في فيلق
حافاته الاسل يضطرب عليها الاجل إذاهاجت لم تنه دون بلوغ ارادتها ومنتهى غايات
طلباتها لا يدفعها دافع ولا يقوم لها جمع جامع وقد وثقت بالظفر لمر أنفاسها

(١) جمع نهى وهو القدير (٢) أي متردد. (٣) أي الجدول .

وأيقنت بالغلبة لضراوة عادتها فلما علوُّ والتمكينُ ولمن ناولها الذلُّ والتوهينُ
خصت بذاك على العرب أجمعين . ومما يجري مع ذلك ما أخبرنا به أبو القسم
عن المقدى عن أبي جعفر قال أنشد جرير هشام بن عبد الملك :

لقومٍ أحمي للحقيقة منكم وأضربُ للجبار والنقع ساطع
وأوثقُ عند المرذقاتِ عشيةً لحاقاً إذا ماجردَ السيفُ لامعُ
فقال هشام لم تركت نساءك حتى أردفن ألا جعلتهن كنسوة المحبِّل فما
معنا بمریات قط أمتع منهن حيث يقول :

وساقطة كُور الخمار حيةً على ظهر عُرمي زال عنها جلالها
تشدُّ يديها بالسنام وقد رأت مُسومةً يأوى إليها رمالها
زلنا فساقينا الكُماة دماءها سجال المنايا حيث نُسقى سجالها

وأجود ما قيل في ثبات الرجال في الحرب قول الحرث بن عباد :

قرباً مربوطاً النعامِ منى لقحت حربٌ وائلٌ عن حبال
قرباًها فأن كفى رهنٌ أن تزولَ الجبالُ قبل الرجال

وقد وصف الله ذلك في كتابه فقال (ان الله يحبُّ الذين يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) ولم يصف أحدٌ من المتقدمين والمتأخرين القتال في المراكب إلا البحري : أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال سمعتُ عبد الله بن المعتز يقول لو لم يكن للبحري إلا قصيدته السينية في وصف ايوان كسرى فليس للعرب سينية مثلها ، وقصيدته في البركة * ميلوا الى الدار من ليل نحيها * واعتذاراته في قصائده الى الفتح التي ليس للعرب بعد اعتذاراته النابتة الى النعمان مثلها ، وقصيدته في دينار بن عبد الله التي وصف فيها ما لم يصفه أحدٌ قبله أولها * ألم تر تنائس الريح المبكر * ووصف حرب المراكب في البحر لكان أشعر الناس في زمانه فكيف إذا أضيف الى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه . وكان كثيراً ما ينشد له ويعجب من جودته :

غدتُ على المأمونُ صَبْحاً وإنما
 إذا زَجَرَ النوقى فوقَ علاته
 يَغْضُونَ دُونَ الاستنَامِ عيونهم
 إذا ما علت فيه الجنوبُ اعتلى له
 إذا ما انفكفا في هبوةِ الماءِ خلتَه
 وحولك رُكَّابونَ للهولِ عاقروا
 تميلُ المنايا حيثُ مالت أكَفهم
 إذا رشقوا بالنارِ لم يكُ رشقهم
 صدمت بهم صُهبُ العثانينِ دونهم
 كأن ضجيجَ البحرِ بينَ رماحهم
 تقارب من زحفهم فكأنما
 فمارحت حتى أجلت الحرب عن طلي
 على حين لا تقمُ يطوحُه الصبا
 وكنت ابن كسرى قبل ذاك وبعدهُ
 جدحت له الموت الزعافَ فمافهُ
 مضى وهو مولى الريحِ يشكرُ فضلها
 ومن أجود ما قيل في السهم من قديم الشعر قول عنتره :

أيدنا فما نُعطى السَّوامنِ عدونا
 قياماً بأعضاء السراء ^(١) المعطَّف
 بكلِّ هتوفٍ عجبها رَضْوِيَّة ^(٢)
 وقال راشد بن سهاب ^(٣) اليشكري :

ونبلِ قرانِ كاتنُورِ سَلاجِمِ وفلقِ هتوفٍ لاسقى ولا نَشَمِ

(١) السراء : شجر تصنع منه السهام . (٢) نسبة إلى رضوى .

(٣) سهاب ككتاب بالسين المهملة - على ما في القاموس .

وَمُطَرِدِ الْكُفَّينِ أَحْمَرِ مَاقِدِ وذات قَتِيرٍ فِي مَوَاصِلِهَا دَرَمِ
وصف النبل والقوس والرمح والدرع في يَتِينِ فَأَحْسَنَ ، وَالْأَدْرَمِ الْأَمْلَسِ الَّذِي
لَا حِجْمَ لَهُ ، وَالسَّلَاجِمِ الطَّوَالِ ، وَالسَّقَى الَّذِي يَشْرَبُ الْمَاءَ ، وَالنَّشْمِ شَجَرٌ .
وَمِنْ أَجُودِ مَاقِيلٍ فِي الْبَيْضِ مِنْ قَدِيمِ الشَّرْقِ قَوْلُ سَلَامَةَ بْنِ جَنْدَلٍ ^(١) :
إِذَا مَاعِلُونَا ظَهَرَ نَشْرَ كَأَنَّمَا عَلَى الْهَامِ مَنَاقِيضُ يُضْ مَقْلَقِ
وقول الآخر * كَأَنَّ نَعَامَ الدَّوِّ بَاضَ عَلَيْهِمْ * ورواه بعضهم :
كَأَنَّ نَعَاجَ الْجَوِّ بَاضَ عَلَيْهِمْ * قَبِيلٌ لَهُ أَخْطَأَتْ مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّ النِّعَاجَ
لَا تَكُونُ فِي الْجَوِّ وَالْآخَرُ أَنَّهَا لَا تَبِيضُ . وَمِنْ أَحْسَنِ مَاقِيلٍ فِيهِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ :
وَبَيْضٌ كَأَنْصَافِ الْبَدُورِ آيَةٌ إِذَا امْتَحَنْتَهُنَّ السُّيُوفُ خِيَارُ
فَتَشْبِيهِهَا بِأَنْصَافِ الْبَدُورِ تَشْبِيهُ غَرِيبٌ مُصِيبٌ .

أَجُودُ مَاقِيلٍ فِي اتِّبَاعِ الرِّجَالِ الرَّئِيسِ فِي الْحَرْبِ قَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ :
هَرُّ السُّيُوفِ كَأَنَّا ضَرَبْتُمْ لَهُمْ أَيْدِي الْقَبِيونِ صَفَائِحًا مِنْ عَسَجِدِ
فِي قَتِيَةٍ طَلَبُوا غُبَارَكَ إِنَّهُ رَهَجٌ تَرْفَعُ عَنْ طَرِيقِ السُّؤْدُودِ
كَالرَّمْحِ فِيهِ بَضْعُ عَشْرَةِ فُقَرَةٍ مُنْقَادَةٌ خَلْفَ السِّنَانِ الْأَصِيدِ
وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ هَرْمَةَ فِي قَوْلِهِ وَهُوَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَعْنَى :
إِذَا شَدُّوا عِمَامَتَهُمْ ثَنُوهَا عَلَى كَرِيمٍ وَإِنْ سَفَرُوا أَنْارُوا
يَبِيعُ وَيَشْتَرِي لَهُمْ سَوَامٌ وَلَكِنْ فِي الطَّعَانِ مُمُّ التَّجَارِ
وَمِنْ أَجُودِ مَاقِيلٍ فِي صِفَةِ الشُّجَاعِ الْجَوَادِ قَوْلُ الْآخَرِ :
خُلِقْتُ أَنَا مِثْلُهُ لِقَائِهِمْ مُرْهَفٍ وَلَبِثْتُ عَارِفَةً وَذِرْوَةً مِنْ سَبْرِ
يَلْقَى الرَّمَاخَ بِوَجْهِهِ وَبَصْدَرِهِ وَيُقِيمُ هَامَتَهُ مَقَامَ الْمِفْطَرِ
وَيَقُولُ لِلطَّرْفِ اصْطَبِرْ لَشِبَا الْقَنَا فَهَدَمْتُ رُكْنَ الْحِجْرِ إِنْ لَمْ تَعْقِرِ
وَإِذَا تَأَمَّلَ شَخْصٌ ضَعِيفٌ مَقِيلٌ مُتَسَرِّبٌ سَرِبَالٍ لَيْسَ أَغْبَرِ

(١) هُوَ الشَّاعِرُ الْجَاهِلِيُّ الْتَمِيمِيُّ الْحِجَازِيُّ ، يُعَدُّ فِي طَبَقَةِ الْأَمْلَسِ .

أوما الى الكوماء هذا طارق^١ فحترتني الاعداء إن لم تنحصر^(١)
ومن أبلغ ما حذّر به الحرب قول بعض المعجم : دافع بالحرب ما أمكن فان
النفقة في كل شيء من الأموال إلا الحرب فان النفقة فيها من الأرواح.

وقال النابغة الجعدي :

وتستلبُ المالَ الذي كانَ رُبِّها ضيّبًا به^(٢) والحربُ فيها الخرائبُ
فنبهه أبو تمام فقال : والحربُ مشتقة من الحرب هـ وقول جدل الطمان :
دعاني أشبُّ الحربِ بيني وبينه قُلتُ له لا بل هلمَّ الى السِّلمِ
وإياك والحرب التي لأديهما صحيحٌ وما تنفكُ تأتي على الرغمِ
فان يظفر الحزبُ الذي أنتَ منهم وينقلبوا ملاء الأُكف من الغمِ
فلا بُدَّ من قتلى لعلك فيهم وإلا فجرحٌ لا يكون على العظمِ
فلما أبى خلّيتُ فضلَ ردائه عليه فلم يرجع مجزوم ولا هزم
وكان صريع الخيلِ أوَّلَ وهلة فبعداً له مختارَ جهلٍ على علم
ومن أجود ما قيل في تهوين الحرب والقتل ما أنشدناه أبو أحمد في خبر أخبرناه
عن الصولي عن عبيد الله السكوني قال دخل محمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن
عليّ على بعض أمراء الكوفة وقد جرى عليه ظلم فلم ينصفه فخرج من عنده وقال :
بأبها الرجلُ الذي يمينه غيثُ الزمانِ وصولُهُ الحدَّانِ
أنعم صباحاً بالسيفِ وبالقنا ان السيفَ تحيةُ القتبانِ
قد أبطرتك سلامةٌ فتسيتَ ما أسلفتَ من برٍّ ومن إحسانِ
والدهرُ خدنٌ مَسرَّةٌ ومضرَّةٌ مُتقلِّبٌ بالناسِ ذو ألوانِ
يخاطب نفسه ويأمرها بمجاهرة السلطان بالعصيان إذ ليس عنده للظلم نكير فيكون
ذلك سبباً للحرب فيجى بالسيفِ فلا يفرع قاتها تحيةُ القتبانِ .
وقال علي بن جبلة :

(١) تقدم بعض هذه الآيات في الجزء الاول . (٢) في الاصل « بها » .

كَأَنَّ أَرْمَاحَهُ تُعْطَى إِذَا عَمِلَتْ نَحْتَ الْعِجَاجِ أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا
وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي تَقْسِيمِ الْخَيْلِ فِي الْحَرْبِ قَوْلُ النَّابِغَةِ : أَخْبَرْنَا أَبُو أَحْمَدَ
قَالَ أَنْشَدَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ أَنْشَدَنَا الْمُبَرِّدُ قَوْلَ النَّابِغَةِ وَذَكَرَ أَنَّهُ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي
تَقْسِيمِ الْخَيْلِ فِي الْحَرْبِ :

خَيْلٌ صَيَّامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ نَحْتُ الْعِجَاجِ وَخَيْلٌ تَمْلِكُ اللَّجْجَا
قَالَ تَعْلَبُ قُلْتُ لَأَيْنَ الْأَعْرَابِي الصَّائِمَةُ الَّتِي لَا تَصْهَلُ وَغَيْرَ الصَّائِمَةِ الَّتِي
تَصْهَلُ فَمَا هَذِهِ الْأُخْرَى ؟ قَالَ الَّتِي تَمْلِكُ اللَّجْجَ فِي الْكَمِينِ .

أَخَذَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ الْبَشْرَى يَصِفُ بَأْدِيَّهَ فَرَسَهُ :
عَوْدَتُهُ فِيمَا يَزُورُ حَبَائِثِي إِمَاهُهُ وَكَذَلِكَ كُلُّ مُخَاطَرِ
فَإِذَا احْتَبَى قَرْبُوسَهُ بِمَنَاتِهِ عَمَلَكِ الشَّكِيمِ إِلَى انْصِرَافِ الزَّائِرِ
وَمَنْ أَجُودَ مَا قِيلَ فِي لَوْتَفَاعِ الْفُجَارِ وَلِمَعَانِ الْأَسْنَةِ فِيهِ مِنْ قَدِيمِ الشَّعْرِ قَوْلُ النَّابِغَةِ :
تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِمَةٌ نَوْرًا بَنُورٍ وَإِظْلَامًا بِأُظْلَامِ
قَالُوا أَرَادَ قَوْلُ النَّاسِ : لِأَرْبِنِكَ الْكَوَاكِبَ نَهَارًا ، وَقَالُوا أَرَادَ تَوْضِيحَ الْأَسْنَةِ
فِي سَوَادِ الْعِجَاجِ . وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ بَشَّارِ :

كَأَنَّ مِثَارَ النَّقَمِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
وَقَالَ الْبَزْزِيُّ : لَيْلٌ مِنَ النَّقَمِ لَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ إِلَّا جَبِينُكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشَّرْعُ
وَقَوْلُ ابْنِ الْمَعْتَزِ :

وَعَمَّ السَّيِّئُ النَّقَمُ حَتَّى كَأَنَّهُ دُخَانٌ وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ شَرَارٌ
وَأَبْلَغُ مَا قِيلَ فِي الْأَقْدَامِ وَالْإِقْدَارِ عَلَى الْعَدُوِّ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :
عَشِيَّةٌ كُنَّا بِالْخِيَارِ عَلَيْهِمْ أَتَقَصُّ مِنْ أَعْمَارِهِمْ أَمْ نَزِيدُهَا

وَمَنْ بَدِيعُ الْمَعَانِي فِي صِفَةِ اللَّقَاءِ قَوْلُ بَعْضِ الْأَعْرَابِ :
عَلَى كُلِّ جَرْدَاءٍ الْقَرَى ^(١) أَعُوجِيَّةٌ إِذَا طَرَدَتْ لَمْ يَنْجُ مِنْهَا طَرِيدُهَا

وما قاد من قوم البنا جياذهم . فنلقاهم إلا رجعتا تقودها
وقلت في معناه :

إلى ابن الأولى شادوا الممالى بالظبي وعموا البرايا باللهى والرغائب
إذا طلبوا روح الحياة وطيبها فبين سواقى للردى وحواصب
إذ البيض في سود القساطل اتجم غوارب تهوى في الطلى والغوارب
وتحملهم يوم الكريهة مضمر تشول إلى الهيجاء تشول العقارب
فكم وقفة في الروع منهم وحمة أثارت بنات الحنف من كل جانب
ترد الجياد تحت قسطة الوغى جنائب أو تقتادها في الجنائب
بأبيض مصقول كأن بحدّه ضرائب من تصديه في الضرائب
ومن أجود ما قيل في كثرة الجيش قول الأخنس بن شريق^(١) :

بجأواء ينفي وردّها سرعانها كأن وميض البرق فيها كواكب
الجأواء : الكتبية يضرب لونها إلى الكلفة وذلك من صداد الحديد ، والسرعان :
الأوتل ، يقول ان المياه لا تسعمهم والأمكنة تضيق بهم فكما نزل فرقة منهم رحل
من تقدمهم . وقال أوس بن حجر :

تري الأرض منا بالفضاء مريضة معضلة منا بجمع عرمرم
التعضيل ان ينشب الولد في بطن أمه . ومثله قول النابغة :
جمع يظل به الفضاء معضلاً^(٢) يدع الأكام كأنهن صمارى
وأعجب من هذا قول زيد الخيل^(٣) :

(١) لعنه الأخنس بن شهاب التغلبي الشجاع الجاهلي الذي حضر حرب البسوس
وقال فيها شعراً . (٢) عضل المكان تعضلاً ضاق ، والأرض بأهلها غصت .
(٣) لقب يزيد الخيل لكثرة خيله ، وهو زيد بن مهلب أحد أبطال الجاهلية
كان إذا ركب الفرس خطر في الأرض ، كان خطيباً شاعراً كريماً ،
وقد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد قومه طي . وأسلم ومُرَّ به الرسول ﷺ

بجيش تفضل البلق في حجراته . ترى الأكم فيه سُجْدًا للحوافر
وجمع كُتْل الليل مرتجس الوغى كثيرٌ تواليه سريعُ البوادرِ
أخبرنا أبو أحمد عن العيشي عن المبرد قال يروي عن حماد الراوية قال
قالت ليلى بنت غروة بن زيد الخيل لأبيها كم كانت خيل أهلك حيث يقول
* بجيش تفضل البلق في حجراته * قال ثلاثة أفراس أحدها فرسه .

قالوا وقتلت خشم رجلاً من بني سليم بن منصور فقالت أخته ترميه :
لعمري وما عمري على بهين لنعم الفتى غادتم آل خشم
وكن إذا ما أورد الخيل يثشة^(١) إلى جنب اشراج أناخ فالجما
فأرساها رهوا كأن رعاها جراد زهته ريج نجد فأتها
فقبل لها كم كانت خيل أخيك قالت اللهم لا أعرف إلا فرسه . قوله « تفضل
البلق في حجراته » غاية في صفة الكثرة لأن البلق مشاهد فإذا خفي مكانها
في جمع فليس وراءه في الكثرة شيء ، والعرب تقول أشهر من فارس الأبلق ،
ورؤساء العرب لا يركبون البلق في الحرب لثلاثهم فيقصدوا بشر .

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي هبيرة أن
النبي ﷺ لما انصرف من بدر الموعد لم يلق كيداً وأصحابه سبعةون راكباً
وفيهم فرسان فرس الزبير وفرس للعقدا^(٢) قال حسان بن ثابت :

أقمنا على الرس^(٣) النزوع^(٤) لياليا بأعن جرار عريض المبارك
ترى العرفج الحولي^(٥) تزدى أصوله مناسم أخفاف المطى الرواتك
إذا ارتحلوا عن منزل خلت أنه قريب المدى بالموسم المتجارك
نسیرُ فلا تنجو اليعافير وسطنا وان دأمت منا بشد مواشك

(١) يثشة : بلد . (٢) كان هذا في بدر الأولى لا بدر الثانية .

(٣) في ديوان حسان « النزيع » وكلاهما جائز .

(٤) في الديوان « العاصي » وكذلك في بعض الالفاظ اختلاف .

دعوا فلبجات الشام قد حال دونها ضراب كأفواه المظي الأوارك
 بأيدي رجال هاجروا فحورهم وأنصاره حقاً وأيدي الملائك
 إذا أقبل الغضروط من أرض مالج فقولا له ليس الطريق هنالك
 ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ويضحك . ومثل هذا في ترهيب
 العدو حسن . وقال أبو دغفل بن شداد الكلابي في المعنى الذي تقدم :
 وأقبل طمر من لبن سيرا إلينا ثم أقسم لا يديم
 بجمع تهلك البقاء فيه فتشد والمفضضة اللطيم
 ومن بليغ ما قاله محدث في كثرة الجيش وتكاثفه واجتماعه قول أبي نواس :
 امام خميس أدجوان كأنه قميص محوك من قنا وجياد
 الأدجوان : الأسود واشتقاقه من الدجي ، وروى الارجوان وهو الأحمر
 وقال البحتري :

لما أتاك يقود جيشاً أرعنا بمشى عليه كثافة وجوعا
 وقال ابن الرومي :
 فلو حصبتهم بالنضاء سحابة لفل عليهم حصبها يتدحرج
 وهو من قول قيس بن الخطيم :
 لو أنك تلقى حنظلاً فوق بيضنا تدحرج عن ذى سامة المستقارب
 السام : عرق الذهب والفضة وهو ههنا الطرائق المذهبة في البيض . وقلت :
 ولقد تقود الخيل نخطر بالقنا فتصبن على العدى آجالا
 ما إن يلين لها مدى فتخالها تجرى بطاء إذ جرّين عجالا
 وقال أبو عمرو بن العلاء أحسن ما قيل في صفة جيش قول النابغة :
 أوزيروا مكفهرآ لا كفاء له كالليل يخلط أصراماً بأصرام
 تبدو كواكب الشمس طالمة نوراً بنور وإظلاماً بإظلام^(١)

(١) في ديوان النابغة الطبع اختلاف عما ورد هنا .

فذكر ذلك ليونس فقال أحسن منه قول العجاج :
 كأنها زهاؤه لمن جهر ليل ورز وغره إذا وغر
 سار برى من قبل العين فبخر

والأول أحسن عندي . ومن أجود ما قيل في صفة السوط قول الشعبي :
 أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال كان الشعبي إذا تحدث كأنه لم يسمع
 من غيره لحلاوة منطقه وعذوبة لفظه فتحدث يوماً فقال له رجل كن يجالسك
 يقال له حنيس : اتق الله ولا تكذب فقال له الشعبي ما أحوجك الى محذرج
 عظيم الثمرة لين المهزة أحد من مفرز عنقي الى عجب ذنب فيوضع على مثل ذلك
 منك فيكثر لك قصصاتك من غير جنل . قال وما هو بأبي أنت وأمي ؟ قال أمر
 لك فيه أدب ولنا فيه أرب . يعني السوط .

ومن أحسن ما وُصف به الرأس إذا حُمل على القناة قول مسلم :
 يويجمل الهام تيجان القنات بل : مأخوذ من قول جرير * تيجان كسرى وقبصرا :

ومن أجود ما قيل في المصلوب ما أنشدني بعض البصريين :
 أنظر اليه^(١) كأنه في جذعه لما توشح بالجبال ودُرعا
 رام رمى عن قوسه بمذلق وأراد صيحة رمية فتسما
 وهذا من أتم ما قيل فيه . ومن المستحسن فيه قول البحري :
 قترآه مُطرَداً^(٢) على أعواده مثل أطراد كواكب الجوزاء
 وقول ابن الرومي :

يلعبُ الدستبند^(٣) فرداً وان كان له شاغل عن الدستبند
 وقال مسلم بن الوليد :

(١) في الأصل «الي» . (٢) أي مستقيماً . (٣) مل الدستبند لعبة يأخذ

فيها الرجال أو النساء بعضهم بأيدي بعض ويرقصون ، وهذا يعديده ليرقص وحده .

كَأَنَّهُ شَلُو^(١) كَبَشٍ وَالْهَوَاءُ لَهُ تَنُورٌ شَاوِيَةٌ وَالْجُدْعُ سُفُودٌ^(٢)
 وَمَا يَجْرَى مَعَ ذَلِكَ مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو الْقَاسِمِ عَنِ الْمُتَدَلَّى عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَنْ
 الْمَدَائِنِيِّ قَالَ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ خُرَاسَانَ لَوْ كَيْفَ قَتَلْتَ ابْنَ خَازِمٍ؟ قَالَ لَمَّا صَرَعَ
 قَعَدْتُ عَلَى صَدْرِهِ فَحَاوَلْتُ الْقِيَامَ فَلَمْ يَقْدِرْ فَغَلَبْتُهُ بِفَضْلِ الْقَتْلِ وَقُلْتُ يَا ثَارَاتِ دُوبَلَةٍ
 فَقَالَ لَعَنَكَ اللَّهُ أَتَقْتُلُ كَبَشَ مُضَرٍّ بِأَخِيكَ عَلِيجَ لَا يَسَاوِيكَ كَفُّ نَوَى وَتَتَخَمُّ فِي
 وَجْهِهِ فَمَا رَأَيْتَ أَحَدًا أَكْثَرَ رِيْقًا مِنْهُ . فَذَكَرَ ابْنُ هُبَيْرَةَ يَوْمًا هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ
 هَلِ الْبَسَالَةُ إِلَّا أَنْ يَكْثَرَ الرِّيقُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ .

وَمِنْ جَيِّدِ مَا قِيلَ فِي طَرَائِقِ الدَّمِّ عَلَى الْمُطْعُونِ قَوْلُ أَبِي خَرَّاشٍ الْهَذَلِيِّ :
 وَنَهْنَهَتْ أُولَى الْقَوْمِ عَنِّي بِطَمْنَةٍ كَأَوْشَعَةِ الْعُذْرَاءِ ذَاتِ الْقَلَائِدِ
 أَوْشَعَةٌ جَمْعٌ وَشَاحٌ وَهُوَ سَيْرٌ كَأَنَّهُ شَرَاكٌ عَلَيْهِ وَدَعَّ فَشَبَهُ لَوْنُ الدَّمِّ
 بِالسَّيْرِ وَالزَّبْدُ بِالْوَدْعِ . وَمَا يَجْرَى مَعَ ذَلِكَ ذِكْرُ الْخَذَرِ مِنَ الْمُتَوَرِّقِ مَا قُلْتُ فِيهِ :
 لَا تَأْمَنَنَّ أَنَا الْمَدَاوَةَ إِنَّهُ إِنْ أَمَكَّتَهُ فُرْصَةٌ لَمْ يُهْمَلِ
 اللَّهُ دَرَكَكَ كَيْفَ تَأْمَنُ مُحَنَّقًا تَغْلِي عِدَاوَةً صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ
 مَا الْحَزْمُ إِلَّا فِي اجْتِنَاثِ أَصُولِهِ وَالْإِيْمُ^(٣) لَمْ يُؤْمَنْ إِذَا لَمْ يَقْتُلِ
 وَمِنْ الْجَيِّدِ مِمَّا قِيلَ فِي سَمَةِ الطَّعْنَةِ قَوْلُ بَشَرٍ :

إِذَا نَفَذْتَهُمْ كَرْتٍ عَلَيْهِمْ بَطْعَيْنِ مِثْلَ أَفْوَاهِ الْخَبُورِ^(٤)
 الْخَبِيرُ الْمَزَادَةُ وَالْجَمْعُ خَبُورٌ . وَقَالَ غَمْرُ بْنُ شَاسٍ^(٥) :

بَطْعَيْنِ كَأَيْزَاغِ^(٦) الْخَاضِ إِذَا نَقَتَ وَضَرْبِ كَأَفْوَاهِ الْمَفْرَجَةِ الْهَذَلِ
 شَبَهُ اللَّحْمِ الَّذِي يَتَدَلَّى مِنْ فَمِ الْجَرْحِ بِمِشْفَرِ الْبَعِيرِ الَّذِي بِهِ قُرُوحٌ فِي فَمِهِ

(١) الشلو : المساوخ . (٢) السفود كتنور : الحديدة التي يشوي بها .

(٣) الإيْم : الثعبان . (٤) الخبور : القرب .

(٥) هو الشاعر الجاهلي الاسدي ، شهد القادسية في الاسلام ، وله أشعار فيها .

(٦) إيزاغها أن ترفع ذيلها وتقذف بشيء من حياها على سائقها .

فيهدل لما مشفره . وقال عمرو بن شاس أيضاً :
 وأسيفنا آثارهن كأنها مشافر قرحى في مباركها هـدل
 وقال غيره :

بضرب كاذان الفراء فضوله وطن كازاغ الخاض تبورها
 الفراء جمع الفراء وهو حمار الوحش . وقال خلف الأحمر :
 وأطمن الشجاسة المشلثة على غشاش دَهِش وعجله
 يرد في نحر الطيب فثله

أى يسح الدم، ويشلثله : يفرقه . وقال خدّاش بن زهير^(١) :
 وطعنة خلّس كفرع الأزاء^(٢) أفرغ في مشعب الحائر
 نهال الموائد من فرغها^(٣) ترد السبار على السابر
 السبار الشيء الذى تسبر به الطعنة أى تقدر والسابر الذى يسبرها ، والحائر
 المطمئن من الأرض المرتفع الحروف والجمع حوران ، والمثعب مسيل الماء .

هذا آخر صفة الحرب والسلاح وما يجرى معهما ، والحمد لله حق حمده
 وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين وعلى الخلفاء الراشدين .

(١) شاعر جاهلي من أشرف بني عامر وشجعانهم ، أكثر شعره في الحماسة والفخر .
 (٢) هو منفذ الماء إلى الخوض . (٣) أى أن من يمدنه في مرضه يهولن فرغ الضربة .
 (١٠ — ثانى المعاني)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قسم البيان بين القلم واللسان لتكون النعمة فيه مشتركة بين الغائب والحاضر والمقيم والمسافر أعاناً للنعمة على عباده وإكلاً للعارفة في عمارة بلاده ودل على موضع الصنعة في البيان ونبه على موضع العارفة في اللسان حيث يقول تعالى (الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) وأخبر عن عظيم قدر القلم وما تضمن من سوابغ النعم حيث يقول تعالى (إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) وأعلى قدره وفخم أمره حين أقسم به على أجل أمر وأنبأه وأشرفه وأفضله فقال (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) فسبحان من جعل جلائل النعم وسوابغ الآلاء والقسم في شخص ضئيل وقد قصير تقل قيسته وتصغر قسوته مع جلالة شأنه وعلو مكانه .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفة الخط والقلم والدواة والقرطاس ، وذكر البلاغة

وما يجرى مع ذلك ، وهو :

﴿ الباب التاسع من كتاب ديوان المعاني وهو ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في ذكر الخط والقلم والدواة والقرطاس وما يسلك مع ذلك

من أحسن الاستعارة في ذكر الخط قول عبيد الله بن العباس بن الحسن

العلوى الخط لسان اليد . وقال جعفر بن يحيى : الخط سمط الحكمة به يفصل
شذورها وينظم منشورها . وقلت في معناه :

الكتبُ عقلُ شوارِدِ الكلام . والخطُ خيطُ فرائدِ الحكم
بالخطِ نُظْمٌ كلُّ متثرٍ منها وفصلٌ كلُّ مُنتظم
والسيفُ وهو بحيثُ تعرفهُ فرضٌ عليه عبادةُ القلم
واختلافُ الناسُ في الخط واللفظ فقال بعضهم الخط أفضل من اللفظ لأن
اللفظ يُفهم الحاضر والخط يُفهم الحاضر والغائب . وقال بعضهم الخط كلامٌ
ميت والمحاط به حي يُمكن صاحبه أن يُبصره حتى يبلغ منه غرضه .
ومن أعاجيب الخط كثرة اختلافه والأصل واحدٌ كاختلاف صور الناس مع
اجتماعهم في الصفة وخط الإنسان كحليته وفته في الزوم له والدلالة عليه والاضافة اليه
كاضافة القافة الآثار الى أصحابها .

ومن أحسن ما قيل في حسن الخط والشكل قول أحمد بن إسماعيل :
مستودعٌ قرطاسه حكا كالروضِ مبرزٍ بينه زهرة
وكانَ أحرفَ خطه شجرٌ والشكلُ في أضافه ثمره
ووصف أحمد بن صالح جاريةً كاتبةً فقال كان خطها أشكال صورتها وكان
مدادها سواد شعرها وكان قرطاسها أديم وجهها وكان قلبها بعض أناملها وكان
بيانها منحرٌ مُقلتها وكان سكينها سيفٌ لحظها وكان مقطعها قلب عاشقها .
وقلت : وخط من التصحيح فيه معالمٌ من الحسن إذ يبدو عليه سببٌ
يُعبّرُ عنه الروضُ وهو مُنعمٌ ويخبرُ عنه الوشي وهو قشيبٌ
سوادٌ مدادٌ في بياض صحيفة يقول شبابٌ بالمشيب مشوبٌ
كانَ ظلامَ الليلِ آخرى دموعه فظلت على خد الصباح تصوب

ومن غريب ما قيل في الشكل ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدنا الصولي قال
أنشدني عبد الله بن المعتز لنفسه :

فدو نكته مؤشئ نمنته
 بشكل يؤمن الاشكال فيه
 وقلت : يياض صحيفة تلتاح حسناً
 كقيم رق في أطراف جو
 ويحكى أرض كافور صريح
 كمثل الليل في صبح صديق
 وبين سطورهم عجم^(١) صيب
 وحاكته الأنامل أى حوك
 كأن سطورهم أغصان شوك
 كتين السيف في كف المليح
 وماء ساح في قاع فسيح
 بها تبتذ من المسك الذريح
 ومثل الصديق في وجه صبيح
 كمثل الخلال في الخلد المليح

وأحسن ما قيل في صفة الخط الجيد ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولي
 قال مثل بعض الكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصف بالجودة فقال : إذا
 اعتدلت أقسامه وطالت ألفه ولامه واستقامت سطورهم وضاهى صعوده حذوره
 وتفتح عيونهم ولم تشبه راؤه ونونه وأشرق قرطاسه وأظلمت أنقاسه^(٢) ولم تختلف
 أجناسه وأسرع في العيون تصوره وإلى العقول ثمره وقدرت فصوله واندمجت
 وصوله وتناسب دقيقه وجليله وخرج عن نمط الوراقين وبعده عن تصنع المحررين
 وقام لكاتبه مقام النسبة والحلية كان حينئذ كما قيل في صفة الخط :

إذا ما تجلّل قرطاسه وساوره القلم الأرقش
 تضمن من خطه حلة كمثل الدنانير أو أنقش
 حروفاً بعيد العين الكليل نشاطاً وقرؤها لاخفش

ومن هنا أخذ المتنبي قوله :

أنا الذي نظرت الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماني من به صمم
 إلا أنه أحسن الأخذ وأجاد اللفظ . ومن مليح التشبيه قول الأعرابي وقد قال له
 هشام بن عبد الملك أنظر كم على هذا الميل من عدد الأميال، ولم يكن الأعرابي

(١) المعجم : النقط. (٢) النفس بالكسر : المداد ج أنقاس .

يحسنُ القراءة فنفى فنظر ثم ماد فقال رأيتُ شيئاً كرأس المحجن مُتصلاً بمحاقة صغيرة تتبعها ثلاث كاظباء الكلبة ينفى الى هنة كائنها قطاة بلا منقار . ففهم هشام بالصفة أنها « خمسة »^(١) .

أخبرنا أبو أحمد عن الصُّولي عن أبي العباس الرُّبى عن الطلحي عن أحمد ابن ابراهيم قال دخل اعرابيُّ الى الرشيد فأنشده أرجوزةً واسمها بكتب بين يديه كتاباً وكن أحسن الناس خطاً وأسرعهم بدءاً وخاطراً فقال الرشيد للاعرابي صف هذا الكاتب فقال مارأيت أطيش من قلعه ولا أثبت من كلمه ثم قال ارتجالاً :

رقيقٌ حواشي الحلم حين تَبورُهُ بريك الهوينا والأُمورُ تطيرُ
له قلمٌ يؤمى ونُعى كلاهما سعابتهُ في الحالتين درُورُ
يناجيك عما في ضميرك لحظةً ويفتحُ بابَ الأمر وهو عسيرُ

فقال الرشيد قد وجب لك يا اعرابي حق عليه هو يفضيك إياه وحق علينا فيه نحنُ نقومُ به ، ادفنوا اليه دية الحرِّ ، فقال اسماعيلُ وله على عبدك دية العبد . قوله « رقيق حواشي الحلم » ردىء لانَّ الحلم يُوصفُ بالرزانة لا بالركة ، واستعمل أبو تام هذا اللفظ فيصيب به . وقوله « بريك الهوينا والأُمور تطير » رويناه لمنصور النرى .

وقاخر صاحبُ قلم صاحبَ سيف فقال صاحبُ القلم أنا أقتل بلاغرر وأنت تقتل على غرر . قال صاحبُ السيف القلمُ خادمُ السيف ان بلغ مراده وإلا قال السيف معاده أما سمعت قول أبي تام :

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتبِ في حدِّهِ الحدُّ بين الجدِّ واللعبِ

وأبي ذلك ابن الرومي فقال :

كذا قضى الله للأعلامِ مِيزَ بُرَيْتِ انَّ السِّبوفَ لها مِزَ أرهفتِ خديمِ

(١) كانت مكتوبة بالحروف فرأس المحجن الخاء والحلقة الصغيرة الميم .

وقال أيضاً :

لعمرك ما السيفُ سيفُ الكميِّ له شاهدٌ إنْ تأملتَهُ
أداةُ المنيةِ في جانبيه سينانُ المنيةِ في جانبِ
ألم ترَّ في صدرِهِ كالسنانِ وقد أحسن الخالدي في قوله :

ففي كَفٍّ لَيْثٍ الْوَرَى لِلنَّدَى وقلت : أَيْتُ بِاللَّيْلِ غَرِيبَ الْكُرَى
وَقِيمُ الْحِكْمَةِ فِي أَعْمَلَى أَنفُ ضَمِيرِي حِينَ أَرَعَفْتُهُ
أَفْرَغُ مَا اسْتَوْعَبَهُ الْقَلْبُ لِسَانُ كَيْفِي حِينَ أَنْطَقْتُهُ
أَرْضَاكَ مِنْهُ الْمَنْطِقُ الْعَذْبُ مُنْحَفٌ فِي خَلْقِهِ ذَابِلٌ
مُعْظَمٌ فِي فِعْلِهِ تَدْبُ إِنْ لَمْ يَكُنْ كَالْمَعْضَبِ فِي حَدِّهِ
فَاتَهُ فِي فِعْلِهِ عَضْبُ يَنْكَسُهُ الْمَرْءُ فَيَعْلُو بِهِ
وَرُبُّ نَفْسٍ غِيْبُهُ نَصْبُ وَمَنْدُ عَرَفْنَا لَذَّةَ الْعَيْلِ لَا

وقال البحتري في تفضيل السيف على القلم :

ولما التقت أقلامكم وسيوفهم أبدت بُغَاثَ الطيرِ زُرْقُ الْجَوَارِحِ
فلا غرَّتني من بعدكم عزُّ كاتبٍ إذا هو لم يأخذ بمحجزة رَامِحِ
ومن أحسن ما وصِفَ به القلمُ قول أبي تمام في محمد بن عبد الملك الزيات :
لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشِبَابَتِهِ تُنَالُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِيِّ وَالْمُفَاصِلِ
لِعَابُ الْأَقَاعِي الْقَاتِلَاتِ لِعَابِهِ وَأَرَى جَنَى شَارَتِهِ أَيْدِ عَوَاسِلِ
لَهُ رِبْقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنْ وَقَعَهَا بَأْتَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلِ

فصبح^١ إذا استنطقته وهو راكب^٢ وأعجم^٣ إن خاطبته وهو راجل^٤
 إذا ما امتطى الخس اللطاف وأفرغت^٥ عليه شهاب^٦ الفكر وهي حوافل
 أطاعته أطراف الرياح وقوضت^٧ . لنجواه تقويض الخيام الجحافل
 إذا استغزر الدهن الذكي وأقبلت^٨ أعاليه في القرطاس وهي أسافل
 وقد رقدته الخنصران^٩ وسددت^{١٠} ثلاث^{١١} نواحيه الثلاث^{١٢} الأنامل
 رأيت جليلا شأنه وهو مرهف^{١٣} ضنى^{١٤} ومجينا خطبه وهو ناحل
 وقد أحسن القائل في تشبيه أنامل الكاتب على القلم بالقلم أنشدناه أبو أحمد
 عن الصولي عن أحمد بن محمد بن إسحق :

ماضر من أخنى بهجرانه قلب^{١٥} كئيب القلب حر^{١٦} انه
 لو فرج^{١٧} الكربة عن مدنف^{١٨} تشفه^{١٩} لوعة^{٢٠} أحزانه
 بريقة^{٢١} ينظمها كفه نظم^{٢٢} لآله ومرجانه
 بمرهف^{٢٣} الأحشاء ذى حلة^{٢٤} موشية^{٢٥} ترفع^{٢٦} من شأنه
 لعابه^{٢٧} يسر^{٢٨} وعسر^{٢٩} اذا جاد^{٣٠} به تغليج^{٣١} أسنانه
 إذا امتطاه بشيباهه^{٣٢} كشف^{٣٣} أسراراً باعلانه
 يركض في ميدان قرطاسه ركض^{٣٤} جواد وسط ميدانه
 وأحسن القصار في هذا المعنى يصف جارية كاتبة اسمها علم :

أفدى البنان وحسن الخط من علم^{٣٥} إذا تقممن بالخناء والختم^{٣٦}
 حتى إذا قابلت قرطاسها يدها ترى ثلاثة أقلام على قسمل
 ومن أحسن ما قيل في الدواة والأقلام قول أحمد بن اسماعيل :

في كفه مثل سنان الصعده أرقش^{٣٧} بز^{٣٨} الأفعوان^{٣٩} جلده
 يلهم^{٤٠} الجيش^{٤١} الأسهم^{٤٢} وحده لو صادم^{٤٣} الطود^{٤٤} المنيف^{٤٥} هده
 لو صافح^{٤٦} السيف^{٤٧} الحسام^{٤٨} قدده يأوى^{٤٩} الى ظئر^{٥٠} له^{٥١} محتدده^{٥٢}

(١) في الأصل « امتطاه شبيهاً به » . (٢) نبت يخط بالخناء، وإذا طيخ صار مدادا .

يُمَزَجُ فِيهَا صَبْرٌ بِشُهدِهِ يُرَضُّهَا مِنْ مَقْلَةٍ مُسَوْدَةٍ
يَمُدُّهَا جَارٍ كَثِيفِ الْعُدَّةِ كَأَنَّهُ اللَّيْلُ إِذَا اسْتَمَدَّهُ
مُقْلَتُهَا مَكْحُولَةٌ بِنَدِّهِ

وقلت في القلم :

أَنْظُرْ إِلَى قَلَمٍ تَتَكَسَّرُ رَأْسُهُ أَنْظُرْ إِلَى مَخْلَابٍ لَبِثٍ ضَيِّعٍ
يَسْدُو لَنَاظِرِهِ بِلَوْنٍ أَصْفَرٍ قَالِدُ رُجٍّ أَيْضٌ مِثْلُ خَدٍّ وَاضِحٍ
قَسَمَ الْعَطَايَا وَالْمَنَاسِبَا فِي الْوَرَى طَعْمَاتٍ شَوْبُ حَلَاوَةٍ بِمِرَارَةٍ
فَإِذَا نَصَرَفَ فِي يَدَيْكَ عِثَانُهُ وَفِي الْمَذَلَّاتِ بِمُحَرِّزٍ وَلَرَبَّمَا
وَقَلْتُ : لَكَ الْقَلَمُ الْجَارِي يَبْؤُسُ وَأَنْصَمُ إِذَا مَلَأَ الْقُرْطَاسُ سُودَ سَطُورِهِ
فَتَلُكُ جَنَانٌ تَجْتَنِي ثَمَرَاتُهَا وَهِيَ بَرُودٌ مَالِهِنٌ مَنَاسِجٌ
وَهِيَ حَيَاةٌ لِلْوَلَى رَضِيَّةٌ فَتُنْجِي بَوَادِ تَرْجِي وَعَوَائِدُ
فَتَلُكُ أَسْوَدٌ تُتَقَى وَأَسَاوِدُ وَيَلْقَاكَ مِنْ أَنْفَاسِهِنَّ بَوَارِدُ
وَهِيَ عَقُودٌ مَالِهِنٌ مَعَارِقِدُ وَهِيَ خَوْفٌ لِلْعَدُوِّ رَوَاصِدُ

وَأَنشَدَنَا أَبُو أَحْمَدَ قَالَ أَنشَدَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ الْفَضْلِ الطَّائِيُّ قَالَ

أَنشَدَنِي أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ أَبِي الْبَغْلِ :

لَهُمْ هِمَمٌ تُنَاطُ إِلَى الثَّرْيَا وَتَحْكُمُ فِي الطَّرِيفِ وَفِي الثَّلَادِ
وَأَقْلَامٌ تُشَبِّهُا سُيُوفًا مُهَنَّدَةٌ هَوَادِي فِي الْهَوَادِي

(١) فِي الْأَصْلِ « شُهدِهِ » بضم الشين وهو سائح فقد جاء في القاموس

« الشهد بالفتح ويضم » .

يُخِطُّ بِهَا سَوَادٌ فِي يَاضٍ فَحَسْبُهُ يَاضًا فِي سَوَادٍ
 إِذَا فَرَعَ الصَّرِيخُ أَمْدَحِيلًا بِخَيْلٍ تَسْتَنَارُ مِنَ الْمَدَادِ
 وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي وَصْفِ الْكِتَابِ حَيْثُ يَقُولُ :

مَتَمَنَّقٌ مِنْ جِلْدِهِ مَتَخَمٌّ مِنْ خَصَرِهِ
 أَبَدًا تَرَاهُ وَصَدْرُهُ فِي بَطْنِهِ أَوْ ظَهْرُهُ

وَقَالَ ابْنُ الْمُتَزِيدِ كَرِ الْأَرْضَةَ أَكَلْتَ كِتَابًا :

شَغَلِي إِذَا مَا كُنَّ لِلنَّاسِ شُغْلُ دَفَقْتُ قَلْبِي أَوْ حَدِيثُ أَوْ غَزَلُ
 أَرْقَطُ نَوَلُونِ كَشِيبِ الْمَكْتَهْلِ تَحَالُهُ مَكْتَحِلًا وَمَا كَتَحَلُ
 رَاكِبٌ كَفَّ أَيْنَ مَا شَاءَ رَحَلُ وَهُوَ دَلِيلٌ لِمَقَالٍ أَوْ عَمَلِ
 يَقِيمُ وَزْنَ الْعَقْلِ حَتَّى يَسْتَلِ وَيُذَكِّرُ النَّامِيَ مَا كَانَ أَضَلُ
 كَأَنَّهُ يَنْشُرُ عَنْ نَقْشِ حُلِّ يَخَاطِبُ اللَّحْظَ بِنَاطِقٍ لَا يَكُلُ
 وَلَا يَمْلُ صَاحِبًا حَتَّى يَمْلُ

ثُمَّ قَالَ فِي وَصْفِ الْأَرْضَةِ : تَأْكُلُ أَثْمَارَ الْقُلُوبِ لَا أَكُلُ * وَكَتَبَ الصَّاحِبُ
 فِي وَصْفِ كِتَابِهِ : وَصَلَ كِتَابُكَ فَجَعَلْتَ يَوْمَ وَصُولِهِ عِيدًا أَوْ رُخً بِهِ أَيَّامٌ بِهِجَتِي
 وَأَفْتَحْتَ بِهِ مَوَاقِيتَ غِبْطِي وَعَرَفْتَ مِنْ خَيْرِ سَلَامَتِكَ مَا سَأَلْتَ اللَّهُ الْكَرِيمُ أَنْ
 يَصِلَهُ بِالْإِدْوَامِ وَيَرْفَعَهُ عَلَى أَيْدِي الْأَيَّامِ . وَكَتَبَ أَيْضًا : وَصَلَ كِتَابُهُ أَيْدِي اللَّهِ بِضَحْكَ
 عَنْ أَخْلَاقِهِ الْأَرْجَةِ وَيَتَهَلَّلُ عَنْ عَشْرَتِهِ الْبَهْجَةِ وَيُنْجِرُ عَنْ عَارِيَةِ اللَّهِ إِيَّاهُ عَمَّا رَأَيْتَ
 شَمَلَ الْحَرِيَّةِ بِهِ مَنَظْمًا وَشَعْبَ الْمَرْوَةِ لَهُ مَلْتَمًا وَيَتَحَمَّلُ مِنْ أَنْوَاعِ بَرِّهِ مَا أَقْصَرَ عَنْ
 ذِكْرِهِ وَلَا أَطْمَعُ فِي شُكْرِهِ وَيُؤَدِّي مِنْ لَطِيفِ اعْتِنَاؤِهِ فِي أَتْنَاءِ عَتَبِهِ مَا تَزْدَادُ بِهِ
 أَسْبَابَ السَّرُورِ تَمَهْدًا . وَقُلْتُ فِي كِتَابِ أَكَلْتُهُ الْأَرْضَةَ :

وَجَلِيسُ حَسَنٍ الْمُحْضَرِ مَأْمُونُ الْمَغِيبِ
 مَيْتٌ يُخْبِرُ حَيًّا بِخَفِيَّاتِ الْغُيُوبِ
 أَبْلَهُ غَيْرُ لَيْبٍ وَهُوَ فِي حَالِ الْيَبِ

جاهلٌ غيرٌ أديبٍ وهو عوفٌ للأدب
 أخرسٌ غيرٌ خطيبٍ وله لفظٌ الخطيب
 مدحهم ينظم شعراً مثل إقبال الحبيب
 ساكتٌ يروي حديثاً مثل إعراض الرقيب
 ناقة الكف حتى هو كالوشى القشيب
 من سواد وياض كشباب ومشيب
 فيه إمتاع لأبصارٍ وأنسٌ للقلوب
 دبٌ فيهن ديبٌ كلن من شر الديب
 من صغيراتِ جُومٍ وكبيراتِ الذنوب
 أخنت منها نصيباً قالتوى منها نصيب
 أفرحت قلباً جهولٍ وكوت قلباً لبيب
 ويل هاتيك الممانى من بديع وغريب
 وأفانين كلامٍ بين سهل وصايب
 من بديع وفصيحٍ وصحيحٍ ومُصيب
 بُدِّلَ الإصلاحُ منهم من بفسادٍ عجيب
 فنجومُ العلم والفهم تهاوت للفرّوب
 كل شيء سوف يفتى عن بعيدٍ وقريب

ومن بديع ما وُصف به الوراق ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى
 عن أحمد بن يزيد المري عن أبي هفان قال سألت ورّاقاً عن حاله فقال :
 عيشى أضيق من محبرة وجسى أدق من مسطرة ، وجاهى أرق من الزجاج
 وحظى أخفى من شق القلم ويدي أضعف من قصبه وطمايى أمر من العفص وشرابى أسود من
 الخبر وسوء الحال ألزم لى من الصمغ . فقلت عبرت عن بلاءٍ يبلاء فحسبك .
 وقلت في الخبر قوا الاقلام :

منهلة من أشرف المناهل تضمن رى الصفر الذوايل
مركبها فوائب الأناهل إذا مشى عالية الأسافل
بكت على الطرس بدمع هامل قارتبطت شوارد المسائل
وكشفت عن غرر الدلائل ييضاء تبدو في لباس التاكل
لكنها تلبسه من داخل

ونما لا أعرف في معناه خيراً منه قول كشاجم الكاتب^(١) :
لا أحب الدواء تحشى براعاً هي عندي من الدواء معيه
قلم واحد وجودة خط فلذا زدت فاستزد أنوبه
هذه قعدة الشجاع عليها أبداً سيره وتلك جنيبه
ومن البديع الظريف قول أحمد بن إسماعيل :

كأنما النفس إذا استمدت غالية مذوقة بنده
ونتن الكرسف^(٢) مما يُعاب به . ومن البديع المشهور ما أنشدناه أبو
أحمد عن الصولي عن أحمد بن إسماعيل للحسن بن وهب^(٣) :
مداد مثل خافية الغراب وأقلام كرهفة الحراب
وقرطاس كقرقراق السراب وألفاظ كأيام الشباب
وقلت : أكثر ما تُثبته الأقلام لم نسع في زواله الأيام
بالك من خرس لها كلام موتى إليها النقض والابرأ

(١) هو أحد فحول الشعراء ، قيل إن لقبه هذا منحوت من عدة علوم كان يتقنها : قال كافمن كاتب والشين من شاعر والألف من أديب والجيم من الجنل والميم من المنطق : ثم طلب علم الطب فمهر فيه فزيد في اسمه طاء من طبيب فقيل طكشاجم ولكنه لم يشتهر . كان من شعراء عبد الله به حمدان والد سيف الدولة .
(٢) الكرسف : القطن ومنه كرسف الدواء .
(٣) كان معاصراً لآبي تمام وهو من الشعراء الوجهاء ، لاملت رثاء البحري .

قِوَامٌ مجَّد ماله قِوَامٌ نِظَامٌ ملكِ خانهِ النِظَامُ
أصاغرُ شُؤنها العِظَامُ

ومن المختار في معناه قول الآخر :

إِنَّمَا الزعفرانُ عطرُ العذارى وسوادُ الدُّرَى عطرُ الرجال

وقلت في سكين :

أنجاز وعدك في السكينِ مكرمةٌ غراء فضلك فيها غيرُ مجحودِ

أحسنُ بهِ أزرقاً في أبيضٍ يَبْقَى لمناطق من يبيض ومن سودِ

خلف الوعيدِ حميدٌ لا يذمُّ بهِ ولم يكن خلف موعود بمحمودِ

وكتب كافي الكفاة في ذم قلم فأبدع : وليس العجب إلا من قلم منيت به

لا يستقر إذا تأنيت ولا يستمر إذا جريت طوله عرض وإبرامه نقض تستغيث

الحروف من التوائه وتستأنس السطور من استوائه ان قلت سر وقف وان

حشنته بالانامل قطف فالفاظي في سنيه مأشورة ومعاني في شقيه محصورة وقد

صبرت عليه ألبسه مع سوء عشرته وأستمنحه مع فضل عشرته وأقول لعله يصلح

بطول المداراة وعساه ينجح بكثرة المناواة وهو يزداد نفاراً ويتضاعف زائلاً وعثاراً .

ومما يدخل في هذا الباب قول كشاجم في غلام رآه يكتب ويخطى فيمحو

ما يخطه بريقه وهو :

ورأيتُ في الطرسِ يكتبُ مرةً غلطاً يواصلُ محوهُ برُضايهِ

فوددتُ أني في يديهِ صحيفةٌ وودتُهُ لا يهتدي لصوابهِ

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدي

ابن سابق قال رأى المأمون في يد جارية له قلماً وكان ذا شغف بها واسمها منصف فقال :

أراني منحتُ الودَّ من ليس يعرفُ فما أنصفتني في المحبةِ مُنصفُ

وزادتُ لدى حظوةٍ يومَ أعرضت وفي أصبحها أسمرُ اللونِ أهيفُ

أصمُّ سميعٌ ما كنُّ متحركٌ ينالُ جسياتِ المدى وهو أعجفُ

عجبتُ له أنى ودهرك معجبٌ يُقومُ تحريفَ العبادِ مُحرفٌ
وكتبُ الصاحبُ أبو القسمِ في وصفِ كتابٍ : ومن هذا الذى لا يحبُّ أن يواصل
علمَ الفضلِ وواسطةَ الدهرِ وقرارةَ الأدبِ والعلمِ ومجمعَ الدوايقِ والفهمِ أم من لا يرغب
فى مكاثرةٍ من ينتسبُ الربيعُ إلى خلقه ويكتسبُ محاسنَه من طبعه ويتوشح
بأنوار لفظه ويتوضح بآثار لسانه ويده ، ووصل كتابه فارتحتُ لعنوانه قبل عيانه
حتى إذا فضضتُ ختامَه أقبلتُ الفكرةُ تسكاراً والذُررُ تنثاراً والغُررُ تترامُ
والنُّكتُ تتزاحمُ فإذا حكمتُ للفظه بالسبقِ أنتَ أختها تنافسُ وأقبلتُ لدتها
تفاخر حتى استعفيتُ من الحكومةِ ونفضتُ يدي من غبار الخصومةِ وأخذتُ
أقولُ كأنك صوادِرٌ عن أصولٍ بل أصلٌ واحدٌ فتسالمن ونواقِدٌ عن معدنٍ فاردٍ
فتصالحن وقد وليتُ النظرَ بينها من كمل لتسج برودها ووفى بنظم هُجودها .
ومثل ما تقدم من قوله فى ذم القلم قوله أيضاً : على أنى يامولاي أنشأتُ هذه
الأحرفَ وحولى أعمالٌ وأشغالٌ لا يسلمُ معها فكرٌ ولا يسبحُ بينها طبعٌ وتناولتُ
قلماً كالابنِ العاقِ بل المدوِ المشاقِ فإذا أدركته استطال وإذا قومته مال وإذا حشيتُه
وقف وإذا أوقفته انحدر أجبلُ الشقِ مضطربُ الشقِ متفاوتُ البريِ معدومُ
الجرى مُحرفٌ القطِ مشيجُ الخطِ ثم رأيتُ الدُّولَ عنه ضرباً من الانتيادِ لأمره
والانخراطِ فى سلكه فجهدته على رغبه وكددته على صغره لاجرم أن جنابة
اللجاجِ بادية على صفحاتِ الحروفِ لا تخفى وطادية المحكِ لائمةٌ على وجوه تتجلى .
وكتبتُ فى وصفِ كتابٍ : والله أعلم أنى أخبرتُ بورود كتابه فاستغزنى
الفرحُ قبل رؤيته وهزَّ عطفى المرحُ قبل مشاهدته فما أدري أسمعتُ بورود كتاب
أم ظفرتُ برجوعِ شبابٍ ثم وصل بعد انتظار له شديد وتطلع إلى ورودهِ طویل
عريض فتأملته فلم أدرك ما تأمات أخطأ مسطوراً أم روضاً ممطوراً أم كلاماً منشوراً أم
وشياً منشوراً ولم أدرك ما أبصرتُ فى أثنائه آياتِ شعرٍ أم عُقُودُ دُرٍّ ولم أدرك
ما حملته أغبثُ حل بوادِ ظلمانٍ أم غوثُ سيقٍ إلى لَهْيانٍ .

وكتب صاحب : ووصل كتاب القاضى فأعظمت قدر النعمة في مطالعه
وأجلت محل الموهبة بموقعه وفضضته عن السحر الحلال والماء الزلال وسرحت
الطرف منه في رياض رقت حواشيها وحلل تأنيق واشيها فلم أتجاوز فصلا إلا
الى أخضر منه فضلا ولم أتخط سطرا إلا إلى أحسن منه نظما وثرأ .
ورفع رَجُلٌ إلى محمد بن عبد الله بن طاهر قصةً يستتر فيها فرأى خطه رديئاً
فوقع : قد أردنا قبُولَ عذرك فاقطعنا دونه ما قابلنا من قببح خطك ولو كنتَ
صادقاً في اعتذارك لساعدتك حركة يديك أو ما علمت أن حسن الخط يُناضلُ
عن صاحبه بوضوح الحجّة ويمكن له درك البغية .
وقال على رضى الله عنه : الخطُّ الحسنُ يزيد الحق وضوحاً .
وقيل : حسن الخط إحدى البلاغتين .

ووصف الجاحظ الكتاب فقال : الكتاب وِفاءٌ مُبلىٌ علماً وظرفٌ حشِيٌّ
ظرفاً^(١) وإناء شحِنٌ مُزاحاً^(٢) وجداً ان شئتَ كلن أئين من سحبان وائل وان شئتَ
كان أعيا من باقل وان شئتَ ضعكت من نواجره وان شئتَ شجنتك مواعظه
ومن لك بواعظٍ ملهٍ وبزاجرٍ مغرٍ وبِناسِكٍ فاتكٍ وبناطِقٍ أخرسٍ وبياردٍ حارٍ
ومن لك بطبيبٍ أعرابى وبروى هندى وقارسى يونانى وبقديم مولدٍ وبميتٍ
مُمتنعٍ ومن لك بشيءٍ يجمع الأول والآخِر والناقص والوافر والشاهد والغائب
والرفيع والوضيع والغث والسمين والشكل والمثل وخلافه والجنس وضده .
ودخل المأمونُ على بعض بنيهِ فوجدهُ ينتظر في كتابٍ فقال يا بُنى ما في
كتابك ؟ قال بعضُ ما يشغذ الدهن ويؤنس الوحدة . فقال الحمد لله الذى رزقنى
ولداً يرى بعين عقله أكثر مما يرى بعين جسده وظلّ مفكراً في قول ولده الطفل .

(١) الظرف بفتح الظاء بمعنى الظرافة ، ويضم بعضهم الظاء وهو غلط .

(٢) المزاح بضم الميم : الاسم من المزح .

﴿ الفصل الثاني من الباب التاسع ﴾

في ذكر البلاغة

قال بعض الحكماء : البلاغة قول تضطر العقول إلى فهمه ، قال الشيخ أبو هلال
يعني قولاً واضح المعنى غير مُشكل المفزى . وسأل معاوية عمرو بن العاص من
أبلغ الناس ؟ قال من اقتصر على الإيجاز وترك الفضول . وليس يصلح الإيجاز في
كل مكان كما لا تصلح الاطالة في كل أوان بل لكل واحد منهما حينٌ يحسن فيه
ومقام يليق به ان أزله عنه لم توفه حقه ولم تسلك به طريقه . وقال محمد الأمين
عليكم بالإيجاز فان للإيجاز افهاماً وللإطالة استنباهاً . أي عليكم بالإيجاز فيما كن
الإيجاز فيه أحسن وأنجع فأما اذا كانت الاطالة أرد وأنفع فليس للإيجاز موقع
يحمّد ولا حالٌ تعتمد . والإيجاز بجميع الشعر أليق وبجميع الرسائل والخُطب
وقد يكون من الرسائل والخُطب ما يكون الإيجاز فيه عيباً ولا يعرفه الا بلاغة
في جميع الشعر لان سبيل الشعر أن يكون كلامه كالوحي ومعانيه كالسحر مع قربها
من الفهم . . . والذي لا بدّ له منه حسنُ المرض ووضوحُ الغرض كقول النابغة
الذياني * فانك كالليل الذي هو مدركي * وقال الفرزدق :

والشيبُ ينهض بالشباب كأنه ليلٌ يصبحُ بجانيه نهارُ
وقال أعرابي : أبلغُ الناس أسهلهم لفظاً وأحسنهم بديهةً . وهذا
حسنٌ جداً لأن سهولة اللفظ وحسن البديهة يدلان على جودة القريحة
والبلاغة الغريزية ، ووعورة اللفظ تدل على تكلف وتعمق ولا شيء أذهب بماء
الكلام وطلاوته ورواقه منهما ولا يحسن معهما الكلام أصلاً وان كان لطيف
المعنى نبيل الصنعة . وقد أجاد ابن الرومي في قوله : البلاغةُ حسنُ الاقتضاب
عند البديهة والغزارة يوم الاطالة . فجعل البلاغة في الغزارة كما جعلها غيره في الإيجاز .

وقيل لهندي ما البلاغة ؟ فقال وضوح الدلالة واتساز الفرصة وحسن الإشارة .
وقيل لآخر ما البلاغة ؟ فقال تصحيح الأقسام واختيار الكلام .
وقال الحسن بن سهل : البلاغة ما فهمته العامة ورضيته الخاصة . وقال عبيد الله بن
عتبة : البلاغة دنو المتأخر وقرع الحجة وقليل من كثير . وروى هذا عن أكرم بن صفي
أيضاً . وقال ابن المقفع : البلاغة اسم لمان تجرى في وجوه فنها ما يكون شعراً
ومنها ما يكون سجعاً ومنها ما يكون خطباً ومنها ما يكون رسائل فعامية ما يكون من
هذه الأحوال قالوا فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ والإيجاز البلاغة . وتأويل
هذا ما قدمناه . وقال غيره : البلاغة قول يسير يشتمل على معنى خطير .
وقال الآخر : البلاغة علم كثير في قول بسير . وقال جعفر بن يحيى :
البلاغة أن يكون الاسم محيطاً بمعناك ويجلي على مغزاك ولا تستعين عليه بطول
الفكرة ويكون سليماً من التكلف بعيداً من سوء الصنعة بريئاً من التعقد
غنياً عن التأمل . وقال اعرابي : البلاغة التقرب من معنى البنية والتبعد من
حشو الكلام وقرب المأخذ وإيجاز في صواب وقصد إلى الحجة وحسن الاستعارة .
وقال محمد بن الحنفية : البلاغة قول مفق في لطف . وقال علي رضي الله عنه : البلاغة
إيضاح الملتبسات وكشف عوار الجهالات بأحسن ما يمكن من العبارات .
ومثله قول الحسن بن علي رضي الله عنهما : البلاغة الإفصاح عن حكمة
مستغلقة وإبانة علم مشكل . ومثله قول محمد بن علي رضي الله عنه : البلاغة تسير
عسير الحكمة بأقرب الالفاظ . وقال ابن المقفع : البلاغة كشف ما غمض من الحق
وتصوير الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق . والذي قاله صحيح
لا يخفى موقع الصواب فيه على أحد من أهل التمييز وذلك أن الأمر الظاهر الصحيح
الثابت المكشوف يتأدى على نفسه بالصحة ولا يحوج إلى التكلف لتصحيحه
حتى يوجد العيب فيه خطيباً وإنما الشأن في تحسين ما ليس بحسن وتصحيح ما ليس
بصحيح بضرب من الاحتيال والتخيل ونوع من العلل والمعاريف ليخفى موضع

الاساءة ويغض موضع التقصير فيه . وقد فسرت في كتاب صنعة الكلام مواضع الاشكال من هذه الفصول فتركتُ إعادتها ههنا فإذا أردتها فاطلبها في مظانها هناك تطفر ببغيتك منها إن شاء الله تعالى . وقد أحب قوم الإيجاز في بعض المواضع منهم جعفر بن يحيى قال : كتابه : إن استطعتم أن يكون كلامكم مثل التوقيع فافعلوا . وقال بعضهم في المذهب الأول إذا كان الإيجاز كافياً كان التطويل عيًّا وإذا كان التطويل واجباً كان التقصير عجزاً . وقيل لأعرابي ما البلاغة ؟ فقال الإيجاز من غير عجز والاطناب من غير خطل . فانظر إلى كلام هذا الأعرابي فهو بليغ .

(جمل من بلاغات العجم)

العجمُ والعربُ في البلاغة سواءٌ فمن تعلم البلاغة بلغة من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى أمكنه فيها من صنعة الكلام ما أمكنه في الأولى ، وكان عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي لحولها إلى اللسان العربي ، ويدل ذلك على هذا أيضاً أن تراجم خطب الفرس ورسائلهم هي على نمط خطب العرب ورسائلها ، وللفرس أمثال مثل أمثال العرب معنى وصنعة وربما كان اللفظُ الفارسي في بعضها أفصح من اللفظ العربي ، من ذلك قول العرب « ولدك من دمي حقيك »^(١) وقول الفرس « هرك تزد نرود » واللفظُ الفارسي في هذا أفصح من اللفظ العربي وأحسن ، وقولهم « كشند ميد » مثل قول العربي « من يسمع يخل » سواء في المعنى ، والفارسي أقل حروفاً ، وقولهم « أصيد بركة خورده »^(٢) وليس للعرب في معنى هذا المثل شيء ومعناه « المأمول

(١) كانت امرأة الطفيل بن مالك ولدت له عقيل بن الطفيل فتبنته كبشعة فمربده

عقيل على أمه فمربته فجاءتها كبشعة وقالت ابني ابني فأجابها أمه بهذا المثل .

(٢) لعله « أصيد به أزخوردن » كما يقوله بعض العارفين باللغة الفارسية حيث

سأله عن صحة ذلك .

خير من المأكل « ولا يعبر عنه بكلام عربي أقل حروفاً مما ذكرته ومع ذلك فان حروف تفسيره بالعربية ضعفاً حروفه بالفارسية ، وقد جاء عن بعضهم في معنى هذا المثل « انتظار الحاجة خير لك من قضائها » وقد خالفهم الفرس في مثل واحد وهو قولهم « به شاه آشناء نرود همدوره » والعرب تقول « جاور بحراً أو ملكاً » . وليس قصدنا لهذا المعنى فتطيل فيه ولكن لا يراد أمثلة في البلاغة تكون مادة لصانع الكلام : فمن ذلك قول ابرويز : إذا نزل الخول استكشف النقص ، بحث على طلب التباهة والتماس جلائل الأمور . وقال بهرام جور : الحاكم ميزان الله في الأرض فوافق الله تعالى في قوله (والسماة رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) يعنى العدل في الحكم . ونحوه قول علي رضي الله عنه : السفر ميزان القوم . وقول الآخر : العروض ميزان الشعر وقال الآخر منهم : أغلق أبواب الشهوات تفتح لك أبواب المحاسن . وقال آخر منهم : الصواب قرين الثبوت والخطأ شريك المجلة . وقال بزرجمهر : طاملوا أحرار الناس بمحض المودة وطاملوا العامة بالرغبة والرغبة وسوس السفلة بالخفاقة والهيبة . وقريب من ذلك قول بعضهم : الكريم يلين إذا استعطف والثلثم يقسو إذا ألطف . وقال بعضهم : ينبغي للوالى أن يتفقد أمور رعيته فيسدفقة أحرارها ويقمع طغيان سفلتها فانما يصول الكريم إذا جاع والثلثم إذا شبع . وقال بعض حكماء الفرس : أحزم الملوك من غلب جده هزله وقهر رأيه هواه وعبر عن ضديده فعله ولم يخذله رضاه عن مظه ولا غضبه عن كيد . وقال أنوشروان : القصد غاية المنافع ، وقال لابنه هرمز لا يكن عندك لعمل البر غاية في الكثرة ولا لعمل الاثم غاية في القلة . ووافق هذا من العربي قول الاقواء الأودى :

والخير ترداد منه ما بقيت به والشر يكفك منه كلما زاد

وقالوا أيضاً : يوم العدل على الظالم أشد من يوم الظلم على المظلوم .

وقال ابرويز : لا تغشوا قليلا فتنصوابه كثيراً . وقال يوماً لجنده لا يشحذا مرو

منكم سيفه حتى يشهد عقله . وأظنُّ المتنبى ألم بهذا فقال :
 الرأي قبل شجاعة الشُّجَّانِ هو أوَّلُ وهي المحلُّ الثاني
 وقال لكتابه : إذا فكرت فلا تمجل وإذا كتبت فلا تستعن بالفضول
 فانها علاوة على الكفاية ولا تقصرن عن التحقيق فانها مُهجنة في المقالة ولا تلبس
 كلاماً بكلام ولا تباعدن معنى من معنى واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول .
 ووافق هذا قول العربي : ما رأيتُ بليغاً إلا رأيتُ له في المعاني اطالةً وفي الالفاظ
 تقصيراً . بحث على الأيجاز . وقال له إذا أمرت فأحكم وإذا كتبت فأوضح وإذا
 ملكت فأسجع وإذا سألت فأبلغ ، ووافق هذا النمط قول أبي تمام :

يقول فيسمع ويمشي ^(١) فيسرع ويضرب في ذات الآله فيوجع
 وقال ازديشير بن بابك : من لم يرض بما قسم الله له طالت معتبه وفحش
 حرصه ومن فحش حرصه ذآت نفسه وغلب عليه الحسدُ ومن غلب عليه
 الحسدُ لم يزل منموماً فيما لا ينفعه حزينا على ما لا يناله ، وهذا معنى قول الشاعر :
 * ليس للحاسد إلا ما حسد * وقال : من شغل نفسه بالئني لم يخل قلبه من الأئني .
 وقال بعضهم : الحقوقُ أربعة حقُّ الله تعالى وقضاؤه الرضا بقضائه والعمل بطاعته
 وإكرامُ أوليائه ، وحقُّ نفسك وقضاؤه تعهدا بما بصاحبها وبصاحبها ويحسم مواد
 الادواء عنها ، وحقُّ الناس وقضاؤه تمومهم بالمودة ثم تخصيص كل واحد منهم
 بالتوقير والتفضيل والصلة ، وحقُّ السلطان وقضاؤه تعريفه ما خفي عليه من منفعة
 رعية وجهاد عدوِّه وعمارة بلده وسدِّ ثغره . وقال بزرجمهر : لا ينبغي للعاقل أن
 يجزع من حطِّ السلطان إياه عن منزلة رفع اليها خاملاً فان الاقدار لم تجر على قدر
 الاخطار . وقال بزرجمهر : الزام الجهول الحجة يسير واقتراره بها عسير .
 وقال بزرجمهر : ثمرة القناعة الراحة وثمره التواضع المحبة من قلوب الخلق .

﴿ ومن كلام الفلاسفة ﴾

قال أرسطاطاليس : ليس الحاجة الى العقل أقبح من الحاجة الى المال .
وقيل له ما أشد الأشياء على الأحمق ؟ قال الشكوت . وقيل له ما أحسن الأشياء ؟
قال الانسان المزين بالأدب . وقال : العقل سبب تنقيص العيش . والى هذا
المذهب ذهب ابن أبي البغلة في قوله :

الصَّمُورُ يَصْفِرُ دَائِبًا وَلَا جِلَّةُ تُحِبُّسُ الْهِيْزَارُ لِأَنَّهُ يَثْرَثُمُ
لو كنتُ أَجْهَلُ مَا عَلِمْتُ لَسَرَّني جَهْلِيْ كَمَا قَدْ سَاءَ نِيْ مَا عَلِمُ

وقال المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعمُ
وقلتُ : أَوَاصِلُ الْهَمِّ فِي ضَيْقٍ وَفِي سَعَةٍ كَأَنَّ يَسْنَى وَبَيْنَ الْهَمِّ أَرْحَامَا
إِنْ إِمْرَأً عَظُمَتْ فِي النَّاسِ هِمَّتُهُ رَأَى السُّرُورَ جَوْيًى وَالْوَفْرَ إِعْدَامَا
وقلت : وَأَكْثَرُ حَالَاتِ الزَّمَانِ بَضْعِي وَلَيْسَ لِنَعْمٍ الْعَارِفِينَ مَفْرَجُ .
وروى الحسنُ البصريُّ حزيناً قفيل له في ذلك فقال : غمى مكتسبٌ من
عقلي ولو كنت جاهلاً لكنت في راحة من عيشي . واقتخر قومٌ بالمال عند
فيثاغورس فقال : وما حاجتي إلى المال الذي يعطيه الحظ ويحفظه اللؤم ويهلكه السخاء
وقيل له ما أصعب الأشياء على الانسان ؟ قال أن يعرف قدر نفسه ويكتف سره .
وقال بعضُ أهل الهند : ليس شيء أعرفُ بنفسه من الانسان ولا أجملُ بهامنه .
وقيل لسقراط أي السباع أجمل ؟ قال المرأة . ومن التشبيه المصيب قول سقراط لرجل
استشاره في التزويج : ان المتزوجين مثل السمك الذي يصاد بالتفاف فما حصل
فيها يروم الخروج منها وما كان خارجاً يعني الدخول فيها . وقيل لرجل منهم ما سبب
موت أخيك ؟ قال كونه . ومثل ذلك ما أخبرني به عم أبي أبو سعيد الحسن بن سعيد
أخذه عن أبيه قال : ورد البريد الى المأمون من خراسان بموت ابن المؤيد فاستدعاه

وجعل يعظه ويعزيه من غير أن يذكر له المصيبة فقال المزيدي لا عهد لي من أمير المؤمنين بمثل هذا الكلام فما السبب فيه؟ قال مات ابنك قال قد عرفت ذلك قال ومتى عرفته وما سبق البريد؟ خبر؟ قال عرفت ذلك يوم ولد. فعجب المؤمنون من فهمه وقال بمثل هذا قدمتك هذه العصابة وجعلتك قوام دينها ومفرزها فيما ينوبها. وقال بعضهم حب المال وتدابيلها. وقال سقراط اللذة خناق من عسل. وقيل لجأوس توفي ما نيدس فقال الوبيع لي قد ضاع مسن عقلي. وقيل له ما أحلى الأشياء قال الذي تشتهي. وقريب منه قول الاعرابي * وقلة ما قررت به العين صالح * وقال سقراط الحظ في إعطاء ما لا ينبغي ومنع ما ينبغي سواء. ومثل ذلك قول طاهر بن الحسين : التبذير للمال ذمة كعب التقتير فاجتنب التقتير وإياك والتبذير. وقريب منه قول العربي وقد قيل له إن فيك إمساكا فقال لا أجد في حق ولا أزور في باطل. ورأى بعضهم شاباً جاهلاً جالساً على حجر فقال هذا حجر على حجر.

ونحو هذا قول بعض المحدثين :

ما ان يزالُ ينفداد يزاحنا على البراذين أمثالُ البراذين
وقلتُ وقد رأيتُ غلاماً مليحاً طريراً يخدم لثيماً دميماً :

ان كنتَ ترتادُ منظراً عجيباً فانظر الى البدر في يدِ القردِ
وانظر الى الضبِّ كيف يفترسُ السَّطَّيَّ على مرقدٍ من الوردِ
وذُمَّ دهرًا بفيضٍ أنعمه على اللثيم المنعمِ الغدِ
وانظر الى حمرةِ وأمه فوقَ مُتونِ السوايحِ الجردِ
فأسخنَ اللهُ عينهُ زمناً ماذا رأى في تجنبِ القصدِ

وقال بعضُ اليونانيين للاسكندر أخلاقك تجعل العدو صديقاً وأحكامك تجعل
الصديق عدواً ويشهد عدم مثلك فيما كان بعدم مثلك فيما يكون. وقال بعض حكمائهم لتكبر :
وددت أني مثلك في نفسك وإن أعدائي مثلك في الحقيقة. وقريب من هذا المعنى قول
علي رضي الله عنه لبعض أعدائه وقد مدحه : أنا دون ما تظهر بلسانك وفوق

ما تضرر في جناتك . وقيل لبطليموس ما أحسن أن يصبر الإنسان عما يشتهي
قال أحسن منه أن لا يشتهي إلا ما ينبغي .
وقال أرسطاطاليس : انك إن لم تصبر على تعب التعليم صبرت على شقاء الجهل
ما بقيت - مخاطب جاهلا .

(محاسن كلام العرب والاعراب والخطباء والكتاب)

قال بعض حكمائهم : الصبرُ يناضل الحدثان . وقال آخر : الحلم فدام ^(١)
السفيه . وقال آخر : خاطر من استغنى برأيه . وقال غيره : الجزع من أعوان الزمان
والمودة قرابة مُستفادة . وفضل بعضهم المودة على القرابة فقال : القرابة
مُحتاجةٌ إلى المودة والمودة مُستغنيةٌ عن القرابة . وقال غيره وسوى بين المودة
والقرابة : الصاحبُ مناسبٌ . وقالوا عجبُ المرء بنفسه أحد حساد عقله . ومن
موجز الكلام قول بعضهم : من قال استطال والفاحشة كاسمها . وقولهم أصاب
مُتأملٌ أو كاد . وقولهم العفو زكاة الجوار . وقولهم راجى البخل مُكد .
وقول بعضهم قلنا تصدقك الامنية . وقيل الصيانة مألف المروءة . وقال بعض
الحكماء البلاء رديف الرخاء . وقيل خول الذك أسنى من الذك الذميم . وهذا
خلاف ما سمعنا سمعت رجلاً يقول لأن أكون رأساً في الضلالة أحب إليّ من
أن أكون ذنباً في الهداية .

وكانت قريش تسنح من الخطاب الاطالة ومن المخطوب الايجاز فخطب
محمد بن الوليد بن عتبة إلى عمر بن عبد العزيز ابنة أخيه فتكلم بكلام جاز الحفظ
فقال عمر الحمد لله الذي أنطق البلغاء ذى الكبرياء وصلى الله على محمد خير
الأنبياء أما بعد فإن الرغبة منك دعوتك إلينا والرغبة فيك أجابتك منا وقد أحسن
بك ظناً من أودعك كريمته واختارك ولم يختار عليك وقد زوجناك على كتاب الله

(١) الفدام : شيء يشد على الفم .

وسنة نبية صلى الله عليه وسلم فكان هذا من أوجز خطبة وأحسنها المراد .
ومن موجز كلامهم : ليس مع الخلاف اختلاف . وقولهم رضا الناس غاية
لا تبلى . وقولهم لا يتفكك من جارسوء توق . وقولهم سرك من دمك . وقيل
من لم يمت لم يفت . وقولهم عقل الكاتب على قلمه . ومن الصدق الذي لا ارتياب
فيه قولهم من جالس عدوه حفظ عليه عيوبه . ومن الموجز المليح ما روى أن نبي أمية
وفدوا على عبد الملك بن مروان فقال أهل الشام ما عسى أن يقول خطيبهم فقام
رجل منهم فقال يا أمير المؤمنين نحن من تعرف وحققنا ما لا تنكر وجئناك من
بعد ونمت من قرب فهما تفعل بنا من خير فتحن أهلنا : فتناول عبد الملك وقال
يا أهل الشام هذا كلام قويم . ومن جيد الاستعارة قول بعضهم : كانوا في
ظل رقيق الحواشي فطواه الدهر عنهم . وقيل القلم أنف الضمير والخط
لسان اليد . وقال النبي صلى الله عليه وسلم (جَدَعَ الْحَلَالُ أَنْفَ
الغَيِّرَةِ) وقالوا الفكرة منح العمل . وقيل الشيب خطام المنية . وقالوا
المذاكرة حياة العلم . وقيل الخمول دفن الحى . وقلت السخاء سلم المجد .
وقلت المراء ينقض مرارة المودة والتواني يثير الندامة والكل ينتج الفقر .
وقيل البياض علم الجمال . وقلت الحياء عنوان الكرم . وقلت الكتاب مقدمة
السخط . وقال ابن المعتز المعروف غل لا يفكك إلا شكر أو مكافأة ، وقلت
العين رائد القلب . وقلت الذل رسل الدين والشكر ضامن المزيدي والغنى
مظنة البطر . وقال آخر اللحظ طرف الضمير . وقلت الشكر مرتبط النعم . وقال
آخر من جرى في عنان أمله عثر بأجله . وقال الأعمال ثمار النيات . وقيل
التواضع سلم الشرف . وقلت المال عدو الوفاء . وقيل التجنى رسول القطيعة .
وقال الاحنف الأدب عروة العز . ومن أصدق كلمة أعرها قول ابن المعتز : من
قوى عقله كثر حلمه وقل غيظه . وقال الفرصة سريعة الفوت وبطيئة العود .
وقال نرقي خرق الدنيا ويتسع ونشعبها وتنصدع ونجمع منها مالا يجتمع .

ورقم جعفر بن يحيى الى بعض إخوانه : إذا وضع العذر لم يكن عهوه الظن مكان إلا لمن أراد التجنى . وقيل للأحنف إن حارثة بن بدر يقع فيك فقال : * عُشِيَّةٌ تَقْرِمُ جِدًّا أَمْلَسًا * ^(١) وقال بعض الحكماء حصادُ المنى الأُفُفُ وماقبتها الندامة وليس لذي لب بها مستمتع . ومن فصيح أمثال العرب قولهم : الفرارُ بقرابٍ أكيَسُ ^(٢) . وعزى اعرابي رجلاً فقال لا أراك الله بعد هذه المصيبة ما ينسيكها . وعزى شبيب بن شيبة ذمياً فقال أعطاك الله عن مصيبتك أفضل ما أعطى أهل مثلك . وقال عبد العزيز بن زرارة أول المعرفة الاختبار . وقال رجلٌ للأحنف ممن أنت قال ممن ودني . وقال البلاغة البلوغ عند الكفاية . وقيل للأحنف ما أحسن المجالس قال ماسافر فيه البصر واتدع فيه البدن وأمن فيه الثقل وكرت فيه الفائدة .

وكتب المهلب ^(٣) إلى عبد الملك حين هزم الازارقة أما بعد فانا لقينا المارقة ببلاد الاهواز وكانت في الناس جولة ثم تاب أهل الدين والمروءة ونصرنا الله عليهم فنزل القضاء بأمر جاوزت النعمة فيه الأمل فصاروا دريئة رماحنا وضرائب سيوفنا وقتل رئيسهم في جماعة من حناهم وخوى الثبات منهم وأجلى الباقيون ليلاً عن معسكرتهم وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها ان شاء الله تعالى .

وكتب الى الحجاج : الحمد لله الكافي بالاسلام ما وراءه الذي لا تنقطع مواد نعمه حتى تنقطع من خلقه مواد الشكر عليها وإنا كنا وعدونا على حالتين يسرنا منهم أكثر مما يسوءنا ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم فلم يزل الله تعالى يزيدنا وينقصهم ويمحضنا ويمحقهم حتى بلغ الكتاب أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

(١) مثل يضرب للرجل يجتهد أن يؤثر في شيء فلا يقدر عليه . (٢) أى

الذى يفر ومعه قراب سيفه إذا قاته السيف أكيَس ممن يفيت القراب أيضاً . (٣) هو المهلب بن أبي صفرة . وفي الأصول « ابن عبد الملك »

وكتب ابن المعتز : قد علمتني نبوتك سلوتك وأسلمى اليأس منك الى الصبر
عنك . وقال أعرابي لماوية هزرتُ خوائب الرجال اليك إذ لم أجد مُعوّلاً إلا
عليك أمتطى الليل بعد النهار واسم المجاهر بالآثار يقودني نحوك الرجاء وتسوقني
اليك البلوى والنفسُ مستبطئة والاجتهاد ماذر وإذ بقلبك فقط . فقال معاوية أحطط
رحلك يا أعرابي . وقال سفيان الثوري رأيتُ أعرابياً مُتعلقاً بأستار الكعبة وهو
يقول يا رب عندي لك حقوقٌ فيها لي وللناس عندي حقوقٌ فتحملها غنى ولي عندهم
حقوقٌ فقيضها لي وأناضيفك اليوم فأجعل قراي الجنة . وذكر بعضهم رجلاً
فقال كلن قريب مدى الوثبة لين العطنة يُرضيه القليل ولا يُسخطه الكثير . .

﴿ أمثلة في البلاغة الكتابية ﴾

أولها التحميدُ ومن عادة العارفين أن يتدثروا في الأمور بالحمد لله رب العالمين
يُقدمونه أمام طلابها كما بُدئ بالنعمة فيها قبل استيجابها . كتب حمد بن مهران :
الحمد لله الذي كثرت أياديه عن الاحصاء وجئت نعمه عن الجزاء . وكتب أيضاً :
الحمد لله ذي البلاء الجليل والعطاء الجزيل الذي جعل للأُمير سنى الرتبة وعز الدعوة
ووصل له حُسن الولاية بشكر النعمة وقرن لأوليائه قوة الحجة بفضل الادالة حمداً
يؤدى الى الحق ويقتضيه ويستمد المزيد ويمتريه والى الله أرغبُ في زيادة الأُمير
والزيادة به وعلى يديه والايدي الصائلة على عدوّه بمنّته ولطفه . فأخذ ابن دُرَيْد
قوله (ويستمد المزيد ويمتريه) فقال : تحرس نعم الله عز وجل عندنا بالحمد عليها ويمتري
المزيد منها بالشكر عليها وترغب الأيادي اليه في التوفيق لما يُدنى من رضا
ويجبر من سخطه انه مُمِيع الدعاء لطيف لما يشاء . وكتب الصابي : الحمد لله
ذي المنن والطُّول والقوة والحول والغاية والوصول رافع الحق ومُعليه وقامع الباطل
ومُرديه ومُعرز الدين ومُديله ومُذل الكفر ومُذيله ^(١) المنزل رحته على من جاهد

(١) أذاله : حقره وأهانته .

في طاعته وإنَّ عُقوبَتَهُ مِن جَاهِرِ بِمَعْصِيَتِهِ الْمُسْكِنِ بِتَأْيِيدِ حَزْبِهِ حَتَّى يَظْفِرَ
وَيُخْذِلَانَ حَرْبِهِ حَتَّى يَدْحَرَ الَّذِي لَا يَفُوتُهُ الْمَارِبُ وَلَا يَنْجُو مِنْهُ الْمَوَارِبُ وَلَا يَعْصِيهِ
الْمَعْضَلُ وَلَا يَعْجِزُهُ الْمَشْكَلُ وَلَا تَبْهَظُهُ الْأَشْغَالُ وَلَا تُؤْوِدُهُ الْأَثْقَالُ الْغَنِيُّ الْمَفْتَقِرُ
إِلَيْهِ الْقَوِيُّ الْمُعْتَمِدُ عَلَيْهِ بِالْبَلْغِ أَمْرُهُ بِالْمُؤَاوِزِ وَمَمْضَى حُكْمُهُ بِالْمُظَاهِرِ ذَاكُمُ اللَّهُ
رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ . وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا هَزَمَ الْأَحْزَابُ
« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَ وَعْدُهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ » .
وَكُتِبَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّرَ عَلَى الْأَنْفَامِ الْحَاسِنِ وَاسْتَنْفَاهَا بِالْمِيَامِنِ وَبَسَطَ بِالْخَيْرِ
أَيْدِيهَا وَأَفَاضَ بِالْإِحْسَانِ وَادْبَاهَا وَعَلَّمَهَا الْبِرَّ بِالْأَبْرَارِ وَالْعُطْفَ عَلَى الْأَحْرَارِ وَاخْتَارَ
الْخَيْرَةَ لِلْآخِيَارِ . نَامَتْ وَقَدْ زَكَتْ شَجَرَتُهَا وَحَلَّتْ ثَمَرَتُهَا وَتَنَتِ أَغْصَانُهَا وَتَهَدَّاتِ
أَفْنَانُهَا وَلَانَتْ أَعْطَافُهَا وَتَنَاهَتْ أَلْطَافُهَا فَكَأَنَّمَا هِيَ أَيَّامُ أَبِي تَمَامٍ الَّتِي وَصَفَهَا فَقَالَ :
أَيَّامُنَا مُصْقُولَةٌ أَطْرَافُهَا بِكَ وَاللَّيَالِي كُلُّهَا أَسْحَارُ

بِمَا مَنَحَ مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ أَطَالَ اللَّهُ فِي كَنْفِ السَّلَامَةِ بَقَاءَكَ وَحَجَبَ غِنِ
عِيُونَ الْغَيْرِ نِعْمَاءَكَ وَخَوَّلَكَ مِنَ الْمَرْءِ أَوْفَرَهُ وَمَنِ الظُّفْرِ أَخْضَرَهُ وَأَعْطَاكَ مِنَ النِّعَمِ
أَصْفَاهَا مِنَ الشَّوَائِبِ وَأَبْهَدَهَا مِنْ مُلَاحِظَةِ النَّوَائِبِ وَمَنَعَكَ مِنَ الْخَيْرِ بِرُمَّتِهِ
كَمَا قَادَ إِلَيْكَ الْفَضْلَ بِأَرْزَمَتِهِ وَلَا زَالَ بِكَ الزَّمَانُ جَدِيدَ الْحُلَّتَيْنِ مُطَرِّزَ الطَّرَتَيْنِ
مُتَوَجِّعَ الْمَفْرَقِ بِمَا تَرَكَ حَالِي الْجِيدِ بِمُفَاخِرِكَ وَلَا مَلِكَ نِعْمَةٍ أَلْبَسَكَ جَاهَهَا وَلَا نَزَعَ
عَنْكَ طَارِفَةً وَفَرَّ عَلَيْكَ كَالَهَا :

رَأَيْتُ جَمَالَ الدَّهْرِ فِيكَ مُجَدِّدًا فَكَبَّرْتُ بَاقِيًا حَتَّى تَرَى الدَّهْرَ قَانِيَا
وَكُتِبَ بَعْضُهُمْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اسْتَسْلَمَتْ نَهَايَةُ الشُّكْرِ لِدُونِ مَا أَلْزَمَ بِصَنَائِعِهِ .
وَكُتِبَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا تَطَوَّلَ بِهِ مِنَ الْبِرِّ وَمَا أَوْزَعَ (١) عَلَى ذَلِكَ مِنَ
الشُّكْرِ حَمْدًا يَتَخَطَّى بِهِ إِلَى غَايَةِ رِضْوَانِهِ وَيَسْتَدْعِي الْمَزِيدَ مِنْ جَزِيلِ إِحْسَانِهِ .
وَكُتِبَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَبِضَ لَكَ السَّبْقَ إِلَى الْبِرِّ وَالْفَوْزَ بِالْمَكْرُمَةِ الْبَكْرِ

والاستيلاء على قصبات الحمد والشكر .

وكتب آخر : الحمد لله الذي جعل من ألبابنا بصائر تقودنا إلى معرفته ومعارف
ترشدنا إلى الاقرار بربوبيته ليخرجنا من الظلمات إلى النور برحمته .

﴿ ومن جيد الأدعية ﴾

ما كتب الصاحب أبو القسم بن عباد : أسعد الله سيدنا بالفضل الجديد
والتيروز الحميد سعادة مُتصلة المادة حافظةً لجيل المادة مُؤذنة بظاهر المزمز والبسطة
وتزايد السرور والغبطة مؤمنة من عوادي الأيام وبوادر الزمان وأراه ستادني
الفتيان قد اتقى كل منهم مجده وحكى في طلب المعالي أباه وجده وجعل
سيدنا آخذاً من كل ماعى به ويُدعى به في الأعياد بأجزل الأقسام وأوفر الأعداد .
وكتب الصابي إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف : أطال الله بقاء مولاي
الأستاذ وأسعده بتيروزه الوارد عليه وأعاده ألف عام إليه وجعله فيه وفي أيامه كلها
معافى سالماً فائزاً غانماً مسروراً محبوراً محروساً موفوراً محتوماً له يلوغ الآمال
مظروفاً عليه ^(١) عين الكمال محظور الافنية عن ^(٢) النوائب محي الشرائع عن ^(٣)
الشوائب مُبلغاً غاية ماتسمو إليه همه العالية المشتطة وأمانيه المنفسحة المنبسطة
بقدرته . والفصل الأخير من هذا يُشير إلى قول ابن المعتز : أصحب الله بقاءك عزاً
يلسط يدك لوليك وعلى عدوك وكلامه تنب عن ودائع منته عندك وزاد في
نعمك وإن عظمت وبلغك آمالك وإن بعدت .

وكتب بعضهم عش ماشئت كما شئت ، وهو من قول أبي نواس :

دارت على فتية ذل الزمان لهم فما يُصيبهم إلا بما شاؤا

وكتب بعضهم عش أطول الأعمار مُوقى من سوء الأقدار مرزوقاً نهاية
الآمال مغبوطاً على كل حال . وكتب آخرُ ببالغ الله نهاية من العمر لا نهاية
لمستزید وراءها . وقريب منه قول البختری :

(١) في الأصل (غنه) . (٢) في الأصل (على) .

تعمرت أبا السحق ما صلح العمر ولا زال معوراً بأيامك الدهر
وقول الآخر :

فلا زالت الأرض معورة بعمرك يا خير عمّارها
ومما يجري مع ذلك وليس منه قول أبي تمام :
من بسأل الله أن يبقى سرّاتكم فإني أرى أن يستبقى الكرام
وقول المتنبي :

أعبدكم من صروف دهركم فإنه بالكرام . منهم
قلت : فلا زالت الأقدار دون محلكم سواقطاً والمكروه عنكم^(١) مقصراً
وقال بعضهم : جعلك الله من كل محبوب على شرف ومن كل محذور في كنف .
وكتب آخر : لا زالت الأيام لك مساعداً والليالي على هواك مساعداً تتلقاك
بأوفر الجبور وتطعم عليك بموائد السرور وتجري مقاديرها لك بالمحجوب وتتقاس
عنك بالمحذور المرهوب ويحكم لك بالرشد والسعادة ويقضى على أعدائك بالذل
والقناعة^(٢) . وكتب ابن المعتز آخرتني العبادة عن الوزير أيده الله فحضرت
بالدعاء في كتابي لينوب عني ويمر ما أخلسته الموائق مني أسأل الله أن يجعل هذا
السيد أعظم الأعياد السالفة بركة عليه ودون الأعياد المستقبلية فيما يحب ويحبب له
ويتقبل ما تتوسل به إلى مرضاته ويضاعف الإحسان إليه على الإحسان منه ويمتعه
بصحبة النعمة ولباس العافية ولا يريه في مسرة تقيصة ولا يقطع عنه فيها عادة
جميلة . وهذا مأخوذ من قول سعيد بن حميد : تابع الله لك صالح الأيام ومحجبه
الأعوام حتى يكون كما يوم منها موفياً على ما قبله مقدماً^(٣) بعده .
وكتب ابن المعتز : حفظ الله النعمة عليك وفيك وولى إصلاحك والإصلاح
لك وأجزل من الخير حنك والحظ منك ومنّ عليك وعلينا بك .
وكتب إلى عليل : مسحك الله بيد العافية ووجه اليك وافداً السلامة وملاك

(١) في النسخ « منكم » . (٢) القناعة : التلذذ ، والمطف تفسيري .

(٣) في الأصل « على ما بعده » .

ما أفادك وهنّاك ما قسم لك وأمتع بك وليك وألآن لك طاعة عدوك وجعل
الدولة يبقائك وزينها بدوام نعمائك . وكتب صاحب أبو القسم : والله يديم
لمولانا ولي النعم التمكن والبسطة والملوّ والقنطرة والعز والنصرة ولا يسلب
القلوب ما أودعها من محبة دولته ولا يعدم الصدور ما ضمتها من خشية صولته ليزداد
أولياؤه بصيرة في مناصحته ويضطر أعداؤه الى استعطافه واستقالته انه قد ير على
ما يشاء واليه أرغب في زيادة مولانا من فضله وصلة المناجح بسعيه وعزمه وتعريفه الميامن
في ارتحالته وحله وتوفيقه لما يحفظ رأى ولي نعمته ويستديم المقسوم له من محمده .
وكتب أبو الحسن بن أبي البغل الى علي بن عيسى : وهنّا الله الوزير
مأتاه وجعله أيمن أمر من أمور الدين والدنيا بدءاً وفاقحةً وأسلمه
مالاً وطاقةً وأطوله أمداً ومدةً وأدومه انتظاماً واستقامةً وأوفره كفايةً لله
وجميل ولايته وصادق معونه حفظاً وسهمةً ^(١) ويسر لديه العسير وقرب على يده
البعيد والشطير ^(٢) إنه على كل شيء قدير . وقال اعرابي لرجل النعم ثلاث نعمته
في حال كونها ونعمته ترجى مستقبله ونعمته تأتي غير محتسبة فأدام الله لك
مأنت فيه وحقق ظنك فيما ترجيه وتمنل عليك بما لم تحتسبه .

المديح :-

قد صدرت الكتاب بذكر المديح على مذهب الشعراء وأنا أورد هنا
صدراً على مذهب الكتاب يشتمل الكتاب به على الكمال إن شاء الله تعالى :
ذكر رجل لبعض البلغاء فقال : هو أحلى من رخص الشعر وأمن السبل
وادرأك الأمانى وبلوغ الآمال . وكتب بعض الكتاب : وجرى لك من ذكر
ما خصك الله به وأفردك بفضيلته من شرف النفس والقدر وعلو المنزلة والذكر
وبعد الهمة ومضاء العزيمة وكال الاداة والآلة والتمهد في السياسة والآلة وحياطة

(١) السهمة بالضم : النصيب (٢) الشطير : البعيد والغريب

الدين والأدب وإيجاب عظيم الحق بضعيف السبب مالا يزال يجري مثله عند كل ذكر يتجدد ذلك وحديث يؤثر عنك . وكتبت : من حل محل سيدنا في شرف المنصب وطهارة العنصر وزكاه الأصل ونماء الفرع وسقى الحسب وسرى النسب مع الشيم الطاهرة والمسكارم المتظاهرة كثرت الرغبة اليه وخيمت الآمال بين يديه وهو حقيق بتصديقها^(١) وعند مؤمليه لكرمه في نفسه وتميزه من جنسه . وقال بعضهم لرجل : رحم الله أباك فإنه كان يقرى العين جمالاً^(٢) والأذن بياناً . ومما يجري مع ذلك أن بعض الملوك رأى رجلاً قبيح المنظر عيى اللسان فأمر باستقامته وقال إن روح الحياة وهى الانسانية إذا كان ظاهراً كان جمالاً وإذا كان باطناً كان بياناً فمن خلا من الجمال والبيان فليس بإنسان . وكتب صاحب : وايس بيدع أن يجود كلامه وتمتدل أقسامه ويتهدب بيانه ويتسم جنسه وقد راض العلوم حتى أعطته زمامها ومارس الآداب حتى ملكته خطامها فان تعد الفقه كان البازل الذى ذلل الفحول مِصْاوَلَة وإن ذكر الكلام كان الجبل الذى فرع الأطواد مطاولة وإن تصرف في أيام الناس وأخبارهم ونقص عن سيرهم وآثارهم حاضر مُحاضرة الأفراد وكثير مُكاثرة الآحاد وإن جُورى في سوائر الأمثال وقتر الأشعار ترك المجارى لا يدرى أى طريق يركب وأى مذهب يذهب وأما الخطابة فهو جذيلها المحكك وعذيقها المرجب وقد مُلِمت اليه اختياراً من مواليه واضطراراً من مُعاده .

وقال رجل لخالد القسرى إنك لتبذل ماجلًا وتجير ما اعتل وتكثر ما قل . وكتب ابراهيم بن العباس : وإن أمير المؤمنين لو استغنى بنظر ناظرٍ من ولاته واجتهاد مجتهد من كفاته الذين لهم الأثرة عنده والموضع الأخص عن الاستظهار عليه بنظره وعنايته واهتمامه كنت أولى من خفق بمكانه عن نفسه واقتصر على عنايته وتديره دون إرشاده وتسديده فإله يُعزّه ويزيدُ في تأييده .

(١) فى الاصل (تحقيقاً) . (٢) أى يكرمها بذلك كما يكرم الضيف .

﴿ فاما الذم والتعجين ﴾

فمن بديع الاستعارة فيه قول أعرابي يذم رجلاً : يقطع نهاره بالمتى ويتوسد فروع الهم إذا أمسى . ودخل أعرابي بغداد فقال فلذا ثياب أحرار على أجساد عبيد إقبال حظهم إديار حظ الكرم شجر فروعه عند أصوله شغلهم عن المعروف رغبتهم في المتكر . وقال بعضهم لرجل استضاف بخيلاً : زلت بوادٍ غير ممطور ورجل غير مسرور فأقم بئديم وارحل بئديم . وقال أعرابي : أولئك قوم سلخت أبقاؤهم بالهجاء ودُبغت جلودهم باللؤم قلباً سُمهم في الدنيا الملامة وزادهم في الآخرة الندامة . وقال أعرابي لا تُمدّ نس شعرك بعرض فلان فإنه ممينُ المال مهزول المعروف من المرزوقين فجأة قصير عمر الغنى طويل حياة الفقر ، ومن ههنا أخذ أبو نواس قوله :

بما أهجوك لأدري لسانى فيك لا يجرى

إذا فكرت في عرضك أشقتُ على شعى

واستشارت امرأة امرأةً في رجل تزوجه فقالت لا تفعل فإنه وكلةٌ تكلةٌ يأكل خله . وكلةٌ وتكلةٌ بمعنى واحد وهو الذى يتكلُّ في الأمور على غيره ولا يقومُ فيها بنفسه والتاء في تكلة واو كما قيل تُراثٌ وهو من ورث ، والتخلل ما يخرجُ من بين الأسنان عند التخلل وليس في اللؤم شيء من الكلام أبلغ من هذا . وقريبٌ منه قولهم فلان يُثيرُ الكلاب عن مرايضها ، يريدون أنه من طبعه وشره يُثيرها يطلبُ نحتها شيئاً قد فضل منها ، ومن ذلك قول الشاعر :

أمن بيتِ الكلابِ طلبتَ عظماً لقد حدثتَ نفسك بالهال

﴿ في الشكر ﴾

وكتب ابنُ المعتز في الشكر : قد جلّت نعمتك عن شكرى فتولى الله مكافأتك

(١) هذا العنوان غير موجود في النسخ .

عن عجزى بعد جُهدى بما هو أرفع له وأقدر عليه بمنته ورأفته ، وهذا من قول
 طريح بن اسمعيل : فقصرت مغلوباً وإني لشاكرٌ . وكتب آخر : إذا كان
 مجهودى فى شكر النعمة واعتراى بحق العارفة يُبلغنى أقصى نهاية الشاكرين
 وأبعد غاية المعترفين وكانت زيادة معروفك على قدر شكرى كزيادة قيمتك فى
 نفسى فقد أسقط الله تكلف ماجاوز الطاقة عني . وكتب بعضهم قلبى نجى
 ذكرك ولسانى خادم شكرك . ومما يجرى مع ذلك ما كتب بعضهم : أما بعد فإن
 أثقل الناس حملاً من تحمل آمال المؤمنين وأولاهم بالمكافأة من أخدمك عِرضه
 فتذلل لك ونفسه فتواضع دونك وقلبه فكان فى رجائك وتأميلك ولسانه
 فكان فى ذكر محاسنك ونشر مناقبك . وقريب من هذا المعنى قول ابن الرومى :

إنَّ امرأً رفضَ المكاسبَ واغتنى يتعلمُ الآدابَ حتى أحكما
 فكسا وحلى كلَّ أروع ما جد من حُرٍّ ماحاك الضميرُ ونظما
 مُتَشَاغِلاً عما يُمارسُ غيرُهُ حتى لقد أثرى اللثامُ وأعدما
 ثقةً برعى الأكرمينَ ذِمَامُهُ لأحقُّ مُلتَمِسٍ بأن لا يُحرَما

وكتبت : وتأملتُ التوقيع فى معنى الميثة فتصور لى الفنى بصورته وقابلنى
 بصدق مخيلته وعرفتُ أن الدهر قد غضت جفونه ونامت عيونه وتنهت عن
 ساحتى مُخطوبه وهذه نعم أعيا بذكرها فكيف أطمعُ فى إداء شكرها بل عسى
 أن يكون الاعتراف بقصور الشكر عنها شكراً لها ومقابلة بما خلص إلى منها
 وأنا معترفٌ بذلك اعتراف الروض بحقوق الانواء وقائل به كما أقول بفضل الوفاء .
 وقال ابن المقفع : الشكرُ نسيمُ النعمة . وقال على بن عبيدة : النعمة كالروضة
 والشكر كالزهرة . وكتب ابن المعتز فى معنى آخر : سألت عن خبرى وأنا فى
 حافية لا عيب فيها الا فقلبك ونعمة لا مزيد فيها الا بك . وكتب أبو العباس بن
 ثوابه : وأنا أسأل الله إذا من بنعمة أن يجعلك المقدم فيها وإذا امتحن بمحنة
 أن يجعلنى وقاء لك منها . وكتب فى فصل : وإذا ضاق على أن أفعل فليس

يضيق عليك أن تتفضل إذا كان كل واحد منا يجرى إلى غاية في البر والعقوق .
وكتب أبو علي الضرير : تجاوز بي ذكر فضلك ووصف محاسنك والاخبار
بما وهب الله الامام والامة فيك إلى القول بحاجتي قبلك ليس لآتي جهات
الحق على لك ولا لآتي ادخرت الثناء الجليل لغيرك ولكني رأيتني فيما أتعاطي
منه كالخبر عن ضوء النهار الباهر الذي لا يخفى على ناظر وكلنبه على الأمر الواضح
الذي يستوى فيه العالم والجاهل فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك وولدت
الاخبار عنك إلى علم الناس بك .

قد انتهى بنا القول في هذا الباب إلى هنا لعلمنا أنا ان أردنا استيعابه
لم نقدر عليه لكثرة ونرجو أن يقع الاكتفاء به إن شاء الله تعالى وهو حسبنا
ونعم الوكيل والحمد لله وحده .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي دلّ على قدرته وأبان عن حكمته باختلاف ما خلق من الصور
وتباين ما أنشأ من الفطر من ملك وإنسان وبهيمة وجان وطائر يمسح صفحات
التراب ويأخذ بأهاب السحاب وحش ينطوي على أدراجهِ ويستوى مرة في أعوجاجهِ
إلى غير ذلك من خِلقٍ مختلفة وأجرام متباينة حقيرها جليلٌ وصغيرها كبيرٌ
وجمل منافعها متاعاً للإنسان الذي كرمه تكريماً وفضله على كثير ممن خلق
تفضيلاً وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفات الخيل والابل والسير والقلوات
وذكر الوحوش والطيور والحشرات وما يجري مع ذلك وهو :

﴿ الباب العاشر من كتاب ديوان المعاني وهو ستة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في صفات الخيل

قد وصفها الناس في قديم الدهر وحديثه وصفاً كثيراً وأتسم فيها قولهم اتساعاً
شديداً وأنا أجيء بالبديع الغريب من ذلك وأخرب عن غيره لكثرتة واستفاضته
ولاحاجة الناس إلى أن نورد عليهم ما عرفوه ووقفوا عليه وتداولوه إلا ما لا بُدَّ
من إيراده لفقد شبيهه وعدم نظيره : فمن بديع ما جاء عن القدماء في صفة الفرس
قول أبي ذؤاد :

يحمل منه بعضه بعضه فراكب منه ومركوب
وقول الاعرابي :

وأحر كالدجاج أما سماؤه قريباً وأما أرضه فحؤول
سماؤه : أعاليه ، وأرضه : أسافله ، يعني حوافره .

ومن أجود ما قيل في تأنيف اذن الفرس ما أنشد القتيبي * كأن آذانها أطراف أقلام *
وأحسن ما قيل في اصطفاؤه الخيل قول الاسمر ^(١) :

يخرجن من خلل الغبار عوابساً كأنامل المقرور أفعى قاصطلى ^(٢)

(١) في الأصل « الأشعر » بالمعجمة ، ولعل الصواب بالمهملة .

(٢) فانه يمد أصابعه الى النار فتكون جميعاً معاً لاتسبق إحداها الأخرى .

أى كلمن "يُبادِرُ" القارة فليس يفوت بعضها بمضاً . أخذه على بن جبلة
فقال رحمه الله :

كَأَنَّ خَيْلَكَ فِي أَمْتَاءِ غَمَرَتِهَا أُرْسَالُ قَطَرٍ نَهَامَى فَوْقَ أُرْسَالِ
يَخْرُجْنَ مِنْ غَمَرَاتِ النَّعَمِ سَامِيَةً نَشْرُ الْأَنْمَالِ مِنْ ذِي الْقَرَةِ الصَّالِي
وَالْأَوَّلِ أَجُودَ . وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُ الرَّاجِزِ * مُسْتَوِيَاتُ كَضُلُوعِ الْجَنْبِ *
وَفِي وَصْفٍ وَقَعَ قَوَائِمُهَا قَوْلُ مَالِكِ بْنِ حَرِيمٍ الْهَمْدَانِي :

وَتَهْدِي بِي الْخَيْلُ الْمَغِيرَةَ نَهْمَةً إِذَا صَبَرْتَ صَابَتْ قَوَائِمُهَا مَعَا
وَمَنْ أَحْسَنَ الِاسْتِعَارَةَ قَوْلُهُ :

وَأَنْ عَثَرَتْ أَحَدِي بِدِيهِ بِشِيرَةٍ ^(١) تَجَاوَبَ أَمْتَاءُ الثَّلَاثِ بَدَعْدَهَا
وَكُنَ الْإِحْسَنُ أَنْ لَا يَصِفُهَا بِالْعَثَارِ إِلَّا أَنْ قَوْلُهُ * تَجَاوَبَ أَمْتَاءُ الثَّلَاثِ بَدَعْدَهَا *
مُسْتَعَارٌ حَسَنٌ يَعْنِي عَلَى إِسَاءَتِهِ فِي وَصْفِهِ إِيَّاهُ بِالْعَثَارِ، وَدَعْدَعٌ مِثْلُ قَوْلِهِمْ «لَمَّا» وَهُوَ دَعَاءُ
لِلْعَاثِرِ بِالْحَيَاةِ . وَأَهْدَى بَعْضُهُمْ شَهْرِيًّا ^(٢) وَكُنْتُ : بَعَثْتُ بِشَهْرِي حَسَنَ الْجَمْعِ عَيْنِ
الْمَوْضُوعِ وَطَىءُ الْمَرْفُوعِ هُمُ أَمَامُهُ وَسُوطُهُ لَجَائِمُهُ . وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ الْمَعْتَزِ فِي قَوْلِهِ :
وَحَيْلٌ طَوَّاهَا الْقَوْدُ حَتَّى كَانَتْهَا أَنْيَابُ مَمَرٍ مِنْ قَنَا الْخَطِّ زَبِيلُ
صَبِيئًا عَلَيْهِمْ ظَالِمِينَ سَيَاطِنًا فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٍ وَأَوْجُلُ
فَذَكَرَ أَنَّهُمْ ضَرَبُوهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَمْنَعَ شَيْئًا مِنْ مَطْلُوبِ سِيرَتِهَا فَكَانُوا ظَالِمِينَ
إِيَّاهَا . وَقَدْ أَجَادَ فِي قَوْلِهِ أَيْضًا * أَضْيَعُ شَيْءٍ سُوطُهُ إِذَا تَرَكَبَهُ *
وَقَالُوا أَحْسَنَ يَتِ قَائِمُهُ الْعَرَبُ قَوْلُ جَرِيرٍ :

وَطَوَى الطَّرَادُ مَعَ الْقِيَادِ بِطَوْنِهَا طَى التَّجَارِ بِحُضْرَمَوْتَ بُرُودَا

وَقَدْ أَحْسَنَ الْأَعْرَابِيُّ الْقَوْلَ فِي سُرْعَةِ الْفَرَسِ حَيْثُ يَقُولُ :

غَايَةُ مَجْدٍ رَفَعَتْ فَمِنْ لَهَا نَحْنُ حَوَيْنَاهَا وَكُنَّا أَهْلَهَا

لَوْ تَرَسَّلَ الرِّيحُ لَجِئْنَا قَبْلَهَا

(١) الثَّيْرَةُ : الْكُومُ مِنَ التَّرَابِ . (٢) الشَّهْرِيَّةُ بِالْكَسْرِ : ضَرْبٌ مِنَ الْبَرَادِيزِ .

وقول الآخر :

جاءَ كمثل البرقِ جاشَ ماطرُهُ يسبحُ أولاهُ ويطفؤ آخره
فما يمسُّ الأرضَ منه حافرُهُ

وهذا غاية في وصف سرعة العدو إلا أن قوله * يسبح أولاه ويطفؤ آخره *
ردىء لأنه جعله مضطرب المقادير والمآخير . وقول عبدة بن الطيب في الثور :
ينخى الترابَ بأظلافٍ ثمانية في أربع مسَّهنٍ الأرضَ تحليلُ
يقول أن مواصلة هذا الثور بين خطواته كواصلة الخائف بمينه بالتحلة لا تراخي
بينهما ، والتحلة قول أن شاء الله .

ومن عجيب القول في سرعة الفرس قول ابن المعتز :

كأنَّ جنانَ الفلاةِ تضربه كأنَّ ما يهربُ منه يطالبه

وقد أجاد القائل في صفة كلاب * كأنما يرفن ملا يوضع * ومن عجيب
ما قيل في ادامة الجري قول العرب يُبارى ظله ويُبارى عنائه ويُبارى شبابة
الرَّمح . ويستحب في الفرس، إشراف مقدمه ومؤخره فمن أجود ما قيل في
ذلك قول علي بن جبلة :

نحسبه أقصدَ في استقباله حتى إذا استدبرته قلت أكب

وقد أجاد المتنبي هذا المعنى في قوله :

إن أدبرت قلت لاتليل لها أوأقبلت قلت مالها كغل

وقلت : طرف إذا استقبلته قلت حبا حتى إذا استدبرته قلت كبا

ذو أربع يلقي الصفا يمثلي والحصي من خلفها وثب دبا

إذا ترامين به في مسيره نحسبه منها على أنف الصبا

ووصف النبي ﷺ إناث الخيل بأعجب وصف في قوله « ظهروها حرز

وطبوعها كنز » وقال الأشعر الجعفي في معنى قول النبي ﷺ « ظهروها حرز » :

ولقد علمتُ على توقِّي الردى أن الحصون الخيل لامدر القرى

ومن أجود ما وصف به ^(١) الحضر ^(٢) الفرس قول الاعرابي في فرسه
 « يحضر ما وجد أرضاً » وقد بالغ امرؤ القيس في قوله :
 على هيكل يعطيك قبل ^(٣) سؤاله أفانين جرى غير كثر ولا وان
 قوله « قبل سؤاله » عجيب الموقع ، وقوله « أفانين جرى » أعجب وأبلغ .
 وأجود ما وصف به ظفره عند الطلب قوله :
 وقد أغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل
 فجعل الاوابد وهي الوحش مقبلة له ينالها كيف يريد .
 وقد أجاد أيضاً أحسن القول في اليقين بالظفر حيث يقول :
 اذا ما ولدنا قال ولدنا ^(٤) أهلنا تعالوا الى أن يأتي الصيد نخطب
 وأحسن عمارة التقسيم في قوله في هذا المعنى :
 وأرى الوحش في يميني اذا ما كان يوماً عنانه في شمالي
 ونقله الشماخ بن ضرار ^(٥) إلى وصف رام فأحسن حيث يقول :
 قليل التلاد غير قوم وأسهم كان الذي يرمى من الوحش نازر
 أي جامد بارد يصيبه كيف يريد . وجعله أبونواس في نعت كلاب فقال :
 بأكلب تترج في قداتها تعدّ غير الوحش في أقواتها
 وهو من قول أبي النجم « تعد غابات اللوى من مالها » وقوله :
 يردى على حوافر لا تخذله صم الشوى يحملها وتحمله
 حاف وما يحفى وما تنعله نار عجاج مستطيل قسطله
 تنقش منه الخيل ما لا تزله في جنبه الطائر ديث عجله
 كأن تراب التناع وهو يسحله ضيق شياطين رقه شماله

(١) الحضر بالضم : ارتفاع الفرس في عدوه .

(٢) هو معقل بن ضرار المازني ، من الحضرمين أدرك الجاهلية والاسلام ،

كان سريع الخاطر في الرجز وهو من طبقة ليبيد .

أَوْخَلَقُ يَنْشَقُّ عَنْهُ مَحَلُّهُ تَرَى الْقِسْلَامَ سَاجِيًا لَا يَرْكَلُهُ
 بِعَظِيمٍ مَا شَاءَ وَلَيْسَ يَسْأَلُهُ فَوَافَتْ الْخَلِيلَ وَنَحْنُ نَشْكَلُهُ
 وَيَسْتَعِجِبُ فِي الْخَلِيلِ سَعَةَ الْمُنْخَرِينَ فَمَنْ أَبْلَغَ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلَ مُزَاحِمِ بْنِ
 طُفَيْلٍ الْعُقَيْلِيِّ : مَنْ مَنَخَرٍ كَوَجَارِ الثَّعْلَبِ الْخَرْبِ فَبَجَعْلُهُ خَرْبًا لِيَكُونَ أَوْسَعُ .
 وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ :

مِلءَ الْحَزَامِينَ وَمِلءَ الْعَيْنِ يَنْفَشُ عِنْدَ الرَّبِّ مَنُخَرِينَ
 كَنْفَشٍ كَبِيرِينَ بِكَفَى قَيْنِ

وَمَنْ أَبْلَغَ مَا قِيلَ فِي طَوْلِ مُعْنَقِ الْفَرَسِ قَوْلَ مُزَاحِمِ الْعُقَيْلِيِّ أَيْضًا
 كَأَنْ هَادِيَهُ جَذَعٌ عَلَى شَرْفٍ ، فَلَمْ يَرْضَ أَنْ جَعَلَهَا جَذْمًا حَتَّى جَعَلَهَا عَلَى شَرْفِ
 كَصَنِيمِ الْخَنَسَاءِ فِي قَوْلِهَا : كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ ، وَقُلْتُ :

بِمَعْقُودِ السَّرَاةِ عَلَى انْدِمَاجِ وَمَزْرُورِ الْقَبِيصِ عَلَى انْشِمَارِ
 يُرِيكَ جَبِينَهُ لِمَا نَ بَرَقَ وَسَاثِرُ جَسَدِهِ لِمَا نَ قَارَ
 فَيُشَبِّهُ تَحْتَ جُنْحِ اللَّيْلِ لَيْلًا وَيَحْكِي الْخَالَ فِي خَدِّ النَّهَارِ
 وَيَقْبَلُ حِينَ يُقْبَلُ فِي مَمَرٍ وَيُدِيرُ حِينَ يُدِيرُ فِي انْحِدَارِ
 وَيُمْسِكُ وَهُوَ كَالْعَدْنِ الْمَعْلَى وَيَحْضُرُ وَهُوَ كَالسَّدِ الْمُنَارِ
 يَلُوحُ الْبَدْرُ مِنْهُ فِي جَبِينِ وَتَضَحُّ الثَّرَا فِي عِذَارِ
 وَقَدْ أَبْدَعَ الْقَائِلُ فِي وَصْفِ فَرَسٍ أَبْلَقَ أَغْرَقَالَ :

وَكَاثِمًا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ فَاقْتَصَّ مِنْهُ فَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ
 إِلَّا أَنَّهُ أَسَاءَ فِي الْعِبَارَةِ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّطْمَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى الْخَدِّ وَضَرْبُ الْجَبِينِ
 لَا يُسَمَّى لَطْمًا وَالْقَصَاصُ يَكُونُ بِمَثَلِ الْفَعْلِ فَالْقَصَاصُ بِاللَّطْمِ لَا الْخَوْضُ
 فِي الْأَحْشَاءِ . وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ وَأَحْسَنُ فِي وَصْفِ الْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ :

كَأَنَّمَا الْجَوْزَاءُ فِي أَرْسَافِهِ وَالنَّجْمُ فِي جَبْهَتِهِ إِذَا بَدَا
 وَنَحْوَهُ قَوْلُ كُشَاجِمٍ :

قد راحَ تحتَ الصبحِ ليلٌ مُظلمٌ لو راحَ في السرجِ المحلى الأدم
 ضحكُ اللعينِ على سودِ أديمه وكذا الظلامُ تنيرُ فيه الأتجمُ
 فكأنه يبتاتِ نَفسٌ مُتَلَبِّبٌ وكأما هو بالثريا مُلجَمُ
 وقلت: عارضتُ فيه النجمَ فوقَ مُطهمِ يهوى لطيفه هوى الأعب
 ذوى المسببِ قصيره ضافى السببِ طويله ضافى الأديمِ محب
 كالنورِ بينَ العشبِ يهوى حسنه بينَ الجيادِ إذا بدا في مركب
 وتطيرُ أريمه به في أبطح فكأنه من طولها في مرقب
 صم الخوافر شرب صم الصفا منها الأهلَةُ في الصفا والصلب
 وكان غرته نقضُ وجهه والنقعُ يذهبهُ وإن لم يذهب
 وكان في أكفاله وتليله غسق النجوم فتستطيل وترتي
 وكأما الأرساغ ماء لم يسل والجسمُ كأسٌ مدامه لم يقطب
 لم يُطلب إلا يفوت ويطلب إلا يفوز فلم ينجب في مطاب
 والعاصفاتُ حسيه والبارقا تأسيرة في شدة المطلب
 وكأما يحوى مدار حزامه احناء بيت بالعراء مطنب
 وأول من شبه الحافر بالحجارة الأفوه في قوله = يرمى الجلاميد بأمثالها =
 ثم قال رؤبة = يرمى الجلاميد بجلود مدق = وأبلغ ما وصف به شدة
 قوائم الفرس ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد عن الاشتناداني عن جرهمي:
 سِيانَ تحت طموه وطموه أكم الفلا ومقابل الولدان
 بطأ الخبار فلا يطير غباره ويرض حافره حصي الحزان
 يقول سواء عند = إذا طما في سيره أى ارتفع وإذا طمر أى وثب ، الأكم
 وهى المرتفعات من الأرض فيها حجارة وطين والمقابل وهى ملاعب الصبيان
 إذا لعبوا بالتراب فمدوا منه طريقين بينهما كالجدول ثم خبوا خبيثاً فمن أخرجه
 فقد غلب ، والخبار الأرض السهلة ، إذا مشى فيه خفف وطأه فلم يثر غباراً وإذا

جرى في الحزان وهي الغليظة من الارض مكن حافره فرض الحصى . ونحوه قول
 جرير * ضرم الرقاق مناقل الأجرال * يقول إذا صار في الرقاق من
 الأرض اضطرم من جريه وإذا صار في الأجرال وهي مواضع الحجارة ناقل فيها
 لتطمنن مواقع حوافره . وقول الآخر : شاذخة تشدخ من أدلالها :
 يقول تبعد عن الطريق ولا تبالي سهلاً أخذت أم حزناً .
 ومن الفرد الذي لا شبهة له قول ابن المعتز :

ولقد غدوت على طمر قادح رفعت قوائمه غمامة قسطل
 ومحبجل غر اليمين كأنه متبختر يمشي بكم مسبل
 وقد أحسن القائل في قوله :

مدى خطوه أقصى مواقع طرفه وأولاه في منعه الخطو آخره
 وقد قطعت من لونها الشمس غرة له وحجولاً ثم كالظل سائر
 وقال ابن المعتز :

نمت له غرة كالشمس مشرقة يكاد سائلها عن وجهه يكف
 إذا تقرط يوماً بالعدار غدا كأنه عادة في أذننها شنف
 وقلت : إذا تحلى بالعدار ومشى قلت فتاة تتصدى لفتى
 كأنه تحت الحلى روضة در عليها الزهر أخلاف الحيا

وأبلغ ما قيل في طول الفرس في الهواء قول أبي ذؤاد :

إذا ماجرى شأوين وابتل عطفه أناخ بهاد مثل جذع تسحوق
 كأنى إذا طالت حوزة متته تعلق برى عند بيض أنوق
 وبيض الأنوق في أعلى موضع من الجبل : فلا ترى أشد مبالغة من هذا البيت .
 وقلت : مضطرم الصدر والرواح تنحله يمشي على أرماح
 وأخبرنا أبو القسم عن المقدى عن أبي جعفر عن المدائني قال أهدى رجل
 من الدهاقين إلى خالد بن عبد الله القسري برذوناً وقد بين يديه فقال ما هذا ؟

فقال أصلحك الله أن تركته نفس وإن حر كته طار . فقال صفته خير منه .
وقال ابن المعتز :

أمرع من لحقتنه إذا عدا أطوع من عنانته إذا جذب
ويشبه الفرس في عدوه بالنار فأجمع ما جاء فيه قول ابن المعتز :

ربما أغدو وتحتي طرف^١ لاحق^٢ بالمهاديات^(١) طمر

طوى الشحم على متنبه مثل ما يطوى القباطى تاجر
فهو نار^٣ والتراب^٤ دخان^٥ مستطير^٦ وحصى الأرض جمر^٧

وقال : وكم غلوت بفتيان تسيل بهم سوابق^٨ أحكمتهم^٩ المضامير

مكنفات^{١٠} بأذات^{١١} نواصيا^{١٢} كما يشق^{١٣} عن الطلع الكوافير

تنزوا^{١٤} كراتهم^{١٥} فى كل معترك^{١٦} كما يطير^{١٧} من الذعر^{١٨} المصافير

قوله « تسيل بهم سوابق » من أجود ما وصف به الجرى السهل . ويستحب
فى الفرس الشدق وهو سعة الشدقين فمن المذكور فى ذلك قول بعض العرب
* وإن يلق كلب^{١٩} بين لحية يذهب * ومن ملبح ما قيل فيه قول ابن المعتز :

ناظر فى غرة^{٢٠} شمها^{٢١} واسترطا^{٢٢}

وإذا سار رمى^{٢٣} يده^{٢٤} والتقطا^{٢٥}

وكأنت ملجبه^{٢٦} يفتحان^{٢٧} سقطا^{٢٨}

وقال : وغدونا^{٢٩} بأعنة^{٣٠} خيل^{٣١} تأخذ^{٣٢} الأرض بأيدى^{٣٣} عبال

زيتها^{٣٤} غرر^{٣٥} ضاحكات^{٣٦} كبذور^{٣٧} فى وجوه^{٣٨} الليالى

ومن غريب التشبيه تشبيههم قوائم الفرس المحجلة عند السير بجراء كلاب

بيض ، قال الراجز :

كأن أجراء كلاب^{٣٩} يبيض^{٤٠} دون صافيه^{٤١} الى التعريض

وقال العماني الراجز :

(١) فى نسخة (بالماديات) .

كَأَنَّ تَحْتَ الْبَطْنِ مِنْهُ أَكْلًا يِضًا صَنَارًا يَنْتَهَشِنُ الْمُنْقِبَا
وَتَبِعَهُ الْحَمَانِي فَقَالَ :

وَلَيْلٌ مِثْلُ خَافِيَةِ الْغُرَابِ عِيٌّ مِذَاهِبٌ وَخَفِيٌّ بَابٌ
دَلَفْتُ لَهُ بِأَسْوَدَ مُسْتَمِرٍّ كَمَا نَظَرَ الْغَضَابُ إِلَى الْغَضَابِ
أَجَشُّ كَأَنَّهَا قَابِلَتْ مِنْهُ تَبْعُوقَ الْجُبَّةِ وَحَرِيقَ غَابِ
تَرَاهُ كَأَنَّ عَيْنَكَ لَا تَرَاهُ إِذَا وَصَلَ الْوُثَابُ إِلَى الْوُثَابِ
كَأَنَّ لَدَيْهِ مَنَابِيهِ التَّمَاعَا مِهَادِسٌ عِنْدَهُ يُبْعَقُ الْكَلَابِ

وَلَيْسَ نَظْمٌ هَذَا الْبَيْتِ بِمُخْتَارٍ ، وَذَكَرَ قَوَائِمُهُ ثُمَّ قَالَ :

يَخَالِسُ بَيْنَهَا رَفَمًا وَوَضْعًا كَمَا خَفَقَتْ بِنَانُكَ بِالْحِسَابِ
وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي الْحَصَى الَّذِي يَتَرَامَى بِسَنَبِكَ الْفَرَسِ إِذَا جَرَى قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :
كَأَنَّ الْحَصَى مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا إِذَا تَجَلَّاهُ ^(١) رَجُلُهَا خَذَفَ أَعْسَرَا
وَجَعَلَهَا أَعْسَرَ لَذَاهَا بِهِ عَلَى غَيْرِ اسْتِوَاءٍ ، أَخَذَهُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ فَقَالَ وَغَيْرَ لَفْظِهِ وَأَتَى بِمَعْنَاهُ :
يَقْدَفُ بِالرَّجْلِ حَصَى الطَّرِيقِ كَأَنَّهُ رَامٌ بِلَا تَحْقِيقِ
وَقَالَ : يَنْفِي خُفَافَ الْحَصَى وَالنَّقْعَ مُنْتَشِرًا كَأَنَّهَُا خَلْفَ رَجُلِهِ الزَّنَائِيرِ
وَقَدْ أَجَادَ الْكَمِيتُ فِي قَوْلِهِ :

كَأَنَّ حَصَى الْمِزَاءِ بَيْنَ فُرُوجِهَا نَوَى الرِّضْخَ يَلْقَى الْمَصْعَدَ الْمُتَصَوِّبَ
فَجَعَلَهَا لِكَثْرَتِهَا تَتَلَاقَى فِي الْهَوَاءِ وَزَادَ فِي ذَلِكَ عَلَى الْمَرْقِ وَمِنْهُ أَخَذَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ :
كَأَنَّ حَصَى الْمِزَاءِ بَيْنَ فُرُوجِهَا بَوَادِي نَوَى رِضَاخَةٍ لَمْ تَدْفَقِ
وَقَدْ أَجَادَ الرَّاجِزُ فِي قَوْلِهِ * يَرْضِخُ مَا يَرْضِخُ مَا لَا يَرْضِخُ ^(٢) * يَقُولُ إِذَا
وَطَأَ الْحَصَى نَبَتٌ مِنْ تَحْتِ سَنَبِكَ فَأَصَابَ مَا لَمْ يَطَّأَهُ فَدَفَعَهُ مِنْ مَوْضِعِهِ وَكَأَنَّ رِضْخَهُ
أَيَّ رِجْلِهِ وَالرِّضْخُ الرِّمْحُ . وَيُشَبَّهِ الْحَافِرُ بِالْقَعْبِ فَمِنْ قَدِيمِ الشَّعْرِ فِي ذَلِكَ قَوْلُ أَمْرِئِ
الْقَيْسِ * لَهَا حَافِرٌ مِثْلُ قَعْبِ الْوَلِيدِ * أَخَذَهُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ فَقَالَ :

(١) التَّجَلَّى : الرَّمَى كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ . (٢) فِي الْأَصْلِ (يَرْضِخُ) فِي مَوَاضِعٍ .

قد اغتلى بقادح مسموم يعبوب
 ينفي الحمى بخافر كالتدح المكبوب
 قد ضحكت غرته عن موضع التقطيب
 وقد أحسن أبو تمام في قوله :

بحوافر حفر وصلب صلب وأشاعر شعر وحلق أحلق
 فجعل البيت كله تجنيساً ولعله ماسبق إلى ذلك . وقد طاب الأمدى قوله « وصلب
 صلب » وقوله « وحوافر حفر » وقال إن الحوافر لا تنحفر الأرض وأكثر
 ما ذكر في ذلك أنها ثير الغبار قال وهو استقصاء المعنى ، قلنا وبعضهم يستحسن
 ذلك وبعضهم يكرهه . ومن المذكور في صفة الفرس قول البحري وهو أوصف
 المحدثين للخيل وأكثرهم إجابة في نعمتها :

أما الجوادُ فقد بلونا يومه وكفى يوم مخبراً عن عامه
 جارى الجيادَ فطارَ عن أوهامها سبقاً وكاد يطيرُ عن أوهامه
 جذلان تلطمه جوانب غرة جامت مجيء البدر حين تمامه
 واسودَّ ثم صفت^(١) لعيني فاخر جنباته^(٢) فأضاء في إظلامه
 مالت نواحي عُرْفه فكانها عذبات أثل مال تحت حمامه
 ومقدم الأذنين تحسب أنه بهما يرى الشخص الذي لأمامه
 وكأن فارسه وراء قداله ردف فُلست تراه من قدومه
 لانت معاطفه فخيّل أنه للخيزران مناسب بعظامه
 وكان صهيله إذا امتلأ بها رعد يققع في ازدحام غمامه
 مثل الغراب بدا يبارى صحبه بسواد صبيغته وحسن قواه
 والظرف أجلب زائر لمؤونة مالم يزره بسرجه ولجامه
 وقوله أيضاً : وأغر في الزمن البهيم تمجّل قد رُحّت منه على أغر تمجّل

(١) في الأصل (صفا) . (٢) كذا في الديوان ، وفي الأصل (جلبابه) .

كلليكن المبني إلا أنه
 ذنب كاسحب الرداء يذب عن
 جذلان ينفض عنزة في غرة
 تسوهم الجوزاء في أرساغه
 وتراه يسطم في القبار لهيه
 هزج الصهيل كأن في نغماته
 ملك العيون قان بدا أعطينة
 وقد أحسن ابن طباطبا في قوله :
 عجباً شمس أشرقت في وجهه
 وإذا تمطر في الرهان رأيت
 وقال ابن المعتز :

نحملني طريقة صادرة واردة
 ترضيك في يومها وهي غدا زائده
 ورجلها تقتضي ويدها جاحده

وباسناد لنا أن رجلاً أنشد أبا البيداء قول أبي نجيعة :

لما رأيت الدين ديناً يؤفك وأمت القبة لانتمسك
 تفتق من أعراضها وتهتك سرت من الباب فارتدرك
 منها الشجوجي ومنها الارمك كالليل إلا أنها تحرك

فقال لعنك الله ان كنت أنشدتها وأنت على غير وضوء ، قوله

كالليل إلا أنها تحرك . استثناء عجيب . وقال ابن المعتز :

إذا ما بدا أبصرت غرة وجهه كعنقود كرم بين غصنين نوراً
 وردفاً كظهر الترس أسبل خلفه عسيباً كيص الطود لما تحدرأ
 وما يجري مع ذلك قول بعضهم :

قد أشهد^(١) الليل بفتيان غرر على جياذ كتائب الصور
 كأنما خيطوا عليها بالابر أو صمّر الفارس فيها فانسر
 وباسناد لنا أن محمد بن عبد الله بن طاهر أرق ذات ليلة فقال لكتابه أنا ثم
 أنت ؟ قال لا وأيد الله الأمير ، قال ما أطيب الطعام ؟ قال طعام شهوة في
 أبان جوعة ، قال فما ألذّ الشراب ؟ قال شربة ماء بارد تطفى بها غليلك
 أو كأس^٢ نعالى بها نديمك ، قال فما أشهى النساء ؟ قال التى تدخل اليها
 والهأ وتخرج عنها هارباً ، قال فما أجود الخيل ؟ قال الأسوق الأعنق الذى اذا
 طلب لحق واذا طلب سبق واذا سهل أطربك واذا بدا أعجبك . قال صدقت
 لله درك ، اعطه يا غلام ألف دينار ، قال أصلح الله الأمير وأين تقع منى ألفا
 دينار ؟ قال أوزدت نفسك ألفاً قال أوليس كذا ؟ قال لا ولكن حقّ ظنه
 يا غلام . فأعطاه ألفى دينار .

وقيل لأعرابي أنعرف الجواد المبرز من البطيء المقرف قال نعم أما الجواد
 المبرز فهو الذى نهز لهز العير وأنف تأنيف السير اذا عدا اسهب^٣ واذا امتضب
 اتلأب^٤ ، والبطيء المقرف هو المدلوك الحجة القحم الارنية الغليظ الرقة
 الكثير الجلبة الذى اذا قلت أمسكه قال أرساني واذا قلت أرسله قال أمسكنى .
 وقال المهدي لمطر بن درّاج : أى الخيل أفضل ؟ قال الذى اذا استقبلته
 قلت نافر واذا استدبرته قلت زاهر واذا استعرضته قلت زافر ، قال فأى
 البراذين خير^٥ ؟ قال ما طرفه أمامه وسوطه عنانه ، قال فأى البراذين شر^٦ ؟
 قال الغليظ الرقة الكثير الجلبة إذا أرسلته قال أمسكنى وإذا أمسكته قال أرسلنى .
 ووصف رجل^٧ من العرب خيلاً فقال : إنها خليقة للجودة وآية ذلك انها سامية
 العيون لاحقة البطون مصقية الأذان اخفاء الاسنان ضخام الركبات مشرفات
 الحجببات رحاب المناخر صلاب الجوافر وقمها تحليل ورفعها تعليل ان طلبت فانت

(١) فى نسخة « قد أشهد اللهو » .

وإن طلبت نالت . واستوصف الحجاج ابن القرية فرساً فقال طويل الثلاث قصير
الثلاث حديد الثلاث رحيب الثلاث صليب الثلاث عريض الثلاث منيف الثلاث
أسود الثلاث . فاستفسره فقال طويل العنق والسيب والساق ، قصير الظهر والعسيب
والشعر ، حديد القلب والسمع والمنكب ، رحيب المتخزين والشدقين والجوف ،
صليب الدخيس والكاهل والمعجب ، عريض الباب والحجة والخذ ، منيف الجوانح
والقذال والقوائم ، أسود اللذكر والخافر والمين . وقال محمد بن منادر في وصف فرس :

وَإِذَا أَعْرَضَ قَطْرِيهِ لَنَا وَفِيَا وَاسْتَوْفِيَا قَدَّاءَ بَقْدَّ

فَهُوَ كَالْقَدْحِ أَقَامَتْ دَرَاهُ كَفُّ بَارِيهِ فَمَا فِيهِ أَوَدُ

ووصف النظام فرساً فقال : هو صافي القميص جيد الفصوص وثيق القصب
نقى العصب يروع يديه ويندس برجليه ويشير بأذنيه ويمعد مدى بصر عينيه
يلحق الأرناب في الصعداء ويمجاوز الظباء في الاستواء ان حركته طار وإن
زجرته حار وإن طرحت عنانته سار كوج في لجة أو سيل في فجوة ان وجد علماً
أمن وإن فقدته ضغن . وأنشد جعفر بن يحيى إلى أبيه برذوناً وكتب إليه :
قد بعثت إليك بيرذون لين المرفوع وطيب الموضوع حسن المجموع طويل العذار
أمين العثار . ومما يجرى مع ذلك ما أخبرني به أبو أحمد عن أبيه قال حدثني أحمد
ابن طاهر انه كتب إلى الحسن بن علي بن يحيى يستهديه بجاماً لحماره :

جُعِلَتْ فِدَاكَ قَدْ أَمْسَى حِمَارِي لَهُ سَرَجٌ وَلَيْسَ لَهُ جَامٌ

كُنْتُ الْعَاطِلَ الْحَسَنَاءِ أَمْسَتْ لَهَا حَكْلٌ وَلَيْسَ لَهَا نِظَامٌ

ثم قال * وأنت لكل ناقصة تمام *

﴿ الفصل الثاني من الباب العاشر ﴾

في ذكر الابل وسيرها وما يجرى مع ذلك من وصف أحوالها

أطراف ما قبل في صفة الابل قول القطامي :

يَمْشِينَ زَهْوًا فَلَا الْإِعْجَازُ خَاذِلُهُ وَلَا الصَّدُورُ عَلَى الْإِعْجَازِ تَكَلُّ
فَهْنٌ مُعْتَزَّضَاتٌ وَالْحَصَى رَمَضٌ وَالرَّيْحُ مَا كُنْتُ وَالظِّلُّ مُتَدَلِّ
قَالَتِ الْعُلَمَاءُ لَوْ كُنَ الْبَيْتُ الْأَوَّلُ فِي صِفَةِ النِّسَاءِ لَكَانَ أَحْسَنَ وَذَلِكَ لِمَارَأُوا
مِنْ تَمَامِ حُسْنِهِ وَظَرِيفِ لَفْظِهِ . وَالْبَيْتُ الْآخِرُ هُوَ مِنْ أَبْلَغِ مَا قِيلَ فِي صِفَةِ هَاجِرَةٍ .

وَمِنْ مَلِيحِ مَا قِيلَ فِي ضَمْرِ النَّاقَةِ قَوْلُ ابْنِ الْخَطِيمِ :

وَقَدْ ضَمَرْتُ حَتَّى كَأَنَّ وَضَيْبَهَا ^(١) وَشَاحُ عُرُوسٍ جَالٍ مِنْهَا عَلَى خَصْرِ

وَيُسَبِّهُ الزَّمَامَ بِالْحَيَةِ فَمِنْ أَوَّلِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

يَعَالِجُ مَشْنَى خَضِرْفِي كَأَنَّهُ حَبَابٌ تَقَابَلُوهُ مَرَّجَلٌ يَرْمِي

وَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ :

رَجِيْعَةٌ ^(٢) أَسْفَارُ كَأَنَّ زَمَامَهَا شَجَاعٌ ^(٣) عَلَى بَسْرَى النَّرَاعِينَ مَطْرَقٌ

وَأَخَذَهُ الْمُتَنَبِّيُّ فَقَالَ « كَأَنَّ عَلَى الْإِعْتِنَاقِ مِنْهَا الْإِقَارِيَا »

مِنْ أَجْوَدِ مَا قِيلَ فِي ضَمْرِ الْأَبِلِ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

إِذَا مَا أَنْيَخْتُ قَابِلَتٌ عَنْ ظَهْوَرِهَا حَرَا جِيجَ أَمْثَالِ الْأَهْلَةِ شَسْفٌ

شَبَّهَا بِالْأَهْلَةِ لَضَرْهَا وَاحِدٌ يَدَايِهَا . وَتُسَبِّهُ بِالنَّقِصَى فَمِنْ أَجْوَدِ مَا قِيلَ فِي

ذَلِكَ وَأَجْمَعُهُ قَوْلُ أَبِي عِبَادَةَ الْبَحْتَرِيِّ :

وَحْدَانِ الْقَلَاصِ ^(٤) حَوْلًا إِذَا قَا بِلْنَ حَوْلًا مِنْ أَنْجَمِ الْأَسْحَارِ

يَتَرَقَّرْنَ كَالسَّرَابِ ^(٥) وَقَدْ خَضْنَ غَمَارًا مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي

كَالنَّقِصَى الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْأَسْهَمِ مَبْرِيَّةً بِلِ الْأَوْتَادِ

وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ :

أَلِيَّةٌ بِالْيَعْمَلَاتِ يَرْتَمِي بِهَا النَّجَاءُ بَيْنَ أَجْوَارِ الْقَلَا

(١) الْوَضِيْنُ كَالْحَزَامِ . (٢) أَيْ مَعَاوِدَةٍ . (٣) الشَّجَاعُ هُنَا . الْحَيَّةُ .

(٤) كَذَا فِي دِيْوَانِ الْبَحْتَرِيِّ . وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ « وَحْدَانُ الْقَلَاصِ » .

(٥) كَذَا فِي دِيْوَانِ الْبَحْتَرِيِّ . وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ « بِالسَّرَابِ » .

خوص كأشباح الحنايا مُضمَّرٌ يرْمَعْنَ بالامشاج من جذب البرى
 يرْسَبْنَ في بحر الدُّجى وفي الضحى يطقون في الآل^(١) إذا آل طفا
 ومن غريب ما قيل في عين الناقة قول ذي الرمة :
 كأنما عنها منها وقد ضمرت وضما السير في بعض الاضي ميم
 فشبهها بالميم لاستدارتها وغورها ، والاضى الواحدة أضاة وهي الغدير ، وقد
 قصر بنى الرمة عليه بالكتابة . أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن العلاء بن
 عبد الله بن الضحاك عن الهيثم بن عدي قال قرأ حماد الراوية على ذي الرمة شعره
 فرآه ترك في الخط لأمّا فقال له ذو الرمة أ كتب لأمّا فقال حماد وانك لتكتب قال
 لا أ كتب عليك فانه كان يأتي باديئنا خطا فملنا الحروف تخطيطاً في الرمل في
 الليالى القمره فاستحسنها فثبتت في قلبي ولم تخطها يدي .
 ودخل أبو تمام على المأمون في زىّ اعرابي فأنشده :
 دمن^٢ ألم بها فقال سلام^٣ كم حلّ عُقْدَة صبره^٤ الالم
 فجعل المأمون يتعجب من غريب ما يأتي به من المعاني ويقول ليس هذا
 من معاني الاعراب . فلما انتهى الى قوله :
 هن^٥ الحمام فان كسرت عيافة^٦ من حائهن^٧ قانهن^٨ حمام
 فقال المأمون الله أكبر كشت يا هذا قد خلطت على الامر منذ اليوم
 وكنت حسبتك بدويا ثم تأملت معاني شرك فاذا هي معاني الحضريين واذا أنت
 منهم فقصر به ذلك عنده . وقال أبو نواس في في وصف الناقة :
 ولقد نجوب^٩ في القلاة اذا صام النهار وقالت المفر^(٢)
 شدنية^(٣) رعت الحمي فانت^(٤) ملء^(٥) الجبال كأنها قصر

(١) في الأصل « والضحي ، بالآل » . (٢) العفر : الظباء التي يعلو

بياضها حمرة (٣) شدن : موضع باليمن تنسب اليه الابل ، وقيل هو اسم فعل .

(٤) في نهاية الأرب « مثل الجبال » ولعله تصحيف .

أخذه من قول عنزة :

فوقفتُ فيها نائقي وكأنها قد نزلت لأقضى حاجة المتلوم
إلا أن يبت أبي نواس أحسن رصفاً . وذكر ذنب الناقة فقال :

أما إذا رفمته شامدة^(١) فقول رنق فوقها أنسر
أما إذا وضفته مارضة فقول أسبل خلفها^(٢) ستر

أخذه من قول أبي دواد ه قوام من نور مخرجات ه وليس يبت أبي
دواد شيئاً مع يبت أبي نواس ، ثم قال :

وتسفه أحياناً فحسبها مترماً يقتاده أثر
فاذا قصرت لها الزمام سما فوق المقادير ماظم حر
وكانها مصغ لتسميعه بعض الحديث بأذنه وقر

ومن أجود ما قيل في تقدم الناقة في السير قول القطامي :

ألحن يقصرن من نجب تخلسة ومن عراب بيدات من الحادي
أى يسبقن الحادي فيمدن عنه ، ثم قال أبو نواس وأحسن :

تذر المطى وراءها فكأنها صف تقدمهن وهي امام
وأحسن ابن المعتز في قوله :

وناقة في مهم رمى بها ثم إذا نام الوردى سرى بها
فهي أمام الركب في ذهابها كسطر بسم الله في كتابها
ومن مصيب التشبيه في موطىء الناقة قوله أيضاً :

نائق الفلاة بنف لا يقر لها كأن مسقطه في تربها طبق
وقوله في ارتفاع الناقة في الهواء وعظمها :

كأنا عند نهضته رفعتا خباء فوق أطراف الرماح

(١) في الأصل غير منقوطة ، وفي ديوان أبي نواس «شامدة» وهي الناقة

التي تشيل ذنبها نشاطاً . (٢) في ديوان أبي نواس «لرخي فوقها ستر» .

ومثله قوله أيضاً :

ترنو بناظرة كأن حجاجها وقب أناف بشاهق لم يحال
وكان مسقطها إذا ما عرست آثار مسقط ساجد مبتل
وكان آثار التسوع بدفها مسرى الأساود في دهاس أهيل
ويشد حاديا بجبل كامل كمسيب نخل خوصه لم ينجل

وقال أيضاً :

كان المطايا إذ غدوّن بسحره تركن أفاحيص القطا في المبارك
ثم قال وهو من أجود ما قيل في ممن الابل :

لنا إبل ملء الفضاء كأنما حملن التلاع الجو فوق الحوارك
وقد أحسن القائل في وصف سرعتهن حيث يقول :

مخصوص نواج إذا حث الحداة بها حسبت أرجلها قدّام أيديها
وذكر دعبل بن علي الخزاعي أن قائل هذا البيت القصافي لم يقل بيتاً جيداً
سواه وكان يقول الشعر ستين سنة ، وأخذ ابن المعتز فقال :

نخال آخره في الشد أو له وفيه عدو وراء السبق مذخور
وقد أحسن مسلم في قوله :

إلى الامام تهادانا بأرحلنا خلق من الريح في أشباح ظلمان
كان أفلاتها والفجر يأخذها أفلات صادرة عن قوس حيسان
وقال آخر :

كان يد يها حين يجرى ضفورها طريدان والرجلان طالبتا وتر

ومن يبلغ ماجاء في ذلك قول ابن المعتز :

زجرت بها صباح قنر كأنه يخاف لحاقاً أو يادر أولاً
نوارته الايجاف حتى كأنه ليس ضنى أعيا الطيب المعدلاً

ومن بديع ملجاء في ذلك قول رؤبة بن العجاج^(١)
 كأن أيديهن بالقاع الترقى أيدي المذارى يتعاطين الورق
 وقد أحسن أبو الشيص^(٢) في قوله :

وإبل يركب الركبا ن في أمواج الخضر
 توكلت على أهوا لها بالله والصبر
 وأعمال بنات الريح في المهمة القفر
 شمائل يصاغن متون الصخر بالصخر
 بإيجاف يقد الليل عن ناصية الفجر
 وقلت : لنا هجمات تنثى سرواتنا بأسنة مثل الاكام سوامق
 خبطن الريح وانتسفن نباته كحمرت الاجلام فوق المنارق
 بناها بناء البيت حون رواعد نجى على آثار جون يوارق
 تدور بأحقها البروق وتنثى كأن عليها منهبات مناطق
 وقال ابن المعتز :

وليل ككحل العين خضت ظلامه . بأزرق لماع وأخضر صارم
 وطيارة بالرحل صرف كأنما تصافح رضراض الحصى بجماجم
 وقلت : وليلة خبطت من ظلماتها بنازح الخطو إذا الخطو دنا
 قد انبرى يتعرف الدير بنا في طرق يخبط فيهن الهدى
 ينهى الوجى^(٣) أمثاله عن السرى وساعدته ميعه تنهى الوجى
 ومن مصيب التشبيه قول الراعي :

في مهمه قلقت بها هاماتها قلق الفؤوس إذا أردن نصولا

(١) كان عارفاً باللغة وحشيها ، وغريبتها ، ولما ملت قال الخليل : دفنا الشعر
 واللغة والفصاحة . (٢) هو محمد بن رزين الخزاعي ، كان معاصراً لأبي نواس
 ومسلم بن الوليد ، في شعره رقة . (٣) الوجى : الحفا .

وقول الآخر: حرام من نسل المهارى نسلها إذا ترامت يدها ورجلها
حسبتها غيرى استغزى عقلها آتى الى كانت تخاف بعلمها
أى كأنها من علمها يديها ورجلها وسرعة تحريكها إياها غيرى تخاصم وتشير
ييديها لا تفتر. وقلت:

ومهمه^(١) قلقت فيهار كائبنا والليل في قلق تسرى ركائبه
ركبته فكان الصبح راكبه وحيته فكان النجم جائبه
بكل ذى ميعه جد الوجيف^(٢) به فتهد غاربه وانضم حابه
وبت ينهب جنح الليل في عجل كأنه لاعب طابت ملاعبه
حتى بدا الصبح مبيضاً ترائبه وأدبر الليل مخضراً شواربه
وإنما النجح في ليل ترادفه إذا تأوب أوصبح يواكبه
وساهر الليل في الحاجات نائمه وذاهب المال عند المجد كاسبه
وقال أبو تمام:

على كل رواد^(٣) الملام تهدمت عريكته العلباء وانضم حابه
رخته الفيا في بعد ما كلت حقبة رماها وماء الروض ينهل ساكبه
وقلت: واستنهضتك الى المآثر والعلا هم تخال زهاؤهن جبالا
أردفت عزائمك فكانما أزدقت مرهقة النصال نصالا
حملتها قلص الركاب كأنها قلص النعام إذا اتبعن ربالا
مهريه الرى السفاد بنحضا فتخالها تحت الرحال رحالا
وقال مسلم:

اليك أمين الله رامت بنا السرى بنات الفيا في كل سرت وفقد^(٤)
أخذن السرى أخذ العنيف وأسرعن خطاهما بها والنجم حيران مهتدى

(١) المهمة: المفازة. (٢) الوجيف: ضرب من سير الخيل والابل.

(٣) في ديوان أبي تمام (موار) أى مضطرب. (٤) أى المفازة.

لبسن الدجى حتى نضت وتصبوت هوادى نجرم الليل كالدهو باليد
وهذه استعارة بديعة حسنة عجبية الموقع جداً . وقال أبو نواس :
يكتسى عُثْنُونُهُ زبدًا فنصيلاه الى نجره ^(١)
ثم يعمّ الحجاج ^(٢) به كاعتمام النوف في عشره
ثم تذروه الرياح كما طار قطن الندف عن وتره
ومن فصيح الكلام قوله في هذا المعنى :

نفحن اللغام الجعد ثم ضربته على كل خيشوم كريم المخطم ^(٣)
وقال الشماخ بن ضرار :

كأن ذراعها ذراعا مدلة بعيد الشباب حاوأت ان تطرا
من البيض أعطافا إذا اتصلت دمت فراس بن غم أولقبط بن يعمر
بها شرف من زعفران وعنبر أطارت من الحسن الرداء المحبرا
تقول وقد بل الدموع خاراها أبت عفتى أو منصبي أن أعبرا
كأن بذفراها مناديل فارقت أ كف رجال يصرون الصنوبرا
وقال الراجز : كأنها فائحة ترجع تبكى بشجر وسواها الموجع
وهو نحو قول الراجز : حسبها غيرى استفز عقلها * ومثله قول الآخر :
كأن ذراعها ذراعا بذية مفجعة لاقت حلائل من عفر
سمعن لها واستفرغت من حديثها فلا شئ يفرى باليدى كما تفرى
فوصفها بأنها بذية وقد أوجعت ونيل منها ولقيت حلائلها عن عفر أى بعد
زمان وتلك الشكوى فى نفسها فجعلت تحدث وتحرك يديها فى حديثها فلا تكاد
تسكنهما . وقال أبو تمام :

(١) العثنون : اللحية ، ولعله يريد أن زبده صعد بعثنونه . (٢) الحجاج :

العظم المحيط بالعين . (٣) فى ديوان أبي نواس (نبيل المخطم) ونفحن :

حركن ، واللغام : الزبد ، والمخطم : أنف البعير يوضع فيه المخطم .

فما صلاتي إذا كان الصلاء بها جمر الفضا الجزل إلا السير والابل
المرضياتك ما أرغمت آنفها والهادياتك وهي الشرذ الضلل
وقال البحتري :

والعيس تنصل من دجاءه كما أنجلى صبغ الشباب على القذال الاشيب
وقال ابن المعتز :

ولم تزل نخبط الفلاة بأخفاف المطايا والظل معتدل
كأننا طار نحتنا قزع على أكف الرياح ينتقل
يفرى بطون النقا النقى كما يطعن بيض الجوانح الاسل
وقال في الناقة :

نصني الى أمر الزمام كما عطفت يد الجاني ذرى الفصن
وقال في لقاح :

حوائل شحم جامد فوق أظهر وان تستغث ضراتهن به ذابا
إذا ماسكاه الدرجات بمشب كما سل خيط من سدى الثوب فانسابا
وهذا في دقة الشخب (١) حسن جدا :

رأيت انهمار الدر فوق فروجها كما عصرت أيدي الغواصل اثوابا
خوازن نمض في الجلود كأنها تحمل كنباتا من الرمل أصلابا
وقد أحسن في الناقة والزمام :

وسل البيداء عن روجل يخطم الريح بثعبان
وقال : وقفت بها عيسى تطير بزجرها ويأمرها وحي الزمام فترقل
طلوبا برجليها يديها كما اقتضت يد الخصم حقا عند آخر يعطل
وقال بعض العرب :

تطير مناسمها بالخصى كما تقد الدرهم الصيرف

(١) الشخبو يفهم : ما خرج من الضرع بين اللبن ، وفي الاصل بالسبب المهمة .

ومن غريب ما قيل في تقدم الناقة صواحِبها^(١) في السير قول بعض العرب :

جاءَ وقد ملَّ ثَوَاءَ البحرينِ يَنْسَلُ مِنْهُنَّ إِذَا تَدَانَيْنِ

مِثْلَ انْسِلَالِ الْمَاءِ مِنْ جَفْنِ الْعَيْنِ

وأبلغ ما قيل في غزير الناقة قول أبي حبة :

تَدِرُّ لِلْمَصْفُورِ لَوْ مَرَاهَا يَمَلَأُ مَسَكَ الْفِيلِ لَوْ أَنَاهَا

ومن جيد ما وصف به سعة الاخلاق قول ابن جلا :

كَأَنَّا نَصَّتْ إِلَى ضَرَاتِهَا مِنْ نَخْرِ الطَّلَحِ مُجَحِّقَاتِهَا

وقال مُسلم بن الوليد في غير هذا المعنى :

أَتَتِكَ الْمَطَايَا تَهْتَدِي بِمِطْيَةِ عَلَيْهَا فَتَى كَانَتْ لِي يُونُسُ الْتَصَلُّ

وقال أبو نواس :

أَيَا حَبِذَا عَيْشُ الْوَجَادِ وَضَجَّةُ إِلَى دَفِّ مَقْلَاقِ الْوَضِينِ سَعُومِ

ترامى بها الإيجاف^(٢) حتى كأنها تَحْيِفُ مِنْ أَقْطَارِهَا بِقَدُومِ

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو قال

سمعت جندل بن الراعي ينشد بلال بن أبي بردة :

نَعُوسٌ إِذَا دَرَّتْ جُرُورٌ إِذَا غَدَتْ يُبِيرُزِلُ حَامِ أَوْسَدِيسٌ كَبَازِلُ

قال فكاد صدري ينفرج من جودتها حتى كتبتها . ودرة الأبل مع الناس

والنعم تدر مع الاحتراس فن أجود ما قيل في ذلك قول جيبها الأشجعي :

رَقُودٌ لَوْ أَنَّ الدُّفَّ يُضْرَبُ نَحْمَهَا لَتَنَحَّاشَ مِنْ قَانُورِهِ لَمْ تَنَاكِرْ

أي من قاذورة فيها يقال رجل قاذورة إذا كلن يتجنب النساء ويتقي مجامعتهم .

ومن الوصف الحسن قول القطامي في نوق :

جَفَادٌ إِذَا صَافَتْ هَضَابٌ إِذَا شَتَّتْ وَفِي الصَّيْفِ يَرُدُّ دُنَّ الْمِيَاءِ إِلَى الْعُشْرِ

يشبهها بالآبار من كثرة ألبانها في أيام الربيع والقيظ وهي في الشتاء كالهضاب

(١) في الأصل « حواجبها » . (٢) في ديوان أبي نواس « ترامت بها الأهوال » .

سمناً وإذا شربت في اليوم العاشر التفت في مشله وفي كروشها بقية من الماء .
 عرض شريح ناقة للبيع فقال له المشتري كيف لبنها ؟ قال احلب في أى اثناء
 شئت ، قال فكيف الوطاء ؟ قال افرش وسم ، قال فكيف قوتها ؟ قال احمل على
 الحائط ما شئت : قال فكيف نجارها ؟ قال علق سوطك وسر . فاشتراها فلم ير
 شيئاً مما توهمه بصفة شريح فماد اليه فقال لم أر شيئاً مما وصفت قال ما كذبتك
 قال فأقلنى قال نعم فأقاله . وأنشد أبو أحمد رحمه الله :

جاءت تهادى مائلا ذراها تحنُّ أولاهها على أخراها
 مشى المروس قصرت مخطاها فاصطلت القيمان من رضاها
 واتخذتنا كلنا طلاها

يقول انها كبيرة غزيرة إذا مشت سالت ألبانها فايضت القيمان منها والرضا
 جمع رغبة ، واتخذتنا كلنا طلاها أى لشربنا ألبانها كأننا أولادها .
 ومن أجود ما قيل في ارتفاع الابل وارتفاع استمنها قول أبي ذؤاد :
 فإذا أقبلت تقول اكلم مشرقاً فوق الأكام اكلم
 وإذا أعرضت تقول قصور من مماهيج فوقها آطام
 وإذا ما فجيبتها بطن خيب قلت نخل قد حان منه صرام
 الغيب ما وراك من الشجر ، ومماهيج أرض بالبحرين ،

(الفصل الثالث)

في ذكر الفلوات والظلال والسير والنعاس وما يجرى مع ذلك

فمن أبلغ ما قيل في صفة بمد الفلاة قول مسعود أخي ذي الرمة :
 ومهمه فيه السراب يلمح يدأب فيه القوم حتى يطلحوا
 ثم يظنون كأن لم يبرحوا كأنما أمسوا بحيث أصبحوا
 وقال رؤبة بن العجاج * يكل وقد الريح من حيث انخرق *

ذكر أن الريح تكل فيه لمعده ، ووقد الريح مأخوذ من قول تأبط شرًا
 * ويسبق وفد الريح من حيث ينتحي * وقال مسلم بن الوليد :
 تجرى الرياحُ بهامضي موليةً حَسْرَى تلوذُ بأطراف الجلاميد
 قوله « بأطراف الجلاميد » زيادةٌ ليست في بيت زُويّة . ويشبهون استواء الفلاة
 باستواء ظهر الترس قال الشاعر * ومهمه كمثل ظهر الترس *
 وأحسن ذو الرمة حيث يقول في هذا المعنى :
 ودَوَّ ككف المشتري غير أنه بساطٌ لأخماس المراسيل واسع
 شبهه بكف المشتري لأن كفه ألصق ، وفي رواية أخرى لأن المشتري يسط
 كفه للصنق . وقلت في نحوه :

وبحر ككف الأكرمين يحفه صعيدٌ كأيدي السائلين مد يد
 وقال بعضُ المحدثين :

ودَوَّيةٌ مثل السماءِ قطعها مطوقة آفاقها بسائها

ومن عجيب التشبيه في وصف الآل قول بعض الأعراب :

كني حزنًا أني تطالات كي أرى ذرى على دَمخٍ فما يُريان
 كأنهما والآلُ يُنجأبُ عنهما من البعدِ عينا بُرّقعُ خلتان

وهذا من أغرب ما رُوي من تشبيهات القدماء . وقال جميل بن معمر في السراب :

ألا تيكما أعلامُ بئنة قد بدت كأن ذراها صمته سيب
 طوامس لي من دُونهنَّ عداوةٌ ولي من وراءِ الظامساتِ حبيبٌ
 بعيدٌ على كسلانٍ أودى مَلالةً وأما على ذى حاجةٍ فقريب

والسبيب الشقة البيضاء . وقال ابن المعتز :

والآلُ ينزو بالصوى أمواجه نزو القطار الكدرى في الأشرار
 والظلُّ مقرونٌ بكل مطية مشى المهارِ الدُّهم بين رماك

ولا أعرف في هذا المعنى تشبيهاً أحسن ولا أصوب من هذا .

ومن عجيب التشبيه في وصف اعتدال الظل عند الظهيرة قول الراجز
* واتعمل الظل فصار جوربا * وقال آخر :

إذا شئت أداني صروم^١ مشيع^٢ معى وعقام^٣ تتق^٤ الفحل^٥ مُقلت^٦
يطوف بها من جانبيها ويتق^٧ بها الشمس حتى^٨ في الأكرع^٩ مبيت^{١٠}
أداني : أماني ، صروم^{١١} : أى صارم^{١٢} ، مشيع^{١٣} : شجاع كأن معه أصحاباً
يشيعونه فهو جرى^{١٤} بمعنى قلبه ، العقام : التى لاتلد فذاك أشد لها^{١٥} بمعنى ناقة ،
والمقلت : التى لا يبق لها ولد^{١٦} ، وحى^{١٧} فى الأكرع^{١٨} مبيت^{١٩} : بمعنى ظلاً قد ضارع
عند انتصاف النهار . ومن بديع ما قيل فى السراب قول ابن المعتز :
وماراعنى بالبسين إلا ظعائن^{٢٠} دعون^{٢١} بكأنى فاستجابت سوا كبه^{٢٢}
بدت^{٢٣} فى يياض^{٢٤} الآل والبعد^{٢٥} دونه^{٢٦} كأسطر ريق^{٢٧} أمراض^{٢٨} انلط^{٢٩} كاتبه^{٣٠}
ولهم فى وصف الاسفار فى البحار شعر قليل^{٣١} فمن أجود ما وصف به الموج قول الهذلى :
* فجاج^{٣٢} يرتمين الى نجاج *
ولا أعرف فى السير والنماس أجود لفظاً واستعارة مما أنشدناه أبو تمام :

يقول^{٣٣} وقد مالت^{٣٤} بنا نشوة^{٣٥} الكرى^{٣٦} نماساً ومن يعلق^{٣٧} سرى الليل يكسل^{٣٨}
أنخ^{٣٩} نسط^{٤٠} انضاء^{٤١} النماس^{٤٢} دواءها^{٤٣} قليلاً ورقه^{٤٤} عن قلائص^{٤٥} ذبل^{٤٦}
نلت^{٤٧} له كيف^{٤٨} الاناخة^{٤٩} بمسبدهما^{٥٠} حدا الليل عريان^{٥١} الظريقة^{٥٢} منجلى^{٥٣}
ومما يجرى مع ذلك قول الآخر :

عود^{٥٤} على عود^{٥٥} على عود^{٥٦} خلق^{٥٧} كأنه^{٥٨} والليل يرى^{٥٩} بالنسق^{٦٠}
مشاجب^{٦١} وقلق^{٦٢} سقب^{٦٣} وطلق^{٦٤}

عود : يريد شيخاً كبيراً ؟ على عود أى على بعر^{٦٥} مسين^{٦٦} ، على عود خلق أى
طريق قديم دارس فكأنه^{٦٧} يريد^{٦٨} كأن ذلك كما قال رؤبة^{٦٩} :

فيها خطوط^{٧٠} من سواد وبلق^{٧١} كأنه^{٧٢} فى الجلد^{٧٣} توليع^{٧٤} البهق^{٧٥}
أى كأن ذلك شبه البعير بالمشاجب والطريق بالسقب وهو عمود^{٧٦} من عمد

الخباء ، وشبه الشيخ بالطلق وهو القيد لانحنائه . وقريب منه قول الآخر :
 هودٌ على عودٍ قوود للليل يموت بالترك ويحيا بالعمل
 عودٌ : يعير ، على عود يعنى طريقا ، يموت بالترك : يعنى الطريق يدرس اذا لم
 يسلك ، ويحيا بالعمل : اذا سلك استبان . ومن المختار في صفة النعاس قول الآخر :
 فأصبحن بالمومة يحملن فتية نشاوى من الادلاج ميلُ العمام
 كأن الكرى سقام صرخدية عتاراً تمشى في المطا^(١) والقوائم
 وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن الأصمعي أن أبا عمرو
 ابن العلاء كان يستحسن قول بشامة بن غدير ويعجب منه غاية العجب :
 كأن يديها وقد أرقلت وقد حرن ثم اهتدين السيل
 بدا سابح خرو في غمرة فأدركه الموت إلا قليلا
 وما يجري مع ذلك قول الاعرابي :
 بدان بنا وابن الليالي كأنه حسامٌ جلا عنه القيون صقيل
 فما زلت أقتى كل يوم شبابه الى أن أمتك العيس وهو ضئيل

(الفصل الرابع)

(في ذكر الوحوش والسباع والكلاب والصيد وما يجرى مع ذلك)
 فمن أجود ما قيل في وصف الثور اذا عدا فيخني تارة ويظهر أخرى قول
 الطرماح ، وكان الأصمعي يتعجب من حسنه :
 يبدو وتضمرة البلاد كأنه سيفٌ على شرف يُسل وبغدد
 وقد أحسن عدى بن الرقاع^(٢) في وصف ثورين وما يشيران في عدوهما من الغبار وهو
 يتماوران من الغبار ملاء يضاء مخملة هما نسجاها

(١) المطا : الظهر . (٢) هو عدى بن زيد العاملي ، من معاصري جرير

مدح بني أمية في الشام واختص بالوليد بن عبد الملك .

تطوى إذا علوا مكاناً جاسياً وإذا السنايك أسهلت نشرها
لأعرف في صفة القبار أحسن ولا آثم من هذا . وأما قوله في صفة قرن الظبي فليس
له شبه وهو من المشهور :

يُزجى أغن^١ كأن إبرة روقه^٢ قلم أصاب من الدواة مدادها
وقد أحسن الراعي في وصف الوعل :

يرود^٣ بها ذب^٤ الرياد كأنه فتى فارسي في سراويل راح
ذب^٥ الرياد أي^(١) الوعل ، ويرود يجيء ويذهب ، شبه ما على قوائمه من الشعر
بالسراويل وشبه قرنه بالرمح . وقال ابن المعتز :

كأنني على طائر من الوحش ناشط^٦ تخال قرون الأجل من خلفه ظبا
الأجل : القطيع من بقر الوحش ، والغاب : الاجرة . وقال أيضا :

وجرت لنا سنعجا جآكر رملة^٧ تلو^٨ المها كاللؤلؤ المتبدد
قد أطلعت إمر القرون كأنها أخذ المراد من معيق^٩ الأثمد
وقال ابن المعتز :

شفلته لواقح^{١٠} ملائته^{١١} غيره فهو خلفهن كمى^{١٢}
قابض^{١٣} جمها إليه كما يجتمع أبقامه إليه الوصى^{١٤}
كلما شم^{١٥} لاقحامى^{١٦} منها رأس فحل يرجلها معلى^{١٧}
خارج^{١٨} من ظلال تقع كما مسزق جلباب^{١٩} به الخليع الغوى^{٢٠}
قد طواها التسويق والشدحتي^{٢١} هي قب^{٢٢} كأنهن القسي^{٢٣}
هربت في رؤوسهن عيون^{٢٤} غائرات^{٢٥} كأنهن الركني^{٢٦}
وقال أيضا : كأن آثار^{٢٧} أظلاف الظباء به ودع^{٢٨} يخلفه أخلافه نسق^{٢٩}
ومن فصيح ما قيل في الكلب وبلغه قول أبي نواس :
كأن لحية على اقتاراه^(٣) شك مسامير على طواره

(١) في الأصل « على الوعل » . (٢) في ديوان أبي نواس « لدى اقتاراه » .

طواره : نواحيه .

سمع^(١) إذا استروح لم يحماره إلا بأن يطلق من عذاره
فانصاع كالكوكب في انحداره لقت المشير موهناً بناره
شدأ إذا أخصف في جداره^(٢) خرق أذنيه شبا اظفاره

وهذا مثل قوله :

من كل أخذى ميسان المنكب يشب في القود محبوب المقرب
يلحق أذنيه بحمد الخطب

المقرب : الكريم من الخيل يشد لكرمه بقرب البيوت ، ميسان المنكب أى
من سعة جلده يمس منكبه . ومن بديع الوصف قوله :

كانما الاظفور في قنابه موسى صناع رُد في نصابه
تراه في الحضرة إذا هابه يكاد أن يخرج من اها به
أخذه من قول ذى الرمة :

لا يذخران من الايفال باقية حتى تكاد تفرى عنهما الأهب
والقناب : الغلاف . وقد أحسن في قوله وأجاد :

فجاء يزجها على شياتها شم العراقيب مؤنقاتها
مفروشة الأيدي شربشاتها مشرقة الأكتاف موفداتها
قود الخراطيم مخرطاتها غر الوجوه ومججلاتها
الموفدات : المشرقات ، خرطوم مخرطم مثل ليل أليل :

كان أقماراً على لبساتها ذل المآخير عملساتها^(٣)
لثقتاً الأرنب عن حياتها ان حياة الكلب في وفاتها

وقال ابن المعتز في سعة أشداق الكلاب :

(١) السمع : ولد الذئب . (٢) في ديوان أبي نواس (حتى إذا أخصف في

احضاره) . (٣) في الاصل « زل المساخير معكساتها »

كأنها في حلقٍ . الاطواقِ ضوا حلت من سعة الأشداق
وقال في شدة عدو الكلب * كأنها تعجل شيئاً تحسبه * من قول أبي نواس
* كأنما يعجلن شيئاً لقطا * ومن بليغ ما قيل في شدة العدو قول الأحرار في الثور:
وكأنما جهدت أليته أن لا تمس الأرض أربعة
ومن جيد وصف السرعة قول الحماني:
يبادر الناظر وهو يبدُر * كأن من يُبصره لا يبصره
وقال الأصمعي وأحسن ما قيل في صفة الذئب قول حميد بن ثور:
ترى طرفيه ينسلان كلاهما كما اهتز عود النبعة المتابع
ينام بأحدى مقتلتيه ويتقى بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع
وقال الأصمعي من أوجز الكلام قول الراجز في الذئب:
أطلس يخفى شخصه غباره في فيه شفرته وناره
هو الخبيث^(١) عينه فراره

ومما يجري مع ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عبد الرحمن
عن عمه عن أبي عمرو قال: رأيت باليمن غلاماً من جرم ينشد عزراً قتلت
له صفها يا غلام فقال: حسراء مقبلة شعراء مدبرة بين عثرة الدهسة وقنو الدبسة
سبحاء الخدين خطلاء الأذنين فقساء الصدورين كأن زعنبيها تتوا قلنسوة يالها
أم عيال وثمال مال. الحسراء: التي قل شعر مقدمها، والشعراء: التي قد كثرت
شعرها، والعترة عثرة كدرة، والدهسة لون الأرض، والقنو شدة الحرارة،
والدبسة حمرة كدرة، والسبحاء السهلة الخدين، والخطلاء الطويلة الأذنين
المضطربتهما، والفقساء المتباعدة بين طرفي القرنين، والصدور: القرن.

(١) في النسخ غير منقوطة فصاحتها من لسان العرب حيث يقول «الخبيث
عينه فراره: تعرف الخبيث في عينه إذا أبصرته». وفي النسخ «عينه» بالباء وهو تصحيف.

الزئمتان اللحمتان الملتقتان تحت حنك الشاة ^(١) ، والتور فؤابة القلسوة .

ولأعرابي في الذئب :

وأطلبس ملء العين يحمل زوره	وأضلاعه من جانبيه شوى النهده
له ذئب مثل الشواء يمدده	ومتن كتن القوس أعوج متأده
طواه الطوى حتى استمر مزوره	فما فيه إلا الروح والعظم والجلده
يقضقض عضلاً في أسرتها الردي	كقضقصة المقرور أرعده البرد
عوى ثم ألقى فارتجرت فهجت	فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد
وأبعته أخرى وأضلت فصله	بحيث تلوى اللب والرعب والحقد

وقال غيره في الفيل :

أجر د كالعود طويل النابين بعيد ما بين محط الرجلين
ينفض أذنين كفضلى بردين

وقال ابن الرومي فيه :

ولأعضل النابين حامل مخطم	به حجن طوراً وطوراً به فمم
يقلب جثماً عظيماً موتقاً	يهد بركنيه الجبال إذا زحم
ويسطو بخرطوم يطاوع أمره	ومشتبهات ما أصاب بها عثم
ولست ترى بأساً يقوم لبأسه	إذا عمل النابين في الناس أو صدم

(الفصل الخامس من الباب العاشر)

في ذكر الطيور

مما جاء من منشور الكلام في وصف الحمام قول بعضهم : بهرمانى العينين حاجى

(١) قال المحيى في جنى الجنتين في تمييز المتئين « الزئمتان همتان تكون المعز في حلقها ، فان كانتا في الأذنين فهما زئمتان بالنون » ولم يخص في القاموس هذا التخصيص .

المنقار أصهب القرطمتين ^(١) سبجي الجناحين كأعما خطا بقلين درى الدفتين
فضى الحقيية والبطن والكشعين أرجوانى الساقين والقدمين معتدل الهامة جاحظ
الخدقين رحب الأذنين والمنخرين واسع الحوصلة والشدقين محدد المنكبين
والركبتين سبط الذنب والكفين طويل العنق والقوادم والفخذين قصير الخواقي
والساقين عريض الصدر والدفتين والوظيفتين غليظ القصب أجش الهدرة منتصب
الهامة ذكي الحركة بعيد التركة .

ووصف ابن المنز حماماً طلبه من انسان : أريد حرمي الطرق حاجي المنقار
أغن الهدير ذا ذنب قصير بسحب حوصلة إذا هدر وتروح صفقته إذا صفق
قرطامى الدفتين سبجي الجناحين كأن رجليه خاضتا دماً أو شربتا عندما وكان
حينيه جرة ورأسه زبدة . وقلت في حمام أبلق :

وتمتقات الشكل مختلفاته	لبسن ظلاماً بالصباح مرقماً
أخذن من الكافور أنفاً ومنسراً	وخضبن بالحناء كفاً وأصبما
وتدنو بأبصار إذا ما أدرتها	جلون عقيقاً للعيون مرصما
تطير بأمثال الجلام كأنها	جنادل تدحوها ثلاثاً وأربما
تبوع ^(٢) بها في الجوى من غير فترة	كأن مجاذيفاً تبوع بها معا
إذا هي عبت في الغدير حسبها	توق فراخاً في المغادر جوما

وقال بعضهم في عين العقيق :

يُقَلَّبُ عَيْنَيْنِ فِي رَأْسِهِ كَأَنَّهُمَا نَقَطَتَا زُبُق

ومن المختار في الديك ما أنشده الجاحظ :

كَأَنَّ الدِّيكَ دِيكَ بَنِي نَمِيرٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى السَّرِيرِ

والناس يستحسنون قول ابن المعتز في الديك :

(١) قرطمتا الحمام : نقطتان على أصل منقاره - كما في جنى الجنتين للمحبي .

(٢) أى تسرع .

صَفَّقَ إِمَّا ارْتِيَا حَةً لَسَى الصَّبِيحَ وَإِمَّا عَلَى الدُّجَى أَسْفَا
وَقَالَ دِيكَ الْجَنِّ :

أَوْفَى بِصَبْغِ أَبِي قَابُوسَ مَفْرَقُهُ كَدْرَةُ التَّاجِ لَمَّا عُلِّيتْ شَرْفَا
وَقَوْلُهُ « صَبْغِ أَبِي قَابُوسَ » يَتَنَبَّأُ شَقَائِقَ النَّعْمَانِ ، وَهَذَا كَلَامٌ بَعِيدٌ الْمُتَنَاوِلَ ظَاهِرُ
التَّكْلِيفِ . وَقُلْتُ فِيهِ :

مُتَوَجِّعٌ بِعَقِيقٍ مَقْرُطٌ بِلَجِينِ عَلَيْهِ قَرَطُوقٌ وَشِيٍّ مُشْمَرٌ الْكَفِينِ
قَدَزَيْنَ النَّحْرَمَنِهَ نَتْنَانِ كَالرُّودَيْنِ حَتَّى إِذَا الصَّبِيحُ يَبْدُو مُطَرِّزُ الطَّرْتِينِ
دَعَا دُعَاءَ طَرُوبٍ مُصَفَّقُ الْكَفِينِ يَزْهِي بِتَاجٍ وَطُوقٍ كَأَنَّهُ ذُو رَعِينِ
وَقَالَ السَّرِيُّ الرَّقَاءُ :

كَشَفَ الصَّبَاحُ قَنَاجَهُ فَأَلْقَا وَسَطًا عَلَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ فَأَطْرَقَا
وَعَلَا فَبَشَرَ الصَّبَاحُ مُدْرَعٌ بِالْوَشِيِّ مُتَوَجِّعٌ بِالْعَقِيقِ وَطُوقًا
مُرْخِي فَضُولِ التَّاجِ فِي بُبَاتِهِ وَمُشْمَرٌ ثَوْبًا عَلَيْهِ مَغْمَقَا
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ :

وَقَامَ فَوْقَ الْجِدَارِ مُشْرِفٌ كَمَثَلِ طَرَفِ أَعْلَاهُ أَسْوَارُ
رَافِعُ رَأْسٍ طُورًا وَخَافِضُهُ كَأَنَّمَا الْعَرَفُ مِنْهُ مَنَارُ
وَمِنْ أَجُودِ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ النَّعْمَانِ قَوْلُ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ :

وَمَكَانُ زَعَلٍ ظُلْمَانُهُ كَرَجَالِ الْحُبُشِ تَمْشِي بِالْعَدِ
فَقَالَ شَبَّهَ أَعْنَاقَهَا إِذَا مَدَّتْ بِالْعَدِ . وَمِنْ أَحْسَنِ تَشْبِيهِ أَخَذَهُ الْعَمَانِي :
كَأَنَّهَا حِينَ مَدَّتْ عُنُقَهَا حَرَقَا سُودُ الرِّجَالِ تَعَادَى بِالْمَزَارِيقِ
وَكُنْ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ « مَدَّتْ أَعْنَاقَهَا » وَالَّذِي قَالَ رَدِيءٌ ، وَقَدْ جَاءَ مِثْلُهُ :

وَقَالَ ابْنُ أَبِي عَيْنَةَ :

يَاجُنَّةَ قَامَتِ الْجَنَانُ فَمَا تَبْلَغُنَا قِيَمَةً وَلَا ثَمَنَ
أَلْفَتَهَا فَاتَّخَذَتْهَا وَطَنًا إِنَّ فَوَادِي لِحُبِّهَا وَطَنَ

أنظر وفكر فيا تطيفُ به إن الأريبَ المفكر الفطن

من سفنٍ كالنعام مقبلة ومن نعام كأنها سفنُ

ومثله قوله :

ذروادي القصرِ تسم القصرُ والوادي وجذا أهله من حاضر بادي

ترقى قراقيرُهُ واليسُ واقفة والضبُّ والنون^(١) والملاحُ والحادي

وقول الآخر :

كانَّ بالسهب على خربائه عرشاً يجر الريحُ في قصبائه

يضحك جنُّ الأرض من نحاته كانَّ قوسَ الغنيم من ورائه

يعنى الغبار المنعرج خلفه . وقلتُ في فاختة :

مرتُ بمطرابِ الغداة كأنها تُحلُّ مع الاشرارِ راحاً مُفلّلا

ويروى « تُحلُّ رحيقاً في النُصون مُفلّلا » :

منمرة كدراء تحسبُ أنها تجلُّ من جلدِ السحابة مفصلا

بدتُ تجلُّ للعين طوقاً ممسكاً وطرفاً كما ترنو الخريدة أكللا

لها ذنبٌ وافي الجوانبِ مثل ما تُقشِّرُ طلماً أو تَجِرْدُ منصلا

إذا حطقت في الجوّ خلت جناحها يردُّ صغيراً أو يحركُ جلجلا

وقال أبو نواس في حباريات :

يخطرُنَ من يرانس قُشوب من حبيرِ عُولين بالتذهيب

فهن أمثال النصارى الشيب

وقلتُ في قبجة^(٢) :

أهديتها كالمديّ آتسة وهي سيلُ النواشرِ النفرِ

تلبسُ ممثورةً مُشَمرةً تصونُ أطرافها من العفرِ

وقد جرى المسكُ من محاجرِها فضمَّ لبّاتها مع الثغرِ

(١) النون : الحوت . (٢) وهي الحجلة .

تخطرُ في حلةٍ مُصدرةٍ كأنَّ أكامها من الحبر
واحرَّ متقارُها ومنخرها تفتح الورد في ندى السحر
كأنَّها حينَ نَقط قرطمها تضربُ ياقوتةً على دُررٍ
وقال أبو نواس في طير الماء :

كأنَّا يصفرونَ من ملاعق مرصرة الاقلام في المهارق
ونقله الى موضع آخر فقال أيضاً :

يصفرُ أحياناً إذا لم يهزج من مثل حرفِ المجدح المفتح

المجدح : ما يمدح به السويق ، والمفتح : المطف .

وأحسن ما شُبِّهَ به ذلك قول بعض الاغراب يصف طيراً أنشده الاصمعي :

يضرينَ أحناءاً إلى الماءِ كلِّها لبيقٌ كمفروج المناقشِ أسبح
لبيقٌ : أى رفيق بذلك حاذق به ، يقول هذه الاحناك لبيقة بالشرب ،
والمفروج : المفتوح ماينه . وقلتُ في الخطاف :

وزائرة في كلِّ عامٍ تزورنا فيُخبرُ عن طيبِ الزمانِ مزارها
تُخبرُ^(١) أنَّ الجوَّ رَقَّ قيصمه وأنَّ الرِّياضَ قد نَوَّشَ ازارها
وأنَّ وُجوهَ الغديرِ راقَ ياضها وأنَّ وجوهَ الارضِ راع اخضرارها
نحنُ الينا وهى من غيرِ شكنا فتدنو على بُعدٍ من الشكل دارها
فيمعجبنا وسطُ العراضِ وقوعها ويؤنسنا بينَ الديارِ مطارها
أغار على ضوءِ الصباحِ قيصها وقازَ بألوانِ الليالى خمارها
تصبحُ كما صرَّت نعالُ عرائس تمشى إليها هندها ونوارها
تجاورنا حتى تشبَّ صغارها وتقضى لباناتِ النفوسِ كبارها

ولم أسمع في ذلك أحسن من قول بعض المحدثين :

وغريبة حنَّتْ إلى أوطانها جاءت تبشرُ بالزمانِ المقبل

(١) في النسخ مهمله من النقط .

فرشت جناح الآبنوس وسطرت بالعاج فيه وقتهت بالصندل
وقلت في أصواتها :

أياعجباً من آفس لك فافر يُباوِدُ وصلًا وهو في حال هاجر
يزور على بُعد المكان ولم يُرد وصلًا قتل في زائر غير زائر
له في الذرى شفره يمر ويثني كما حرك الكعبين كف مقامر
وهذا معنى لم أسبق إليه . وقال أبو نواس في أصوات الخطاف :

كان أصواتها في الجو طائرة صوت الجلام إذا ما قصت الشعرا
وقال ابن المعتز في البازي :

فارس كف مائل كالأسوار ذو جؤجؤ مثل الرخام المرمار
أو مصحف منمنم بأسطار ومقلة صفراء مثل الدينار
يرفع جفناً مثل حرف الزنار

وهذا تشبيه في غاية الاصابة . ومن أحسن ما قيل في منسر البازي قول أبي نواس :

ومنسر أكلف فيه شيخا كأنه عقد ثمانينا

وقال ابن المعتز في عين البازي وأجاد فيه :

ومقلة تصدقه إذا رفق كأنها نرجسة بلا ورق
وقال أبو نواس :

في هامة عليها تهدي^(١) منسرا كمعلقة الجيم بكف أعسرا
وقال ابن المعتز في بُزاة :

وفتيان غدوا والليل داجر وضوء الصبح منهم الطلوع
كان بُزاتهم أمراء جيش على أكتافها صدا الدروع
وقال في عين البازي * كأنها في الرأس سمار ذهب *

(١) في الأصل « غلباء تهدي » .

وقال أيضاً : ومنسر غضب الشباه دام كمتدك الحسين بالايهام
وخافق للصيد ذي اصطلام ينشره للنهض والاقدام

كنشرك البرد على المستام

وقال أيضاً : ذي جؤ جؤ محبر موشى ومقلة تلحق بالقصى
كانها دينار صيرفى واتصلت براته القروى

صاف كفصن الذهب المجلى

وقال أيضاً : أقر من ضرب بزاة قمر يصقل حلاقاً شديد الطحر
كانه مكتحل متبر في هامة لت كلم الفقر
تريح ان راح لأمر بهر من منخر رجب كمتد العشر
وقلت في الصقر :

وصلتان فلتان أتمر كأنه إذا هوى للأعفر
معتبر يهوى الى مزعفر بأبيض من البزاة أقر
منهم الصدر كصدر الدفر بمثل اهداب جفون الاحور
وقلت : بصلتان سلط جسر تحاله في مفصل مزور
ضم جناحيه على ممر موج المنسر والأظفور

كالجيم في منقطع السطور

وقلت في عصفورة يقال لها السقا :

ومفتنة الألوان يرض وجوها ونمر تراقبها وصفر جنوبها
كان دراريماً عليها قصيرة مرقمة أعطافها وجيوبها
تعدل ألوان الأغاني كأنما تبدل أوزان الأغاني عريبها
تسام استقاء في العشاء إذا هوى وعطل أيام المصيف ذنوبها

وكان الاصمعي يتعجب من حسن بيت الطرماح في صفة الظليم

بجتاب ، وقلت في بلايل :

مررتُ بدكن القمص سودِ العمام تفتى على أعرافٍ غيدرِ نواعم
 زهينَ بأصداعِ تروقُ كأنها نجومٌ على أعضادِ أسودِ قاحم
 ترى ذهباً ألقتهُ تحتَ مآخرِها ولجيناً بطنه بالمقدام
 فباحسنَ خلقٍ من نضارِ وفضة وخزٍ وديباجٍ أحمرٍ وقائم
 وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي ذكوان وأبي خليفة عن التوزي قال
 قال عمرو بن الحارث الجمحي ما رأى الأصمى مثل نفسه قال الرشيد يوماً أنشدونا
 أحسن ما قيل في وصف المقاب فعذر القوم ولم يأتوا بشيء فقال الأصمى أحسن ما قيل فيها:
 باتتُ يورقها في وكرها سغبٌ وناهضٌ يخلص الأوقات من فيها
 وقال امرؤ القيس:

كأن قلبَ الطيرِ رطباً ويابساً لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالي
 فقال الرشيدُ ما بعلُ^(١) القوم بشيء إلا وجدت عندك فيه شيئاً .
 وقال آخر في الغراب:

وجرى بينهم غداةً يحملوا من ذى الأبارقِ شاجعٌ يتفندُ
 شبحُ النسا خرقُ الجناحِ تخاله في الدارِ إثرَ الظاعنينَ مُقْبِدُ
 وقال آخر في عتق:

إذا بارك الله في طائرٍ فلا بارك الله في عتق
 طويل الذنابي قصير الجنا حمني ما يجد غفلةً يسرق
 يُقلِّبُ عينين في رأسه كأنهما قطرتا زئبق
 وقال آخر في الزناير:

لها حاةٌ كأنها شعر تظهرُ مسودةً وتستترُ
 قد أذهبت في الجبينِ غرته إذ قضضت في جياتنا الفرار
 وقلت في ظبية داجنة وقارى:

(١) بعل بأمره كفرج: دهش وفرق ويرم قلم يدر ما يصنع .

فيها مؤانسة لنا وحشية
تخال في متصنل متكفر
تبرأ أضراً بنفضة يضاء
ودقيقة الأطراف وهي جسيمة
ومغنيات من وراء ستائر
مشقوقة الأوساط والاحياء
غنت فلم تخرج إلى مشهورة
وشدت فلم تقهر إلى الملاء
تبدو على أعناقهن أهلة
سود تبسل ظلمة بضياء

﴿ الفصل السادس من الباب العاشر ﴾

(في ذكر بقية الحيوان من السنور والقنفذ والفأرة والحية والعقرب والحرباء
والضب والبق والبراغيث وما يجرى مع ذلك)

كتب الصاحب أبو القاسم في وصف قنفذ : قد آخفتك ياسيدي بمنق نفيس
يتمجب التأمل من أحواله وبحار الناظر في أوصافه ويتبدل الاعتبار في آياته فما تعرف
بدبهة النظر أمن الحيوان هو أم من الجماد أم هو من الشجر أم من النبات ومن
الناطق هو أم من الصامت أم من الحار أم من البارد أم من الرطب أم من اليابس
حتى إذا أعطى متدبره النظر أوفى حقوقه والفحص أكل شروطه علم أنه حي
سلاحه في حصنه ورام سهامه في ضمنه ومقاتل رماحه على ظهره ومخاتل مره خلاف
جهره ومحارب حصنه من نفسه يلقاتك بأخشن من حد السيف ويستتر بالين من
مسه حتى إذا حذر جمع أطرافه فتحسبه راية قتاد أو كرة حرشف ومتى أمن بسط
أكنافه وهي أمضى من الأجل وأرمى من ممل ان رأته الأراقم رأته حينها أو
عابنته الأسود عابنت حتفها صلولك ليل لا يحجم عن دامه وحارس ظلام لا يمين
في حنادسه - شعر :

كغشم الفتيان غير مهبل سهد إذا ما نام ليل الهوجل

لجـرمه من الضب شبه ومن الفأر شكل ومن الورل نسبة ومن الدليل
 سبب ولم أعمه عليك هو أنقد ولذلك قيل من لم يذق غماضاً ولم يرقد حثاثاً
 بات بليلة الأتقد ، وذكره الشيهم وهو الشيزم وأثناء عيمة معرفة لا يدخل الألف
 واللام عليهما كتنخوط ودجلة وكحل ، ولا أعنيك هو القنفذ ، ومن أحواله أن العرب
 تسليخ جلده فتخرجه كالشحمة البيضاء وتجعله من أنفـس ما كـلها وأفخر مطاعها حتى تراه
 أرفع من الأفاعى وأنفع من الجرذان وتدعى جهلة الاعراب انه من مراكب
 الشيطان وهو الطاف من الفرس حساً وأصدق سمماً وقد جاء في المثل (أسمع من
 قنفذ) ومن أوايده أنه يسود إذا هرم وبصير كأبر ما يكون من الكلاب وأعظم
 ويشبهه به ركب المرأة عقب التنف والنورة ولذلك قال ابن طارقي أرجوزة له :
 يصيرُ بعدَ حلقهِ ونورتهُ كقنفذِ القفِّ اختبي في فروته
 ويشبهُ الساعى والنمام به تلجته ومكره واضطرابه في ليله قال أيمن به خريم :
 كقنفذِ الرملِ لا تخفى مدارجُه خبَّ إذا نامَ ليلُ الناسِ لم ينم
 وقال عبدة بن الطبيب ^(١) :
 قومٌ إذا دَمَسَ الظلامُ عليهم حـدجوا قنـافـذَ بالـنـيـمة تـمرعُ
 وقال جرير :

يـدبـونَ حـولَ ركبـانـهم . ديبَ القنـافـذِ في العرفـج
 فخذ ياسيدي ممتعاً واقبله شاكرأ برى فيه فاحتط عليه احتياط الشحيح
 على ماله والجبان على روحه وارغب إلى الله تعالى في حفظه واسأله إطالة عمره وهو
 حسبي ونعم الوكيل .

ولم أسمع في صفة المرأة أخرف من قول ابن طباطبا العلوي الاصفهاني قال فيها :
 أرقّت مُقلتي حبَّ عروس طغلة في الملاح غدير شموس
 فتنني بظلمة . وخياء إذ بدت لي كالماج في الابنوس

(١) هو الشاعر الفحل الشجاع الذي شهد الفتوح ، وقال فيها شعراً .

تلقى الظلام من مُقْتَلِهَا بشعاع يحكي شعاع الشموس
ذات دك قصيرة كلما قا مت نهدي طويلة في الجلوس
لم تزل تسبغ الضوء وتتي كل عضولها من التنجيس
دأبها ساعة الطهارة دفن السعير الرطب في الخنوط اليبس
ومن أجود ما قيل في الحية قول النابغة :

صل صفا لا ينطوي من القصر طويلاً الاطراف من غير خفر
مهرونة الشدين^(١) حولاً النظر تفر عن عوج حداد كالأبر
داهية قد صغرت من الكبر

وقال الآخر : خلقت لها زمة عرين ورأسه كالقرص فطح من دقيق شعر
فكان شديده إذا استعرضته شداً عجوز مضضت اظهور
وأجاد خطف في قوله :

ثم آى بحية مانجى أبت مثل يئذ الشطرنج
وليس من شعر المحدثين في الحية أحسن من قول ابن المعتز :

كأنى ساورتنى يوم بينهم رشاءً بجدولة في لونها بلق
كأنها حين تبدو من مكانها غصن تفتح فيه النور والورق
ينسل منها لسان تستغيث به كما تعود بالسبابة الفریق
وقوله أيضاً :

أنت رشاء لا يحيى ليدتها لو قدما السيف لم يعلق به بلل
تلقى إذا انسلخت في الأرض جلدتها كأنها كم درع قد بطل
وقلت : وخفيفة الحركات تقترع الربى كالبرق يلمع في الغمام الرائح
منقوطة تحكي بطون صحائف إبان تبدو من بطون صفائح
ترضى من الدنيا بظل صغيرة ومن المعاش بأشمام روائح

(١) أى واسعة الشدين .

وهذا من قولهم ان الحية إذا هرمت لم تحتج الى العلم واكتفت بالنسيم .

وقال اعرابي :

وحش كحلقة السوار غايته شبر من الاشبار
كأنه قضيب ماء جارى يقتتر عن مثل تلظى النار

وقال آخر : يرقونه فكأنما يعنى برقيقته سواه

وقال أبو العباس ثعلب يُقال أنه لم يسمع في صفة الحية أحسن من هذا البيت وأنشد:

كأنما لسانه على فيه دخان مصباح ذكت ذواكه

وقال عبد الصمد بن المعدل في العقرب :

يارب ذى إفك كثير خدعه يبرز كالقرنين حين يطلعه

في مثل ظهر السبت حين تطلعه أسود كالسيحة فيه مصبعه

لا تصنع الرقشاء مالا تصنعه

وقلت فيها أيضاً :

وإذا شتوت أمنت لسعة عقرب كالنار طارت من زناد القادح

قد خلتها تمشى بسبعة طابد كالأقد تمشى بصعدة راح

وقال آخر: يحمل رُمحاً ذا كعوب مُشتر فيه سنان كالخريق يستعر

أنف تأنفاً على حسن قدر تأنف أنف القوس مُشدت بالوتر

ومن أحسن ما قيل في الحرباء وهي دويبة شبيهة بالمظلة تأتي شجرة بالتنضبة

فتمسك يديها غصنين منها وتقابل الشمس بوجهها فكما زالت عين الشمس

عن ساق منها خلّت يديها عنه وأمسكت بساق آخر حتى تغيب الشمس فتسبح

في الأرض وترتع قال أبو دواد :

إني أتيح لها حرباء تنضبة لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقا

والعرب تقول أحزم من الحرباء لأنها لا ترسل غصناً إلا أمسكت بآخر ،

ويشبهه به الرجلُ الحَصيفُ ^(١) الذي لا يترك شيئاً إلا أخذ بسبب أمتن منه .
قال ابن الرومي في امرأة ورقبيها :

بابها قد حسنت ورقبيها أبداً قبيحٌ قبيحُ الرقباء
ماذاك إلا أنها شمسُ الضحى أبداً يكونُ رقبها الحرباء
وقال بعض العلماء : الحرباء فارسيةٌ معربةٌ وأصلها خورباء أى حافظ الشمس ،
وخور اسم للشمس بالفارسية . وكان ذو الرمة أنعت العرب للحرباء قال :

ودَّوِيَّةٌ جرداء جداء خيبت بها صبواتُ الصيف من كل جانب
كأنَّ يدي حربائها متمسكاً بدا مُذنبٌ يستغفرُ الله تائب
وقال أيضاً : وقد جعل الحرباء بصفر لونه
ويسبح بالكفين سبجاً كأنه
وقال أيضاً : يصلى بها الحرباء للشمس مائلاً
إذا حوّلَ الظل العشي رأيتُه
وينحصرُ من حرِّ الهجير غباغبه
أخو فخره أوفى به الجذع صالبه
على الجدل إلا أنه لا يكبرُ
حنيفاً وفي قرنِ الضحى يتنصّرُ

وهذه تشبيهاتٌ مصيبةٌ عجيبَةٌ الاصابة دالةٌ على شدة الخلق وثقوب الذهن ، وقد
أجمعت العرب أن ذا الرمة أحسنهم تشبيهات . وقال ابن المعتز :

ومهم فيه ييضات القطا كسرا كأنها في الأفاحيص القواريرُ
كأنَّ حربائها والشمسُ تصهرُ صال لنا من لهيب النار بقرور
وهذا تشبيهٌ مصيبٌ أيضاً إلا أنَّ للأول منه وطلاوة ليس لذا .

ومن أحسن ما قيل في الضب قول الحماني :

ترى ضبها متسماً رأسه كما مدَّ ساعده الأقطع
له ظاهرٌ مثل يردِ الوشى وبطنٌ كما حسر الأصلع
هو الضبُّ مامدٌ مكانه فاذ ضمه فهو الضغدع

ومن أجود ما قيل في البعوض وأجمعه قول بعضهم أنشد أبو عثمان :

(١) في نسخة « الحصيف » وفي أخرى « الخفيف » ولعل الصواب ما أثبتناه .

إذا البعوضُ زجَلَتْ أصواتها وأخذَ الحنَّ مُغْنِيَاتِهَا
لم تُطرب السامعَ خافضاتها وأرقَّ العينين رافعاتها
صغيرةٌ كبيرةٌ أذاتُها يقصر عن بُغْيَتِهَا بُغَاتِهَا
ولا يصيبُ أبداً رُمَاتِهَا راحةٌ خرطومها قناتِهَا
وقال آخر : * حنّانةٌ أعظمها أذاها * وقال ابن المعتز :

بِتُّ بِلِيلٍ كَلَمْ لَمْ أَطْرِفِ قِرْقِسُهُ ^(١) كَالزَّيْبِ الْمُنْتَفِ
يَتَقَبُّ الْجِلْدَ وَرَاءَ الْمَطْرِفِ حَتَّى تَرَى فِيهِ كَشْكَالَ الْمَصْبُفِ
أَوْ مِثْلَ رُوسِ الْمَصْفَرِّ الْمُنْدَفِ

وقلت : غناءٌ يسخنُ العينَ وبنفَى فَرَحَ الْقَلْبِ
ولا يَأْتِي عَلَى الزَّمْرِ ولا يَجْرِي مَعَ الضَّرْبِ
غناءُ البَقِّ بِاللَّيْلِ يَنَافِي طَرَبَ الشَّرْبِ
إِذَا مَاطَرَقَ الْمَرْءَ جَرَى فِي طَلْقِ الْكَرْبِ
نَحِيفٌ رَاحَ كَالشَّنِّ وَلَسْكَنَ بَاتَ كَالوُطْبِ
إِذَا مَانَقَبَ الْجِلْدَ هَ أَخْفَى مَوْضِعَ النَّقَبِ
سَوَى حَمْرِ خَفِيَّاتِ نَحَاكِ تَقَطَّ الْكُتُبِ

وقد ذكروا أن كل معنى للأوائل أخذته المتأخرون وتصرفوا فيه إلا قول
عنزة في الذباب فإنه لم يتعرض ^(٢) له ولو رامه من رامه لا فضع وهو قوله :

وترى الذبابَ بها يُغْنِي وَحْدَهُ زَجَلًا كَفَعَلَ الشَّارِبِ الْمَتْرَمِ
هَزْجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ فَعَلَ الْمَكْبُ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْدَمِ
وقلت : وبدا فغناني البعوضُ مُطْرَبًا فهِرَقْتُ كَأْسَ النُّومِ إِذْ غَنَانِي
ثم انبرى البرغوثُ يَنْقُطُ أَضْلَعِي نَقَطَ الْعِلْمِ مُشْكَالَ الْقُرْآنِ
حتى إذا كشف الصباحُ قَنَاعَهُ قَرَأْتُ لِي الذُّبَابُ بِالْأَلْحَانِ

(١) القرقس بالكسر : البعوض . (٢) في الأصل « لا تعرض » .

وكتب أبو القسم الأمدى : وصار كاتب الديوان أفرغ من حجام سابط
وحسبك أيدك الله أن كاتب الديوان في هذا الوقت شيخ كان يخلق ويخلق من
كان على الديوان قبل يعرف بأبن نوح حسن الشيبة عظيم الهامة كثير الصمت لو
وأيمه لقلت هذا نوح النبي ﷺ فمما ووقاراً وليس له عمل خلف سلته إلا صيد
الذبان فهو أعلم خلق الله بأجناسها إذا مر به ذبان يطير عرفه بطيرانه قبل
أن يسقط فيقول هذا ذكر وهذا أنثى وهذا ربيع وهذا صيف وهذا ملح وهذا
الجوج يسقط على العين والأنف ويترد فيعود وهذا يلسع وهذا ليس بلسع وهذا
يقع على الأقدار وهذا تره عيوف لا يقع إلا على الماء كل الحلوة والأشياء
العذبة وهذا من صيد الليث وهو جنس من العناكب وليس هذا من صيده وهذا
يقع في شبكة الخدرنق - وهو السكبوت الطويل الأرجل - وهذا يسفد وهو
بطير وهذا لا يسفد إلا واقعا وهذا مما يدخل رأسه في رؤوس الذبان السبعة
التي تقع في الأكال لأنه أقرح وهذا ان وقع رأسه في كل عي من يكتحل به لأنه
أحمر الجبهة وهذا يقبل بدنه على خرطومه وهذا لا يقبل وهذا هزج مغن وهذا
صموت وهذا يندى وهذا يبشر بطنينه وزمرته فيصدق فيما يسعد ويؤعد
ويكون ذلك أخذاً بالكف . وقد ألف فيها كتاباً حسناً فيه نوادر وعبر .
وخلنته قد نظر في باب الذباب والبعوض من كتاب الحيوان واستقى من هناك
فناحته فإذا هو لا يعرف الجاحظ ولا سمع بكتاب الحيوان قط ونظرت فإذا أبو
عثمان لم ينته في معرفة الذباب إلى شيء مما انتهى إليه وعرفه .

ومن أجود ما قيل في البراغيث قول بعضهم وقد ظرف في ذلك :

فيا المباد الله مالقيلة إذا ظهرت في الأرض شد مغيرها
فلا الدين بينها ولا هي تنهى ولا ذو سلاح من معد يضيرها
وقال آخر :

هنيئاً لأهل الرى طيب بلادم وأن أمير الرى يحيى بن خالد

بلادٌ إذا جنَّ الظلامُ تفاقرت براغيثها من بينِ مثنى وواحدٍ
ديارِجَةٌ سودُ الجلودِ كأنَّها نعالٌ يريدُ أرسلتُ في المزودِ
وقلتُ: ومن براغيث تنفى النومَ عن بصرى كأنَّ جفتي عن عيني قصيرَ أن
يطلبنَ مني ثاراً لستُ أعرفهُ إلا عداوةَ سودانٍ لبيضانِ
وقد شكاهن الرماح الأمدى فأحسن في قوله :

تطاولَ بالفسطاطِ ليلي ولم يكن بحنو الفضا ليلي عليَّ بطولُ
يؤرقني حُسدٌ صفارٌ أذلهُ وان الذي يؤذيتُهُ للليلِ
إذا ما قتلناهن أضغفنَ كثرةً علينا ولا ينعي لهنَّ قتلُ
ألا ليتَ شمرى هل أبيتنَّ ليلةً وليس لبرغوثٍ إلى سبيلِ
وقال ابن المعتز :

وبراغيث ان ظفرنَ بجسمى خلت في كلِّ موضعٍ منه خالا
وأما القمل فأعجب ما قيل فيه قول بعضهم :

للقمل حولَ أبي العلاءِ مصارعٌ من بين مَقْتولٍ وبين عقيرِ
وكأنهنَّ إذا علونَ قبيصتهُ فردٌ وتوأمٌ ممسِمٍ مقشورِ
وقد أبدع جرير في قوله :

ترى الصبيانَ ما كفةً عليه كسفةِ الفرزدقِ حين شابا
وقلتُ في النمل :

وحىَّ أناخوا بالنازلِ بالوى فصاروا بها بعدَ القطارِ قطينا
إذا اختلفوا في الدارِ ظلتَ كأنها تبددُ فيها الريحُ بزرَ قطونا
إذا طرقوا قدرى مع الليلِ أصبحت بواطنها مثلَ الظواهرِ جونا
لهم نظرةٌ يميني ويسرى إذا مشوا كما مرَّ مرعوبٌ يخافُ كينا
ويمشون صفّاً في الديارِ كأننا يجرّون خطّاً في الترابِ ميدينا
ففي كلِّ بيت من يسوتى قريةً تضمُّ صنوقاً منهم وفتيونا

فيا مَنْ رَأَى يَتَأْ يَضِيقُ بِخُمْسَةٍ وفيهِ قَرِيَّاتٌ يَسْعَتُ مِثْنَا
 قالوا ومن الأبيات الجامعة للشرِّ قول بعض القدماء :
 به البقُّ والحمى وأسدُّ خَفِيَّةً وعمرُو بنُ هندٍ يَتَلَدِي وَيَجُورُ
 وبالمصرِ برعوثٌ وبقٌ وحَصْبَةٌ ومُحْيٍ وطاعونٌ وتلك شرورُ
 وبالبسورِ جوعٌ لا يَزَالُ كَأَنَّهُ دُخَانٌ عَلَى حَدِّ الْأَكَامِ يَمُورُ
 ألا أَمَّا الدنيا كما قالَ رَبُّنَا لأحمدَ مُحْزَنٌ قَارَةٌ وَسُرُورُ
 وقلت في الجراد :

أَجْنَحَةٌ كَأَنهَا أَرْدِيَّةٌ مِنْ قَصَبٍ لَكِنَّمَا مَنقُوطَةٌ مِثْلُ صَدُورِ الْكُتُبِ
 وأرجلُ كَأَنهَا مَنَاشِرٌ مِنْ ذَهَبٍ
 وقلت : وأعرابية تَرْتَادُ زَادًا خَسِرَتْ مِنْ بِلَادٍ فِي بِلَادٍ
 غَدَتِ تَمْشِي بِمَنشارٍ كَلِيلٍ تَبُوعٌ بِهِ قَرَارَةٌ كُلُّ وَادِي
 وتنتشر في الهواءِ رِداءٌ شَرِبَ عَلَى أَرْجَائِهِ تَقَطُّ الْمِدَادُ
 وتلبسُ تَحْتَ ذَاكَ عَطَافٌ لَا ذِ عَلَى أَكْنَافِهِ وَدَعِ الْجَسَادُ
 ومن عجيب ما قيل في الفأر ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن
 سعيد عن الرياشي قال دخل اعرابي البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر فقال في ذلك :
 عَجَلُ رَبِّ النَّاسِ بِالْعَقَابِ لَعَامِرَاتِ الْبَيْتِ بِالْخَرَابِ
 كَحُلِ الْعَيُونِ وَقَصِ الرِّقَابِ بِمَجْرَدَاتِ أَجْبَلِ الْأُذُنَابِ
 مِثْلُ مِدَارِ الطُّفْلَةِ الْكَعَابِ كَيْفَ لَهَا بِأَمْرِ الْوُثَابِ
 مُنْهَرَتْ الشَّدْوُ حَدِيدُ النَّابِ كَأَنَّمَا يَكْشُرُ عَنْ حَرَابِ
 يَفْرَسُهَا كَالْأَسَدِ الْوُثَابِ

آخر الباب العاشر من كتاب ديوان المعاني والحمد لله حق حمده وصلواته على
 محمد وآله وصحبه والخلفاء الراشدين من بعده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أراد بنا من عاجل الخير وآجله ومؤتته وراهنه فجعل لنا في أنفسنا موعظاً وفي أبداننا زواجر يرشدنا ويهدينا ويكفنا عما يردينا من مرض بعد صحة وشيبة بعد شبية لنتبر بتغير الأحوال علينا وتغير الحدثن إيانا حمداً تتألف أشقاته وتتصل مواده ، وصلى الله على محمد وآله .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في صفة الشباب والشيب والخضاب والعلل والموت والمرأى)

والزهد وما يجرى مع ذلك وهو :

﴿ الباب الحادى عشر من كتاب ديوان المعانى ﴾

فأول ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي قال سمعت ابن الأعرابي يقول
لأعرف في التفجع على الشباب وفي ذم الشيب أحسن من قول أبي حازم الباهلي
على قرب عهده :

لا تكذبين فما الدنيا بأجمعها من الشباب يوم واحد بدل
شرح الشباب لقد أقيت لي أسفاً ما جد ذكرك إلا جد لي ثكل
كفالك بالشيب ذنباً ^(١) عند فانية وبالشباب شنيعاً أيها الرجل

(١) في نسخة « كفالك بالشيب عيياً » .

وأحسن منه غندي قول منصور النمرى^(١) :

ما تنقضى حسرة منى ولا جزع^٢ إذا ذكرت شباباً ليس يرتجع^٣
 بأن الشباب ففانتى بشرته^(٢) صروف دهر وأيام لنا خدع^٤
 ما كنت أو في شبابي كنت غرته حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع
 قوله (فاذا الدنيا له تبع) من أشرف كلام وأنبه وأجمل وأوجزه ، وسمعه الرشيد
 فقال نعم لا خير في دنيا لا يخطر فيها يرد الشباب . وقال محمود الوراق :

لا يحسن النسك والشباب ولا البطالات والخضاب
 كل نعيم وكل عيش قبل الثلاثين يستطاب

وقال غيره :

فقلت وهل بعد الثلاثين ملعب^٥ فقلت وهل قبل الثلاثين ملعب^٦
 وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال حدثنا الفضل بن الحباب الجمحي
 قال حدثنا محمد بن سلام قال من كلام يونس بن حبيب : الكبر وكل عيب والعزل
 وكل ذم والولاية وكل مدح والشباب وكل صحة واليسار وكل فضيلة والفقر وكل
 ذلة . وقال ابن المعتز :

لحنى على دهر الصبا القصير وغصنه ذى الورق النضير
 ويكره وذنبه المغفور ومارح القلوب فى الصدور
 وطول جبل الأمل المجرور فى ظل عيش غافل غرور
 أغلرو وجنى الصبا أميرى ملء العيون الغانيات الحور

وقال الحماني :

وأيامه الغر مثل الخطوط فى المسك فوق خدود الحسان

(١) من شعراء الدولة العباسية ، استقدمه الفضل به يحيى واستصحبه ثم وصله
 بالرشيد ، وفي حضرته أنشد هذه الأبيات .

(٢) شرة الشباب : نشاطه ، وفي الأغانى (بلذته) .

ليالي أنت جُذيل الصبا وأيامه وعُذيق الغواني
وقال أيضاً : أيام كنتُ من الغواني كالسوادِ من القلوبِ
فإذا استطعتُ خبأتني بين الخائقِ والجيوبِ
وقال أبو عبد الله بن المعتز :

يا قلبُ ليسَ إلى الصبا من مرجع فاحزنْ فليستَ بمثله مفعوجاً
وقال يصف نفسه في شبيبته :

من بعد ما قد كنتُ أي فتى كقضيبي بانٍ ناعمٍ رطبٍ
فإذا رأتني عَيْنُ غانيةٍ قالتْ أوأبدُ طرفها حسي
ونحوه قوله : إذا ما تمشت في عين خريدة فليست تخطأني إلى من ورائها
وقال أعرابي : سقى الله أياماً لنا وليالياً لهنَّ بأكنافِ الشبابِ ملاعبُ
إذا العيشُ غصُّ والشبابُ بفرة وشاهدُ آفاتِ المحبينَ غائبُ
وأما آتي بالبيت والبيتين لأنني أعتمد الفقرة فأوردها وأقصد الزائدة فأكتبها
وأتوخى المعنى الشريف واللفظ الظريف فأزفهما إليك وأجلوهما عليك ولو
تحدقت^(١) في المعاني وأضفت^٢ إلى كل شيء منها شكلاً وقرنت^٣ إليه مثله أو أكثر
من عدد ما أورده من الأبيات لصار كل فصل من فصول كتابنا باباً طويلاً وكل
باب منه كتاباً كبيراً حتى يكون جذيراً بالاملال والاضجار وداخلاً في حدِّ
الاكثار والاهذار ونموذ بالله منهما .

تذكرُ إذ أنتَ قضيبي رطيب عليه للحسنِ رداءٌ قشيبُ
خالطَ ماء الحسنِ في وجهه ماء شبابٍ لم يرقه المشيبُ
إذا مشى يخطر في برونه غابر فيه الشكل حسن رطيبُ
كنتَ قضيبي البانِ لم يقتضب وأنتَ من بعد قضيبي قضيبي
فألهو مُشبر مقاديرمه مُعفرُ الوجهِ حريبٌ سليبي

خذ بنصيب من مرور الصبا فما لشيخ من مرور نصيب
وأول من بكى الشباب وذم المشيب عبيد بن الأبرص في قوله :
والشيب شين لمن أمسى بساحته لله درك الشباب الله الخالي
وقال مزاحم العقيلي (١) :

عزاء على ما فات من وصل خلة وريق شباب سله الشيب منجلى
ومثل ليالينا بمحطمة قالوى بلين وأيام قصار بمأسل
وقد أحسن أبو العتاهية في قوله :

عريت من الشباب وكلن غصاً كما يمرى من الورق التضييب
ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب
وقلت : قوام كما شاء المشيب معوج ووجهه كالأشتبه مشنج (٢)
وفرع جلاء الشيب حتى كأنما نغشاء معروف من الصبح أبلج
ومهدى به بالأمس جوفاً كأنما تجلله عرف من الليل أدهج
ليالى جاءتك الليالى عرائساً تروق ونصبى أو تضوع وتأرج
حسان الوجوه كالرياض أنيقة تخطيط لها كف الغمام وتنسج
رقاق جلايب النسيم أريجة لها نكهة كالسك أبان يمزج
وقال رؤبة وأحسن في ذلك :

كر الجديدان بنا وانطلقا ولا يجدان إذا ما أخلقا

(١) شاعر فصيح اسلامى صاحب قصيد ووجز كان معاصراً لجرير والفرزدق ،
وكانت الشعراء تقرضه ، روى أن الفرزدق دخل على عبد الملك بن مروان فقال له
أتعرف أحداً أشعر منك ؟ قال لا إلا أن غلاماً من بنى عقيل يركب أعجاز الابل
وينمت الفلوات فيجيد ، ثم جاءه جرير فسأله فأجابه بجوابه ، ثم جاء خوارمة فسأله
كذلك فأجاب بمثل جوابيهما وقال : غلام يقال له مزاحم يسكن الروضات يقول
وحشياً من الشعر لا يقدر على مثله . (٢) أى تقبض جلده .

ولو يبيعان الشباب أفقاً والشيب لا سوق له ان سوقاً
وقال المقنع أظنه :

وذادت عن هواه البيض ميض لها في مفرق الرأس انتشار
جديد والليس (١) أعز منه وأحرى أن يناقسه التجار
وقد أحسن الفرزدق في قوله :

وفي الشيب لذات تلادع نفسه ومن قبله عيش تعلل جادبه
ومن الشعر الجذل السهل المطيع المتع القريب البعيد الممكن المتعذر قول النمرى :
ومنازل لك بالحي وبها الخليط نزول
أيامهن قصيرة وسرورهن طويل
وسعودهن طوال ونحوهن أفلول
والمالكة والشبا ب وقينة وشمول

ومن أبلغ ما قيل في كراهة الشيب قول البحزى :
وددت بياض السيف يوم لقيتى مكان بياض الشيب حل بمفرق
وقد أحسن أبو تمام الاحتجاج للشيب في قوله :
فأصغرى أن شيئاً لاح بي حدثاً وأكبرى أننى في المهد لم أشب
لاتذكرى منه تجديداً نجلاه (٢) فالسيف لا يزدرى أن كان ذا شطب
ولا يرو عنك إيماض القنير به فان ذاك ابتسام الرأى والأدب
ووجدت بيتاً فاسد السبك فأصلحته وقلت :

نجوم مشيب في ظلام شببية وما حسن ليل ليس فيه نجوم
وقال أبو عبد الله الأسباطى :

لا يرعك المشيب يا ابنة عبد الله فالشيب زينة ووقار
أما تحسن الرياض إذا ما ضحكت في خلالها الأنوار
وقال الخوارزمى - متأخر :

(١) أى الذى ليس كثيراً . (٢) فى ديوان أبى تمام « تجديداً نجلاه » .

وقالوا أفق من سكرة اللهو والصبا قد لاح صبح في دجلك عجيب
 فقلت لهم كفوا الملام وأقصروا فان الكرى عند الصباح يطيب
 وهذا معنى مليح أظنه ماسبق اليه . وأول من تهاون بالشيب جرير في قوله :
 يقول العاذلات علاك شيب أهذا الشيب يمنى مراحي
 وتبعه الناس فمن أحسنهم قولاً فيه ابن الرومي حيث يقول :
 لاح شبي فرحت أمرح فيه مراح الطرف في العذار المحلى
 وتولى الشباب فازدحت غياً في ميادين باطلي اذ تولى
 إن من سوء الزمان بشي لا حق امرئ بأن يتسلى
 وهذا من قول أحمد بن زياد الكاتب :

ولما رأيت الشيب حلّ يأخذه بمفرق رأسي قلت للشيب مرحبا
 ولو خلت أنى إن كفت تخبى تنكب عني دمت أن يتنكبا
 ولكن إذا ما الكره حلّ تساحت به النفس يوماً كان للكره أذهباً
 وفي ألفاظ هذه الأبيات زيادة على معناها ، وأبيات ابن الرومي متوازنة اللفظ
 والمعنى مع أصابة تشبيهه في قوله * مراح الطرف في العذار المحلى *
 وقد بالغ في ذم الشيب أبو تمام فقال :

دقة في الحياة تدعى جالاً^(١) مثل مامتي اللديغ سليماً
 غرة مرة^(٢) ألا إنما كنت أغراً أيام كنت بهجاً
 وقال ابن المعتز :

لقد أبقضت نفسي في مشبي فكيف تخبى الخلود الكباب
 وقلت : فلا تعجبا أن يهين المشيب فما عين من ذاك إلا معيباً
 إذا كن شبي بغيضاً إلى فكيف يكون إليها حبيباً
 وقد كنت أرفل برد الشباب قشياً ولؤلؤ وشياً قشياً

(١) في ديوان أبي تمام (جلالاً) . (٢) في الديوان (غرة بهمة) .

إذا ملت ملت قضييًّا رطيا وإن صلت صلت قضييًّا قضوبا
ومن مليح ما قيل في الشيب وهزه النساء من صاحبه قول كشاجم :
ضحكت من شيبه ضحكت في سواد اللة الرجله
ثم قالت وهي هازلة جاء هذا الشيب بالعجله
قلت من حبيك لا كبر شاب رأسي فاثنت خجله
وثنت جفنا على كل هي منه الدهر مكثله
أكثر منه تعجبها وهي تجنب وتضحك له

ومن مليح ما قيل في ذلك وغريبه قول الآخر :

فظلت أطلب وصلها بتعطف والشيب يغمزها بأن لا تنفعي
وذكر مسلم بن الوليد كراهة الشيب و كراهة مفارقه إذا جاء فأحسن حيث يقول :
الشيب كره وكره أن يفارقي أحسب بشيء على البغضاء مودود
فتبعه على بن محمد الكوفي فقال :

بسكى للشيب ثم بكى عليه فكان أعز قدأ من شباب
فقل للشيب لا تبرح حميدا إذا نادى شبا بك بالذهاب
ونقله الى موضع آخر فقال :

لعمرك للشيب على مما قدت من الشباب أشد فوتا
هذا البيت مضطرب اللفظ والرصف والصنعة فاعتبره :

تعليت الشباب فكان شيبا وأبليت المشيب فصار موتا
وكان من تمام الصنعة أن يقول « أشد قدأ » لقوله « قدت من الشباب ». وقلت :

والشيب زور يجتوى وقربه لا يرضى وفقدته لا يشتهى
قد يشتهى كل أمرى بلوغه وقل من يبلغه إلا شكا
كأنما الشباب كان فرقة له من الأنفس حب وقل

وقد أجاد الأعرابي في قوله في صفة الشيب : أكره ضيف وأبغض طيف أحب

غائب وأفجع آيب . وقلت :

تكاف مدح الشيب عندى مُعمرٌ وهل يمدحُ الشيبُ إلا تكلفا
فقلت انظرني أولاً منه مؤلماً لقلب فتى أو آخراً منه مُتلفا
تصرُّم من عمرى ثلاثون حجةً لبستُ به أثوبَ الشباب مُطرفا
شبابٌ أطارَ الوجدَ عنى غيابهُ وصرفُ زمانٍ لم أجد عنه مصرفا
أقمت به صدرَ السرورِ فلم يزل به الشيبُ حتى ردّه مُتحنفا
فطر بجناحِ اللهِ في زمن الصبا فأخلق به إن شئت أن يتحيفا
تناولَ وخط الشيب أطرافَ ماضى فأصبح ليلاً بالصباح مُشتفا
ومن المشهور قول دعلج الخزاعي^(١) :

لا تعجبي يا سلم من رجلٍ ضحكك المشيب برأسه فبكي
ومما يحتج به للشيب على الشباب أن الشباب قلما يبقى أكثر من أربعين
سنة وقد يعيش المرء في الشيب التسعين والمائة ، وقال امرؤ القيس في ذلك :

ألا إنَّ بعدَ الفقرِ للمرء قنوةً وبعد المشيبِ طولَ عمرٍ وملبساً
وقال أعرابي : ما بال شيخ قد تخدح له أبلى ثلاثَ عمامٍ ألواناً
سوداء داجية وسحق مغوف وأجدُّ لو نأ بعد ذاك هجاناً
قصر الليالى خطوه فتداني وحنون قائم ظهره فتحاني^(٢)
والموت يأتى بعد ذلك كله وكأنما يعنى بذلك سوانا
لأعرف في وصف الشيب من أول ما ابتدئ إلى أن ينتهى أحسن من
هذا ، وقوله (وكانما يعنى بذلك سوانا) من أبلغ ما يكون من الموعظة . وقلت :

وشباب خفَّ نازله ليتَه عادَ كما كانا
ومشيب آب نازله ليتَه إذ كان ما بانا

(١) شاعر متقدم مطبوع ، هجا الخلفاء ومن دونهم وهرب منهم لكيلا

ينتقموا منه . (٢) في الاصل « فدانا ، فتحانا » .

خائني دهر^١ وثقت به . رُب^٢ موثوق به خانا
وأنشدنا أبو أحمد :

وأفسكت^٣ شمس^٤ الشيب^٥ في ليل^٦ لي لصري^٧ ليلي^٨ كان^٩ أحسن^{١٠} من شمسي^{١١}
كان^{١٢} الصبا والسمت بطمس^{١٣} نوره^{١٤} عروس^{١٥} أناس مات^{١٦} في ليلة العرس^{١٧}

ومن بديع الاستعارة في الشيب قول البحتري :

في الشيب زجر^{١٨} له^{١٩} لو كان^{٢٠} ينزجر^{٢١} وبالغ منه^{٢٢} لولا أنه حجير^{٢٣}
إبيض ما اسود^{٢٤} من فودبه^{٢٥} وإرتجعت^{٢٦} (١) جلبة^{٢٧} الصبح ما قد أغفل^{٢٨} السحر^{٢٩}
ولفتي^{٣٠} مهلة^{٣١} في^{٣٢} الحب^{٣٣} واسعة^{٣٤} مالم^{٣٥} يمت^{٣٦} في نواحي^{٣٧} رأس^{٣٨} الشعر^{٣٩}
ولا أعرف في الشيب أجمع من قول أبي تمام :

غدا الشيب^{٤٠} (٢) مختطاً بفودي^{٤١} خُطة^{٤٢} سبيل^{٤٣} (٣) الردي^{٤٤} منها إلى النفس^{٤٥} مهب^{٤٦}
هو الزور^{٤٧} يجفى^{٤٨} والمماشر^{٤٩} يجتوى^{٥٠} وذو^{٥١} الألف^{٥٢} يقلى^{٥٣} والجديد^{٥٤} يرقم^{٥٥}
له^{٥٦} منظر^{٥٧} في العين^{٥٨} أبيض^{٥٩} ناصع^{٦٠} ولكنه^{٦١} في القلب^{٦٢} أسود^{٦٣} أسفع^{٦٤}
ونحن^{٦٥} نرحبه^{٦٦} على الكره^{٦٧} والرضا^{٦٨} وأنف^{٦٩} الفتى^{٧٠} في^{٧١} (٤) وجهه^{٧٢} وهو أجدع^{٧٣}
ومن أعجب ما سمعت^{٧٤} في الخضاب قول بعضهم :

عجبت^{٧٥} لما^{٧٦} رأيت^{٧٧} عادة^{٧٨} ما بين غدير^{٧٩}
ضحكت^{٨٠} إذا بصرتني^{٨١} قد^{٨٢} تزيت^{٨٣} لعيد^{٨٤}
ثم^{٨٥} نادى^{٨٦} جياً^{٨٧} يا غيتاً^{٨٨} في^{٨٩} جديد^{٩٠}
غرنا^{٩١} منك^{٩٢} خضاب^{٩٣} قد^{٩٤} تراءى^{٩٥} من^{٩٦} بيد^{٩٧}
لاتغالطنا^{٩٨} فما^{٩٩} نصلح^{١٠٠} إلا^{١٠١} للصُدود^{١٠٢}

وقال ابن الرومي :

فدعته^{١٠٣} إلى الخضاب^{١٠٤} وقالت^{١٠٥} إن^{١٠٦} دفن^{١٠٧} المصيب^{١٠٨} غير^{١٠٩} معيب^{١١٠}

(١) في الأصل (إرتجعت) . (٢) في ديوان أبي تمام (غدا لهم) .

(٣) في الديوان (طريق) . (٤) في الديوان « من وجهه » .

وقال : عذار^ه كمثل^ه الاتمحي مطر^ز وفرع^ه كلون^ه البقرى^ه محبر^ه
وقد كان من صبح الشباب ممسكا فأصبح في كف^ه المشيب مكفر^ه
قل^ه للعنول أقصر الآن إني على الرغم من أنف الصباية مقصر^ه
كفاك تكاليف اللام كواكب^ه من الشيب في ليل الشيبية تزه^ه
لوائح من تحت الخضاب كأنما سنى الصبح في وجه الدجنة بكشر^ه
وأول من ذكر أنه شاب من غير كبر ابن مقبل^(١) في قوله :

ماشبت^ه من كبر^ه ولكني أمرو^ه عالت قرع^ه نوائب الدهر^ه
فرايتها عضلا موقعة عزت فما تسطاع بالكسر^ه
فلذاك صرت مع الشيبية نازلا في غير منزلي من العمر^ه
ومن أجود ما قيل في تقارب الخطو قول أبي الطمحان :

حننتي حادثات الدهر حتى كآني خاتل^ه أدنو لصيد^ه
قريب الخطو يحسب من رآني ولست^ه مقيدا^ه أني بقيد^ه
وقد أحسن الآخر في قوله أيضا :

الدهر أبلاني وما أبليته والدهر^ه غيرني وما يتغير^ه
والدهر^ه قبدي بقيد^ه مبرم فمشيت فيه وكل يوم يقصر^ه

وقوله « وكل يوم يقصر » من أحسن العبارة عن ازدياد الضعف وتقصير الخطو
في كل يوم . ومن أعجب ما قيل في الصلح قول الاعرابي :

قد ترك الدهر عصاتي صنفنا فصار رأسي جبهة^ه الى القفا^ه
كأنما قد كن ربما فعفا يمسي ويضحي المنايا هدفا^ه
ومثله قول الآخر :

ثم حسرت عن صفاء تلعب فأقبلت^ه قائلة^ه تشرجع^ه
مارأس ذا إلا جينا أجمع

(١) هو تميم بن مقبل من بني العجلان ، مخضرم معلود في الفحول .

ومثله أيضاً :

جلاه عن أهل الهوى قبح الجلا . جبين وجهه وجبين في القفا .
وقال ابن الرومي في معناه يهجو رجلاً يجذب طرته من قفاه الى وجهه :
يجذب من قمرته طرّة إلى مدى تقصر عن نيله
فوجهه يأخذ من رأسه أخذَ نهار الصيف من ليله
وانشدنا أبو أحمد عن الصولي خلف بن خليفة :

وقام إلى رأسه حاذقٌ فصير من رأسه قرعهُ
يريك بريقاً كطست الجلا ييض كما نصب الطالعهُ
فما شوق عيني إلى قرّة كشوق يميني للصلمهُ
يسكاد وإن لم يردّها الضمير تشوق الحليم إلى صفه
فملنا عليه بأيماننا نسائله عن خبر الوقمهُ
وقال مالك بن أسماء :

أوارى بذّال على العقب جثتي إذا الصلغ واروا هامهم بالقلانس
تودّ النساء المبصراتي أنّه يمار فيستأجرنه للعرائس
وقلت في مدح الخلق :

قتل الشعر من خفيف ثقيل وكثير على الرؤوس قليل
ضامه الله من قصير طويل ضامه الله من قصير طويل
إنما الخلق راحة وجمال فاشد الكف بالمريح الجميل
ما أرى للحسام يصدأ حسناً إنما الحسن للحسام الصقيل

ويشبهون الرأس المخلوق بالصخرة أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد
عن عبد الرحمن عن عمه قال كان يزيد بن الطثيرة زير نساء يتحدث إليهن فتحدث
إلى امرأة من بني أسد فهويها وهويته فخطبها إلى أبيها فردّه ، وخطبها ابن عم له
فزوجها فدخل عليها ابن عمها وهي تقول :

لم يبق إلا شبعاً وعظماً وأدمعاً تنهك منها سجا
 علمت ما بي فجفوت علماً من ستم الوصل تجنى الجرما
 فنهاها زوجها أن تمثل فأنشأت تقول :
 تمثلتُ بيتاً ثم أخريتُ دمةً فمن لأمنى فيه فبدل مايا
 فما أشرف الإبقاء إلا صبايةً وما أضربُ الأمثال إلا تداويا
 فأتى الزوج أباهما فأخبره فأتاها أبوها فقال والله لأن تمثلت لأضربن ظهرك
 وبطنك ، فدخل عليها زوجها وهي تقول :
 فان تضربوا ظهري وبطني كلاهما فليس لقلب بين جنبي ضارب
 فاشتد ذلك على زوجها وهم بطلاقها وخرج مغضبا وإذا يزيد بنفثاته وهو يقول :
 تراءتُ وأستارُ من البيت دونها إلينا وحانت غفلة المتفقد
 بعيني مهاةً تحدرُ الدمع منها برمين شتى من دموع وأحمد
 فجمع أهل بيته وأخوته وآتى أخاه واستعماه عليه فضربه أخوه وحلقه . فقال
 وهو يحلق :

أقول لثور وهو يحلق لتي بعقاء مردودٌ عليها نصابها
 ترفقُ بها ياتورُ ليس ثوابها بهذا ولكن غير هذا ثوابها
 فياربِّ يوم قد تغلل وسطها أنامل رخصات حديث خضابها
 تولى بها ^(١) تورُ ترفُ كأنها سلاسل درع لينها ^(٢) وانسكابها
 وأصبح رأسي كالصخرة أشرفتُ عليها عقابٌ ثم طارت عقابها
 وقد أحسن الفرزدقُ الاستعارة في وصف الشيب وهو قوله :
 والشيب ينهض بالشباب كأنه ليلٌ يصيح بجانبه نهار
 ولا تبي إسحق الصابي آيات في الصلع لم يسبق إلى معناها قالها على وجه المجون :
 لما رماني الزمان بالصلع وقلَّ مالي وضاق منسعى

(١) رواية الأغاني « فراح بها » (٢) في الأغاني « خبئها » .

حاصبت من لى مزيتها حساب شيخ الحق متبع
قلت له اتع من أصل واجبها بالثلث مما به عملت معي
واعمل على أنها مزارعة شكوت فيها شكاة متضع
فاحطط خراج الذي أصبت به واستوف مني خراج مزدرع

ومما جاء في مدح الصلح ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأنباري عن ثعلب
عن ابن الأعرابي قال ألح رجل النظر إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال له
إلى أي شيء تنظر ؟ قال إلى بطن مندهج وهامة صلحاء فقال عليه السلام أما البطن
فأسفله طعم وأعلاه علم وأما الهامة فكما قال الشاعر :

بنى لنا المجد آباءهم شرفهم صلح الرؤوس وسبب السؤدد الصلح
وقال آخر : كفى حزناً أني أدب على المصا فبأمن أعدائي ويفضني أهلي
ويوصي بي الوغد الضعيف مخافة على وما قام الخواضن عن مثلي
أقيم المصا بالرجل والرجل بالمصا فما عدلت ميل عصا ولا رجلى
وقال محمود الوراق في ذم الخضاب :

يشيب الناس في زمن طويل ولي في كل ثلاثة مشيب
وأخفى الشيب جهدي وهو يبدو كما غطى على الريب المريب
وقلت : جريت لعارض غيث الليالي فمالك لونه فايض جبه
وصرت تقص ما يبيض منه أتخلقه إذا ما يبيض كله
نمز عن الشيبة واله عنها فان الليل ليس يدوم ظله
وخل الشيب يضحك ناجداً فان الصبح لا يخفى مظه
وان حلت عرى الذات فيه فليست بعاقب ماجد جبه

(الفصل الثاني من الباب الحادى عشر)

(فى ذكر العلل والأمراض والمرأتى والتعازى والزهد)

أحسن ما قيل فى الرمد قول الوراق أنشدناه أبو أحمد عن الصولى قال وجدتُ
مع هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات من شعر الوراق بالله فى خادم له قد اشتكت عينه :

لى حبيبٌ قد طال شوقى إليه لا أسمى من حذارى عليه
لم تكن عينه لتجحد قسلى ودى شاهدٌ على جفنيه

ومن ههنا أخذ هذا المعنى فتداول قال ابن الرومى أو الناجم :

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم من كثرة القتل مسها الوصب
مهرتها من دماء من قتل والدم فى النصل شاهدٌ عجيب

ومن بديع ذلك وغريبه ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولى أيضاً :

يكسر لى طرفاً به حمرةٌ قد خلط الترجس فى ورده
ما احمرت العين ولكن يكحلها من وردتى خدّه

أخذه من بعض أهل زمانه :

قالوا بدت فى عينه حمرةٌ قد حازها من وردة الخدّ

فقلت لم يرمد ولكن بصافح الترجس بالورد

ومن مليح ما قيل فى شكابة الحبيب قول العباس بن الأحنف (١)

زعموا لى أنها صارت نحم ابتلى الله بهذا من زعم

اشتكت أكل ما كانت كما يكسف البدر إذا ما قيل تم

ومما قيل فى اصفرار اللون من العلة قول أبى تمام :

معدن الحسن والملاحة قد أصبح للسقم معدناً وقراراً

(١) شاعر غزل شريف مطبوع من شعراء الدولة العباسية ، قدمه المبرد على

نظرائه وأطنب فى وصفه وقال رأيت جماعة من الرواة يقدمونه :

لم تشن وجهه الجميل ولكن حملت ورده جنتيه بهارا
ونحوه قول أحمد بن إسحق الطالقاني .

لقد حلت الحمى بساحة خدره فأبليت التفاح بالسومن الفض
والأصل في ذلك قول عبد بنو الحساس أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا
أبو اسحق الشطبي قال حدثنا ابن أبي سعيد قال حدثنا الخزامي قال حدثنا عبد
الملك الماجشون عن يوسف بن عبد العزيز الماجشون قال كتب عبد الله بن
طامر إلى عثمان بن عفان : اني اشتريت لك عبداً حبشياً شاعراً . فكتب اليه عثمان
لا حاجة لي فيه فان قصارى الشاعر منهم أن يهجو أعراضهم ويشبب بكريماتهم
فاشتراه بنو الحساس وكان يكسر في كلامه فقال يوسف لحدثني من رآه
في شجرة واضعاً إحدى رجليه على الأخرى يقرض الشعر وينسب بأخبث نسب ويقول :

ماذا يريدُ السقامُ من قديرٍ كلُّ جمالٍ لوجهٍ تبعُ
ما يبتغي خاباً من محاسنها أماله في القباح متسع
لو كان ينبغي الفداء قلت له ها أنا دون الحبيب يا وجمع .

ثم يقول لنفسه « أحسنك والله » يريدُ أحسنت . وكان كما حدث عثمان
رضي الله عنه فانه ما زال يهجو مواليه ويشبب ببنياتهم حتى قتلوه فضحكت منه
امراً وقد ذهبوا ليقتلوه فقال فيها :

فان تضحكى مني فيارب ليلة جعلتك فيها كلقباء المفرج
وقال أيضاً :

ولقد تحدر من جبين فتاتكم عرق على وجه الفراش وطيب
ومن عجيب ما يروى له قوله يمدح نفسه :

إن كنت عبداً فنفسى حرة كرمأ أو أسود اللون اني أبيض الخلق
وهذا أحسن ما مدح به أسود .

ومن أحسن ما وصف به نحول العليل قول أبي نواس الحسن بن هاني :

يا قمرًا للنصف من شهره أبدى ضياءً ثمان يقين
ومن أحسن ما قيل في تهوين الحمى على المعلوم قول محمد بن زياد الكاتب :
قالوا محمدٌ الحمدُ موجعٌ والشمسُ تكسفُ ساعةً وتعودُ
فلئن سُحمت فلا سُحمت قاتها داءُ الأسود وفي الرجالِ أسودُ
وهذا عندي أحسن من قول البحتري :

وما الكلبُ محومًا وإن طال مُعمرُهُ ألا إنما الحمى على الأسدِ الورد
على أنه معنى مولد وشيء تدعيه العامة ولا تعرف صحته . وقلت :
وقد سرّني أني رأيتك واطنًا على عقي داء تراخى فأدبرا
وقد ظلّ يبغى رائد البرء مورداً لديك ويبغى فارط السقم مصدرا
ولا غرو أن يغشاك عارضٌ علة فاني رأيتُ الورد يغشى الغضنفر
ولو كنتَ نجمًا ما كفت وإنما كسوفك ان أمسيتَ بدرًا مُنورا
ومن ذلك قول علي بن العباس النوبختي :

لئن نخطتُ اليك نائبةً حطتْ بقلبي ثقلًا من الألم
فالدهرُ لا بُدَّ محدثٌ طبعا في صفحتي كلُّ صارمٍ خذم^(١)
وفي الفاظ هذا البيت زيادة على معناه . وقال أيضا في رجل اعتل :
طالَ فكري نعبًا لمصوغ ذهبًا كن يقبلُ الاقضاء
والحسامُ الهذاذ^(٢) يزدادُ حسنا كلما زاده الصقالُ جلاء
والرغبة من هذين البيتين في معناهما وأما سبكهما ووصفهما فلا خير فيه والبيت
الثاني أصلح والبيت الأول متكلف جدا . وقال عبد الصمد بن المأمّل^(٣) يذكر الحمى :
فطوراً ألقيا سُخنةً وطوراً ألقيا فتره

(١) سيف خذم : أي قاطع . (٢) أي القطاع .

(٣) من شعراء الدولة العباسية بصرى المولد والمنشأ ، كان هجاءً شديد
العارضة ، أبوه وجده وأخوه من الشعراء .

رقد أعقبت تخلق حيدة وأورثني الفها ضجيره
 للعبد أن فاطني لطفه وللحر أن ساءني زجره
 ويربو الطحال إذا ما شبع فقلوا الترائب والصلبره
 وأسى كآني من معدني لبست ثيابي على ذكركه
 أسائل أهلي عن سحتي وأمنحهم نظرة نظره
 وأجزع إن قيل في صفرة وأشفق إن قيل في حمرة

ومن أجود ما قيل في الفصد قول ابن الرومي :

أيها البدر لم تزل في كمال إلا مر بدماء وفي النماء هلالا
 كيف كانت معي اقتصادك كانت صحة مستفاداً واندمالا
 واعتدالاً بين المزاج كما أو ثبت في الخلق والخلق اعتدالا
 فعل الله ذاك أنك ما زلت لمرضى ما ارتضى فصلاً
 وفي الفصد شعر كثير ليس في أكثر ما مر بي مختاراً إلا ما أنشدته لعل بن

عبد العزيز الجرجاني :

يا ليت عيني تحملت ألمك وليت نفسي تقسمت معك
 أوليت كف الطيب إذ فصدت عرقك أجرى من ناظري دمك
 أهرته حسن وجنتيك كما تعبته أن لمت من لثمتك
 طرفك أمضي من حد مبضعه فالحظ به العرق واغتم ألمك

ومن مليح ما قيل في الزكام ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن أبي ذر كوان
 الجرمي قال دعا عيسى بن علي عبد الله بن المقفع إلى الغداء فقال : أعزك الله
 لست يومى هذا للكرام باكيل . قال ولم ؟ قال لأنى مزكوم والزكاة قبيحة
 الجوار مائة من عشرة الأحرار . قال وكانت عجوز من بنى عجل تقول :
 حقر من يحقر الزكام . ولم يمر بي في الصداق شيء مليح أثبتته لك غير أنى سمعت
 بعضهم أياً تأني صغر العمامة حتى أشبهت عصاة يعصب بها الصداق وهي هذه الآيات :

وقدّمت إني وعداً بأنك مُلبسى ثياباً اليهنّ المحاسنُ تُنسبُ
 فلا تكسني منهنّ إلا عمامةً بأمثالها الامثالُ في النقص تضربُ
 يقول أناسٌ لي إذا مالبستها أراسك هذا من صدادع مُعصبُ
 على أن رصفها ليس بمختار . ولبشاريت حسنٌ فيه ذكر الصدادع وهو قوله :
 حلّ من قلبه تحلّ شرابٍ يشتهي شربه ويخشى صدّاعه
 وقد قارب الآخر :

لطيرقي بالصدادع نالت فوق منال الصدادع منى
 وجدتُ فيه اتفاقَ سوءٍ صدّعني مثل صدّعني
 وقلت في المعنى الأول :

يقومُ بقامة كنواةٍ قسبٍ وينشر لجة مثل الشراع
 عليه عمامةٌ قصرت ودقت فحسبه تمصب من صدادع
 وقال بعضهم في الجدرى :

وجهٌ للحسن معدنٌ فأنمل وتبين
 تقطّ من جذريّ كدباني معين

وأما النقرس فقد مرّ بي فيه آياتٌ جياذةٌ أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن
 سوار بن أبي شراعة عن عبد الله بن محمد الدمشقي الكاتب عن محمد بن الفضل
 ابن اسماعيل بن علي بن عبد الله أن أبا الفضل قاله نقرس في رجله فدخل إليه أبوه
 اسماعيل يعودّه فقال له كيف أنت يا بني ؟ فقال :

أشكو إلى الله ما أصبتُ به من ألمٍ في أنامل القدم
 كأنني لم أطأها كبدًا من حامدٍ مرّ قلبه ألمي
 والحمد لله لا شريك له لحى للأرض بملها ودمي
 مامنٌ صحيح إلا منتقله إلا يأم من صيحة إلى سقم

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن المبرد وأنّى العينا قال كان أبو علي الحرمازي
 (٢٢ - ثاني المعاني)

في ناحية عمرو بن مسعدة وكان يجري عليه فخرج عمرو الى الشام مع المأمون وتختلف
الحرمازي يتعداد لتقرس ناله فقال :

أقام بأرض الشام فاختل جاني ومطلبه بالشام غير قريب
ولاسيا من مفلس حلف تقرس أما تقرس في مفلس بسبب
أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن زكريا قال ذكر اعرابي رجلاً قد
أثرى فقال قد تنقرس ، وذلك لقول الناس إن النقرس يعرض لنوى النعمة
والترفه ، ومنه قول الاعرابي :

فصرت بعد الفقر والتأيس يخشى على القوم داء النقرس
ويقال للرجل العالم تقرس وللداهية تقرس قال المتلمس : يخشى عليك من الحباء النقرس *
ومن مليح النوادر ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن يموت بن المزرع قال
حضر الجواز عند أبي يوماً ودخل رجل فقال له ما أخرجك عنا فقال أصابني خلفه
أما ترى وجهي فقال الجواز ما بين الاختلاف على وجهك . وقال اشنبي في الحمى :

وزائري كأن بها حياة فليس تزور إلا في الظلام
جعلت لها المطارف والحشايا فافتها وباتت في عظامي
إذا ما فارقتني فسلتني كأننا عاكفان على حرام

وهذا البيت معيب لأن الفعل غير مقصور على الحرام وحده بل هو من الحلال
والحرام جميعاً فليس لتخصيص الحرام به وجه . وقلت في حمى ثالثي :

وأخبرني رحت في حلة الضحى ليالي عشر أضامها الله من عشر
تنفضني الحمى ضحى وعشية كما تنفضت في الدجن قادمي نسر
تنثر على الورس في وضوح الضحى وتبدله بالزعفران لدى المصير
إذا انصرفت جاء الصداع مشراً تأري عليها في الأذية والشر
وتجمل أعضائي عيوناً دواما توصل بين السكب والسجود والهمر
فحسب طلاء على أقحوانة وعهدى به يحكي حباباً على حمر

ولما تخاصمت عنتٌ منها بحمية كن ترك الرضاء وانقل في الجمر
وما منهما إلا بلاءٌ وقتنة وضررت على الأحرار يالك من ضر
من مرض أرض الجفون : أنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني أبو عبيد الله
ابن عبد الله لنفسه :

تأرضت لما لم تسكن لك علة وقلت شهيدى ما بطرفي من السقم
فلا تجملن متما بطرفك علة فقد كان ذاك السقم في صحة الجسم
وقال غيره :

أحببت من أجله من كان يشبهه وكل شيء من المعشوق معشوق
وقد حليت بجسمي سقم مقلته كأن جسمي من عيذه مسروق
وقال الأخطل : كيف يضني بعد ما كا ن الضنى عونا لعينه

وقال ابن الرومي وقد مرض فتخلف أخوانه عن عيادته :

عليكم لا يماؤ من علة وضيغكم لا يسد من خلة
لا ان جفونكم دنا المات ولا ان ذرتم تنسئون في أجله
ما ضر مجفؤكم جفاؤكم بالامس في جسمه ولا أمه
وأنشدني أبو أحمد عن الصولي لحمد بن محمد بن ابراهيم اليزيدي :

مالي مرضت فلم تعد ورغبت فيك فلم تجدد
الحب يذهب به الأذى فاحذر عليه ولا تعد

وهذا شعر مطبوع مختار ، والبيت الأخير مأخوذ من قول الأعرابي :

فاني رأيت الحب في القلب والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب
وقلت : وقد طادني الإخوان من كل جانب وما قصروا في العرف والفضل والبر
فلم لم تسكن فيهم فيكمل حسنهم أيا ظالماً أخلى النجوم من البدر
وإذ كنت لم تنهض الي ولم تكند فلم لم تسل عن فتخير عن أمري
ومالك لم تبعث الي بأسطر تجمجها إحدى يمينك في ظهر

نضنُّ بتسليم وزرة ساعة فكيف يُرَّحى جودُ كفيك بالوفر
 فان كنت لا تبقى على الحال يتنا فهلا تخاف سوءَ بادرة الشعر
 إذا لم تكونوا للحقوق فمن لها وأنتم كرامُ الناس في البدو والحضر
 وأنت إذا أُنحيت تفرى أديعها فما ذنب ذى جهلٍ فرى مثل ما تفرى
 وما لعداء العلم نذ كر عيهم وأنت على أمثال غايرهم تجرى
 ومن الغريب البديع مدح الموت وهو قول ابن الرومي :

قد قلت إذ مدحوا الحياة فأكثرُوا للموت ألفُ فضيلة لا تعرفُ
 فيها أمانٌ لقائه بقلائه وفراق كل مُعاشِرٍ لا ينصف
 ومن أحسن ما قيل في مكابدة النفس عند الموت قوله أيضا :

بات الأميرُ وبات بدرُ سمائنا هذا يُودَّعنا وهذا يكسفُ
 ولعل ذلك مأخوذٌ من قول الأوَّل :

ألم يبلغك والأنباء تنمى وللدنيا بأهلها صروف
 صريعٌ لم يُوسِّدْهُ قريب ولم يشركه في الشكوى أليفُ
 يظلُّ كأنه قمرٌ مُنيرٌ يجول على محاسنه كسوف

ولهذا البيت رونقٌ عجيبٌ وطلاوةٌ حسنة . ومن عجيب ما جاء في وصف
 المصيبة قول حذيفة بن اليمان : إن الله تعالى لم يخلق شيئاً إلا صغيراً ثم يكبر
 إلا المصيبة فإنها خلقت كبيرة ثم تصغر . وهذا قول مصيبٌ لا يُتارَى به ومنه أخذ قوله :
 وكما تبلى وجوهٌ في الثرى فكذا يبلى عليهنَّ الحزن .

ولأعرف في التعزى عن المصيبة كلاماً أحسن تقسيماً من قول الأعرابي ومات له
 ثلاثة بنين في يوم واحد فدفنهم وطاد إلى مجلسه فجعل يتحدث كأن لم يفتقد واحداً
 فليم على ذلك فقال : ليسوا في الموت يبدع^(١) ولا أنا في المصيبة بأوحد
 ولا جدوى للجزع فسلام تلوموني . فهذه الثلاثة الأقسام لا رابع لها .

وعزى رجل رجلاً وقد ولدت امرأته ابناً وماتت في فاسها فقال أعظم الله أجره
فما أبادوا أجره حفظك فيما أقاد .

ولا أعرف أحداً أجاده هذا المعنى كما أجاده عبد الملك بن صالح الكاتب : أخبرنا
أبو أحمد عن الصولي قال قيل للرشيدي أن عبد الملك بن صالح يُعبد كلامه ويفكر فيه
فلذلك بانت بلاغته فأنكر ذلك الرشيدي وقال هو طبع فيه ثم أمسك حتى جاء يوماً ودخل
عبد الملك فقال للفضل بن الربيع إذا قرب من سريري فقل له ولداً لمير المؤمنين
في هذه الليلة ابنٌ ومات له ابنٌ فقال له الفضل ذلك فدنا عبد الملك فقال :
يا أمير المؤمنين سرى الله فيما سامك ولا سامك فيما سرك وجعلها واحدة بواحدة ثواب
الشاكرين وأجر الصابرين . فلما خرج قال الرشيدي أهذا الذي زعموا أنه يتصنع
للإسلام ما رأى الناس أطبع من عبد الملك في الفصاحة قط ^(١) . وعزى اعرابي
رجلاً فقال لا أراك الله بمد مصيبتك ما ينسيكها .

أحسن ما قيل في مدفون قول ابن الرومي في بستان جارية أم على بنت الراس :

لله ما ضمنت حفيرتها من حسن مرأى وطهر مختبر

أضحت من الساكني حفارهم سكى الغوالي مداهن السرر

لو علم القبر من أتيح له لانخفض القبر غير محتر

وهذا البيت مأخوذ من قول الأول :

لو علم القبر من يوارى تاه على كل من يليه

وقالوا أحسن مرثية للعرب ابتداء قول أوس بن حجر :

أيتها النفس أجلى جزءاً ان الذى تحذرين قد وقما

وأحسن مرثية لمحدث ابتداء قول أبي تمام الطائي :

أصم بك الداعي ^(٢) وإن كان أصم وأصيح معنى الجود بمدك بلقما

فقال فيها : فتى كن شرباً للعفاة ومرثى فاصبح للهندية البيض مرثما

(١) تقدمت هذه القصة . (٢) في ديوان أبي تميم « الناعي » .

إذا ساء يوماً في الكربة منظرًا تصلاهُ علماً أن سيحسُنُ مسعياً
 فإن ترم عن عُمرٍ تداني به المدى فخافك حتى لم يجدْ فيك منزلاً
 فما كنت إلا السيف لاقى ضربةً فقطعها ثم انثنى فتقطعا
 وقالوا أرثي بيت قالته العرب قول متمم بن نويرة في أخيه مالك قتل
 في الردة قتله خالد بن الوليد : أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن
 أبي حاتم عن الأصمعي قال كان متمم بن نويرة قدم العراق فأقبل لا يرى قبراً
 إلا بكى عنده فقبل له يموت أخوك بالملأ وتبكي على قبره بالعراق فقال :
 لقد لا منى عند القبور على البكا رقيق لتذرافِ الدموع السوافك
 هذا البيت غير مختار الرصف عندي وفي ألفاظه زيادة على معناه :
 أمن أجلى قبر بالملأ أنت فائحٌ على كل قبر أو على كل هالك
 فقلت له أن الشجي يبعث الشجي فدعني فهذا كله قبر مالك
 يقول قد ملأ الأرض مصابه عظاماً فكأنه مدفون بكل مكان . وهذا
 أبلغ ما قيل في تعظيم الميت .

ومنه أخذ القائل قوله أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأثير عن ثعلب عن
 الرياشي لرجل يرثي عمر بن عبد العزيز وهو عندي من أرثي ما قيل :
 لحنى عليك للهفة من خائف كنت المجير له وليس مجير
 عمت صنائعه فعم مصابه قالتاس فيه كلهم مأجور
 قالتاس ما عمهم عليه واحد في كل واد رنة وزفير
 يثنى عليك لسان من لم توله خيراً لأنك بالثناء جدير
 ردت صنائعه إليه حياته فكأنه من نشرها منشور
 والصحيح أن يقول «منشر» لأنه يقال انشر الله الموتى فنشروا هم .

وقالوا أرثي بيت قالته العرب قول المحدث :
 على قبر بين القبور مهابةً كما قبلها كانت على صاحب القبر

وقالوا بل قول الآخر :

أرادوا ليخفوا قَبْرَهُ عن عَدُوِّهِ فطِيبُ تُرابِ القَبْرِ دَلٌّ على القَبْرِ
وقالوا أرثاء قول ابن مُنَادِر :

أَنْعِي فَتَى الْجُودِ إِلَى الْجُودِ مِثْلُ مَنْ أَنْعَى بِمَوْجُودِ
أَنْعَى فَتَى مَصٍّ الثَّرَى بَعْدَهُ بَقِيَّةُ الْمَاءِ مِنَ الْعُودِ

وأخبرنا أبو أحمد قال سمعت محمد بن يحيى قال سمعت محمد بن يزيد يقول
لو سُئِلْتُ عَنْ أَحْسَنِ آيَاتِ نَعْرِفَ فِي الْمَرَاثِي لَمْ أَخْتَرْ عَلَى آيَاتِ الْخَزِيمِي :

أَلَمْ تَرْنِي أُنْبِي عَلَى اللَّيْلِ بَنِيَّةً وَأُحْيِي عَلَيْهِ الزَّبَّ لَا تُخْشَعُ
وَأَعَدَدْتَهُ ذُخْرًا لِكُلِّ مُيَلَّةٍ وَسَهْمُ الْمَنَاطَا بِالذَّخَائِرِ مُوَلَّعُ
وَأَنِي وَإِنْ أَظْهَرْتُ مَنِي جِلَادَةً وَصَانَمْتُ أَعْدَائِي عَلَيْهِ لَمُوجُ
وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لِبَكْيَتِهِ عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ
وقال أبو عمرو بن العلاء أرثي بيت قول عبدة :

فَمَا كَانَ قَبْسٌ مُهْلِكُهُ مُهْلِكُ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهْدِمُهُ
وقال خلف الأحمر أرثي بيت :

الآنَ لَمَّا كُنْتَ أَكَلْتَ مِنْ مَشْيٍ وَافْتَرَّ نَابُكَ عَنْ شِبَاهِ الْقَارِحِ
وَتَسْكَامَلْتَ فِيكَ الْمَرْوَةُ كُلُّهَا وَأَعْنَتَ ذَلِكَ بِالْفَعَالِ الصَّالِحِ

وقال الأصمعي أرثي بيت للعرب :

وَمَنْ عَجِبَ أَنْ بَتَّ مُسْتَشْعِرُ الثَّرَى وَرَدَنَ ^(١) بِمَا رَوَّدَتْنِي مُتَمَتِّعًا
وَلَوْ أَنَّنِي أَنْصَفْتُكَ الْوُدَّ لَمْ أَبْتَ خِلَافَكَ حَتَّى تَنْطَوِي فِي الثَّرَى مَعًا

ومن أحسن ما قيل في بقايا آثار الميت قول الحسين بن مطير ^(٢) :

فَسَتِي عَيْشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّبِيلِ مَجْرَاهُ مَرْتَمًا

(١) لعله (وبت) . (٢) في الاصل (الحسن) وهو شاعر من مخضرمي الدولتين

الأموية والعباسية. مقدم في القصيد والرجز فصيح .

وفي هذه القصيدة :

أيا قبراً ممن كنت أول حفرة من الأرض خطت للسماحة مضجعا
وياقبراً ممن كيف وارتيت شخصه ولو كان حياً ضقت حتى تصدما
فلما مضى ممن مضى الجود والندى وأصبح عرين المكارم أجدا
وأنا أقول إن هذه الآيات أوثى ما قيل في الجاهلية والاسلام .

وقالوا أرتى بيت قيل قول مهلهل في كليب :

نبئت أن النار بعلك أوقدت واستب بعك يا كليب المجلس
وتكلموا في أمر كل عزيمة لو كنت شاهداً إذا لم ينبسوا
وكان كليب إذا أوقد ناراً لم يوقد أحد ناراً ولم ينزل ضيفاً إلا عليه وإذا
جلس مجلساً لم يتكلم فيه أحد إلا هو .

وقالوا أحسن ما قيل في المرائي قول متم بن نويرة في أخيه مالك :

وكنا كندمانى جزيمة حبة من الدهر حتى قيل لن تصدما
فلما تفرقنا كآنى ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة مما

وليس في المحدثين أحسن مرأى من أبي تمام فن ذلك قوله :

غدا غدوة والحمد^(١) نسج ردائه فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر^(٢)
فأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخمصك الحشر
فتى مات بين الضرب والطعن ميتة تقوم مقام النصر إن فاته النصر
فتى سلبته الخيل وهو لها رحى ويزنه نار الحرب وهو لها جهر
كان بنى نيهات يوم وفاته نجوم سماه جر من بينها البدر
مضى طاهر الاثواب لم تبق روضة غداة ثوى إلا اشتت أنها قبر
وكيف احتمال للسحاب^(٣) صنيعه بأشقائه قبرا وفي الحدة البحر
ولولا كراهة الاطالة لاوردت القصيدة كلها إذ ليس فيها إلا مختار .

(١) ديوان أبي تمام هو الحمد . (٢) في الأصل (أجر) . (٣) في الديوان (للغيوث) .

وقوله ^(١) في إدريس بن بدر السامي :

إدريس ضاع المجد بعدك كله
وضل بك المرتاد من حيث يهتدى
وتبسط كفاً في الخطوب ^(٢) كما
ولم أنس سعي الجود حول سريره
وقد كان يدعى لابس الصبر حازماً

وقوله في بني حميد :

عهدى بهم تستنير الأرض أن تزلوا
ويضحك الدهر منهم عن غطارفة
فيما الشماتة إعلافاً بأسد وغى
وقوله أيضاً: إذا فقد المفقود من آل مالك
خليلى من بعد الأسمى الجوى فنا
المأفها مصرع البأس والندى
خطوت إليه من نداء وبأسه
وقد كثرت على محاسنه في هذا الباب فما أدري ما أورد وما أترك . وقد أحسن القائل :

وسميته يحيى ليعيا ولم يكن
تسمت فيه القال حين رزقه
الى رد أمر الله فيه سبيل
ولم أدري أن القال فيه يفيل

وأخذ أبو تمام قول الفرزدق في جارية له ماتت وفي بطنها غلام :

« وجفن سلاح من معد رزقه : والبيت :

وفي جوفه من دارم فوحفيظة لو أن الليالي انبأته لياليا

(١) أى قول أبي تمام . (٢) في ديوان أبي تمام « في الحقوق » .

(٣) في الديوان (فأصبح يدعى) . (٤) في الديوان « وحسب البكا ان قلت » .

وكان وجه الكلام أن يقول « وفي جوفه ذو حفيظة من دارم » فقال أبو تمام
وزاد زيادةً أسقط بها بيت الفرزدق حتى صار لا قيمة له معها وهو قوله في ابنين
لعبد الله بن طاهر قد ماتا صغيرين في يوم واحد :

نجمان شاء الله أن لا يطلعا إلا ارتداد الطرف حتى يافلا
أن الفجيرة بالرّياض نواضراً لا أجل منها بالرياض فوابلا
لو ينسيان لكان هذا غاربا للمكرّمات وكان هذا كاهلا
لنفي على تلك الشواهد فيهما لو أمهلت^(١) حتى تكون شمائلنا
لغدا سكونهما حبا وصباهما حلماً وتلك الأربحية فائلا
أن الهلال إذا رأيت نوره أيقنت أن سيكون^(٢) بدرأ كاملا
ثم قال بوسيه :

أن ترز في طرفي نهار واحد رزمن هاجا لوعة وبلا بلا
فالثقل ليس مضاعفاً لمطية إلا إذا ما كان وهما بازلا
ثم قال أيضاً :

شمخت^(٣) خلالك أن بوسيك امرء أو أن تذكر^(٤) ناسياً أو غافلا
إلا مواعظ قادهالك سمحة اسبحاح لبك سامعاً أو قائلا
هل تكاف الأيدي بهز مهتدٍ إلا إذا كان الحسام الفاصلا
وقالوا ليس لأرب مرئية أجود من قصيدة كعب بن سعد التي يرثي فيها أخاه
أبا المغوار ويقول فيها :

أتى دون حلو العيش حتى أمرء منكوبٌ على آثارهنّ منكوب
هوت أمة ما يبعث الصبح غاديا وماذا يؤدي الليل حين يثوب
حليم إذا ما الحلم زين أهله مع العلم في عين العدو مهيب

(١) في الأصل « قد أمهلت » . (٢) في ديوان أبي تمام « سيعود » .

(٣) في الأصل (سمحت) . (٤) في الأصل (أو كان يذكر) .

هوت أمه ماذا تضمن رحله
فتى أريحي كيف بهتز لندى
حليف الندى يدعو الندى فيجيبه
فان تكن الأيام أحسن مرة
وحدتني انما الموت بالقرى
وقال فيها: وداع دمانا من يجيب الى الندى
فقلت ادع أخرى وارفض^(١) الصوت مسعيا
ومن عجيب المرائي قول الرقاشي في البرامكة :

الآن استرحنا واستراحت ركبتنا
وقل للعطايا قد أمنت من السرى
وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر
وقل للعطايا بعد فضل تعطى
ودونك سيفاً برمكياً مهنداً
ومن جيد المرائي قول الآخر :

سأبكيك للدين والدنيا والدين انى
ربيع إذا ضن الغمام بمائه
وقد أحسن أبو الحسن بن الأنباري القول في ابن بقية^(٢) حين صاب :
علاؤ في الحياة وفي المات بحق أنت^(٣) احدى المعجزات
كان الناس بملك حين قاموا وفود نذاك أيام الصلات
وهذا البيت مأخوذ من قول ابن المعتز في عبد الله بن سليمان حين توفي :
وصلوا عليه خاشعين كأنهم قيام خضوع للسلام عليه

(١) المعروف «وارفع الصوت» . (٢) كان برا جواداً ، تقم عليه عز الدولة أمراً
فقبض عليه وسمل عينيه ، ولما ملك عضد الدولة صلبه (٣) وفي رواية (لحق تلك) .

كَأَنَّكَ قَاتِمٌ فِيهِمْ خَطِيئًا وَكَلِمٌ قِيَامٌ لِلصَّلَاتِ
 مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمْ جَمِيعًا كَدَّ كَمَا إِلَيْهِمْ بِالْهَبَاتِ
 وَلَا ضَاقَ بَطْنُ الْأَرْضِ عَنْ أَنْ يَضُمَّ عُقْلُكَ مِنْ بَعْدِ الْمَمَاتِ
 أَصَارُوا الْجَوْ قَبْرَكَ وَاسْتَنَابُوا ^(١) عَنْ الْأَكْفَانِ تَوْبَ السَّاقِيَاتِ
 فَلَمْ أَرَ قَبْلَ جَذْعِكَ قَطُّ جَذْعًا تَمَكَّنَ مِنْ عُنَاقِ الْمَكْرُمَاتِ
 وَمَنْ جِيدٌ مَا قِيلَ فِي عَظَمِ شَأْنِ الْمَيْتِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ:

هَذَا أَبُو الْقَاسِمِ فِي نَعْشِهِ قَوْمُوا انظُرُوا كَيْفَ تَزُولُ الْجِبَالُ
 وَقَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

بَنِي مَالِكٍ قَدْ نِهَتْ خَامِلَ الثَّرَى قُبُورٌ لَكُمْ مَسْتَشْرِقَاتٌ ^(٢) الْمَعَالِمِ
 رَوَاكَدٌ قِيدَ ^(٣) الْكَفِّ مِنْ مَتَنَاوِلِ وَفِيهَا مُعَلَّا لَا يُرْتَقَى بِالسَّلَامِ
 وَقُلْتُ: سَائِلُ الْقَبْرِ كَيْفَ أَضْمَرْتَ قَدْسًا وَأَبَانًا وَبَذْلًا وَحِرَاءَ
 مَنْ رَأَى الْبَدْرَ بِالتَّرَابِ تَوَارَى أَوْ عَلَى ذُرُوقِ النَّمُوشِ تَرَاءَى
 وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ وَأَحْسَنُ :

تَعَالَوْا نَزُرْ قَبْرَ السَّاحَةِ وَالرَّفْدِ وَلَا نَعْتَذِرُ مِنْ دَمْعِ عَيْنٍ عَلَى خَدٍّ
 لَقَدْ عَشْتُ لَمْ يَلْقَ بِفَمْلِكَ ذِمَّةٌ وَمُتَّ عَلَى رَغَمِ الْحَامِدِ وَالْمَجْدِ
 وَقَالَ أَيْضًا :

أَلَسْتَ تَرَى مَوْتَ الْعَلِيِّ وَالْحَامِدِ وَكَيْفَ دَفَنَّا الْخَلْقَ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ
 وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ يُسْتَنَّى عَوَامِدًا وَيَحْسَنُ أَنْ أَحْسَنَ غَيْرَ عَوَامِدٍ
 وَقَالَ دَعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخُزَاعِيُّ :

حَنَظَّتْهُ يَا نَصْرٌ بِالسَّكَافُورِ وَرَفَعَتْهُ لِلْمَنْزِلِ الْمَهْجُورِ
 هَلَا يَبْعُضُ خِلَالَهُ حَنَظَّتُهُ فَيَضُوعُ أَفْقُ مَنَازِلِ وَقُبُورِ

(١) فِي رَوَايَةٍ (وَاسْتَعَاذُوا) . (٢) فِي الْأَصْلِ (وَذَا كَمْ مَشْرِقَاتٍ) .

(٣) فِي الْأَصْلِ (رَوَاكَدٌ قَيْسٍ) .

وقلت: على الرغم من أنف المكارم والعلو
 ألم تر أن البأس أصبح بعده
 فمرا على قبر المسود وانظرا
 فان بك وراه التراب فكبرا
 ولا تسأما نوحا عليه مكررا
 فما كان قينس هلكه هلك واحد
 ولا تحسبا آتى أواريه وحده
 غدت داره قفرا ومقناه بلقما
 أشل وأن الجود أصبح أجدا
 الى المجد والعلو كيف نخشما
 على الجود والمعروف والفضل أربما
 ونوحا لقد العارقات مرجعا
 ولكنه بنيات قوم تضعضما
 ولكنى واريته والندى معا

ومن بارع المرائى قول ديك الجن الحموى :

مات حبيب فمات ليث
 تمت عيون الردى إليه
 ما أمك اجتاحت المنايا
 كل فؤاد عليك أم
 وفاض بحسره وبأخ نجم
 وهى إلى المكر مات تسو

ومما جاء فى صفة القبر قول الشاعر :

ورسم دار مقفر الجناز
 يزداد عرافا على الخراب

وقالوا أصدق ما قيل فى صفة الدنيا قول أبى نواس :

إذا امتحن الدنيا لييب تكشفت
 له عن علو في ثياب صديق

وهو مأخوذ من قول جرير فى وصف النساء :

دعين الهوى ثم ارتمين قلوبنا
 بأسهم أعداء ومهن صديق

وقالوا بل أصدق ما قيل فى صفة الدنيا قول الأول :

تحتونها رصد وعيشها نكد
 وصفوها رتق وملكها دول

وقلت : ما بال نفسك لانهوى سلامتها
 فانت فى عرض الدنيا ترغيبها

دار إذا أتت الآمال تعمرها
 جاءت مقدمة الآجال تخربها

أصبحت تطلب دنيا لست تتركها
 فكيف تترك أخرى لست تطلبها

ومن جيد ما قيل فى الزهد قول ابن المعتز :

نسيرُ إلى الآجال في كل لحظة
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنه
وقلت: ألسـتَ ترى موتَ الفـلا والفضائل
فما الدنيا أغفلتُ كلَّ ناقص
على الرغـم من أنفِ العـلا سبقَ الردى
على أن من أبقتَه ليسَ بخالدٍ
رأيتُ الدنيا بينَ غادٍ ورائح
ولم أرَ كالدنيا حبيباً مُضرةً
وأيا منّا تطوى ومُنْ مراحل
إذا ما تخطته الأمانى باطل
وكيفَ غروبُ النجم بين الجنادل
وتقبن في الآفاق عن كلِّ فاضل
بكلِّ كريم الفعل حرَّ الشائل
وليسَ أمرؤُ يرجو الخلودَ بما قل
فما للبرايا بينَ ساءٍ وغافل
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كباطل
وقال ابن المعتز :

كم بدارِ الموتِ من ذى إربة عجزت منه على الموتِ الحيلُ
وملوكٌ بليتُ أيديهم ولقد كانت مطايا للقبل
وقلت: فتمجبتُ كيفَ لا تخدُرُ الموتُ وأنفاسنا خطانا إليه
وقرأت للجاحظ كلاماً مفقود النضير معدوم الشبيه لا أعرف لأحد مثله
وهو : أيها المستدل على أمور الدنيا كفاك بها على نفسها دليلاً ويومها لك من
غدها تشبيهاً وتمثيلاً تالله لقد أطلعتك بمؤلفاتها على حدوث تأليفها وأثبتت لك
الصانع بآثار صنعه فيها ووقفتك على معرفة كمالها بما توافى فيك من أجزائها
ودلتك بتحليل المركبات فيها على انحلال تركيبها . ووقفتك بقطع الشمس والقمر
قطرها على إدبارها وانقطاعها فكشف لك انتهاء حدودها عن تنافى أمدّها وأبان
لك دُؤوبُ أطراد نهارها وإيلها وتتابع دوران بروجها ونجومها وتعاقب أزمنة
بردها وحرها واعتدالها وحركت نيرانها ورياحها ومياهها أنها مسوقة محشونة
إلى أمدّها كما تحت براياها بالأوقات الجارية إلى آجالها . ثم قال وتحدث ما تخوفك به
طوارق أحداثها وتوطنك على إيطان جثائها حدثاً من أحداثها لا تمسك منها
بعمرة إلا شهدت على أشكالها فأية نصيحة أصدق لك من نصيحتها أو عظة أشفى

وأبلغ من عظمتها أو شهادة أصح وأعدل من شهادتها بالفتاء على نفسها ، ألم تر أجزاءها
مؤتلفة بالاجتماع مختلفة بالطباع يهلك بعضها بعضاً ويعود إرأماها نقضاً ، فيا ناسياً للصخر
وتهدمه وللحديد وثقله واثماً ميقاء للحديد ودمه ومساعفاً لشبهه وقرمه إذ كر أن جسدك وشيكا
مفارقك وأنه وإن جددته مخلقتك وأنتك تطلقه في شهواته ويوثقك وتبقى عليه من التعب
ويوبقك فقيم تشتغل به عن مصلحتك وعلام تكل في عقبيك إلى أن قال وتقوى على الزهد
فيما يتنافسه الجمال بذكر الموت وفجأته وبقائه ووضوح آياته وغموض ميقاته وانخزال
الحالة عن دفعه ويأس النفوس من منعه عند غوصه عليها في الابدان وتخليه لها
من الأعظم والأعصاب والعروق واللحم والاهاب حتى يسوقها من الأغراض
والأوصال سياق رهاق مضيق للخناق محقق للفراق مؤبس من التلاق عند إحساسه
بموت جسده عضواً فعضواً وفقدان قوته جزءاً جزءاً وهي تمرح في الصدر حشرة
وفي الجوانح رجرة وفي اللوات غرغرة وفي الحلقوم خرخرة بالترزع الجاذب
والعلن الكاذب والفُواق الدائب والانفاس الذواهب فهناك تنفس الصعداء
وتوقد البرحاء وفي سممه وبصره بقية يرمق بها أولاده يتامى ونساءه أيامى وأمواله
نهبى وجموعه شتى ووجوه الشامتين بمشرقة والدموع من أحبته مستبقة والجيوب
عليه مشققة والشعور مقطعة والحدود بالعلم مبقعة وذلك غير عائد عليه ولا عليهم
بمنفعة في كلام طويل .

ومن جيد ما قيل في إفضاء السلامة بصاحبها إلى الهلاك قول النمر بن تولب :
تدارك ما قبل الشباب وبعدهُ حوادث أيام تمرُّ وتغفل
يودُ الفتى طولَ السلامةِ والفتى فكيف ترى طولَ السلامةِ تعقل
يرد الفتى بعد اعتدال وصحة ينوءُ إذا دام القيام ويحملُ
وقيل لرجل من الاوائل : ما كان سبب موت أخيك ؟ قال كونه فأحسن ما شاء .
وقال بعضهم في معناه :

ما بالُ من آفته بقاءهُ نقصَ عيشي كله فناؤهُ

وقال آخر في نحوه :

فإنَّ الداءَ أكثرَ ماتراً من الأشياءِ تمحو في الخلق
ومن جيد ما قيل في موت الولد قول ابن الرومي :

بنكاؤكما يشفى وإن كنَّ لا يجدي فجودا فقد أودى نظيركما عندي
توفي حمام الموت أوسط صبيتي قلله كيف اختار واسطة العقد
طواه الردى عنى فأضحى مزاره بعيداً على قرب قريباً على البعد
عجبت لقلبي كيف لم ينفطر له ولو أنه أقسى من الحجر الصلد
وماسرني أن بته بثوابه ولو أنه التخلد في جنة الخلد
ولا بته طوماً ولكن غصبتَه وليس على ظلم الحوادث من مُعدي

وأما موت الأخ فقد روينا فيه خبراً ملبحاً أخبرنا به أبو طاهر محمد بن يوسف
قال أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن بكر قال حدثنا أيوب بن سليمان قال حدثني
يوسف قال حدثنا صهيب بن محمد قال حدثنا إسماعيل بن عمرو قال حدثنا إسماعيل
ابن عياش عن عبد الله بن دينار قال قدم لقمن من سفر فلقى غلاماً له فقال
له ما فعل أبي؟ قال مات قال ملكك أمري فما فعلت أمي؟ قال ماتت قال ذهب همي
قال فما فعلت أختي؟ قال ماتت قال سترت عورتني قال فما فعلت امرأتي؟ قال ماتت قال
جدد فراشي قال فما فعل أخي؟ قال مات قال: أوه انقطع ظهري انتهى .

وذكر قدامة بن جعفر أن أبا جعفر المنصور لما دفن ابنه جعفر الأصغر قال للربيع

كيف قال مطيع بن إلياس فأنشده :

يا أهل بكوا لقلبي القرح وللدُموع الدوارف السفج
راحوا يعيي ولو تطاوعني الأقدار لم تتبكر ولم ترح
يا خير من يحسن البكاء له اليوم ومن كان أمس للمدح
قد شمت الحزن بالسرور وقد أدبل مكروهه من الفرح

فبكى المنصور ثم قال : صاحب هذا القبر أحق بهذا الشعر ، تم أذن للناس فدخلوا
ونصبت الموائد فلم يقدر أن يمد يده من الجزع الذى كان خامره فقام شبيب بن
شيبه فأنشده قول الثقفى في ابنته على وكان شرطة عبيد الله بن العباس باليمن فقتله
بشر بن أرطاة فقال يرثيه :

لعمري لقد أودى ابنُ أرطاةَ فارساً بصنماءَ واليثةِ الهزبرِ أبى الأجرِ
تأملُ فإن كانَ البكاَ ردَّ هالكاً على أحدٍ فاجهدُ بكاكِ على عمرو
فسرِّى عنه وأكل مع الناس ورفع الحزن مع رفع الطعام .

ومن عجيب المرائى قول الأشجع :

مضى ابن سعيد حين لم يبقَ مَشرقُ ولا مغربُ إلا له فيه مَدحُ
وما كنتُ أدري ما فواضلُ كفه على الناسِ حتى غيَّتهُ الصَّفائحُ
فأصبحَ فى لحيدٍ من الأرضِ ميتاً وكانَ بهِ حياً تضيقُ الأباطحُ
سأبكيكِ ما فاقتِ دُموعى وإن تغض فحسبكِ منى ما تمنحُ الجوانحُ
كأن لم يمضِ حى سِوالكُ ولم تقمُ على أحدٍ إلا عايكِ النوائحُ
لئن حسنتُ فيك المرائى وقبلها لقد حسنتُ من قبلُ فيك المدائحُ
وما أنا من رزءٍ وإن جَلَّ جازعُ ولا يسرورٍ بعد موتك قرحُ

وأنشدنا أبو القاسم عبد الوهاب بن إبراهيم قال أنشدنا العقدي قال أنشدنا

أبو جعفر عن المدائنى لرفعة بن شريك يرثى أوساً :

رأيتُ المنايا تصطفى سرَّواتنا كأنَّ المنايا تبتغي من تفاخره
فما كانَ قيسُ طاجراً غير أنه حى أنفه من أن يضيعَ مجاوره
وطالبَ لوردِ الموتِ نفساً ولم يحمُ وقد ضاقَ بالنكسِ اللثيمُ مصادره
فصادفَ رق الموتِ حراً مميحاً إذا سئلَ المعروفَ لانت مكاسره
حى أنفه أوس ولم يثن وجهه وبقنى الحياءِ المرءَ والرمعِ شاجره
ومن ههنا أخذ أبو تمام قوله :

وقد كن قوت الموت سهلاً فرَدَّه عليه الحفاظ المرُّ والخلقُ الوعر
وعزى ابن السماك الرشيد عن ابن له مات فقال : أما بعد فإن استطعت أن
يكون شكرك لله حين أخذه أكثر من شكرك لله حين وهبه فافعل فإنه حين قبضه
أحرز لك هبته ولو بقي لم تسلم من فتنه ، عجياً لجزعك على ذهابه وتلفك على
فراقه أَرْضِيت الدار لنفسك فترضاها لولئك أما هو فقد خلاص من السكر وبقيت
معلقاً بالخطر والسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً لا يحصى عدده ولا يبلغ أمدّه ، وصلواته على سيدنا ونبينا محمد
وآله الطاهرين المختارين وسلم .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في صفة أشياء مختلفة يختم بها كتاب ديوان المعاني وهو :)

﴿ الباب الثاني عشر منه فأول ذلك ﴾

﴿ القول في الحنين إلى الأوطان ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان قال قال أبو مروح ميمنى
أبو دلف أنشد :

لا يمنعك خفض العيش في دعية نزوع نفس إلى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد أنت ساكنها أهلاً بأهل وجيراناً بحيران

فقال : هذا الأُم بيت قائمه العرب . قال أبو هلال رحمه الله : النزوع ههنا ردى والجيد النزاع، وإنما جعل أبو دلف هذا البيت الأُم بيت لأنه يدل على قلة رعاية وشدة قساوة وحنين الرجل إلى أوطانه منقبة من علامات الرشد لما فيه من الدلائل على كرم العينة وتمام العقل. وقالت الحكماء : حنين الرجل إلى وطنه من علامات الرشد. وقال بزرجمهر : من أمارات الماقل بزه بأخوانه وحنينه إلى أوطانه ومداراته لأهل زمانه . وقال أعرابي : لا تشك بلدآ فيه قبائلك ولا تجف أرضآ فيه قرايلك . وقالت العرب : أكرم الخيل أشدها خوفاً^(١) من السوطوا كيس الصبيان أشدهم بغضاً للمكتب وأكرم الصفايا أشدها حنينآ إلى أوطانها وأكرم المهارة أشدها ملازمة لأمهاتها وأكرم الناس آلتهم للناس . وقد بين الله تعالى فضل الوطن وكلف النفوس به في قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ) فجعل خروجهم من ديارهم كفؤ قتلهم لأنفسهم ومنه قوله تعالى (وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَآتِفِكُمْ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) وقوله تعالى (وَلَوْلَا أَنِ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا) فجعل إخراجهم إياهم من ديارهم بدلاً من العذاب المستأصل لهم لشبهه به عندهم . وقال بعض الحكماء : الخروج من الوطن أحد السبايين والجللاء أحد القتلين . وقال يحيى بن أبي طالب :

إذا أرثجت نحو البامة رفقةً دعاني الهوى وارتاح قلبي إلى الذكر
يقولون إن الهجر يشفى من الهوى وما زددت إلا ضعف ما بي على الهجر
وكان كثير من العرب ممن يعتزى إلى فضل كرم لا ينتجعون وكذلك كانت قريش . وقال الحارث بن ظالم :

رفعت الرَّمح^(٢) إذ قالوا قريش^(٣) وشبهت الشائل والقبابا^(٤)

(١) سقط من الأصل «خوفا» أو ما بمعناها . (٢) في الأغاني «السيف» .

(٣) في الأغاني «وينت الشائل والعتابا»

ولو أتى أطاوعُ كنتُ فيهم وما سيزتُ أتبع السحابا
وقال الجويدرة ^(١).

وتقيمُ في دار الحفاظ ميوتنا زمناً ويظنُ غيرنا للأمرع
والأمرع جمع لأواحد له من لفظه ، وكانوا يسمون منزلهم دار الحفاظ لأنهم
كانوا يقيمون فيه لقرى الأضياف وإعطاء الفقير وصلة المسكين وابن السبيل .
وقال أبو تمام : كم منزل في الأرض يألفه القوي . وحينئذُ أبدأً لأول منزل .
وقد قالت الهند : حرمة بلدك عليك مثل حرمة أبويك لان غذاءك منها .
وغذاءهما منك . وقال آخر : أرض الرجل ظنُّه وداره مهده . وقال آخر : الحنين الى
الوطن من رقة القلب ورقة القلب من الرماية والرماية من الرحمة والرحمة من كرم
الفطرة وكرم الفطرة من طهارة الرشدة وطهارة الرشدة من كرم المحتد قال الشاعر :
لقربُ الدَّارِ في الاقتار خيرٌ من العيش المُوَسَّع في اغتراب
وقال جالينوس : يتزوج الليل بنسيم . أهله كما تموت الحبة بيل المطر إذا
أصاب الأرض . وقال أفلاطون : غذاء الطبيعة من أنجع أدويتها . وقال : يداوى
كل عليل بمقاير أرضه فان الطبيعة تتطلع الى هوائها وتنزع الى غذائها . وقلنا :
ليس الانسان أقنع بشيء منه بوطنه لانه يتبرم بكل شيء ردىء ويتذم من
كل شيء كرهه إلا من وطنه وان كان ردىء التربة كرهه الغذاء ولولا حب الناس
للاوطان لخرب أخابث الأرض والبلدان ، قال الشاعر :

ألا ليت شعري هل تحنُّ ناقتي بصحراء من نجران ذات ثرى جمد
وهل تنفضنَّ الريحُ أفناناً متى على لاحقٍ الاطلين مطمر ورد
وهل أردن الدهر جسمي مزاحم وقد ضربته نفحة من صبا نجد
وذكر ابن الرومي العلة التي يحب الوطن لاجلها وليس له في ذلك امام إلا

(١) في الاصل «الخويدرة» بالحاء المعجمة وهو غلط ، ويقال له الحادرة لقب غلب
عليه ، والخويدرة تصغيره (والحادرة الضخم) واسمه قطبة الثعلبي وهو شاعر جاهلي مقل .

أحمد بن اسحق الموصلي فانه قال :

أحبُّ الأرضَ تسكنها سليمي وان كانت يواديها الجدوب
وما دهرى يحب تراب أرض ولكن من يحمل بها حبيب

وقال ابن الرومي :

ولي وطنٌ آليتُ أن لا أعيه وألا أرى غيري له الدهر مالكا
عهدتُ به شرحَ الشبابِ ونعمة كنمة قوم أصبحوا في ظلالكا
فقد ألفتُ النفسَ حتى كأنه لما جسد لولاهُ غودرتُ هالكا
وحببَ أوطانَ الرجال إليهم ما رُب قضاها الشبابُ هالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلك
وقد ضامني فيها اللثيم وغرني وها أنا منه معصمٌ بحبالكا
فان أخطأتني من يمينك نعمة فلا تخطئته نعمة من شمالكا
وقلت في نحو من ذلك :

نوى في حفرة العانات يمن تتخلل في المنازل والرّباع
وإن تهو البقاع فليس غرواً هوى أهل البقاع هوى البقاع

وقال ابن الرومي :

فاذا تصوّر في الضمير وجدته وعليه أفتانُ الشباب تميد
وقيل لأعرابي كيف تصنع بالبادية إذا اشتد القيظ واتحل كل شيء ظله ؟
فقال وهل العيش إلا ذاك يمشي أحداً مبللاً ويرفض عرقاً ثم ينصب عصاه ويلقي
عليها كساءه ويجلس يكتال الريح فكأنه في إيوان كسرى . وذكر أعرابي
بلده فقال رمة كنت جنين ركامها ورضيع غمامها . وقالت أعرابية : إذا كنت
في غير أهلِكَ فلا تنس نصيبك من التل . وقال الشاعر في معناه
* نصيبك من ذل إذا كنت خاليا * وقلت :

حسبتُ الخيرَ يكثر في التناي فكان الخيرُ أكثر في التداني

ذكرتُ مقامنا بسراة حزوى فسررت مع الوساموس في عتار
 ألا لله حزمٌ واصطبارٌ تقاسمه بنياتُ الزمان
 عزيزٌ أضمرتُهُ نوى شطون فظلَّ من المهانة في ضمان
 يناطُ إلى العزيزِ إذا تبوى بمنزل غربةٍ طرف الهوان
 وقال آخر : يحنُّ اللبيبُ إلى وطنه كما يحنُّ النجيبُ إلى عطنه . وقلت :
 إذا أنا لا ^(١) اشتاقُ أرضَ عشيرتي فليس مكاني في النهى بمكين
 من العقل أن اشتاقَ أولَ منزلٍ عانيتُ بخفضٍ في ذُراهٍ ولين
 وردَّض رعاهُ بالأصائلِ ناظري وغصن ثناءً بالفسادِ يميني
 وقال ابن المولى :

سُـرِـرْتُ بِجِـفْرِ القرب منه كما سُـرَّ المسافر بالاياب
 كمطور - يلدته فاضحى غنياً عن مطالعة السحاب
 وهو من قول الآخر :

فكنتُ فيهم كمطور يلدته فسرَّ أن جمع الاوطان والمطرا
 وفضل بعضهم السفر على المقام واحتج بقول الله تعالى (عِلِمَ أَنْ سَيَكُونُ
 مِنْكُمْ مَرْضًى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَفِسُونَ مِنْ فَضْلِ
 اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قال فقسم الحاجات فجعل أكثرها
 في البعد ، وقال تعالى (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ
 وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) قال فأخرج الكلام مخرج العموم ولم يخص أرضاً
 دون أرض ولا قريباً دون بعد ، ويُتشد في هذا المعنى قول أبي تمام :

وطولُ مقام المرء في الحيِّ مخلوقٌ لذي حاجته فاغتربْ تتجدد
 فاني رأيتُ الشمسَ زِيدتْ محبةً إلى الناس اذليست عليهم بسرمد
 وقال ^(٢) في الحث على الأسفار والطلب والتزهيد في المقام والدعة : الراحة

(١) في الأصل « لم » ويصح « لم أشتق لأرض » . (٢) كذا .

عقله والبركات في الحركات ومن على دماغه في الصيف غلت قدره في الشتاء .

وقال عبد الله بن وهب : حبُّ الهويِّنا يكسب الضنى ، وقال أبو المعافى :

وانَّ التواني أنكح العجزَ بنته وساقَ إليها حينَ أنكحها مهرًا

فراشًا وطيبًا ثمَّ قالَ لها اتكى فصصرا كالأبد أن تلد الفقرا

وقال نهبك بن أساف :

أثمَّ نهبك إرفعى الطرفَ صادقًا^(١) ولا تيامى أن يثرى الدهر بائس

سيغنك سعي^(٢) في البلادِ وغربى^(٣) وبعلى التى لم تحفظَ فى البيتِ^(٤) جالس

وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دُرَيْدٍ عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قال أكرم بن

صيفى : ما يودنى أنى مكنتى وأنى أسمنت وألينت، قيل ولم ذاك قال مخافة عادة العجز .

وفي الحديث المرفوع « سافروا تنموا »^(٥) وقال الشاعر وذمَّ طول الضجعة :

فانَّ تاتيانى بالشتاء وتلما مكان فراشى فهو بالليل بارد

وقال آخر : أبيض بسام يرود مضجعه واللقة الفرد مراراً تُشبعه

وقال الخطبة يهجو القعود والراحة :

دع المكارم لا ترخل لبنيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكامى

وقال أبو عبادة البُحرى :

وقد سألتُ فما أُعطيتُ مرغبةً وكان حقى أن أُعطى ولم أسأل

أرمى بظنى ولا أعدو^(٦) الخطاءَ به فاعجب لا خطاءَ رام من بنى نمل

أسيرُ إذ كنت فى طولِ المقامِ بها أ كدى لعلى أجدى عند مُرتحلي

شرق وغرب فعهد الماهدين بما طالبت فى فملان الأيتنق الذمل

(١) فى الأغانى (صاعدا) . (٢) فى الأغانى (سبرى) . (٣) فى الأغانى

(ومطلي) . (٤) فى الأغانى (فى الحى) . (٥) روى هذا الحديث بأنماظ

مختلفة وزیادات لأحمد والطبرانى والحاكم وغيرهم .

(٦) فى ديوان البُحرى « فما أعدو » .

ولا تقل أمم شئ ولا فرق ^(١) فلا رضى من تربة والناس من رجل
وقال بشار بن برد :

تخاف المنايا إذ ترحل صاحبي كأن المنايا في المقام يناسيه
أخذه من قول الأعشى : ◦ وكم من رد أهله لم يرم ◦ والاول أجود سبكا
وأفصح لفظاً . وأخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد قال قال أبو الحسن
كان خالد بن عبد الله القسري يطعم الأعراب في حطة أصابتهم في كل يوم
يطعم ثلاثين ألف إنسان خبزاً وسويقاً وتمراً قليل لأعرابي لو أتيت خالداً فانه
يطعم الأعراب فقال :

يقول ابن حجاج تجهز ولا تمت مزالا بجران نساوى كلابها
فقد خبر الركبان أن جديده تباح ورغفانا شباعاً رغائبها
وماء فرات ما شهيت وقرية تدب ديب النمل فيك شرابها
فأقسم لا أبتاع رُغفان خالد بأرواح نجم ما أقام تراها
إذا باحت بالعرمتين وصارة رياح الخزامى حين تندى رحابها
وأخبرنا أبو أحمد قال حدثنا أبو بكر بن دُرَيْد قال حدثنا الفضل بن محمد
العلاف قال لما قدم بُغَايِنِي نَمِر كُنت كثيراً ما آتيهم فلا أعدم أن ألقى منهم
الفصيح فجئت يوماً إليهم في عقب مطر فاذا شابٌ جميلٌ قد نهكه المرض فليس
به حراكٌ وإذا هو ينشد :

ألا ياسني برق على قلل الحمى ليهنك من برق على كريم
لمعت اقتداء الطرف والقوم هجج فهبجت أسقاماً وأنت سقيم
فهل من مُعِير طرف عين خلية فأنسأت طرف العامريّ كريم
رمى قلبه البرق اليماني رمية بذكر الحمى وهناً فبات يهيم
قال فقلت ان فيما بك لشغلاً عن الشعر قال صدقت ولكن البرق أنطقني .

وقال عبد الله بن محمد القمسي :

ألا ليت شعري هل أيتن^(١) ليلة
وهل أحدٌ باد لنا وكأنه
يحول^(٢) السراب الطلح يبنى وينه
فاني لأرعى النجم حتى كأنني
وأشتاق للبرق اليماني إذا بدا
وله أيضاً :

ومن حاجتي لولا الحياء وأنني
مسيري مع الفتيان في طلق الهوى
فلم يبق من تلك^(٣) اللذازة عندهم
وقال أعرابي :

أُغترباً أصبحت في رآهم^(٤) رمز
إذا راح كعب مصعداً أن قلبه
وان الكئيب الفرد من أيمن الحمى
تفوقت ذرات الصبا في ظلاله
إذا هب^(٥) علوى^(٦) الرياح استألتني
ومما يجري مع ذلك قول الآخر :

إذا عقد القضاء عليك أمراً
فمالك قد أقمت بدار ذل^(٧)
تبلغ بالكفاف فكل شيء
وقال امرؤ القيس :

وقد طوّفت في الآفاق حتى
رضيت من السلامة بالأياب

(١) في الأصل (يحب) . (٢) في الأصل «ذاك» .

(٣) - - - - - (٤) - - - - - (٥) - - - - - (٦) - - - - - (٧) - - - - -

وقال البحتري :

وكانَ رجائي أن أؤوبَ مَمْلُكاً فصارَ رجائي أن أؤوبَ سُلَماً

(فصل في مدح الاخوان)

من أحسن التشبيه في مدح الأخ ما^(١) أنشدني أبو علي بن أبي حفص عن جعفر بن محمد :

أخٌ لي كأيام الحياةِ أخاؤه تلون ألواناً على خطوبها
إذا عبتُ منه خلةً فهجرتُهُ دعنى إليه خلةً لأحييها

وقال البحتري :

قدمتَ فأقدمتَ الندى يحمل الرضا إلى كل غضبانٍ على الدهر طاب
وجئتُ كما جاء السحاب^(٢) محرراً يدبك بأخلاف تنى بالسحاب
فسادتُ بك الأيام وهي كواكب^(٣) جلا الدهر منها عن حدود الكواكب
وما أنسَ لأنسَ اجتذابك همتي إليك وتزيني بأعلى^(٤) المراتب
فياخير مصحوب إذا أنا لم أقم بشرك فاعلم أنني شرُّ صاحب
وكتب بعضهم : لست أضم من أماننا إلا قصرها وطول الحسرة على أثرها .
وقريب من المعنى الأول قول الآخر :

خليلٌ إذا ماجئتُ أبيه حاجةً رجعت بما أبغى ووجهي بمائه
بلوت رجالاً بعده في إخائهم فما ازددت إلا رغبة في إخائه

وقال دعلج بن علي :

أخٌ لي ماداهُ الزمانُ فأصبحتُ مذمومةً فيما لديه المطالبُ
متى متلوقهُ التجاربُ صاحباً من الناس رده اليك التجاربُ

وقال إبراهيم بن العباس :

(١) « ما » ساقطة من الأصل . (٢) في ديوان البحتري (الربيع) .

(٣) في الديوان « الايام زهراً كأنما » . (٤) في الديوان (وتزيني أخص المراتب) .

ومؤمل للتأثبات إذا هب الزمان بأخوه هباً

لما رآني نهب حادثة جعل الذخائر دونها نهبا

وقال أيضا :

ولكن الجواد أبا هشام وفي العهد مأمون المغيب

بطيء العهد ما استغثت عنه وطلاّع عليك مع الخطوب

والبيت الأخير يشير إلى قول جرير * وإني لعف الفقر مشترك الغنى *

ونحوه قول إبراهيم أيضا :

أسد ضار إذا هيجته وأب بر إذا ماقدرا

يعرف الأبعد إن أنرى ولا يعرف الأدنى إذا ما افتقرا

وقال أيضا :

ولكن عبد الله لما حوى الغنى وصار له من بين أخوانه مال

رأى خلة منهم تسد بماله فساهمهم حتى استوت بهم الحال

ونحوه قوله أيضا :

بدا حين أترى بأخوانه فقل عنهم شباه العدم

وذكره الحزم غيب الأمور فبادر قبل انتقال النعم

وبما هو في هذا السيل ما كتب بعضهم : ما شخصت حتى شخص عتلي فصار

عديك واستقل ودي فأضحى زميلك ولا مطمع لي في مستقرهما حتى تستقر

النوى بك ونحقق الأمانى فيك ولك . وقال أبو تمام :

ليالي نحن في غفلات عيش^(١) كأن الدهر منها في وثاق

وأياما لنا وله^(٢) لانا عريانا^(٣) في حواشيها الرقاق

وفي هذا الموضع أيضاً قوله :

(١) في ديوان أبي تمام «سبكي بعده غفلات عيش» . (٢) في الأصل «ولهم» .

(٣) في الأصل «عرييا»

أبامننا ما كنت إلا مواهباً وكنت باسعاف الحبيب حبايبا
 سنقربُ تجديد آلهتك في البكا فما كنت في الأيام إلا غرائبا
 وقلت في فضل الصديق على القريب :

رأيتُ بالودِّ عن القريب غنى وليسَ بالقربى عن الودِّ غنى
 وصاحب الودِّ^(١) حسامٌ منتضى يزينُ في السلم ويكفي في الوغى
 وقلت أيضاً في قوله :

ليسَ حدُّ الحسامِ أكفى وأغنى من أخ ذى كفاية وغناء
 وأخُ المرءِ عصاةٌ في بلاءٍ بعترية وزينة في الرخاء
 وقال شبيب بن البرصاء :

إذا المرءُ أقرأه الصديقُ بداله بأرض الأعداء بعض ألوانها الربد
 ومن أجود ما قيل في الاغضاء عن الأخ قول النابغة :
 ولستَ بمسبق أخاك لا تلمه على شعث أى الرجال المذهبُ
 وقال بشار بن برد :

إذا كنتَ في كلِّ الأمور معانيا صديقك لم تلقَ الذى لاتعابه
 فمش واحداً أو وصل أخاك فانه مقارِفُ ذنب مرّة ومجانبه
 إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظلمتَ وأى الناس تصفو مشاربه
 وقال آخر : إلبس أخاك على تصنعه قلوباً مفتضح على النص
 ما ظلتُ أخفى عن أخى ثقة إلا ذمتُ عواقب الفحص
 وقال آخر :

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعدّ معائبه
 وكتب الصاحب في فصل : وتمثلت لى أخلاقك التى لولاها لم يسلس الماء
 ولم يرق الهواء ولم ترع الحقو^١ والذمم ولم يعرف المجد والكرم أخلاقٌ جددٌ غير

أخلاق لا تأخذ الأيام جدتها ولا تشهج الليالي بردتها .

ومن جيد ما قيل في اظهار الرغبة في الاخوان قول أبي فراس بن حمدان :

قل لآخواننا الجفأة رويداً إذ رجونا إلى احتمال اللال
ان ذاك الصدود من غير جرم لم يدع في موضعاً للوصال
أحسنوا في وصالكم أو فسيثوا لا علمناكم على كل حال
وقلت في معناه :

كم قد منحك حسناً وليس منك جزاء
ترى يضرُّك أن لو يكون منك وقاء
لا تبلنا بصدود إن الصدود بلاء
بل مالنا منك بدم فاصنع بنا ما تشاء

وأنشدنا أبو أحمد :

اذكر أخانا تولى الله صحبتَهُ إني وإن كنتُ لالقاءُ ألقاهُ
الله يعلمُ أني لستُ أذكره وكيف يذكره من ليس ينساه

وقال الخريبي :

أخ لي كذوب الشهد طعم إخائه إذا اختلفت بيض الليالي وسودها
كأمنية الملهوف حزماً وثائلاً وعوناً على عيائه أمر يكيدُها
له نعمٌ عندي ضعفتُ بشكرها على أنه في كل يوم يزيدُها
فحملَ عني شكرها فأراخني وللشكر مرقاةٌ كزود صمودها
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدني أبو إسحق الشطبي قال أنشدنا حماد الراوية^(١) :

(١) هو حماد بن سabor بن المبارك ، كان طالماً بأيام العرب وأخبارها وأنسابها
وأشعارها ولغاتنا . ولد في الكوفة وجال في البادية ودخل الشام فحظي عند بني
أمية ، قال له الوليد الأموي : بم استعققت لقب الراوية قال يأتي أدوي لكل
شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ، ثم لا ينشدني أحد شعراً قديماً أو محدثاً إلا

نصفتُ إخواني بعينِ عنايةٍ فأصلحتُ منها كلَّ ما أفسدَ الدهرُ
وأرضاك عفو الشكر دونَ اجتهدٍ وفي دونِ ما أوليت ما اجتهد الشكر
ومن مليح ما قيل في مدح الزمان :

رَقَّ الزَّمانُ لفاقتي ورثي لطلولِ نحرثي
فأنالني ما أشتهي وأراحَ مما أتني
فلا عُفْرَ له الكثيرُ من الذنوبِ السُّبْقِ
حسبَ جنايتهُ بما فعلَ المشيبُ بمفرقي

﴿ في ذم الاخوان والرفقاء وما يجري مع ذلك ﴾

من قديم ما يروى في ذلك قول لبید بن ربيعة :
ذهبَ الذين يُعاشُ في أكنافهم وبقيت في خانٍ كجلدِ الأُجرب
وضمَّنه جحظة البرمكى فقال :

قومٌ أحاولُ نيلهم فكأُتني حاولتُ تنفَ الشعرِ من آنافهم
قمٌ فاسقنيها بالكبيرِ وغنَّني ذهبَ الذين يُعاشُ في أكنافهم
وأنشدنا أبو القسم عن المُقدِّى عن أبي جعفر لأبي الشيبس :

وصاحب كان لي وكنتُ له أشفق من والدٍ على ولدٍ
كنا كساقٍ يمشي بها قدمٌ أو كذراعٍ نطت إلى عضدٍ
حتى إذا دانت الحوادثُ من خطوى وحلَّ الزمان من عقدي

ميزت القديم من المحدث ، قال فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال كثير ولكني
أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات
من شعر الجاهلية دون الاسلام ، قال سأمتحنك في هذا ، فأنشد حتى ضجر الوليد
فوكل به من يثق بصدقه فأنشده ألفين وتسماية قصيدة للجاهلية ، وأخبر الوليد
بذلك فأمر له بمائة ألف درهم - كما في الاغانى وغيره .

أحول غنى وكان ينظر من
وكان لي مؤنساً وكنت له
حتى إذا استرقت يدي يده
عني ويرمي بساعدي ويدي
ليس بنا حاجة إلى أحد
كنت كسترقت يدي الأسد

ومن جيد ما قيل في ذي الوجهين :

تعاشرني ضحكاً كأنك ناصح
لسانك لي شهيد وقلبك علقم
أراك إذا لم أهو شيئاً هويت
عدوك يخشى صوتي إن لقيته
وكم موطن لولاي طعت كما هوى
كأنك إن قيل ابن عمك فاتم
بدا منك غش طالما قد كنته
وقريب من ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال أخبرنا أبو

ذكوان عن الرياشي قال سمعت أبا عبيدة يقول دخل رجل الكوفة قتل بال
عطارد فلم يضيفوه ورأى لهم أبنية مالية فقال ارتجلاً :

تناهوا برفع الدور حتى كأنها
فليسوا بفتيان الساحة والندي
فقد أصبحت أضياف آل عطارد
ومن ذلك قول الشاعر :

لعمري لقد أعطيت يرداً وحلة
فما يك من خير فما نستطيعه
وقال يزيد المهلبی :

فاذا غنيت فكلهم لي خاتل
وما أكر أحد في ذم الزمان
واذا افتقرت فكلهم لي جاني
كثار إبراهيم بن العباس فمن جيد قوله :

كم أخ كان مني فلما أن رأى الدهر جفائي جفائي
مستعد لي بسهم فلما أن رأى الدهر رماني رماني
وقال غيره : إحدَرَ مودَّةَ ماذقٍ شاب المرارة بالحلاوة
يُحصي الميوبَ عليك أيام الصداقة للمداوة

وقال إبراهيم :

بلوت الزمان وأهل الزمان وكل بلوم ودم حقيق
فأوحشني من صديق الزمان وأنسى بالمدور الصديق
وقوله : أخ كنت أوى منه عند أدكاره إلى ظل آباء من العز باذخ
سعت نوب الأيام بيني وبينه فأقلمن مناعن ظلوم وصارخ
وإني وإعدادي لدهري محمداً كملتس إطفاء نار بنافخ

وقال بعض الجفريين :

إن الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن أفسد الناس
فلا يفرنك أضغان مزملة قد يركب الدبر الدامي بإحلاس

قالوا هو من قول زفر بن الحارث :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كماها
قالوا يعني الرجل يظهر لك الود ويضمر خلافه كالنبات الحسن ينبت على
القنر فيصير زائق الظاهر خبيث الباطن ، وقال آخرون : الدمنة حيث تنزل
الابل فقدم بالأيوال والأبعار فلا تنبت شيئاً فإذا طال عليه العهد وسقته الرياح
وأصابته السماء نبت بعد حين ، فيقول قد ينبت ذاك وهو مما لا ينبت ويتغير
بالنبات وتبقى حزازات القلوب لا تتغير ، وهذا التفسير هو الصحيح لأن ألفاظ
البيت تقتضيه والأول فاسد لأنه ليس على مقتضاها .

وقال أبو فراس بن حمدان في ذم الأخوان فأجاد :

تناساني الأصحاب إلا عصبية ستلحق بالأخرى غداً وتحول

فمن قبلُ كانَ الغدرُ في الناسِ سبباً
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه ^(١)
ومن ذا الذي يبقَى ^(٢) على الدهرِ لهم
وصرنا نرى أن المثاركَ محسنٌ
أقلبُ طرفي لا أرى غير صاحبِ
وقلت : إلى كم تستمرُّ على الجفاء
فمن لي أن أرى لك مثلَ فعلِي
ألا إني لأعرفُ كلَّ شيءٍ
عريتَ من الوفاءِ وليس بدعاً
فإن ترجع إلى الحسنى وإلا
وإن كنَّ التقاربُ ليس يُجدي
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدني ابن لنكك البصري لنفسه يذم الزمان :

يا زماناً أليسَ الاحرارَ ذلاً ومهانةً

لستَ عندي بزمانٍ إنما أنتَ زُمانةٌ

وقلت : زمانٌ كثوب الغول فيه تلونٌ
فأولهٌ صفوٌ وآخرُهُ كدر
وقال آخر في خلاف ذلك :

أرى حلالاً تصانُ على رجالٍ وأعراضاً نهانُ فلا تصانُ

يقولونَ الزمانُ به فسادٌ وهم فسدوا وما فسدَ الزمانُ

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر بن دريد :

مشى فوقه رجلاه والرأس تحته فكبَّ الأُعلى بارتفاع الأسافلِ

وقال أبو السمر موسى بن معجم :

متى ما تفكر في الزمانِ وأهلهِ تقل لآعبٌ هذا وليسَ بلاعبِ

(١) في ديوان أبي فراس « خليله » . (٢) في الديوان « وإن الذي يبقَى » .

وأنشدنا الآخر أيضاً :

تبلد هذا الدهر فيارَ جِوته على أنه فيما أحاذره تذب
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة لحمد بن يعقوب بن داود :
لا تعجبك عمامتي قالقرُّ من تحتِ العمامة
والقرُّ في زمنِ اللثام لم لكل ذي كرم علامه
وقلت في قريب منه :

وليس ينفك كُشخانٌ يجاذبنا علامة الحر أن يبلى بكُشخان
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة البرمكي لنفسه :
ربُّ قد ضاقت النفوس من وقد قلت الحيلُ
فلك لا يدورُ إلا بما تشهى السفلى

وقال أبو تمام :

على أنها الأيامُ قد صرنَ كلها عجائب حتى ليسَ فيها عجائبُ
ومن طاعةِ الأيامِ أنْ تُصروفها إذا سرَّ منها جانبٌ ماء جانبُ
وقال قابوس بن وشمكير :

قل للذي بصروفِ الدهرِ غيرنا هل مائدة الدهرُ إلا من له خطرُ
فإن تكنْ نشبتْ أيدي الزمانِ بنا ومُسنا من تمادى بُؤسه ضررُ
ففي السماءِ نجومٌ غير ذى عدد^(١) وليس يكسِفُ إلا الشمسُ والقمرُ
أما ترى البحرَ يعلو فوقه جيفُ وتستقرُّ بأقصى قمره الدررُ
وقريبٌ من هذا ما قلته :

إن كنتَ تسلم من شغبِ الزمانِ ولا أعطى السلامة منه كلما شغباً
فالمصاصاتُ إذا مرَّتْ على شجرٍ حطمته وتركَن البقلَ والعشبا
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة البرمكي لنفسه في المعنى الأول :

يقولون زُرنا واقضِ واجبَ حقنا وقد أسقطتَ حالي حقوقهمُ غنى
إذا أبصروا حالي ولم يأنفوا لها ولا لهم منها أنفتَ لهم مئى
وأنشدنا أبو عبي بن أبي حفص قال أنشدني أبو جعفر للعطوى ^(١) :

لِيَ خَمْسُونَ صَدِيقًا بَيْنَ قَاضٍ وَأَمِيرٍ
لِيَسُوا الْوَفَرَ قَلَمَ أَخْصَلَعٍ بِهِمْ ثَوْبَ الْفَقِيرِ
كَلِمَةً كَلَّ لِيَ الْحَرَّ مَاتَ بِالصَّاعِ الْكَبِيرِ

ومن هنا أخذ ابن الرومي قوله :

سَأَلْتُ قَضِيزِينَ مِنْ خَنْطَةٍ فَجَدْتُ بَكْرًا مِنَ الْمَنَعِ وَاقِي
وقد تقدم . وقلت :

أَلَيْسَ سَعْبًا أَنْ تَرَى كَاشِحًا مَالِكَ بُدَّةً مِنْ مَدَارَاتِهِ
أَصْبَحْتَ فِي دَارِ إِسَائَتِهِ أَعْدَادَ أَنْفَامِي وَسَاعَاتِهِ
وأنشدني هم أبي لأبي الأسد الديفوري ^(٢) :

لَيْتَكَ إِذْ بَنَيْتَ بِوَاحِدَةٍ تَقْنَعُنِي مِنْكَ آخِرَ الْأَبَدِ
تَحْلِفُ لِي لَا تَبْرُنِي ^(٣) أَبَدًا قَانَ فِيهَا بَرْدًا عَلَى كَبْدِي
أَشْفَ فَوَادِي مَنِي قَانَ بِهِ عَلَى قَرَحًا ^(٤) نِكَاتِهِ يَبْدِي
أَنْ كَانَ رِزْقِي إِلَيْكَ قَارِمًا بِهِ فِي نَظَرِي حَيَّةً عَلَى رَصْدِ
فَكَيْفَ أَخْطَأْتُ لِأَصِيبَ وَلَا تَهَضَّتْ مِنْ عَشْرَةٍ إِلَى سَدَدِ

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بصرى المولود والمنشأ ، كان كاتباً شاعراً في الدولة العباسية ، له فن من الشعر لم يسبق إليه ذهب فيه إلى مذهب أهل الكلام فقارق جميع نظرائه وخف شعره وروى واستعمله الكتاب وجعلوه إماماً .

(٢) شاعر مطبوع من بني شيبان متوسط الشعر من شعراء الدولة العباسية كان مداحاً هجاءً مليح النواحر . (٣) في الأغاني « تحلف أن لا تبرني » .

(٤) في الأغاني (مني جرحاً نكاته) .

لو كنت حراً كما زعمت وقد
لكنني عدت ثم عدت فان
قد صرت من سوء ما بليت به
وقلت: العين تذرف والنفوذ يذوب
ولقلة الكرماء أنت مضجع
تالله لم تخطئك أسباب الغنى
فأصبر فقد عزاك عن درك الغنى
ما يوا قطري ان تملأ مطلبي
وشحوب جسمي من مواصلة السرى
واقعد يدل على كمال كرامتي
ولقد جلا حزني وفرج كربتي
لاتلمسين فن ورائك طالب
وقال أبو تمام:

هب من له شيء يريد حجاباً
ما زال وسواسي لقلبي خادماً
ما ان سمعت ولا أراي سامعاً
ما كنت أدري لأدريت بأنه

ما بال لاشيء عليه حجاب
حتى رجا مطراً وليس صاحب
يوماً بصحراء عابها باب
يجري بأفنية البيوت مراب

(فصل فيما قيل في فضل الوعد ومدح الانجاز)

أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال حدثنا ابن زكريا عن ابن دينار قال
حدثنا محمد بن عبيد الله السبي قال كلم منصور بن زياد يحيى بن خالد بن برمك
في حاجة لرجل فقال عده عن قضاءها فقال وما يدهوك أعزك الله إلى العدة مع وجود
القدرة؟ فقال له يحيى هذا قول من لم يعرف موضع الصنائع من القلوب إن الحاجة إذا

لم يتقدمها موعد ينتظر به تبحرها لم تتجاذب الأنفُس بسرورها ولم تتلذذ بتناولها وإن الوعد تطعم والآنجاز طعام . وليس من قاجاه طعام كمن وجد رائحته ونطق له وتطعمه ثم طعمه فدفع الحاجة تحتم بالوعد ليكون لها عند المصطنع حسن موقع ولطف محل وحلاوة فوق .

وأخبرنا أبو أحمد قال حدثنا الصولي قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلبى قال أخبرنا البحتري عن خارجة بن مسلم بن الوليد عن أبيه قال سألت الفضل بن سهل حاجة فقال أسوفك اليوم بالوعد وأحبوك غداً بالآنجاز فاني سمعت يحيى بن خالد يقول المواعيد شباك السكرام بصطادون بها محامد الاخوان وإن كان المعطي لا يعد لارتفعت مفاخر آنجاز المواعيد وبطل فضل صدق القول . وقال عيسى بن ماهان جلسائه انى أحب أن أهب بلا وعد وأحب أن أعد لا أخرج بالآنجاز من جملة الخلفين وأدخل في عداد الوافين ويؤثر عنى كرم المنجزين فإن من سبق فعله وعده وصف بكرم فرد وسقط عنه جميع ما ذكر . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال أخبرني عون بن محمد قال ذكر العتابي المأمون فقال إنه ألتح معروفه عندي بالوعد وتعبه بالإنجح وأرضه بالزيادة وشيبه بالهدوهرمه باستتمامه من جهاته وهناك بترك الامتنان به . ومن عجيب ما جاء في الحث على الآنجاز ما حدثني به أبو أحمد عن الصولي عن يعقوب بن المزرع قال حدثنا عبد الصمد بن المنذر قال شكا رجلٌ جعفر بن يحيى الى أبيه بأنه وعده ومطله به . فوقع : يا بني أتم معاقل الاحرار ومظان المطالب ومعادن الشكوى فكونوا سواء في الأقوال والأفعال فإن الحر يسخر وعد الحر ويستقده وينفقه قبل ملكته فإن أخفق أملاه كان سيئاً لثمه واتهامه وسوء ظنه حتى يوارى قبح ذلك وحسن تقيته فأنجذ الوعد والإقصر القول فإنه أعذر والسلام . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن يونس عن الحميدى عن سفيان قال سمعت الزهرى يقول : حقيق على من أزهى بالوعد أن يشر بالفعل . ومن جيد ما مدح به المنجز قول أبي تمام :

تؤمُّ أبا الحسين وكان قلما فتى أعمارُ موعدة قصار
 نحنُ عداته أثر التقاضى وتنتج مثل ماتج العشار
 وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن المعيرة بن محمد قال كلم المأمون فى الحسين
 ابن الضحاك الخليع أن يردَّ عليه رزقه فقال المأمون : أليس هو القائل فى الأمين :
 فلا فرح المأمون بالملك بعده ولا زال فى الدنيا طريدا مشردا
 فما زالوا به حتى أذن له أن ينشده فأنشده :

أبن لى فانى قد ظلمتُ الى الوعدِ متى تُنجز الوعدَ المؤكد بالعهدِ
 أعينك من صدِّ الملوك وقد ترى تقطع أنفاسى عليك من الوجدِ
 فمالى شفيعٌ عندَ محسنك غيره ولا سببٌ إلا التمسك بالوُدِّ
 أيسخلُ فرد الحسن فرد صفاته على وقد أفردته بهوى فرد
 فاستحسن الناسُ هذا التشبيب فلما قال :

رأى الله عبد الله خير عباده فأسكه والله أعلم بالعبد
 قال هذه بتلك وقد عفونا عنك فقال يأمر المؤمنين فأتبع عفوك باحسانك
 فأمر بردَّ أرزاقه عليه وكانت فى كل شهر خمسمائة دينار فقال المأمون لولا انى
 نويت السفو عنه وجعلت ذلك وعدا له من قبل ما فعلته ، وإنما ذكر العهد فى
 تشبيهه فذكرنيه . وما أحسن مقاله بعضُ ملوك المعجم : البخل بعد وعد يُضعف
 قبحه على البخل قبله فما قولك فى أمر البخل أحسن منه وأجمل :

(ما قيل فى الضحك والبشر عند السؤال)

أول من آتى بذلك زهير فى قوله :
 تراه إذا ماجته مُتَهَلِّلًا كأنك مُعْطِيه الذى أنت سائله
 ولو قال مكان « إذا ماجته » « إذا ماسأته » لكان أجود .
 ومن الجيد فى ذلك قول أبى نواس :

بشرهم قبل النوال اللاحق كالبرق يبرق قبل جود دافق
والغيث ينحفي وقعه المرامق إن لم يجده بدليل البارق
وأخذ أبو تمام هذا فقال :

يستنزِلُ الأمل البعيد يشره بشرى الخيلة بالغيث ^(١) المنفق
وكذا السحاب قفا تدعو إلى معروفها الرقاد مالم تبرق
وتبعه البحرى فقال :

كانت بشاشتك الأولى التي بدأت بالبشر ثم اقتبلنا بعدها النما
كلزنة استؤنفت أولى مخيلتها ثم استهلّت بغزر تابع الديما
وقال أبو عبد الله القطريلي قلت للبحرئى وقعت دون أبي تمام في هذا المعنى
فقال لعمري ولكن سأرضيك فيه فقال في أبي الصقر :

يوليكَ صدر اليوم قاصية الغنى بفوائد ^(٢) قد كنّ أس مواعدا
سوم السحاب ما بدأن بوارقا في طرض إلا ثنين رواعدا
والرعد لا يكون إلا ومعه الغيث فكانه قال إلاثنين موافراً ثم رده فقال :

إنما البشر روضة فاذا أعقب بذلاً فروضة وغدير
وقال البحرئى :

ملكٌ عنده على كل حال كرمٌ زائدٌ على التقدير
وكأنا من وعده ونداء أبداً بين روضة وغدير
وقال : ضحكات في إثرهنّ العطايا ويروق السحاب قبل رعوده
وله أيضاً :

متهلّ طلقٌ إذا وعد الغنى بالبشر أتبع بشره بالنائل
كلزن إن سطعت لوامع برقه أجلت لنا عن ديمة أو وابل
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا العسولي لنفسه :

(١) في ديوان أبي تمام (بالريم). (٢) في ديوان البحرئى (بعوائد) .

لست تلاقى سائلاً برء تعيد بشر مؤدد وتبدي
كالبرق يأتيك أمام الرعد بشرى الغيوث بحجاب رعد
يلقى بك الطالب نجم السعد بلغت في الأعمار أقصى العد

(فصل في تسمية الأشعار)

عمى عبد كان للأحول على أبي صالح محمد بن عبيد الله بيتاً غلط فيه ورسمه :
نظيف خفيف نظيف فايق نظيف مقبل بعلب - نظيف
طريف مدل فايق نظيف فايق مقبل نظيف فايق
رشيق بدر مقلب لمن نظيف مذهب معشوق نظيف
مذهب ملاحظ رشيق مغاضب نظيف . فأخرجه وكان البيت :
إذا قلت أسلو دامت العين بالكا دماء وحتمها مدامع حقل
وكان الجواب الصادر :

ألا أيها الشخص الذي كان نزهة يحصنه ستر من الله مسبل
لماذا هتكت الست عنك تعمداً ولست بحمد الله ممن مجهل
رأيتك قد عميت بيتاً رسمته بكل خطأ فهو مثلك أحول
وكان لمتبول الفؤاد معذب أخي حسرة بالمجير والصد يقتل
فقال وقد رام السلو فلم يجد وبات كئيباً بالياً يتحمل
إذا قلت أسلو دامت العين بالكا دماء وحتمها مدامع حقل
وعى حمزة الأصفهاني على أبي جعفر محمد بن أيوب بيتاً رسمه :

نرجس خيري بنفسج حاحم شاهسفرم اقحوان نسرین
نسرین اقحوان نسرین مرزنجوش ورد ياسمين نسرین
زعفران تمام سوسن أفرنجشك آس مشور مرزنجوش
بنفسج بلحية ياسمين مرزنجوش نسرین تمام مشور

خبري منشور اقحوان زعفران سيسنبر خزامي بنفسج مرزنجوش. فأخرجه وكان البيت:

كفى حزناً أن الجوادَ مُقْتَرٌ عليه ولا معروفَ عند بخيل
فكان الجواب الصادر :

فذاك أبا بعلی أخ لك لم يزل بعدك ذخراً عند كل جليل
إلى أن قال :

فقال وقد جاب البلاد فلم يجد أختاً ثروة يسخر له يقتيل
كفى حزناً أن الجوادَ مُقْتَرٌ عليه ولا معروفَ عند بخيل
ومن أحسن ما قيل في هذا قول أبي سعيد الأصفهاني وقد عني عليه زياد بن
جعفر الهمداني بيتاً فأخرجه وكان الجواب :

إذا العارضُ السحُّ بالوبلِ جادا	وأُنزلَ غيثاً أفاتَ البلادا
وأسرجَ فيه وميضُ البروقِ	مصاييحَ تزهَرُ منه انتقادا
وثج ^(١) فما شكَّ ذو ناظر	رأى سبيله أن فيه مرادا
فعمَّ بشربوبه سادق	وخصَّ بأغزرِ سقى زيادا
زياد بن جعفر المستجار	لصرفِ الزمانِ إذا ما عمادى
فداؤك نفسى وإن ستمنى	غناء طويلاً حمانى الرقادا
أتقن الطيورُ فساترنى	بيت تعمقت فيه عنادا
إلى أن تمكنت من صيدها	وقد صدتها إذ عرفت المصادا
وقلت لها غردى بالئى	كتمت فأسرعن نحوى انتقادا
وأنشدت بيتاً معادَ الفصول	ولست ترى فيه معنى مُعادا
ومن ذلَّ قلَّ ومن قلَّ ذلَّ	ومن سادَّ جادَ ومن جادَ سادا
أردت سقاطى فما نلتها	فقلتُ المنى وبلغتُ المرادا
وأبقاك ربى بقاء النعم	عليك وملاك منه وزادا

(١) أى سال .

وكتب إلى أبي عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي جواباً عن معنى :

دمعى على الخلد سكب^ه ونار^ه شوق^ه تشب^ه
وليس يقى على ما يلقاه قلبي قلب
لله عهد الليالي إذ مورد العيش عذب
واذ شبابي لذن^ه وغصن^ه قدى شطب
يا جعفر القوم يامن يدعى إذا جل^ه خطب
فذاك عبد^ه مشوق^ه إلى لقاءك صب^ه
أبعدنى وسواء^ه بعد^ه لدى^ه وقرب
أخلط طيب أتنى منها ييس^ه ورطب
قربتها نار طبع يدموم والنار تحبو
عود^ه ومسك ذكي^ه وعنبر^ه مستحب^ه
أوردتها نار فكرى ففاح شرق^ه وغرب
وهب^ه للفهم منها روائح^ه لا تهب^ه
فقلت بالشم^ه مالم ينله^ه معجم^ه وعرب
يتنا كما اهتز روض^ه أو أكل الوشى عصب
شيب^ه وسن^ه وجهل هذا لعرك صعب
بجعفر وأخيه نال^ه الوردى ما أحبوا
نفسى فداكم وما قد أهل^ه بالحج ركب
ذنبى انقطاعى اليكم ان عُد^ه للناس ذنب
فذاك للخلق كهف وذاك للمجد قطب
ليث^ه إذا عض^ه دهر غيث^ه إذا اشتد^ه جذب
لى منهما اليوم رأى^ه يرى غداً وهو كسب

والتمية أن يجعل مكان كل حرف من البيت اسماً على مثال ما تقدم فإذا

مضت الكلمة تدبر دائرة على ذلك حتى تأتي على آخر البيت . ووجه استخراج المعنى أن تنظر الى الأسماء التي جعلت مكان الحرف فما تكرر منها وكثر في البيت فظن أنه للألف وربما لم يصدق هذا الظن ولكنه الأمر الأكثر فاطلب بعده اللام فإنها تقع بعد الألف كثيراً وانظر الى ما طال في البيت من الكلمات فإذا رأيت الألف في أولها فظن بالثانية أنها لام وربما تكرر ذلك في موضعين من البيت وثلاثة ، ومما يستدل به على معرفة اللام أيضا أن يقع بعد الاسم إذا ظننت أنه الألف حرفان على صورة واحدة في مثل الليب والبل واليث وفي قولك الله وما أشبه ذلك ، ومما يستدل به على معرفة اللام أيضا أن يقع في البيت كلمة على حرفين وقد عرفت الألف واللام فيكون الكلمة تزداد يقيناً في الألف واللام وإذا صحت لك الألف واللام رأيت في البيت كلمة على حرفين والثاني منهما ألف فظن أنها « ما » أو « ذا » أو « يا » لأن ذلك أكثر ما يقع فإذا صحت الميم من (ما) ثم رأيت كلمة على حرفين فظن بها أنها (من) فإن رأيت كلمة على حرفين وأولها ألف فظن بالثاني أنه نون أو واو أو ميم ، فإذا عرفت الألف في أول كلمة ورأيت قبلها حرفاً فظن أنه واو أو فاء أو باء أو كاف فإذا عرفت الألف ورأيتها وقد وقعت آخر البيت فظن بالحرف الذي قبلها أنه هاء أو كاف لأن ذلك أكثر ما يقع فإذا تكرر لك هذه الحروف في البيت وقفت منه على أكثره ، ثم تعمد الى الحروف التي يقل تكرارها في البيت فنظر الى الكلمة الرابعة أو الخامسة فظن أنها أبدأ أن فيها أحد الحروف الستة اللام والراء والنون والفاء والتاء والميم لأنها لا تخلو من حرف منها أو حرفين . ولا ينفع ما مثلناه من هذه الأمثلة إلا مع جودة الفريضة وشدة الذكاء والفطنة ومع النشاط وصدق الشهوة .

وذكر بعض أهل العلم وأظنه أبا الحسن العروضي أنه عُمي له قول الشاعر :
 وكن ذا كراً بيت التويغ إنه سيحلو على سمع الليب ويمذب
 فكانت تعميته : زيد بكر عمرو سعد بدر بكر بدر سهل صقر فهد بدر شهر

عمرو زيد صقر سهل رشد بدر عمرو حمد قصر عقر مكر شهر زيد بدر فخر شهر
صقر قصر سلم فخر بدر شهر سهل صقر سهل زيد صقر فخر سعد سهل صقر.
قال فأول ما استخرجت منه الألف لأنها أكثر ما فيه من الحروف ثم عرفت
بعدها اللام لأنها واقتان في قوله (التويع) وفي قوله (اللييب) فله أصبحت الألف
واللام وأيت اللام قد تكرر فقلت أنها لا تكرر إلا في مثل اللييب واللطف
وكن أقربها في ظني اللييب ، عدت بعد ذلك إلى الكلمة الثالثة فرأيت الباء
والياء فيهما وبقي الحرف الثالث فعرضته على الحروف فخرج لي بيت وبيد وبيش
وبيض وبيع وبين فلم أجزم على شيء منها فتركتها موقوفة ثم قصدت إلى الكلمة
السابعة فرأيت فيها اللام والياء فلم أشك أن الحرف الأول العين وأن الكلمة
(على) ثم قصدت الكلمة الثامنة فرأيت العين في آخرها فطلبت على هذا المثال
ما آخره عين فجاءني جمع ورجع ودمع ودمع فتركتها موقوفة ثم عدت إلى الكلمة
الأخيرة فرأيت فيها ما تبينته وعرفته الباء والعين والياء فعدت إلى الياء والعين
فوضعتهم مع سائر الحروف فخرج لي : يتب ويمجب ويمذب ويعرب ويمطب وما
شاكل ذلك فقابلت ما خرج من وجوه الكلمة الأخيرة على ما يقرب في المعنى مع
ادخال اللييب بينهما فصح لي أن الثامنة (ممع) وأن الأخيرة يعذب وعلمت أن زيدا
في أول الكلمة الأخيرة وأولها صبح (على مع اللييب) لم أشك أن الكلمة السادسة
(سيحلو) قد ظهرت فيه السين والياء واللام والواو والألف فلما عرضت الكلمة مع
سائر الحروف لم يطابق يعذب في المعنى إلا يحلو فلما ظهر ذلك علمت بالمعنى والوزن
جميعاً أن الذي ظهر من البيت يدل على أنه في ذكر شيء فيه كناية في وسط
البيت وأولها ألف والنون تليها كثيراً فأدى الوزن إلى أن بعدها هاء وإن الكلمة
(إنه) فلما ظهرت النون وكنت قد عرفت الواو من الكلمة الأخيرة علمت أن
أول كلمة في البيت (وكن) بنير شك وإن الثانية « ذا كراً » لأن الذا ظهرت في
يعذب والألف معروفة والكاف قد بان من الكلمة الأولى والألف الثانية

معروفة بقيت الراء فلما عرضتها على سائر الحروف لم يحىء غير الراء ثم قصدت الى
الكلمة الرابعة فلم أجدها فيها حرفاً غير ظاهر قد عرفتة إلا اللين فقط فلم أدر ما هو
فلولا أن الوزن أدى اليه بعد طول تعب لم يكن يظهر فلما علمت أنها (النويغ)
لم أشك أن الثالثة (بيت) وظهر البيت كله .

ومن المعنى بغامض الحساب قول ابن طباطبا :

ان رحت مافى يديه ملتصاً وكنت أشكو اليه ضيق يدي
أحصت ألوفاً يسراه أربعة منقوشة سبعة من العدد
وفى هذا المعنى شيء كثير هذا أجوده فاعرف ذلك . وقلت في ضرب من المعنى :
وأصفرٌ تحمرُّ أطرافه يا أحسنه من مطرف مُعلم
صدره الانسان في بيته وهو مُهانٌ ليس بالكرم
والمرء قد يملو على ظهره وهو سليم الدين لم يأنم
وهو على ما كن من ذلة تُسمى باسم الملك الأعظم
أعنى حصيراً والملك يُسمى حصيراً ، قال الشاعر :

ومقامه غاب الرقاب كأنهم جندٌ لدى باب الحصير قيام
وقات : وميت لا يكاد المرء يدفنه إلا إذا طاد حياً بعدما ماتا
وميت غيبوا في الأرض جثته عداً لكي يجعلوا الأحياء أمواتا

الأول الذكر والثاني الفخ . ومن مליح المعنى ما أخبرنا به أبو أحمد قال حدثنا
ابن عمار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثنا عبد الحميد بن عقبة قال حدثني
أبو عثمان المازني قال هجا أبو عينة اسماعيل بن جعفر بن سليمان بشعر مُورى
فلم يفهمه وكان كلما جاءه من يأنس به عرضه عليه حتى دخل رجلٌ فأقرأه إياه وهو قوله :

انى أحاجيك فاعلمنْ فما لؤلؤة منك قد ثقبناها
وكرمة من أليك منبتها حتى اذا أينعت قطفناها
تخبرنا ماها وما مُسبِّل تشعبت منك قد سلكناه

لم نمش فيها ريثاً ولا عجلًا ولم نطأها وقد وطئناها
 فأت تصبها فأت ذوفطنٍ وحاجتي أن تصيب منها
 فقال أيها الأمير إنه كلامٌ رديٌّ أكره أن أستقبلك به فقال هاته قال
 أما اللؤلؤة فالبنت وأما الكرمة من أيك فالأخت وأما السبل التي تشبت
 فالأُم لم نطأها بالاقدام ووطئناها بالفعل. وقال الآخر يذ كر دعوة يدعو بها على رجل:
 وسارية لم تسر في الأرض تبتغي محلاً ولم يقطع بها اليد قاطع
 سرت حيث لم تسر الركاب ولم تنح لورد ولم يقصر لها القيد مانع
 تكرر وراء الليل والليل مظلم إذا قرع الأبواب منهن قارع
 إذا وفدت لم يردد الله وفدها على أهلها والله راء وسامع
 واني لأرجو الله حتى كأني أرى بجيلى الظن ما الله صانع
 (أحسن ما قيل في تقبيل اليد)

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن خالد عن أبي بكر بن محمد بن خلاد
 الباهلى عن محمد بن الفضل عن أبي الزناد عن عبد الرحمن عن ابن أبي ليلي عن
 عبد الله بن عمر قال كنت في غزوة في بعض مصالح رسول الله ﷺ فتلقنا العدو
 فخاص الناس حيصه^(١) فكنت فيمن خاص ثم قلنا حين رجعنا إلى أنفسنا كيف
 ننظر في وجوه القوم وقد بؤنا بغضب من الله ثم قلنا نأتى المدينة فنبيت بها ثم
 نخرج فلا يرانا أحد فلما أتينا المدينة قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ
 فأتيناه فلما خرج إلى الصلاة قلنا يا رسول الله نحن الفرارون. قال «بل أنتم الكرارون»
 فقبلنا يده قال ثم قلنا يا رسول الله إنا همنا بكذا فقال إنا فئة المسلمين ثم قرأ
 (إلا متحراً فالتقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد بآء بغضب من الله).
 وبإسناد لنا أن ابن أبي ليلي قبل يد أبي مسلم فقال له رجل أتقبل يد أبي مسلم؟
 قال أوليس أبو عبدة قبل يد عمر؟ قال أو تجعل أبا مسلم مثل عمر؟ قال أو تجعلنى

(١) أى جالوا جولة يطلبون الفرار.

مثل أبي عبيدة . وحدثنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن زكريا عن محمد بن عبيد الله العتيبي قال قبل رجل^ه يد المهدي فقال يد أمير المؤمنين أحق يد بتقيل لعلوها في المكارم وطهارتها من المآثم وإنك ليوسفي العفو امحيلي الصدق شعبي الرفق فمن أودك بريدة خوف أوسوء فجعله الله طريد خوفك وحصيد سيفك .
ومن أجود ما قيل في ذلك من الشعر ما أنشدنا أبو أحمد عن الصولي لأبراهيم بن العباس في الفضل بن سهل قال أنشدنا ثعلب وأبو ذر^ه كوان :

لفضل بن سهل يد^ه تقاصر عنها المثل^ه
فبسطها للغنى وسطوتها للأجل^ه
وباطنها للندى وظاهرها للقبل^ه

فأخذه ابن الرومي فقال للقسم بن عبيد الله رحمه الله :
أصبحت بين خصاصة وتجمل والمرء بينهما يموت^ه هزبلا
فامدد إلى يدآ تمود^ه بطنها بذل التواك وظهرها التقبيل^ه
وقال أيضاً : له راحة فيها الخطيم وزمزم * . وقلت :

فظاهرها للناس ركن^ه مقبل^ه وباطنها عين^ه من الجود عيلم^ه
هو البحر لا عين^ه من الجود عيلم^ه عفاء على عين من الجود عيلم^ه
يجل^ه عن تقبيل ظاهر^ه كفه وباطنها عن أن تقاس بزمزم^ه

ومما جاء في كراهة ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن العتيبي قال استأذن رجل هرون الجعدي في تقبيل يده فأبى وقال إنها لمن العربي ذلة ومن المعجمي خدعة فلا حاجة لي في أن تنلني أو تخدع قاعتي من ذلك .

(الحظ على السلام)

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن إبراهيم بن عبد الله النخعي عن الضحاح بن محمد عن ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (إذا

جاء أحدكم المجلس فليسلم فإن قام والقوم جلوس فليسلم فإن الأولى ليست بأحق
 من الآخرة (وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن إبراهيم بن فهد عن عبد الله بن
 رجاء عن سعيد بن سلعة عن أبي بكر عن نافع عن ابن عمر أن رجلاً مرّ برسول الله
 ﷺ وهو يهرق الماء فلم عليه الرجل فرد عليه فقال إنه ما حلتى على الرد عليك
 إلا أنى خشيت أن تقول سلمت عليه فلم يرد على فأذا رأيتى هكذا فلا تسلم على فانك
 إن تفعل لأرد عليك السلام وعنه عليه السلام « تمام السخية أخذ باليد » وحدثنا
 أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن السباس بن بكار عن المفضل الضبي عن
 جده عن مكعب الأسدي قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

يقول أبو مكعب صادقاً عليك السلام أبا القاسم
 سلام الآله وريحانه وروح المصلين والصائم
 فقال رسول الله ﷺ « عليك السلام نحيّة الموتى » قال المصنف تقول
 العرب للميت « عليك السلام » قال الشاعر :

عليك أبا بشر سلام ورحمة وقد بنت منا كلنا لك حامد
 فلا يُبعدنك الله ميتاً فانما حياة الفنى سيراً الى الموت قاصد
 وقال عبدة بن الطيب :

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ماشاء أن يترحمها
 وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن ابن عائشة قال دخل الحسن بن
 السكثاني على عبد الله بن جعفر ذي الجناحين^(١) فأنشده قوله فيه :

عليك السلام أبا جعفر وسيد فخر لدى المحضر
 فأنت المهدب من هاشم وخير قريش إذا تذكر

(١) لقبه به النبي ﷺ لما قتل شهيداً في غزوة مؤتة وكانت قطعت فيها يداه
 وهما مسكتان للراية فقال الرسول ﷺ « إن الله تعالى قد أبدله بهما جناحين
 يطير بهما في الجنة حيث شاء » كما في جني الجنتين في تمييز نوعي المثنيين للمحيي .

فقال له عبد الله أخطأت مرتين (عليك السلام) أكثر ما تستعمل هذه اللاموات وقد
 أمكنك أن تقول * سلامٌ عليك أبا جعفر * ثم جعلت لي ما كان لرسول الله ﷺ
 ووصفتني بصفته ، قال فاستمع البيت الذي سقت له ملبست قال هاته فقال :
 فهذه ثيابي قد أخلفت وقد عضني رَمَنٌ من منكر
 فقال عبد الله هذي ثيابي لك بها ، ودعا بغيرها ودفنها إليه .

(السلام على الكفار)

حدثنا أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن العباس بن بكار عن أبي بكر الهذلي
 قال سلم نصراني على الشعبي فقال له الشعبي وعليك السلام ورحمة الله ، فقال له
 رجل سببحان الله تقول لهذا النصراني ورحمة الله ! فقال الشعبي أليس في رحمة الله
 يعيش قال بلا قال فما وجه الانكار على طافك الله تعالى وإيانا برحمته .

(رد السلام بالإشارة)

حدثنا أبو أحمد عن الصولي عن العباس بن الفضل الأسفاطي عن ثابت عن
 عبد العزيز عن هشام بن سعد عن نافع عن عبد الله قال خرجنا مع رسول الله
 ﷺ إلى البقيع فقام فصلى فجاءت الأنصار تسلم عليه قال فسألت بلالاً كيف
 كان يرد عليهم قال كن بشير اليوم بيده . وأنشدنا عنه عن محمد الأسدي عن
 أبي هفان عن أبي محم لا أبي طراد أسعد بن البكا البكري :
 مردنا قللناها السلام عليكم فبلغنا ضيق المحل غيور
 وما كنت أدري أن في الخير رية ولا أن رجماً بالسلام بضير

(ما جاء في المصافحة)

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن الأسفاطي عن يعقوب بن حميد عن اسحق
 ابن إبراهيم بن سعيد عن صفوان بن سليم عن إبراهيم بن عبيد بن رفاة عن ابن
 (٢٨ - ثاني المعاني)

أبي ليلى عن حذيفة قال قال النبي ﷺ « إذا لقيَ المؤمنُ المؤمنَ فصاحَ
أحدهُهما صاحبه تناثرَتِ الخطايا بينهما كما يتناثرُ ورقُ الشجرِ »

وقال الحسن : المصافحة تزيد المودة . وحدثنا عنه عن الغلابي عن ابن عائشة قال
دخل سوار العنبري على المتصور فقال يأمر المؤمنين على ما أحدث الناسُ اليوم أم
على ما كانت عليه الأوائل ؟ قال بل على ما كان عليه ، فدنا فصاحه .

وأخبرنا عنه قال سمعت إبراهيم بن المنذر يقول دخل الفقهاء على المتوكل ونحن
وقوف بين يديه فاستدناهم فكلُّ قِبَل يده إلا اسحق بن اسرائيل فانه قال يأمر
المؤمنين ما ينقصك أن أقبل يدك - ولم يقبل يد المتوكل - وقد حدثني الفضل
ابن عياض عن هشام بن حسان عن الحسن قال المصافحة تزيد في المودة وسى بها
المؤمنين فبسط المتوكل يده فصاحه ، ووصله المتوكل بأكثر مما وصل به أصحابه .

وأنشدنا عنه عن أحمد بن إبراهيم المازحي لبعض شعراء الشام :
تصاغت الأُكفُ وكان أشهى إلينا لو تصاغت الخدودُ
نموت إذا التقى كُفٌّ وكُفٌّ فكيف إذا التقى جيدٌ وجيدٌ .
وقال آخر :

فصاغت من لا قبت في البيت غيرها وكلُّ الهوى مني لمن لم أصاغت
وقال أبو العتاهية يهجو عبد الله بن معن بن زائدة :

أخت بني الشيبان مرّت بنا ممسولة كوراً على بغل
قد نطقت في كفها نقطة مخافة العين من الكحل
لقيته يوماً فصاغتني فقال دع كفى وخذ رجلى

(حياك الله وياك)

معنى حياك الله سلام عليك ، والتحية أيضاً الملك فحياك الله على هذا التأويل
ملكك الله ، والتحية البقاء ، وهو على هذا التأويل أبقاك الله ، قال الأصمعي يياك

أضحكك ، وقال على الأخرى أراحوا بؤاك منزلاً فقال يياك تلاباع كج قالوا
 الغدايا والعشايا ، وقال ابن الأعرابي معناه قصدك بالتحية وبيت الشيء قصده
 واعتمده . وحدثنا عنه عن زياد بن خليل التستري عن إبراهيم بن بشار الرمادي
 عن سفيان عن محمد بن سوقة قال أتنا ميمون بن مهران فقلت له حياك الله فقال
 مه هذه تحية الشباب قل حياك الله بالسلام .

وحدثنا عنه عن المغيرة بن محمد عن إسحق الموصلي قال نزل الطماح العقيلي
 بقوم من بني تميم فأحسنوا إليه فأراد الرحيل عنهم فقال :

حياكم الله . فاني مُنقلبٌ بشكرِ إحسانكم كذا يجبُ
 وإنما الشاعر كالكلب الكلب يملك عند دغبر وإن رهبُ
 لا يرعوى لبغض ولا لمحِبُ أكثر ما يأتي على فيه الكذب
 وأنشدنا عنه عن المبرد لعمارة :

حيّا آلَه خيالها من دانٍ لو كانَ زارَ زيارةَ اليمّطان
 لو كانَ عرجَ أو قللَ ساعةً حتى نساؤه من الأوطان
 كفانٍ شيدتا بناءَ محامدٍ لهنّ هشّ أخى إخوان
 تلقى له دعة السكولِ وحلهم وتقامُ وحلاوة الفتيان
 وأنشدنا عنه عن أحمد بن إبراهيم :

حياك من لم تكن ترجو نحيتهُ لولا الدرهمُ ما حياك إنسانُ

﴿ قولهم مرحباً ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن يزيد المبرد النحوي عن أبي عثمان
 المازني قال لما أتى الرشيد الرقة تلقاه محمد بن ثوبان العناني قانشده :

هرون يا ابن الأكرمين حببا لما ترحلتَ وكنتَ كئيبا
 من أرضِ بغدادَ تؤمّ المغرباً طابتَ لناريجُ الجنوبِ والصبا

ونزلَ الفيثُ لنا حتى ربا ما كانَ من شرِّ وما تصوَّبَا
فرحبا ومرحبا ومرحبا

فقال الرشيدُ وبك مرحبا وأهلا ، ووصله بصلة سنية . وحدثنا عنه عن عبيد
الله بن عبد الله قال لما دخل أبو مضر أنشده سعيد بن الوليد المعروف بالبطين :
مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا باين ذى الجودِ طاهرِ بن الحسينِ
مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا باين ذى الغرَّتَيْنِ فى الدَّولَتَيْنِ
مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا باين ذى المختدينِ فى المصرينِ
مرحبا مرحبا بمن كفه البحرُ إذا قاضَ مُزبد العبرينِ
فوصله وقدمه . وقديماً ما استعملوا مرحبا فى كلامهم ، (ومنه) قول طفيل الغنوى^(١) :
وبالسهل ميمون النقية قوله للشمس المعروف أهل ومرحب
وأخبرنا عنه عن محمد بن العباس اليزيدى عن محمد بن الحسن الرزقى عن
الحسين بن على العلوى المدينى عن بعض أصحابه عن المازنى قال كان اعرابى يلزمنا
وكان فصيحاً فقال له على بن جعفر بن سليمان وكان جافياً لا يعطيه شيئاً إلا مرحباً
فقال فيه الاعرابى :

وما مرحباً إلا كريح تنسيت إذا أنت لم تخط نوالاً بمرحب
ومثل هذا قول جحظة البرمكى :

قائل إن شلوت أحسنت زدنى وبأحسنت لا يباع دقيق
وأخبرنا عنه عن أبى العيناء قال استأذن رجل على الحسن بن سهل فقبل له من أنت
قال رجل أمر له الأمير يوم كذا بعشرة آلاف درهم فأمر بإدخاله فلما رآه قال مرحباً
بمن توسل إلينا بنا وشكر إحساننا إلينا ، وأكرمه .

وأخبرنا عنه قال سمعت إبراهيم بن المدير الكاتب الضبي يثنى على ابن الجهم فى

(١) هو طفيل بن عوف ، شاعر جاهلي من الفحول ، وهو أوصف العرب

للخيل ، لذلك لقب بطفيل الخيل .

صداقته ومروءته فقال في ذلك كنت واقفاً بين يدي المتوكل وقد جرى برأس
إسحاق بن إسماعيل وجه به بنا ، فارتجل على بن الجهم شعراً وقال :

أهلاً وسهلاً بك من رسول جئت بما يشفى من الغليل
بجملة تفي عن التفصيل برأس إسحق بن إسماعيل
ومر بأبيات فاستحسن ذلك المتوكل ووصله بصلة منية ، قال وأنشدني ثعلب :
فمالك نعمة سلفت الينا وكيف وأنت تبخل بالسلام
سوى أن قلت لي أهلاً وسهلاً وكانت رمية من غير رام
وقلت : تضن بتسليم وزورة ساعة فكيف يرجي جودك بكيف بالوفر
وأنشدنا عنه عن أبي موسى محمد بن موسى مولى بني هاشم قال أنشدني عبد السلام
ابن رغبان الحمصي المعروف بديك الجني لنفسه :

بأبي وإن قلت له بأبي من ليس يعرف غيره أربي
قرطست عشر آفي مودته لبلوغ ما أملت من طلي
ولقد أراني لومددت يدي شهرين أرمي الأرض لم أصب

أنشدنا عنه قال أنشدنا عبد الله بن المعتز لنفسه :

قلت يوماً لها وحركت العود د بمضرايها فغنت وغنى
ليتني كنت ظهر عودك يوماً فاذا ما أخذته صرت بطنا
فبكت ثم أعرضت ثم قالت من بهذا أنباك في النوم عنا
قلت لما رأيت ذلك منها بأبي ما عليك أن أغنى

قال وممعت محمد بن عبيد الله بن يحيى الوزير يقول دخل أبو العيناء إلى أبي
فقال له كيف حالك فقال أبو العيناء أنت أعزك الله الحال فانظر كيف أنت لي .
فوصله ووقع له بأرزاقه . وحدثنا عنه عن عون بن محمد الكندي عن عبيد الله بن
عمر قال قيل لرجل من قریش كيف حالك ؟ فقال كيف حال من يهلك ببقائه
ويسقم بصحته ويؤتى من مأمته . ومثله :

ماحال من آفته بقاؤه نغص عيشي كله فناؤه

وقال سعيد بن حميد :

لك عبدٌ قلو سألت به كيف حاله
ياقريباً مزاره وبعيداً نواله
حاضراً لي صبوده حين يرجى وصاله
مسعدٌ لي مقالته فأتك لي مطاله
محسنٌ في كلامه ومسيءٌ فعاله

(ماجاء في أطال الله بقاءك)

أول من قاله عمر رضى الله عنه - روى عن ربيعة بن رافع قال شهدت نفرأ من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن كرون المؤودة فاختلوا فيها فقال عمر أنتم أصحاب رسول الله ﷺ تختلفون فكيف بمن بعدكم فقال علي عليه السلام إنها لا تكون مؤودة حتى يأتى عليها الحالات السبع فقال له عمر صدقت أطال الله بقاءك .

قال ابن لهيعة المدي لا تكون مؤودة حتى تكون نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم عظماً ثم لحماً ثم تظهر ثم تستهل فحينئذ إذا دُفنت قد دُفنت وليس كما يقول بعض الناس إن المرأة إذا تداوت فاستقطت فقد وأدت . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أحمد ابن يحيى عن عبد الله بن شبيب قال كتب إلى بعض إخواني من البصرة إلى المدينة : أطال الله بقاءك كما أطال جفاك وجعلني فداك إن كان في فداؤك - شعر :
كتبت ولو قدرت هوى وشوقاً اليك لكنت مطراً في الكتاب
قال الشيخ أبو هلال رحمه الله تعالى : والبيت لا يتمام .

(جعلت فداك)

دخل الزبير على النبي ﷺ وهو عليل فقال ما يعمدك جعلني الله فداك فقال

الذي عليه السلام « يارُبيرُ أَمَا تَرَ كَتَّ أَعْرَافُكَ بَعْدُ » وحدثنا عنه عن يحيى بن علي عن أبي أيوب المدني عن إسحق قال حجبني خادمٌ لجعفر بن يحيى يُقال له نافذ فانقطعت عنه فسأل عني فرفقه سبب انقطاعي فقال قل له إن حجبك إنسان فافعل به - لا يكنى - قال فجئت فحجبني فكتبت إليه أرتجالاً في الحال :

جُعلت فداءك من كلِّ سوءٍ إلى حُسنٍ رأيتُ أشكو أنا ما
يحولونَ بيني وبينَ الدُّخولِ فما أنْ أسلمَ إلا اختلاسا
وأفندتُ أمركَ في نافذٍ فما زاده ذاكَ إلا شماسا
فضحك لما قرأ الأبيات وأدخلني وقال أفعأت يا أبا إسحق فقلت بهض ذلك، وتقدم
إلى نافذ وغيره أن لا أحجب متى حضرت .

(دعاء المكاتبه)

حدثنا عنه عن أبي ذكوان قال سمعت إبراهيم بن العباس يقول ما أظن قول الكتاب : وقد منى الله قبلك مأخوذ إلا من قول الأعرابي كسر في أخيه صقر :
أخي أنت في دين ودنيا كلاهما أسره بأن تبقى سليماً وأفخر
إذا ما أتى يومٌ يفرقُ بيننا بموتٍ فكن أنت الذي يتأخر
ف قيل له هذا يروى لحاتم فقال وما على من لا يدري أن ينسب شيئاً إلى غير
قائله . فأما قولهم (وَأَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَ فِي إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ) فهو من قول عدي بن الرقاع :
صَلَّى الْإِلَٰهَ عَلَى أَمْرِي، وَدَعَتْهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا
قالوا وأول من قال « وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ » إسحق بن سليمان بن علي .
وأنشد للسري في ضد قولهم مُتَّ قَبْلَكَ وَإِنْ الْخَطَّ عِنْدَهُ أَنْ يَكُونَ هُوَ وَمَنْ
يجبُ يموتان في وقت واحد :

لَا مُتَّ قَبْلَكَ يَا أَخِي لَا بِاخْلَا بالنفسِ عَنْكَ وَلَا تَمِتْ قَبْلِي
وَبَقِيتَ لِي وَبَقِيتُ فَيْكَ مُتَمَتِّعًا بِالْبِرِّ وَالنِّعَمِ وَالْفَضْلِ

حتى إذا قصد الحمام لنا
مُتنا جميعاً لا يؤخرُ واحد
وكفالك من نفسي شهيداً ناطقاً
وفي نحو ذلك قول الآخر :

إني لأشفقُ أن أؤخرها بعدى وأكره أن أقدمها
وقال يعقوب بن الربيع :

فلو أنها إذ حان وقتُ حمامها
فخلَّ بنا المقدارُ في ساعةٍ مما
وقريب منه قول الآخر :

لأمت من قبلي ولأمت من قبلك بل عشنا إلى الحشرِ
حقُّ نوا في الموت في ساعةٍ لأنتَ تدرى بي ولا أدرى

(كيف أصبحت)

حدثنا عنه عن أيوب بن سليمان بن داود المهلبى عن محمد بن عباد قال كان جرير
ابن حازم يقول : العربُ تقولُ كيف أصبحتَ من نصف الليل إلى نصف النهار ،
وكيف أمسيتَ من نصف الزوال إلى نصف الليل الأول ، وتقولُ في يومك
كان الليلة كذا إلى الزوال فإذا زالت الشمس قلت البارحة ، هذا معروفٌ عندهم ،
وحدثنا عنه عن الفضل بن الحُباب عن التنوخى قال العربُ تقولُ صبحتك الأنعة
بطيبات الأظعمة . وحدثنا عنه عن البلعى عن أبي حاتم عن الأصمعى قال قيل
لأبي عمرو بن العلاء كيف أصبحت قال أصبحتُ كما قال الربيع بن ضبع الفزارى :
أصبحتُ لأحملُ السلاحَ ولا أملكُ رأسَ البعيرِ إن نفراً
والذئبُ أخشاهُ إن مررتُ بهِ وحدى وأخشى الرياحَ والمطرا
وحدثنا عنه عن أبي ذكوان عن التنوخى عن الفراء قال كنتُ عند السكاسى

فقال له رجل ^{له} كيف أصبحت ؟ فقال أصبحت كما قال الصمة بن عبد الله بن طافيل القشيري ^(١) :

أصبحتُ مالى من عزّ ألودٍ به إلا التمرُّز بعد السيف والبدن
بمرضة جانب الأدنون جانيها والأهل بالشام والاخوان باليمن
وأنشدنا عنه قال أنشدنا محمد بن يزيد المبرد النحوى قال أنشدنى المازنى
عن أبي زيد :

كيف أصبحت كيف أصبحت ما بُنيتُ الودَّ في فؤادِ الكريم
وحدثنا عنه عن محمد بن الفضل بن الأسود عن عمر بن شبة عن الحسنين
ابن الضحاك الخليلي قال كنت في المسجد الجامع بالبصرة إذ دخل علينا أبو نواس
وعليه جبة خز جديد فقلت له من أين لك هذه يا أبا علي ؟ فلم يخبرني فتوهمت أنه
أخذها من موسى بن عمران لأنه دخل من باب بنى تميم فقلت فأجد موسى وقد
لبس ثيابة أخرى فقلت :

كيف أصبحت يا أبا عمران يا كريم الأخاء والاخوان
فقال صبحك الله به وأصمك خيراً. فقلت :

إنَّ لي حاجةً فأبكي فيها إتنا في قضائها سَيان

فقال هاتما على اسم الله تعالى فقلت :

ثيابة من جبابك الخرز حتى لا يرانى الشناء حيث يرانى
قال خذها ، ومد كفه فذرعها وجئت فقال أبو نواس من أين لك هذه ؟ قلت من
حيث كانت لك تلك . وحدثنا عنه عن وكيع عن علي بن عبد الله بن حمزة بن
عتبة اللهبي قال دخلت على محمد بن عبد الرحمن بن محمد المخزومي أعوده فقلت له
كيف أصبحت فقال كما قال الشاعر :

(١) شاعر إسلامي بدوي مقل ، من شعراء الدولة الأموية . ولجده قرة بن

هيرة صبيحة بالنبي صلى الله عليه وسلم .

إنَّ الليالي أسرعت في تقضى أخذتُ بعضي وتركتُ بعضي

أقصدني من بعد طول نمضي

وقيل لأعرابي كيف أصبحت ؟ فقال أصبحت والله كما قال الشاعر :

باخيراً إني قد جعلتُ أشتري أرقع من ثوبي ما كنتُ أؤجر

وحدثنا عنه عن الغلابي عن محمد بن عبد الرحمن التيمي عن أبيه قال لقي

بكر بن عبد الله المزني أبا تيمية الهجيمي فقال كيف أصبحت أبا تيمية ؟ فقال أصبحت

بين ذنوب قد سترها الله عليَّ ما يقدر أحدٌ أن يعيرني منها بذنب وبين محبةٍ

قد ألقاها الله في قلوب الناس استُ لما بأهل وقد خفتُ أن أهلك بين هذين

وأنا ضعيف الشكر . قال وقيل لقريبة الديرية كيف أصبحت ؟ فقالت :

بخير عليَّ أن النوى مطمئنةٌ بليلي وإنَّ العينَ يجري مَعيها

وقيل لأعرابي كيف أصبحت ؟ قال بخير أحسب على الله بالحسنة ولا

أحتسب على نفسي بالسبئية . وقال رجل لأبي الميناء وقد كبر وضعف : كيف

أصبحت ؟ فقال في الداء الذي يمتناه الناس لأعدائهم .

وحدثنا عنه عن الغلابي عن إبراهيم عن عمر عن أبي عبيدة قال قيل للنمر بن

تولب كيف أصبحت بأباريعة ؟ فقال ارتجلاً على البديه :

أصبحتُ لا يحملُ بعضي بعضاً أشكو العروقَ النايات نبضاً

كما نشكى الأرجى الغرضاً كأنما كان شبابي قرضاً

وحدثنا عنه عن القاسم بن إسماعيل عن محمد بن سلام عن ابن داب قال

قيل لمخارب بن دينار كيف أصبحت ؟ فقال أصبحت كما قال الشاعر الأعشى :

أرقتُ وما هذا السهادُ المؤرق وما بي من سقم وما بي تمشقُ

ولكنَّ أراني ما أزال بجادث أغادى بمالم يمس عندي وأطرقُ

وحدثنا عنه عن المتقدم عن أبي عمر بن خلاد قال قال الريحُ الحاجب

لأبي العتاهية كيف أصبحت فقال :

أصبحتُ والله في مضيق هل من دليلٍ على الطريق
أفّ لانياتلاعبتُ بي تلاعبَ الموج بالغريق
أصبتُ فيها دُرِيهَمَاتٍ فبغضتني إلى الصديق

وحدثنا عنه عن علي بن الصباح عن بشر بن مسعود المازني قال كان لسفيان بن عيينة جارٌّ مني الخال فحسنت حاله فقال له سفيان كيف أصبحت وكيف حالك لقد سررتُ بما صرتَ إليه بعد غم بما كنتَ فيه فدمعا الرجل له ومضى ، فقال له بعض جلسائه كيف تكلم هذا؟ قال هو جارٌّ قال إنه قد صار صراطاً لهمؤلاء ، قال سفيان إن كلن في الناس أحدٌ طلب الدنيا من حيث يستحق فهذا . وحدثنا عنه عن المغيرة بن محمد المهلب قال قدم أبو العتاهية البصرة إلى عيسى بن جعفر فأقام شهوراً ثم اعتل فقال :

أصبحتُ بالبصرة ذاغربة أدفعُ من ممّ إلى كربه
أطلبُ مُعتبي من حبيب نأي وليس لي مُعتبي ولا مُحبته

وحدثنا عنه عن المبرد قال قال الجارز لآبي العالية كيف أصبحت ؟ قال على غير ما يحب الله وغير ما أحب وغير ما يحب إبليس لأن الله تعالى يحب أن أطيعه ولا أعصيه ولست كذلك وإبليس يحب أن أعصى الله ولا أطيعه ولست كذلك وأنا أحب أن أكون على غاية الثروة والصحة ولست كذلك .

حدثنا عنه عن الحسن بن الحسين الأزرق عن العباس بن محمد عن عمرو بن الحارث عن محمد بن سلام قال قال أبو حرائة وهو من بني ربيعة بن حنظلة لي يزيد بن المهلب : كيف أصبحت أصلح الله الأمير ؟ قال كما تحب يا أبا حرائة قال لو كنت كذا لكنت قائماً مثلي وكنت أنا قاعداً في مقعدك وكان قبض ابني المرقوع على ابنك والتومتان اللتان في أذن ابنك على ابني . قال يزيد فالحمد لله الذي جعلك كذا وجعلني كذا ، فقال إلا آتي في ضيق أنتظر سعة وأنت في سعة تنتظر ضيقاً . وحدثنا عنه عن أبي العيناء عن العتيبي قال قيل لأعرابي كيف

أصبحت قال أصبحت أعر بالبرة وأقيد بالشجرة وأفرع من النعرة . وحدثنا عنه
عن الغلابي عن دماذ عن الهيثم بن عدي قال كان هرم بن سنان المزني قد آلى على
نفسه أن لا يسلم عليه زهير إلا وهب له غرة من ماله فأشفق عليه زهير من ذلك
وكان يمر بالمجلس وهرم فيهم فيقول أنعموا صباحاً غير هرم خيركم تركت ففخر
عقبة بن كعب بن زهير بذلك في قوله :

إني لا صرف نفسي وهو سادية
رعوى عليه كما أروع على هرم
مدح الكرام وسعى في مدحهم
ومثله قول حازم الأزدى (١) :

وإني لأستبقي إذا العسر مسني
فأعني ترى قومي ولو شئت نولوا
مخافة أن أقل إذا جئت زائراً
ومن ملبح ما قيل في فديتك :

فديتك النفس وهي أقل بذك
أدبني منك في أمرى نهوضاً
وأخبرنا عنه عن محمد بن خلف بن المرزبان قال اجتمع عندي أحمد بن أبي
طاهر والناشي ومحمد بن عروس فدعوت لهم مغنية فجاءت ومعهما رقية لم ير الناس
أحسن منها قط فلما شربوا أخذ الناشي رقعة فكتب فيها :

فديتك لو أنهم أنصفوا
تردّين أعيننا عن سواك
ألا يقرؤا ويحهم ما يرون
وقد جعلوك رقيقاً علينا
لردّوا النواظر عن ناظريك
وهل تنظر العين إلا إليك
من وحي حسنك في وجنتيك
فمن ذا يكون رقيقاً عليك

(١) هو حازم بن عوف ، شاعر جاهلي مقل ، مشهور بالعدو .

قال فشغفنا بالآيات فقال ابن أبي طاهر أحببت والله واجملت قد والله حسدتك
هذه الآيات والله لاجلست وقام وخرج من ساعتهم ولم يعد إلى الشرب بقية يومه.

(ما جاء في الدعاء للخارج إلى السفر)

أخبرنا عنه عن إبراهيم بن فهد الساجي عن نصر بن علي عن عبد الله بن
داود عن مسعر عن ميسرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ودع رسول الله ﷺ
رجلاً أراد سفرًا فقال « أمتو دع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك » وحدثناه عنه
عن أبي علي الغنابي قال رأيت أبا شراعة القيسي أخذًا بسفينة إبراهيم بن
المدير وقد عزل عن البصرة وهو يريد الخروج وأبو شراعة ^(١) ينشده :

ليت شعري أي قوم أجديوا فأغثوا بك من طول ^(٢) العجف
نزل الرحب ^(٣) من الله بهم وحرمناك لذنوب قد سلف
أما أنت ربيع بكر حينا صرفه الله انصرف
يا أبا اسحق سر في دعة حينا شئت ^(٤) فامنك خلف
وأخبرنا عنه عن الغلابي عن الزبير قال ودع ابن الممان صديقًا له أراد سفرًا
فأنشده عند وداعه :

خلف الله الذي خلفته ووقاك الله وعشاء السفر
إنني أشكر ما أوليتني لم يضع حسن بلاء من شكر
ردك الله إلينا سالمًا بعد غم واغتيال وخلف

(١) هو أحمد بن محمد بن شراعة شاعر بصرى من شعراء الدولة العباسية
جيد الشعر جزله وكان فصيحًا يتعاطى الرسائل والخطب مع شعره .

(٢) رواية الأغاني « أي أرض أجديت فأغثت بك من جهد العجف » .

(٣) في الأغاني « الرحيم » . (٤) في الأغاني « وامنض مصحوبا » .

﴿الدعاء للقادم من السفر﴾

أنشدنا عنه محمد بن عبد الله الأخطل :

أقدمُ قدمتَ قدومَ طارِضٍ مُزَنَّةٍ يهتزَّ بينَ أهايبها الفضفاض
من كلِّ مشبة الرِّيحِ ثِقيلةٍ تمشي به مشى الوجى المنهاض
مُسودةٌ مُبيضة فكانها مُدْمٌ مولوعة الشوى بيباض
وقال ابن الرومي :

قدومٌ . سعادةٌ وقنولٌ يمن هى السرَّاءُ تمحقُ كلَّ حزن
أظلتك السلامة ما تمننت مطوِّقة على قنٍ تفسى
قوله (أظلتك السلامة) فى غاية الرشاقة وأحسن منه قوله : تمحق كل حزن .

﴿الدعاء للهزوم﴾

حدثنا عنه عن الغلابي عن عبد الله بن الضحاك عن الهيثم بن عدى عن هوانة قال لما انهزم أسلم بن زُرعة الكلبي من مرداس بن أذينة بآسك^(١) وكان فى ألفى رجل ، ومرداس الخارجي فى أربعين رجلاً ، وفيهم يقول شاعرهم :

أألفا مؤمن^(٢) منكم زعتم ويهزمكم بآسك أربعونا
كذبتهم ليس ذاك كما زعتم ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة قد علمتم^(٣) على الفئة الكثيرة ينصروننا

فدخل أسلم البصرة فقالت له امرأة من قومه والله لأن تعيش حميداً خيراً من أن تموت شهيداً ولأن تدوم عبادتك بحياتك أزلف لك من أن تنقطع بماتك،

(١) آسك : بلد من نواحي الأهواز قرب أركان .

(٢) فى معجم البلدان (أألفا مؤمن فيما زعتم ويقتلكم) .

(٣) فى معجم البلدان (هم الفئة القليلة غير شك)

قال ودخل على ابن زياد فعنفه واستعجزه فقال أيها الأمير كنت في ألفين جميعهم مثلي وقاتلت أربعين كل واحد منهم مثلي ويزيد على ولأن ينمى الأمير حياً خيراً من أن يمدحني مينا . وحدثنا عنه عن القسم بن اسماعيل عن ربيع بن سلمة عن أبي عبيدة قال لما هزم أبو فديك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بهجر قدم البصرة في ثلاثة أيام فدخل عليه الناس وفيهم صفوان بن عبد الله بن الأهم المنقري أبو خالد بن صفوان والناس لا يدرون كيف يدعى المهزوم حتى قال صفوان أم والله أيها الأمير لقد تعرضت للشهادة جهداً وطلبتها طائفاً ووسعت فعمل الله فقرنا اليك وقلة عوضنا منك فاختر لنا عليك يقاتلك ولم يترك علينا باستشهادك فالحمد لله الذي زين بك مصرنا وآنس يقاتلك وحشنا وجلا بسلامتك غمنا . فلم الناس كيف يدعى المهزوم فسلخوا هذا المسلك .

ومن أحسن الاعتذار للمهزوم قول فروة بن مسيك العطيفي وأجاد :

فان نهزم فهزأمون^(١) قدماً وان نهزم فخير مهزينا
وما ان طبننا حين^٢ ولكن منايانا ودولة آخرينا

فقوله « ودولة آخرين » من أحسن الاعتذار الواقع من المهزوم .

(الدعاء للمعزول)

أنشدنا عنه عن عون بن محمد الكندي لأبي تمام الطائي :

ليهنك ان أصبحت مجتمع الشمل وراعي المعالي والحامي عن المجد
وانك صنت الأمر فيما وليته وفرقت ما بين الفواية والرشد
فلا يحسب الأعداء عزلك مغنا فان إلى الاضداد ماغاية الورد
وما كنت إلا السيف جرد لاوغي وأخذ فيه ثم رد إلى النمد
وأخبرنا عنه عن الحسين بن يحيى قال حدثنا إسحاق قال عزل هشام بن اسمعيل

(١) في الأثافي (فان قلب فغلابون قلماً) .

الحزومي عن المدينة فاشتد العزل عليه فقال له عروة بن أذينة :
 فان تكن الأمانة عنك زالت فانك للغيرة والوليد
 وقد مرّ النبي أصبحت فيه على مروان ثم على سعيد
 وأخبرنا عنه قال دخلت يوماً مع أبي العباس محمد بن يزيد النحوي إلى عبد الله
 ابن الحسين القطريلي وقد صرف عن عمل فقال أقول لك ما قاله أبو عبادة البحرى :
 شهد الخرج إذ توليته أنك في جمع الأمين الأعف
 حيث لا عند مجتبي منه إلظا ^(١) ولا في سباق جاييه عنف
 سيرة القصد لا الخشونة عنف ^(٢) لتمدى المدى ^(٣) ولا اللين ضعف
 وعلى حاشيك يستلح الناس ^(٤) أباء من جانبك وعطف
 لن يولى تلك الطساميج إلا خلف منك آخر الدهر خلف
 إن تشكت رعية سوء قبض بك أو أعقب الولاية صرف
 فقد يما تداول السر واليسر وكل قذى على الريح يطفو
 يفسد الأمر ثم يصلح عن قر ^(٥) ب والماء كذرة ثم يصفو
 ولما عزل إبراهيم بن المدبر عن البصرة أنشده أبو صفوان الثقفي :
 أبا إسحق إن تكن الليالي عطفن عليك بالعزل اللثم
 فلم أر صرف هذا الدهر يجري بمكروه على غير الكريم
 وقال أبو العتاهية في محمد بن هشام السدي :

لا يهنا الأعداء عزل ابن هاشم فكل مولى قصره الصرف والعزل
 لقد كن ميمون الولاية قابضاً يد الجور مبسوطاً به الحق والعدل
 يروم رجال حظه وهو سابق ^(٦) أبي الله إلا أن يطول وأن يعلو

(دعاء الأعياد)

أخبرنا عنه عن جيلة بن محمد الكوفي عن أبيه قال قال ابن شبرمة لعيسى

(١) أي إلحاق . (٢) في الأصل « الندى » (٣) في ديوان البحرى « الأرض » .

ابن موسى يوم أضحي : قبل الله منك الفرض والسنة واستقبل منك الخير والنعمة
وقرن بالاقبال يومك .

﴿ ما قيل في القيام للآجلاء ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال حدثنا محمد بن يزيد بن عبد الله كبر قال حضر
بعض العرب مجلساً فجاء صديق له فلتقاء من بعيد وقال :

لئن قمتُ ما في ذاك عتدي غيضاضةً علي وإني للشريف مُذلل
علي أنه مني لغيرك ذلةٌ ولكنه بيني وبينك يجملُ
ومن مشهور ما قيل في هذا المعنى .

فلما بصرتنا به مائلاً حللنا الحبي وأبتدرونا القياما
فلا تنكرن قيامي له فان الكريم يجملُ الكراما
وأنشيدنا أبو أحمد عن الصولي عن يحيى البحتري لأبيه في عبيد الله بن
عبد الله من قصيدة طويلة :

ومبجل وسط الرجال مخوفهم لقيامه وقيامهم لقموده
فالله يكلؤه لئلا يحوطه ويبرزه ويبرده في تأيسده
وقال غيره :

أعجب أن أقوم إذا بدالي لأكرمه وأعظمه هشامُ
فلا تعجب لاسراعي إليه فان لمثل مخلق القيامُ
وقال البحتري :

يقومون من بعد إذا بصروا به لأبلغ موفود الكرامة^(١) أروع
ويتندر الراؤون منه إذا بدا سني قمر من سدة الملك مطلع
إذا سار كف اللعظ عن كل منظر سواء وغض السمع^(٢) عن كل مسمع

(١) في نسخة « الجلالة » . (٢) في ديوان البحتري « الصوت » .

فلست ترى إلا إفاضة شاخصٍ إليه بعينٍ أو مشيراً بأصبعٍ

﴿ما قيل في شعبان وشهر رمضان وشوال﴾

فنه قول الفرزدق وأجاد في ذلك :

إذا ما مضى عشرون يوماً تحركت أراجيفُ بالشهر الذي أنا صائمُ
وطارت رفاعُ المواعيد بيننا لكي يلتقي مظلوم قوم وظالمه
فإن شال شوالٌ مُثِّل في أكفنا كؤوسُ تعادى العقل حين تسالمة
ومعاني هذه الآيات كلها مبتكرة لم يسبق إليها الفرزدق .

وأنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن الرياشي عن أبيه :

وقفنا فلولا أننا راضنا الهوى لهتكنا عند الرقيب نجيبُ
ومن دون ما نلقاه من لوعة الهوى تُشق جيوب بل تُشق قلوبُ
على أن شوالاً أشال بوصلنا ومرتمه للماشقين خصيبُ
وأنشدنا أبو أحمد عن الصولي قال أنشدنا ابن بسام لنفسه :

سقى لشهر الصوم من شهر عندي له ما شاء من شكر
كم من عزيز فيه فزنا به أغضه الليل من الوكر
ومن إمام كان لي وصله إلى كحل العين بالسحر
لو كان يدري بالذي خلفه أعجله ذاك عن الوتر
وخلة زارتك مشتاقة في ليلة القدر على قدر
فانصرف الناس بما أملوا ويؤت بالآتام والوزر
وأنشد المبرد للحارثي :

شهر الصيام وإن عظمت حرمة شهر طويل بطيء السير والحركة
يمشي الهوينا إذا ما رام فرقتنا كأنه بطة تنجر في شبكة
لا يستقر فأما حين يطلبنا فلا سليك يدانيه ولا مساكه^(١)

كأنه طالب ناراً على فرس أجده في إثر مطلوب على رءمكه^(١)
 بإصدق من قال أيام مباركة إن كان يكتب عن اسم الطول بالبركة
 وقال آخر :

مضى رمضان محموداً وأوفى علينا الفطر يقدمه الشرور
 وفي مر الشهور لنا فناء ونحن نحب أن تفتي الشهور
 وحدثنا أبو أحمد عن الصولي قال حدثنا الحسين بن يحيى قال كتب الحسين بن
 وهب إلى الحسن بن رجاء يوم شك وقد أفطر الوائق :

هزرتك للصباح وقد نهانا أمير المؤمنين عن الصيام
 وعندي من قنان مصر عشر تطيب بهن دائرة المدام
 فكن أنت الجواب فليس شيء أحب إلي من حذف الكلام
 وقال غيره :

أقول لصاحبي وقد بدا لي هلال الفطر من تحت النمام
 سنسكرك سكرة شنعاء جهراً ونسمر في قفا شهر الصيام
 وقال محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله الجعفرى :

هل لك في صرباء مشمولة ليست من الدبس الذي ينفذ
 فان شعبات على طيبة درب إذا فكرت لا ينفذ
 وقال أحمد بن يزيد :

ألا سقياني من ممتقة الخمر فلا عنز لي في الصبر أكثر من شهر
 وإن كنتما لم تمسا فتعلما بأن زمان الصوم ليس من العمر
 وحدثنا أبو أحمد عن الصولي قال حدثنا أبو الحسن محمد بن أبي الموحج الرازي
 وقال حدثني أبي قال كتب علي بن جبلة إلى أبي دلف يستقيه نبيذاً في يوم عيد الفطر
 فوجه إليه بما كفاه وبما تقي دينار فقال علي بن جبلة :

وأبيض عجلي رأيت غمامةً وأسيفه تقضى على الحدثان
 مَدَدْتُ اليه ذمتي فأجارها وأغنى يدي عن غيره ولساني
 شربتُ ورويتُ النديمَ بماله وأدركتُ ثارَ الراح من رمضان
 وكانَ لسؤالٍ عليَّ ضمانةً فكانت عطايا جوده بضان
 وحدثنا عن الصولي قال حدثنا أبو ذكوان القسم بن اسماعيل قال حدثنا التوزي
 عن أبي عبيدة قال أسلم اعرابي في أول الاسلام فأدركه شهر رمضان فجاع وعطش
 فقال الاعرابي يذكر ذلك :

وجدنا دينكم سهلاً علينا شرائه سوى شهر الصيام

(فصل في معان مختلفة)

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عمه قال كانت عند رجل من بني
 أمد ابنة عم له وراها فدخل إليها يوماً وهي متغضبة فقال ماشأنك ؟ قالت إنك
 لا تشب بي كما يشب الرجال بنسائهم ، قال أفعل ثم أنشأ يقول :
 تمت عبيدة إلا في ملاحظتها والحسن منها بحيث الشمس والقمر
 ماخالف الظبي منها حين تبصرها إلا سوائفه والجيد والنظر
 قل للذي طابها من حاسد حنق أقصر فرأس الذي قد عبت والحجر
 وأنشدنا للعديل بن الفرغ العجلي (١) :

هل تقضين لمستهام حاجةً نيطت إليك بها جبال رجائه
 أفنى تجلده بقاء دموعه وأدام عبرته فناء عزائه

وحدثنا أبو أحمد عن الصولي عن أحمد بن محمد الخراساني قال كنت في مجلس
 ابن ثوابة فناظره رجل عن ضيعة له فاستقصى الحجة وأخذ بنفسه فقال ابن ثوابة

(١) شاعر مقل من شعراء الدولة الاموية وكان له ثمانية أخوة وأمه جميعاً

يامابون فوثب الرجل وهو يقول :

كلانا يرى الجوزاء يا جمل إن بليت ونجم الثريا والمزار بعيد
فحدث الناس بها مدة . قال أبو بكر ويشبه هذا حديثاً حدثناه أبو العيناء قال
خاصم يوماً جيلان القمي المقبول الزيادي فقال المقبول يادعي فأنشأ جيلان يقول :
«بُيِّنَتْهُ قَالَتْ يَا جَمِيلُ أُرَبَّتِي قُلْتُ كَلَانَا يَا بَشِينُ مُرِيبُ
فبلغ هذا ابن طائشة التيمي فقال : جيلان في التمثيل بهذا البيت في هذا الموضع أشعر من
جميل قائله . أنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر بن دريد لنفسه بهجو بعض النحويين :

عَفْظِيرُ إِنَّا اخْتَلَفْنَا	فِي الْفَعْلِ مِنْ قَاعِلِينَ
قَالَ قَوْمٌ بَتَى	لِجَمْعِنَا الْهَمْزَتَيْنِ
وَقَالَ قَوْمٌ يَمْدَى	بِمَلْتَقَى السَّاكِنِينَ
وَأَنْتَ أَعْلَمُ مِنَّا	بِذَا وَذَاكَ وَذِينَ
لَا تُنْكِ الدَّهْرَ فَعْلٌ	يَعْتَلُّ مِنْ جِهَتَيْنِ

وأنشدني عم أبي رحمه الله :

صعبتكم دهرًا طويلًا لسرقي أرجى نجاحًا والظنون فنون
فما نلتُ منكم طائلًا غيرَ اني تعلمتُ ذلَّ العيش كيف يكون
وأنشدني أيضًا في مسجون :

لئن حجبك الحجبُ عنا فربما رأينا جلايبَ السحاب على الشس

وأنشدنا أبو أحمد عن ابن المسيب عن ابن الرومي :

خيرُ مالٍ موزونه لتوى الحمد كما خيرُ حديمٍ موزونه
وأصبح^(١) الآراء ما ظن ذوالأقن بنى الرأي أنه مأفونه

ومن ههنا أخذ المتنبي قوله :

وإذا أتمت مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بآني فاضلٌ

(١) في الأصل «وأظن» وفي ديوان ابن الرومي المخطوط «وأصبح» .

والهمل الخلاء من كل ضيف ومضيف معطل مسكونه
وأخس الرجال من راح فيهم مسلم العرض سالماً ماعونه
أنفق المال قبل انفاقك العسر في الدهر ربه ومنونه
لا تظن أن مالك شيء كدم الجوف خيره محقونه
قلنا ينفع الثراء بخيلاً علفت في الثرى المهيل رهونه
كل وأطعم فربما راع رباً^(١) زاكياً من تعوله ونمونه
وإذا ما ظننت شراً فحفه رباً شريراً يقينه مظنونه
كم ركون جنى عليك حذاراً من أطال الرثا كون قل ركونه
وأنشدنا أبو أحمد عن ابن الأثير عن أبيه :

يموت قوم فيجبي العلم ذكرهم ويلحق الجهل أحياء بأموات
ونحوه قول دحبل :

سأقضي بيت يحمد الناس أمره وبكثر من أهل الرواية حامله
يموت ردى الشعر من قبل ربه وجيده يبقى وابنت مات قائله
أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة عن
خالد عن يونس : دخل الطرماح بن حكيم على خالد بن عبد الله القسري فقال له :
أنشدني بعض شركه فأنشده قوله :

وشيبني أن لا أزال مناهضاً بغير غنى أعمو به وأبوع
وان رجال المال أضحوا ومالهم لهم عند أبواب الملوك شنيع
أعترى ريب المتن ولم أنل من المال ما أعصى به وأطيع
فأمر له بعشرين ألفاً وقال له اعص بها الآن وأطع إذا شئت .

(١) في الأصل «فكل ماراع رباً» والتصحيح من ديوان ابن الرومي المخطوط .

﴿ التفاضل بين الاخوان ﴾

أنشدنا أبو أحمد عن أبي بكر :

وبعضُ الأمرِ أصلحهُ بعضُ فإنَّ الفَتَّْ يحمِلُهُ السمينُ
تري بينَ الرجالِ العَيْنُ فضلاً وفيما أضمرُوا الفضلُ المبينُ
كلونِ المساءِ مشتبهاً وليست تخير عن مذاقتهِ العيونُ

﴿ الحث على موافقة الناس ﴾

من أحسن ماورد في ذلك قول الشاعر :

الناسُ أن وافقهم عذبوا أولا فإنَّ جناهمُ مرُ
كم من رياضٍ لا نظيرَ لها تُركتْ لأنَّ طريقها وعُرُ
وقلت : لما أدلَّ أملنى فسوته من ذا يبلُّ فلا يملُّ حُبُّه
تالله ما أتبعَ النبيُّ محمدٌ لو كنَ فظاً أو غليظاً قلبه

﴿ إغباب الزيارة ﴾

قال مسلم بن الوليد :

إني كثرتُ عليه في زيارتهِ فلَّ والشئُ مملولٌ إذا كثرا
قد رابى منه أنى لا أزالُ أرى في عينه قصرأ عنى إذا نظرا
وقال السكيتُ : * ولولم تغب شمسُ النهارِ لَمَلَّتْ * فأخذه أبو تمام فقال :
فأنى رأيتُ الشمسَ زبدتُ حبةً الى الناسِ اذ ليست عليهم بسرمد
ونقله آخر الى ذكر الغيث :

عليك باقلال ^(١) الزيارةِ إنها تكون متى دامت ^(٢) إلى الهجرِ مسلکا
فأنى رأيتُ القطرَ ^(٣) يسأمُ دائباً ^(٤) ويطلبُ بالأيدي ^(٥) إذا هو أمسكا

(١) وفي رواية « باغباب » (٢) وفي رواية (إذا كثرت كانت إلى) . (٣) في
رواية (الغيث) . (٤) في الأصل (دائماً) ، (٥) وفي رواية (ويسأل بالأيدي) .

وقال آخر : وأغبيتُ الزيادةَ لاملالاً ولكن من محاذرة الملال
وهذا كله من قول النبي ﷺ « زُرْ غِيًّا تَزِدَّ حُبًّا » (١)
وقلت : ما زلتَ تَلْقَاهُ فضاكَ صدرُهُ وحادَ من بعد الوصالِ هجرُهُ
من أكثر النشيانِ خسَّ قدرُهُ لو كثرَ الياقوتُ هانَ أمرُهُ
ولم يمزَّ مُجرُهُ ومُصرُهُ ولا غلا بين الأنامِ ذِكْرُهُ

(في ذم العجائز قول الشاعر)

رأيتُ البيضَ قد أعرضَ عني فمن لي أن تساغدني عجوزُ
كأنَّ مجامعَ اللعينِ منها إذا حسرتَ عن اللعينِ كوزُ
ومن المشهور قول الحرمازي :
لا تنكحنَّ عجوزاً إن دعيتَ لها وانخلع ثيابك عنها ممعناً هرباً
فان أتوك وقالوا إنها نصفُ فان أطيبَ نصفها الذي ذهباً
وقال آخر : وما غرني (٢) إلا خضابُ بكفها وكلَّ بسنيها وأثوابها الصفرُ
وجاءوا بها قبلَ الحاقِ بليلةٍ فكانَ محاقاً كله ذلك الشهرُ

(ما ورد في فضل الحمام)

قال السري بن عبد الله الرقاء :
أسعِدْ هَلْ لَكَ فِي زِيَارَةِ مَنْزِلِ تَتَى عَلَيْهِ جَوَارِحُ الزُّوَارِ
رَحِبَ تَرَى الْجُدْرَانَ فِيهِ يَنَابِئاً (٣) وَتَرَى السَّمَاءَ كَثِيرَةَ الْاَقْمَارِ (٤)
يَنْضَو حَيْثُ الْوَجْهَ تَوْبَ حَيَاتِهِ فِيهِ فَيَخْطُرُ كَالْحَبَامِ الْعَارِ
وَتَرَى عَلَى غَدْرَانِهِ (٥) بِهَمِّ الْوَغَى يَخْطُرْنَ مَا بَيْنَ الْقَنَا وَالْخَطَارِ

(١) رواه البزار وأبو نعيم والبيهقي في الشعب وابن جبان في صحيحه (٢) في نسخة
(وما راغنى) - (٣) في ديوان السري المخطوط . « رحب تلاقى الجدر منه
ينابج » . (٤) في الديوان (عليه كالأقمار) . (٥) في الديوان « على جدرانه » .

سُئِلَتْ سِيوفُهُمْ بِغَيْرِ بَوَارِقٍ وَجُرَتْ مُخَيُولُهُمْ بِغَيْرِ غُبَارٍ
مَعَ آيَاتٍ أُخْرَى غَيْرِ مَخْتَارَةِ الرِّصْفِ. وَقُلْتُ:

قُمْ بِنَا نَنْزِلْ فِي خَيْرِ دَارٍ وَهِيَ إِنْ مَيَّزَتْهَا شَرُّ دَارٍ
مَنْزِلٌ تَخْلَعُ دِينُكَ فِيهِ حِينَ ثَانِيَةِ خَلِيعِ الْأَزَارِ
لَا تَرَى فِيهِ الشَّمْسُ نَهَارًا وَتَرَى الْأَقْيَارَ نَصْفَ النَّهَارِ
وَعَلَى حِيطَانِهِ أَسَدٌ حَرَبٍ فَوْقَ أَمْهَارٍ وَفَوْقَ بَهَارِ
شَهِدُوا الْحَرْبَ بِأَرْمَاحِ زُورٍ وَسِيُوفٍ نَائِيَاتِ الشُّفَارِ
وَتَرَى الْأَبْدَانِ حِينَ أَمَتْهُ تَكْتَسِي الصَّحَّةَ وَهِيَ عَوَارِي
يُنَائِمُ كَقَضْبَانٍ دُرٍّ مَكَاكَفًا مِنْ وَرَاءِ الْجِدَارِ
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ فِي ذِمِّ حَمَامٍ:

وَحَامُنَا كَالْعَجُوزِ يَشْقَى بِهَا الْوَارِدُ
فَبَيْتٌ لَهُ مُنْتَنٌ وَبَيْتٌ لَهُ بَارِدٌ

وَلَقَدْ أَخَذَ هَذَا اللَّفْظَ بَيْنَهُ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ وَزَادَ فِيهِ قَتَالَ:

وَحَامُنَا هَذِهِ كَالْعَجُوزِ تَلْدُ وَيَشْقَى بِهَا الْوَارِدُ
فَبَيْتٌ لَهَا مُنْتَنٌ ضَيْقٌ وَبَيْتٌ لَهَا وَاسِعٌ بَارِدٌ

وَمِنْ أَجْوَدِ مَا قِيلَ فِي صِفَةِ النُّورَةِ قَوْلُ الْآخَرِ:

وَمَجْرَدُ كَالسَّيْفِ أَسْلَمَ نَفْسُهُ لِمَجْرَدٍ يَكْسُوهُ مَا لَا يُنْسَجُ
ثَوْبًا تَمَزَّقُهُ الْأَنْعَامُ رَقَّةً وَيَذِيهُ الْمَاءُ الْقَرَّاحُ فِيهِجُ
وَكَأَنَّهُ لَمَّا التَّقَى فِي خَصْرِهِ نَصْفَانِ ذَا عَاجٍ وَذَا فَيُورِجُ

(الشَّطْرَنْجُ - قُلْتُ فِيهِ)

إِذَا أُعْثِبَتِ الصَّهْبَا مِنْ قَدَحٍ وَمِنْ شَجٍّ
وَكَانَ الْكَأْسُ لَا يُجْدِي وَمَزْجِي الرَّاحِ لَا يَزْجِي

وألقى الهوى من يلقى
 لأيام أخاضتنا
 ففنا الجسم في تقص
 ففنا أفتك في حر
 وما من شرها تاج
 تمتعنا بمسوع
 وسلو ذكر من نهوى
 كأننا منه في هرج
 تمشى الزنج للروم
 فما أحسنها يضاً
 أقننا بيننا حرباً
 شهدناها بلا طبل
 وجئناها بلا سيف
 ترى أفراسنا تسدو
 مشى الفرزات موعجاً
 ورخ ينتحى نهجاً
 وفيل ليس يحدوه
 وعند الشاة منصوب
 وحولى أوجه غر
 إذا مادون الحسن
 وأرجى الشرب من يرجى
 من الأحزان في لج
 ومنها القلب في وهج
 وإن أصبحت في تلج
 وما من يكدها منجى
 مليح النظم والنسج
 على نرد وشطرنج
 ولنا منه في هرج
 وقام الروم للزنج
 تمشين إلى دعبج
 بلا عجب ولا نج
 ولا بوق ولا صنج
 ولا دمح ولا زج
 بلا لجم ولا سرج
 لأمر غير موعج
 فلا يعدو عن النهج
 بدا شلح ولا علبج
 لواء النصر والفلج
 عليها سيمة السرج
 تراهم أول الدرج
 (ماورد في النرد)

وقال السرى بن عبد الله الرقاء :

ومحكان على النفوس وربما لم يحكما فيهن حكماً عادلاً

يلقاهما المرزوقُ سعداً طالماً ويراها المحرومُ سعداً أفلاً
فإذا هما اصطجبا على كف الفق ضراء أو نفعاء نفعاً حاجلاً

(وأما القدح)

فأجود ما قيل فيه قول ابن مقبل :

مُخْرَجٌ من العى إذا صكَّ صكةً بدا والعيونُ المستكفةُ تلمحُ
غدا وهو مجدولٌ وراح كأنه من المسِّ والتقليبِ بالكف أو طحُ
إذا امتحنته من معدِّ عصابة غدا وبه قبل المفيضين مقدحُ

(انتظار الفرج)

أنشدنا أبو أحمد عن ابن دُرَيْد :

إذا اشتملت على اليأسِ القلوبُ وضاقَ بما به الصدرُ الرَّحِيبُ
وأوطنت المسكارهُ وأطمانت أذاك على قنوط منك غوثُ
وكلُّ الحادثات إذا تناهت فقرورنُ بها الفرجُ القريبُ
وقلت : لـكـلُّ مُلَمَّةٍ فرجٌ قريبٌ كمثلِ الليلِ يتلوهُ الصِّباحُ
وإنَّ لـكـلُّ صالحةٍ فساداً كذلك لـكـلُّ فاسدةٍ صلاحُ
واللآيامُ أيدٍ بـأسـطـات وأفنيةٌ موسعةٌ فـسـاحُ
وقد تآتى وأوجهها صِباحٌ كما تآتى وأوجهها قِباحُ
وللحالاتِ ضيقٌ واتساعٌ وللدنيا انفلاقٌ وافتتاحُ
فلا تجزع لها واصبر عليها فإنَّ الصبرَ عُقباءُ النِجاحُ
وكلُّ الحادثات إذا تناهت فقرورنُ بها الفرجُ المتاحُ

(معنى آخر)

قد ينفعُ الأدبُ الأحداثَ في مهلٍ وليسَ ينفعُ بعدَ الكبرةِ الأدبُ

إِنَّ الْفُصُونَ إِذَا قُوَّتْ مِنْهَا عُدَّتْ وَلَا يَلِينُ إِذَا قُوَّتْهُ الْخَشَبُ
وَأَجُودَ مَا قِيلَ فِي أَرْذَحَامِ الْمُتَجَمِّينَ عَلَى أَبْوَابِ الْمُفْضِلِينَ الْبَيْتَ الْمَشْهُورَ :
مَنْ أَكْثَرَ الْإِحْسَانَ مِنْ فِعْلِهِ وَعَمَّ بِالْفَضْلِ جَمِيعَ الْأَنْثَامِ
يَزْدَحِمُ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ وَالْمَشْرَبُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الزَّحَامِ
وَقَالَ أَبُو الْهَوْلِ :

إِذَا السَّمَاءُ أَتَتْ إِلَّا مُحَاذِرَةً سَحَّتْ يَدُ الْفَضْلِ بِأَقْوَتَا وَعْقَانَا
تَرَى الرَّفَاقَ إِلَى أَبْوَابِهِ زَمْرًا وَرَدَ الْقَطَا أَقْبَلَتْ مِثْنِي وَوَحْدَانَا

﴿ معنى آخر ﴾

لَيْسَ جُودٌ أُعْطِيَتْهُ بِسْؤَالٍ قَدْ يَهْزُ السُّؤَالُ غَيْرَ جَوَادٍ
إِنَّمَا الْجُودُ مَا أَنْتَاكَ ابْتِدَاءٌ لَمْ تَنْقُ فِيهِ ذَلَّةَ التَّرْدَادِ

﴿ ومن أجود التشبيهات في المحجمة قول بعضهم ﴾

وَخُضْرَاءُ لَا مِنْ بَنَاتِ الْمَذِيلِ يُلْقَفُ بِالسَّيْرِ مِنْقَارُهَا
كَأَنَّ مَشَقَّ عَيُونِ الْقَطَا إِذَا هُنَّ تَوَمَّنَ آثَارُهَا
وَقَالَ أَيْضًا فِي الْحِجَامَةِ :

أَمَا وَأَيُّكَ لَا أَنْسَاءُ تَدْمِي مُضَارِبُ سَيْفِهِ الْبَطْلَ الْكَمِيَا
وَبَرَقًا فِي أَنْفَالِهِ إِذَا مَا تَأَلَّقَ فَتَحَ الْوَرْدَ الْجَنِيَا
إِذَا ظَهَتْ فَرَاحُ أَيْكَ يَوْمًا سَقَاها مِنْ رِقَابِ النَّاسِ رِيَا
وَإِنْ جَرَحَ الْأَخَادِعَ مَطْمَئِنًّا كَمَا الْوَجَنَاتِ دِيبَاجًا بِيَا
وَلَمْ أَرَ مِثْلَهُ يَأْتِي مُعْقَوًّا وَيَدْعُوهُ الْوَرَى بِرَّآ تَقِيَا
وَقَالَ آخَرُ : أَبُوكَ أَوْهَى النَّجَادُ طَائِفِهِ كَمْ مِنْ كَبَى أَدْمَى وَمِنْ بَطْلٍ
يَأْخُذْنَ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ دَمِهِ لَمْ يَمْسَ مِنْ ثَارِهِ عَلَى وَجَلٍ

(وما قيل في خطل الرأي قول الآخر)

عُذْرُكَ عِنْدِي بِكَ مَبْخُوطٌ وَالْعُتْبُ عَنْ مِثْلِكَ مَحْطُوطٌ
لَيْسَ بِمَسْخُوطٍ فَهَلْ أَمْرِي كُلُّ الَّذِي يَأْتِيهِ مَسْخُوطٌ
وَقَالَ آخَرُ :

يَأْمَنُ بِقَلْقَلِهِ طَنِينُ ذُبَابٍ وَيَقِلُّ عِزْمَتُهُ صَرِيرُ الْبَابِ
ضَرْبُ السَّرَاقِ فِي رُؤَايِ بَابِهِ وَالذَّارُ تَعْجُزُ عَنْ مَقِيلِ ذُبَابِ
وَأَقَامَ لِلْبَوَابِ حَاجِبَ حَاجِبٍ أَرَأَيْتَ حَاجِبَ الْبَوَابِ

(إفساد المعروف بالمن)

قال بعضهم :

أَلْبَانُ إِبْلِ تَمِثَّةَ بْنِ مُسَاوِرٍ مَا دَامَ يَمْلِكُهَا عَلَى حَرَامٍ
وَطَعَامُ عَمْرُو بْنِ أَوْفَى مِثْلُهُ مَا دَامَ يَسْلُكُ فِي الْبَطُونِ طَعَامُ
أَنَّ الَّذِينَ يَسُوعُ فِي أَحْلَاقِهِمْ زَادَتْ مِنْ عَلَيْهِمُ لُثَامُ
لَمَنْ الْإِلَهِ تَمِثَّةَ بْنِ مُسَاوِرٍ لَعَنَّا بِشْنُ عَلَيْهِ مِنْ قُدَامُ

(من يعيب غيره وهو معيب)

من المشهور في ذلك قول الشاعر :

أَرَى كُلَّ إِنْسَانٍ يَرَى عَيْبَ غَيْرِهِ وَيَعْنِي عَنِ الْعَيْبِ الَّذِي هُوَ فِيهِ
وَمَا خَيْرٌ مِنْ تَخَفِي عَلَيْهِ عِيُوبُهُ وَيَبْدُو لَهُ الْعَيْبُ الَّذِي لِأَخِيهِ
وَلَا بِي دَلَامَةٌ (١) فِي مَعْنَاهُ :

إِذَا النَّاسُ غَطَوْنِي تَغَطَّيْتُ عَنْهُمْ وَإِنْ بَحَثُوا عَنِّي فَتَقِمْهُمْ مَبَاحِثُ

(١) هو زند بن الجون، وأكثر الناس يصحف اسمه فيقول زيد - بالياء - وهو

زيد بالنون . وهو كوفي ، نبغ في أيام بني العباس وانقطع إلى أبي عباس والمنصور
والمهدي فكانوا يصلونه .

وان حفروا بئر حفرت بئارهم ليعلم قوم ما نظم النبأث^(١)

(معنى آخر)

صديقك حين تستغنى كثير^١ ومالك عند فقرك من صديق
فلا تغضب على أحد إذا ما طوى عنك الزيادة عند ضيق
في مدح قوادة حاذقة :

تكاد لو لم تك إنسية تجري من الانسان مجرى الدم
لا نعمم الحسناء من كبدها ولو ثوت في منزل الأعصم
وقول الآخر في ذلك :

نُسب كل ممتنع عسير وتأتى بالمراد على اقتصاد
فلو كلفتها تحصيل طيف الخيال ضحي لزار بلا رقاد
وقريب من ذلك قول الآخر :

من ذم إدريس في قيادته فأنى شاكر^٢ لادريس
من بمستصعب فجاء به أطوع من آدم لا بليس
وكن في سرعة المجيء به آصف في حمل عرش بلقيس

(معنى آخر)

ما زددت في أدبي حرفاً أسره به إلا تزيدت حرفاً نحتنه شوم
انّ المقدم في خلق بصنعة وقريب منه : ولربما رزق الفتى بسكوته
ومن الجيد في ذلك قول الآخر :

إذا اجتمعت في امرئين صناعة وأحييت أن تدري الذي هو أحلق
فحيث يكون النقص فالمال واسع وحيث يكون الخلق فالرزق ضيق

(١) في نسخة « النوابث » وفي الأغانى « ليعلم يوماً كيف تلك النبأث » .

(معنى آخر)

إذا قلَّ نال المرءَ لانتَ قناته وهانَ على الأذى فكيفَ الأبعاد
ومثله قول الآخر : المرءُ يكرمُ للغنى ويهانُ للمعدمِ العديمِ
وقال آخر : غضبانِ يعلمُ أن المالَ ساق له مالمَ يسقه له عِلْمٌ ولا أدب
فمن يكنَّ عن كرامِ الناسِ بسألي فأكرمِ الناسِ من كانت له نسب
وقال آخر : كفى حزناً أني أروح وأغنى ومالي من مالِ أصون به عرضي
وأكثر ما ألقى صديقاً بمرحاً وذلك لا ينفي الصديقَ ولا يرضي
وقال آخر في معناه :

أجلك قومٌ حينَ صرتَ إلى الغنى وكلُّ غنىٍّ في القلوبِ جليل
وليس الغنى إلا غنى زِين الغنى عشيةً بقرى أو غداةً ينيل

(ماورد في حظ الجاهل)

فمن جملة ذلك قول الشاعر :

ومالبُ اللبيبِ بنيرِ حظٍّ بأغنى في الميمنة من قبيل
رأيتَ الحظَّ بستر كل عيب وهيهاتَ الحظوظُ من العقول

والعرب تقول إسمع بجعد أودع . وقال الحارث بن حلزة :

والعيش خيرٌ في ظلا لالنوكِ ممن عاش كدًّا

وقلت : لكلُّ حرٍّ مبتلى يعيش في حال نكد

والنحسُ في طالعه أثبتُ من وصل وتد

فكن رقيماً ساقطاً تصدُرُ بحظٍّ وتردُّ

وكن رقيماً ماجداً واصبرْ على مالمَ ترد

هيهاتَ أن يحظى الفتي بجعدٍ سعدٍ دون جد

وقال آخر : الجدة أنقضُ بالفتى من عقله فانقضُ بجعدٍ في الحوادثِ أودر

وإذا عصرتِ الأمورُ قارجها واستأنفِ الأمرَ الذي لم يسر

مأقرب الأشياء حين يسوقها قدّر وأبعدها إذا لم يُقدر

(الاستعانة بالجاهل في وقت الحاجة)

قال بعضهم: ولن يلبث الجاهل أن يتمضموا أبا الحلم ما لم يستمن مجهول

وقال الأحنف بن قيس:

وذى ضغن أمت القول منه يحلم واستمر على المقال

ومن يحلم وليس له سفينة يلاقي المضلات من الرجال

وقال غيره: لأبد للسيد من أرماع ومن عديد يتقى بالراح

ومن سفينة دائم النباح

(معنى آخر)

وما الجود من فقر الرجال ولا الغنى ولكنه خيم النفوس وخيرها

فنفسك أكرم عن أمور كثيرة فالك نفس بعدها تستعيرها

وقد تخدع الدنيا فيمسي غنيها فقيراً ويغني بعد بؤس فقيرها

وكم طامع في حاجة لا ينالها وكم^(١) آيس منها أتاه بشيرها

(الاقتداء بالقرين)

أجود ما قيل فيه قول رسول الله ﷺ «المرء على دين خليله»^(٢)

ومن أقدم ما قيل فيه قول عدي بن زيد العبادي:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فان القرين بالمقارن يقتدى

(١) في الأصل (ومن) . (٢) بقية الحديث «فلينظر أحدكم من يخالل»

رواه أبو داود والترمذي وحسنه والبيهقي والقضاعي وغيرهم، قال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

فان كان ذا شر فجنبه سرعة وان كان ذا خير فقارنه تهدي

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصعب الأردى فتردى مع الردى

وليس رصفه بالجيد . وقال غيره :
 ولا يسئل الانسان إلا قرينه^١ وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد
 (المأخوذ بذنب غيره)

قال الشاعر في ذلك :
 جنى ابن عمك ذنباً قابليت به^٢ إن التقى بأبن عم السوء مأخوذ
 ومن قديم ما قيل في ذلك قول النابغة :
 أحلتني ذنب امرئ وتركت^٣ كذى العر يكوى غيره^٤ وهوراتع
 وقال غيره : إني وقتلي سليكاً ثم أعقل^٥ كالثور يضرب لما عاقت البقر
 (في النهي عن الظلم قول الاول :)

البنى يصرع^٦ أهله والظلم مرتعة وخيم^٧
 وقال النبي ﷺ « الظلم ظلمات^٨ يوم القيامة »^(١) . وقال بعضهم :
 ظلمك من خلقت مستخرج^٩ والظلم مشتق^{١٠} من الظلمة
 وقلت في عامل صودر :

لو أنصف الظالم من نفسه لا أنصف الظالم في نفسه
 إن كان لا يرحم في يومه لكان لا يرحم في أمسه

(ماورد في الجبن)

وأفلتنا هجين بنى سليم^{١١} يُندى^{١٢} المهر من حب^{١٣} الاياب
 فلولاً الله والمهر^{١٤} المندى^{١٥} لا بت وأنت غربال^{١٦} الاهاب
 وقال آخر :

بأنت^{١٧} تشجفني هند^{١٨} وقد علت^{١٩} أن الشجاعة^{٢٠} مقر^{٢١}ون^{٢٢} بها المعطب^{٢٣}

(١) حديث متفق عليه عن ابن عمر مرفوعاً ، ورواه مسلم وغيره عن جابر
 بلفظ « إئتوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة » .

يا هندُ لا والذي حجَّ الحجيجُ له ما يشتهي الموتُ عندي من له أَدبُ
وقال آخر في المعنى :

نجوتُ نَجاءَ لم يرَ الناسُ مثله كَأَنِّي عُقابٌ عندَ ثِيَمَنٍ كَاسِرُ
وقال آخر :

يقولُ ليَ الأَميرُ بغيرِ شكٍّ تقدَّم حينَ جدِّنا المِرَّاسُ
ومالي إن أظنَّكَ من حِيارِ ومالي بعدَ هذا الرَّأسِ راسُ

(ومن المضحكات قول الآخر)

ألم ترني وعمراً حينَ نَقَدُوا إلى الحاجاتِ ليس لنا نظيرُ
أَسايرُهُ على يُمْنَى يَدَيْهِ وفيما بيننا رَجُلٌ ضَرِيرُ
ومن المضحكات قول القاساني في الجبن والتطفل :

أَرَى في النومِ رُحماً أوسناناً فأسلحُ في الفراشِ على مكاني
ولكني المَبَارِزُ حينَ أدعى إلى أكلِ المَصِيدَةِ والفرائي
وما عمروُ هناك أشدَّ مِنِّي ولا العَبْسِيُّ عَنترَةُ الطعانِ
ولا زِيدُ الفَوَارِسِ حينَ أدنو فألقُ بالكَلالِ والجِراتِ
تراني عندَها لَيْثاً نَفيراً إذا ما اصطَبَكُ مِنِّي المَاضِغانِ
أشدُّ على الخِصْبَةِ لا أَيْلَى بأَيِّ جنوبِها وقمتُ بِنائِي
وكم طَبَقَ رَدَدْتُ وليس فيه من البَقْلِ المَحْصَلِ حَبَّتَانِ

(الخلق من الثياب)

قال الحمدوني :

طالَ تَرَدَّادُهُ إلى الرِّفوحِتي لو بَشْتاهُ وَحَدَهُ تَهْدِي
وقال آخرُ : قال غَسَّالِي لما جِئته قَوْلًا صَحيحًا
يا عَزِيزِي أنا لا أَغْتَسِلُ بِالْعَنابِونِ رِيحًا

وأحسن من ذلك كله وأشهر قول الآخر :

يا ابن حرب كسوتى طيلساناً ملّ من صُحبة الزّمان وصدّاً
إن تنحنحت فيه ينحز عيراً أو تحركت فيه ينقدّ قدّاً

(من أحب لبناته الموت)

قال بعض الأعراب :

انى وإن سيقَ إلى المهرُ ألفٌ وعبدان وذودٌ عشرُ
أحبُّ أصهارى إلى القبرُ

وقال مُعبيدُ الله بن عبد الله بن طاهر :

لكلُّ أبى بنتٍ يُراعى شؤونها ثلاثةُ أصهارٍ إذا مُطلبَ الصهرُ
فبعلٌ يُراعيها وخدرٌ يكنها وقبرٌ يُوارِيها وخيرُهما القبرُ
جعل القبر خير الثلاثة الأصهار فإنه نعم الصهر فى السر . كلام الملحدین لعنهم الله :

فمنهم ديك الجن عبد السلام بن رغبان الحمصى :

هى الدنيا وقد نموا بأخرى وتسويفُ النفوس من السوائى
فإن كذبوا أمنت وإن أصابوا فإن المبتلىك هو المُعافى
وأصدق ما أثبتك أن قلبى بتصديقِ القيامة غير صافى

وقال ابن أبى البغل :

باح ضميرى بمضمرة الأمر وذلك أننى أقولُ بالدهرِ
وليسَ بعد الماتِ حادثةٌ وإنما الموتُ يضةُ العقرِ
وقال آخرٌ : يا ناظرآ فى الدين ما الأمر لا قدرٌ صحَّ ولا جبرٌ

ما صح عندى من جميع الورى يُذكرُ إلا الموتُ والقبرُ

قبهم الله لقد أعظموا القول ولم ينتفعوا إلا بالفضيحة فى الدنيا والآثم فى
الآخرة . وإنما أورد مثل هذا لتعرف أهله ولأن تسمية الكتاب توجبه . ونحوه

قول ابن الرومي وأجاد :

أيارب إن سويت بيني وبينه لما كان عدلاً أن نكون سواء
فكيف وقد أعليت وخفضتني فكنت له أرضاً وكن ماء

(فصل آخر)

كتب أبو الشيص إلى رجل كان وعده مخدة فأبطأت عليه :
يا صديقي وأخي في كل ما يعرف وشده
ليت شعري هل زرعتم بنراً كتان المخدة
وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال أهدى بعض العمال
إلى دعبل بن علي الخزاعي برذونا زماناً فردده وكتب إليه :
وأهديته زماناً قانياً فلا لركوب ولا لشن
حلت علي زمن شاعراً فسوف يكافي بشعر زمن
أبا الفضل ذمماً وغرماماً فما كنت ترجو بهذا الغبن
ووعده رجل دعبلاً فعلا يهديها إليه عند قدميه من الحج فأبطأت عليه فقال دعبل الخزاعي :
وعدت النمل ثم صدفت عنها كأنك تشتهي شماً وقدفا
فإن لم يهد لي فعلاً فكنها إذا أعجمت بعد النون حرفاً
وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال كتب إلى أبو علي
البصير يستهديني بخوراً كنت أهديت منه إلى بعض إخواني ، والآيات :
يا شفيقي ويا خليلي إباء المرجي لكل خير ومير
أنت من أطيب الأنام بخوراً غير أني شممته عند غيري
وهو جمل لديك قابض بدرج منه إن لم أكن تعديت طوري
فكتبت إليه :
قد بعثنا إليك منه بدرج وأرسلناك منه أطيب زور

بين ندى وبين عود مطراً ماله مشبه بنجد وغور
 أنت منه أذكى وأطيب عرفاً وهو أذكى من كل طيب ونور
 ما تعديت فيه طورك عندي فبخر منه بأعين طير
 وحدثني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد قال حدثني أبو دعامة الشاعر قال
 كتب العتابي إلى مالك بن طوق يستزيده ويستهديه ويدعوه إلى صلة الرحم والقراءة
 بينه وبينه وكان مما كتب : إن قرابتك من قرب منك خير وإن ابن عمك من
 عم نفعه وإن عشيرتك من أحسن معاشرتك وإن أحب الناس إليك أجداهم
 بالمنفعة عليك وإن أهداهم إلى مودتك من أهدى إليك ، ولذلك أقول :
 ولقد بلوت الناس ثم صبرتهم ووصلت ما قطعوا من الأسباب
 فإذا القرابة لا تقرب قاطعاً وإذا المودة أقرب الأنساب

قال أبو هلال رحمه الله : هذا آخر ما رأينا تضمنه هذا الكتاب وبالله التوفيق
 والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه آمين .

﴿ فهرس الجزء الثاني من ديوان المعاني ﴾

الصفحة	
٣	الباب السابع : في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد وذكر المياه والرياض والنبات والأشجار والرياحين والثمار والنسيم .
٣	الفصل الأول : في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد والمياه ---
١٢	الفصل الثاني : في ذكر الرياض والأنوار والبساتين والثمار وما يجري مع ذلك .
٤٦	الفصل الثالث : في ذكر النسيم .
٤٩	الباب الثامن : في صفات الحرب والسلاح والطعن والضرب ، وما يجري مع ذلك .
٧٤	الباب التاسع : في صفة الخط والقلم والدواة والقرطاس وذكر البلاغة ، وما يجري مع ذلك .
٧٤	الفصل الأول : في ذكر الخط والقلم والدواة والقرطاس ، وما يسلك مع ذلك .
٨٧	الفصل الثاني : في ذكر البلاغة .
٩٢	من كلام الفلاسفة وما يقاربه من شعر ونثر الأدباء .
٩٤	محاسن كلام العرب والاعراب والخطباء والكتاب .
٩٧	أمثلة في البلاغة الكتابية .
٩٩	ومن جيد الأدعية .
١٠١	المديح عند الكتاب نثراً .
١٠٣	الذم والتهجين نثراً ، كلمات في الشكر مأثورة عن البلغاء .
١٠٦	الباب العاشر : في صفات الخيل والابل والسير والفلوات وذكر الوحوش والطيور والحشرات ، وما يجري مع ذلك .
١٠٦	الفصل الأول : في صفات الخيل .
١١٨	الفصل الثاني : في ذكر الابل وسيرها ، وما يجري مع ذلك من وصف أحوالها .
١٢٨	الفصل الثالث : في ذكر الفلوات والظلال والسير والنعاس وما يجري مع ذلك .

- ١٣١ الفصل الرابع: في ذكر الوحوش والسباع والكلاب والصيد وما يجرى مع ذلك .
- ١٣٥ الفصل الخامس : في ذكر الطيور .
- ١٤٣ الفصل السادس : في ذكر بقية الحيوان من السنور والقنفذ والفأرة والحية والعقرب والحرباء والضب والبق والبراغيث ، وما يجرى مع ذلك .
- ١٥٢ الباب الحادى عشر : في صفة الشباب والشيب والخضاب والعلل والموت والمرائى والزهد ، وما يجرى مع ذلك .
- ١٥٢ الفصل الاول : في الشباب والشيب والخضاب ، وما يتصل بها .
- ١٦٥ الفصل الثانى : في ذكر العلل والأمراض والمرائى والتعازى والزهد .
- ١٨٦ الباب الثانى عشر : في صفة أشياء مختلفة يختم بها ديوان المعانى .
- ١٨٦ القول فى الحنين إلى الأوطان .
- ١٩٤ فصل فى مدح الاخوان .
- ١٩٨ فى ذم الاخوان والرفقاء ، وما يجرى مع ذلك .
- ٢٠٤ فصل فيما قيل فى فضل الوعد ومدح الانجاز .
- ٢٠٦ ما قيل فى الضحك والبشر عند السؤال .
- ٢٠٨ فصل فى تعمية الأشعار .
- ٢١٤ أحسن ما قيل فى تقيل اليد .
- ٢١٥ الخضر على السلام .
- ٢١٧ السلام على الكنار ، رد السلام على الكنار ، ما جاء فى المصافحة .
- ٢١٨ قولهم : حياك الله ويياك .
- ٢١٩ قولهم مرحباً .
- ٢٢٢ ما جاء فى : أطال الله بقاءك - جعلت فداك .
- ٢٢٣ دعاء المكاتب .
- ٢٢٤ قولهم : كيف أصبحت .
- ٢٢٩ ما جاء فى الدعاء للخارج إلى السفر .

- ٢٣٠ الدعاء للقادم من السفر . الدعاء للمهزوم .
 ٢٣١ الدعاء للمعزول .
 ٢٣٢ دعاء الأعياد .
 ٢٣٣ ما قيل في القيام للأجلاء .
 ٢٣٤ ما قيل في شعبان وشهر رمضان وشوال .
 ٢٣٦ فصل في معان مختلفة : نسيب ، هجو ، مدح . .
 ٢٣٩ التفاضل بين الإخوان . الحث على مواظقة الناس . اغياب الزيارة .
 ٢٤٠ في ذم المعاجز . ماورد في فضل الحمام .
 ٢٤١ الشطرنج وما قيل فيه .
 ٢٤٢ ما ورد في الرد .
 ٢٤٣ القدح . انتظار الفرج . معان أخرى .
 ٢٤٤ العطاء بلا سؤال . ما قيل في المحبة والحجامة .
 ٢٤٥ ما قيل في خطئ الرأي . إفساد المعروف بالمن . من يعيب غيره وهو معيب .
 ٢٤٦ فرار الأصدقاء عند الضيق . حرقة الأدب .
 ٢٤٧ اغترار الناس بالغنى . حظ الجاهل .
 ٢٤٨ الاستعانة بالجاهل في وقت الحاجة . عزة النفس . الاقتداء بالقرين .
 ٢٤٩ المأخوذ بذنب غيره . النهي عن الظلم . ماورد في الجبن .
 ٢٥٠ ومن المضحكات . الخلق من الثياب .
 ٢٥١ من أحب لبناته الموت .
 ٢٥٢ أبو الشيص ورجل وعده بمخدة . نعل دعبيل الخزاعي . استهداء بخور .
 ٢٥٣ المودة أقرب الانساب . منتهى الديوان .

(اختلافات نسخة المتحف البريطاني وغيرها من الروايات والتصويبات في الجزء الثاني)

وأكثرها من استدراكات الأستاذ الدكتور كرتكو

الصفحة السطر	الصفحة السطر	الصفحة السطر
١٠٩ ٢٠ زقته	٤٣ ١٢ في القصور	١ ٤ عن نسختي
١٠٩ ٢٢ ضرار النطقاني	٤٩ ١١ المفضل النكري	٤ ٢٣ آبي بمطر
١١٠ ١٥ كالفدن	٥١ ١ سعد بن	٦ ٥ بمدامع لم
١١١ ٢ على مواد	٥٣ ٤٣ عمرو بن	٦ ١٠ دوايح ضمنت
١١١ ٤ عارضت	٥٥ ٧ الجرور	٦ ١١ حفل اللقاح
١١٢ ١٩ تعلق بزي	٦٤ ١٨ السواء عدونا	٦ ١٢ شجيم.. فواجم
١١٤ ٧ تهاش عنده	٦٤ ١٩ المؤقف	٧ ٨ لدمات
١١٤ ١٨ نوادي.. تدقق	٦٤ ٢٠ شهاب	١٢ ٢٢ بعيم التبت
١١٥ ١ بقارح	٦٤ ٢١ كالسيور	١٣ ٢٢٤٩ وحوذان
١١٦ ١٧ دكدك	٦٥ ١ أحمر عائر	١٥ ٤ بن المعذل
١١٨ ٦ مناذر	٦٦ ١ تنحري	١٥ ٦ منان
١١٩ ١ رهوا	٦٦ ٦ جذل	١٥ ١٢ وشك
١٢١ ٦ مضر حيات	٦٨ ١٠ بن شهاب	١٦ ٢٢ الخاني
١٢١ ١٢ بخت مخيسة	٦٨ ١١ وميض اليض	١٧ ١٣ وجني رباها
١٢٢ ١٧ حسان	٧٠ ٣ العضروط	١٨ ١٤ ترحف
١٢٣ ١١ البيت جون	٧١ ٨ أخذ من	١٩ ١ لمسجد
١٢٤ ١٨ أودي السفار	٧٢ ٨ السم	٢٠ ٦ جامد
١٢٥ ٩ السباب	٧٣ ٨ ومشلة مفرقة	٢٠ ٩ لؤلؤ كالاقحوان
١٢٥ ١١ بهاشرق	٧٧ ٢ كاطباء	٢٠ ١٢ مجتاز
١٢٧ ٢١ جفار	١٠٨ ٥ عبدة بن الطيب	٢٣ ١ المعذل
١٢٨ ٢٢ وفد الريح	١٠٨ ٢٢ الاسمر	٢٣ ٨ تباري سمدا
١٣٢ ٢٠ أظلافه نسق	١٠٩ ١٣ تارز	٣٢ ٢ ودمه تنبوي
١٢٤ ٢٠، ١٦ قعساء	١٠٩ ١٨ تار عجاج	٣٣ ٨ على كرات
١٣٥ ٤ مثل الشراع	١٠٩ ١٩ تنفش	٣٧ ٢٢ قرط

الصفحة السطر	الصفحة السطر	الصفحة السطر
يداشلج ١٧ ٢٤٢	معز اللولة ٢٢ ١٧٩	فيه شنج ١٣ ١٤٠
وعند الشاه ١٨ ٢٤٢	تمر وأغفل ١٨ ١٨٣	يتفید ١٣ ١٤٢
من الغمی ٥ ٢٤٣	يفعل ١٩ ١٨٣	شنج ١٤ ١٤٢
بالکف أقطع ٦ ٢٤٣	رام ٢٠ ١٨٣	کتحوط ٤ ١٤٤
أبه .. بقدرح ٧ ٢٤٣	بسرینار طاة ٤ ١٨٥	لهازمه ... فلتطع ٩ ١٤٥
الهدیل ١٢ ٢٤٤	أرضافیا ٦ ١٨٧	بالعظامة. التنضبة ١٧ ١٤٦
دَم ٢٣ ١٦	یحیی بن طالب ١٦ ١٨٧	فجرة ١٠ ١٤٧
یتا گُل ٥ ٥٧	راح ركب ١٣ ١٩٣	على الجذل ١١ ١٤٧
ونواقذ ٩ ٨٥	بأخلاق ٩ ١٩٤	تقاقرت ١ ١٥٠
الهزار ٦ ٩٢	عیابها ١٧ ١٩٩	الشدق ١٩ ١٥١
ومواد ١٦ ٩٦	أبو الشعر ٢١ ٢٠١	بعد شیدية ٤ ١٥٢
وعدونا ١٧ ٩٦	أفرنجمشك ٢١ ٢٠٨	سواد الله ٣ ١٥٥
ولباته ١٢ ١٣٧	بشوبوبه ١٣ ٢٠٩	بخطمة ٦ ١٥٥
أدب ١٠ ١٦٤	مروان الجعدی ١٨ ٢١٥	بان الا مروبان ١٠ ١٧٢
جذیمة ١٢ ١٧٦	٩٤٨ مكنت ٢١٦	ابن مناذر ٣ ١٧٥
	الزرق ١١ ٢٢٠	الخربی ٧ ١٧٥
	الارحبی ١٧ ٢٢٦	عن شبابة ١٥ ١٧٥
	معشق ٢٠ ٢٢٦	وزدت بمازودتی ١٨ ١٧٥
	قذراً وأسلم ماسواه البرجد ٢٣ ٢٤١	مجناب شملة برجد بسراته

(فهرس لأسماء الشغراء مرتبة على الحروف)

باعتبار الشهرة في الأثر

(١)

ابراهيم بن اسماعيل النسائي ١٨٢
 ابراهيم بن العباس ٦٦، ٩٠، ١٧٨، ١٨٣،
 ٢٧٤، ٢٨٣، ٣٥١، ٣٥٣، ج ٢ :
 ١٩٤، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٠، ٢١٥
 ابن أبي أمية ج ٢ : ٣٤
 ابن الأعرابي ٣٥٩
 ابن أمية الكاتب ٥٩
 ابن الأباري ١٤٨، ج ٢ : ٢٣٨، ١٧٩
 أبو الأسد الدينوري ٣٠، ٦٣، ج ٢ : ٢٠٣
 أحمد بن ابراهيم ٢٣٢، ج ٢ : ٢١٩
 أحمد بن أبي طاهر ٤٨، ٩٤، ج ٢ : ١١٨، ٢٥٢
 أحمد بن اسحق الطالقاني ج ٢ : ١٦٦
 أحمد بن اسحق الموصلي ج ٢ : ١٨٩
 أحمد بن اسماعيل الخطيب ١٣٠
 أحمد بن اسماعيل ج ٢ : ٧٥، ٧٩،
 ٨٣
 أحمد بن زياد الكاتب ج ٢ : ١٥٧
 أحمد بن محمد بن اسحق ج ٢ : ٧٩
 أحمد بن يزيد ج ٢ : ٢٣٥
 أحمد بن يوسف ٩٥
 أحمد المادرائي ٣١٦
 الأحمر ج ٢ : ١٣٤
 الأخطال ٢١، ٢٧، ٥٨، ٦٢، ٨٣،
 ١٧٥، ٣١٣، ٣١٤

الأخنس بن شهاب ٦٨
 الأخطال ج ٢ : ٢٥، ١٧١، ٢٣٠
 ادريس بن أبي حفصة ٦٣
 اسحق بن خلف ج ٢ : ٥٧
 اسحق الموصلي ٣٤٧
 الأسدي ٣٥
 أسعد بن البكاء البكري ج ٢ : ٢١٧
 الأسعر الجعفي ج ٢ : ١٠٨، ١٠٦، ٥٠
 الأسود بن يعفر ٢٥٤
 أشجع ١٧، ٦٣، ٦٤، ٩٢، ١٤٥،
 ج ٢ : ١٨٥
 الأعشى ٢٤، ٤٤، ٧٩، ١٠٩، ١٤٣،
 ١٧١، ١٧٢، ١٧٤، ٢٤٣، ٢٤٤،
 ٢٥٠، ٢٥٨، ٣١٩، ٣٢٨، ج ٢ :
 ١٢، ٢٢٦
 الأغر بن كاسر ج ٢ : ٢٢٣
 الأفوه الأودي ج ٢ : ٩٠
 الأقييل القيني ٨٨
 أمارة بنت الجلاح ٦١
 امرؤ القيس ٨١، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٦١،
 ٢٢٢، ٢٣٤، ٣٤٥، ج ٢ : ٣٠، ٥٧،
 ٦٢، ١٠٩، ١١٤، ١٤٢، ١٥٩، ١٩٣
 أمية بن أبي الصلت ٢٦، ٤٦، ١١٠
 أوس بن حجر ١٢٤، ١٣٩، ١٧٦،
 ج ٢ : ٤، ٧، ٥٧، ٥٩، ٦٨، ١٧٣
 أيمن بن خريم ج ٢ : ١٤٤

(ب)

البحري ٢١، ٢٩، ٣٠، ٣٤، ٣٥،
 ٤٦، ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٦٠، ٦٣،
 ٦٥، ٦٩، ٧١، ٧٢، ٩٩، ١٠٦،
 ١٠٨، ١١٧، ١١٩، ١٢٧، ١٢٨،
 ١٤٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٧، ٢٠٠،
 ٢١٨، ٢١٩، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٥٦،
 ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧٨، ٢٨٢،
 ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٧، ٣٢٩، ٣٤٤،
 ٣٤٨، ج ٢: ١٧، ٢٠، ٢٣، ٥٣،
 ٥٥، ٥٨، ٥٩، ٦٢، ٦٣، ٦٥،
 ٧٠، ٧١، ٧٨، ٩٩، ١١٥، ١١٩،
 ١٢٦، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٧، ١٩١،
 ١٩٤، ٢٠٧، ٢٣٢، ٢٣٣،
 ابن بسام ٣١٦، ٣٤٨، ج ٢: ٢٣، ٢٣٤،
 بشار ٣٣، ٤٢، ٥٩، ١٣٦، ١٤٣،
 ١٨٩، ٢٠٣، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٤١،
 ٢٥٧، ٢٧٩، ٣١١، ٣٤٩، ٣٥٠،
 ج ٢: ٤٧، ٥٥، ٦٧، ١٦٩،
 ١٩٢، ١٩٦،

بشامة بن الغدير ج ٢: ١٣١،
 بشر بن أبي خازم ١٣٩، ٢٣٨، ج ٢:

١٢، ١٣، ٧٢،

البصير ١٢١

البعيث ٢٧٧

بكر بن خازم ٢٤٣

بلعاء بن قيس ١١٤

(ت)

تأبط شرأ ١١٢، ج ٢: ١٢٩،
 أبو تمام ٨، ١٧، ٢١، ٢٤، ٢٩-٣١،
 ٣٣، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٥٤، ٥٦،
 ٥٧، ٦٥، ٦٨-٧٢، ٨٠، ٨٣،
 ٨٤، ١٠٤، ١٠٩، ١١٥-١١٢،
 ١٣٠، ١٤٠، ١٤٤، ١٦١-١٦٤،
 ١٦٨، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٥،
 ١٨٧، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠٥، ٢١٣،
 ٢٤١، ٢٤٥، ٢٥٥، ٢٦٥، ٢٧٧،
 ٢٨٧، ٢٩٠، ٣١٦، ٣٢٥، ٣٤٣،
 ٣٥٣، ج ٢: ١٩، ٥٦، ٦٦، ٧٧،
 ٧٨، ٩١، ٩٨، ١٠٠، ١١٥، ١٢٠،
 ١٢٤، ١٢٥، ١٣٠، ١٥٦، ١٥٧،
 ١٦٠، ١٦٥، ١٧٣، ١٧٦-١٧٨،
 ١٨٠، ١٨٥، ١٩٠، ١٩٥، ٢٠٢،
 ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٢٢، ٢٣١، ٢٣٩،
 التوخي ٣٢، ٧٠، ٢٤٤، ٢٤٧، ٣٤٧،
 ٣٥٨، ج ٢: ١٦، ٢٥، ٢٧، ٣٢، ٥٤،
 التوزي ١٢٢

(ث)

ثابت قطنة ١٣٨

الثقي ج ٢: ١٨٥

(ج)

جيباء الاشجعي ج ٢: ١٢٢

الجحاف ٨١

جحفلة البرمكي ٣١، ١٦٣، ٢٠٦،

الحسين بن اسماعيل ٢٢٣
 الحسين بن الضحاك ٢٠٢ ٢٧٣ ج ٢ :
 ٢٢٥ ، ٢٠٦
 الحسين بن مطير الاسدي ٤١ ج ٢ :
 ١٧٦ ، ١٧٥ ، ٦
 أبو الحسين بن أبي البغل ج ٢ :
 ٩٢ ، ٨٠
 حصين بن حمام ١١٥
 الخطبة ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٨ - ٤٠
 ٤٣ ، ١١٨ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٩٩ ،
 ج ٢ : ١٩١
 الحلبي ج ٢ : ٤٥
 حلحلة بن قيس ١٣٣
 حماد الراوية ١٨١ ج ٢ : ١٩٨
 حماس بن ثامل ٤٤
 الحساني ٨٥ ، ٢٣١ ، ٣٣٩ ج ٢ :
 ١٦ ، ٥٠ ، ١١٤ ، ١٣٤ ، ١٤٧ ،
 ١٥٤ ، ١٥٣
 الحميري ٢٧٨ ج ٢ : ٢٥٠
 حمزة بن يرض ١٠
 حميد بن ثور ٣٢٦
 الحوطيرة ج ٢ : ١٨١
 أبو حية ج ٢ : ١٢٧

(خ)

خارجة بن مليح المكي ٦٢ ، ٦٣
 خالد بن زهير ١٥٨

٣٠٠ ج ٢ : ١٩٨ ، ٢٠٢
 جندل الطمان ج ٢ : ٦٦
 جران العود ٣٣٨
 جرير ٣١ ، ٦٦ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٩ ،
 ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨١ ،
 ٢٠٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ،
 ج ٢ : ٦٣ ، ١٠٧ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ،
 ١٨١ ، ١٥٧
 جعفر بن محمد ج ٢ : ١٩٤
 جميل ٧٨ ، ١٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٧٤ ،
 ج ٢ : ١٢٩ ، ٢٣٧
 جندل بن الراعي ج ٢ : ١٢٧
 أبو جندب ٨٢ ، ٨٣

(ح)

حاجز الازدي ج ٢ : ٢٢٨
 الحارث بن ظالم ١٧٠ ج ٢ : ١٨٧
 الحارث بن عباد ج ٢ : ٦٣
 الحارثي ج ٢ : ٢٣٤
 أبو حازم الباهلي ج ٢ : ١٥٢
 ابن حريثان ١٧٤
 أبو علي الحرمازي ج ٢ : ١٧٠ ، ٢٤٠
 حسان بن ثابت ٣٢ ، ٣٧ ، ٨٩ ، ١٨٢ ،
 ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٣١٤ ج ٢ :
 ٦٩ ، ٥١
 الحسن بن وهب ٢٥٧ ، ٢٧٢ ج ٢ :
 ٨٣ ، ٢٣٥
 الحسن بن الكنتاني ج ٢ : ٢١٦

عالم الكاتب ٣ ، ٢٥١ ، ٢٨٤ ، ٣٥٠

الحالدي ٢٠٨ ، ج ٢ : ٧٨

الحجاز البلدي ج ٢ : ٤٢

خداش بن زهير ج ٢ : ٧٣

أبو خراش ١٣١ ، ج ٢ : ٧٢

خريم بن قاتك ٢٦

الخريمي ٧٤ ، ٢٧٩ ، ج ٢ : ١٧٥ ، ١٩٧

ابن خلاد ٢٩٦ ، ٣٠١ ، ج ٢ : ٣٦

خلف بن خليفة ٧٥ ، ١٠٤ ، ج ٢ :

١٤٥ ، ١٦٢

خلف الأحمر ج ٢ : ٧٣

الخليل بن أحمد ١٣٤ ، ١٤٧ ، ١٨٥

ج ٢ : ٣٠

الخنساء ٤١ ، ١٣٨

الحوارزمي - متأخر ج ٢ : ١٥٦

(د)

دريد بن الصمة ٥٥ ، ١٢٢ ، ١٤١ ،

ج ٢ : ٥٨

ابن دريد ٢٧ ، ٣٢٠ ، ج ٢ :

١١٠ ، ١١٩ ، ٢٣٧

دعبل الخزاعي ١٢٧ ، ١٨١ ، ١٨٤ ،

٢٠٧ ، ج ٢ : ١٥٩ ، ١٨٠ ، ١٩٤

٢٣٨ ، ٢٥٢ ، ٢٧٧

أبو دغل الكلابي ج ٢ : ٧٠

أبو دلامة ج ٢ : ٢٤٥

أبو دلف العجلي ٩١ ، ٢٧١

ابن الدمينه ٣٤٦

أبو دهل الجعي ١٣٩

أبودواد ١٤٢ ، ج ٢ : ١٠٦ ، ١١٢ ،

١٢٨ ، ١٤٦

ديك الجن ٥٦ ، ٨٥ ، ١٠٦ ، ١٢٠ ،

١٩٤ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ،

٢٦٩ ، ٢٧٠ - ٢٧٢ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ،

٣٢١ ، ٣٤٤ ، ٣٥٠ ، ج ٢ : ١٣٧ ،

١٨١ ، ٢٢١

الدبلي ٢٠١

(ذ)

أبو ذؤيب ١٢٠ ، ١٣١ ، ١٥٧ - ١٥٩ ،

٣٦١ ، ج ٢ : ٤

(ر)

راشد بن شهاب الشكري ج ٢ : ٦٤

الراعي ج ٢ : ١٢٣ ، ١٣٢

رؤبة بن العجاج ج ٢ : ١٢٣ ، ١٢٨ ،

١٣٠ ، ١٥٥

الربيع بن أبي الحقيق ج ٢ : ٣٩

الربيع بن ضبع الفزاري ج ٢ : ٢٢٤

رزين العروضي ١٩٩

الرقاشي ج ٢ : ١٧٩

الرماح الاسدي ج ٢ : ١٥٠

ذوالرمة ١٨١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ،

٢٥٠ ، ٢٥٧ ، ٢٧٥ ، ٣٣٤ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ،

٣٥٥ ، ج ٢ : ٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ،

زياد الأعجم ١٧٠، ١٧٧، ١٨٠،

زيد الخيل ج ٢: ٤٩، ٦٨،

زينب بنت الطرية ٥٧

(س)

سالم بن وابصة ٣٥٧

أبوسرح ج ٢: ١٨٦،

السري الرفاء ٧٢، ١٩٩، ٢٢٥،

٢٣٢، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٩٠، ٢٩٤،

٣٠٩، ٣١٢، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٣٧،

٢٤١، ٢٤٥، ٣٦١، ج ٢: ١١، ١٧،

٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٥، ٣٧،

١٣٧، ٢٢٣، ٢٤٠، ٢٤٢،

سعد بن ناشب ج ٢: ٥١،

سعيد بن أبان بن عينة ١٣٣،

سعيد بن حميد ٩٥، ٢١٦، ٢٦٧، ج ٢:

٢٢٢، ٢٨٤، ٣٤٩،

سعيد بن العاص ١٩٦،

سعيد بن الوليد البطين ج ٢: ٢٢٠،

أبو سعيد الأصفهاني ج ٢: ٢٠٩،

أبوسعيد الخزومي ١٨١،

ابن السكن ٢٠٨،

سلامة بن جندل ج ٢: ٦٥،

أبو السمح الطائي ٢٩،

السموأل ٣٧، ٨٣،

سهل بن هرون ٢٨٢،

سيف بن ذي يزن ج ٢: ٦٢،

١٢٩، ١٣٣، ١٤٧،

ابن الرومي ٢٦، ٢٩، ٣٠، ٤٢،

٤٣، ٤٥، ٤٨، ٥٤، ٦٨، ٧١، ٧٤، ٧٥،

١١٩، ١٢٥، ١٣٠، ١٣٢-١٤٤،

١٥٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٩،

١٨٠، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٧-١٩٠،

١٩٤-١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢١٠،

٢١٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٢٧،

٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٩-٢٤٤،

٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٦٩،

٢٧٠، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٩٢-

٢٩٦، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٩،

٣١٠، ٣١٤، ٣٢١، ٣٣٠، ٣٣٥،

٣٦٠، ٣٦١، ج ٢: ٣٢، ١٧، ١٨،

٢١، ٢٢، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٣٧،

٤٥-٤٧، ٥٥، ٥٧، ٦٠، ٦١،

٧٠، ٧١، ٧٧، ٧٨، ٨١، ١٠٤،

١٣٥، ١٤٧، ١٥٧، ١٦٠-١٦٢،

١٦٥، ١٦٨، ١٧١، ١٧٣-١٨٤،

١٨٩، ٢٠٣، ٢١٥، ٢٣٠، ٢٣٧،

الراشي ج ٢: ٢٣٤،

(ز)

أبو زيد ج ٢: ٥٨،

زفر بن الحارث ج ٢: ٢٠٠،

ابن الزمكدم ١٩٥،

زهير ٢٩، ٣١، ٤٦، ٥٢، ١٠٥،

١١٤، ٢٣٠، ج ٢: ٢٠٦،

(ش)

شبيب بن البرصاء ج ٢: ١٩٦
 أبو شراقة ج ٢: ٢٢٩
 الشماخ بن ضاراه ١١٥، ٢٣٠، ج ٢: ٥٩
 ١٠٩، ١٢٥
 الشمر دل بن شريك ٣٥٨
 أبو الشمقب ١٩٨
 أبو الشيخ ٢٥٥، ج ٢: ١٢٣، ١٩٨، ٢٥٢

(ص)

أبو إسحق الصابي ج ٢: ١٦٣
 صاحب بن عباد ١٦٧
 أبو صفوان الثقفي ج ٢: ٢٣٢
 صفية الباهلية ١٧
 أبو الصلت ٩٢، ٣٠١
 الصلتان ١١٩
 الصمة بن عبدالله القشيري ج ٢: ٢٢٥
 الصموت الكلابي ٦٨
 الصنوبري ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٤٨، ٢٩٢
 ٣٢٢، ٣٢٣، ج ٢: ١٢، ٣٠، ٣٢
 الصولي ١٤٦، ١٤٨، ٢٥٥، ٢٥٧
 ٣٤٧، ٣٥٠، ج ٢: ١٦٥، ٢٠٧

(ض)

ضمرة بن ضمرة ٨١

(ط)

ابن طارق ج ٢: ١٤٤
 أبو طالب عم النبي ﷺ ٣٧

طاهر بن علي بن سليمان ٣٤٧
 ابن طباطبا ١٢، ١٣٠، ١٩٨، ٢١٢، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٣٥٣، ٣٦٠
 ج ٢: ١١، ٢٧، ٣٦، ١١٦، ١٤٤، ٢١٣
 طرقة ج ٢: ٧
 الطرماح ٣٤٦، ج ٢: ١٣١، ١٤١
 ١٧٥، ٢٣٨
 طريح بن اسماعيل الثقفي ٢٤، ٢٥٢، ١٢٦
 طفيل الغنوي ج ٢: ٢٢٠
 الطراح العقيلي ج ٢: ٢١٩
 أبو الطمخان ٢٢، ٢٣، ج ٢: ١٦١

(ع)

عائشة بنت أبي وقاص ٩
 العباس بن الاصحف ١٦١، ٢٢٥
 ٢٣١، ٢٣٢، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦١
 ٢٦٣، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٤، ٢٧٥
 ٢٨١، ٢٨٢، ٣٤٩، ج ٢: ١٦٥
 العباس بن جرير ١٢٣
 العباس بن مرداس ١١٠، ١١٤
 ج ٢: ١١٠
 عبد الصمد بن المعذل ١٢١، ١٢٥
 ١٧٨، ج ٢: ١٥، ٢٣، ١٤٦، ١٦٧
 عبدالعزيز بن زرارة ٨٨
 عبد العزيز بن عبدالله بن طاهر ٣٣٨
 عبدالله بن أيوب التيمي ٦٠
 عبدالله بن الحسن ٢٦٢

- عبد الله بن عبد الله بن عتبة ٣١٤
عبد الله بن محمد الفقعسي ج ٢: ١٩٣
أبو عبد الله الاسباطي ج ٢: ١٥٦
ابن عبد الله الاسدي ١١
عبد الملك بن مروان ٢٦٢
عبد مناف بن ربيع ج ٢: ٥٥
عبد بن الحساس ٢٦٠ ج ٢: ١٦٦
عبد بن الطيب ج ٢: ١٠٨، ١٤٤
١٧٥، ٢١٦
عبد بن البرص ١١٨ ج ٢: ١٥٥
عبد بن أيوب ١١٣
عبد الله بن عبد الله بن طاهر ١٠٨
٢٥٠ ج ٢: ٢٥١، ٢٦٠
عتاب بن ورقاء ج ٢: ٦٠
العتابي ج ٢: ٩
أبو العتاهية ٢٠، ٧١، ١٠٥، ١٢٠
١٢٥ ج ٢: ١٥٥، ٢١٨، ٢٢٦
٢٢٧، ٢٣٢
ابن أبي العتاهية ١٩٨
العجاج ج ٢: ٧٢
عجير السلولي ٣١٥
عدي بن الرقاع ج ٢: ١٣١، ١٣٢
٢٢٣، ٢٣٥
عدي بن زيد ج ٢: ١٣٧، ٢٤٨
العديل بن الفرع العجلي ج ٢: ٢٣٢
مرجة بن شريك ج ٢: ١٨٥
المرجي ١٠
عروة بن أذينة ج ٢: ٢٣٢
- عروة بن حزام العنزي ٢٨١
عروة بن الورد ١٠٧، ١٩٥
أبو عروة المدني ١١
العطوي ج ٢: ٢٠٣
عتبة بن كعب بن زهير ج ٢: ٢٢٨
عتقة بن عتبة ١٠٤، ٢٥٠
العلوي الأصفهاني ٣٢٩، ٣٣٧، ٣٣٨
٣٤١، ٣٤٥، ٣٥١، ٣٥٦، ٣٥٧
علي بن جبلة العكوك ٢١، ٢٨، ٥٠، ٥١
١٠٦ ج ٢: ٦٦، ١٠٧، ١٠٨، ٢٣٥
علي بن الجهم ٨٠، ١٠٤، ٢٥٣ ج ٢: ٢٣٣
٢٢١
علي بن الخليل ٣٤٨
علي بن عاصم ٢٨٤
علي بن العباس التومني ج ٢: ١٦٧
علي بن عبد العزيز الجرجاني ج ٢: ١٦٨
علي بن محمد بن الأفوه ٤٩
علي بن محمد البصري ١٠٨
علي بن محمد الكوفي ج ٢: ١٥٨
عمارة بن عقيل ٧٧، ١٣٦، ٢٤١ ج ٢: ٢
١٠٩، ٢١٩
المعاني ج ٢: ١٣٧
عمران بن حطان ٣١٥
عمران بن عصام ٣٣
عمر بن أبي ربيعة ١٢٢، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٢
عمر بن الاطنابة ١١٤
عمر بن شاس الاسدي ٢٢٤ ج ٢: ٧٢، ٧٣
عمر بن قيس ٢٧٦

عمر بن كلثوم : ج ٢ : ٥٠
 عمرو بن محمد التقفي ٢٩
 عمرو بن عبد يكر ب ١١١ ج ٢ : ٥٣٤٢٣
 أبو العميثل ٥٣ ١٦٣ ٢٧٢
 عنترة العبسي ١١٠ ٣١٧ ج ٢ :
 ١٤٨ ١٢١ ٦٤
 عوف بن قطن ١١٧
 عوف بن محم ٢٦٢
 عون بن محمد الموصل ٣٥٢
 عيسى بن أوس ٢٤
 ابن أبي عينة ١٩٠ ١٩١ ج ٢ :
 ١٣٨ ١٣٧
 أبو عينة ج ٢ : ٣١ ٢١٣

(ف)

أبو فراس ج ٢ : ١٢ ٤٩ ٥٠
 ٢٠٠ ١٩٧ ٦١
 الفرزدق ٢١ ٤٩ ٧٨ ٤٣ ١٤٥
 ١٧١ ١٧٤ ١٨٣ ج ٢ : ٨٧ ١١٩
 ١٥٦ ١٦٣ ١٧٢ ٢٣٤ ٢٨١
 فروة بن مسيك الغطيفي ج ٢ : ٢٣١
 أبو الفضل بن العميد ٣٠١
 أبو فضلة ٣٣٥
 الفند الزماني ج ٢ : ٦٠
 ابن أبي فتن ٢٨٤ ٣١٥ ٣٤٥

(ق)

قابوس بن وشكير ج ٢ : ٢٠٢
 القاساني ج ٢ : ٢٥٠

القاسم بن حنبل ٤٣
 القصار ج ٢ : ٧٩
 القصاني ٣٥٣
 القطامي ١٢٤ ٢٤٢ ٢٥٩ ٣٢٩
 ج ٢ : ١١٨ ١٢١ ١٢٧
 قيس بن الأسلت ٢٤٣
 قيس بن الخطيم ١٧٠ ٢٢٩ ٢٧٦
 ج ٢ : ٥٠ ٥١ ٥٧ ٧٠ ١١٩
 قيس بن ذريح ٢٧٠
 قيس بن حاصم ١٣٥ ١٥١
 (ك)

أبو كبير ٣٨
 كثير ٥٨ ٦٣ ٢٣٠
 كشاجم ٦٨ ٢٠٥ ٢١٤ ٢٢٤
 ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٣١ ٢٤٠ ج ٢ :
 ٢٩ ٣٠ ٨٣ ٨٤ ١١٠ ١٥٨
 ٢٤٦ ٢٤٩ ٢٧٢ ٢٧٣ ٣٠٤
 ٣٢٦ - ٣٢٨

كعب بن الأشرف ج ٢ : ٣٩
 كعب بن زهير ١٩٩ ج ٢ : ٦٢
 كعب بن سعد ج ٢ : ١٧٨
 كعب بن مالك ١١٥
 كعب الغنوي ٣٣٧
 كلثوم بن عمرو ١٥٤
 السكيت ج ٢ : ١١٤

(ل)

ليد ١١٨ ٣١١ ج ٢ : ١٢ ١٩٨

محمد بن أبي الموج ٢٣٦
 محمد بن يعقوب بن داود ج ٢: ٢٠٢
 محمود الوراق ج ٢: ١٥٣ ، ١٦٤
 المنجل ج ٢: ٦٣
 مخلد الموصل ٣٣٥
 المزار الفقي ١٢٤
 مروان بن أبي حفصة ٤٧ ، ٥٢
 ١٣٥ ، ١٠٥
 مزاحم العقيلي ج ٢: ١١٠ ، ١٥٥
 مزرد بن ضرار ج ٢: ٥٨
 مسعود أخو ذي الرمة ج ٢: ١٢٨
 مسكين النارمي ٧٩ ، ٢٩٧ ، ج ٢: ٥٨
 مسلم بن الوليد ٢٠ ، ٧١ ، ١٠٣ ، ١١٦ ،
 ١١٧ ، ١٦٢ ، ١٧٨ ، ٢٥٣ ، ٢٦٦ ،
 ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٣١١ ، ٣٤٣ ، ج ٢:
 ٥١ ، ٧١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ،
 ١٥٨ ، ٢٣٩
 مصعب بن عمير الليثي ٢٠٢ ، ٢٠٣
 المصيصي ٢١٥
 مضر بن ربيعي ٣٤٣
 أبو مطاع ٢٦٨
 مطيع بن إلياس ج ٢: ١٨٤
 أبو المعافى ج ٢: ١٩١ ، ٢٢٩
 ابن المعتز ٧٠ ، ٧٧ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ١٤٤ ،
 ٢٠٧ ، ٢٢٤ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،
 ٢٤١ - ٢٤٣ ، ٢٤٧ - ٢٥٢ ، ٢٥٧ ،
 ٢٥٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٧ -

ابن لجأ ج ٢: ١٢٧
 لقيط بن زرار ٨١
 لقيط بن يعمر الأيادي ٥٥
 ابن لثك ١٨٩ ، ج ٢: ٢٠١ ، ١٨٠
 ليلى الأخيلية ٤٤

(م)

المؤمل ٢٣٦ ، ٢٥١
 مالك بن أسماء ج ٢: ١٦٢
 مالك بن حريم الهمداني ج ٢: ١٠٧
 مالك بن نورة ج ٢: ٥٥
 مان الموسوس ٢٥٢ ، ٢٨٢
 المبرد ١٤٥
 مبشر بن هذيل الشمخي ٨٩
 المتلس ١٣٥
 متم بن نورة ج ٢: ١٧٤ ، ١٧٦
 المتنبى ١٠٨ ، ١٩٦ ، ج ٢: ٦١ ،
 ٧٦ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١١٩ ،
 ١٧٠ ، ٢٣٧ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٣٢٢
 المجنون ٢٧١ ، ٢٨١ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩
 محمد بن أيوب ج ٢: ٢٠٩
 محمد بن بشر الأزدي ٣٤
 محمد بن جعفر بن محمد ج ٢: ٦٦
 محمد بن ذؤيب العماني ج ٢: ٢١٩
 محمد بن زياد الكاتب ج ٢: ١٦٧
 محمد بن عبد الله بن طاهر ٢٧٠
 محمد بن عبد الله الجعفرى ج ٢: ٢٣٥
 محمد بن محمد اليزيدي ج ٢: ١٧١
 محمد بن مسلمة البشري ج ٢: ٦٧

٢٧٦، ٢٦٩ - ٢٦٦، ٢٦٤، ٢٦٣
 - ٢٩٢، ٢٩٠ - ٢٨٨، ٢٧٩، ٢٧٨
 ، ٣٠٤، ٣٠٢، ٢٩٨، ٢٩٧، ٢٩٥
 - ٣١٧، ٣١٣ - ٣١٠، ٣٠٨ - ٣٠٦
 ، ٣٣٩، ٣٣٨، ٣٣٤، ٣٣٣، ٣١٩
 - ٣٤٩، ٣٤٧، ٣٤٥ - ٣٣٥، ٣٣٣
 ، ٣٥٩، ٣٥٧، ٣٥٦، ٣٥٤، ٣٥١
 ، ٣٣٠، ٣٢٠، ٣١٠، ٣٠٠، ٢٩٠، ٢٨٠، ٢٧٠، ٢٦٠، ٢٥٠، ٢٤٠، ٢٣٠، ٢٢٠، ٢١٠، ٢٠٠، ١٩٠، ١٨٠، ١٧٠، ١٦٠، ١٥٠، ١٤٠، ١٣٠، ١٢٠، ١١٠، ١٠٠، ٩٠، ٨٠، ٧٠، ٦٠، ٥٠، ٤٠، ٣٠، ٢٠، ١٠، ٠
 - ١١٠، ١٠٨، ١٠٠، ٩٣، ٩٢، ٨٤
 - ١٣٦، ١٢٩، ١٢٤، ١٢٣، ١١٢
 ، ١٥٠، ١٤٨، ١٤٦، ١٤٥، ١٤٢
 ، ١٦٤، ١٦٢، ١٥٩ - ١٥٤، ١٥١
 ، ١٨٢ - ١٨٠، ١٧١ - ١٦٩، ١٦٧
 ، ٢٠٤ - ٢٠١، ١٩٧، ١٩٦، ١٨٩
 ، ٢٤١ - ٢٣٩، ٢٢١، ٢١٥، ٢١٣

٢٤٩، ٢٤٧، ٢٤٣

أبو الهندي ٣١١

أبو الهول ج ٢: ٢٤٤

أبو الهيثم ١٧٧

(ي)

ابن يامين ج ٢: ٥٢

يحيى بن زياد الحارثي ١٢٦، ٣١٨

يحيى بن طالب الحنفي ج ٢: ١٨٧

يزيد بن الطرية ٢٥٩، ٣٣٤، ج ٢: ١٦٢

يزيد بن معاوية ٣٠٨

يزيد الملهي ج ٢: ١٩٩

يعقوب بن الربيع ج ٢: ٢٢٤

١٢١، ١٢٥، ١٢٧، ١٣٢ - ١٣٤

١٣٨ - ١٤٠، ١٦٦، ١٨١، ٢٠٦

(و)

الوائقي بالله ج ٢: ١٦٥

أبو وجزة السعدي ٥٩

وضاح اليمن ٢٢٥، ٢٢٦

وهب بن عمرو ١٥٧

ابن وهب ٢٨

(هـ)

هرون بن علي ٩٣، ٣٢٧

هرون بن محمد الآملي ١٩٦

ابن هرمية ٣٣، ١١٩، ٢٨٩، ٣٥٨، ج ٢: ٦٥

أبو هفان ٦٥، ٨٠

أبو هلال العسكري مؤلف الديوان ٢ -

١٣٠، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٧

٢٩، ٣٠، ٤٢، ٤٣، ٥٣ - ٥٩، ٥٥

٦٠، ٦٤، ٦٩ - ٧٥، ٧٩، ٨٤، ٨٠

٨٨ - ٩٠، ٩٢، ٩٩، ١٠٠، ١٠٧

١٠٩، ١١٠، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٤

١٢٨، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٩، ١٤٠

١٤٢، ١٤٥، ١٤٨، ١٥١، ١٦١

١٦٧، ١٧٨ - ١٨٠، ١٨٤، ١٨٦

١٨٨، ١٩١ - ١٩٣، ١٩٧، ٢٠١

٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠

٢١١، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٥

٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤١

٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٧ - ٢٤٩، ٢٥١

٢٥٣، ٢٥٥ - ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦١

- ٣ منجد المقرئين وطبقات قراء العشرة لابن الجوزي (الورق الخشن ٢)
- ١٢٥٠ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للشیخ (وهو في الزوائد على الكتب الستة) عشرة أجزاء.
- ٢٠٠ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد. وهو أجمع كتاب مطبوع في التراجم ومنهم الحوادث لألف سنة (ثمانية أجزاء، والورق الأصفر ١٦٠)
- ٣٠ كشف الخفا ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني
- ١٢ الحاوي للفتاوى (من فقه وحديث وتفسير وأصول وتصوف ونحو...) للسيوطي
- ٢٠ ديوان المعاني (في الشعر والنثر وقدهما) لأبي هلال العسكري.
- ٢ الطب الروحاني لابن الجوزي، ١ المسائل والأجوبة لابن قتيبة.
- ١٥ شرح أدب الكاتب للجواني (الورق الخشن ١٠).
- ١٥ تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والآسانيد المسمى بالتقصي لحديث الموطأ وتراجم شيوخ الامام مالك واختلاف الموطآت لابن عبد البر.
- ٤ الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة (الاسمر ٣).
- ٤ المبهي في تفسير شعراء الحماسة لابن جني، ٣ دفع شبه التشبيه لابن الجوزي.
- ٦ الانتقام في فضائل الفقهاء: مالك والشافعي وأبي حنيفة وأصحابهم لابن عبد البر.
- ٦ القصد والامم في التعريف بأنسب العرب والعجم، والانباء على قبائل الرواة
- ٢ إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ لابن طولون.
- ٦ الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي (وهو كتاريخ للتاريخ الاسلامي).
- ١٠ الكشف عن مساوي المتنبي للصاحب بن عباد، وذم الخطأ في الشعر لابن فارس.
- ٢٠ تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الامام أبي الحسن الاشعري المعروف بطبقات الاشاعرة لابن عساكر (فيدها ثمانين ترجمة) (الاسمر ١٦).
- ٣ شروط الائمة الخمسة البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي.
- ٤ انتقاد (المغني عن الحفظ والكتاب) للقدسني.
- ٨ جني الجنين في تميز نوعي المثنيين للبحي (وهو كعجم للشنيات العربية).
- ٤ أخبار الظراف والمتماجنين (من الرجال والنساء) لابن الجوزي.
- ٧ رسائل تاريخية لابن طولون: القلک المشحون بأحوال محمد بن طولون، والشمعة المضية في أخبار قلعة الدمشقية، والمعزة في تاريخ المزة، والنكت التاريخية.
- ١ الحث على التجارة والصناعة والعمل والرد على من يدعي التوطل بترك العمل للخلال.
- ٢٥ ذيول تذكرة الحفاظ للحسيني وابن فهد والسيوطي والطهطاوي (الاسمر ٢٠)
- ١ بيان زغل العلم والطلب للذهبي، ٣ الدرة المضية في الرد على ابن تيمية للسبكي.
- ٢ إتحاف الفاضل بالفغل المبني لغير الفاعل لابن علان، ورسالة في النحو للصناديقي
- ١ المتوكلي فيما وافق من العربية اللغات العجمية، وأصول الكلمات اللغوية للسيوطي
- ٩ التطفيل وأخبار الطفيليين وأشعارهم للخطيب البغدادي.